٨- كتَاب الفَضَائِل

١٨٠- باب فضل قراءة القرآن

الحديث رقم (٩٩٢)

٩٩٢- عن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقول: ((**اقْرَؤُوا القُرآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

شفيعاً: من الشفاعة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وتكون الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قراءة القرآن تصدره أمر الرسول ﷺ (اقْرَؤُوا القُرآنَ) وبين الكلمتين جناس مؤكد للمعنى، وأمر الرسول ﷺ أمر إرشاد، وتوجيه تبعته جملة تعليلية بغرض الترغيب (فَإِنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ) وتوكيد الخبر بإن واسمية الجملة، وقوله (يأتي) يصور الحدث في الموقف الرهيب، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يصعِّد الرغبة فيه لعظم الحاجة إلى الشفيع ذلك اليوم، وليس الإنسان في حاجة إلى شفيع كل يوم، وإنما عند الحاجة، وهو ما تثيره كلمة شفيع من الحاجة إلى الإعانة، وما توحي به من الشدة التي تدعوا إليه، وتنكير كلمة شفيع للتعظيم؛ لأنه يوم لا يتصدى للشفاعة للناس فيه إلا قلة من العظماء مما يؤكد أهمية قراءة

---

(١) برقم ٨٠٤/٢٥٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٠٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

القرآن، وضرورة أن يكون لكل مسلم منه ورداً كل يوم، وإنَّ يوماً يمر على مسلم لم يقرأ فيه القرآن هو يوم ضاع من عمره، وهو يوم ليس له ثقل في ميزان حسنات العبد يوم القيامة.

فقه الحديث

استحباب الإكثار من تلاوة القرآن خارج الصلاة:

يستحب الإكثار من تلاوة القرآن خارج الصلاة، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ ﴾[١] ولأحاديث الباب[٢].

وقال النووي في الأذكار: (اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر ... وينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلاً ونهارًا سفرًا وحضرًا)[٣].

وقال كذلك: (اعلم أن قراءة القرآن آكد الأذكار كما قدمنا، فينبغي المداومة عليها، فلا يخلى عنها يومًا وليلة، ويحصل أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن.

ثالثاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اقرؤوا القرآن" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية النافعة، لما فيه من دلالة المدعوين على أوجه الخير، وحملهم على

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١/١٣-١٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٢٥١، ٣٣/٣٤.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٢٧ .

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣٦.

الإتيان بها، وقد استخدم القرآن أسلوب الأمر في كثير من الآيات مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1]. وأمر النبيَّ ﷺ وأتباعه باستخدامه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن:

ذكر الحديث جانباً من جوانب فضل القرآن، وهو شفاعته لأصحابه، فقال ﷺ "اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" وقوله فإنه يأتي يوم القيامة، قال العلقمي، قال شيخنا: قيل يُصوَّر القرآن بصورة شيء قائم بنفسه يجيء يوم القيامة بحيث تراه الناس كما يجعل الله لأعمال العبادة خيرها وشرها صورة ووزناً يوضع في الميزان" يشفع لأصحابه القارئين له، المشتغلين به، المتمسكين بهديه، الممتثلين لأوامره، المجتنبين لنواهيه[3] وهذا ما يوجب علينا أن نحرص غاية الحرص على تلاوة كتاب الله ليلاً ونهاراً[4] وقد أمر الله بتلاوته فقال: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[5] وترتيله فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[6].

وقد جاء في الحديث الأمر بالمداومة على قراءة القرآن، والانشغال به، والتمسك بأوامره ونواهيه، وبيان أن القرآن يصوَّر يوم القيامة بحيث يراه الناس ويأتنس به المداومون على تلاوته، والعمل بما فيه وينتفعون بشفاعته[7].

لذا كانت نعمة القرآن من أشرف النعم التي ينعم الله بها على المسلم، شرف بها

---

(١) سور النساء، آية: ٥٨.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٩٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٣٥/٢.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٦) سورة المزمل، آية: ٤.

(٧) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٣٨.

مَنْ أوتيها وتميز بها على غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لاحسدَ إلاّ في اثنتينِ: رجلٌ علَّمهُ اللهُ القرآنَ فهوَ يَتلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهار، فسمعَهُ جارٌ له فقال: ليتَني أُوتيتُ مثلما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلَ مَا يَعمل. ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهوَ يُهلِكه في الحقّ، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلَ مايَعمل))[1].

فالجد الجد في تلاوة القرآن وحفظه والقيام به، فطوبى لرجل منَّ الله عليه بالقرآن فوهبه حفظه، وعلم ما تضمنه من حلال وحرام، وحِكم وأحكام، وقصص وأخبار وآداب وأخلاق، فذاق حلاوته، وعرف مكانته، فحرص عليه الحرص كله، وعض عليه بالنواجذ واتخذه سميره وجليسه، وخليله وأنيسه، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فلسانه به رطب وقلبه به حي، وعقله في نمو وعلو، ونفسه مهتدية بهديه ومقتفية لأثره[2].

ثالثاً- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، وهو معجزة الرسول ﷺ وقد نزل بلسان عربي مبين، أنزله الله على رسوله ﷺ ليكون للناس رحمة وهداية وليبينه للناس[3] ولما كان القرآن هو المصدر الأول للإسلام، وبالتالي للدعوة الإسلامية جاءت النصوص الجمة التي تأمرنا بقراءته وتعاهده، ومنها ما جاء في الحديث "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" فالقرآن هو المصدر الأول للإسلام وبالتالي للدعوة الإسلامية، لذا يجب أن ترجع كل تعاليم الإسلام في أصولها إلى القرآن، العقائد والمفاهيم والقيم والموازين والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب والقوانين والشرائع، كل هذه قد وضع القرآن أسسها وأرسى دعائمها[4].

فالقرآن العظيم هو مصدر الشريعة الإسلامية السمحة المنظمة لحياة المسلمين، وهو دستورها القائم أبد الدهر، وقد استغنى به المسلمون في الصدر الأول فأغناهم عن كل

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٦.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٩٧.

(٣) الموافقات، الشاطبي، ٢/٢٤٣.

(٤) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ١٠.

شيء، فلم يمدوا أبصارهم إلى غيره، ولم يأخذوا لدينهم ودنياهم إلا بما توحي به إليهم كلماته، وتوحي به إليهم آياته"[1].

فإنه لا شيء في حياة المسلم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الفكرية أو الروحية يُرجع فيه إلى مصدر آخر غير هذا الكتاب، ولا شيء في حياته يجوز أن يخرج عن تعاليم هذا الكتاب، وما جاء في شرحه وتفصيله في سنة الرسول ﷺ، مهما استجدَّ في حياته من أمور.

لقد أنزل الله هذه الشريعة لتحكم حياة الناس إلى قيام الساعة، فقولُ مَرْضى القلوب: إنَّ هذه الشريعة قد نزلت قبل أربعة عشر قرناً، فهي لا تصلح للتطبيق اليوم، معناه - تعالى الله عن ذلك: أن الله لم يعلم وقت تنزيل هذا القرآن أنه ستجدُّ في حياة الناس أمور غير التي كانت قبل انقطاع الوحي، ولا يوجد لها في الشريعة حكم يشملها!

وقد عرف المسلمون خلال التاريخ، أن نظام حياتهم كلّه قد شملته أحكام الشريعة، وأن عليهم - حين يجدُّ في حياتهم أمر- أن يستنبطوا له حكماً من الشريعة الثابتة الأركان.

وعرفوا - فوق ذلك- أنه توجد أمور تركها رب العزة بغير نص، لا نسياناً منه جلت قدرته، ولكن رحمة منه بعباده، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فهذه أمور يجتهدون فيها بما يحقق مصالح الناس، دون أن يخالفوا مقاصد الشرع"[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن الترغيب في الدعوة إلى الله له أثره في حفز المدعوين على الإقبال على فعل الخيرات واجتناب المنكرات، لذا ينبغي على الدعاة إلى الله استعمال هذا الأسلوب في حث المدعوين على الإقبال على فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث في قراءة القرآن بكونه يأتي شفيعاً لأصحابه، فقال ﷺ "اقرؤوا

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود أحمد بن صالح الدوسري، ٥٣٠.

(٢) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي ص ٢١٠.

القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً في سلوك المدعوين، إذ أن الترغيب يثير عند الإنسان عامل الرجاء والأمل، وأسلوب الترغيب في الواقع يوجه اتجاه الإنسان، ويعمل على تحديد أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يرجو، ونوع ما يرجو يكون التأثير في السلوك والاتجاه[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٥.

الحديث رقم (٩٩٣)

٩٩٣- وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقولُ: ((يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بالقُرْآنِ[١] وَأهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ (فِي الدُّنْيَا) [٢] تَقْدُمُه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ،[٣] ... تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا)) رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩٠).

غريب الألفاظ:

تُحاجان: تجادلان[٥].

الشرح الأدبي

البداية بالفعل المبني لما لم يسم فاعله (يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ) تذهب بالنفس في تصور الفاعل كل مذهب، وذكر الظرف، وإضافته إلى يوم القيامة يصعِّد الرهبة، ويعطي الفعل أبعاداً إيحائية لأن حدث الآخرة لا يشبه حدث الدنيا إلا في اللفظ، وبينهما فوارق لا يقدر قدرها إلا الله، وقوله (بِالقُرْآنِ، وَأهْلِهِ) المعية التي تدل عليها الواو توحي بشرف، وتكريم أهل القرآن، وقوله (الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا) تكميل بلاغي يشير إلى أن هذا الفضل مختص بالعاملين بالقرآن، وليس لعموم القارئين، وقوله (تقدمه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ) كناية عن عظم فضلهما، وكثرة ثوابهما، وقوله (تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا) كناية عن دفع العذاب عنه، وتحقيق الدرجات له، والفعل المضارع يصور حركة الأخذ، والرد في الدفاع، ورد العذاب، وتحقيق الثواب.

---

(١) لفظ مسلم: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة).

(٢) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند الترمذي ٢٨٨٣.

(٣) عند مسلم زيادة: (وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال، ما نسيتهنَّ بعدُ، قال: كأنهما عمامتان أو ظلتان سوداوان، بينها شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف).

(٤) برقم ٨٠٥/٢٥٣ بدون قوله: (في الدنيا)، وهو عند الترمذي.

(٥) القاموس، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ج ج).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن والعمل به وفضل سورتي البقرة وآل عمران.

ثانياً: من آداب الداعية: البيان والتوضيح لفضل العمل بالقرآن الكريم وفضل سورتي البقرة وآل عمران.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أحوال الناس يوم القيامة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن والعمل به وفضل سورتي البقرة وآل عمران:

جاء في الحديث فضل القرآن والعمل به، وفضل سورتي البقرة وآل عمران ومحاجاتهما عن صاحبهما، فقال ﷺ "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما" فمن صحب القرآن في الدنيا تلاوة وتدبراً وتأثراً وعملاً، فقام به الليالي، وأنفق فيه زهرة عمره، وجعله شغله الشاغل وهمه الدائب، واتخذ منه الصاحب والمأنس والملجأ، فلن يتخلى عنه القرآن[1] بل ينهض له شفيعاً، وخص من بين سور القرآن سورتي البقرة وآل عمران وبيَّن أنهما تُحَاجَّان عن صاحبهما يوم القيامة.

فالقرآن العظيم يشفع لصاحبه الذي كان يعمل به في الدنيا، وفي مقدمة ذلك سورة البقرة وآل عمران، تتقدمان في الشفاعة والذود عن حافظهما والعامل بهما خصوصاً، لكثرة ما تحويان من أحكام وأمور عظام، وهذا من أعظم فوائدالعمل بالقرآن[2].

لذا فإن أولى الناس بالعمل بالقرآن هم أهل القرآن، عملاً بما فيه وامتثالاً لأمره واجتناباً لنهيه وتحاكماً إليه والتزاماً بمنهجه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، ص ٣٨٤.

(٢) انظر: هذا القرآن في مائة حديث نبوي، د. محمد زكي محمد خضر، ط/٢: ١٤٠٨هـ ص ٤٢.

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[١] أي يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله، وقيل يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به[٢] وحذر القرآن من عدم العمل بمقتضى القرآن فإن من كان هذا حاله كان شأنه شأن اليهودالذين ذمهم الله تعالى في عدم العمل بالتوراة وشبههم بما يتناسب مع جريمتهم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٣] قال ابن القيم: فقاس سبحانه من حمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتباع ولا تحكيم له، وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري مافيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله عز وجل كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته[٤].

ثانياً- من آداب الداعية: البيان والتوضيح لفضل العمل بالقرآن الكريم وفضل سورتي البقرة وآل عمران:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم بالتبيين والتوضيح للناس قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٥] ومما يندرج تحت هذا البيان الواجب، بيان فضل العمل بالقرآن وفضل سورتي البقرة وآل عمران، كما ورد في الحديث "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما" ففي أول الحديث نصّ ﷺ على فضل القرآن كله والعمل به وأنه

(١) سورة البقرة، آية: ١٢١.
(٢) التسهيل لتأويل التنزيل، مصطفى بن العدوي ١/٥٩.
(٣) سورة الجمعة، آية: ٥.
(٤) الأمثال في القرآن الكريم ٢٦، ٢٧.
(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

يشفع لصاحبه يوم القيامة، ثم خص من بين سور القرآن كله سورتي البقرة وآل عمران فإنهما تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة[1] وضرب لهما النبي ﷺ مثلاً لمحاجاتهما وما يترتب على العمل بهما، وما يترتب على تركهما، خاصة سورة البقرة، فجاء عند مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزَهْراوين، البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَان أو كأنهما غَيَايَتَان، أو كأنهما فِرْقَانِ من طيرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة[2] [3].

قال الإمام المازري: (قوله في البقرة وآل عمران: "فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طيرٍ صواف..." قال بعض أهل العلم: يكون هذا الذي يؤتى به يوم القيامة جزاء عن قراءتهما فأجري اسمهما على ما كان من سببهما كعادة العرب في الاستعارة، قال أبو عبيد: الغياية: كل شيء يظل الإنسان فوق رأسه من السحابة والغبرة، ويقال: تفايا القوم فوق رأس فلان بالسيف كأنهم أظلوه به، قال غيره: والفرقان القطيعان[4] ومن فضائل سورة البقرة "فإن أخذها بركة" أي في المواظبة على تلاوتها والتدبر في معانيها والعمل بما فيها منفعة عظيمة "وتركها حسرة" أي ندامة يوم القيامة، وقوله "ولا يستطيعها البطلة.." أي لا يقدر على تحصيلها أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وفسرها معاوية الراوي بالسحرة، لأن ما يأتون به باطل، سماه باسم فعلهم الباطل، أي لا يؤهلون بذلك ولا يوفقون له، ويمكن أن يقال: معناه: لا تقدر على إبطالها أي على صاحبها السحرة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٢) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي، يوسف بن عبدالله الحاطي ص ٢٥.

(٣) مسلم ٨٠٤.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ١/٢٥١.

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[١])[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أحوال الناس يوم القيامة:

إن أحوال الناس يوم القيامة مع القرآن تختلف باختلاف قيامهم بحقه في الدنيا، وقد جاء في صريح الحديث شفاعة القرآن لأهله العاملين به "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا" كما يحمل الحديث في مضمونه عدم استحقاق هذه الشفاعة لمن ترك العمل بالقرآن، واتخذه وراءه ظهرياً كما جاء في صريح أحاديث أخر، روي عن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ((الْقُرآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ))[٣] ومعنى الحديث أن من اتبع القرآن وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول الشفاعة في العفو عن زلاته وسقطاته، فمن جعله أمامه بالعمل به قاده إلى الجنة، ومن ترك العمل به وجعله خلف ظهره، أثم على إساءته، ومصدَّق عليه فيما يرفع عن مساويه، وعند ذلك يسوقه إلى النار[٤].

وقد ذكر القرآن كثيراً من الفوارق بين أهل القرآن العاملين به وبين غير العاملين به -بخلاف الشفاعة المذكورة في الحديث- منها:

أ- الرحمة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥] وذلك وعد على اتباعه، وتعريض بالوعيد بعذاب الدنيا والآخرة إن لم يتبعوه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٢) انظر: موسوعة فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ١٨٤/٥، ١٨٥.

(٣) رواه الطبراني في الكبير ١٠٤٥٠/١٠، والبيهقي في الشعب ٢٠١٠/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨١٨/٢ حديث رقم ٤٤٤٣، والصحيحة حديث رقم ٢٠١٩.

(٤) انظر فيض القدير، الشوكاني، ٤٣٩٩/٨، وعظمة القرآن الكريم، محمودبن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٠٦، ٥٠٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥٥.

ب- الفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

فقد شبه الله تعالى القرآن بالنور الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق ويتميز عن الباطل، ويُميَّز به بين الهدى والضلال والحسن والقبيح، وشبه حال المقتدى بهدي القرآن بحال الساري في الليل، إذا رأى نوراً يلوح له اتبعه، لعلمه اليقيني أنه يجد عنده منجاة من المخاوف وأضرار السير(٢) فمن استجاب لهذا النور واتبعه وعمل بما فيه، فهو المفلح الفائز بالمطلوب في الدنيا والآخرة، الظافر بخيرهما والناجي من شرهما.

ج- تكفير السيئات وإصلاح البال:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾(٣) أي كفر عنهم سيئاتهم صغارها وكبارها، وإذا كفُرت عنهم سيئاتهم نجو من عذاب الدنيا والآخرة(٤) وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة أن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جناته(٥).

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب الإسلام وحض في آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية على تعاهد القرآن قراءة وفهماً، وتدبراً وعملاً، ببيان فضائل العمل بالقرآن الكريم، وحسن الجزاء في

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٨٠/٧.

(٣) سورة محمد، آية: ٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٩٢.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٩/٢٦/٩.

الدنيا والآخرة ومن ذلك ما جاء في الحديث من ترغيب النبي ﷺ في قراءة القرآن والعمل بما فيه ببيان شفاعة القرآن لأهله العاملين به يوم القيامة فقال ﷺ "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما" وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية أثراً لما فيه من التشويق إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوآن بما يرغب الناس في قبول الدعوة والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله[1].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٩٤)

٩٩٤- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

يشرف العمل بشرف غايته، وتعلق عمل الإنسان بكتاب الله يجعله أفضل الأعمال ولذلك بدأ الرسول حديثه بهذا اللفظ الذي يداعب النفس بما تهوى، وتحب (خيركم)، لأنه علم على كل محبوب، وإضافته إلى كاف الخطاب، وميم الجمع، يجعل لخيرية مطلقة التفضيل، ولا ننسى أنه كان يخاطب خير الناس، ومن اسم موصول يشعر بالمدح، وبين تعلم، وعلم جناس يؤكد المعنى، ويقرره، والحديث يندب كل مسلم إلى أن يحقق هذه الخيرية بتعلم القرآن، وتعليمه بالقدر المستطاع حتى، ولو بتعليم بعض سوره، أو آياته خدمة لكتاب الله، ونشراً له، وخدمة لنفسه بالمشاركة في الثواب، والأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

ثانياً: من مصادر الدعوة: القرآن.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على تعلم القرآن وتعليمه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه:

إن في تعلم القرآن الكريم وتعليمه خيراً كثيراً وفضلاً جزيلاً، وذلك لما يعود على العالم والمتعلم من الأجر والمثوبة[2] ومن الدلائل على ذلك ما جاء في الحديث "خيركم

---

(١) برقم ٥٠٢٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠٩٦.

(٢) التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين، د. عبدالرحيم محمد المغذوي ص ٤.

من تعلم القرآن وعلمه" قال ابن حجر: (يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل فقط، بل من أشرف العمل تعليم الغير، فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه، وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعد، ولاشك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عني سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١] والدعوة إلى الله تقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع)[٢].

إن في تصريح النبي ﷺ في الحديث بخيرية متعلم القرآن ومعلمه "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" شهادة حق لأهل القرآن بأنهم خير الناس وأفضلهم، فخير الناس وأفضلهم من تعلم القرآن حق تعلمه، وعلمه حق تعليمه، قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال، لأن فيه إعانةً على الدين، فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم[٣].

وقد أدرك السلف الصالح هذه الخيرية والأفضلية، التي يتميز بها معلم القرآن ومتعلمه، فحرصوا على بلوغها، ومن دلائل ذلك ما روى عن سعد بن عبيدة قال: وأقرأ أبو عبدالرحمن السلمي في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال أبو عبدالرحمن السلمي: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا. قال ابن حجر: ومعنى قول أبي عبدالرحمن السلمي "وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا"[٤] أي أن الحديث الذي حدث به عثمان في أفضلية تعلم القرآن وتعليمه "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" حمل أبا عبدالرحمن أن قعد يعلم الناس القرآن لتحصيل تلك الفضيلة[٥] وذلك من صفات المؤمنين الصادقين

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦٩٤/٨.

(٣) التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أبي بكر القرطبي، دراسة وتحقيق: فؤاد أحمد زمرلي ص ١٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٩٧/٩.

المتبعين للرسول ﷺ فهم يحرصون على تعليم الآخرين وإرشادهم لهدي القرآن، كما منَّ الله بذلك عليهم، وطلباً لرضا الله ومثوبته.

ثانياً- من مصادر الدعوة: القرآن:

إن القرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، ومن ثم فهو المصدر الرئيس للدعوة، لذا كانت رعاية القرآن خير الأعمال والقائمين عليها هم خير المؤمنين، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ في الحديث فقال "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" فالقرآن كتاب هداية يهتدي به من قرأه أو حفظه وتدبر معانيه واتعظ بما فيه، به تفتح مغاليق القلوب وتستنار به الأفئدة، ويقاد به الناس إلى الوقوف عند حدوده والعمل بما فيه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1] وله من روعه التنزيل وجلال الأحكام والمواعظ، ما تتصدع منه الجبال الرواسي، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2][3].

فالقرآن هو مصدر الهدى، ومشع العلم، وأحسن الحديث، أنزله الله على رسوله ﷺ مثاني تقشعر منه جلود المؤمنين وتلين به قلوبهم، متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة[4]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[5].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

(٢) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، ط/٤، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ٤٢-٤٤.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٨/٤.

(٥) سورة الزمر، آية: ٢٣.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على تعلم القرآن وتعليمه:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الدعوة إلى تعلم القرآن وتعليمه، وبيان فضل ذلك، كما جاء في الحديث "خيركم من تعلم القرآن، وعلمه" إذ أن القرآن خير الكلام فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن وفي ذلك حث على تعليم القرآن[١].

قال ابن كثير: (والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكمل في أنفسهم المكملين لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون، ولايتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع[٢] كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾[٣] فينبغي أن يحرص المسلمون على طلب الثواب الأخروي، والترقي إلى منزلة الخيرية في تعلمهم وتعليمهم لكتاب الله تعالى، وأن يجتهدوا في ذلك[٤].

ولا ريب أن تعليم الناس القرآن العظيم من النفع المتعدي، وهو مما يلحق المعلم من عمله الصالح وحسناته بعد موته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ. وَمُصْحَفاً وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ أَوْ بَيْتاً لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))[٥] وتعليم الناس القرآن الكريم داخل في عموم الدلالة على الخير لقوله ﷺ ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٦].

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٨/٦٩٤، ٦٩٥.

(٢) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٢٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٢٦.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٩٨.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٨).

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

والمراد بـ "مثل أجر فاعله" أن له ثواباً بذلك الفعل، كما أن لفاعله ثواباً، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء[١] وذلك لأن أعمال الخير والتعليم عامة فكيف بتعليم آيات القرآن، وذلك من الآثار الحسنة التي تكتب في ميزان مُعلّم القرآن، لأنه كان السبب المباشر في تعليمها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[٢] أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، والتي تسببوا فيها بإتيان غيرهم لها، ويشهد لهذا، قوله ﷺ ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بهَا مِنْ بَعْدِهِ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[٣] (فكل خير عمل به أحدٌ من الناس بسبب علم العبد وتعليمه، أو نصحه، أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً أو محلاً من المحال التي يرتفق بها الناس وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له وكذلك عمل الشر)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦٠.

(٢) سورة يس، آية: ١٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤١٦.

الحديث رقم (٩٩٥)

٩٩٥- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الَّذِي[١] يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أجْرَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ماهر به: حاذق كامل الحفظ لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه[٣].

السفرة: هم الملائكة جمع سافر، والسافر في الأصل: الكاتب، سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه[٤].

البررة: جمع بارٍّ: المطيعون من البر وهو الطاعة[٥].

يَتَتَعْتَعُ فيه: يتردد في تلاوته لضعف حفظه، ويتبلد فيها لسانه[٦].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل قراءة القرآن يبين فضل قارىء القرآن في الآخرة، والحديث أسلوبه خبري يجري مجرى الخبر المعلوم الذي لا يجهل فلم يؤكد؛ لأنه قابل به خالى

(١) لفظ البخاري: (مثل الذي) بزيادة: (مثل).

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨/٢٤٤.

تنبيه: الشطر الأول من الحديث لفظ البخاري، والشطر الأخير، هو لفظ مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٠٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ف ر)، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ع ت ع).

الذهن من الخبر، وقوله (يقرأ القرآن) جناس يوضح المعنى، ويلقي الضوء على لب الحديث، وهو قراءة القرآن، وقوله: (وهو ماهر به) الضمير يفيد الاختصاص، والعناية، والتعبير بكلمة (ماهر) يوحي بالإتقان، والإجادة، كما يشير من طرف خفي إلى كثرة قراءة القرآن، وطول ملازمته التي أوصلته إلى هذه المنزلة، لأن الإنسان لا يصل إلى درجة المهارة في شيء حتي يستنفذ فيه جهده، ويبذل فيه وقته، كما أن المهارة تعني الإحاطة بكل جوانب الصنعة حتى يتسنى إتقانها فيعلم أحكام تلاوته، ومخارج حروفه، والوقف والابتداء، وغيرها مما يتعلق بقراءة القرآن، ، ولفظ السفرة يوحي بالكشف، والسافر الرسول لأنه يسفر للناس أي يظهر، ولأن الماهر صار كاشفاً لجانب من جمال القرآن في التلاوة، وناقلا لما جاء به الرسول من وحي الله بمهارته فيه، والكرام أي المكرمين عند الله لأن الله يكرم حامل القرآن لأنه بحفظه في صدره صار هذا الحافظ وعاءً لكتابه، وكتابه مكرم فكرم حامله، والتعبير بالبر يدل على جماع الخير، وكثرة قراءة القرآن التي وصلت به إلى مرحلة المهارة أثمرت حسنات لا تحصى كثرة ارتقت به إلى مثل عملهم الذي هو خير صرف وهو البر، والتعبير بلفظ (يتتعتع) يصور جزءاً من المعنى الذي يوحي به اللفظ بجرسه ووزنه، وهو المشقة، وصعوبة النطق، والمعاناة في القراءة، ولذلك كان له أجران للقراءة، والتعتعة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل وثواب الماهر بالقرآن.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى ملازمة القرآن.

ثالثاً: من آداب الداعية: الحث على تعلم القرآن وإجادته.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل وثواب الماهر بالقرآن:

جاء في الحديث تصريح رسول الله ﷺ بعلو درجة الماهر بالقرآن وارتفاع منزلته، فقال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)، أي: أن القارئ الماهر بالقرآن المجيد لحفظه على ما ينبغي، بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته، مع السفرة الكرام البررة، قال ابن حجر: (قال ابن التين: معناه كأنه مع السفرة فيما

يستحق من الثواب)[١]، وقال النووي: (قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة، أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة، لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، وقال: ويحتمل أن يراد أنه عاملٌ بعملهم وسالك مسلكهم)[٢].

وتلك بشارة عظيمة لمن تعلم القرآن وأتقن تلاوته وأكثر منها، حتى أصبح ماهراً، فهو مع السفرة لاتصافه بصفتهم التي تشرفوا بها واضطلعوا بها وهي حمل كتاب الله وتبليغه[٣].

كما أشار إلى ذلك الحديث، فقال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)، قال القاضي: "يريد الملائكة، قال ابن الأنباري: سُمُّوا بذلك لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس، فشبهوا بالسفير الذي يصلح بين الرجلين، وقال ابن عرفة: سموا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه عليهم السلام، وقيل سفرة: كتبة، وسمي الكاتب سافراً لأنه يبين الشيء ويوضحه، والأسفار: الكتب، والماهر: الحاذق بالقراءة وأصله الحذق بالسباحة، وقال المهلب: المهارة جودة القراءة بجودة الحفظ، ولا يتردد فيه، يسره الله عليه كما يسره على الملائكة، فهو معها في مثل حالها من الحفظ وفي درجة واحدة إن شاء الله، ووصول المسلم إلى هذه الدرجة يحتاج إلى عمل وصبر متواصل حتى ينالها"[٤]، وقال القرطبي: "ولا يكون ماهراً بالقرآن حتى يكون عالماً بالفرقان، وذلك بأن يتعلم أحكامه، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، ويعرف المكي من المدني، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض في أول الإسلام وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، ويعرف الإعراب والغريب، فذلك الذي يسهل عليه معرفة ما يقرأ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٢/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٣) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٦.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٦٦/٣.

ويزيل عنه الشك فيما يتلو، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن النبي ﷺ، فبها يصل إلى مراد الله تعالى، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً"[(١)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى ملازمة القرآن:

من فضل الله وكرمه أن كل من أقبل على القرآن تلاوة وتدبراً، فلن يحرم من الأجر سواء أكان ماهراً بالقراءة أم متتعتعاً فيه شاقاً عليه[(٢)]، فقال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)، وفي هذا الحديث إيحاء قوي بأن المسلم لا ينبغي له في أي حال من الأحوال أن ينصرف عن تلاوة القرآن، سواء كان من المهرة المتقنين المتمكنين من التلاوة أم كان ضعيف القدرة على تحصيل ذلك فيتخذ ضعفه حجة في الإعراض عن التلاوة، ولا ريب أن كثرة الممارسة والمحاولة الجادة، ستؤدي إلى حُسن التلاوة، وربما حسن الحفظ فيما بعد، وهو أمر مُجَرَّب يسير على من يسره الله عليه ووفقه لذلك"[(٣)].

فمن طلب حفظ القرآن وجدّ فيه يسره الله له وأعانه عليه، فإن من أعظم نعم الله على عباده أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[(٤)]، "أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه وهل من متعظ به حافظ له؟ والاستفهام هنا بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به"[(٥)]، والمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن الله تبارك وتعالى أكد تيسير حفظ القرآن بكثير من المؤكدات، والواقع المشاهد يصدق هذا التيسير، فقد حفظ القرآن حفاظ لا يحصون عدداً في كل جيل ومن كل قبيل، لا يخطئ أحدهم في كلمة ولا حرف، سواء كانوا عرباً أم عجماً، وأكثر الحفاظ العجم لا يعرفون من العربية شيئاً

---

(١) التذكار في أفضل الأذكار، القرطبي ص ٨٣، نقلاً عن عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٧.

(٣) انظر: أنوار القرآن، مصطفى الحمصي، ط/١، مكتبة الغزالي، دمشق: ١٤٢٣هـ ص ٩٣ - ٩٨.

(٤) سورة القمر، آية: ١٧.

(٥) تفسير الجلالين لال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلى، ابن حزم ص ٧٠٦.

وربما قرأ الواحد منهم القراءات السبع والعشر عن ظهر قلب[١]، وقد عدّ أبو الحسن الماوردي هذا الأمر وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم وخصائصه التي تميز بها فقال: (من إعجازه تيسيره على جميع الألسنة، حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ولا يُحفظ غيره من الكتب كحفظه)[٢].

ثالثاً- من آداب الداعية: الحث على تعلم القرآن وإجادته:

من الآداب الواجبة على الداعية حث المدعوين على تعلم القرآن والاهتمام به كتابة وقراءة، ضبطاً وحفظاً، طلباً للأجر ورفع المنزلة كما جاء في الحديث: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)، ولقد اهتم الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن وضبطه، واشتهر عدد منهم بتميزهم وبضبطهم للقرآن، وقد أوصى الرسول ﷺ بأخذ القرآن عن بعض هؤلاء الضابطين[٣]، فقال ﷺ: ((خُذوا القرآنَ من أَربعة، من عبدِ الله بن مسعود وسَالِمٍ ومُعاذٍ وأبيّ بن كعبٍ))[٤]، ولقد جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ النصوص الكثيرة التي تحث على حفظ القرآن الكريم وتلاوته وإجادته فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾[٥]، وقوله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْف ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))[٦]، وغير ذلك من النصوص التي تحث على العناية بحفظ القرآن والتسابق في قراءته واستظهاره وإجادة ضبطه"[٧].

---

(١) انظر: كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن مصدرها، د. نور الدين عتر ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) أعلام النبوة، على بن محمد الماوردي ص ٦٩

(٣) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، يوسف بن عبدالله الحاطي ص ٣٨ - ٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩٩٩.

(٥) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٩١٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٧).

(٧) نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي ﷺ، د. عبدالودود مقبول ضيف ص ٥٧.

إن تعلم القرآن وتعليمه خير من كنوز الدنيا، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ. فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟)) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ نُحِبُّ ذٰلِكَ. قَالَ: ((أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ. وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ. وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ. وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ؟))[1]، والحاصل من هذا الحديث أن الرسول ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم من الفانيات، فذكر هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر مِنْ أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى، أو بثوابها من الدرجات العلى[2]، وسبب التمثيل بالإبل أنها كانت أعز وأثمن أموال العرب في صدر الإسلام، لا يملكها إلا الأغنياء منهم، فرغب النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم إلى ما هو أفضل من ذلك بأن يكون لهم رصيد من الحسنات عند الله عز وجل أعظم من الإبل عند أصحابها في الدنيا، وذلك بأن يتعلموا كلام الله تعالى، فكل آية يتعلمها المسلم هي في ميزان حسناته، أفضل من ناقة عظيمة السنام، سالمة من العيوب لو تصدق بها[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٠٣.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ٥٦٠.

(٣) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضل سور القرآن، د. إبراهيم علي السيد علي عيسى ص ٣١ - ٣٢.

الحديث رقم (٩٩٦)

٩٩٦- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ: ريحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الأُتْرُجَّة: قال الزبيدي: الأترج هو أحلى ثمر العرب[2].

الريحانة: جنس من النبات طيب الرائحة مر الطعم[3].

الحنظلة: نبت مفترش، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة[4].

الشرح الأدبي

بدأ صلى الله عليه وسلم بأسلوب خبري يتسم بالتشويق، والطرافة حيث بدأ بكلمة (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والأشرف، والمثل: هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه قال الإمام العيني: "أن المثل له مفهوم لغوي، وهو النظير ومفهوم عرفي، وهو القول السائر، ومعنى مجازي، وهو الحال الغريبة[5]. وهي حال نطقها تستدعي أكثر هذه المعاني، وتبشر

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٢٧، ومسلم ٧٩٧/٢٤٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٠٢.

(٢) تاج العروس في (ت ر ج).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ي ح).

(٤) المرجع السابق في (ح ن ظ ل).

(٥) عمدة القارى شرح صحيح البخارى، للإمام بدر الدين العيني، مراجعة: صدقى جميل العطار٢/٢٠.

بالخبر الطريف الذي يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً لمعرفته.وقد اشتمل الحديث على ثلاثة أمثال الأول: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ) وهوتشبيه للمؤمن بهذه الثمرة حلوة الرائحة، والطعم في إشارة إلى أنه طيب الظاهر، والباطن كما أن التشبيه بالرائحة يشير إلى سرعة الانتشار، ووصف الريح بالطيبة يشير إلى كثرة الخير من هذا المؤمن القاريء للقرآن له، ولمن حوله كما أن الرائحة تفيده، وتفيد غيره، المثل الثاني: في قوله تعالى (وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ) وهو تشبيه للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة، ووجه الشبه حلاوة الطعم، وتشير في جانب المؤمن إلى جانب الخير المنبعث في قلبه من إيمانه بالله مع جانب نقص عن مثال سابقه نتج عن عدم قراءة القرآن، وفي ذلك بيان لقيمة الإيمان الذي سكن قلبه، وبيان لقيمة القرآن الذي لم يحذ فضله وقوله (كمثل) الكاف أداة التشبيه، ولفظ مثل بمعنى الحال، والصفة، والجمع بينهما للدلالة على تشبيه الهيئات، والأحوال، إذ لو دخلت (الكاف) على كلمة (التمرة) لتُوهِّم بادئ الرأي مشبهاً به أفراداً، والمثال الثالث في قوله (وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) وهو تشبيه للمنافق بالحنظلة في مرارة الطعم وانعدام الرائحة فباطنه فاسد، وظاهر لا خير فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل المؤمن القارئ للقرآن.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أحوال المنافقين مع القرآن الكريم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: حث المؤمنين على قراءة القرآن وتدبر معانيه.

أولاً- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

إن على الدعاة أن يقتفوا أثر النبي ﷺ في دعوته، فيختاروا الأسلوب المؤثر الذي يقرب المعنى إلى أذهان المدعوين من غير عناء ولا تكلف، ومن هذه الأساليب ضرب الأمثلة المؤثرة في توجيه المدعوين وتقريب المعنى إلى أذهانهم، وقد ورد ضرب المثل في

الحديث أربع مرات، في قوله ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة... ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن..)، قال الطيبي: (قال التوربشتي: ... ثم إنه ﷺ ضرب المثل عما ينبته الأرض، ويخرجه الشجر، للمشابهة التي بينها وبين الأعمال، فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وما ينبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهًا على علو شأن المؤمن، وارتفاع عمله، ودوام ذلك، وتوقيفًا على ضعة شأن المنافق، وإحباط عمله، وقلة جدواه.

وأقول -أي الطيبي- إن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة، وضع لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف، لا يبرز عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد. ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ. ومنهم من لا نصيب له البتة، وهو المنافق الحقيقي، ومن تأثر ظاهره دون باطنه، وهو المرائي، أو بالعكس، وهو المؤمن الذي مذكور في الحديث. ولم يجد ما يوافقهما ويلائمهما، أقرب ولا أحسن، ولا أجمع من ذلك؛ لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاصر، لأن الناس إما مؤمن، أو غير مؤمن.

والثاني: إما منافق صرف، أو ملحق به، والأول: إما مواظب على القراءة، أو غير مواظب عليها. فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها. ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح[1].

فضرب المثل في هذا الحديث من عوامل جذب انتباه المدعوين؛ فالناس لما قسمهم الرسول ﷺ أربعة أنواع، والسامعون يرهفون السمع وحاسة التصوير يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة ليوازنوا بينها، ويحددوا في أي صنف يكونون ... وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة، ثم ينضمون إلى الطائفة الموجودة[2].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢١٩/٤.

(٢) التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي ص ٣١، ٣٢.

وقد استخدم ضرب المثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد ورد في القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً، ومنها قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[1]، وضرب الأمثال ضرب سامٍ من فصيح الكلام، جرى عليه القرآن والسنة لتأكيد معنى أو بيان غاية، فالمثل تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر، وضرب المثل من أعلى درجات البلاغة، قال إبراهيم النظّام: يجتمع في المثل أربعة، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة المعنى، فهو نهاية البلاغة"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل المؤمن القارئ للقرآن:

ذكر النبي ﷺ في الحديث المؤمن الذي يقرأ القرآن، وضرب له المثل بأنه في أعلى الدرجات وأعلى المراتب، فقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب)، فضرب له المثل بالأترجة لطيب قلبه وثباته على الإيمان واستراحته بقراءة القرآن، واستراحة الناس بصوته، وثوابهم بالاستماع إليه والتعلم منه، قال ابن حجر: "قيل: خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للجوهر من الريح، فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، وقيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة، لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل: إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم ولها منافع كثيرة، فاشتركت الحواس الأربع في الاحتفاظ بها: الشم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب ص ٢٨ - ٣٣، ١٧٣ - ١٧٤.

والبصر والذوق والمس، وفيها من المنافع ما هو مذكور في كتب الطبيات"[١].

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ في الحديث المثل لأحوال المؤمنين مع القرآن الكريم فمنهم المؤمن الذي يقرأ القرآن، فهو طيب الظاهر والباطن كالأترجة في طيِّب طعمها ورائحتها، وكما أن المؤمن يستريح ويُسرُّ بتلاوة القرآن، فكذلك الناس من حوله يُسرُّون بصوته والاستماع له، فقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب)، أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فإنه يفقد صفة مهمة وهي طيب الظاهر"[٢]، فمثله كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها (ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو).

وبهذا قسم النبي ﷺ المؤمنين في تعاملهم مع القرآن إلى صنفين:

فأولهما: شخص أو فريق ملأ الإيمان قلبه، وفاض على جوارحه، فهو بالله موقن وبرسوله مؤمن، وبكتابه مصدق، وبدينه عامل. جعل لنفسه حظاً من القرآن، يتلوه آناء الليل في تهجده، أو مضجعه، أو جالساً على فراشه أو مكتبه، ويتلوه في ساعات النهار قائماً وقاعداً، راكعاً وساجداً، كلما سنحت له فرصة لقراءته انتهزها حتى لا يغفل قلبه عن ذكر الله، فتخطفه الشياطين وتضله عن سواء السبيل.

وليست قراءته من طرف لسانه وشفته، وحنجرته، بل قلبه الذي يقرأ ولبه الذي يردد. ولذلك أثمرت الخشية والهداية، وأنتجت العمل والاستقامة، فهذا مثله الرسول ﷺ بالأترجة ذات الطعم اللذيذ، والرائحة الطيبة، فإن بَلَوْتَه واختبرته وعاشرته وعاملته، لم تجد إلا امرءاً وفياً براً تقياً، يقدس الحق تقديساً، ويشنأ الباطل مشناً، وإن شممته فرائحة طيبة، ذكية عبقة، تحيي القلوب وتنعش النفوس، وتذكي العقول، وكيف لا تكون كذلك وهي نفحة القرآن ومسكه، الذي انبعث من لسانه الرطب المعطر، وقلبه الحي المطهر.

وثانيهما: شخص أو فريق بالقرآن مؤمن، وبأحكامه عامل، وبإرشاده مهتدٍ،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٨/٦٨٤ - ٦٨٥، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٩٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

وبأخلاقه متخلق، ولكن لم يؤت القرآن تلاوة وحفظاً ،وإن أوتيه تطبيقاً وعملاً ، فهذا كالتمرة حلو الطعم لذيذه، وطيب الخلق جميله، صادق النية حسن الطوية، أما الرائحة فمفقودة، إذا لم يطيب بمسك القرآن، وإن غسل قلبه بماء السلسبيل"[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أحوال المنافقين مع القرآن الكريم:

المنافق بين حالين أحسنهما سيء، لأنه سيء الباطن، ولو حاول التظاهر بصفات أهل الإيمان وشاركهم بقراءة القرآن، فإن هذه القراءة عمل ظاهري يقصد به خداع الناس والتمويه عليهم، فمثله كمثل الريحان، قد يغتر الجاهل بطيب رائحتها، فإذا أكل منها ذاق المر والعلقم، وكذلك المنافق إن عاملته وعاشرته تذوقت مرارته وكشفت حقيقته، قال ابن بطال: "إن قراءة الفاجر والمنافق للقرآن لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده، وشبهه النبي ﷺ بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ولا اتصل بالقلب، (ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر)، وإذا كان هذا حال المنافق الذي يقرأ القرآن، فما الظن بالمنافق الذي لا يقرأ القرآن، قد جمع إلى مرارة الطعم خبث الرائحة"[2]، فقال ﷺ: (ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر).

وبذلك بيّن النبي ﷺ أحوال المنافقين مع القرآن بالبيان والتمثيل بأنهم صنفين:

أولهما: فاجر أو منافق ليس له من الإيمان إلا اسمه ولا من الدّين إلا رسمه، يقرأ القرآن، وقد يجيد حفظه، ويتقن طرقه ويعرف قراءته وتوقيع ألفاظه ونغماته، ولكن لا تجاوز التلاوة حنجرته، ولا تعدو ترقوته، فإن بلوته تكشف لك عن قلب أسود، وفؤاد مظلم، وخلاق مر، وعمل ضر، وهذا مثله الرسول ﷺ بالريحانة، وإن شممت فرائحة ذكية. وإن ذقت فمرارة لذعة، كذلك هذا يقرأ القرآن فتستريح له النفوس كما تستريح للرائح العطرة، ولكن قلبه ونفسه منطويان على السوء، تذوق مرارته؛

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٥٧/١٣ ، عظمة القرآن، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

وتحس قذارته؛ إن عاشرته أو عاملته.

ومثل هذا لا أثر للقرآن في نفسه، لأن فجوره ونفاقه ختم على قلبه، فلا تؤثر فيه نصيحة ولا تنجح معه موعظة.

ثانيهما: منافق أو فاجر لا صلة له بالقرآن، لا علماً ولا عملاً، ولا تلاوة ولا حفظاً، وهذا شبهه الرسول ﷺ بالحنظلة، لا ريح لها وطعمها مر، بشع كذلك، هذا يحمل نفساً خلقت من الفجور، ونبتت في النفاق، إن تذوقها الناس آذت ألسنتهم ودنست نفوسهم؛ ولا يشم منه خير؛ إذ حرم من طيب الطيوب، وعطر العطور" كتاب الله؛ جلاء العيون. وشرح الصدور. وحياة النفوس، وطب القلوب. وشنف الآذان وسراج الألباب[١].

رابعاً- من أهداف الدعوة: حث المؤمنين على قراءة القرآن وتدبر معانيه:

إنّ من أهداف الدعوة الرئيسة حث المؤمنين على ملازمة القرآن والعناية به قراءة وتدبراً وعملاً، فلا يجوز أن ينفصل المؤمن عن القرآن، فيصبح المؤمن في وادٍ والقرآن في واد، فتلك هجرة مذمومة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[٢]، وفي الحديث ضرب النبي ﷺ الأمثال لأحوال الناس مؤمنين ومنافقين مع القرآن، وفي ذلك دعوة إلى كل مؤمن أن يتكامل باطنه مع ظاهره، ومخبره مع مظهره واعتقاده مع سلوكه، ولا يتحقق ذلك إلا بملازمة المؤمن لتلاوة القرآن وتدبره، والعمل به"[٣]، فقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة...)، قال ابن حجر: "وفي الحديث فضيلة لحاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دل عليه"[٤].

فإن العبرة ليست بقراءة القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يُقرأ.

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٠٢.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٣) أنوار القرآن، مصطفى الحمصي ص ٨٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦٨٥/٨.

وقد ندد الله تعالى بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(١).

وإن الذي يقرأ القرآن بلا فهم كالمذياع يرتل قرآناً دون أن يفهم مما رتّل شيئاً، وهو مخالف لهدف القرآن العظيم، فآيات كثيرة تشير إلى أن القرآن يُتلى لعلنا نتفكر، لعلنا نتدبر، لعلنا نعقل، لعلنا نُبصر، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣)، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٤).

أما الذي تسمع أذنه ولا يسمع عقله، أو تنظر عينه ولا يبصر قلبه، أو يلغو لسانه ولا يعي فكره، فهو أصم أبكم أعمى. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾(٥)، وفي الآية إشارة واضحة إلى أن سماع القرآن أو تلاوته ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون، لا يحرك فيهم ساكناً، تماماً كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكناً إذ يبقى المُطفف مطففاً، ويبقى الكاذب كاذباً، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عادة.

ولقد ذمّ الله هؤلاء المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٤٢.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٤.

(٤) سورة يوسف، آية: ٢.

(٥) سورة يونس، آية: ٤٣.

يبصرون، ولأنهم لا يغيرون أهواءهم وأخطاءهم[1].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[2]، قال سفيان بن عيينة: "أنزع عنهم فهم القرآن"[3].

فعلى المسلم أن يحرص على تلاوة القرآن، وفهمه وتدبره والعمل بمقتضاه، حتى ينال رضا الله، وخيري الدنيا والآخرة.

(١) يعلمهم الكتاب - التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعّال ص ٢٠ - ٢١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/٤٨٠.

الحديث رقم (٩٩٧)

٩٩٧- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوب خبري يمتاز بإيجاز القصر حيث المعاني الكثيرة، في الألفاظ القليلة، ومعناه يدور حول فعل القرآن في الناس، لأنه المنهج الحاكم لتصرفاتهم، والميزان الذي تعرض عليه أعمالهم، ومن تعلق به ارتقى، ومن تركه هوى، حامله مقدم في أجل المواقف في الحياة في أهم العبادات، في الصلاة، وفي بقية العبادات، وفي القضاء بين الناس، وغيره، وفي الممات مقدم عند الدفن، وفي المنزلة العالية عند الله بل، ومعه سبعين من أهله كرامة له، والحديث أسلوبه خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وقوله (يرفع بهذا) دلالة الفعل على الرفعة، والعلو تشير إلى مدى ما يصل إليه فضل القرآن ارتقاءً بالمؤمن في درج الشرف، والباء المتصلة باسم الإشارة للسببية، والإشارة للمدح، والتعظيم، و (ال) في الكتاب للعهد أي المعهود وهو القرآن الكريم، وتنكير الأقوام لعدم إرادة التعيين فيشمل الحكم أي فرد يكون ماهراً بكتاب الله عالما بحدوده عاملا بأحكامه، ومقابلة الرفع بالوضع توضح المقصود، وتجلي أبعاد المعنى ببيان تأثير القرآن بين رفع مكانة الناس، أو خفضها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أهل القرآن وخاصته والعاملين به.

---

(١) برقم (٨١٧/٢٦٩).

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب...)، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقان الداعي بدعوته، وحمل المدعوين عليها وعلى الاقتناع بها، فإن التوكيد له أثر بالغ في استقرار الأحكام وثبات العقائد، وقد ورد أسلوب التوكيد كثيراً في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].

ويتأتى ورود التأكيد إذا كان المخاطب متردداً في الحكم طالباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذا الحال يحسن توكيده له، ليتمكن من نفسه، أو أن يكون له منكراً وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أهل القرآن وخاصته والعاملين به:

إنّ العمل بالقرآن الكريم هو ذروة حقوق القرآن وسنامها، وهو الغاية من تنزيله[3]، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4]، فإذا ما أقبل الإنسان على القرآن قراءة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتعليماً رفعه الله إلى أعلى عليين، إلى أرفع الدرجات وأعلى المراتب، وكما أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث فقال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)، وذلك في الدنيا والآخرة، ومثال ذلك في الآخرة ما روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُقَالُ

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) البلاغة الواضحة، علي الجارم، ومصطفى أمين ص ١٨٨.

(٣) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد صالح الدوسري ص ٥٩٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٥.

لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا))[١]، ومثال ذلك في الدنيا تقديمه على غيره في إمامة الصلاة ونحوها، فعن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ولْيَؤُمَّكُمْ أكثرُكُم قرآناً))[٢]، وذلك مقام من مقامات الأفضلية لأهل القرآن.

إن قارئ القرآن العالم بأحكامه، رفيع القدر عظيم المنزلة، يفوق غيره وإن كان أشرف منه نسباً أو أعظم جاهاً، وذلك في كل شيء حتى في القبور قارئ القرآن وحافظه مقدم على غيره، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَجْمَعُ بينَ الرجُلينِ من قَتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثم يقول: ((أَيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآنِ؟ فإذا أُشيرَ لهُ إلى أحدِهما قَدَّمَهُ في اللّحد وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاءِ يومَ القيامةِ))[٣].

قال ابن حجر: "وفيه فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن، ويلحق به أهل الفقه والزهد وسائر وجوه الفضل"[٤].

ومع أن مقام الشهادة فوق كل مقام، ومع أن النبي ﷺ شهد لقتلى أُحد عند الله تعالى بالصدق فيما عاهدوا عليه، وشهد لهم بالجنة، إلا أنه في غمرة هذه الفضائل للشهداء، لم ينس ﷺ الشهيد الأكثر حفظاً للقرآن في تقديمه في اللحد.

فصاحب القرآن، والأكثر أخذاً للقرآن له الأفضلية حتى بين الشهداء، لعظمة القرآن الذي في صدره، وما تقديم الرسول ﷺ له في اللحد إلا رمزٌ لتقدمه على من سواه من الشهداء في الأجر والثواب، وفي المكانة والجنة.

وإذا كان التفاضل بالقرآن بين الشهداء، فالتفاضل به بين الأحياء لا شك أكبر وأعظم: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٥]، فليتأمل المسلم هذا الأمر جيداً، ويقف عنده طويلاً، ومن ثم يقوده للعناية بالحفظ والإكثار منه والصبر عليه.

---

(١) أخرجه ابو داود ١٣٦٤، وقال عنه الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ١٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري ٤٣٢٠

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢١٣/٣.

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن:

في الحديث إيحاء قوي بأن المسلم لا ينبغي له في أي حال كان أن ينصرف عن القرآن، فإن ذلك سبب للضعة والشقاء، فقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّه يَرْفَعُ بِهذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ))، فمن لم يعمل بأحكام القرآن ولم يأتمر بأمره، ولم ينته بنهيه، فمثل هذا يضعه الله في الدنيا والآخرة، ولا بد أن يكون أمره خُسراً، حتى لو فرض أن الدنيا دانت له وتزخرفت، فإن مآله إلى الخسران - والعياذ بالله -[1]، ولقد حذرنا الله من التشبه باليهود في إعراضهم عن العمل بالتوراة، فكان ذلك سبباً في شقائهم، وهو أنهم اكتفوا بقراءة التوراة وسماعها دون أن يتبع ذلك عمل، فشبههم الله تعالى بالحمير، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2]، فهؤلاء حملوا التوراة، أي: "علموها وكلفوا العمل بها، ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار يحمل كتباً يتعب في حملها ولا ينتفع بها"[3]، ولا حظ لهم منها إلا الحمل دون علم ولا فهم[4].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغّب النبي ﷺ في ملازمة القرآن والعمل به بعلو المنزلة، ورهّب من هجره والإعراض عنه بالضعة والهوان، فقال ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)، وأسلوب الترغيب والترهيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً، ففي الترغيب تشويق للمدعوين إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفي الترهيب تحذير من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٢٤١.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٥.

(٣) روح المعاني، الألوسي ٢٨/٢٩.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١١/٢٧/١٢٤١.

قبوله، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبَلِ الداعية المسلم[1].

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٩٨)

٩٩٨- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"والآناء": الساعات.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الآناء: جمع آنٍ: الوقت والحين[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة،

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٢٩، ومسلم ٨١٥/٢٦٧، وتقدم برقم ٥٧٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢١١٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ي ن).

والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٧٢).

الحديث رقم (٩٩٩)

٩٩٩- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو[1]، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أصبَحَ أتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلقُرْآنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

"الشَّطَنُ" بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة: الحَبْلُ.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

شطنين: الشطن: الحبل[3].

فتغشته: غطته وعلته[4].

ينفر منها: يفرُّ ويذهب[5].

السَّكينةُ: الرحمة[6].

الشرح الأدبي

الحديث يروي في أسلوب خبري قصة تحكي أثر القرآن في تنزل السكينة، وقوله (كان رجل) يشير إلى قصة سابقة، وأحداث متحققة، وتنكير كلمة رجل لعدم تحقق غرض بتعريفه، والتعبير بالفعل المضارع يستحضر القصة على هيئتها حال الحدث

(١) عند البخاري زيادة: (وندنو) مرتين، ولفظ مسلم: (تدور وتدنو).

(٢) أخرجه البخاري ٥٠١١، ومسلم واللفظ له ٧٩٥/٢٤٠.

(٣) رياض الصالحين ٣٨٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ش ي).

(٥) المرجع السابق في (ن ف ر).

(٦) المرجع السابق في (س ك ن).

والظرف عند يهيأ مكان الحدث كما حدد زمانه بالفعل الماضي (كان) لأنه لابد لكل حدث من زمان، ومكان يذكر إن تعلقت بذكره فائدة، ويترك إن لم يتعلق بذكره غرض، والتعبير بلفظ (تغشته) يوحي بالإحاطة، وعظم الخطب، وقوله (فجعلت تدنو) وهو الحدث الغريب في القصة لأن المعهود أنها ظواهر تحكمها ظروف طبيعية معينة لا تخرج منها إلا على وجه الكرامة لولي كما في الحديث أو الإعجاز لنبي كما حدث مع الرسول ﷺ قبل بعثته إرهصاً لنبوته، والتعبير بالفعل (جعل) قبل الفعل (يدنو) يشير إلى التدرج في النزول، وقبل الفعل (ينفر) وقابلها بالتدرج في حركة الفرس نفوراً مما يرى ليصور رد فعل الفرس تجاوبا مع المشهد، وقول الرسول ﷺ (تلك السكينة) الإشارة للتعظيم، ولفظ السكينة يوحي بالطمأنينة، والسكون، والراحة التي يبعثها القرآن في القلب، وفي المكان.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الكهف.

ثالثاً: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل عما خفي عليه.

رابعاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتقديم الإجابات الشافية لأسئلتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحكاية:

ورد أسلوب الحكاية في الحديث في حكاية البراء بن عازب رضي الله عنه لحال الرجل الذي كان يقرأ سورة الكهف وما حدث لفرسه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال: "تلك السكينة تنزلت للقرآن"، وأسلوب الحكاية من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على ما جرى وحدث وأخذ العبرة والاتعاظ[1].

(١) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الكهف:

جاء في الحديث بيان فضل قراءة القرآن عامة، ومنه سورة الكهف خاصة، وذلك من تنزل الرحمة والسكينة فقال ﷺ: (تلك السكينة تنزلت للقرآن)، قال النووي: (وفي الحديث فضيلة القراءة، وأنها سبب في نزول الرحمة وحضور الملائكة)[1] وقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التي تبين فضل قراءة سورة الكهف، أو آيات منها، منها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))[2]، وفي رواية: ((مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ))[3]. "وذلك من فضل قراءة سورة الكهف ولما فيها من القصص والعبر التي قصّها الله تعالى على رسوله ﷺ"[4]، "فقد افتتحها الله بالحمد ونوه عن إنزال القرآن، كما حوت السورة إنذار المعاندين، وبشارة المؤمنين، وتسلية الرسول ﷺ وذكرت قصص أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر وذي القرنين، وتخلل ذلك مستطردات من إرشاد النبي ﷺ وتثبيته وغير ذلك الكثير مما حوته السورة الكريمة"[5].

لذا ولغيره جعلت السورة سبباً لتنزل السكينة والرحمة "تلك السكينة تنزلت للقرآن" وهذه السورة ليست ببدع من سور القرآن، فالقرآن كله سبب لتنزل الرحمات، ولا سيما إذا قرئ القرآن واستمع له حق الاستماع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6]، وفي ذلك أمر من الله سبحانه لعباده بالاستماع للقرآن والإنصات له، لينتفعوا به ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح، وليتوصلوا

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٨٠٩، والنسائي ١٠٧٨٦، وابن حبان ٧٨٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٤٣/٢.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤٥/١٥/٦ - ٢٤٦.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

بذلك إلى رحمة الله تعالى، قال الليث: "يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ولعل من الله واجبة"(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الاجتماع للقرآن وتدارسه واستماعه، له فوائد عظيمة وجليلة، منها حصولهم على رحمة الله تعالى فقال ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))(٢).

ثالثاً- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل عما خفي عليه:

إنّ من الآداب التي ينبغي على الإنسان التأدب بها، سؤال أهل العلم والفضل والرجوع إليهم، وقد أمرنا الله بسؤال أهل العلم والاستنهال من علمهم، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، وبيّن النبي ﷺ أن السؤال شفاء للجهل، فقال ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))(٤)، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على طلب العلم والسؤال عما لم يحيطوا به علماً كما هو واضح في الحديث: (فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن)، "فإن سؤال أهل العلم وإجابتهم عليها، لها أبلغ الأثر في نشر المعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس"(٥).

ولقد ضرب لنا السلف الصالح أروع المثل في طلب العلم والسؤال عن المعرفة، ومن تلك الأمثلة البارزة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، الذي وصل إلى درجات العلم العُلَى بكثرة سؤاله وما آتاه الله من فقه وعقل، قال ابن عساكر: قيل لابن عباس: كيف أصبت

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٢/٦/٣، المقدمة ٩/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، والحديث حسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٢/٢.

العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول"[١].

فلقد بلغ ابن عباس رضي الله عنهما أعلى درجات الحرص على طلب العلم، فقد كان يكثر من السؤال لكي يتثبت ويصبح من الراسخين فيه، وكان يفخر بأنه يكثر من سؤال الصحابة رضي الله عنهم فيقول: (كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ)[٢].

رابعاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتقديم الإجابات الشافية لأسئلتهم:

إنّ في إجابة النبي ﷺ في الحديث لسؤال الرجل عما حدث له عند قراءته سورة الكهف: (تلك السكينة تنزلت للقرآن)، بيانًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تبيين للحقائق، وتلك هي مهمة الأنبياء وأتباعهم ممن حملوا الدعوة عنهم من الدعاة[٣]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[٤]، "ولذا ينبغي على الداعية أن يكون عنده من العلم والقدرات البيانية ما يحمل المدعو على الاقتناع بإجابته، من ذلك أن يكون الداعية حكيماً كثير العلم، حاضر الذهن يقظاً، حسن التصرف، واسع الصدر حليماً محترماً لأسئلة السائلين ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادراً على البيان المفهم بأسلوب حسن"[٥].

إن من أعظم ما يقوم به الداعية إلى الله في مجتمعه هو بيان الحقائق للمدعوين وتعليمهم أمور دينهم اقتداءً بسيد المرسلين، ونشر العلم الشرعي بينهم، حتى يكون الناس على بينة وبصيرة من أمور دينهم، ويحذرون من كل ما يخدش كمال الإيمان، فإن العلم الشرعي من أهم الأسباب المؤدية إلى تبصير المدعوين وتوجيههم.

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على نشر العلم الشرعي بين الناس وبيان حقائقه لهم، فإن في ذلك صمام الأمان بمشيئة الله تعالى والحيلولة من الزلل.

---

(١) مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٣٠٢/١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٤٤/٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٠/٢.

الحديث رقم (١٠٠٠)

١٠٠٠- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : ((مَنْ قَرَأ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ[1] حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا، لاَ أقول: (الم) حَرفٌ، وَلكِنْ: ألِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ)) رواه الترمذيُّ[2] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

البداية بالشرط ربط للكلام بأصله ، وتشويق بأوله لآخره وتعميماً للحكم، واطراداً له في الزمان، والمكان واستخدام من كأداة للشرط، وهي لعموم من يعقل ينادي بأهل العقل لاغتنام الفرصة (مَنْ قَرَأ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ)، ومن بيانية ، والكتاب القرآن، وإضافة الكتاب لله تشريف وبيان، وتنكير كلمة (حسنة) للتعظيم أي: حسنة عظيمة ، زاد من تعظيمها بقوله: (الحسنة بعشر أمثالها) وهو خبر أريد به الترغيب، وجمع الأمثال للتوكيد ، وتكرار كلمة (حرف) فيه توكيد للمعنى، وتعظيم للأجر ينادي بكل عاقل أن يغتنمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لثواب قراءة القرآن.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على مداومة القرآن الكريم وتدبر معانيه.

رابعاً: من آداب الداعي: حث المدعوين وترغيبهم في قراءة القرآن.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (به).

(٢) برقم ٢٩١٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٥٥٥/١: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠٩٧.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في قراءة القرآن بمضاعفة الحسنات، فقال ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، "وفي ذلك ترغيب في قراءة القرآن وإغراء بتلاوته وحث عليها وبيان ثوابها العظيم الكثير"(١)، "والترغيب من أكثر الأساليب الدعوية تأثيراً ووقعاً في القلوب، فالنفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله بعد الإقرار بالوحدانية وتصديق الرسول ﷺ لا يعدو أن يكون ترغيباً في الخيرات، وترهيباً من المعاصي والموبقات وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله والرهبة من عقابه"(٢).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لثواب قراءة القرآن:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لثواب قراءة القرآن، ومضاعفة أجره فقال ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها)، أي: مضاعفة بالعشر، وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(٣)، ولما كان الحرف في اللغة يطلق على حرف الهجاء والمعاني والجملة المفيدة والكلمة المختلف في قراءتها وعلى مطلق الكلمة، لذا قال رسول الله ﷺ: (لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)(٤)، فهذا الحديث يصرح بأن في تلاوة كل حرف من كتاب الله عز وجل عشر حسنات، وهذا هو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(٥)، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٠.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٧/٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

عَلِيمٌ﴾[١]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ، فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرُ))[٢]، ألا فما أربح تلك التجارة مع الله، حرف بعشر حسنات!، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣].

فإننا لا نكاد نجد ذكراً ينال صاحبه مثل هذا الأجر به، كما ينال من يتلو القرآن، فمن قرأ سطراً أو وجهاً أو جزءاً، كم سيحصل عليه من الحسنات؟

وإذا علمنا أن الناس يتنازعون يوم القيامة على حسنة واحدة يثقلون بها موازينهم أدركنا عظمة هذا الأجر الذي ينتظر من يتلون كتاب الله حق تلاوته.

وإذا تأملنا حال الطالب الذي يستغرق في دراسة كتاب مقرر عليه عشرات الساعات، وربما العديد من الأيام والأسابيع، ثم يعيده ويلخصه ويراجعه، وقد يحفظ معظمه غيباً أو شبه غيب؛ ليحصل على الدرجة الكاملة يحقق بها جزءاً من النجاح في أمر دنيوي، وقد لا ينجح في مسعاه، أليس من الجهل وعمى البصيرة أن ينصرف المسلم عن تلاوة القرآن العظيم، وفيه من الخيرات والبركات الدنيوية والأخروية ما فيه؟ وهي مضمونة ومكتوبة له عند رب العالمين[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على مداومة القرآن الكريم وتدبر معانيه:

إنّ في مضاعفة الحسنات على قراءة القرآن حثًا للمدعو على الإكثار من قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه، فقال ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها)، ويشير هذا الحديث العظيم إلى أن تلاوة كل حرف من كتاب

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٧.

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٤٣.

الله عز وجل بعشر حسنات، وهذا هو أقل التضاعف الموعود، ولا شك أن زيادة الأجر ومضاعفته تتناسب وحال القارئ من الإخلاص والخشوع والتدبر والتأدب مع كتاب الله تعالى[١]، وهذا بمشيئة الله تعالى، كما قال النووي: (معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد منه بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يُخلف، والزيادة بعدُ بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة، يحصل لبعض الناس دون بعض، على حسب مشيئته سبحانه وتعالى)[٢]، (وإن مضاعفة الحسنات على قراءة القرآن والتي أشير إليها في الحديث، لمن أعظم الحوافز والدوافع إلى المسارعة إلى القرآن تلاوة وتدارساً وتدبراً وعملاً، فهنيئاً لأهل القرآن بهذا الفضل العظيم والمنزلة الرفيعة، وعجباً ممن يزهد يتكاسل أو يعرض عن القرآن الكريم)[٣].

رابعاً- من آداب الداعي: حث المدعوين وترغيبهم في قراءة القرآن:

من الآداب التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية حثه المدعوين وترغيبهم في قراءة القرآن، فبالقرآن تسري الحياة في المجتمع ويعظم شأنه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٤]، فهو روح وحياة للقلوب والملكات، وبه تنمو وتقوى وتسمع وتبصر، لذا ينبغي على الداعية أن يلتمس هذا الروح[٥]، وأن يحث المدعوين إلى الارتباط والتعلق به، لذا نجد النصوص النبوية التي حثّ فيها قدوة الدعاة رسول الله ﷺ على قراءة القرآن كثيرة كما جاء في الحديث: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها)، وقوله: ((الذي يقرأُ القرآنَ وَهُوَ ماهِرٌ بهِ مَعَ السفرةِ الكرامِ البررةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))[٦]، إلى غير ذلك من

(١) المرجع السابق ٤٤٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٥٨.

(٣) أنوار القرآن، مصطفى الحمصي ص ١١١.

(٤) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٥) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٣٠٢.

(٦) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، مسلم ٧٩٨.

الأحاديث التي تجعل المدعوين يتسابقون في قراءة القرآن، ولا يتوانون لحظة واحدة عن قراءة القرآن واستظهاره، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومن ذا الذي يسمع كل هذا الترغيب والتشويق ولا يسارع في قراءة القرآن وحفظه[١].

لقد كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على قراءة القرآن في جميع الأوقات وعلى جميع الأحوال - إلا ما استثناه الشرع - ولقد سنَّ الرسول ﷺ أن يجعل المسلم له ورداً يومياً يقرؤه من القرآن الكريم، ومن فاته ورده في يوم قضاه في آخر، فيقول ﷺ ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[٢].

وفي هذا دعوة منه ﷺ إلى ملازمة الورد اليومي في قراءة القرآن الكريم.

وكل هذا يريد به ﷺ حث أمته على الإكثار من قراءة القرآن الكريم، ليعيش معهم في كل شؤون حياتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[٣].

---

(١) انظر: نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي ﷺ، د. عبدالودود مقبول ضيف ص ٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٧.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعّال ص ٤٢، ٤٣.

الحديث رقم (١٠٠١)

١٠٠١- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ)) رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد تمهيد للخبر، وتنبيه إلى عظمته، وصرف العناية إليه، وتعريف المسند إليه بالموصولية للتنبيه على أن ما اختص به من الصلة حقيق به، وقوله (لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ) أسلوب نفي يؤكد خلاء قلبه من نور القرآن، وتنكير شيء للتعميم فيشمل القليل، والكثير، والتعبير بالجوف يشير إلى أعماق النفس، وصميم القلب، والتشبيه بالبيت الخرب يشير إلى عدم وجود من يعمره، وعدم وجود ما يؤنس فيه، كما يوحي بأنه صار مقراً للشياطين، وأنه بذلك يصبح مصدراً للشر، وهذا التشبيه تنفير من ترك حفظ القرآن، لأنه تجرد من الخير العظيم الذي يعمر القلب، ويطرد الشيطان، ويرضي الرحمن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن وعدم أخذ شيء منه.

رابعاً: من أهداف الدعوة: حث المدعوين على الإقبال على القرآن والتحذير من هجرانه.

---

(١) برقم ٢٩١٣. وقال الحاكم ١/٥٥٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٣٥.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد في الحديث أسلوب الترهيب، حيث رهّب النبي ﷺ من هجر القرآن وعدم أخذ شيء منه بالبيت الخرب، فقال ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب). وفي ذلك الترهيب كل الترهيب من التجافي عن القرآن الكريم والإعراض عنه، وبيان أن منْ هذه حاله أنه خرب القلب ليس فيه شيء من النور والحكمة والزينة والعمران، "فالقرآن إذا كان في الجوف كله أو بعضه عَمَره وزانه، وإذا خلا عنه الجوف لم يكن فيه شيء من الخير والنفع، وصار مهجوراً خرباً، ذلك لأن عمار القلب يكون بما فيه من حكم وعظات وأنوار مطهرات، وليس ذلك إلا في القرآن"[1].

وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية المؤثرة في نفوس المدعوين، فإن أسلوب الترهيب إذا ما خالج شعور المدعو يدفعه إلى حسن الخلق وطهارة النفس، والعزوف والترفع عن الدنايا[2]، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الترهيب في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[3]، ووصف زكريا وأهله بقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[4].

ثانياً- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

ورد ذلك الأسلوب في الحديث، حيث ضرب النبي ﷺ المثل للجافي عن القرآن بالبيت الخرب، فقال ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٠ - ٥٤١.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٧٠/٦، ٢١٩٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٥١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

الخرب)، "إن تشبيه الرسول ﷺ - في الحديث - الذي ليس في جوفه شيء من القرآن بالبيت الخرب، يجعل كل امرئ مسلم أمام خيار صعب، فهو إما أن يحفظ شيئاً من كتاب الله، أو هو بيت خرب خاوٍ خالٍ من كل أحد، مأوى للهوام والدواب والشياطين، إن القرآن يعمِّر جوف الإنسان وقلبه ويصلح نفسه، وهو بمثابة نور يشع في داخله فيضيء جنبات روحه، حتى يمتلئ جوفه حكمة ونوراً وعلماً وإيماناً، أما إذا خلا جوف الإنسان من القرآن الكريم، فسد قلبه وخبثت نفسه فتمردت عليه، وعمّ الظلام داخله وضاقت الروح ذرعاً بالجسد فهزلت روحه وفرغ جوفه، وعمّ الجهل والهم والغم داخله، فخرب وأصبح مأوى للوساوس والهواجس والنزعات الشيطانية"[1].

"وقد استخدم القرآن والسنة ضرب الأمثال أسلوباً لعرض الدعوة على الناس، قال ابن القيم عن ضرب الأمثال: (إنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر تقريباً لمعنى أو بياناً لغاية)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن وعدم أخذ شيء منه:

جاء التحذير من خطورة هجر القرآن في كثير من النصوص، من ذلك ما ورد في الحديث في قوله ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء كالبيت الخرب)، "إذ أن عمارة القلوب إنما هي بالإيمان وقراءة القرآن وزينة الباطن بالاعتقادات الحقة، والتفكر في نعماء الله تعالى"[3]، قال الطيبي: "وفائدة التشبيه بالبيت مثل جوف الإنسان الخالي عما لا بد منه من القرآن وغيره، بالبيت الخالي عما لا بد منه من الأثاث ونحوه"[4]، ومن خطورة هجر القرآن ما يكون من عتاب النبي ﷺ لمن هذا شأنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[5]، ومن هجران القرآن ترك علمه

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم ١٧٣ - ١٧٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١٥٩.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤/٢٤٢.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

وحفظه وترك تدبره وتفهمه وترك العمل به، وامتثال أوامره واجتناب زواجره، والعدول عنه إلى غيره من غناء أو لهو أو طريقة مأخوذة من غيره، فضلاً عن الإيمان به والتصديق بما فيه"[١].

وبيّن ابن القيم أنواع هجر القرآن فقال: "هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[٢]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض"[٣].

وقال القاسمي في تفسيره لقوله تعالى" وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا".

"وقال الرسول" أي إثر ما شاهد من عتوهم وعنادهم "يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" أي: متروكًا، معرضًا عنه.

ثم نبه أن الآية وإن كانت في المشركين، وإعراضهم هو عدم إيمانهم، إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به، والأخذ بآدابه الذي هو حقيقة الهجر لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك؛ إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها، ولا يتدبرها إلا من يقوم بها ويتمسك بأحكامها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٨/٦.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٣) الفوائد ١٢٣-١٢٤.

وفي الإكليل: إن في الآية إشارة إلى التحذير من هجر المصحف وعدم تعاهده بالقراءة فيه، وكذا قال أبو السعود: فيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن، كي لا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم. ثم قال: وفيه من التحذير ما لا يخفى؛ فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم، عجل لهم العذاب ولم ينظروا[1].

فينبغي على المسلم أن يحذر من هجر القرآن وتركه، لما له من خطورة عليه.

رابعاً- من أهداف الدعوة: حث المدعوين على الإقبال على القرآن والتحذير من هجرانه:

"إنّ من أهداف الدعوة الرئيسة حثّ المدعوين على الإقبال على القرآن الكريم والارتشاف من معينه، والتحذير من الإعراض عنه وهجرانه، فإن حفظ القرآن الكريم والإقبال عليه، تأسٍ بالسلف الصالح، فهو أصل الأصول، والمعول عليه في جميع الأمور"[2]، ولذا صور لنا النبي ﷺ قلب الإنسان الذي ليس فيه شيء من القرآن بالبيت الخراب، كما جاء في الحديث: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)، "وقد صرح القرآن بشكوى النبي ﷺ المعرضين عن القرآن لربهم فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[3]، "وهذه شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزواجر والقصص والأمثال"[4]، "فما أحوجنا إلى الإقبال على القرآن والإياب إليه، ففيه السعادة في الدنيا والآخرة، وفيه منهج الحياة المتكامل الذي يغنينا عن غيره"[5].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٨/١٢/٧-٢٥٩.

(٢) الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن، محمد بن مصطفى بن شعيب، ط/ مكتبة آل ياسر، الجيزة: ١٤١٥هـ ص ٤٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٠

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ٣١٧/٦.

(٥) انظر: عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٦١٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[١]، فهداية الناس تتم من خلال كشفه وإنارته لكل الجوانب التي تتعلق بحركة الإنسان الخارجية، وكذلك كل ما يوجد بداخله من جوانب غامضة وأسئلة محيرة، وتصورات خاطئة يكشفها القرآن العظيم ويوجهها الوجهة الصحيحة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢]، ففي هذه الآية الكريمة أوضح دليل على أن القرآن العظيم يُخرج كل أمة - آمنت به، وعملت بمقتضاه، واتخذته إمام وحكماً - من ظلمات الشقاء المادي والروحي إلى نور السعادة الكبرى، حتى تكون أسعد الأمم في حياتها من جميع الوجوه، ولا تكاد تساويها في ذلك أمة أخرى من الأمم المخالفة، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاؤوا بنور القرآن، ولكل أمة استضاءت به بعدهم[٣].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) مباحث في القرآن الكريم، د. محمد تقي الدين الهلالي لة البحوث الإسلامية بالرياض، العدد: ٩ مادى الأولى ١٤٠٤هـ ص ٨٦ - ٨٧.

الحديث رقم (١٠٠٢)

١٠٠٢- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

وارتقِ: اصعد إلى درجات الجنة[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (يقال لصاحب القرآن) يذهب بعقل السامع كل مذهب في معرفة القائل، وإضافة صاحب للقرآن بيان، وتشريف، والتعبير بالصاحب يشير إلى مقتضيات الصحبة من الرعاية، والمحبة، والمتابعة، وهي في جانب صاحب القرآن تشير إلى ذلك فهو الحافظ المتابع له في الأوامر، والنواهي، والمحب له، لذلك جاء الأمر تصويراً، وحكاية لحاله يوم القيامة (اقرأ، وارتق) وهذا أمر إشادة، وتكريم، للقاريء في الآخرة، ويخيل للسامع في الدنيا أن هذه الآيات التي يتلوها محلقة به في درج الجنة كلما ازداد قراءة كلما ازداد رقياً في درج الجنات، وهو نوع من مداعبة النفس الطموحة بما تحب، وتتمنى، وهو نوع فريد من الترغيب يملك على النفس أقطارها فلا تملك معه إلا مزيدا من الرقي بمزيد من التلاوة لا تحب أن تتوقف لأن منزلتها ترتبط بها ارتقاءً في الجنة، والجزاء من جنس العمل يدل على ذلك قوله (ورتل كما كنت ترتل في الدنيا) والتشبيه في العبارة لبيان حال المشبه يوم القيامة في الجنة، والجميل أنه لم يحدد

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٦٤، والترمذي ٢٩١٤ ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٧٦٦. أورده المنذري في ترغيبه ٢١١١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٩/٢.

درجة التالي بل تركها لطموحه بقدر ما يقرأ لفتح باب المنافسة في الخير، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للمنزلة الرفيعة لقارئ القرآن يوم القيامة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وترتيل القرآن وتدبر معانيه.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان كرامة وفضل أهل القرآن العاملين به.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للمنزلة الرفيعة لقارئ القرآن يوم القيامة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لمنزلة القارئ للقرآن الكريم الحافظ له أو بعضه الملازم لتلاوته وتدبره والعمل به والتأدب بآدابه[1] يوم القيامة، فقال ﷺ: (يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، "أي: يقال عند دخول الجنة لصاحب القرآن الذي يلازمه بالتلاوة والعمل، لا من يقرؤه ولا يعمل به، اقرأ وارتق إلى درجات الجنة أو مراتب القرب، ورتل ولا تستعجل في قراءتك في الجنة التي هي لمجرد التلذذ والشهود الأكبر كعبادة الملائكة، كما كنت ترتل في الدنيا، وفي ذلك إشارة إلى أن الجزاء على وفق الأعمال كمية وكيفية، فقوله: (كما كنت ترتل في الدنيا)، أي من تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[2].

فقد أفاد الحديث الترغيب في حفظ القرآن، وتخصيص الصاحب في الحديث بالحافظ عن ظهر قلب، تكريماً له وتشريفاً، فالخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف؛ لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا

---

(١) دليل الفالحين ابن علان ١٢٠٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٧٢.

تفاوتت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم، ومما يؤيد ذلك أيضاً أن حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة، ومجرد القراءة في المصحف من غير حفظ لا يسقط بها الطلب، فليس لها كبير فضل كفضل الحفظ، فتعين أنه -أعني الحفظ عن ظهر قلب- هو المراد في الخبر، وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمل، وقول الملائكة له: اقرأ وارتق صريح في حفظه عن ظهر قلب كما لا يخفى"[1]. وقيل: (المراد بالصاحب العامل بالقرآن المتدبر له، وهو أفضل من الحافظ المرتل بغيرهما، والمراد بالدرجات ما نالها عن عمله، وحيئنذ فلا يقدر في الجنة أن يتلو من الآيات إلا ما هو على مقدار عمله، فلا يستطيع أحد أن يتلو إلا وقد أقام ما يجب عليه فيها، وقيل المراد به الحافظ المرتل العالم العامل فيكون له درجات لقراءته ودرجات بعمله، ويرتقي الحافظ له كله العامل به المتدبر له إلى ما لا نهاية له؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2])[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وترتيل القرآن وتدبر معانيه:

ذكر الحديث فضل قراءة وترتيل القرآن وتدبر معانيه، إذ أن ذلك هو المعتبر في رفع الدرجات وعلو المنازل، وذلك في قوله: (ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، أي: كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. فإن مجرد القراءة لا تكفي بل لا بد من إتقان قراءة القرآن وتدبر لمعانيها، فإن ذلك هو المعتبر الذي تترتب عليه المراتب العُلى في الجنة العالية[4]، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5]، وقد ندد الله تعالى بصورة

---

(١) هذا قول ابن حجر الهيتمي منقولاً عن عظمة القرآن الكريم، د. محمد بن أحمد بن صالح الدوسري، ص ٤٧٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٠.

(٤) المرجع السابق ص ٦٧٢.

(٥) سورة ص، آية: ٢٩.

الاستفهام، بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهّم القرآن، من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات[١]، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢].

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهياً عن الإعراض عنه: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي: بل على قلوب أقفالها فهي مُطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه" [٣].

وقال السعدي: "فهلا يتدبرون هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته، ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب وبأي شيء يحذر، ولعرّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل ورهبهم من العقاب الوبيل"[٤].

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان كرامة وفضل أهل القرآن العاملين به

حين يدخل المؤمنون الجنة، فإن حافظ القرآن، له من الشأن والمكانة ورفعة المنزلة ما ليس لغيره، تعلو درجته وترتفع منزلته، لذا كان من واجبات الداعية التي ينبغي أن يراعيها في حث المدعوين على الاهتمام بالقرآن والتوجه إليه ببيان فضل أهل القرآن، وقد قال ﷺ في الحديث: (يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، فإن في بيان كرامة أهل القرآن وفضل العاملين به، من أعظم الحوافز في تحفيز همم المدعوين، ودافعاً لهم إلى الإقبال على

---

(١) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال ص ٤١.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/ ٣٢٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٣٣.

القرآن وتعاهده، فإن التحفيز بالجنة ونعيمها وبيان كرامة المؤمنين العاملين بالقرآن التالين له، باب واسع كبير، يجد فيه الداعية مجالاً ثرياً وميدانا غزيراً، ليحث المدعوين على العمل والتأسي بأفضل الفضل، ويعزز سلوكهم فيما اتجهوا إليه من خير وبر ويردعهم عن سلوكيات الإثم والشر[1].

وقد وردت في السنة النبوية كثير من أوجه الكرامة وعلو الدرجة في الجنة لحافظ القرآن، منها أنه يُلبس تاج الكرامة وحُلة الكرامة ويفوز بالرضى، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: ((يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسَ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسَ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَرْضَ عَنْهُ، فيرضى عنه فَيُقَالُ له اقْرَأْ وارق وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً))[2].

وفي هذا الحديث عدة كرامات لحافظ القرآن وهي: الإنعام عليه بتاج الكرامة وحلة الكرامة، فهو يعرف بها يوم القيامة بين الخلائق، وهي علامة على كرامة لابسها ومكانته عند الله عز وجل،وهذا التاج وهذه الحلة وسام شرف ورفعة يتميز بها أصحاب القرآن عن غيرهم من المؤمنين،وجدير بمن لبس هذا التاج وهذه الحلة أن يكون رفيع الدرجة عالي المقام.

وإذا كان العبد في الدنيا يزهو ويفتخر ويمتلئ إعجاباً وخيلاء بما خلع عليه سلطان أو ملك خُلعة ما، فما بالك بصاحب القرآن يوم القيامة إذا أنعم عليه مولاه، خالق الخلق جميعاً، وملك الناس وإلههم بهذه النعمة العظيمة والمنزلة الرفيعة، وألبسه تاج الكرامة، وحلة الكرامة على أعين الخلائق.

ما بالك بالسعادة والغبطة والفرح الذي يملأ قلبه.

وأعظم من ذلك كله: رضا الله عنه، ثم يُزاد على كل ذلك بكل آية حسنة، فضلاً عن رفعه درجات في الجنة بعدد الآيات التي يحفظها من القرآن.

فهل يعي المسلمون فضائل حفظ القرآن، ويقبلوا عليه بشوق، ورغبة ونهم، ويربوا

---

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٦١ - ١٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٠٩٣، وحسنة الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٨).

على ذلك أبناءهم؟

ويا للأسف إن أكثرهم يتسابقون على دنياهم أضعاف تسابقهم إلى آخرتهم. وقد حذرنا الله تعالى الدنيا ومتاعها فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1].

فمن أظلم ممن زهد في كتاب ربه، فأعرض عنه حفظاً وفقهاً وتلاوة ودراسة وعملاً[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ضمنياً حيث ذكر النبي ﷺ حال القارئ للقرآن يوم القيامة، بما يحمل ذلك في طياته من ترغيب في ملازمة القرآن والمحافظة عليه، فقال ﷺ: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، وفي ذلك ترغيب من النبي ﷺ في حفظ القرآن وتعهده بما أعده الله لقارئ القرآن من علو وارتقاء في جنات عرضها الأرض والسماوات.

قال الطيبي: (إن الترقي يكون دائماً، فكما أن قراءته في حال الاختتام استدعت الافتتاح الذي لا انقطاع له، كذلك هذه القراءة والترقي في المنازل التي لا تتناهي، وهذه القراءة لهم كالتسبيح للملائكة، لا تشغلهم من مستلذاتهم بل هي أعظم مستلذاتهم)[3]. وقال ابن علان: (قوله "فإن" تعليل يفيد الترغيب في حفظ جميع القرآن)[4].

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، وهو أحد ركني الدعوة بالموعظة الحسنة، والتي لها التأثير الإيجابي النافع في توجيه الإرادة لاختيار السلوك الحسن[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) انظر: فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة، محمد موسى نصر ص ٤٣.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/١٤٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٠٠.

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٦٣٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: الترغيب والترهيب:

رغّب النبي ﷺ في قراءة القرآن بذكر فضل ذلك، فإن القرآن "يأتي يوم القيامة شفيعاً"، كما أن الماهر في قراءة القرآن، "مع السفرة الكرام البررة" أما الذي تكون تلاوة القرآن عليه شاقة فـ"له أجران" وغير ذلك مما ذكر في أحاديث الباب التي ترغب في قراءة القرآن والعمل به.

ومن ناحية أخرى فإن نعت النبي ﷺ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب، إن نعته بذلك -كما روي عنه- يلزم عنه الترهيب في عدم حفظ شيء من القرآن.

والترغيب والترهيب أسلوب تربوي هام، فإنه "بني على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم وحسن البقاء والرفاهية، والرهبة من الألم والشقاء وسوء العقاب.

وعلى ذلك، فالترغيب: هو تحبيب المرء في الحصول على شيء يتمنى الحصول عليه.

والترهيب: هو تخويف المرء من حصول شيء له لا يحب أن يحصل عليه أو يحدث له.

ونعبر عن هذا الأسلوب في مجال الفلسفة بمبدأ اللذة والألم، حيث اللذة أو السعادة هما الخير الذي يسعى إليه الإنسان، وبالتالي يعتبر الألم هو الشيء الذي يفرّ منه كل إنسان.

وفي علم النفس يعبر عنه بمبدأ الثواب والعقاب، وفيه أثبتت التجارب العملية أن الإنسان يتعلم جيداً إذا أُثيب على تعلمه، أو عوقب على فشله، وإن كان الثواب أفضل من العقاب. وقد أثبتت التجارب على الحيوان صحة هذا القانون..... وأحياناً يعبر عنه بأسلوب التغذية الراجعة، أي أن المتعلم يتلقى نتيجة تعلمه، ويستفيد من هذه النتيجة في تعلمه، أو يعبر عنه بالتعزيز، أي أن المتعلم إذا تلقى نتيجة طيبة لتعلمه، فإن الاستجابة التي أدت إلى هذا التعزيز تقوي وتدعم وتثبت.

كما يقوم التعليم المبرمج على فكرة هذا الأسلوب أيضاً، إذ يستجيب المتعلم لمثير معين ثم يتلّقى على الفور نتيجة استجابته صحيحة أم خاطئة، فإذا كانت صحيحة كوفئ بالسماح له بالانتقال لجزء آخر جديد ليتعلمه، أي للنقطة التالية، وإن كانت الاستجابة خاطئة عوقب بعدم السماح له بالانتقال، وأن عليه أن يرجع إلى إجابته ويصححها بنفسه"[1].

ثانياً- تربية الناشئة على الارتباط بالقرآن الكريم، والعمل بما فيه:

إن ترغيب النبي ﷺ في قراءة القرآن، يوجب على المربين أن يربوا الناشئة على الارتباط بالقرآن الكريم في حياتهم وشؤونهم وأحوالهم، فيحفظونه أو يقرءونه ويتلونه، ويعملون بما فيه حسب طاقة كل منهم وقدرته، وذلك لأن القرآن الكريم ما نزل إلا لتعبيد العباد لرب العباد، وفي ذلك إصلاح لدنيا الناس، فإن القرآن الكريم جاء "بمنهاج حياتي تربوي ليس للإنسان غنى عنه"[2].

ومن كرم الله أن يسر أمر الارتباط بالقرآن الكريم في حياة المسلم، فقد يسّر الله تعالى حفظه، فإن لم يحفظ المسلم القرآن، حفظ بعضه وقرأ البعض الآخر، فإن لم يحفظ، فإن قراءته سهلة ميسرة، وإلا كان بإمكانه الاستماع إليه، وقد تعددت الوسائل التي تسهل أمر الاستماع من مذياع وتلفاز وحاسب، وأقراص مدمجة، وغير ذلك.

أما تربية الناشئة على العمل بالقرآن فإنه من الأهداف السامية للتربية الإسلامية، ففي الحديث: " يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما" فإن القرآن ما نزل إلا ليعمل به، ويطبق في دنيا الناس ليصلح الدنيا بالدين، ولعل أروع مثال على ذلك، هو جيل الصحابة رضوان الله عليهم الذين عملوا بالقرآن فأصلحوا دنياهم وسادوا العالم بعد أن كانوا في الجاهلية متفرقين متناحرين متقاتلين بأسهم بينهم، تترفع عن مقاتلتهم الأمم المجاورة

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) المرجع السابق ٢٦.

نظراً لهوان شأنهم.

فعلى المربين أن يبذلوا الجهد ويفعلوا ما في الطاقة حتى يربوا الناشئة على العمل بالقرآن وتصبح أخلاقهم أخلاق القرآن، كما كان خلق خير البشرية محمد ﷺ.

ثالثاً- تربية الناشئة على أنه ما لا يدرك كله لا يترك كله:

ففي الحديث الشريف: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران، ففي هذا الحديث يمكن الاستدلال به على أنه يجب تربية الناشئة على أنه ما لا يدرك كله لا يترك كله، فإذا كان في المسلمين من يجيد تلاوة القرآن فإن فيهم أيضاً من لا يجيد تلاوته، ولا يحسنها، فتكون عليه شاقة غير سهلة، وإذا كان الأول يفرح ويسعد نظراً لإجادته التلاوة، فإن الآخر لا ينبغي له أن يحزن لعدم إجادته التلاوة، بل إن عليه أن يتلو القرآن ويثابر على ذلك ويستمر، فإنه بذلك يكون له أجران، فضلاً على أنه قد يتحسن في التلاوة بمرور الأيام، وقد يلحق بالماهرين في القراءة والتلاوة فيكون مع الملائكة السفرة الكرام.

وعلى ذلك يجب تربية الناشئة، فيربون على بذل الوسع والطاقة في تحصيل الفضائل والمكارم والأعمال الجليلة، فما أدركوا عملوه، وما لم يدركوا لم يتركوه كلّه، بل حصلوا بعضه أو شيئاً منه.

وإن جيلاً يربى على هذا الفهم ينتظر منه أن يفعل الكثير والكثير ويحقق العديد والعديد من المنجزات والنجاحات الباهرات.

رابعاً- من أساليب التربية: ضرب الأمثال والأشباه:

في الحديث الشريف: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ. لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ...». وفي الحديث كذلك: «إِنَّ الَّذِي ليس فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ».

فقد وضح النبي ﷺ المعاني السابقة باستخدام أسلوب التشبيه الذي يعتمد على

تقريب المعنى غير الحسي باستخدام الحسيات الواضحات، ولهذا الأسلوب أهمية واضحة فهو يصلح لمختلف الفئات المثقفة أو غير المثقفة أو ممن يجهلون القراءة والكتابة، ويعد من أفضل الأساليب لمثل هذه الفئات حيث يتدرج بهم؛ ليصل بهم إلى مرحلة الإدراك الحسي لأشياء غير منظورة في أصلها، فيبرز معناها وتتضح الفكرة في الأذهان بهذا التشبيه، الذي يؤكد استخدام الخبرة البديلة عن الخبرة الأصلية المباشرة، فتكسب المعنى روعة وجمالاً وتجعله أكثر إمتاعاً للعقل والأذن ويجري مجرى الحكمة أو النصح أو الوعظ [1].

خامساً- تربية الناشئة على التنافس على ما يبقى أثره في الآخرة:

في الحديث: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ الْقُرآنَ. فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ. وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ مَالاً. فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». والحسد هنا هو الغبطة.

فإذا كانت النفوس تهوى المال والمنصب والجاه والحسب والسلطان، فإن هذا يزول ولا يدوم، فضلاً عن أن هذه الأشياء يشترك فيها المسلم وغير المسلم، أمّا المسلم فإنه يربى على تحصيل ما يرضي الربّ عز وجل، من ذلك تلاوة القرآن الكريم، والقيام به، والإنفاق في وجوه الخير والاستمرار على ذلك.

فإن حصّل ذلك فهذا خير، وإلا تمنى أن يكون ممن يفعل ذلك.

وإنّ وَضْعَ الأهداف التي تستحق التنافس أمام أعين الناشئة يوفر عليهم كثيراً من الوقت والجهد، يبذلونه في معرفة ما يستحق ومالا يستحق من الأهداف والغايات، كما أن سجلهم الحياتي يمتلئ بالأعمال الطيبة والمنجزات المرضية.



---

[1] التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٣٣، ١٣٤.

١٨١- باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير عن تعريضه للنسيان

الحديث رقم (١٠٠٣)

١٠٠٣- عن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((تعاهدوا هَذَا القُرآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ اشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

تعاهدوا: أي حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته[2].

تفلتًا: التفلت: التخلص من الشيء فجأة من غير تَمكّث[3].

عُقُلها: جمع عقال: الحبل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب إنشائي، وهو الأمر (تعاهدوا هَذَا القُرآنَ) وهو أمر توجيه، وإرشاد، والتعبير بالتعاهد فيه تذكير بأن هناك عهداً، وميثاقاً لا يجب أن يترك بين طرفين هما المسلم الحافظ للقرآن، وبين القرآن يقضي بعدم ترك أحدهما للآخر بحيث لا يترك الطرف الأول، وهو القاريء الطرف الثاني القرآن في الدنيا، وألا يترك الطرف الثاني، وهو القرآن الطرف الأول في الآخرة، وقد دل كثير من الأحاديث على أن القرآن ينفع صاحبه في كل مواقف الآخرة، وقسم الرسول ﷺ (فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١/٢٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٢). تنبيه: الحديث عزاه المنذري إلى مسلم فقط، واستدرك عليه النووي.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ل ت).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٧٠١/٨.

بِيَدِهِ لَهُوَ أشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا) يشير إلى أن الأجر العظيم يستحق مزيد عناء، ومتابعة، وعناية؛ لأنه أشد تفلتا من الإبل في عقلها، وقوله: (لَهُوَ أشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا) كناية عن سرعة نسيانه، وكثرة المؤكدات في العبارة النبوية بداية بالقسم بهذه الصيغة الخاصة التي لها مزيد ترهيب في النفس، واللام المتصلة بالضمير (لهو) مع اسمية الجملة، واستخدامه لأفعل التفضيل التي تدل على ارتقائه على غيره في سرعة التفلت الأمر الذي يوجب مزيد العناية به، وتخصيص وقت يومي للمراجعة يكون بؤرة النور في عمل العبد يوم القيامة لكل يوم سيحاسب عنه.

فقه الحديث

الحض على المحافظة على القرآن:

قال ابن حجر: (في الحديثين الحض على المحافظة على القرآن[1] بدوام دراسته وتكرار تلاوته)[2].

وأفرد النووي فصلاً في كتاب تلاوة القرآن من كتاب الأذكار: أفرد فصلاً بعنوان: في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نيسانه، ساق تحته حديثي الباب وغيرهما[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ لأمته بتعاهد القرآن وعدم هجره

---

(١) في المطبوع: الحض على محافظة القرآن، وما كتبناه أوضح. والله أعلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٩/٣٨ .

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣١ - ١٣٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٠٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٠٤).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من نسيان القرآن وعدم تعاهده

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: (تعاهدوا القرآن)، حيث أمر النبي ﷺ بملازمة قراءة القرآن، وتجديد العهد بتلاوته والمداومة على ذلك، تأكيدًا على حفظه وخشية من نسيان القرآن وتفلته، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان أوجه الخير للمدعوين وتوجيههم إليها وحملهم على الإتيان بها، وأسلوب الأمر من الأساليب الأكثر ورودًا في القرآن والسنة وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: (فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها)، حيث أكد النبي ﷺ شدة تفلت القرآن ممن لم يداوم على قراءته وتعهده بالقسم، إذ أن المراد من القسم توكيد المقسم عليه وتحقيقه[٢]، وقد استخدم القرآن الكريم القسم في كثير من تأكيد الأحكام وتقرير القضايا ودليلاً من دلائل الإثبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٣]، فأقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجلّ مقسم عليه، وأكد الإخبار بهذا القسم ثم أكد تشبيهه بالأمر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة، فقال: (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)، فشبه سبحانه تحقيق ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده، والواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة، ولا يحتاج نطقه إلى استدلال على وجوده، ولا يخالجه شك في أنه ناطق، فكذلك ما

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ١٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

أخبر الله عنه من أمر التوحيد، والنبوة، والمعاد، وأسمائه وصفاته حق ثابت في نفس الأمر، يشبه بثبوت نطقكم ووجوده، وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم، يقول أحدهم: هذا حق مثل الشمس، وأفصح الشاعر عن هذا بقوله:

وليْسَ يَصِحُّ في الأذْهانِ شَيْءٌ ... إذا احْتاجَ النَّهارُ إلَى دَليلِ[1]

وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية إفادة وملائمة للنفس البشرية، لما فيه من تأكيد لخبر أو تعظيم لشيء أو جمع للانتباه حول غاية وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه منذ القدم في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، قال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء[2]

ثالثًا - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

استخدم النبي ﷺ في الحديثين ضرب المثل حيث شبّه سرعة نسيان القرآن ممن لا يتعاهده بالإبل في شدة تفلتها من عقالها، فقال ﷺ: (تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها)، وقال: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعقّلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت)، قال ابن حجر: (شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة)[3].

وأسلوب ضرب الأمثال من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا لأنها تثير الانفعال وتخاطب الوجدان وتنقل المعقول والمحسوس وتغري على الخير وتبعد عن الشر[4]. "كما أن

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ٣٥٩.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها وسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٢٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٨/٨.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٧٠.

الأمثال تقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية بما قد ألفوه وعرفوه حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجليّ والغائب بالشاهد"(١)، وضرب المثل من أعلى درجات البلاغة، قال إبراهيم النظَّام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة"(٢).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حثُّ النبي ﷺ لأمته بتعاهد القرآن وعدم هجره:

حثّ النبي ﷺ أمته على تعاهد القرآن فقال: (تعاهدوا هذا القرآن)، وقال: (إنما مثل صاحب القرآن)، أي: مع القرآن والمراد بالصاحب الذي ألفه، فإن الذي يداوم على قراءة القرآن يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه كمثل صاحب (الإبل المعقلة)، أي: المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير(٣).

وقال الطيبي: (قوله تعالى: "تعاهدوا القرآن"، تعاهد الشيء وتعهده محافظته وتجديد العهد به، أي: واظبوا على تلاوته، وداوموا على تكراره ودرسه كيلا يُنسى... وقد شبه القرآن وكونه محفوظًا على ظهر القلب بالإبل الآبدة النافرة، وقد عقل عليها، وشد بذراعيها الحبلُ المتين، وذلك أن القرآن ليس من كلام البشر بل هو كلام خالق القوى والقدر، وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة، لأنه حادث وهو قديم، والله سبحانه بلطفه العميم، وكرمه القديم منّ عليهم ومنحهم هذه النعمة العظيمة فينبغي له أن يُتعاهد بالحفظ والمواظبة عليه ما أمكنه)(٤).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/ ١٣١.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم ص ٣٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/ ٦٩٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٤/ ٢٧١.

قال ابن كثير : "ومضمون ذلك الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه"[(١)].

وإنّ من الأمور الواجبة على الداعية أن يحذر مدعويه من هجر القرآن وترك تعاهده اقتداء برسول الله ﷺ، وكما جاء في الحديثين من الحث بتعاهد القرآن فقال ﷺ: (تعاهدوا القرآن)، وقوله ﷺ: "إنما صاحب القرآن كصاحب الإبل... إلخ الحديث" وروى البخاري عن أبي وائل عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: ((بِئسَ ما لأحَدِهم أن يقول: نسيت آية كَيْتَ وكيْتَ بل نُسيَ، واستَذكِرُوا القرآنَ فإنهُ أشدُّ تفصِّيًا من صُدور الرِّجال منَ النَّعَم))[(٢)].

قال ابن حجر: (وإن سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان: نسيت الآية الفلانية فكأنما شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم تركَ الاستذكار والتعاهد؛ لأنه الذي يورث النسيان.

وقوله: "واستذكروا القرآن" أي: واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به... وفي هذه الأحاديث الحض على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته)[(٣)].

خامسًا – من موضوعات الدعوة: التحذير من نسيان القرآن وعدم تعاهده:

إن الإنسان إن لم يداوم على تلاوة القرآن واستذكاره والتأكد من حفظه نسيه وتفلت منه، فالقرآن وديعة استودعها الله العبد إن لم يحافظ عليها طولب بها ومن أين يأتي بها؟[(٤)] لذا ورد في الحديثين الأمر بتعاهد القرآن والتحذير من نسيانه، فإن صاحب القرآن إذا لم يقم بتذكره وتلاوته نسيه وهذا أمر خطير.

---

(١) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩٩/٨ -٧٠١.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤١.

قال ابن كثير: "فإن نسيان القرآن من أعظم المصائب، وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾(١). "وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد - نعوذ بالله منه -"(٢).

ومن الآيات المنفرة من هجر القرآن وعدم تعاهده قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾(٣)، قال القاسمي : والآية وإن كانت في المشركين وإعراضهم هو عدم إيمانهم، إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به والأخذ بآدابه، الذي هو حقيقة الهجر لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها ولا يتدبرها إلا من يقوم بها ويتمسك بأحكامها"(٤)، وقال ابن عاشور: "واسم الإشارة في (هذا القرآن) لتعظيمه وأن مثله لا يتخذ مهجورًا بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به، والمهجور: المتروك والمفارق، والمراد هنا ترك الاعتناء به وسماعه"(٥).

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٩/١٢/٧.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٧/١٩/٨.

الحديث رقم (١٠٠٤)

١٠٠٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرآنِ كَمَثَلِ الإبِلِ المُعَقَّلَةِ: إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا امْسَكَهَا، وَإنْ اطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المُعَقَّلة: المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير[٢].

عاهد عليها: استمر إمساكه لها[٣].

الشرح الأدبي

البداية بإنما حصر لمعنى في معنى أي: حصر حال صاحب القرآن في حال صاحب الإبل دون غيره، كما أن استخدام طريق إنما دون غيره من طرق القصر يشير إلى أن المعنى الوارد في ركاب إنما مما هو معلوم، ولا ينبغي أن يجهل فضلا عن أن ينكر ففيه تعريض بالمخاطبين لعدم علمهم، أو لعدم عملهم بموجب هذا العلم، وتعهدهم للقرآن كما يتعهد أحدهم إبله فلا يترك منها شاردة، وتشبيه صاحب القرآن بصاحب الإبل في حالتي إمساكها، وإفلاتها يشير إلى ضرورة الحرص عليها، ومداومة إحصائها، وحصرها حتى يتسنى رد شاردها قبل أن يبتعد، كما يشير من طرف خفي إلى علو قيمتها، وإمكان سرقتها؛ لأن الأبل أفضل أموال العرب، وأبقاها عندهم، وأنسبها لبيئتهم، وفي جانب المشبه (صاحب القرآن) يشير إلى عظمة الأجر التي أشارت إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩/٢٢٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٧/٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٨/٨.

الأحاديث السابقة في الباب، وهو ما يجعل لص الحسنات (الشيطان) في قمة الحرص على حرمانه منها ليفوِّت عليه الأجر العظيم.

المضامين الدعوية [١]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تنبيه الناشئة إلى تعاهد العلم النافع والاستمرار على ذلك:

إن على المربي أن ينبه الناشئة إلى أن يتعاهدوا العلم النافع والمداومة على هذا التعاهد، والمحافظة على ذلك، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ في قوله لأصحابه: «تَعَاهَدُوا هذَا الْقُرْآنَ. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

"فمن القضايا الهامة التي يجب بحثها في هذا المجال، قضية حفظ القرآن، فمن المعروف في العلم التربوي أن الحفظ والاستظهار آفة ينبغي أن تحارب، وعادة ينبغي أن تستأصل، لكن هل هذا صحيح بصفة مطلقة؟ كلاّ، فهو صحيح في أحوال ولكنه غير صحيح في أحوال أخرى، ومن الأحوال التي يصحّ فيها: القوانين والنظريات والقواعد العلمية، فهذه لابد من حفظها، وحتى يكون الحفظ مجديًا يشترط أن يصحبه الفهم، كذلك بالنسبة للشِعْر، يستحسن فيه أيضًا الحفظ. أما بالنسبة للقرآن، فالأمر هنا أهم وأخطر، والسّر في ذلك أن الله كلّف الأمة الإسلامية بحفظ القرآن، ولم يكلف الأمم السابقة بحفظ كتبها وصحفها، إن هذه الكتب لم تكن معجزة بألفاظها، ولم يشأ الله ذلك لحكمة يعلمها، بخلاف القرآن الكريم، فقد شاء الله أن يكون معجزًا بلفظه فضلاً عن معانيه، فكان من الضروري المحافظة على النص بالطريق المفيد للقطع واليقين، وليس ذلك إلا بأن يحفظه العدد الكثير، في كل جيل وعصر، الذين لا يجوز عليهم الكذب، ولا الغلط ولا السهو، وهو ما أسميناه بالتواتر"[1].

ولذا جاء الحديثان الشريفان يحثّان على تعاهد القرآن الكريم، وذلك لأنه أجلّ العلوم وأشرفها، وأثمن المعارف وأقيمها، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة كما ينبغي أن يربوا على تعاهد كل علم نافع.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٥٣، ٥٤، ومرجعه.

فالعلم الإسلامي: "غذاء العقول، وهو ليس علم الدين وحده فحسب، إنما هو علم الدين والدنيا على السواء، وهو واسطة لمعرفة الخالق، كما أنه واسطة لمعرفة الأشياء والقوى الطبيعية واستخدامها في مصلحة الإنسان، كما أن العلم والحكمة في الإسلام لا يقصد بهما علم الدين وحده رغم شرفه، ووجوبه على كل مسلم ومسلمة، وإنما هو يتعداه إلى علم الدنيا أيضًا، لأن المسلم بهذا العلم يستطيع أن يقوم برسالته الحضارية، والإسلام لا يقيد العلم إلا بأن يكون في اتجاه رباني.

وقد اتسم العلم منذ اللحظات الأولى في الإسلام بالخير واستهدف الخير، ولم يستهدف في يوم من الأيام التنكيل بالإنسانية أو الاستعلاء أو التسابق من أجل إيجاد وسائل التدمير والتخريب.

لذا كان العلم الإسلامي ضرورة وليس ترفًا، فالعلم الإسلامي ضرورة لنفع الإنسان والمجتمع الإنساني، ودور المربي المسلم هنا هو مساعدة الإنسان إلى الاهتداء إلى العلم الصحيح تحقيقًا للخير وسعادة الإنسان"[1].

ثانيًا: من أساليب التربية: التربية بالأمثال والأشباه:

في الحديثين ضرب النبي ﷺ المثل على سرعة نسيان القرآن إذا لم يتعاهده حافظه، ضرب المثل بالإبل المشهورة بشدة تفلتها وتخلصها من عقالها وما رُبطت به، فإن تعاهد صاحب الإبل إبله وأحكم عقالها أمسكها وحافظ عليها، وإن أهمل ربطها وغفل عن تعاهدها ذهبت وانطلقت وضاعت منه. والملاحظ على ضرب المثل والتشبيه بالإبل ما يلي:

أ- الإبل أجسامها قوية وخلقتها عظيمة فتحتاج إلى مزيد عناية وتعاهد عن غيرها من الحيوانات الأخرى، كالغنم والماعز ونحو ذلك، وهذا يدفع المتربي أن يزيد عنايته وتعاهده بما أمر به النبي ﷺ وهو القرآن الكريم.

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٠١-٢٠٤، ومراجعه ومصادره.

ب- الإبل يعايشها العربي في بيئته صباح مساء ليل نهار فهو أعرف بها وبخصالها وصفاتها، فضرب المثل بها يجعل الأمر واضحًا جدًا ليس فيه أدنى لبس ولا غموض، وهذا يسهل على المتربي فهم الرسالة التربوية فهمًا ممتازًا، ومن ثم يقع العمل كما يريد المربي.

لذا فإن على المربين إن ضربوا الأمثال واستخدموا التشبيه، عليهم أن يجعلوها أوضح ما يكون لمن يخاطبونهم؛ حتى تؤتى بثمارها المرجوة.

وذلك لأن للأمثال أهدافًا تربوية، منها:

أ-الأمثال تبرز الصورة المعقولة المجردة في صورة محسوسة واضحة يتقبلها العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة للفهم، فالمخاطب يكون جاهلاً بحقيقة الشيء أو يكون الشيء غامضًا بالنسبة لعقل الفرد فيأتي المثل ليزيل هذه الجهالة، وهذا الغموض.

ب- إنها وسيلة للإقناع الذي قد لا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان، حيث إن المثل يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صور مشابهة ولو لم يشتمل على أية حجة.

ج- ترغيب الإنسان في شيء يجب اتباعه والتمسك به وترهيبه من شيء يجب على الإنسان تجنبه.

وبهذا تتضح أهمية الأمثال، أسلوبًا من أساليب التربية الإسلامية، فهي تعرض في أسلوب دقيق جذّاب يؤثر في النفوس فينفذ إلى أعماق الإنسان لتحرك عواطفه، لتتجه نحو عمل الخير، وتحقق في النهاية أهداف هذه التربية[(١)].

ثالثًا: من أدب المربي: إظهار الخضوع والخشوع لله رب العالمين.

لما أراد النبي ﷺ أن يُقْسِم قال: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

---

(١) انظر: التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد عطية ص ١٣٥، ١٣٦، ومراجعه ومصادره. وانظر: كذلك فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢، ٣٤٤.

فأكد أمر شدة تفلت القرآن، وفي الوقت نفسه أظهر خضوعه لله رب العالمين، بأن أخبر أنه نفسه بيده سبحانه، يفعل بها ما يشاء، فالله عز وجل فعّال لما يريد، وجملة: "فوالذي نفسي محمد بيده..." تفيد عدة معانٍ من الناحية التربوية منها:

١-إظهار المربي خضوعه لله رب العالمين: وفي هذا تربية لمن يقوم بتربيته، أن ينشأ على هذا الخضوع الذي يحقق العبودية لله رب العالمين.

٢-تنشئته على التسليم بقضاء الله وقدره، وعلى الرضا بذلك، فالعبد نفسه بيد الله تعالى، يفعل بها ما يشاء سبحانه، وعلى ذلك فإن وقع الخير شكر العبد، وقام بواجب الشكر، وإن وقع الشر صبر ورضي ولم يسخط ولم يحزن.

٣-تنشئته على استمداد العون من الله دائمًا، فهو سبحانه كل شيء بيده، يقول للشيء "كن فيكون"، وهو الرءوف الرحيم، يرحم عباده ويعفو عنهم ويسترهم. فعندما يقسم المربِّي بالله الذي نفس المربِّي بيده، فكأنه يستمد منه سبحانه عونه وعفوه ورحمته، وفي ذلك تربية لمن يقوم بتربيته، أن يفعل ذلك ويستمر عليه.



١٨٢- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن
وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

الحديث رقم (١٠٠٥)

١٠٠٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أذن الله: أي استمع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول[٢].

يتغنى بالقرآن: يحسن صوته بالقرآن[٣].

الشرح الأدبي

قول الرسول صلى الله عليه وسلم (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ) كناية عن رضاه، وقبوله، وتقريبه، وأمور أخرى يعلمها الله، وتنكير كلمة (شيء) يفيد العموم لأن الله تعالى يسمع كل الكائنات بكيفية يعلمها تعالى، ويخلقها فيها، وقوله (يتغنى) يوحي بتجميل الصوت، وعذوبة الكلمات، وقوله (يجهر به) تفسير للتغني، فهو جهر بصوت جميل بأجمل كلمات هي كلمات القرآن، وهو ترغيب في تحسين الصوت بالقرآن، وسماعه من حسن الصوت لأنه يساعد على الخشوع، ويعين على طول الاستماع.

فقه الحديث

استحباب تحسين الصوت بالقرآن:

قال النووي: (قال القاضي عياض: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢/٢٣٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٨٩.

(٣) رياض الصالحين ٣٨٩.

بالقراءة وترتيلها. قال أبو عبيد: والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق، قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عمّا جاء القرآن له من الخشوع والتفهم، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[١]. قلت [القائل النووي]: قال الشافعي في موضع: أكره القراءة بالألحان. وقال في موضع: لا أكرهها. قال أصحابنا: ليس له فيها خلاف. وإنما هو اختلاف حالين: فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقصٍ مدّ غير ممدود وإدغام ما لا يجوز إدغامه ونحو ذلك، وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضوع الكلام، والله أعلم)[٢].

وقال النووي في الأذكار: (يستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفًا أو أخفى حرفًا فهو حرام، وإلا فلا. والأحاديث بما ذكرناه من في تحسين لصوت كثيرة مشهورة في الصحيح وغيره)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل تحسين الصوت والتغني بالقرآن والجهر به.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على تحسين الصوت بالقرآن.

أولاً- أساليب الدعوة: الإخبار:

يعد الإخبار من أهم أساليب الدعوة، لأنه هو الأسلوب الذي يتم به نقل الدعوة وتبليغها إلى المدعوين، حتى يعلموا دين ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وقد ورد الإخبار في هذا الحديث في قوله ﷺ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" حيث أخبر رسول الله ﷺ عن حب الله واستماعه لصوت النبي الحسن الذي يتغنى

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٦٠/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧١/٦/٣ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٦٨/٩ - ٧٢ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٦/١٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣٤.

بالقرآن الكريم، وأفاد هذا الإخبار أهمية تحسين الصوت بالقرآن الكريم لحب الله له.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل تحسين الصوت والتغني بالقرآن والجهر به:

إن تحسين الصوت بالقرآن وتجويده في حدود قواعد القراءة الصحيحة يزيده حلاوة وطلاوة ووصولاً إلى القلوب وتأثيرًا فيها، لذا جاءت النصوص حاضّة على تحسين القراءة بالقرآن وتجويدها، ومنها ما جاء من الحديث "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به".

قال ابن عثيمين: ("أذن" قال العلماء: استمع، يعني ما استمع الله لشيء من الأشياء التي يسمعها - جل وعلا - مثل استماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به، يعني: نبي والأنبياء هم أفضل طبقات الخلق "يتغنى بالقرآن" يعني: يقرأه بصوت حسن "يجهر به" يعني: يرفع صوته به، فهذا الذي يأذن الله له؛ أي: يستمع له - جل وعلا - لأنه يحب الصوت الحسن بالقرآن والأداء الحسن)[1].

وتتجلى أهمية وفضل تحسين الصوت بالقرآن في إقبال القلوب وميل النفس إلى القرآن والاستماع إليه، قال ابن حجر: (ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك [2]، وإنما استحب تحسين الصوت بقراءة القرآن لأن ذلك أوقع في القلوب، وأنفع للسامع وأنجع)[3].

فطوبى لمن صاحب القرآن، ورافقه وأحبه وتلاه وتدبره وأنس به، واسترشد بوعظه، واهتدى بهداه، وعكف عليه، وتغنى به، وأحيا به ليله، وأجرى به دمعه، وأذهب به همه، وأزال به غمه، وطرد به حزنه وكفر به ذنبه، وأبرد به لهيب روحه، وسكن به خوفه، فهذا هو السعيد الناجي، والفائز الظافر، والولي الصادق، فهذا القرآن هو

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٤٧/٢.

(٢) فتح الباري، ٦٩٠/٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٢.

مأدبة الله وضيافته ومائدته، فمن قبل الضيافة نال التكريم وحظى بالزلفى وحصل على الفوز وأدرك الفلاح[١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على تحسين الصوت بالقرآن:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الحفاظ على تحسين الصوت القرآن الكريم، كما جاء في الحديث: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به". قال الإمام أحمد في شرحه: "يحسن القارئ صوته بالقرآن ويقرؤه بحزن وتدبر"، وقال القاضي عياض: " هو على هذه الرواية بمعنى الحث على ذلك والأمر به"[٢]. وإن ذلك يعتبر ضربًا من ضروب إجلال القرآن وتوقيره.

وقال القرطبي: (وفائدة هذا الخبر حث القارئ على إعطاء القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن)[٣].

ولقد كان ﷺ دأبه في قراءة القرآن التحسين والتجويد ومما يدل على ذلك ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: ((سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأُ: "والتينِ والزيتونِ" في العِشاءِ، ومَا سمعتُ أحدًا أحسنَ صوتًا منه أو قراءةً))[٤]. فالقرآن الكريم إذا قرئ وتلي حق التلاوة فإن ذلك يكون له أكبر الأثر في أن تتفتح له القلوب وتهتز له وترجف من مواعظه وآياته الأفئدة[٥]، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٦]، وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[٧].

---

(١) مقامات القرني، د. عائض القرني ص ٩٨.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٩٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٤٢٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٦٩.

(٥) موسوعة فقه القلوب ٢/١٥٥٠.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

الحديث رقم (١٠٠٦)

١٠٠٦ - وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ لَهُ: (([١]) لَقدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية لمسلم[٣]: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ لَهُ: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِراءتِكَ الْبَارِحَةَ)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

مزامير آل داود: المراد بالمزمار: الصوت الحسن، وأصله الآلة، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة. وآل داود: المراد داود نفسه[٤].

البارحة: أقرب ليلة مضت[٥].

الشرح الأدبي

قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي موسى رضي الله عنه (لَقدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ) كناية عن جمال صوته، وحسن أدائه، وسلامة مخارجه، وإتقانه للتلاوة، لأنها كلها أمور تتضمنها تلاوة آل نبي حسن الصوت، والتعبير بالمبني لما لم يسم فاعله (أوتيت) لتمام العلم بالفاعل، وهو الله، كما أن فيه تركيز على الغرض المنصب عليه الكلام، وهو الإشادة بجمال الصوت، وروعة الأداء، وتنكير مزمار للتعظيم أي أوتيت مزمارا

---

(١) عند البخاري زيادة: (يا أبا موسى) وعند مسلم ذكر أبي موسى ونسبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) واللفظ له، ومسلم (٧٩٣/٢٣٥).

(٣) برقم (٧٩٣/٢٣٦).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٨١١/٨ - ٨١٢.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ح).

عظيماً، و (من) للتبعيض، وإضافة المزامير لآل داود بيان، وتشريف، والحديث من خلال القصة يندب كل قارىء إلى تحسين صوته بالقرآن قدر المستطاع لأن فيه نوعا من الترغيب في الاستماع للقرآن الذي هو أعظم الذكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مكانة أبي موسى الأشعري، وحسن صوته ومدح النبي ﷺ له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب الداعية: مدح وتشجيع المواهب الحسنة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مكانة أبي موسى الأشعري، وحسن صوته ومدح النبي ﷺ له:

كان من فضل الله على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن حباه بحسن الصوت وحلاوة التلاوة للقرآن الكريم، فالصوت الجميل نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، وقد استخدمه أبو موسى في خدمة القرآن الكريم، وقد وردت في الحديث الإشارة إلى مكانة أبي موسى الأشعري وما حباه الله من صوت حسن واستماع النبي ﷺ له وثناؤه عليه فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود"، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة" أى لو أبصرتني لسرك ذلك[1]. وإن ذلك ليعد من فضائل أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ استمع إلى قراءته وأعجبته[2] وشبهه بداود عليه السلام بحسن صوته وعذوبة قراءته، كما حبا الله أبا موسى الأشعري مع حسن صوته بما اشتهر

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/ ١٢٤٦.

به من كونه علاّمة نسّابة، كما كان خطيبًا لرسول الله ﷺ[١].

لقد كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من أشهر علماء الصحابة الحُفّاظ للقرآن الكريم في العهد النبوي، فقد استظهره، ونهل من ينبوع العلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكان من نجباء الصحابة، ومن الصحابة النبهاء، وكان من أندى الناس صوتًا، فقد حباه الله عز وجل حنجرة تتفتق عنها أجمل الأصوات وأحلى النبرات التي تدخل القلوب، وتؤثر في النفوس، وتجتذبها إلى ساحة الصفاء الإلهي.

وفي رحاب القرآن الكريم كانت حياة أبي موسى رغيدة هنيّة هيِّنة، فهو يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار، ويقرأ ويفسر، ويفهم، ويسمع، ويعلم، ويعمل لكل ما يعمر القلوب بذكر الله عز وجل، ولقد أجاد الذهبي في حديثه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما صنفه في "تذكرة الحفاظ" وجعله في الطبقة الأولى من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم[٢]، فقال: "كان عالمًا، عاملاً، صالحًا، تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهلِ البصرة وأفقههم"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام:

وردت في الحديث الإشارة إلى ذكر فضل نبي الله داود عليه السلام وما أكرمه الله به من جمال في الصوت ورخامة في الأداء، لدرجة أن يضرب به المثل في هذا المجال، فقال ﷺ لأبي موسى الأشعري : "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير داود" ، فداود عليه السلام كان لديه صوت حسن جميل رفيع[٤]، ولتأثير صوته فيمن حوله حتى في غير الإنسان يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٥]، قال ابن كثير في

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٥١.

(٢) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٦٠٣، ٦٠٤.

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ ٢٣/١.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٤٧/٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٠.

تفسيره لهذه الآية يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود صلوات الله وسلامه عليه، مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، فمعنى قوله أوبي معه أى سبحي، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها[(١)].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنيًا في الحديث، وذلك في ثناء النبي ﷺ على قراءة أبي موسى الأشعري واستماعه لها، وإعجابه بها، وذلك في قوله: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود"، وفي ذلك ترغيب في تحسين الصوت والاهتمام به، إذ أن تحسين الصوت بالقرآن الكريم يزيد القرآن جمالاً وحلاوة وطلاوة، ويجعله أسرع ما يكون إلى القلب نفوذًا وتأثيرًا. وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المؤثرة، إذ أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير سواء ما كان من عاجل أو آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعى هدْيِ القرآن وهَدْيِ الرسول ﷺ[(٢)].

رابعًا- من آداب الداعية: مدح وتشجيع المواهب الحسنة:

إن الداعية محب لمدعويه متابع لأحوالهم ملاحظ لما يطرأ عليهم من تغييرات وما يظهر فيهم من نوابغ وأصحاب مواهب وملكات، فمثل هؤلاء ينبغي على الداعية مدحهم وتشجيعهم واستثمارهم لمصلحة الدعوة إلى الله تعالى، وفي هذا الحديث ثناء من الرسول ﷺ على أبي موسى الأشعري، "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود" فإن ثناء أهل الفضل وأولي النهى في المجتمع كالدعاة والعلماء والفضلاء وأهل الخبرة على أصحاب المواهب تشجيع للمدعوين للسعي باتجاه الخبرات الجديدة وتطوير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٩٧.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٠٨ - ٣٠٩.

المهارات[١].

لأن تشجيع أصحاب المواهب - سواء كان تشجيعًا حسيًا أو معنويًا - له دور كبير في تقدم حركتهم الإيجابية البناءة وفي كشف طاقاتهم الحيوية، وأنواع هواياتهم، كما أنه يزيد في استمرارية العمل ودفعه قُدُمًا نحو الأمام بمردود جميل[٢].

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٢٣.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص ١١٣.

الحديث رقم (١٠٠٧)

١٠٠٧ - وعن البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرأَ في الْعِشَاء بالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يرويه البراء رضي الله عنه بالسماع عن الرسول ﷺ ، والسماع من وسائل توكيد الخبر؛ لأنه يرجع إلى المتكلم نفسه لا من غيره، وقوله (قرأ) في صيغة الماضي يدل على زيادة تحقيق للفعل، وقوله (في العشاء) فيه إيجاز بالحذف أي في صلاة العشاء، وقوله (فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً مِنْهُ) أسلوب نفي لسماع من هو أحسن صوتا من الرسول ﷺ ، وكلمة (أحد ا) نكرة في سياق النفي، وتفيد التعميم، وأفعل التفضيل (أحسن) تقرر تقدمه الجميع في هذه الصفة، وهو تفضيل لصوته ﷺ على جميع الأصوات في قراءة القرآن، وهو من جملة محاسنه ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حسن صوت النبي ﷺ وتلاوته.

ثانيًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الصوت بالقرآن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حسن صوت النبي ﷺ وتلاوته:

لقد منح الله سبحانه نبينا محمدًا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده، ومن صفات الكمال التي أوتيها ﷺ كَمَالُ الخَلْقَةِ وجمال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤/١٧٧) ولفظهما سواء.

الصورة وعذوبة الصوت[١]. وقد صرح بذلك البراء بن عازب في الحديث فقال: "سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما رأيت أو سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه".

قال ابن عثيمين: (قوله: "فما سمعت قراءة أحسن من قراءته" - أو قال: "صوتًا أحسن بالقرآن من صوته" - وكلاهما صحيح؛ فالنبي ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وهو أول - وأولى - من يدخل في قوله فيما سبق من حديث: ((مَا أَذِنَ اللَّه لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيَ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)) [٢]، فرسول الله ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وأحسن الناس أداءً في القراءة؛ لأن القرآن عليه أنزل، والقرآن خُلُقه ﷺ) [٣].

ومما لاشك فيه أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره، فهم في غاية الكمال في خَلْقهم وخُلُقهم، فلم يكن بدعًا من الأنبياء أن يكون كل ما عليه نبينا محمد ﷺ من الخلق والتكوين مسترعيًا للأنظار، فكما هو قمة الكمال والجمال في خُلُقه كذلك هو قمة الجمال والكمال في خَلْقِه، ولا شك أن ذلك التناسق والجمال، وحسن الصوت وعذوبته له أثره الكبير في الدعوة والاستجابة لها[٤].

ثانيًا - من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الصوت بالقرآن:

إن من المُسَلَّم به أن الداعية مطالب بالاقتداء برسول الله ﷺ وذلك امتثالاً لمثل قول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٥]، إذ أن الداعية إذا تأسى بالرسول ﷺ انطلقت دعوته بإخلاص فانفتحت لها القلوب ووعتها الآذان الصاغية

---

(١) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٤٤، ومسلم ٧٩٢ واللفظ له.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٤٨/٢.

(٤) خاتم النبيين، الشيخ محمد أبو زهرة، القسم الأول (العهد المكي)، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

وقبلتها النفوس الطيبة[١]، ولا يقتصر التأسي على الصفات الخلقية فحسب، بل يمتد ليشمل كل شيء في الداعية حتى في عذوبة الصوت وتحسينه، إذ أن حسن الصوت وتزيينه سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[٢]، فإن حسن الصوت وتزيينه من الصفات الضرورية في الداعية حتى يتمكن من الاستيلاء على نفوس المدعوين وجلب إصغائهم إليه[٣].

فإنه مما لاشك فيه أن النفوس تميل إلى سماع القرآن بالترنم أكثر من مليها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، تحسين الصوت وتقديم أحسن الصوت على غيره، لا نزاع في ذلك ولا خلاف مطلقًا[٤].

(وأجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت في القرآن ما لم يخرج عن القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه حرم.

والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن يكن حسنًا فليحسنه ما استطاع، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسنًا بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء)[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث ضمنيًا في نقل البراء بن عازب لمدى حسن صوت النبي ﷺ بقراءة القرآن، فقال: سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت

---

(١) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٤.

(٣) انظر: خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي ص ١١٢.

(٤) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة، ٥٩١.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٨/٦٨٩.

أحدًا أحسن صوتًا منه"، فتحسين النبي ﷺ صوته وأمر الله بالتأسي به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١]، يرغبان في تحسين الصوت تأسيًا برسول الله ﷺ وإعظامًا للقرآن الكريم، لأن تحسين الصوت بالقرآن يأسر الألباب ويسحر العقول ويؤثر في النفوس.

(وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استعمالاً وأشدها تأثيرًا في نفوس السامعين لما فيه من تشويق المدعوين إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[٢].

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٠٠٨)

١٠٠٨ - وعن أَبي لُبَابَةَ بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ فَلَيْسَ مِنَّا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

معنى (يَتَغَنَّى): يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرآنِ.

ترجمة الراوي:

أبو لبابة الأنصاري: هو أبو لبابة بن عبدالمنذر الأنصاري اسمه بشير. وقيل غير ذلك.

كان من أوائل الأنصار إسلامًا، فقد كان أحد النقباء ليلة العقبة، وكان من الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ حق الجهاد، فقد شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد والمغازي وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم فتح مكة. وأما بدر فقيل إنه شهدها وقيل: إن النبي ﷺ أمّره على المدينة وضرب له بسهمه وأجره. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة السَّويق.

ولما وقع منه بعض العمل غير المرضي سَارع إلى الله وأناب إليه وتاب توبة نصوحًا وأعلن توبته أمام المسلمين، وكفر ما استطاع التكفير. فسارع إلى ربط نفسه في سارية من المسجد وقال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يتوب الله عليّ أو أموت. فمكث أيامًا حتى أصابه الإعياء الشديد، وكانت ابنته تحلّ وثاقه للصلاة ولحاجة الإنسان. فقيل له: قد تاب الله عليك. فقال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني. فجاء رسول الله ﷺ فحلّه بيده ثم قال: يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من جميع مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: يجزئك يا أبا لبابة الثلث. فلم يُر منه في الإسلام بعد ذلك إلا خيرٌ حتى فارق الدنيا[2].

---

(١) برقم (١٤٧١) ولفظه: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، والمثبت لفظ أبي يعلى في المسند (٤٧٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٨) بلفظ أبي داود، وزاد: وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة، يشير إلى الحديث الذي تقدم برقم (١٠٠٥).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٧٠ - ٢٧١) عن سعيد بن المسيب مرسلًا. وينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٧/٥٠٧).

وقد اختلف في الذنب الذي أذنبه، فقيل هو إخباره بني قريظة -بالإشارة إلى حلقه - أن جزاءهم الذبح[١]. وقيل: تخلفه عن غزوة تبوك[٢].

وقد اختلف في وقت موته فقيل: مات في خلافة عليٍّ وقيل غير ذلك[٣].

غريب الألفاظ:

يتغنَّى بالقرآن: يحسن صوته بالقرآن[٤].

الشرح الأدبي

الحديث لافتة قصيرة تعجل بالحكم، وهي تبدأ بالاسم الموصول (من) الذي يؤذن بخطاب العقلاء تحذيراً من عدم التغني بالقرآن، والذي يعنى الغلظة، والجفوة التي تمنع الخشوع، وتحدث النفرة، ولذلك جاء قوله (فليس منا) ترهيباً، وتنفيراً من ترك التغني به، وصياغة الفعل (يتغنى) في المضارع الدال على التجدد ينادي بكثرة ترديد القرآن في مختلف الأحوال بين القيام، والمشي، والجلوس، ومختلف الأوضاع التي يجوز فيها القراءة بحيث يكون القرآن نشيد المؤمن في كل وقت، وشعار الأمة المسلمة في كل حين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الصوت بالقرآن والتغني به.

---

(١) ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٩٠/٧).

(٢) ينظر السابق (٥٠٦/٧).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٥٧/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٤٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٥٤٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤١٢/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٧٨/٤). وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢٠٨٥/٣).

(٤) رياض الصالحين ٣٨٩.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

ورد أسلوب النفي في الحديث حيث بين النبي ﷺ أن من لم يتغن بالقرآن يتلذذ بقراءته ويتمتع بما فيه من روائع الحكم والمواعظ ويعطيه حقه من إشباع الحروف والحركات ونحوهما فليس من أهل الهدي المحمدي والطريق الإسلامي[1]، وليس من أهل الإيمان الكامل فقال ﷺ "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" وأسلوب النفي من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق ونتائج الأعمال السلبية والابتعاد عن الأعمال الإيجابية من فوات الثواب والوقوع في المحذور.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد الترهيب في الحديث من عدم الاهتمام بالقرآن الكريم حال قراءته، وقراءته على النحو الذي يليق بعظمة القرآن ومكانته، فقال ﷺ "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" وفي ذلك ترهيب أيما ترهيب من الإهمال في تحسين قراءة القرآن وتجويده، والترهيب من الأساليب الدعوية المؤثرة في النفس البشرية وهذه النفس تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، فالترغيب والترهيب والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم سلوكهم[2]، وتظهر أهمية ومكانة الترهيب من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾[3]، وقوله ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾[4].

وقد بين الحق تبارك وتعالى أن الترهيب سبب مشيئته تعالى للوصول إلى أرقى درجات الإحسان، فمثلاً صاحب القلب الخائف هو الذي يقيم الصلاة على أكمل وجه

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هشام ص ٥٤٣.

(٢) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٤٤.

وهو الذي يؤدي الزكاة بنفس طيبة وهو الذي يخشى الله في السر والعلانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾[1]، ولهذا كان جزاؤه الفوز والفلاح وميراث جنة الفردوس بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾[2][3]، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[4].

قال ابن القيم: الخوف ركن ركين من أركان الإحسان، وهي الخوف والرجاء والمحبة[5].

إن أسلوب الترهيب من أبرز الأساليب الدعوية فهو يغوص في النفس الإنسانية ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس قطع فيها دابر الشهوات واللذات حتى تصير المعاصي والآثام المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سمًا، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة[6]؛ فالترهيب خاتمة الأساليب لكثير من الأمراض والجرائم الاجتماعية حيث يصح أن نطلق عليه "أسلوب آخر الدواء الكي" بمعنى أن من لم يرتدع بالترغيب والإرشاد والجدل واللين[7] ارتدع بالترهيب والتخويف.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الصوت بالقرآن الكريم والتغني به:

لقد جعل الله بفضل القرآن هدى للناس عمومًا وللمتقين خصوصًا وأنزله شفاءً

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٢) سورة النور، آية: ٥٢.

(٣) انظر: معالم غائبة عن حياة المسلمين، ربيع بن محمد السعودي ص ١٠٣.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٤٦.

(٥) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم ص ٢٦٢.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦/٤.

(٧) انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٧٠ - ٧٤.

للصدور من أمراض الشبهات والشهوات ويحصل به اليقين والعلم في المطالب العاليات وشفاء للأبدان من أمراضها وعللها وأسقامها[١]، ولكي يستفيد المسلم بثمار القرآن الدانية أمر الله بتعاهده بالتلاوة والترتيل، قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ تلاوة وترتيلاً يليق بجلال وجمال القرآن وعظمته[٢]، ومن ذلك تحسين القراءة والترتيل والتغني به وكما جاء في الحديث "من لم يتغن بالقرآن فليس منا".

قال ابن عثيمين: (قوله: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" قال العلماء: هذه الكلمة لها معنيان:

الأول: "من لم يتغن" أي: من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدي من سواه ليس منا - فهذا ولا شك - أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله والعياذ بالله.

والمعني الثاني: "من لم يتغن" أي: لم يحسن صوته بالقرآن فليس منا؛ فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغني به عن غيره)[٣].

ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وأوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء، وهي كالحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء وكالأفاوية التي يطيب بها الطعام ليكون الطبع أدعى قبولاً له لكن شرطه أن أن لا يغير اللفظ ولا يخل بالنظم ولا يخفى حرفًا ولا يزيد حرفًا وإلا حرم إجماعًا.

فالواجب على القارئ تحسين صوته بالقرآن، فإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع[٤].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، الشيخ السعدي ص ٥١٦.

(٢) انظر: العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، د. سعيد بن فالح المغامس، بحث منشور في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر، محرم ١٤١٥هـ، يونيو ١٩٩٤م ص ١٠٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٤٨/٢ - ١٢٤٩، وقد نقل ابن حجر مجموعة من أقوال العلماء في معنى الحديث وشرحه، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٨٦/٨ - ٦٩٠.

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٨٧/٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٤.

وقد اعترض التوربشتي على المعنى الثاني للكلمة بعدما رجح الاستغناء، فقال: (قوله: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا"، المعنى: ليس من أهل سنتنا، أو ممن تبعنا في أمرنا وهو وعيد لا خلاف بين الأمة أن قارئ القرآن مثاب في غير تحسين صوته فكيف يجعل مستحقاً للوعيد وهو مأجور؟ قال الطيبي: ويمكن حمله على معنى التغني أي ليس من معشر الأنبياء من لم يحسن صوته بالقرآن، ويستمع الله منه بل يكون من جملة من هو نازل عن مرتبتهم، فيثاب على قراءته كسائر المسلمين لا على تحسين صوته كالأنبياء ومن تبعهم فيه) [1].

وقد وردت النصوص الكثيرة الحاضة على تحسين الصوت بالقرآن منها قوله ﷺ: ((لَم يأذَنِ الله لشيء ما أَذنَ للنبيٍّ أنَّ يتغنى بالقرآن))[2]، قال ابن كثير: ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم [3] والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به[4] ولما استمع النبي ﷺ إلى قراءة أبي موسى الأشعري قال له ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[5]، ولا يعني تحسين القراءة إخراج القراءة عن حدها المشروع من تمطيط الكلام وعدم إقامته والمبالغة فيه حتى ينقلب لحنًا، فهذا ليس بمشروع البتة[6] وإنما المراد بالتغني وتحسين الصوت بالقرآن: تحسين الصوت بالقراءة مع الجهر بها سجية دون صناعة وذلك واجب ديني، فلقد كان رسول الله ﷺ يحسن قراءة القرآن

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٨٧/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٢٣، ومسلم ٧٩٢.

(٣) فضائل القرآن، ابن كثير، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، ط١ ص ٢١٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

(٦) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٥، ٢٦.

مع حسن الصوت والخشوع والتدبر وقد نقل إلينا القرآن على الصفة المتلقاة بالمشافهة عن رسول الله ﷺ ووصلت إلينا بالتواتر فدل ذلك على وجوب التجويد وحسن الأداء[١].

قال ابن الأعرابي: (كانت العرب إذا ركبت الإبل أو جلست في أفنيتها تغني فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن مكان التغني)[٢].

(١) فن الترتيل وعلومه، الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد عبدالله الطويل، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١/٢١٤، ٢١٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٩/٥٨.

الحديث رقم (١٠٠٩)

١٠٠٩ - وعن ابن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ))، فقلتُ: يَا رسولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: ((إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى هذهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: ((حَسْبُكَ الآنَ)) فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حسْبك: اكتف بهذا[٢].

تذرفان: يسيل دمعُهما[٣].

الشرح الأدبي

قول الراوي قال (لي النبي ﷺ) له خصوصية من وجهين: الأول أنه اختصاص لنفسه ونفي عن غيره؛ لأنه قدم الجار والمجرور على الفاعل فأفاد الاختصاص، وتركيب عبارته يوحي باعتزازه بقول النبي ﷺ له هذا القول، ثانياً: أنه سمع بنفسه، وهو الذي نقل الحديث، وأحد طرفي الحوار مما يزيد الخبر الذي يرويه تأكيداً، ومقول القول هو أمر النبي له في قوله (اقْرَأْ عليَّ القُرآنَ) وتقديم حرف الجر المتصل بياء المتكلم على المفعول به للاختصاص أي عليَّ أنا لا غيري، وهذا الاختصاص لاعتقاد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٢٤٧/٨٠٠)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٤/١، رقم ٢٦٢)، وتقدم برقم (٤٤٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح س ب).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ذ ر ف).

المخاطب أنه يريد أن يقرأ على غيره، ولذلك جاء نداؤه بـ (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، وكأنه يذكره بمنزلته (رسول الله) ثم تلاه استفهام التعجب (يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟!) وقدم الجار والمجرور على الفعل أي نزل عليك لا على غيرك، وقد جاء رد النبي ﷺ معللاً للأمر، وقد أكد الخبر لينزع من نفسه تلك الحالة من التعجب (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فقرأ ابن مسعود، واستمع الرسول ﷺ حتى قال له (حَسْبُكَ الآنَ)، وقوله (فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان) والفعل التفت فيه مفاجأة قررتها (إذا) قال ابن القيم: وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق، ومحبة، وإجلال مصاحب للخوف، والخشية.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٤٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: الترغيب والترهيب:

لقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن، فقال ﷺ: «مَا أَذِنَ اللّه لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

قال المنذري: "أذن بكسر الذال، أي ما استمع لشيء من كلام الناس، كما استمع الله إلى من يتغنى بالقرآن، أي يحسن به صوته"[(١)].

وقال النووي: "وهو إشارة إلى الرضى والقبول"[(٢)]، كما رهّب النبي ﷺ من عدم تحسين الصوت بالقرآن، فقال: "من لم يتغن بالقرآن فليس منّا"[(٣)].

وأسلوب الترغيب والترهيب له أهمية تربوية فعّالة، فإن "الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه، من خلال الترغيب والترهيب. والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان على أهمية هذا الجانب بما تضمنا من ترغيب وترهيب يستجيش قلب الإنسان نحو الخير ويوجهه لذلك، ويخوفه من الانحراف ويحذره من ذلك.

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في العملية التربوية من عدة اعتبارات، من أهمها:

أ - الإنسان مفطور على حب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي، وذلك لأن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما مركوزان في النفس البشرية.

---

(١) الترغيب والترهيب ص ٣٣١، بعد الحديث ٢٢٥١ الدولية.

(٢) رياض الصالحين، ٣٨٩.

(٣) ساق المنذري هذين الحديثين وغيرهما في الترغيب والترهيب، تحت باب الترغيب في تعاهد القرآن، وتحسين الصوت به ص ٣٣١، ٣٣٢، الأحاديث: ٢٢٤٩ - ٢٢٥٧.

ب - أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية"[1].

ثانيًا: من أنواع التربية: التربية الجمالية:

لقد رغّب الرسول ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن، وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها، ولا شك أن هذا يندرج تحت ما يعرف في التربية بالتربية الجمالية التي تلبِّي حاجة من حاجات الناشئة وتشبع بعض نوازعهم، فقد "خلق الله الإنسان، وجعل بينه وبين الكون وكل ما فيه ترابطًا بالإحساس والإدراك، فالإنسان من هذا الجانب ميّال إلى الجمال: الرائحة العطرة في الكون تجذب إدراكه الحسي، والرائحة الكريهة تنفر الإنسان منها، والأفعال الحسنة التي تصدر عن الإنسان تجذب أحاسيس ومشاعر كل إنسان يرى هذه الأفعال، والمناظرة البديعة في الكون، والتناسق في مكوناته يثير إحساس الإنسان بالجمال، والإسلام يحوي منهجًا تربويًا متكاملاً يتضمن جوانب الجمال، ويربي الإنسان على هذا المنهج الجمالي، والقرآن الكريم والحديث الشريف يوجهان الإنسان، ويربيانه على حبّ الخير وعلى الإحساس والتذوق الجمالي، ثم الإبداع - إن كانت هناك قدرات طبيعية لدى الإنسان المبدع - وهكذا تشبع حاجات الإنسان كلها، فتتوازن القوى التي تبني الشخصية الإسلامية، وهكذا يتوجه الإنسان إلى قوى الإبداع في الكون وإلى الجمال الخلقي والجمال الاجتماعي وكمال الإسلام، وتناسق مبادئه، فتسمو حياته، وتهذب مشاعره، وتتحقق فيه مبادئ فلسفة التربية الإسلامية التي يريدها الإسلام.

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين ويُسرى في النفس إحساسًا بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات، ولذا كان الهدف الأول للتربية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، فإن الجانب الجمالي يعتبر في نظر المربين لا يقلّ أهمية في تكوين الشخصية عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٢ - ٢٩٥ بتصرف.

والتربية الجمالية ترمي إلى إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس ويحدث ذلك عن طريقين:

أ - تقديرنا للجمال.

ب - إنتاجنا لهذا الجمال : أي الابتكار.

والتربية الجمالية في الإسلام لها أهداف منها:

أ - تربية الإنسان على التعلق بالخير والنفور من الشر.

ب - تربية أحاسيس الإنسان بالوحدة الفردية، وكمالها بكمال الوحدة الكلية الإنسانية في المجتمع.

ج - تربية الإنسان على الإحساس بجمال صوتيات ومرئيات كل مخلوقات الكون التي تستمد جمالها وكمالها من خالق هذا الكون.

د - تربية الإنسان على الاستمتاع بحياته، والترويح في ضوء مبادئ الإسلام.

هـ - تربية المسلم على جمال مظهره [1].

ثالثا: من مهام المربي: تشجيع الموهوبين:

مَنّ الله عز وجل على الصحابي أبي موسى الأشعري ﵁ بحسن تلاوة القرآن الكريم، وقد سمعه النبي ﷺ وهو يتلو القرآن فقال له: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

وفي رواية: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ».

فكان هذا من النبي ﷺ ثناءً على أبي موسى الأشعري ﵁، ولاشك أن هذا يؤتي بالأثر المحمود والنتيجة الطيبة على المثنى عليه والممدوح. ومن هذا المنطلق، فإن على المربين أن يشجعوا الناشئة وخاصة الموهوبين منهم، فإن "التشجيع الحسي أو المعنوي خير كله، وعنصر ضروري من عناصر التربية، لا غنى عنه، ولكن بدون إفراط. وللتشجيع دور كبير في نفس الطفل، وفي تقدم حركته الإيجابية البناءة. وفي

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبد الجواد سيد بكر ص ٢٤٢ - ٢٦٢، وانظر: كذلك مراجعه ومصادره.

كشف طاقاته الحيوية، وأنواع هواياته، كما أنه يزيد في استمرارية العمل، ودفعه قدمًا نحو الأمام بمردود جيد، فليكن شعار الوالدين والمربين في تشجيع الأطفال: قل يا بني ولا تحقر نفسك. ومن التشجيع الحسن تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة، ومن بينها شراء الكتب النافعة ليصبح للطفل مكتبة علمية تنمو مع نموه"[(١)].

وقال النووي عن آداب المعلم: "وينبغي أن يحرضهم - أي: تلاميذه - على الاشتغال (بالعلم) في كل وقت، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات، فمن وجده حافظًا مراعيًا له أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك، ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه، ومن وجده مقصرًا عنّفه إلا أن يخاف تنفيره، ويعيده له حتى يحفظه حفظًا راسخًا، وينصفهم في البحث، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم، وإن كان صغيرًا، ولا يحسد أحدًا لكثرة تحصيله، فالحسد حرام للأجانب وهنا أشد، فإنه بمنزلة الوالد، وفضيلته يعود إلى معلمه منها نصيب وافر، فإنه مربيه، وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل"[(٢)].

رابعًا: من آداب المربي: التزام ما يربى عليه الناشئة: "التربية بواسطة العمل":

لقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن فقال: «مَا أَذِنَ اللّه لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِي حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». هذا ترغيب بالقول، وقد رغّب ﷺ في ذلك أيضًا بالفعل فقد قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بـ"التِّينِ وَالزَّيْتُونِ". فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ». وهذا يوضح خصيصة التربية الإسلامية، وهي أنها "تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء أو إلى خلق فاضل أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما يصوره الإسلام، والرسول المربي يبين لنا منهاجًا تربويًا أساسيًا وهو أن يتمثل المعلم دائمًا ما يقول ويعلّم وإلا فلا أثر لذلك، إن الذي يقف في حجرة الدراسة عشرات الساعات يشرح أهمية الشورى وضرورة الحوار دون أن يمارس ذلك بالفعل مع طلابه ومع زملائه، قليلاً ما ينتج

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل ص ١١٣، ١١٤ ومرجعه.

(٢) مقدمة المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، ٧٨/١.

ونادرًا ما يفيد، وقد كان الرسول المربي يثبت بالبراهين العملية والتجارب الفعلية أن ما يدعو إليه هو أمر ممكن التنفيذ، آية ذلك أنه مشخص في سلوكه ... فالتعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية"[1].

"لقد حكي عن بعض السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل به والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه حقيقة من حقائق التربية وعلم النفس التي أثبتتها تجربة هذه العلوم، وقد سبق إليها الإسلام بقرون عديدة.

فمن البديهي أن التعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أوقع في النفس وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة.

إن التعليم بقصد التطبيق شرط من شروط صحة العلم وقبوله عند الله، وهذا القصد يجعل تصور الطالب للأمور التي يتعلمها أوسع تفصيلاً وأعمق أثرًا في نفسه، وأقرب إلى الفائدة في الحياة"[2].

خامسًا: مشاركة المتعلم في العملية التعليمية:

لقد طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، فقال ابن مسعود مستفهمًا: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فأجابه النبي ﷺ قائلاً: إني أحب أن أسمعه من غيري...."، ففي هذا الحديث يمكن أن يستدل به على إشراك المتعلم فيما يتعلم، ولا يكون دوره هو التلقي والاستماع فقط، فإن التربية الحديثة "تنادي بضرورة اشتراك الطلبة في الدرس وعدم احتكار المعلم الدرس، واستئثاره لنفسه دون الطلبة، فالتربية الحديثة تنادي بفعالية الطالب ومشاركته في الدرس ليكون عضوًا فعالاً يشارك ويشرح ويستفهم ويستنبط. وبذلك تكون المعلومات جزءًا من خبرته، فيسهل فهمه من جهة، وتطول مدة بقائها في ذهنه من جهة أخرى... إن القاعدة التربوية تقول: إن كل ما يمكن استنتاجه من التلاميذ يحرم إلقاؤه عليهم، لذا فإنه يجب على المعلم إشغال

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ٣٢٧، ٣٢٦ ومراجعه.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٢ بتصرف.

الطلبة في أمر حيوي طوال الدرس وعدم إهمال أي أحد منهم، فطبيعة الطفل ميله للحركة والفعالية، والطفل إن لم تَشْغَله شَغَلَك، وفيما يلي بعض المقترحات التي تعين المعلم على مراعاة اشتراك الطلبة في الدرس بالشكل الذي يتلاءم مع متطلبات الموقف التعليمي:

١ - يجب على المعلم ألا يتكفل بسرد الدرس وإلقائه لوحده، وإنما يقوم بإشراك الطلبة في استنتاج معلومات الدرس والتوصل إليها بأنفسهم حتى لا يكونوا مستمعين فقط.

٢ - يجب على المعلم إشراك الطلبة في الإجابة على الأسئلة التي يطرحها أثناء الشرح ويجعلهم يتوصلون إلى القاعدة بأنفسهم.

٣ - يجب على المعلم إثارة روح التنافس الجمعي الشريف بين الطلبة بأن يقسّم الصف إلى مجموعات، ويدفع هذه المجموعات للتنافس فيما بينها..."[١].



(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان المكي الهاشمي ص ٢٥١ - ٢٥٥، ومصادره ومراجعه.

١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة

الحديث رقم (١٠١٠)

١٠١٠- عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بن الْمُعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: **((أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟))** فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أرَدْنَا أنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟ قَالَ: **((الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ))** رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

رافع بن المُعلَّى: هو أبو سعيد بن المعلَّى الأنصاري، من عداد أهل الحجاز. يقال له: الحارث بن أوس بن المعلى، ويقال: رافع بن أوس بن المعلى. له صُحبة ورواية عن النبي ﷺ. ولا يعرف في الصحابة إلا بحديثين، أحدهما: عن أفضل سورة في القرآن، والثاني عن تغيير القبلة.

وقد روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين.

وتوفي سنة ٧٣هـ وهو ابن ٦٤ سنة، وقيل تُوفي سنة ٧٤هـ[٢].

غريب الألفاظ:

المثاني اختلف في تسمية الفاتحة المثاني فقيل: لأنها تثني في كل ركعة أي تعاد، وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[٣].

---

(١) برقم (٥٠٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٩).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٤٨٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨١٥)، الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦٠٠/٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣٩/٦-١٤٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣١٨/٨-٣١٩)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٢٧/٤).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٨.

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الفاتحة بدأ بأسلوب إنشائي وهو الاستفهام في قوله (أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآن قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟) وهو استفهام عرض، وتشويق دلت على العرض الأداة (ألا) بينما أخذ التشويق من أفعل التفضيل (أعظم) المضافة للسورة، والجار والمجرور في قوله (في القرآن) وقد زاده تشويقا، وترقباً بالظرف (قبل) المتعلق بالخروج من المسجد، فأدرك أنه ينظر خيراً عظيماً قريباً، وقوله (فأخذ بيدي)، وإن كان هذا الفعل يبدو عفوياً، ولكنه يعد كناية عن المودة، والتقريب مع ما فيه من التنبيه إلى المعنى، وتثبيته في عقله لارتباطه باللمسة الحنونة من رسول الله ﷺ، وقوله للرسول ﷺ (إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرآنِ؟) استفهام تقرير، وتذكير يعكس ترقبه، وشوقه إلى معرفة هذه السورة وقول الرسول ﷺ (الحمد لله رب العالمين) فيه إيجاز بالحذف أي هي التي تبدأ بالحمد لله رب العالمين، يعني فاتحة الكتاب، والتعريف بالضمير (هي) للمدح، والتعظيم، والحديث يبين فضل سورة الفاتحة، ويرغب في كثرة تلاوتها، وتدبر معانيها.

فقه الحديث

قال القاضي عياض[1]: فيه حجة للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض، وتفضيله على سائر كتب الله تعالى، قال: وفيه خلاف للعلماء، فمنع منه أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني وجماعة من الفقهاء والعلماء، لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول، وليس في كلام الله نقص به، وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور، بمعنى عظيم وفاضل. وأجاز ذلك إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين قالوا: وهو راجع إلى عظم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه. والمختار جواز قول هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل، بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهو معنى الحديث، والله أعلم)[2].

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٧٧-١٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٨١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وعظم سورة الفاتحة.

رابعًا: من مهام الداعية: البيان والإرشاد.

أولاً – من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن"، وهذا استفهام من النبي ﷺ لأبي سعيد رافع بن المعلى شحذًا لذهنه وجلبًا لتطلعه إلى الجواب، ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا تربويًا صحيحًا، وهذا الأسلوب يدفع بالمدعوين إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركونه من حقائق[1]، واستخدام أسلوب الاستفهام يحمل المدعوين إلى توجيه كل اهتماماتهم لما يلقى إليهم، ليتمكنوا من فهمه ثم الإجابة عليه[2]، والأمثلة على استخدام النبي ﷺ أسلوب الاستفهام تبلغ حدًا من الكثرة، منها ما استخدمه النبي ﷺ كوسيلة من وسائل الإيضاح للعقيدة الإسلامية بعرضها عرضًا بسيطًا وسهلاً خاليًا من التعقيد والتكلف، فروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنْتَ رَدِيفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أَن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ

---

(١) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٢٣.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد سعيد بركة، ١٧٢.

ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم»[١].

لذا يعد أسلوب الاستفهام من أبلغ الأساليب الدعوية تأثيرًا لما فيه من تأثير في شد انتباه المدعوين ولفت أنظارهم.

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت الإشارة إلى هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ لأبي سعيد رافع بن المعلي، أعظم سور في القرآن، قائلاً له "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد" والتعليم من أهم الوسائل الدعوية، ولأهمية التعليم وطلب العلم والاستزادة منه نجد أن الرسول ﷺ أوجد في مجتمع العرب الأميين نهضة فكرية وتعليمية شاملة، ونفخ في الأمة روحًا في الإقبال على العلم والتعليم[٢]، الذي يسعى إلى إنارة العقل بالحق، وتوضيح الخطوط الشرعية والاعتقادية لصحة سير الشخصية الإسلامية إذ لا عمل بدون علم، فبدون العلم تبقى الشخصية معرضة للانحراف أو الخطأ والزلل الفكري والنظري والعملي[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل وعظم سورة الفاتحة:

جاء في صريح الحديث أن الفاتحة هى أعظم سورة في القرآن، حيث قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد رافع بن المُعلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن" وفي نهاية الحديث قال ﷺ : "الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" واختلف في تسمية الفاتحة بالمثاني، فقيل لأنها تثنى في كل ركعة أى تعاد، وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[٤]، وإنما كانت سورة الفاتحة أعظم سورة؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذا سميت بأم القرآن[٥]، قال

---

(١) أخرجه البخاري، ٧٣٧٣.

(٢) ركائز دعوية من هدى النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٤٧.

(٣) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة الدعوة، بإشراف: أحمد بن عبدالعزيز القطان اسم بن محمد بن مهلهل ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٨/٨.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٦.

أبو عبدالله القرطبي: وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها، حتى قيل. إن جميع القرآن فيها، وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده، ولا تصح القربة إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم[١].

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَنْزَلَ الله فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[٢]. قال أبو عبدالله القرطبي: (قال البُستيُّ: ومعنى هذه اللفظة: "ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن" أن الله تعالى لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل مثل ما يعطي لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضّل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة القرآن كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه وهو فضل منه لهذه الأمة)[٣].

والفاتحة إنما سميت أم القرآن لأنها جمعت واحتوت مجمل ما جاء في القرآن، قال الطاهر بن عاشور: (فالفاتحة تضمنت مناجاة للخالق جامعة التنزه عن التعطيل والإلحاد والدهرية بما تضمنه قوله "مالك يوم الدين" وعن الإشراك بما تضمنه "إياك نعبد وإياك نستعين" وعن المكابرة والعناد بما تضمنه "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" فإن طلب الهداية اعترف بالاحتياج إلى العلم ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بأن من العلم ما هو حق، ومنه ما هو مشوب بشُبَه وغلط، ومن اعترف بهذين الأمرين فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما والبعد عن الضلالات التي تعترى العلوم الصحيحة والشرائع الحقة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها إلى دركة أقل مما وقف عنده الجاهل البسيط، وذلك بما تضمنه قوله: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، ولأجل هذا سميت هذه السورة أم القرآن)[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١/ ١١٠.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٣٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٤٩٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١/١٠٩.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١/١/ ١٥٣، ١٥٤.

وقال ابن عثيمين: (سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، ولهذا تسمى أم القرآن، والأم: هو الذي يرجع إليه الشيء، فسورة الفاتحة ترجع إليها معاني القرآن كلها، ولذلك أوجب الله قراءتها في كل ركعة من الصلوات، فقال النبي ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن"، وفي رواية: "بفاتحة الكتاب" [1]، وهذه السورة لها خصائص منها: أن الإنسان إذا قرأها على مريض فإنه يشفى بإذن الله، لكن بشرط أن يقرأها بإيمان - يعني وهو مؤمن أنها رقية نافعة.

والشرط الثاني: أن يقرأها على مريض مؤمن أيضًا مصدق بأنها رقية ونافعة، ويدل على هذا أن النبي ﷺ بعث سرية، فنزلوا على قوم فاستضافوهم ولكن القوم لم يضيفوهم، فسلط الله على سيدهم - أي: سيد القوم - أن لدغته عقرب، وتأذى منها أذى شديدًا، فقال بعضهم: اذهبوا إلى هذا الرهط لعل فيهم قارئًا يقرأ، فجاءوا إلى السرية، وقالوا: إن سيدهم لدغته عقرب فهل منكم أحد يقرأ؟ قالوا: نعم، ولكن ما نقرأ عليكم إلا إذا أعطيتمونا مكافأة غنمًا، فقالوا: نعطيكم، فتقدم أحد القوم من الصحابة، فجعل يقرأ عليه سورة الفاتحة -وهو أشد ما يكون من الألم - فقرأ عليه، فقام الرجل المريض كأنما نشط من عُقال، يعني: كأنه بعير فُكَّ عقاله، ليس فيه داء، فأعطوهم الغنم، ثم قال بعضهم لبعض: نخشى أن تكون الغنم حرامًا، لا نأكل منها حتى نصل إلى النبي ﷺ، فلما وصلوا المدينة وأخبروا النبي ﷺ قال لهم: "خذوها واضربوا لي معكم بسهم" [2]، يعني اجعلوا لي سهمًا منها، وإنما قال ذلك تطييبًا لقلوبهم، وإلا فهو ﷺ في غنًى عن هذا، لكن تطييبًا وبيانًا لحلّ هذا الشيء، ثم قال للذي قرأها: وما يدريك أنها رقية؟ فإذا قرأ الإنسان على مريض وهو مؤمن أنها رقية والمريض مؤمن كذلك بأنها نافعة بإذن الله؛ فإن الله تعالى ينفع بها نفعًا عجيبًا، هذا من فضائل سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في كتاب الله كما في الحديث) [3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٣٩٤ واللفظ له.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري ٢٢٧٦، ٥٠٠٧، ومسلم ٢٢٠١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٥٠ - ١٢٥١.

رابعًا – من مهام الداعية: البيان والإرشاد:

إن المهمة الرئيسة للأنبياء وأتباعهم من الدعاة أن يوضحوا الحق للناس ويبينوه[١]، قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾[٢]، أي لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار حتى يعرفه الناس على وجهه الصحيح، وهذه الآية وإن حكت ما فعله أهل الكتاب فقد تضمنت في نفس الوقت أن يحذوا حذوهم ويسلكوا سننهم.

فيا أيها المسلمون إياكم وهذا العمل الشنيع الذي يقوم به أهل الكتاب، ولا تحزنوا ولا تضعفوا واصبروا واتقوا الله وبينوا الكتاب ولا تشتروا به ثمنًا قليلاً وعرضًا زائلاً ولا تفرحوا بما تفعلون[٣].

وهذه الآية بينت ما يجب على الدعاة من الدعوة إلى الله وما ينوط بهم من التبيين والتوضيح والإرشاد، إذ أن مدار وظيفة الدعاة على البيان والتبيين والإفهام والتفهيم[٤]، وفي الحديث يعطينا النبي ﷺ المثل الحى والأنموذج التطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة، وذلك في تبيينه ﷺ لأعظم سورة في القرآن، وذلك دلالة للمدعوين على مواطن الخير وفضائل الأعمال، فقال ﷺ لأبي سعيد رافع بن المُعَلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد"، وإنما قال له ذلك ولم يعلمه بها ابتداء ليكون أدعى إلى تفريغ ذهنه لتلقيها وإقباله عليها بكليته[٥]، وأجابه بقوله "الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨٧.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٥٩/٤/١.

(٤) انظر هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ ص ٢٠٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٥.

الحديث رقم (١٠١١)

١٠١١- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ فِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ))[(١)].

وفي روايةٍ: أن رسول الله ﷺ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: ((أَيَعْجِزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ)) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ اللهِ؟ فَقَالَ: ((﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: ثُلُثُ القُرْآنِ)) رواه البخاري[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

تعدل: تماثل وتُناظر[(٣)].

شقَّ عليهم: ثقُل عليهم[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الإخلاص وهي سورة يبدو فضلها من اسمها، ومسماها حيث اشتملت على أعظم المعاني، وهو توحيد الله تعالى، ولذلك جاء حديث الرسول ﷺ في بيان فضلها يتصدره القسم وهو من وسائل التشويق والتنبيه على عظم ما يتلوه، وطبيعة القسم بقوله، (والذي نفسي بيده) توحي بالرهبة التي تقرر أن الكذب على هذه الحال من أبعد المستحيلات ثم إنه أكد الخبر بإن بعد القسم والضمير العائد عليها، ثم للام الداخلة على جملة الخبر لينفي عن الخبر وهم المبالغة في عدل هذه السورة القصيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣).

(٢) برقم (٥٠١٥).

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

لثلث القرآن؛ لأن أجر ثلث القرآن عظيم، والقول بأن سورة قصيرة تعدله يحتاج إلى تمهيد النفس لاستقباله حتى يدخل عليها دخول الخبر المأنوس، وهو نوع من تمهيد النفوس لاستقبال الأخبار العظيمة، فأي عاقل يسمع هذا الحديث ثم لا يحرص على تحصيل أجر قراءة القرآن بقراءتها ثلاث مرات، وأي وقت سيضيع فيها؟؛ ولذلك جاء في الرواية الثانية أسلوب الاستفهام التشويقي حول هذا المعنى حيث إن النبي ﷺ (قَالَ لأَصْحَابِهِ: ((أَيَعْجِزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرآنِ فِي لَيْلَةٍ؟) وهذا أمر خارج على الطوق فجاء استفهامهم (أيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ اللهِ؟) استبعادا لأن يستطيع إنسان قراءة ثلث القرآن في ليلة فجاءهم رده يحمل العبأ عنهم، ويحقق الأجر لهم بفضل هذه السورة العظيمة (فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾ : ثُلُثُ القُرْآنِ).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل سورة الإخلاص.

ثالثًا: من أصول الدعوة: توحيد الله وتنزيهه سبحانه وتعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من مهام الداعية: شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

من أساليب توكيد الأمر وتحقيقه "القسم"[١]، وقد ورد أسلوب القسم في الحديثين الأول والثاني في قوله ﷺ في (قل هو الله أحد)، "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد الأخبار وجمع لانتباه ما، ويعتبر أسلوب القسم وسيلة هامة من وسائل وأساليب إبلاغ الدعوة بسبب خصائصه ومميزاته[٢].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ١٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٧ ص ٣٢٥.

إذ أنه من أقوى أساليب التوكيد المتعارف عليها في جميع العصور، ويأتي القسم إما لحمل المخاطب على الثقة بكلام الحالف، وأنه لا يكذب فيه إن كان خبرًا ولا يخلفه إن كان وعدًا أو وعيدًا أو نحوهما، وإما لتقوية عزم الحالف نفسه على فعل شيء يخشى إحجامها عنه أو ترك شيء يخشى إقدامها عليه وإما لتقوية الطلب من المخاطب أو غيره وحثه على فعل شيء أو منعه.

فالغاية العامة لليمين قصد توكيد الخبر ثبوتًا أو نفيًا[١]، وقد ورد أسلوب القسم كثيرًا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]، وقد جمع كثير من العلماء أقسام القرآن وأفردوها بالشرح والتأويل، ومن أبرز الكتب في ذلك كتاب "التبيان في أقسام القرآن"، للإمام ابن القيم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل سورة الإخلاص:

جاء في الأحاديث الثلاثة بيان رسول الله ﷺ لفضل سورة الإخلاص مبينًا أنها تعدل ثلث القرآن قائلاً في حديثي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: "إنها تعدل ثلث القرآن" وإنما عدلت ثلث القرآن باعتبار معاني القرآن، لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هى على القسم الثالث فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار، وقال القرطبي: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال، لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد والصمد، لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز خصال الكمال، وذلك لا يصح إلا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٤٥/٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات العقل ثلثًا[١]، وسميت بسورة الإخلاص لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى أى سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية، وسميت بسورة التوحيد لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، وفي الإتقان أنها تسمى سور الأساس لاشتمالها على توحيد الله، وهو أساس الإسلام[٢].

فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه. والصمديَّة المثبتة له جميعَ صفات الكمال التي لا يلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوزام الصمدية، وغناه وأَحَديَّته ونفي الكفء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورةُ إثباتَ كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبُه جميعَ فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تَعْدل ثلثَ القرآن، فإن القرآن مدارُه على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورة الإخلاص الخبرَ عنه، وعن أسمائه، وصفاته، فعدلت ثلثَ القرآن. وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلمي. كما خلصت سورة "قل يا أيها الكافرون" من الشرك العملي الإرادي "القصدي". ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله، كانت سورة "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن[٣].

وقد نصّ كثير من العلماء على أن ثواب قراءة سورة الإخلاص يعدل ثواب قراءة ثلث القرآن، قال النووي: (وقيل: معناه – أي قوله أنها تعدل ثلث القرآن – إن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثلث القرآن بغير تضعيف)[٤].

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٦٧٨/٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٣٠/١٢ /٦١١-٦١٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٣٥/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

وقال د. محمد محمود حجازي: (ولا حرج على فضل الله الذي يهب لمن يقرؤها بتدبر وتفهم مثل ما يهبه لقارئ ثلث القرآن) [١]، وكل ذلك يدل على فضل سورة الإخلاص، فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءتها، لنيل الثواب، ورضى رب العباد.

ثالثًا - من أصول الدعوة: توحيد الله وتنزيهه سبحانه وتعالى:

إن الأصل في الإسلام هو توحيد الله تبارك وتعالى وتنزيهه سبحانه وتعالى وتلك هي ركائز الإيمان، فالإيمان بالله يتضمن توحيده في ثلاثة (في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته[٢]، ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره فهو سبحانه[٣] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]، وهذه المعاني جمعتها سورة الإخلاص التي طوت في كلماتها التوحيد الخالص لله تعالى، فعدلت ثلث القرآن كما جاء في الأحاديث الثلاثة: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وأنها تعدل ثلث القرآن.

قال المناوي: (و"قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن لأن معاني القرآن آيلة إلى ثلاثة علوم: علم التوحيد، وعلم الشرائع، وعلم تهذيب الأخلاق وتزكية النفس، والإخلاص تشمل على القسم الأشرف منها الذي هو كالأصل للأخيرين، وهو علم التوحيد وإثبات إلهية المعبود وتقديسه، ونفي ما سواه وقد صرحت الإخلاص بالإثبات والتقديس ولوحت إلى نفس عبادة غيره)[٥].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٣٠/٩٠.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٩.

(٣) الإيمان وأركانه، حقيقته، نواقضه، د. محمد نعيم ياسين ص ٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١/٣٦٧.

فالمقصد الأعظم من سورة الإخلاص تصحيح العقيدة والدعوة إلى التوحيد وتلك هي القضية الكبرى التي من أجلها نزل القرآن لتصحيحها ووضعها في نصابها الصحيح فالقرآن العظيم من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد وإنكار للشرك وبيان لحسن عاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة وسوء عاقبة المشركين في الدارين.

والدعوة إلى التوحيد هي المبدأ الأول المشترك بين رسالات النبيين جميعًا فكل نبي نادى قومه أن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣]، واعتبر القرآن الشرك بالله أعظم جريمة يقترفها مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

وإن حقيقة الشرك انحطاط بالإنسان من مرتبة السيادة على الكون -كما أراد الله له- إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات سواء كانت جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا إلى غير ذلك[٥]، قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٥) انظر: عظمة القرآن الكريم، محمد بن أحمد الدوسري ص ٢٣٥.

(٦) سورة الحج، الآيتان: ٣٠، ٣١.

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديثين، الأول في قوله ﷺ لأصحابه: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشق ذلك عليهم، وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟، فقال: "قل هو الله أحد ، الله الصمد ثلث القرآن"، والثاني في سؤال الرجل سمع رجلاً يقرأ: "قل هو الله أحد" ويردد النبي ﷺ عن ذلك، فأجابه ﷺ بقوله: "والذي نفسي بيده أنها لتعدل ثلث القرآن، وأسلوب السؤال والجواب له قيمة تأثيرية عظيمة لدى المدعوين، يجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، لذا ينبغي على الداعية وعلى من يتصدى للنصح والإرشاد أن يستثمر هذا الأسلوب المؤثر النافع للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها وعليه أن يكون حكيمًا، كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن يقظًا، حسن التصرف، واسع الصدر حليمًا، وعليه أن يكون قادرًا على البيان المفهم بأسلوب حسن[1].

خامسًا - من مهام الداعية: شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال:

إن في بيان النبي ﷺ في الأحاديث الثلاثة لفضل "قل هو الله أحد" وأنها تعدل ثلث القرآن بيان لما ينبغي أن يكون على الداعي من آداب وصفات يجعلها نصب عينيه، والتي منها شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال، فينبغي على الداعية أن يهتم بتحبيب فضائل الأعمال إلى المدعوين بترغيبهم في قيام الليل وتلاوة القرآن وطلب العلم النافع وغير ذلك، فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله تعالى تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلاشك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروي بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن[2].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨-٦١.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٥٦، ١٥٧.

الحديث رقم (١٠١٢)

١٠١٢- وعنه: أنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ((قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)) يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يَتَقَالُّها: أي يعتقد أنها قليلة والمراد: استقلال العمل لا التنقيص[(٢)].

لتعدل: تماثل وتُناظر[(٣)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه غير أنه يتخذ القصة أسلوباً لعرض المعنى الذي يقرر في نهايته عظمة السورة الكريمة التي تساوي ثلث القرآن، وقول الراوي (أن رجلا سمع رجلا يقرأ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)) يشير إلى بداية القصة مع رجلين أحدهما مدرك، أو مستشعر لعظمة السورة فرددها كثيرا، ورجل لم يدر ما فضلها، ونظر إلى قصرها بالنسبة لغيرها من سور القرآن، والذي صوَّره الراوي بقوله (وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا) فجاء رد الرسول ﷺ مؤكدا، ومقررا لفعل القاريء الذي كررها مبينا فضل هذه السورة في جملة من المؤكدات تزلزل الشك حتى تهدمه في قلب هذا المتقال المتقاصر لهذه السورة العظيمة (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ).

المضامين الدعوية[(٤)]

---

(١) برقم (٥٠١٣، و٦٦٤٣، و٧٣٧٤) وانظر: الحديث السابق. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٨٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٧٧/٨.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠١٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠١٣، ١٠١٤)

الحديث رقم (١٠١٣)

١٠١٣- وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ فِي: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ((إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تعدل: تماثل وتُناظر[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو الثالث في فضل (قل هو الله أحد) وكثرة الأحاديث تشير إلى أهمية السورة، وعظمة فضلها الذي دعا الرسول ﷺ إلى التأكيد عليه مرارا، وتكرارا، ثم إن كثرة الروايات للحديث الواحد تدل على تلقف الصحابة له لعظمة ما يحويه رغبة في الأجر، ونشر الخير الذي لا يحمل كلفة مما يجعل الجميع في القدرة على إتيانه سواء بعكس غيره من الأعمال التي يستطيعها البعض دون البعض كالإنفاق، والجهاد، وغيرهما، وتعبير الراوي بقوله (قال فيها) دون قوله (قال عنها) أن (في) الظرفية تدل على التمكن أكثر في خصوصية الوصف بها من (عن)، وقد انفردت هذه السورة بجمع أصول العقيدة الإسلامية التي لم يجمعه غيرها، وقوله (قل هو الله أحد) افتتاحها بـ﴿قلْ﴾ للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلغه وإلا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه، ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتتحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله﴾ في سورة الجمعة (٦).

---

(١) برقم (٨١٢/٢٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٨٦).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

والسور المفتتحة بالأمر بالقول خمس سور: ﴿قل أوحي﴾[الجن: ١]، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوّذتان، فالثلاث الأول لقول يبلّغه، والمعوّذتان لقول يقوله لتعويذ نفسه، ولذلك الأمر في هذه السورة فائدة أخرى، وهي أنها نزلت على سبب قول المشركين: انْسُبْ لنا ربك، فكانت جواباً عن سؤالهم فلذلك قيل له: ﴿قل﴾ كما قال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[الإسراء: ٨٥] فكان للأمر بفعل ﴿قل﴾ فائدتان، وضمير ﴿هو﴾ ضمير الشأن لإفادة الاهتمام بالجملة التي بعده، إذا سمعه الذين سألوا تطلعوا إلى ما بعده، ويجوز أن يكون ﴿هو﴾ أيضاً عائداً إلى الرب في سؤال المشركين حين قالوا: انسب لنا ربك[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور لهذه السورة.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠١٤)

١٠١٤- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنـي أُحِبُّ هـذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ: ((إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن). ورواه البخاريُّ[2] في صَحِيحِهِ تعليقًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

سبقت الأحاديث التي تبين فضل سورة الإخلاص، ومبلغ الأجر الذي تصل إليه، وهذا الحديث يشير من جانب آخر إلى زاوية أخرى من زوايا فضل هذه السورة، وقد جاء المعنى في صورة حوار بين الرجل، وبين الرسول ﷺ حين قال له (إني أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾) وقد أكده بأكثر من مؤكد لأن المحبة أمر قلبي لا تبدو شواهده بمجرد الإخبار عنه، والتعريف بالإشارة في قوله (هذه السورة) للتعظيم، وقول الرسول ﷺ (إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ) خبر أريد به فائدة مضمون الخبر مع الإشادة، والتعظيم لهذه السورة، والخبر مؤكد بعدة مؤكدات تمهيداً لنفسه لتقبل خبر يستبعده عنها لعظمته، أو لشدة تعلق نفسه به منها حرف التوكيد، واسمية الجملة، بالإضافة إلى أن صياغة الفعل في صورة الماضي دل على تحققه - رغم أن الرجل ما زال في الدنيا - على اعتبار ما سيكون أو على اعتبار أنه حكم له بأن يكون من أهل الجنة بمحبة تلك السورة.

---

(١) برقم (٢٩٠١) عن البخاري، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقال الحافظ ابن حجر في التغليق (٣١٦/٢): والذي اتفق في حديث عبيد الله بن عمر من تخريجنا له من طريق البخاري المعلّق له، حسنٌ جدا. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٥٣٧)، وابن حبان (الإحسان ٧٩٤)، وقال الحاكم (٢٤١/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٣).

(٢) برقم (٧٧٤م).

المضامين الدعوية[١]

أولاً : من موضوعات الدعوة: فضل حب سورة الإخلاص.

ثانيًا : من آداب الداعية : تبشير أهل الفضل بالثواب العظيم من الله تعالى.

ثالثًا : من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل حب سورة الإخلاص:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية في بيان فضل سورة الإخلاص، وفي الحديث بيان لجانب من جوانب هذا الفضل، فعن أنس ﵁ أن رجلاً قال يارسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) ، قال ابن علان أى لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتقديسه، وذلك يحمل كل ذي إيمان كامل على أن يستمد بقراءتها ما يكمل به إيمانه ويزيد إيقانه[٢] ، "قال: إن حبها أدخلك الجنة"، وذلك تبشير من النبي ﷺ له بالجنة[٣] ، وقد وردت أحاديث بقصص مشابهة كما ورد في هذا الحديث، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ أخبروه أن الله يحبه"[٤] ، قال ابن دقيق العيد ، يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده[٥] .

---

(١) هذه المضامين الدعوية خاصة بهذا الحديث -١٠١٤- وبالحديثين السابقين (١٠١٢، ١٠١٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٨.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٣٧٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٣٧٠/١٣.

ثانيًا - من آداب الداعية: تبشير أهل الفضل بالثواب العظيم من الله تعالى:

إن التبشير بالخير من الأمور المروحة للنفوس، المزيلة للهموم، فتشحذ منهم العزائم وتعلو منهم الهمم فيقبلون على الأعمال الطيبة وكان من أهم المرتكزات التي ترتكز عليها دعوة النبي ﷺ التبشير[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢]، وأمر به النبي ﷺ، كما جاء في قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ ابن جبل لما بعثهما على اليمن "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا"[٣] ولذا وجدنا في الحديث البشارة التي ساقها النبي ﷺ في الحديث للرجل الذي يحب سورة الإخلاص، قائلاً: "إن حبها أدخلك الجنة"، وفي ذلك تبشير من النبي ﷺ لهذا الصحابي الذي تمثل سورة الإخلاص فأحبها، فبين له النبي ﷺ أن هذا الحب وما أثر به من تدعيم إيمانه وتحسين عمله قد تسبب له في دخوله الجنة[٤] واستحقاقه لها.

لذا ينبغي على الداعية أن يفيد من التبشير في الدعوة إلى الله تعالى. فالتبشير منهج أصيل في الدعوة إلى الله تعالى، وقد انتهجه الله في كتابه في كثير من آياته، فقد وصف الله تعالى القرآن بأنه بشيرٌ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٥]، فهذا وصف للقرآن العظيم أنه يبشر من آمن بالجنة وينذر من كفر بالنار[٦]، يبشر الطيعين بالثواب وينذر المجرمين بالعقاب[٧].

وبهاتين الصفتين وقعت المشاركة بين القرآن الكريم وبين الأنبياء، قال تعالى في

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري، ٦١٢٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣، ٤.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/٥.

(٧) التفسير الكبير، الإمام الرازي، محمد بن عمر الرازي ٨٢/٢٧.

صفة الرسل: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١]، وقال في صفة إمام المرسلين والدعاة ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢]، فالموفق من الدعاة من ينتهج نهج القرآن في دعوته من تبشير وإنذار وغيرها كما أن المُوَّفق من المدعوين والدعاة أيضًا من يستحضر كلا الأمرين -التبشير والإنذار- ليفيد من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمعاطب وليُسرَّ ويستبشر بالبشارة فيزداد في فعل الخير[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد في الحديث أسلوب الترغيب، وذلك في بيان النبي ﷺ إن حب الإنسان وتعلقه بالقرآن الكريم سبب لدخول الجنة فأجاب الرجل الذي قال: "إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قائلاً : إن حبها أدخلك الجنة" وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية شأنًا وأشدها تأثيرًا فهو من أقوى المحفزات للإنسان على العمل الصالح، كما جاء في الحديث الترغيب بالجنة، "إن حبها أدخلك الجنة" والترغيب والتحفيز بالجنة باب واسع كبير يجد فيه الداعية مجالاً ثريًا، وميدانًا غزيرًا ليحث المدعوين على العمل والتحصيل والاستقامة، وليعزز سلوكهم فيما اتجهوا إليه من خير وبر، ويردعهم عن سلوكيات الإثم والشر[٤].

إن أسلوب الترغيب والترهيب أوفق الأساليب الدعوية الموافقة لطبيعة الإنسان وفطرته فإن "طبيعة الحياة أن يكون فيها الخير والشر وطبيعة البشر أن يكون منهم الأخيار والأشرار وإذا اصطرع الخير والشر امتلأت الحياة بالحركة والنشاط والعمل والأمل والسعادة والشقوة والتسابق والتنافس، وصراع الحياة واختلاف الطباع يوجب أن يكون للخير ثواب وللشر عقاب ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، محمد خير الشعال ص ٢٠.

(٤) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٦٣، ١٦٤.

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1]، وهذا عدل الله ولا يظلم ربك أحدًا والقرآن الكريم يوضح الطريق ويحكم العقل ويبرز النتيجة حتى إذا أقدم الإنسان على عمل كان أعلم بعاقبته وقد أعذر من أنذر وسبحان مَنْ يقول وقوله الحق ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[2]،[3].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٣) التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح ١٥٣/١، ١٥٤.

الحديث رقم (١٠١٥)

١٠١٥- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((ألَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: هو عقبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو الجُهَني الصحابي المشهور، هاجر إلى المدينة، وبايع رسول الله ﷺ، وأقام بالمدينة.

كان ممن جمع بين جمع القرآن وحسن تلاوته، فقد كان من أحسن الناس صوتًا، قال له عمر بن الخطاب أعرض عليّ. فقرأ، فبكى عمر.

وبالإضافة إلى ذلك جمع بين آداب اللغة والعلم في الشريعة والتفقه فيها، فقد كان عالمًا بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرًا كاتبًا.

كما أضاف إلى ذلك القوة الحربية، فقد كان من الرماة المشهورين.

وقد حصّل كل هذا وهو فقير، فقد كان يعيش مع أهل الصُّفَّة الفقراء لذا قال عنه قيس بن أبي حازم - أحد كبار التابعين-: كان من رفعاء أصحاب محمد ﷺ[2].

فلما كان عهد الراشدين شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح الشام ومصر، وهو الذي أرسله المسلمون بالشام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة ليبشره بفتح دمشق.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع معاوية بن أبي سفيان، وشهد معه صفين، وولاه معاوية على مصر سنة ٤٤هـ وجمع له الإمارة والصلاة وعزله عنها ٤٧هـ وولاه أمر الغزو في البحر.

---

(١) برقم (٢٦٤/٨١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٥-٨١٢).

وقد كان من الصحابة المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ وتوفي سنة ٥٨هـ في أواخر خلافة معاوية، ودفن بالمقطم[1].

الشرح الأدبي

أكد عقبة بن عامر رضي الله عنه الحديث عن رسول الله بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وتعظيماً لمن يحدث عنه، وبداية كلام الرسول ﷺ استفهام خرج عن حقيقة طلب الفهم إلى معنى التنبيه، والإشادة بفضل ما تلاه مع التشويق له في قوله: (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟) وتنكير الآيات للتعظيم، وجمعها على صيغة جمع القلة؛ لأنها آيات قليلة محصورة، وعدم ذكر الفاعل للفعل (أنزلت) للعلم به، وقوله (لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ) نفي يزيد التشويق للآيات، ولفظ (قط) لتوكيد النفي وقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ بيان، وإيضاح لما أبهم في لفظ آيات حقق الترقب للخبر بحيث تتلقفه الأسماع، وتعيه القلوب، وفيه إيجاز بالحذف على تقدير: السورة التي تبدأ بـ (قل أعوذ برب الفلق) والسورة التي تبدأ بـ (قل أعوذ برب الناس)، والحديث يشير إلى فضل السورتين، وتفردهما في موضوعهما وهو الاستعاذة على الوجه الوارد فيهما، والذي دل عليه نفي المثلية.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مفرقًا على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المعوذتين.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٤٣/٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥١/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٢٠، والسير (١٤٦٧/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٩٦/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٢٣/٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٤٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٣٤٦/٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠١٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠١٦).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أخذ النبي ﷺ بالمعوذتين للتعوذ من الجان وعين الإنسان.

رابعًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الأخذ بالمعوذتين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مفرقًا على النبي ﷺ:

جاء في الحديث الإشارة إلى نزول القرآن منجمًا حيث ذكر في الحديث الأول نزول المعوذتين "في قوله ﷺ: ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يرمثلهن قط قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"، وفي الحديث الآخر "حتى نزلت المعوذتان" فالقرآن لم ينزل جملة واحدة كالكتب السابقة وإنما نزل على النبي ﷺ مفرقًا على مدار ثلاثة وعشرين عامًا على المشهور من أقوال العلماء، ثلاثة عشر عامًا بمكة المكرمة وعشر سنوات بالمدينة المنورة[1]، أما كونه نزل مفرقًا فقد جاء التصريح بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلاً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَهُ تَرْتِيلاً﴾[3]، وأصبح من المعلوم بالضرورة من سيرة الرسول ﷺ من نزول القرآن عليه ﷺ مفرقًا من بعثته إلى وفاته ﷺ[4].

فقد ابتدأ نزول القرآن على النبي ﷺ في الليلة المباركة -ليلة القدر- من شهر رمضان واستمر ينزل منجمًا مفرقًا حسب الواقع والحوادث والأحوال على مدى ثلاثة وعشرين عامًا هي مدة الرسالة المحمدية تثبيتًا لفؤاد النبي ﷺ وتجددًا لنزول الوحي وتدرجًا في التربية والتكليف وتيسيرًا للحفظ والفهم والاستيعاب[5].

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م ص ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٤) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي ص٢٠٤.

(٥) فن الترتيل وعلومه، الشيخ أحمد بن محمد عبدالله الطويل ٢٤/١.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: فضل المعوذتين:

جاء في الحديثين بيان فضل المعوذتين وأثرهما في التعوذ، فقال ﷺ "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط" أى لم يبصر مثلهن فيما جاء من التعوذ[١]. "قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس" قال النووي: وفيه بيان عظم فضل هاتين السورتين[٢]، كما يتبين فضلهما في الحديث الآخر في عدوله ﷺ عن غيرهما إليهما في التعوذ. "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما"، وذلك لما تضمنتاه من الاستعاذة من كل مكروه[٣].

وقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما.

إذ أن مقصود السورتين الاستعاذة من الشرور ومن مخافة الليل الديجور[٤] ومن آفات الماكرين والحاسدين والاعتصام بحفظ الحق تعالى وحياطته والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان ومن تعدى الجن والإنسان[٥]، في ذلك بيان لفضل المعوذتين وحسن فائدتهما الدينية والدنيوية، وقد استعاذ بهما النبي ﷺ لما سحره لبيد بن الأعصم سحرًا أثر في جسده ولم يؤثر في مشاعره فذهب عنه ذلك بالكلية[٦].

قال ابن القيم: (وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أو الأرواح، والاستعاذ من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار،

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ١٢٠٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٩٢/٢.

(٤) الديجور: الظلام: أي الليل المظلم، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ديجر).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ٥٥٦/١، ٥٥٧.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن.

والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بجسدها ونظرها.

والسورة الثانية: تتضمت الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولها شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة[(١)]، وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة، وقال: ما تعوذ المتعوذون بمثلهما [(٢)]، وقد ذكر أنه ﷺ سحر في إحدى عشرة عُقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وكأنما أنشط من عقال)[(٣)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أخذ النبي ﷺ بالمعوذتين للتعوذ من الجان وعين الإنسان:

جاء التصريح بذلك في الحديث "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما" أى ترك ما سواهما من التعويذات وذلك لاشتمالهما على الجوامع في المستعاذ به والمستعاذ منه، أما الأول "المستعاذ به" فلأن الافتتاح برب الفلق مؤذن بطلب فيض رباني يزيل كل ظلمة في الاعتقاد أو العمل أو الحال، لأن الفلق الصبح وهو وقت فيضان الأنوار ونزول البركات وقسم الأرزاق وذلك مناسب للمستعاذ منه، فقال (قل أعوذ برب الفلق) وقوله (قل أعوذ برب الناس) كأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بمن رباهم بنعمه ومَلَكَهم

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٠٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٤٤/٤، رقم ٧٢٩٩ بلفظ: ((انزلت علي سورتان، فتعوذوا بهن، فإنه لم يتعوذ بمثلهن))، يعني: المعوذتين،. وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٥٣١/٢٨ - ٥٣٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٨١/٤ - ١٨٢.

بقهره وقوته، وجمعتا ما يستعاذ منه من شر كل مخلوق حى أو جماد فيه سر في البدن أو المال أو الدنيا أو الدين[١].

رابعًا - من آداب المدعو: التأس بالنبي ﷺ في الأخذ بالمعوذتين:

من آداب المدعو التأسي برسول الله ﷺ في أحواله وشئونه كلها ومنها تعوذه ﷺ بالمعوذتين وكما في الحديث "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما" ووردت الأحاديث الكثيرة التي تبين تعوذه ﷺ بهما ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ((النبيَّ ﷺ كان يَنْفِثُ على نفسه في المرَضِ الذي مات فيه بالمعوذات "سورة الفلق، والناس، والإخلاص"، فلما ثقلَ كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ، وأمسحُ بيده نفسهِ لبَرَكتها))[٢]، وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية ولاسيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً[٣]، وفي تأس المدعو بتعويذات رسول الله ﷺ الفضل الكبير، فضلاً عما فيها من الإعراض عن الرقى المنهي عنها والاستعانة بالجان وغير ذلك.

لقد بين لنا الإسلام مكامن الخطر وحذرنا منها، وبين لنا الأدواء للوقاية منها كما جاء في سن قراءة المعوذتين وقاية من كل شر سواء كان من الجن والإنس، فقد يسأل الإنسان نفسه مثلاً فيقول كيف أحارب الشيطان وبأي وسيلة أقهره وأدفع أذاه؟ فبين رسول الله ﷺ أن الاستعاذة بالله هى الطريق السليم للوقاية من الشرور والملمات، وقراءة المعوذتين أحد الوسائل المشروعة للوقاية من شرور الجنَّة والناس والحيلولة دون تأثير الحسد والعين وما شاكلهما[٤].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٩، ١٢١٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٧٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٢٠٦.

(٤) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٥٨١.

لذا ينبغي على الإنسان أن يتعوذ من تلك الشرور وأن يكثر من التعوذات والرقي كقراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي[١]، وقد ورد عن الرسول ﷺ تعوذات منها ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة))[٢].

إلى غير ذلك من التعوذات.

---

(١) انظر: الطب النبوي، ابن القيم ص ١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري، ١١٩.

الحديث رقم (١٠١٦)

١٠١٦- وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

عين الإنسان: نظرة الإنسان إلى الغير بالحسد فيمرض بسببها فيقال: أصابه بالعين[2].

المعوذتان: أي: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ) يشير إلى أنها كانت عادته في التعوذ من الجن، والعين، قبل نزول المعوذتين، وقوله (يتعوذ) أي يطلب العوذ من الله، والفعل المضارع الدال على التجدد يصور تكرار الفعل وتجدده، وقوله (حتى نزلت المعوذتان) حتى لبيان الغاية التي انتهى عندها هذا الشكل من التعوذ، ونسبة النزول للمعوذتين من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في النزول في إشارة إلى أهميتهما، وتأثيرهما كأنهما يتحركان بذواتيهما، وقوله (فلما نزلتا) توكيد لنزولهما وهي جملة شرطية جوابها قوله (أخذ بهما) في الرقية وقوله (وترك ما سواهما) طابق بي الأخذ ن والترك لتأكيد الأخذ بالمعوذتين مما يدل على أفضليتهما وهو يشير إلى ما كان يتعوذ به قبل نزولهما.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (٢٠٥٨) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ي ت).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٩٢/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠١٧)

١٠١٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مِنَ القُرآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ[١] لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن).

وفي رواية أَبي داود: ((تَشْفَعُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شفعت: من الشفاعة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وتكون الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[٣].

الشرح الأدبي

تقديم الجار والمجرور للاختصاص ومن للتبعيض، وتنكير سورة للتعظيم أي سورة عظيمة، وقوله (ثلاثون آية) فيه إيجاز بالحذف أي تتكون، أو عدد آيتها ثلاثون آية، والتعبير بالماضي (شفعت) يفيد التحقق، ونسبة الشفاعة إلى السورة من نسبة الشيء إلى سببه على سبيل المجاز الذي يصورها في صورة المتحرك المدافع عن شفيعه، وهو ما يجعل الصورة أعظم أثراً على السامع، وتحقق الشفاعة يحتمل أن يكون بمعنى المضي في الخبر يعني كان رجل يقرؤها، ويعظم قدرها فلما مات شفعت له حتى دفعت عنه عذابه، ويحتمل أن يكون على المجاز باعتبار ما سيكون بمعنى المستقبل أي تشفع لمن

---

(١) هذا لفظ الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٠٠) واللفظ له، والترمذي (٢٨٩١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨٧)، وقال الحاكم (١/٥٦٥): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

يقرؤها في القبر، أو يوم القيامة، وإعادة الضمير لتمييز المشار إليه أكمل تمييز مع ما فيها من المدح، والإشادة بفضل هذه السورة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سورة تبارك.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على قراءة وتدبر القرآن والمواظبة على قراءة سورة تبارك.

ثالثًا: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سورة تبارك:

وردت الإشارة في الحديث إلى ما حازته سورة تبارك "الملك" من فضائل وميزات، فقال ﷺ "من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: "تبارك الذي بيده الملك" وذلك من دلائل شرفها وفخامتها، قال ابن علان (وإنما خصت سورة تبارك بذلك لافتتاحها بخلق الحياة، وختمها بالماء الذي هو سبب الحياة، فأنتجت الشفاعة التي هي سبب الحياة الكاملة للمشفوع له، وأيضًا افتتاحها بعظائم عظمته سبحانه ثم بباهر قدرته وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم وماله عليهم من النعيم، ثم ختمها بما اختصها به من بين سائر السور وهو الإنعام بالماء المعين الذي هو سبب الحياة المناسب لذلك كله. ثم المعافاة عن سوء القطيعة بتشفيع هذه السورة في قارئها وجعلها مانعة عنه منجية له)[١].

وقال الفيروز آبادي: (معظم مقاصد السورة: بيان استحقاق الله الملك وخلق الحياة والموت للابتلاء وبيان المحسن من المسيء والنظر إلى السماوات للعبرة واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أُعد للمنكرين من العذاب والعقوبة، وما وعد به المتقون من الثواب والكرامة وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة وحفظ الطيور في الهواء بكمال القدرة واتصال الرزق إلى الخليقة بالنوال والمنة وبيان حال أهل الضلالة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٠.

والهداية، وتعجُّل الكفار بمجيء القيامة وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[١]، [٢].

كما أن سورة الملك تشمل كأخواتها المكيات على إثبات وجود الله وبيان مظاهر قدرته وعلمه وقد تعرضت لما يلاقيه الناس يوم القيامة، والسورة على العموم تدور حول بيان النعم[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الحرص على قراءة وتدبر القرآن والمواظبة على قراءة سورة تبارك:

من الآداب الواجب مراعاتها في قراءة القرآن تدبر معانيه فليست العبرة في التلاوة أن يقرأ القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يقرأ[٤]، وقد ندد الله تعالى بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٥]، [٦]، وآيات القرآن التي تحث على تدبر القرآن والتفكر في معانيه جمة منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٧]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٨]، خاصة السور التي وردت الآثار في بيان فضلها وعظيم عطاياها، كالشفاعة جزاءً لقراءة سورة تبارك كما جاء في الحديث (من

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/٤٧٣، ٤٧٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢٩/٦٩.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٩٤.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٦) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن، مختار شاكر كمال ص ٤١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٢.

(٨) سورة يونس، الآية: ٢٤.

القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: "تبارك الذي بيده الملك") فإثبات الشفاعة للقرآن صحيح لا معدل عنه[١].

وهذا يدل على فضل سورة "الملك"، والحث على قراءتها وعظم الثواب على ذلك، وإثبات الشفاعة للقرآن يوم القيامة، ولا شك أن تاثيرها إنما يكمل لمن تأثر بها وعمل بما فيها واستفاد منها[٢].

لذا ينبغي على المسلم إذا أراد أن يجني ثمرة قراءته للقرآن الكريم أن يتدبر معانيه وأن يعمل بما فيه، "أما الذي يسمع أذنه ولا يسمع عقله أو تنظر عينه، ولا يبصر قلبه، أو يلغو لسانه ولا يعي فكره فهو أصم أبكم أعمى، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٣]، ففي الآية إشارة واضحة إلى أن سماع القرآن أو تلاوته ليس هدفًا بذاته بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا تمامًا كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا إذ يبقى المطفف مطففًا، ويبقى الكاذب كاذبًا، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عادة.

ولقد ذم الله المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا يبصرون، ولأنهم لا يغيرون أهواءهم وأخطاءهم[٤].

في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[٥]، (قال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن)[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٠

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٤) يعلمهم الكتاب-التعامل مع القرآن، محمد خير الشعال ص ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ٢/ ٤٨٠.

ثالثًا - من واجبات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم الواجبات التي يجب أن يضطلع الداعية بها هو البيان والتوضيح، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، ومن ذلك بيان وتوضيح للفضائل التي وردت لبعض سور وآيات القرآن الكريم شحذًا لهممهم وترغيبًا في إقبالهم على القرآن تلاوةً وتدبرًا وتأثرًا وعملاً، فإن من جعل القرآن شغله الشاغل وهمه الدائب واتخذ منه الصاحب والمأنس والملجأ فلن يتخلى عنه القرآن[2].

ومن بين فضائل سور القرآن ما ورد في الحديث من شفاعة سورة تبارك في قوله ﷺ: من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك" وذلك فضلاً عن شفاعة القرآن جملة . فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصيَامُ: أَيْ رَب إِني مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفعْنِي فِيهِ، يَقُولُ الْقُرآنُ: رَب مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ))[3].

لذا ينبغي على الداعية أن يولي البيان والتبيين اهتمامًا خاصًا بأن تكون دعوته بينه واضحة لا يتأتى فيها غموض ولا يتطرق إليها تعقيد، وله المثل الأكبر في القرآن في بيان آياته ووضوح أحكامه.

ففي القرآن الهدى والشفاء، وفيه البيان البين الواضح الجلي، جلي المعاني قوي المباني لا لبس فيه ولا خفاء ولا غموض في القرآن بيان لكل ما يحتاجه بنو الإنسان، في حياتهم الاجتماعية، بأروع عبارة وأجمل أسلوب.

وفي القرآن بيان كل شيء من البداية إلى النهاية، حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٨٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، ٣٨٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٨٠٤.

وأهل النار في جحيمهم[١]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[٣].

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن، الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، من مطبوعات جامعة الإمام محمد الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ص ١٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

الحديث رقم (١٠١٨)

١٠١٨- وعن أَبي مسعودٍ البَدْرِيِّ ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَرأَ بالآيَتَيْنِ مِنْ آخر سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

كَفَتَاه: وقتْه كل منهما، فقيل: كفتاه المكروه تلك الليلة. وقيل: كفتاه من قيام الليل[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول فضل الآيتين الأخيرتين من سور البقرة، وينص على تسمية السورة بالبقرة، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري هاديء يناسب أسلوب الترغيب في خطاب النفس بما يدفع عنها الضر، ويحقق الأمن الذي تتمناه، وقد تصدرها الاسم الموصول (من) الذي ينادي بكل عاقل ليتنبه لما بعده، والفعل الماضي يشير إلى أن الذي يستحق الجزاء هو من حقق الفعل والظرف (في ليلة) يحدد توقيت الحدث، ومدى تأثيره، وتنكير ليلة يفيد تعميماً يدخل فيه أي ليلة، وقوله (كفتاه) أَيْ أَغْنَتَاهُ مِنْ قِيَام اللَّيْل، أو أنه َ أَرَادَ أَنَّهَا أَقَلّ مَا يُجْزِئ مِنْ الْقِرَاءَة فِي قِيَام اللَّيْل، أَوْ تَكْفِيَاهُ الشَّرّ، وَتَقِيَاهُ مِنْ الْمَكْرُوه، والحديث إلى عظمة أثر الآيتين؛ لأنهما يحققان الكفاية، والأمان، ويجددان الإيمان بما حملا من معان، ودلالات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل قراءة آخر آيتين من سورة البقرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٩) واللفظ له، ومسلم (٨٠٨/٢٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٥٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٩١.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل قراءة آخر آيتين من سورة البقرة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لفضل آخر آيتين من سورة البقرة، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".

قال القاضي عياض: (محتمل أن يريد كفتاه من قيام الليل، أو من أن يكون ممن توسد القرآن، أو من أذى الشياطين، أو بما حصل له بقراءتهما من الأجر لأنهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله تعالى والدعاء بخير الدنيا والآخرة)[1].

وقيل: (كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجعوهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم)[2].

قال النووي: (في قوله كفتاه: قيل معناه: كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من الآفات، ويحتمل من الجميع)[3]، وقال ابن علان: (وقيل كفتاه من الكفاية بمعنى الإجزاء أى أجزأتاه عن بقية الأذكار، ويحتمل - وهو الظاهر- أنهما كفتاه عن تجديد الإيمان لأنه من تأمل أولاهما أدنى تأمل حصل له من الرسوخ في الإيمان والإيقان مقام خطير وحظ كبير لاشتمالهما على غاية التفويض والتسليم لأقضيه الله وأوامره ونواهيه)[4].

وورد أيضًا في فضلهما ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جبريل قاعد

---

(١) إكمال المعلم، ٣/١٧٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ٣٢٢٤، وفتح الملهم، الشيخ شبير العثماني، ٥/١٨٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٩.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١١.

عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك "فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة"، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[1].

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

إن الإنسان بطبيعته مجبول على حب ما ينفعه وتقر به عينه وتطمئن به نفسه ويجلب لها الخير، لذا كان لأسلوب الترغيب أهمية لا تنكر في الدعوة إلى الله تعالى، مما يجعل الطريق ممهدة، والسبل ميسرة أمام الدعاة إلى الله في تبليغ دعوتهم إلى الناس وجذبهم إليها.

وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة بالكفاية والوقاية من الشرور والآفات، فقال ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا في نفوس المدعوين وذلك لما فطرت عليه النفوس الإنسانية من الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة أو ربحًا أو شيئًا مما تحبه، وسياسة الترغيب هي أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بها في الدعوة إلى الله تعالى[2]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3].

ثالثًا – من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

إن في بيان رسول الله ﷺ لفضل الآيتين من آخر سورة البقرة والحث على قراءتهما مثلاً حيًا وأنموذجًا تطبيقيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من حرص بالغ على نفع المدعوين وإيصال الخير إليهم، وذلك من تمام أداء الداعية لرسالته وذلك واجب تكفل الله تعالى به، هكذا تكون صفات الدعاة وهكذا تُحمَل الدعوة الإسلامية

---

(١) أخرجه مسلم، ٨٠٦.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٦٣٢- ٦٣٥.

(٣) سورة النحل، الآية : ١٢٥.

كى تحقق نهضة فكرية صحيحة، ولكي تنهض بالمدعوين، بل بالعالم كله، ولكى تخلصه مما هو فيه[١].

إن هدف الداعية هو حب الخير للمدعوين، إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للغير والحرص على تحقيق المصلحة له وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ونرى هذا الحرص أيضًا في قول صاحب عيسى عليه السلام الذي حكاه لنا القرآن: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[٣]، وهذا من حرص الداعية الرشيد على الخير لمن يدعوهم حتى بعد موته أنه يتمنى لو يعلم قومه ما هو فيه من الكرامة والنعيم لعلهم يؤمنون فيظفروا بما ظفر به[٤].

هذا الحرص هو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ عز وجل مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[٥].

وذلك عندما هاجر إل الطائف وآذاه أهلها ورجع ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وبعث الله إليه جبريل يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين، والأخشبان هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان[٦].

إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم يجعل القلوب تلتف حوله وتقبل على دعوته ويؤلف القلوب ويجمع شتاتها ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية[٧].

---

(١) انظر: صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة، سميح عاطف الزين ص ٢١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) أسس الدعوة وأدب الدعاة، د. محمد الوكيل ص ١٢٢.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٠٢، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٣٧/٣.

(٦) الرحيق المختوم، المباركفوري، ص١٥٩.

(٧) النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٦١، ٦٢.

الحديث رقم (١٠١٩)

١٠١٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: **((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ))** رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينفر: يفرّ ويذهب[٢].

الشرح الأدبي

والنهي في الحديث بغرض التنفير تصدر الكلام في السياق عناية به (لا تجعلوا بيوتكم مقابر) وعبر بالفعل جعل الذي يفيد معنى الصيرورة إشارة إلى استعداد البيوت لما يصنع بها تسخيراً من الله لها للإنسان ثم أتبعها بجملة تعليلية مؤكدة بإن تأكيداً على أن قراءة سورة البقرة تطرد الشيطان، وفيه إشارة لفضل قراءة القرآن وسورة البقرة بالذات، ولما كانت الصلاة تحرم في المقابر فلا يصلى فيها شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبور وهي صورة منفرة وفيها إشارة إلى أن أهل البيت كالأموات فقد شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت فيه من العبادة وهو بذلك يوحي للنفوس ويبث في الوجدان بتشبيه البيوت التي لا يقرا فيها القرآن بالقبور - مشاعر الانقباض والخوف والوجل وهذا التشبيه المؤكد المجمل يحمل معنى التقبيح والتنفير من البيوت التي على تلك الصفة ومعنى التوبيخ والتقصير لمن يسكنها، والغرض الذي يرمي إليه النبي ﷺ من إثارة هذه المشاعر من الانقباض والخوف والوجل للتقبيح والتنفير هو

---

(١) برقم (٢١٢/٧٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٥٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٢١١.

الترغيب في الصلاة وقراءة القرآن في البيوت لتفارق القبور وتصير كالقصور مليئة بالأنس بذكر الله تحفها وأهلها الملائكة والرضوان من الله، وأسلوب الرسول ﷺ وسحر بيانه يجوس في حنايا النفوس لينتقل في مسالكها انتقالاً خفياً من شعور إلى شعور - ليقرر - بعد أن يثير مجموعة من المشاعر المتقاربة التي تعمل في اتجاه واحد يقرر ضرورة الذكر والصلاة في البيوت ويثير الرغبة فيها لدفع مشاعر الانقباض. التي أثارها بأسلوب النهي (لا تجعلوا بيوتكم مقابر).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة البقرة في البيوت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من ميادين الدعوة: البيوت.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

من أساليب الدعوة البارزة أسلوب النهي، وقد جاء واضحًا في الحديث في قوله ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر"، وفي ذلك النهي عن ترك إعمار البيوت بقراءة القرآن خاصة سورة البقرة، فقال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر" أي "لا تجعلوا من بيوتكم كالمقابر في عدم اشتغال مَنْ فيها من الموتى بنحو الذكر والقراءة وألوان العبادة، ولا تكونوا كالموتى في ذلك"[1].

وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المجدية لما فيه من بيان لمواطن الخطر وموارد التهلكة والتحذير منها.

وما أكثر ورود أسلوب النهي في القرآن والسنة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة البقرة في البيوت:

جاء في صريح الحديث فضل قراءة سورة البقرة في البيوت وذلك بتعميرها ونفرة الشيطان منها ويأسه من إغواء أهلها وإضلالهم ، فقال ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر"، قال الطيبي: (أي لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله وعبادته، لأنها غير صالحة لها)[1]، "إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". قال ابن علان: (لأنه ليس في سورة من القرآن ما في سورة البقرة من تفصيل الأحكام والحِكَم وضرب الأمثال وإقامة الحجج والبراهين، وبيان الشرائع والقصص والمواعظ والوقائع الغريبة والمعجزات العجيبة، وذكر خاصة أوليائه والمصطفين من عباده، وتفضح الشيطان ولعنه وكشف ما توسل به إلى التسويل لآدم وذريته، ومن ثمَّ قيل فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر)[2]. إضافة إلى ما في قراءة سورة البقرة من بركة ووقاية من السحر وشفاعتها لقارئها يوم القيامة[3]، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقْرَأُوا الْقُرآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: -أي المنيرتان-[4] الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[5] أي السحرة[6].

قال الطيبي: (أمر النبي ﷺ بقراءة القرآن ثم أمر بقراءة البقرة وآل عمران، وهذا تخصيص بعد تعميم، فخص الزهراوين -البقرة وآل عمران- وأناط بهما التخليص من

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٣٦٤/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٢.

(٣) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة ، د. سعيد القحطاني ص ٢٩-٣٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، في (ز هـ ر).

(٥) أخرجه مسلم ٨٠٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٩.

حر يوم القيامة بالمحاجة، وأفرد ثالثًا البقرة وأناط بها أمور ثلاثة)[١]. وهي:

أ-"فإن أخذها بركة": أي في المواظبة على تلاوتها والتدبر في معانيها والعمل بما فيها: منفعة عظيمة.

ب- "وتركها حسرة" أي ندامة يوم القيامة.

ج-"ولا يستطيعها البطلة" أي لا يقدر على تحصيلها أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وفسرها معاوية الراوي بـ "السحرة" لأن ما يأتون به باطل سماهم باسم فعلهم الباطل أي لا يؤهلون بذلك ولا يوفقون له، ويمكن أن يقال معناه: لا تقدر على إبطالها أي على صاحبها السحرة لقوله تعالى فيها: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]،[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا، حيث رغب النبي ﷺ بإعمار البيوت بذكر الله تعالى وخاصة سورة البقرة فإن ذلك سببًا لإحلال البركة فيها وإبعاد الشيطان عنها ويأسه من إغواء أهلها وإضلالهم، فقال ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". فإن الترغيب من الأساليب الحكيمة التي تؤثر في قلوب المدعوين وسرعتها لقبول الحق[٤].

ولقد كان رسول الله ﷺ يولي الترغيب رعاية خاصة فكان الترغيب، يغلب على دعوته ﷺ فكانت تحركاته ﷺ ومجالسه عامتها مجالس تذكير وترغيب وترهيب إما بتلاوة قرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين. كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكّر ويعظ، وأن يدعو إلى سبيل ربه

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢٨٦/٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١٨٤/٥، ١٨٥.

(٤) التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم بن عبدالله المطلق، ص ٩١.

بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[(١)].

والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس توجب رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة[(٢)].

رابعًا- من ميادين الدعوة: البيوت:

جاء في الحديث ذكر البيوت كميدان من ميادين الدعوة التي لا ينبغي إغفالها بأى حال من الأحوال فقال ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر" وأولى البيوت بالدعوة أن يدعو أهل بيته ويبين لهم الحقائق يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(٣)]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[(٤)]. فالمسلم الواجب عليه أولاً أن يصلح نفسه ويقي نفسه شر النار وغضب الجبار، ثم يتجه ثانية إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين الحنيف ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم، والفضائل الإسلامية العليا بهذا يكون وقى أهله من النار، فلست مطالبًا بنفسك فقط، لا، بل عليك نفسك ثم أهلك وأسرتك، ثم إن أردت زيادة في الخير فادع إلى الله واعمل في محيط إخوانك ومعارفك وأصدقائك على نشر أدب الإسلام وتعاليمه[(٥)].

ثم بعد ذلك دعوة الناس في جميع الأماكن من الأحيان ومن ذلك دعوتهم في منازلهم، ولقد ثبت قيام النبي ﷺ بدعوة الناس في منازلهم، وقد كان ذلك بالذهاب إلى منازلهم منزلاً منزلاً، كما كان يجمعهم في بيت أحدهم ثم يقوم بتوجيههم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) لطائف المعارف، الإمام ابن رجب الحنبلي ص ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢٨/٦٤.

ودعوتهم، ومن الشواهد لذلك دعوته ﷺ في دار الأرقم رضي الله عنه فكان يقوم فيه بتعليم المسلمين أمور دينهم ودعوة غيرهم ممن وفد عليه هناك للإسلام[1]، وكذلك دعوته للناس في منازلهم بمنى، كما جاء في مسند الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد الديلمي، قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: "يا أيها الناس إن الله عز وجل يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، قال ووراءه رجل يقول هذا يأمركم أن تدعوا دين آبائكم، فسألت من هذا الرجل ؟ فقيل هذا أبو لهب"[2].

---

(١) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٥٥-٢٥٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٤٩٢/٣، رقم ١٦٠٢٤، وقال محققو المسند حديث صحيح ٤٠٦/٢٥.

الحديث رقم (١٠٢٠)

١٠٢٠- وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أعْظَمُ؟)) قُلْتُ[1]: ﴿اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وقال: (([2] لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبَا الْمُنْذِرِ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

غريب الألفاظ:

ليهنك العلم: من هناني الطعام يهنيني ويهنأني وهنأت به، أي: تهنأت به. أي: جاءني من غير مشقة ولا تعب. والقصد الدعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه. وحقيقته الإخبار عن طريق الكناية بأنه راسخ في العلم لإجابته بما هو الحق عند الله تعالى[4].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ لأبي المنذر بكنيته تكريم له، وقوله (أَتَدْري أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أعْظَمُ؟) استفهام اختبار بمعنى أخبرني، وفيه تشويق، والتعبير بالكتاب إشارة إلى الثبات واللزوم الذي هو حاصل المكتوب، و (ال) في الكتاب للعهد أي الكتاب المعهود، وهو القرآن، وإضافته لله بيان، وتشريف، والظرف مع، وإضافته لكاف الخطاب، فيه إشادة بأبي المنذر رضي الله عنه وتقرير لحفظه، وأفعل التفضيل (أعظم) تشير إلى تصدرها لغيرها مما يوجب العناية، وكثرة التلاوة، وقوله (فَضَرَبَ فِي صَدْرِي) كناية عن الرضا، والسرور عن إصابته في إجابته له، وتوفيق الله له مع ما تعكسه من مودة

---

(١) عند مسلم زيادة: (قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال).

(٢) عند مسلم زيادة: (والله).

(٣) برقم (٨١٠/٢٥٨)، والسياق للحميدي في جمعه (٤١١/١، رقم ٦٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧١).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٢.

بينهما، وقوله (لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ) كناية عن سعة علمه، ورسوخه، ورجاحة عقله، والعبارة معناها ليكن العلم هنيئاً لك يا أبا المنذر، والتعبير بالهناء يشير إلى خير في يسر، وكل أمر أتاك من غير تعب فهو هنيء وهذا دعاء له بتيسير العلم، ورسوخه فيه، وفيه الإخبار بكونه عالماً، وهو المقصود، وفيه إشادة بأبي المنذر، وعلمه رضي الله عنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وعظمة آية الكرسي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابي أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه.

خامسًا: من آداب الداعية: مدح المدعو والإشادة بفضله عند أمن فتنته وغروره.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر" وهو من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من إشعار المدعو بالخصوصية ورفع المنزلة عند الداعية مما يكون له الأثر الإيجابي في الاستجابة للدعوة والإقبال على الداعي.

فالأصل في النداء، طلب الإقبال إلا أنه قد يحمل معان أخرى تستفاد من القرائن، فقد ينزل البعيد منزله القريب فينادى بالهمزة وأي: إشارة إلى قربة من القلب وحضوره من الذهن، وقد ينزل القريب منزله البعيد فينادي بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته أو انحناء منزلته أو غفلته وشرود ذهنه[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد استخدام السؤال والجواب في الحديث وذلك في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم؟" وجواب أبي بقوله: "قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ولهذا الأسلوب قيمة تأثيرية عظيمة، إذ أنه يجعل المدعو في حالة

---

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم ص ٢٥٤.

استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة الأسئلة المطروحة وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيقه إرشاداتها في السلوك فيجب على حامل الرسالة من الدعاة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[١].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والاستفهام بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك[٢].

والنصوص التي اشتملت على الأسئلة التي طرحها النبي ﷺ على أصحابه بغرض التحريض على الفهم والمعرفة كثيرة، منها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإِنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللّهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلةُ، فاسْتَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يا رسولَ اللّه. قال: هيَ النَّخْلة»[٣]. إن رسول الله ﷺ من خلال طرحه لمثل هذا السؤال يريد من خلال طرحه شحذ الأذهان وتطلعها إلى الجواب الصحيح[٤].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: فضل وعظمة آية الكرسي:

إن آية الكرسي لها شأن عظيم وفضل كبير[٥]، ومن أوجه فضل آية الكرسي وألوان عظمتها ما جاء في صريح الحديث من كونها أعظم آية من كتاب الله تعالى، فعن أبي كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) فهذه الآية سيدة آي القرآن

(١) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن أحمد حسن حبنكة الميداني ص ٥٨-٦٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٣.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧٢/١.

وأعظمها، وقد جعل الله ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً، فأما في العاجل فهي حارسة لمن قرأها من الشياطين والآفات[١]، جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان... وذكر قصة وفيها- فقلت يارسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم مَنْ تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال لا، قال ذاك شيطان[٢]، وإنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية وذلك - كما قال العلماء- لما جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات[٣].

وفي فتح الملهم: (قيل وإنما كان آية الكرسي أعظم آية لاحتوائها واشتمالها على بيان توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلي، وكل ما كان من الأذكار في تلك المعاني أبلغ كان في باب التدبر والتقرب به إلى الله أجل وأعظم[٤].

إن القرآن كنز عظيم بعضه أثمن من بعض وكله كريم عظيم نافع ومن جواهره الغالية آية الكرسي ففضلها كبير ونفعها عظيم[٥].

فآية الكرسي مشتملة على عشر صفات من صفات الله عز وجل: "الله لا إله إلا هو

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، الإمام القرطبي ٢/٣/٢٦٨-٢٦٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٣١١

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٤) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٥/١٩١.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٦.

الحي القيوم" ففي هذا إخلاص التوحيد لله عز وجل، ومعنى "لا إله إلا هو" أي: لا معبود حق إلا هو- جل وعلا فجميع المعبودات من دون الله معبودة بغير حق -حتى ولو سميت آلهة- فإنما هي أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان "الحي القيوم" يعني: الكامل في حياته وفي قيوميته، فهو الحي الكامل في حياته لم يسبق حياته عدم ولا يلحقها فناء، لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[1]، قال بعض السلف: ينبغي لمن قرأ هذه الآية "كل من عليها فان" ألا يقف بل يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، لأجل أن يتبين في ذلك نقص المخلوقات وكمال الخالق- جل وعلا-فهو سبحانه تعالى: الحي الكامل في حياته، كذلك حياته لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وحياة غيره كلها نقص انظر حياتك أنت : إن جئت بالسمع فسمعك ناقص، لا تسمع كل شيء، البصر كذلك، الصحة كذلك، وما أكثر الأمراض التي تصيب الناس وهكذا بقية أسباب الحياة ناقصة أما الرب عز وجل، فهو كامل الحياة "القيوم" معناها القائم بنفسه القائم على غيره، يعني معنى القائم بنفسه لا يحتاج لغيره ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3]، فهو غني، وفي الحديث القدسي أنه قال جل وعلا: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»[4]. فهو قائم بنفسه لا يحتاج لأحد، قائم على غيره: كل ما سواه فإن القائم عليه هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[5]، يعني: كمن لا يملك شيئًا والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل؛ إذا "القيوم" له معنيان:

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) أخرجه مسلم، ٥٥.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

القائم بنفسه، والقائم على غيره. "لا تأخذه سنة ولا نوم" السنة هي: النعاس والنعاس هو مقدمة النوم، والنوم معروف، فالله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم، والإنسان تأخذه السنة ويأخذه النوم اختار أم لم يختر، أحيانًا ينام الإنسان وهو يصلي، ينعس وهو يكلم الناس، لكن الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»[1]. يعني مستحيل غاية الاستحالة أن ينام عز وجل، لأنه كامل الحياة كامل القيومية، مَنْ يقوم على الخلق لو نام الخالق؟ لا أحد فهو جل وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم. والله أعلم[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه:

من المشهود لهم بالفضل وحفظ القرآن وكثرة العلم، الصحابي الجليل أُبيٌّ بن كعب رضي الله عنه، وهذا الحديث فيه منقبة له ودليل على فضله، قال النووي: قوله ﷺ لأبي بن كعب: "ليهنك العلم أبا المنذر" فيه منقبة عظيمة لأبي، ودليل على كثرة علمه[3] وقوله: "أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم" إشارة إلى أنه رضي الله عنه ممن حفظ جميع القرآن في زمنه ﷺ[4]، كما أن في قوله: "فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر" سرور رسول الله ﷺ كما أن فيه تنشيط الداعية والمعلم لمن يعلمه إذا رآه أصاب وتنويهه به وسروره بما أدركه من ذلك[5]، ومن فضائل أبي بن كعب التي لم يشاركه فيها غيره ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب ﷺ "إن الله ﷺ أمرني أن أقرأ عليك: (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني لك؟ قال نعم فبكى"[6]. وحق له رضي الله عنه أن يبكي فرحًا بهذا المقام الرفيع،

---

(١) أخرجه مسلم، ١٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين،١٢٥٦/٢، ١٢٥٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٢.

(٥) إكمال المعلم، القاضي عياض،١٧٨/٣.

(٦) أخرجه البخاري، ٣٨٠٩، ومسلم، ٧٩٩.

فالله يأمر الرسول ﷺ أن يقرأ عليه القرآن[١]، فلم لا يفرح وقد ذكر الله اسمه فوق سبع سماوات وأمر النبي ﷺ أن يستمع إلى قراءته كذلك من فضائله المشهورة أَمْرُ النبي ﷺ صحابته بأخذ القرآن عنه، فقال ﷺ: «استقرئُوا القُرآن مِن أربعةٍ: مِنْ عبد اللهِ بن مسعودٍ، وسالمٍ مَوْلى أبي حذيفة، وأُبي بنِ كعْبٍ، ومُعاذِ بنِ جبلٍ»[٢].
وكان عمر رضي الله عنه يسميه سيد المسلمين[٣].

لقد كان أبو المنذر أبيُّ بن كعب رضي الله عنه ذا فضل عظيم أحب النبي ﷺ حبًا يفوق التصور وعكف على اقتطاف ثمار الشمائل الكريمة من الرسول المعلم ﷺ ليغذي روحه من أنوارها، ويكون ممن تعلموا وعلموا، فإذا هو في واد خصيب وإذا هو تلميذ من تلامذة مدرسة النبوة نجيب، صرف رأس مال عمره وحياته في تحصيل العلم من شجرة النبوة الزكية المسقية بماء الوحي والمندَّاة الندية، فحفظ عن النبي ﷺ علمًا عمل وفق مراده، فكان من قدوة علماء الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم أجمعين.

لزم أبيُّ بن كعب رضي الله عنه المجالس النبوية السنية وأخذ يقتبس من سناها ويستفيد من كل ما يسمع منها وكان رضي الله عنه ممن تعلم الكتابة قبيل الإسلام[٤].

كانت حياة أبي بن كعب عليه سحائب الرضوان حياة علم وعبادة، وعمل وخير، وبركة وفضل، قضى شطرًا من حياته مع القرآن العظيم ينعم بأحكامه، ومع أحاديث النبي ﷺ، ومع العبادة والعلم، والتعليم.

قال أبو العالية : (كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه، ترك العبادة، وجلس للعلم)[٥].

جلس أبيٌّ رضي الله عنه للإقراء، وأخذ عنه القراءة عدد من أعيان العلماء، ومنهم:

---

(١) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، الشيخ يوسف بن عبدالله الخاطر ص ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٨٥٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص٣١.

(٤) انظر: مختصر تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ١٩٨/٤.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٠٣/٤.

عبدالله بن عباس، وأبو هريرة، وعبدالله بن السائب، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو العالية[١]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجل أبيًا ويتأدب معه، ويتحاكم إليه؛ ولعمر أخبار سارة نافعة وجميلة مع أبي رضي الله عنهما تكفلت كتب المصادر بذكرها ورواياتها[٢].

عاش رضي الله عنه شطرًا من الخلافة الراشدة، وهو موفور الكرامة مرعي الجانب، له مكانته في مجالس العلماء من الصحابة الأعلام[٣].

خامسًا – من آداب الداعية: مدح المدعو والإشادة بفضله عند أمن فتنته وغروره:

من الآداب التي ينبغي مراعاتها من قِبَلِ الداعية تحفيز المدعو بالثناء عليه والإشادة به وذلك عند أمن فتنته وغروره، وفي الحديث أنموذج تطبيقي لذلك، ففي قوله ﷺ لأبي بن كعب "ليهنك العلم أبا المنذر" ، قال النووي ، : فيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى[٤] وقد استخدم النبي ﷺ الثناء والمدح والإشادة مع كثير من صحابته، فكان ﷺ يثني لظهور خصال أو أعمال تستحق التنويه والإشادة مما ينبغي الاستمرار عليه، وقد فعل ذلك عند ما نوَّه بخصال المنذر بن عائذ وهو أشج عبدالقيس، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال لأشج عبدالقيس، "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة"[٥]، [٦].

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي، تحقيق: بشار عواد، ٢٩/١.

(٢) انظر: طبقات أبو سعد، ٢١/٤، ٢٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٩٧/١.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٥٧٤-٥٨٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٥) أخرجه الترمذي، ٢٠١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٦٣٦)

(٦) علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٠٩.

الحديث رقم (١٠٢١)

١٠٢١- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: وَكَّلَنِي رسولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فقلتُ[١]: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**يَا أَبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**)) قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً[٢] وَعِيَالاً، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ. فَقَالَ: ((**أمَا إنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**)) فَعَرَفْتُ أنَّهُ سَيَعُودُ، لقولِ رسول الله ﷺ[٣] فَرَصَدْتُهُ، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسول الله ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لاَ أعُودُ، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رسول الله ﷺ: ((**يَا أَبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**)) قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً[٤] وَعِيَالاً، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ. فَقَالَ[٥]: ((**إنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**)) فَرَصَدْتُهُ الثَّالثة، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، وهذا آخِرُ ثلاثِ مَرَّاتٍ أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّكَ[٦] لاَ تَعُودُ[٧]! فَقَالَ: دَعْنِي فَإنِّي[٨] أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ[٩]؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ[١٠]، فَإنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ[١١] شَيْطَانٌ حَتَّى

---

(١) عند البخاري زيادة: (والله)، ولا توجد عند الحميدي في جمعه (٢٥٨/٣، رقم ٢٥٦٨).

(٢) عند البخاري زيادة: (شديدة).

(٣) عند البخاري زيادة: (إنه سيعود)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٤) عند البخاري زيادة: (شديدة)، وهي لا توجد عند الحميدي.

(٥) عند البخاري زيادة: (أما).

(٦) (أنك) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٧) عند البخاري زيادة: (فتعود).

(٨) (فإني) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٩) لفظ البخاري: (ما هو).

(١٠) عند البخاري زيادة: (الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم، حتى تختم الآية).

(١١) لفظ البخاري: (ولا يقربنك)، والمثبت لفظ الحميدي.

تُصبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((مَا فَعَلَ أسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، زَعَمَ أنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ((مَا هِيَ؟)) قُلْتُ: قَالَ لي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ وقَالَ لِي: لاَ يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصبِحَ. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((أمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟)) قُلْتُ: لاَ. قَالَ: ((ذَاكَ شَيْطَانٌ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وكلني: وكّل فلانًا: فوّض إليه أمرًا من الأمور[2].

يحثو من الطعام: يأخذ بيده منه[3].

البارحة: أقرب ليلة مضت[4].

فرصدته: رَقَبْتُه[5].

آويت: أتَيْتُ[6].

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصصية الطويلة التي يقوم فيها الحوار على عدة

(١) برقم (٢٣١١). أورده المنذري في ترغيبه (٨٨٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ك ل)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٨٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث ر)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر و).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٤/٥٦٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٥.

شخصيات، مما يعطي الأسلوب حيوية، وحركة، ومما يزيده حيوية، وطرافة، وتشويقاً أن أحد أطراف الحوار شيطان، وقول الرسول ﷺ ((يَا أَبَا هُرِيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) النداء تودد، وتكريم، والاستفهام تنبيه، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) أما استفتاحية وقوله (كذبك) خبر أريد به التنبيه، والتحذير، وقوله (وسيعود) توكيد للجملة السابقة قوله: (فَجَاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ) قوله يحثو يشير إلى النهم ويوحي بالجشع، وقوله (فأخذته) كناية عن العقاب، والإمساك به، وقول الشيطان له (دَعْنِي) أمر بغرض الرجاء، والالتماس، وقوله: ((فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا) الفاء للتعليل حملا له على الاستجابة للطلب، والجملة بغرض الترغيب في الكلمات، وقوله: (مَا هُنَّ؟) استفهام على حقيقته تبدو خلفه لهفة، وشوق، وقول الشيطان (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ) أسلوب شرط يربط الإيواء إلى الفراش بقراءة آية الكرسي وقوله: (فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ) يشير إلى قيمة هذه الآية، وأثرها على منع الشيطان من الاقتراب من الإنسان، وتوكيد الخبر؛لأن المخاطب منكر للخبر، والتعبير بالفعل زال يشير إلى الاستمرارية، والتعبير بعلي في قوله (عليك) يفيد الاستعلاء، والإحاطة التي تدل على شمول الحفظ، وقوله (من الله) يعطي الحفظ أبعادا أخرى تتخطى حدود الحفظ البشري إلى الحفظ الإلهي الذي لا يبلغه شر مهما كانت قوته، ، والتعبير بالقرب عن وسوسة الشيطان فيه مبالغة في منعه عن الإنسان، وقوله (حتى تصبح) بيان للمدى الزمني الذي تستغرقه الآية بأثرها، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ) تأكيد الكلام لغرابة الخبر من حيث إنه يخبر عن شيطان في زي إنسان مخادع، والطباق بين صدق، وكذب يؤكد المفارقة بين طبيعة الشيطان في الكذب، والخداع، وبين صدقه في هذا الموقف لتحقيق غرضه لأخذ ما يريد، وقول الرسول ﷺ (تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) استفهام إخبار وتشويق، وتنبيه، وقوله: (ذَاكَ شَيْطَانٌ) الإشارة تفيد تقرير المشار إليه، وجعله ملأ سمعه، وبصره لأنه في الظاهر إنسان، وفي الحقيقة شيطان، وكم من مظهر خدَّاع !، وكم من شيطان يعيش بيننا في زي إنسان!

فقه الحديث

قال ابن حجر: (فيه: أي في الحديث) أن السارق لا يقطع في المجاعة ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع.

٢- فيه قبول العذر والستر على من يظن به الصدق.

٣- فيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تكليف النبي ﷺ لأبي هريرة بحفظ زكاة رمضان.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: القصة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات الرسول ﷺ: الإخبار بحقائق الأمور.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الرحمة بالمحتاج والعائل.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وتدبر آية الكرسي.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تكليف النبي ﷺ لأبي هريرة بحفظ زكاة رمضان:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان" وفي ذلك دليل على أن الإسلام أمر بالمحافظة على المال فحرم الإسراف والتبذير وحظر إضاعة المال وتبديده[٢]، ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أموال زكاة المسلمين وحفظها حتى إيصالها إلى مستحقيها، فأمر أبا هريرة بحراستها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤/٤٨٩-٤٩٠.

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٧.

وحفظها. وذلك يعد من الأحوال المتألقة في حياة أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: «كان يعده من الأمناء ويوكله بحفظ زكاة رمضان»[١].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: القصة:

وردت القصة في الحديث حيث قص علينا أبو هريرة ﷺ قصته في أمر رسول الله ﷺ له بحفظ زكاة الفطر وما جرى من مجيء الشيطان ثلاث ليال يحثو من الطعام وما دار بينه وبينه وما جرى من رجوع أبي هريرة إلى رسول الله ﷺ، والقصة من الوسائل الدعوية المؤثرة وقد استخدمها القرآن والسنة في عرض الدعوة وذلك لما فيها من التأثير والاعتبار والعظة[٢]، ولها التأثير الكبير في تبليغ الدعوة فهي ترتقي بالإنسان إلى الفضيلة وتتسامى به إلى الأفضل والأحسن دائمًا وتبتعد به عن مواطن الزلل والضعف.

فما جاء في القرآن والسنة من قصص واقع عاشه أصحابه، كما وصف تماما في القرآن والسنة، فهو محل تدبر وتفكر واعتبار[٣]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

ومن عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة الإسلامية أن روى لها هذه الخلاصات في كتابه العظيم فحفظت بذلك من الضياع أو التحريف، فلم تمتد إليه يد غادر فتزور أو تغير، ولا يد خائن فتسرق أو تخفى - كما هو الشأن في التوراة والإنجيل المحرفين- فهذا القصص الحق محفوظ ما دامت على الأرض حياة تنبض أو شمس تشرق وتغيب، تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥].

---

(١) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٢٩٢.

(٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣٢-٥٧.

(٣) عظمة القرآن، محمد بن صالح الدوسري ص ٢٨٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

وبقيت هذه الخلاصات بذلك بين أجيال هذه الأمة غضة حية تمدهم بأسباب النجاح، وأصول التعامل مع أنفسهم، والأمم من حولهم، وتجنبهم طريق الخيبة أو الوقوع في مكائد ومصائد شياطين الجن والإنس.

وهذا غيض من فيض في فوائد القصص القرآني، وفعله في حياة الناس وأثره على تقدمهم أو تأخرهم، فضلاً عما فيه من أنواع المعرفة، وسبل الهداية، والمتعة الهادفة، مما كان له الأثر الفاعل في ضبط اتباع الأمة المحمدية، حتى امتازوا عن غيرهم -من الأمم السابقة- بالعطاء والرقي.

وبعد هذا كله كيف يجوز لعاقل ألا يعكف على هذا القصص الحق بالدراسة والتمحيص واستلهام العبرة والموعظة الحسنة، ويعمل بمقتضى ذلك، فينعم بحياة مستقرة، وآخرة مرتضاة[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

جاء أسلوب الحوار في الحديث جليًا واضحًا وذلك فيما دار بين أبي هريرة ورسول الله ﷺ: فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليّ عيال وبي حاجة شديدة، فخليت سبيله..."، وأسلوب الحوار من الأساليب المجدية في الدعوة، ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح كلام وإظهار حجه وإثبات حق ودفع شبهه ورد الفاسد من القول والرأى، وتلك هي غاية الحوار الأصلية وهى جلية بينة[٢].

إن من أهداف الحوار الرئيسة أنه يستخدم كوسيلة من وسائل إيضاح العقيدة الصحيحة ويعرضها عرضًا بسيطًا سهلاً خالية من التعقيد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة ومن أمثلة ذلك ما جاء في محاوره رسول الله ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: «كنت رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ الله وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ

(١) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، محمد خير العدوي ص ٧، ٨.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد ص ٢١٣.

رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أَن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذُ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم»[1].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الاخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي الذي يحرك الوجدان ويهذب السلوك وينبه إلى أمر عظيم[2].

كذلك من أمثلة الحوار النبوي ما رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي-رضي الله عنه: ((أنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))[3].

لقد أوصل الرسول ﷺ بحواره الشاب إلى قناعة تامة بخطر الزنا، من خلال مناقشته وإثارة الغيرة الكامنة في نفسه على أمه وأخته وأهل بيته، فأقر بأن هذا الفعل المنكر الشنيع، الذي يفعله في أعراض الناس وهم غافلون، يمكن أن يفعله غيره مع

---

(١) أخرجه البخاري، ٤٨٧.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨، ٤٤٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٢٢١١، والحديث قال عنه محققوا المسند، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد،٣٦/٥٤٥).

أهل بيته وهو غافل، وبعد اكتمال علاج العقل، استخدم معه علاج الروح فدعا الله تعالى له أن يطهر قلبه ويحصن فرجه[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر هذا الأسلوب في الحديث أكثر من مرة ومن ذلك سؤال النبي ﷺ لأبي هريرة: ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة؟ والسؤال والجواب من الأساليب المؤثرة في تبليغ الدعوة ونقشها في صدور المدعوين لما تجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الأجوبة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فينبغي على الداعية استثمار هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٢].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والجواب بكثرة في عرض دعوته على الناس، ومن شواهد ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد إزالة فعل محرم ألفه الناس واعتادوا عليه أو استهانوا فعله يحاول ربط تحريمه بأمر آخر قد بينت حرمته وثبتت في نفوسهم فيتوصل إلى ذلك بالسؤال، كما في الحديث الذي يرويه البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خطبَ الناسَ يومَ النَّحرِ فقال: ياأيُّها الناسُ، أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: يومٌ حرام. قال: فأيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: بلدٌ حرام. قال: فأيُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: شهرٌ حرام. قال: فإن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهركم هذا. فأعادَها مِرارًا. ثم رفعَ رأسَهُ فقال: اللّهمَّ هل بَلَّغتُ؟ اللّهمَّ هل بلَّغتُ؟ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: فوَالذي نفسي بيده، إنَّها لوَصيَّتُه إلى أُمَّتِهِ: «فلْيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ، لاترجعُوا بعدي كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ»[٣].

إن سؤال رسول الله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها، كان

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٤٥٥.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨-٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، ١٧٣٩.

لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: فإن دماءكم وأموالكم.... إلخ، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء. وشبَّه حرمة هذه الأشياء بحرمة البلد الحرام، والشهر، واليوم، لأنها ظاهرة الحرمة عندهم بخلاف الأنفس، والأموال، والأعراض، التي كانوا يستبيحونها في الجاهلية. فأبان لهم الشرع أن تحريم دم المسلم وماله وعرضه كتحريم البلد والشهر واليوم بل أعظم من ذلك[١].

خامسًا – من موضوعات الدعوة: من معجزات الرسول ﷺ الإخبار بحقائق الأمور:

لقد حبى الله نبيه ﷺ وأيده بالمعجزات البينات والتي منها ما ورد في الحديث في سؤاله ﷺ لأبي هريرة عن أسيره: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ وذلك استفهام تقريري وكذلك في إخباره لأبي هريرة بعودته، فقال: "إنه قد كذبك وسيعود" إذ أن الله قد أطلع نبيه ﷺ على ما وقع لأبي هريرة وأن سيقع له، فأراد رسول الله ﷺ إعلام أبي هريرة حاله وبأنه سيعود[٢]، فإن من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته ما أُطْلعَ عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها[٣].

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على اطلاع النبي ﷺ على بعض الأمور الغيبية[٤].

ومن أمثلة ذلك ما أخبر به النبي ﷺ وتحقق في حياته كإخباره بمصارع الطغاة يوم بدر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَتَرَاءَيْنَا الْهِلاَلَ. وَكُنْتُ رَجُلاً حَدِيدَ الْبَصَرِ. فَرَأَيْتُهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي. قَالَ: فَجَعَلْتُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٧٣٥/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٥.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٥٤٢/١.

(٤) انظر: الشفا، القاضي عياض، ٣٢٩/١.

أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لاَ يَرَاهُ. قَالَ يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي. ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالأَمْسِ. يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا».

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لاَ أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: ((مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا))[١].

كذلك ما أخبر به النبي ﷺ وتحقق بعد مماته، ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ من ظهور الإسلام وعلوه.

فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ - وهو مُتَوَسِّدٌ بُردةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ - قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللهَ لنا ؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكمُ يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، . وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضرَمَوتَ لا يخافُ إلاَّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنَمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون)[٢].

وهكذا وقع فقد عم وظهر الدين وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة ومَنْ بعدهم وذلت لهم سائر البلاد ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٧٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٦١٢.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

كذلك من تلك الأخبار التي تحققت بعد وفاته ﷺ ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلكَ كسرى فلا كِسْرى بعدَه، وإذا هلكَ قيصرُ فلا قَيصَرَ بعده. والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ[٢] قلْتُ: وَأَنَّى يَكُون لَنَا الأَنْمَاطُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ فَأَنَا أَقُولُ لَهَا يَعْنِي امْرَأَتَهُ أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا سَتَكُون لَكُمُ الأَنْمَاط فَأَدَعُهَا))[٣].

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم ملكًا بعد ذلك»[٤].

وقد وقع ذلك كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: قال الحافظ ابن كثير: (وهكذا وقع سواء، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين، وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحوًا من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة)[٥].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: الرحمة بالمحتاج والعائل:

أشار الحديث إلى الرحمة بالمحتاج والعائل وذلك فيما دار بين أبي هريرة والشيطان

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٦١٨، ومسلم، ٢٩١٩.

(٢) أنماط: الأنماط جمع نمط وهو من البسط معروف، انظر: جامع الأصول، ٣١٩/١١، وقد قال له النبي ﷺ ذلك عندما تزوج.

(٣) أخرجه البخاري، ٣٦٣١، ومسلم، ٢٠٨٣.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤٦٤٦، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢٥/١٣)، أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره، وقال الألباني حديث حسن صحيح، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٥٩، وصحيح سنن أبي داود، ٣٨٨٢).

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ،٢٠٤/٦، ٢٠٥.

من حوار "فجاء يحثو من الطعام، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال دعني فإني محتاج وعليَّ عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله"، فإن من لوازم الإيمان التراحم والتعاطف، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد"[١]، قال النووي: والحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٢] والتراحم أن يرحم المؤمنون بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، بحيث يرق لأخيه ويتألم لألمه ويقف بجانبه في السراء والضراء[٣].

وفي قوله ﷺ: ((تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادِّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكى عُضوًا تَداعى له سائرُ جسَدِه بالسَّهَرِ والحُمّى)) يمثل رسول الله ﷺ المؤمنين في هذا لخلال الثلاث بالجسد الواحد فكما أن الجسد إذا مرض منه عضو تألم له الباقي، فلم يذق نومًا وسارت إليه حرارة الحُمَّى، فآلمته، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحدًا منهم نائبة شعر بألمها الباقون، فسعوا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه، وجلب الخير إليه.

فالمسلمون في مجموعهم كشخص واحد وكل فرد منهم بالنسبة للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلهم؛ والشر ينوبه، كأنما ناب جميعهم، فليعتبر بهذا الحديث بعض الأمم الإسلامية التي لا تألم لما يصيب جارتها، بل ربما ساعدت عدوًا على القضاء عليه وليعتبر به أولئك الأفراد الذين جدوا في اصطياد مصالحهم الشخصية وإن أضرت بآخرين، وإذا ما طلب منهم مواساة إخوانهم ولوا على أدبارهم نفورًا، أولئك لم يتوطن الإيمان بعد نفوسهم.

فالرحمة فضيلة والقسوة رذيلة[٤]، وأولى الناس بالتخلق بالرحمة وإشاعة التراحم في

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، ١٥٤٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ١٨٢.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٢١، ١٢٢.

المجتمع هم الدعاة إلى الله، يرشدون الناس إلى الخير ويعلمونهم الحق، ويأخذون بهم عن اللمم إلى السبيل الأهم، ويعملون لعزهم، ودفع المذلة عنهم وهديهم إلى عمل الخير وخير العمل، فإذا ما ابتعد الإنسان وتجافى عن الرحمة بالآخرين لم يكن أهلاً لرحمة الله به وحرم نفسه منها، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من لا يَرْحم لا يُرْحم))[١].

فما أحرى المسلمين جميعًا خاصة الدعاة منهم أن يتحلوا بالرحمة ويتجملوا بهم اقتداء بإمام الدعاة ﷺ والذي وصفه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

سابعًا – من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وتدبر آية الكرسي:

جاء في صريح الحديث بيان فضل آية الكرسي بأنها سبب لحفظ الإنسان من الشياطين والآفات، فقلت يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال ما هى ؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية "(الله لا إله إلا هو الحى القيوم) ، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، فقراءة آية الكرسي سبب للحفظ والوقاية من الشيطان وإنما قال "ولا يقربك شيطان مع أن ذلك يدخل تحت قوله: "لن يزال عليك من الله حافظ" فخص الشيطان لعظم ضرره، فنص على ابعاده فضلاً عن حصول وساوسه وإيذائه[٣].

إن آية الكرسي لها فضل كبير لما اشتملت عليه من أصول معرفة صفات الله تعالى كما اشتملت سورة الإخلاص على ذلك ، كما اشتملت آية الكرسي على كلمة الشهادة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٩٩٧.

(٢) سورة التوبة ، الآية: ١٢٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٦.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤/٣/٢.

ومن يتأمل آية الكرسي، ويرى علاقتها بما قبلها وما بعدها من الآيات ليتراءى له مدى الإعجاز القرآني في نظمه وترتيب آياته، فقبلها جاءت الآيات مبينة أن يوم القيامة لا يكون فيه بيع ولا تجدي فيه خلة خليل ولا شفاعة شافع فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، فجاءت بعدها آية الكرسي وهي أجمع آية وأشملها وأقواها في إبطال الشفاعة وتهديم بنيانها، فإن الشفاعة التي يعتقدها الغافلون أو الكافرون الظالمون تتعارض تعارضًا مباشرًا مع صفات الله وأسمائه الحسنى.

هي تتعارض مع قدرته الكاملة وسلطاته الواسعة ومراقبته الدقيقة وعلمه المحيط الذي لا نهاية له، فإنها لا تتصور إلا إذا افترضنا - والعياذ بالله - أنه تعالى ينقصه العلم وهو لا يحيط بكل شيء علمًا، إذًا فالمجال مفتوح أمام الشافعين حتى يقوموا بوظيفتهم ويزكّوا من يشاءون من أوليائهم، كائنًا ما كان وضعهم.

أو افترضنا - والعياذ بالله - أنه تعالى لا يملك السلطة الكاملة الواسعة المطلقة، وأن هناك من يتدخل في حكمه ويرغمه على ما يريد من عفو أو عطاء.

فجاءت هذه الآية تنفي هذه الشبهات وتنفي تلك الشفاعة التي كانت قائمة على هذه الشبهات)[2].

فسورة الكهف أعظم آية في القرآن الكريم كما ثبت عن نبينا محمد ﷺ في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه "الحديث السابق".

وقد نقل الطيبي عن القاضي البيضاوي قوله: (إنما كان آية الكرسي أعظم آية؛ لأنها مشتملة على أمهات المسائل الإلهية، فإنها دالة على أنه تعالى واحد في الإلهية؛ متصف بالحياة، قائم بنفسه، مقوم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، مبدع

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٢) البرهان في نظام القرآن في الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، د. محمد عناية الله أسد سبحاني ص٣٨٢.

الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له، العالم وحده بالأشياء كلها جليها وخفيها، كلها وجزئيها، واسع الملك والقدرة، ولا يئوده شاق، ولا يشغله شان، متعال عما يدركه وهم، عظيم لا يحيط به فهم) [١].

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق الناس بها:

في الحديث دلالة على قبول الحق إن تيقن الإنسان من صحته ولو جاء من أي إنسان حتى ولو كان شيطانًا، حتى ولو كان من غير مسلم، كما جاء في الحديث من إقرار النبي ﷺ لأبي هريرة ما قال به الشيطان ، قلت: يارسول الله زعم - الشيطان - أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟، قلت : قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ قلت: لا ، قال: ذاك شيطان".

قال د. الحسيني هاشم: (في الحديث فضل آية الكرسي وسيطرة المؤمن بإيمانه على الشيطان، والرفق بالمحتاجين، ومن كثرت عيالهم ومسئولياتهم، ومعرفة النبي ﷺ بالغيب الذي علمه الله، وإن الحكمة قد تصدر من الجاهل وأن سلامة النية سبيل النجاة)[٢].

فعلى الإنسان أن يقبل الحق من أي إنسان، وأن يرد الباطل من أي إنسان، ولهذا كان من الكلمات المأثورة عند العلماء "الرجال يعرفون بالحق والحق لا يعرف بالرجال" يعني لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجل [٣] ولكن اجعله على الحق ذاته.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤/٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٥٤٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ١٢٦٣.

الحديث رقم (١٠٢٢)

١٠٢٢- وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)) [١].

وفي رواية : ((مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ)) رواهما مسلم [٢].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

عُصِمَ: مُنِع وحُمِي وحفظ [٣].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الكهف يشير إلى عظمة الأجر المتحقق بحفظ عشر آيات من سورة الكهف، وقد ورد المعنى في ثوب الخبر الخالي من المؤكدات الذي يقابل به خالي الذهن من مضمون الخبر لأنه كلام في حديث غيبي لا يتكلم فيه إلا نبي، والبداية بـ (من) تنادي بعموم من يعقل لاغتنام هذا الأجر، وقوله (عصم) أي منع، والتعبير بالعصمة يوحي بالقوة في الحماية، والنصرة، والمنع، وعدم ذكر الفاعل للعلم به، ولفظ (الدجال) يوحي بمعاني الخداع، والكذب، والغش، وإذا أطلق على هذه الشخصية المعرفة من خلال أخبار الرسول ﷺ بكل الشرور اتخذ اللفظ أبعاداً إيحائية أكثر خطورة مما يستلزم الحرص منه لا سيما، وأن زمان فتنته غير محدد، وإذا جهل الإنسان مكان الخطر، وزمانه كان أشد أثراً، ولذلك جعل لنا الرسول ﷺ عصمة منه بعشر آيات من أول سورة الكهف، أو من آخرها كما ورد في الرواية الأخرى.

---

(١) برقم (٨٠٩/٢٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧٢).

(٢) بعد حديث (٨٠٩/٢٥٧، بدون رقم بلفظ: (من آخر الكهف). أوردها المنذري في ترغيبه (٢١٧٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م).

فقه الحديث

قال النووي: (قال الشافعي في الأم والأصحاب: يستحب قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سورة الكهف وحفظ عشر آيات من أولها وعشر آيات من آخرها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدجال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سورة الكهف وحفظ عشر آيات من أولها وعشر آيات من آخرها:

إن لسورة الكهف وحفظها وتدبر معانيها أكبر الأثر فيما يبعث في القلب من قوة الإيمان وعدم التزحزح عنه وحفظ الإنسان من فتنة الدجال، وقد جاء في الحديث الإشارة إلى فضل حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف وعشر من آخرها، فقال ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية: "عشر آيات من آخر سورة الكهف"، قال النووي: (قيل سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتن بالدجال وكذا في آخرها)[٢].

وقال ابن علان: (وسر عصمة من حفظ تلك الآيات من الدجال اشتمالها على عجائب وآيات يمنع تدبرها من فتنته، وأيضًا ففي أولها ذكر أولئك الفتية الذين نجاهم الله من جبار زمنهم، فتعود بركتهم على قارئها حتى ينجيه الله كما أنجاهم، وفي آخرها. ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ﴾[٣]،[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٩٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٤/٢٢٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٧.

وبالجملة فقد اشتملت سورة الكهف كثيرًا من المقاصد العظيمة ذكرها الإمام الفيروز آبادي فقال: مقصود السورة مجملاً: بيان نزول القرآن على سنن السداد وتسلية النبي ﷺ في تأخر الكفار عن الإيمان، وبيان عجائب حديث الكهف، وأمر النبي ﷺ بالصبر على الفقراء، وتهديد الكفار بالعذاب، والبلاء، ووعد المؤمنين بحسن الثواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأخوين الإسرائيليين، وتمثيل الدنيا بماء السماء ونبات الأرض، وبيان أن الباقي من الدنيا طاعة الله فقط، وذكر أحوال القيامة، وقراءة الكتب، وعرض الخلق على الحق، وإباء إبليس من السجود، وذل الكفار ساعة دخولهم النار، وجدال أهل الباطل مع المحقين الأبرار، والتخويف بإهلاك الأمم الماضية وإذلالهم، وحديث موسى ويوشع وخضر، وعجائب أحوالهم، وقصة ذي القرنين، وإتيانه إلى المشرقين والمغربين، وبنيانه لسد يأجوج ومأجوج، وما يتفق لهم آخر الزمان من الخروج، وذكر رحمة أهل القيامة، وضياع عمل الكفر، وثمرات مساعي المؤمنين الأبرار، وبيان أن كلمات القرآن بحور علم لا نهاية لها، ولا غاية لأمدها، والأمر بالإخلاص في العلم الصالح أبدًا، في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، [2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

والترغيب من أساليب الدعوة التي يرغّب بها الداعية المدعو فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، وقد جاء الترغيب في الحديث في حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ومن آخرها وبين ﷺ أن في ذلك الأمن من فتنة المسيح الدجال، فقال ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية "من آخر سورة الكهف" والترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة فالمرء يحب ما ينفعه ويرغب في الحصول عليه، وينبغي على الداعية أن يغتنم ذلك في الدعوة فيرغب المدعو في الخير ببيان نفعه له، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يقوم بالدعوة بالترغيب مع قيامه بأساليب أخرى[3]، قال

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز د الدين الفيروز آبادي، ١/٢٩٨.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٨٠-١٨١.

تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[١]، قال ابن القيم: (الموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة[٢]، وقد كان النبي ﷺ يكثر من الترغيب والترهيب، في الدعوة إلى الله تعالى تنفيذًا لأمر ربه تبارك وتعالى)[٣].

إن الترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، وتوجيه القدرات والطموحات إلى اتجاه طرق الخير[٤]، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والتشويق في كثير من أحاديثه، إذ أن المعرفة وحدها لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بلا لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية تحفز الإرادة وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والبعد عن الشر، كما أن النفوس تتفاوت في الاستعداد للتأثر، فلابد من تنويع وسائل التربية مهما بلغ الإنسان من الحضارة والرقي[٥].

ومن أمثلة التشجيع والترغيب ما جاء في الحث على قراءة القرآن ومن ذلك ما جاء في الحديث في فضل سورة الكهف فيقول ﷺ: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف -وفي رواية من آخر سورة الكهف- عصم من الدجال)، وما جاء في قراءة القرآن عامة ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدجال:

جاء في الحديث إرشاد من النبي ﷺ للأمة للوقاية من فتنة الدجال: «مَنْ حَفِظَ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١٩٤.

(٣) أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د. محمود الطحان، مكتبة الرواد للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٢هـ، ص١٩٤.

(٤) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢٥٣.

(٥) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(٦) أخرجه الترمذي، ٢٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٣٢٧)

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»، وفي رواية: "من آخر سورة الكهف".

قال ابن عثيمين: (فإن النبي ﷺ أخبر أنه من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها عُصم من الدجال، والدجال رجل كافر يبعث في آخر الزمان يدَّعي النبوة أولاً ثم يدَّعي أنه إله - والعياذ بالله - وفتنته أعظم فتنة تكون على الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك النبي ﷺ وقال: ((إِنْ يَخْرُجْ، وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ. وَإِنَّ يَخْرُجْ ، وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ. وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ))[1] ، وقد حذر النبي ﷺ من فتنته، وما من نبي إلا أنذر قومه حتى يستعد بنو آدم لهذه الفتنة العظيمة، وإن كان من المعلوم أنه لا يأتي إلا في آخر الزمان، لكن لأجل التنبيه لعظم فتنته وأنها كبيرة عظيمة، لا ينجو منها إلا من أنجاه الله عز وجل)[2].

فإن فتنة الدجال من الخطورة بمكان، فهي من أعظم الفتن في آخر الزمان التي تموج بعقول أولى الألباب، قال ﷺ: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"[3]، أي: أكبر فتنة وأعظم شوكة[4].

وذكر النبي ﷺ علامات الدجال ليكون المسلم على علم ومعرفة بها ليحتاط لدينه ويكون على بصيرة من أمره[5]. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا نائم أَطوفُ بالكعبة فإذا رجلٌ آدمُ سَبْطُ الشعر ينطفُ -أو يَهراقُ- رأسه ماءً، قلتُ: من هذا؟ قالوا: ابن مريمَ، ثم ذهبتُ ألتفِتُ فإذا رجلٌ جَسيمٌ أحمرُ جَعد الرأسِ أعورُ العينِ كأن عَينَهُ عِنَبةٌ طافيةٌ، قالوا: هذا الدجال، أقرَبُ الناس به شَبَهًا ابنُ

(١) أخرجه مسلم ٢٩٣٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢٦٤/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٤.

(٥) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، ميرفت أسرة ص ١١٢، ١١٣.

قَطَنٍ رجل من خُزاعة»[1]. قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها "ك ف ر" يقرؤها كل مسلم"[2].

وكان ﷺ يستعيذ من الدجال، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[3]، وأرشد الأمة إلى ذلك فقال ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَا لَهُ»[4]. فليحرص المسلم على الاستعاذة من الدجال وحفظ أول سورة الكهف وآخرها اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ وليحرص الدعاة على تبليغ وبيان ذلك لمدعويهم.

وعلى حث الناس على العمل الصالح تحسبًا للدجال واتقاءً لشره ودجله وتمويهه على الناس[5]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ))[6]. أي أسرعوا في تكميل الأعمال الصالحة وسابقوا فيها قبل أن تظهر هذه العلامات الست، إذ يعسر العمل فيما بعدها أو لا يقبل عند الله تعالى، وقوله: "أو خاصة أحدكم" يعني العلامة التي تخص أحدكم والمراد منها الموت، فإن من مات قامت قيامته، وقيل هي ما يختص به الإنسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به، ووقع في رواية، "أو خويصة أحدكم" بالتصغير لاستصغارها من جنب الحوداث الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٤١، ومسلم ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣٢.

(٤) أخرجه النسائي ١٢٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٢٤٢).

(٥) انظر: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، أبو عبدالله مصطفى بن العدوي ص٥٠٢.

(٦) أخرجه مسلم، ٢٩٤٧.

وقوله: "أو أمر العامة" المراد به القيامة لأنها تعم الناس كلهم وقيل الفتنة التي تعم الناس أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قِبَلهم دون الخواص[١].

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٣٢٨، ٣٢٩.

الحديث رقم (١٠٢٣)

١٠٢٣- وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقيضًا مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فنَزلَ منهُ مَلكٌ، فقالَ: هذا مَلكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليومَ فَسلَّمَ وقال: أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

نقيضًا: صوتًا[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يروي خبرا طريفا بين رسولين رسول السماء جبريل عليه السلام، ورسول الأرض محمد ﷺ يبدأ بلفظ يوحي بالمفاجأة (بينما جبريل عليه السلام) ولفظ نقيض يوحي بصوت مصدره حركة غير معتادة قوية، والظرف (فوق) المضاف لجبريل عليه السلام يعطي الصوت المسموع نمطاً مختلفا عن أصوات الأرض، وقوله (فرفع رأسه) يشير إلى التهيؤ للتعليق على الحدث بعد التأثر به، وقول جبريل عليه السلام (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ) تعريف المسند إليه بالإشارة لأنها أقرب طريق لمعرفته، وتنكير الباب للتعظيم، والجار، والمجرور (من السماء) يعطي معنى الباب دلالة مختلفة عن الأبواب المعهودة لدينا؛ لأن مداه اتساعاً لا يعلمه إلا الله، وقوله (فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ) أسلوب قصر لفتح هذا الباب على الظرف يوم، وهو يمهد لأمر عظيم، وكذلك

(١) برقم (٢٥٤/٨٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٥٧).

(٢) رياض الصالحين ٣٩٣.

أسلوب القصر في قوله: (هذا مَلكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليومَ) ينبه إلى حدث غير معتاد، مجيء ملك مخصوص من باب مخصوص لابد، وأن يكون السبب عظيماً، وهو ما يهيأ له وجدان المخاطبين، وقول هذا الملك النازل (أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ) يكشف سر هذا التخصيص للباب، والملك؛ لأن ما جاء به لم يتنزل على نبي غيره كرامة له، وإكراماً لأمته، وقوله (أبشر بنورين) أمر تكريم، وتشويق، ولفظ البشارة من الألفاظ الموحية بطبيعتها بقدوم خير يتلوها تكون مقدمة له، والتعبير بالنور يثير في النفس معاني الكشف، والوضوح، والبهاء، وتثنية النور يصعِّد الشوق، ويرفع درجة الترقب، وقوله (أوتيتهما) يزيد النفوس ترقباً لاقتراب الخير المنتظر وقوله: (فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ) والتعبير بالفاتحة لافتتاح القرآن بها، أو لأنها فاتحة المطالب العالية كما سماها ابن القيم، وإضافتها للكتاب بيان، وتشريف، وبين فاتحة، وخواتيم طباق يحدد الآيات المقصود من الإتيان، وجمع الخواتيم لتشمل أكثر من آية في السورة، وإفراد الفاتحة لأن المقصود السورة كلها، وليس آيات معينة، وقوله (لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه) يشير إلى فضل هذه الآيات، وأثرها في تحصيل قارئها للأجر العظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: البشارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبشير الملك للنبي صلى الله عليه وسلم بالنورين الذين أوتيهما ولم يؤتهما نبي قبله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي صلى الله عليه وسلم:

جاء في صريح الحديث مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم "وتلك صورة من صور الوحى ونزول جبريل عليه السلام،

حيث كان يتمثل جبريل عليه السلام رجلاً فيخاطبه ﷺ حتى يعي عنه ما يقول له[1]، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا كما في هذا الحديث في قول ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ وكما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ ... ثُمَّ انْطَلَقَ. فَلَبِثْتُ مَلِيّا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ. أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))[2].

وهناك صور أخرى لمجيء جبريل عليه السلام وإلقائه بالوحي إلى رسول الله ﷺ وهي:

أ- ما كان يلقيه الملك في روع وقلب رسول الله ﷺ من غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته»[3].

ب-أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن الحارث بن هشام، سَأَلَ رسولَ اللّهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللّهِ كيفَ يأتِيكَ الوَحيُ؟ فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «أَحْيانًا يَأتِيني مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وهُوَ أَشَدُّه عَلَيَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قالَ، وأحْيانًا يَتَمثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُنِي فأعِي ما يَقولُ». قالتْ عائشةُ رضي الله عنها: ولَقدْ رَأَيْتُهُ يَنزِلُ عليهِ الوَحيُ في اليومِ الشَّديدِ البَرْدِ فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جَبِينَهُ لَيَتفصَّدُ عَرَقًا»[4]. وحتى

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ٧٩/١.

(٢) أخرجه مسلم ٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٢٦/١٠، ٢٧، وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح بشواهده، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٧٩/١، وأخرجه ابن ماجه، ٢١٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٧٤٣)،

(٤) أخرجه البخاري ٢٠، ومسلم ٢٣٣٣.

إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن كان ليوحي إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها»[١]. ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها، فعن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ أملى عليه: ﴿لاَ يستوي القاعدونَ منَ المؤمنينَ والمجاهِدونَ في سبيلِ الله﴾. قال: فجاءَهُ ابنُ أمِّ مكتومٍ وهو يُمِلُّها عليَّ فقال: يا رسولَ الله لو أستطيعُ الجهادَ معك لجاهَدّتُ، وكان رجُلاً أعمى، فأنزَلَ الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ، وفَخِذُهُ على فخِذي. فثَقُلَتْ عليَّ حتى خِفتُ أن ترضَّ فخذي. ثمَّ سُرِّيَ عنه، فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[٢]،[٣].

ج- أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «لَمْ أَرَهُ (يُعْني جِبْرِيلُ) عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتُهُ مُنْهَبطًا مِنَ السَّماءِ. سَادًّا عِظَمُ خلقه مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ»[٤].

هذا بالنسبة لصور نزول جبريل على رسول الله ﷺ أما الوحي عامة فصوره أكثر من ذلك منها الرؤيا الصادقة ومنها ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها ومنها كلامه الله لرسوله ﷺ بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ١١٨/٦ رقم ٢٤٨٦٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح، قال السندي قولها فتضرب بجرانها بكسر الجيم باطن العنق والبعير إذا استراح، مدَّ عنقه على الأرض، انظر (مسند الإمام أحمد، ٣٦٢/٤١، ٣٦٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، ١٩٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١٧٧.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٧٨/١-٨٠.

ثانيًا – من أساليب الدعوة: البشارة:

وردت البشارة في صريح الحديث وذلك في قول الملك لرسول الله ﷺ: "أبشر بنورين أوتيتهما" والتبشير مع أبلغ الأساليب الدعوية تأثيرًا في النفوس، وهو مأخوذٌ من البشر وهو طلاقة الوجه وبشاشته، ثم أطلقت على الفرح والسرور[١].

وقد استخدم التبشير كثيرًا في القرآن وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣]، والتبشير في الدعوة سبب من أسباب البشر والسرور، وإيلاف القلوب وجذب النفوس إلى الدعوة وإقبالهم عليها[٤].

وقد غلب أسلوب التبشير في عرض القرآن للقضايا وبيان الأحكام حتى كان من أسماء القرآن وصفاته، قال تعالى في وصف القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٥]. فهذا وصف للقرآن العظيم، أنه يبشر من آمن بالجنة وينذر من كفر بالنار[٦].

"وشبه القرآن بالبشير فيما اشتمل عليه من الآيات المبشرة للمؤمنين الصالحين وبالنذير فيما فيه من الوعيد للكافرين وأهل المعاصي فالكلام تشبيه بليغ"[٧].

وبهاتين الصفتين وقعت المشاركة بين القرآن وبين الأنبياء، قال تعالى في وصف

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٨.

(٢) سورة الشورى، الآية : ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٩٧.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣، ٤.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٤/٥.

(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٩/٢٥/٨.

الرسل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1]. وقال في صفة إمام المرسلين والدعاة محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾[2].

وتتجلى قوة التأثير للدعوة وعظمتها في الترغيب والترهيب، فالموفق هو الذي يستحضر كلا الأمرين، ليفيد من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمعاطب وليُسرَّ ويستبشر بالبشارة فيزاد في فعل الخير[3].

لذا ينبغي على الداعي أن يستصحب أسلوب التبشير والإنذار والترغيب والترهيب لما في ذلك من الأثر البالغ في إقبال المدعوين على الدعوة وأسر قلوبهم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبشير الملك للنبي ﷺ بالنورين الذين أوتيهما ولم يؤتهما نبي قبله:

جاء في الحديث بعض المنح والعطايا التي اختص بها رسول الله ﷺ وأمته تبع له في ذلك، لم يشاركه نبي قبله فيها وهي سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، "فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" وإن تبشير الملك رسول الله ﷺ بهذين النورين، وفتح باب لم يفتح قط ونزول ملك لم ينزل قبل قط للتبشير بهذين النورين دليل على عظم هاتين المنحتين، يقول ابن علان: واختصاص هذين النورين لهذين الأمرين الذين لم يقعا في غيرهما للدلالة على تميزهما أو أفضليتهما، أو اختصاصهما بما لم يوجد في غيرهما[4].

فهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله والدعاء بخير الدنيا والآخرة[5]، وسماهما نورين لأن كل واحد منهما نور يسعى بين صاحبهما أو لأنهما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعال ص ٢٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٨.

(٥) إكمال المعلم، ١٧٥/٣، ١٧٦.

يرشدان إلى أن الصراط المستقيم بالتأمل فيه والتفكر في معانيه أي بما في آيتين منورتين، وقوله "لن تقرأ" إلخ الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد هو وأمته، إذ الأصل مشاركتهم له في كل ما أنزل إليه إلا ما اختص به.

وقوله: "لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" أي: أعطيت ما اشتملت عليه تلك الجملة من المسألة، كقوله: "اهدنا الصراط المستقيم"، ولقوله: "غفرانك ربنا" ونظائر ذلك وفي غير المسألة فيما هو حمد وثناء أعطيت ثوابه[(١)].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة:

إن من أنوار الله في قرآنه سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، فهما نوران لحافظهما وقارئهما يوم القيامة، وسبيلان لانجائه في الآخرة وفي الدنيا، يهديان إلى صراط الله المستقيم اعتقادًا وعملاً وسلوكًا فضلاً عما أعد الله عليهما من الثواب العظيم والأجر الكبير.

وقد جاءت الأحاديث النبوية المتعددة في بيان فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، ومنها ما جاء في الحديث من بيان فضلهما ووصفهما بالنور واستجابة الله للمسلم، إذا دعا بما فيهما، وإلى ذلك أشار قوله "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" وذلك إشارة إلى علو شأنهما، ولما اشتملا عليه من المعاني الجامعة المتعلقة بالألوهية وتوابعها، مع وجازة لفظهما وبراعة نظمهما مما لم يشتمل على مثله غيرهما من بقية كتاب الله تعالى[(٢)].

قال الإمام مجد الدين الفيروز آبادي: المقصود من نزول سورة الفاتحة. تعليم العباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور والتلقين بشكر نعم المنعم والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتنبيه على ترقب العبد الحساب والجزاء يوم القيامة وإخلاص العبودية عن الشرك وطلب التوفيق

---

(١) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١٨٧/٥، ١٨٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٨

والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله والرغبة في سلوك مسالكهم وطلب الأمان من الغضب والضلال في جميع الأحوال والأفعال وختم الجميع بكلمة آمين، فإنها استجابة للدعاء واستنزال للرحمة وهي خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة كتابه[١] - أي الفاتحة وخواتيم سورة البقرة -.

وقال الشيخ ابن عثيمين: فإنهما ما قرأهما واحد من هذه الأمة موقنًا إلا أتاه الله تعالى ما فيهما من الطلب، وكما جاء في الحديث عن سورة الفاتحة "هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[٢]. وفي خواتيم سورة البقرة سبع جمل دعائية ما يدعو بهن مؤمن موقنًا إلا استجاب الله له، وهذه ميزة جليلة وفضل عظيم[٣].

وقال الطيبي: (وتحرير معنى الدعاء في الفاتحة، هو أن المطلوب فيها الهداية المشتملة على النعمة المطلقة، فيتناول نعمة الدارين، ظاهرها وباطنها، جليلها ودقيقها، حتى لا يشذ منها شيء، وعلى التوقي من غضب الله وسخطه مطلقًا، دنيا وعقبى، ومن جميع الأخلاق الذميمة، والضلالات المتنوعة، وما يعرجه عن الطريق المستقيم، وعلى هذا خاتمة البقرة فإن قوله: "آمن الرسول - إلى قوله: سمعنا" اشتمل على معنى التصديق والاعتقاد، ومنه إلى قوله تعالى: "ربنا لا تؤاخذنا" على بيان الانقياد بالسمع والطاعة لما أمر الله تعالى به، ونهى عنه، ومنه إلى آخره على الدعاء الجامع لفلاح الدارين والفوز بالحسنيين)[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١٢٩/١.

(٢) أخرجه مسلم، ٣٨

(٣) شرح رياض الصالحين، ١٢٦٥/٢.

(٤) شرح الطيبي على مكشاة المصابيح ٢٣٢/٤ - ٢٣٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أساليب التعليم والتدريس: طرح الأسئلة:

لقد طرح النبي ﷺ على بعض الصحابة عدة أسئلة من ذلك: «ألا أعلِّمك أعظمَ سورة في القرآن قبل أن تخرُج مِنَ المسجدِ؟». وكذلك: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟». ونحو ذلك، والمعلم يهدف من طرح الأسئلة خلال فترات الدرس، إلى بلوغ أهداف منها:

١- السؤال أداة المعرفة وأهم وسيلة للكشف عن الحقائق واكتساب المعلومات والمهارات.

٢- السؤال لإثارة التفكير فالسؤال يلفت نظر المسئول إلى مساحات جديدة من المعارف.

٣- تؤدي الأسئلة إلى ترسيخ المعلومات في الأذهان من خلال الإجابة على تلك الأسئلة، لأن السؤال يؤدي إلي عملية التطلع إلى معرفة الإجابة. وهذا له أثره في تعزيز عملية التعلم.

٤- تستخدم الأسئلة لغرض التنشيط، لأنها تدخل البهجة والسعادة في نفوس الطلبة للدور الإيجابي الذي يقومون به، والمشاركة العملية في عملية التعلم مما يشحذ هممهم وحماسهم إلى اكتشاف الإجابات الصحيحة.

٥- تعمل الأسئلة عمل الدافع، حيث يمكن اعتبارها عاملاً تشجيعيًا للطلبة بطيئي التعلم وذوي القدرات المحدودة والخجولين.

٦- تستخدم الأسئلة لغرض التشخيص والعلاج والوقاية، لأنها تساعد المعلم على تشخيص نقاط القوة والضعف في طلابه ... إلخ(١).

ثانيًا: من أنواع التربية: التربية الوقائية:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ من الْجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ ما سِوَاهُمَا».

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ٣٤٢-٣٤٧.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بَالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

قال النووي: "قيل كفتاه المكروه تلك الليلة، وقيل: كفتاه من قيام الليل"[1].

كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

وقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

كما أقرّ النبي ﷺ قول الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أويتَ إلى فِراشِكَ فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح».

فهذه الأحاديث فيها ما يقي المسلم من شرور الجن والإنس، وهذا طريق من طرق التربية الوقائية، فالشيطان عدو مضل مبين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

"لذا كان على المسلم أن يتقي شر هذا العد، و وذلك بطريقتين:

أ- الاستعاذة بالله عز وجل من شره: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[3].

ب-إذا استمر الشيطان في محاولاته بعد الاستعاذة فإن المسلم يتقيه بأن يستخف بدعوته فلا يعلق قلبه بها ولا يتبعه فيها، وأن يديم ذكر الله سبحانه وتعالى بلسانه وقلبه ... وذلك لأن الشخصية الإسلامية تستمد قوتها وسلامتها من اتصالها الدائم بالله ثم من الإرادة، فإذا كان لديها إرادة قوية فإنها تستطيع من خلالها كبح جماح أهواء نفسها، وتقدر على ضبط شهواتها وحجزها عن الجنوح وترفض وساوس شياطين الإنس والجن مهما بلغت إغراءاتها وزخارفها، لذلك نجد المنهج الإسلامي يركز على الإرادة وكيفية تقويتها لدى الإنسان"[4].

---

(١) رياض الصالحين ص ٣٩١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧-٩٨.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ٥٠٢-٥١١ بتصرف كبير.

ثالثًا: تربية الناشئة على تحمل المسئولية:

لقد أخبر أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ وكّله بحفظ زكاة رمضان، وهذا يستدل به على أن يربى المربون الناشئة على تحمل المسؤولية والمشاركة في الواجبات والمطلوبات، "فينبغي إشراك الصبي في تحمل بعض المسئولية، ولا ينظر على أنه ما زال صغيرًا، وخاصة في السنوات المتأخرة من مرحلة الصبا، وإذا لم يشارك في تحمل المسؤولية وهو قد أوشك أن يبلغ مبلغ الرجال، فمتى يقوم بذلك؟ فينبغي للمربي أن يشعر الصبي بذلك، كأن يمنحه مصروف أسبوع ينفق منه على حاجياته بدلاً من المصروف اليومي ويتابعه عن قرب، وكأن يستشيره في بعض الأمور ويستمع إليه، ويوضح له رأيه ولا يعارضه في كل ما يقول، ويسمح له بالاختيار من بين عدة بدائل، ويعهد إليه بالقيام ببعض الأمور، ويفوضه في عمل بعض الأشياء التي يحتاج إليها المنزل ونحوه ... ويبنبغي في الأمور التي يفوضه فيها أن يعوده على اتخاذ القرار بحيث لا يرجع إليه في كل شيء، كما لا ينبغي للمربي أن يحدد للصبي كل الخطوات التي ينبغي عليه اتباعها في تنفيذه ما عهد به إليه، بل يرشده إلى ما يغلب على ظنه أن الصبي لن يتمكن منه، وأما بقية الأمور فيعطيه فيها توجيهات عريضة حتى يتعود الصبي على القدرة على اتخاذ القرارات والموازنة بين الأمور"(١).

رابعًا: من أساليب التربية: الحوار:

الناظر في حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في توكيل النبي ﷺ له بحفظ زكاة الفطر، وما عرض لأبي هريرة بالليل وسؤال النبي ﷺ عن ذلك في الصباح، الناظر في ذلك يجده قائمًا على أسلوب الحوار، "ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ١١٧، ١١٨.

العقلي، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة. وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم... ويمكن القول: إن طريقة الحوار والمناقشة في التربية الإسلامية لها دورها في تقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير والمنافسة والتفوق على الأقران والتعويد على الثقة بالنفس، وكل ذلك من أجل التكامل مع طرق التربية الأخرى التي بها تتحقق أهداف فلسفة التربية الإسلامية"[1].



(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبد الجواد سيد بكر ص ٣٢٣-٣٢٥ بتصرف، وانظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ١٨٤-١٨٨.

١٨٤- باب استحباب الاجتماع على القراءة

الحديث رقم (١٠٢٤)

١٠٢٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بينهم، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

السكينةُ: الطُّمأنينة والوقار والسكون[٢].

غشيتهم: غَطَّتهُمْ وحوتهم[٣].

حَفَّتهم: طافت بهم ودارت حولهم[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول فضل القرآن، وتعليمه، وتعلمه، وقد جاء في أسلوب القصر الذي استوعب الحديث حيث قصر معنى جلوس القوم على الهيئة الموصوفة في المسجد على تنزل الملائكة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، مع ذكر الله لهم، وتنكير كلمة (قوم) للتعميم لأنها نكرة في سياق النفي، وبين بيت، وبيوت جناس يوضح المعنى، ويرسخ للموقع الفاضل في بقاع الأرض حيث بيوت الله، والفعلان المضارعان (يتلون،

---

(١) برقم (٣٨/٢٦٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٨)، وتقدمَ برقم ٢٤٥، وسياتي كذلك مختصرًا برقم ١٣٨٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ك ن)

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ش ى).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ف ف)

ويتدارسون) تصور الحركة الدائمة الدؤبة لهؤلاء في المسجد، وتصور المسجد بهم كخلية النحل بين معلم، ومتعلم، وتال للقرآن، وغيرهم، وقوله (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) كناية عن طمأنينة القلب، والشعور برضا الرب، وقوله (وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ) التعبير بالفعل غشي يدل على الإحاطة من كل جانب، وقوله: (وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) كناية عن الحفاوة بهم، والرضا بفعلهم، والتعبير بالحفيف يشير إلى المرور في رقة والالتفاف في خفة تتميز بها حركة الملك المكلف بالحفيف وقولهم (وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذا منتهى التكريم لعبد أن يذكره الله تعالى في الملأ الأعلى.

المضامين الدعوية[1]

المضامين التربوية لأحاديث الباب[2]



(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٤٥).

(٢) تقدم ذكرها في المضامين التربوية لأحاديث الباب (٢٩).

١٨٥- باب فضل الوضوء

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦].

الحديث رقم (١٠٢٥)

١٠٢٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ**))، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غُرًّا: جمع أغرّ أي ذو غرّة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ[2].

محجلين: من التحجيل وهو: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس والمراد به هنا أيضًا النور[3].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول إسباغ الوضوء، ويقرر أن أثر الوضوء هو علامة الأمة المحمدية

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦/٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

يوم الحشر العظيم، وبداية الرسول ﷺ بتوكيد الخبر تعظيم له، وبيان لأهميته، ونسبة الأمة له تشريف لها يحيط بكل مسلم مقتد به، والتعبير بالدعوة فيه خصوصية لهم من بين الأمم في النداء، والفعل المضارع يصور تتابعهم بعلامة تميزهم بين أمواج الأمم، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يصعِّد الإحساس بالرهبة لحاجة الإنسان إلى من يأخذ بيده، ويتعرف عليه، وقوله (غراً محجلين) الغرة علامة في الوجه، والتحجيل علامة في الأقدام، فالعلامة من أعلاهم، ومن أسفلهم، وبذلك تشمل مبتدأ النظر من أعلى، ومبتدأ النظر من أسفل، وقوله (فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) أسلوب شرط يربط إطالة الغرة بالاستطاعة بحيث تكون عادة المستطيع عند كل وضوء حتى تكون علامته أكثر وضوحاً وأجره عند الله أكبر.

فقه الحديث

استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء:

قال النووي: (هذه الأحاديث مصرحة باستحباب تطويل الغرة والتحجيل، أما تطويل الغرة فقال أصحابنا: هو غسل شيء من مقدّم الرأس وما يجاوز الوجه زائد على الجزء الذي يجب غسله؛ لاستيقان كمال الوجه. وأما تطويل التحجيل فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين، وهذا مستحبٌ بلا خلاف بين أصحابنا واختلفوا في قدر المستحب على أوجه:

أحدها: أنه يستحب الزيادة على فوق المرفقين والكعبين من غير توقيت.

والثاني: يستحب إلى نصف العضد والساق.

والثالث: يستحب إلى المنكبين والركبتين.

وأحاديث الباب تقتضي هذا كلّه. وأما دعوى الإمام أبي الحسن بن بطال المالكي والقاضي عياض اتفاق العلماء على أنه لا يستحب الزيادة فوق المرفق والكعب فباطلة، وكيف تصحّ دعواهما وقد ثبت فعل ذلك عن رسول الله ﷺ وأبي هريرة رضي الله عنه[1]،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٠.

وهو مذهبنا لا خلاف فيه عندنا كما ذكرناه، ولو خالف فيه مخالف كان محجوجًا بهذه السنن الصحيحية الصريحة، وأما احتجاجهما بقوله ﷺ: ((من زاد على هذا أو نقص فقد ساء وظلم))[1] فلا يصح لأن المراد من زاد في عدد المرات، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصوصية الأمة المحمدية بالغرة والتحجيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد التوكيد في الحديث من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين" والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تقوية الكلام وتأكيده في أذهان المدعوين، وقد أفاد التوكيد في الحديث إثبات وتأكيد وصف الأمة المحمدية بأنهم غرٌّ محجلون.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خصوصية الأمة المحمدية بالغرة والتحجيل:

قد أشار الحديث الأول إلى ذلك من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء".

قال القرطبي: (وأصل الغرة لمعة بيضاء في جبهة الفرس، تزيد على قدر الدرهم. يقال منه: فرس أغرّ. ثم قد استُعمل في الجمال والشّهرة وطيب الذكر، كما قال[4]:

ثياب بني عَوفٍ طَهَارى نَقيَةٌ ... وأوجُهُهُم عند المشاهد غُرَّارُ

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٥، والنسائي ١٤٠، وابن ماجه ٤٢٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٢٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٣/٢ - ١١٧.

(٣) هذه المضامين تشمل هذا الحديث - ١٠٢٥- والحديث التالي (١٠٢٦).

(٤) هو امرؤ القيس كما في حواشي التحقيق لكتاب المفهم.

والتحجيل بياض في اليدين والرجلين من الفرس، وأصله من الحجل؛ وهو الخلخال والقيد. ولابد أن يجاوز التحجيل الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعُرْقُوبين، وهو في هذا الحديث مستعارٌ عبارة عن النور الذي يعلو أعضاء الوضوء يوم القيامة)[١].

وفي بيان خصوصية الأمة المحمدية بذلك قال: حذيفة ﵁ قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ. لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ))[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله "ليست لأحد غيركم" قال غير واحد من أهل العلم: إن الغرة والتحجيل مما اختصت به هذه الأمة)[٣].

وقال أبو هريرة ﵁: إن رسولَ الله ﷺ قال: ((إن حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَة مِنْ عَدَنٍ. لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرَكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ))[٤]، (وسيما أمتي: أي علامة تتبين بها أمة النبي ﷺ)[٥].

قال القرطبي: (وقوله: "لكم سيما ليست لأحد غيركم" السيما: العلامة، يُمدّ، ويهمز، ويقصر، وهذا نص: في أن الغرة والتحجيل من خواص هذه الأمة، ولا يعارضه قوله ﷺ: ((هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي))[٦] لأن الخصوصية بالغرة والتحجيل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/ ٥٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/ ٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٥٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢/ ٩٨، برقم ٥٧٣٥، وابن ماجه ٤١٩، ٤٢٠، والدار قطني ١/ ٨٠، والبيهقي ١٠/ ٨٠ - ٨١، من حديث ابن عمر ﵄، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ١٠/ ٢٧، ولكن الألباني صححه في السلسلة الصحيحة الحديث ٢٦١.

لا بالوضوء، وهما من الله تفضيل يختصُّ به من يشاء)[١].

وقال ابن هبيرة: (وآثار الوضوء علامة تظهر لهذه الأمة خاصة في القيامة تدل على فضيلتها)[٢].

وقال النووي: (وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، وقال آخرون: ليس الوضوء مختصًا وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل)[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديثان جليًا من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطل غرته فليفعل"، وقوله ﷺ: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء".

قال ابن عثيمين: (وهذا دليل على فضل الوضوء، وأن الأعضاء تأتي يوم القيامة تلوح من النور)[٤].

(والحلية يوم القيامة يُحلى بها الرجال والنساء، ويلبس الرجال والنساء حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ، قال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾[٥] وقال ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾[٦] فيوم القيامة تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، إذن كل الذراع يكون حلية مملوءًا حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ وهذا يدل على فضيلة الوضوء)[٧].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٠/١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٥/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٢٧٠/٢.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٤١.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ١٢٧٠/٢ - ١٢٧١.

ومن أجل عظم ذلك قال النبي ﷺ في نص الحديث "... فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل".

قال القرطبي: (وكان أبو هريرة يبلغ بالوضوء إبطيه وساقيه. وهذا الفعلُ منه مذهب له، ومما انفرد به، ولم يحكه عن النبي ﷺ فعلاً، وإنما استنبطه من قوله ﷺ ((أنتم الغر المحجلون))[١] ومن قوله: ((تبلغ الحليةُ من المؤمن حيث يبلغ منه الوضوء))[٢]، قال أبو الفضل عياض[٣]: (والناس مجمعون على خلاف هذا، وأن لا يتعدى بالوضوء حدوده لقوله ﷺ ((فمن زاد فقد تعدى وظلم))[٤]، وتطويل الغرة والتحجيل بالمواظبة على الوضوء لكل صلاة وإدامته، فتطول غرّته بتقوية نور وجهه، وتحجيله بتضاعف نور أعضائه)[٥] وفي ذلك بيان على عظم فضل الوضوء يوم القيامة.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يقصد بها تشويق المدعو وحمله على سرعة الاستجابة للأمر المدعو إليه والثبات عليه لنيل عظيم الأجر وجزيل الثواب، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في الوضوء والحث عليه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٠. (الحديث الثاني).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٤/٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٢٢، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٩٩/١.

(٦) انظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٠٢٦)

١٠٢٦ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ خليلي ﷺ، يقول: ((تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الحِلْيَةُ: اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة. وأراد بالحلية ههنا: التحجيل يوم القيامة من أثر الوضوء من قوله ﷺ "غرّ محجّلون". أي تكون مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام بيضاء عليها نور[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يربط بين المرغوب النفسي، والمطلوب الشرعي ترغيبا للنفس في إسباغ الوضوء، والتعبير بالبلوغ إشارة إلى وصول الشيء حداً معيناً، ونسبة البلوغ للحلية وهي مفعول من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في الصفة فكأن الحلية من كثرتها تتحرك على موضع وضوئه لتزينه بنفسها، وقوله (من المؤمن) تخصيص المؤمن؛ لأنه هو الذي يحافظ على وضوئه، وصلاته، وعنده الأساس الممهد له، وهو التوحيد الداعي إلى جماع الخير، ومنها إسباغ الوضوء الذي يتحول إلى زينة يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٤٠/٢٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ل) و(ح ل ي)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٢٧)

١٠٢٧ - وعن عثمان بن عفان ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَن تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُج مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

من اسم موصول يتضمن معنى الشرط، وينادي بكل عاقل ليتنبه لما بعده من الفضل، وربط الوضوء بالإحسان ترغيب في الإسباغ الذي يحقق الغرض بمغفرة الخطايا، وصياغة الفعل في الماضي يدل على التحقق، ودخول أداة الشرط عليه يمحضه للمستقبل، وقوله (خرجت خطاياه) التعبير بالخروج عن مغفرة الذنوب استعارة تجسد الخطايا، وتصور خروجها بشيء مادى تغلغل في جسد الإنسان، وأوشك أن يفتك به ثم استل منه شيئاً فشيئاً حتى يخرج من أظافره، والوجه هو المفارقة التامة بانفصال شيء عن شيء، وقوله: (حَتَّى تَخْرُج مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ) تأكيد لمغفرة الخطايا بما ينفي وهم المبالغة، ويؤكد حقيقة طهارة المؤمن منها، ويخيل له سريان خطاياه مع ماء وضوئه من جسده كما تسيل أدرانه الظاهرة من فوق جلده حتى تفارقها مفارقة لا رجعة بعدها.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إحسان الوضوء.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان صفة وكمال وضوء النبي ﷺ.

ثالثًا: من واجبات الداعية: دلالة وإرشاد المدعوين إلى طريق الخير.

---

(١) برقم (٢٤٥/٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث (١٠٢٨).

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من واجبات الداعية: فضل إحسان الوضوء:

هذا ما ظهر جليًا في الحديثين من قوله ﷺ "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه ... إلخ" وقوله ﷺ "من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه... إلخ".

قال النووي: (وقوله ﷺ "فأحسن الوضوء" أي: يأتي به تامًا بكمال صفته وآدابه، وفي هذا الحديث الحث على الاعتناء بتعلم آداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ماء طهور بالإجماع)[١].

وقال القرطبي: (قوله: "وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة" يعني: الوضوء لم يبق عليه ذنبًا، فلمّا فعل بعده الصلاة كان ثوابها زيادة له على المغفرة المتقدمة، "النفل": الزيادة، ومنه نفل الغنيمة: وهو ما يعطيه الإمام من الخمس بعد القسمة)[٢].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ "أَوِ الْمُؤْمِنُ" فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))[٣].

قال القرطبي: (وقوله: فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر بعينه مع الماء" هذه عبارة مستعارة، المقصودُ بها الإعلام بتكفير الخطايا ومحوها، وإلا فليست

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٤٩٠ - ٤٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٤.

الخطايا أجسامًا حتى يصح منها الخروج)[١].

وقال القرطبي: (وفيما ورد من أحاديث دليل على أن الوضوء بانفراده يستقلّ بالتكفير ولا يبقى هناك ذنبًا، وهذا بخلاف أحاديث عثمان رضي الله عنه، إذ مضمونها: أن التكفير إنما يحصلُ بالوضوء ((إذا صلى به صلاة مكتوبة يتم ركوعها وخشوعها))[٢].

والتلفيق من وجهين:

أحدهما: أن يُردَّ مطلق الأحاديث إلى مقيدها.

والثاني: أن نقول: إن ذلك يختلف بحسب اختلاف أحوال الأشخاص؛ فلا بُعْدَ في أن يكون بعضُ المتوضِّئين يحصلُ له من الحضور؛ ومراعاة الآداب المكملة؛ ما يستقلُّ بسببها وضوءه بالتكفير، ورب متوضيءٍ لا يحصلُ له مثل ذلك، فيكفر عنه بمجموع الوضوء والصلاة، ولا يعترض على هذا بقوله ﷺ: ((مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى. فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ))[٣] لأنا نقول: من اقتصر على واجبات الوضوء فقد توضأ كما أمره الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّهَا لا تَتِمُّ صَلاَةُ أحَدِكُم حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَيَغْسِلُ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحُ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ))[٤] ونحن إنما أردنا المحافظة على الآداب المكملة التي لا يراعيها إلا من نور الله باطنه بالعلم والمراقبة. والله تعالى أعلم)[٥].

وعلى هذا (فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذه الأحاديث وأمثالها يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٩٣/١، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٤١/٢.

(٢) اخرجه البخاري ٦٤٣٣، ومسلم ٢٢٨.

(٣) اخرجه مسلم ٢٣١.

(٤) اخرجه أبو داود ٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٧٦٤).

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٩١/١ - ٤٩٢.

عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عز وجل)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان صفة وكمال وضوء النبي ﷺ:

قد أشار الحديث الثاني إلى ذلك من قول عثمان بن عفان رضي الله عنه "رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا" وقد بين رضي الله عنه صفة وضوء النبي ﷺ فقال مولى عثمان: ((إنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه دَعَا بِوَضُوءٍ. فَتَوَضَّأَ.فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ. ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: هذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلاَةِ))[٢].

قال النووي: (وأما حقيقة المضمضة فقال أصحابنا: كمالها أن يجعل الماء في فمه ثم يديره فيه ثم يمجه، وأما أقلها فأن يجعل الماء في فيه ولا يشترط إدارته على المشهور الذي قال الجمهور...، والاستنثار هو إخراج الماء من الأنف بعد الاستنشاق...، وقال: (إن هذا الحديث أصل عظيم في صفة الوضوء، وقد أجمع المسلمون على أن الواجب غسل الأعضاء مرة مرة وعلى أن الثلاث سنة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بالغسل مرة مرة وثلاثًا ثلاثًا، وبعض الأعضاء ثلاثًا وبعضها مرتين وبعضها مرة، قال العلماء: فاختلافها دليل على جواز ذلك كله، وأن الثلاثة هي الكمال والواحدة تجزئ)[٣].

ثالثًا - من واجبات الداعية: دلالة وإرشاد المدعوين إلى طريق الخير:

لقد بيّن رسول الله ﷺ ودلّ أصحابه وأمته على ما يكفر الخطايا والذنوب،

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٧١/٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩، ١٦٤، ومسلم ٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٢ - ٢٥٣.

وذلك بإحسان الوضوء كما في الحديث الأول، وبالوضوء مثل وضوئه ﷺ كما في الحديث الثاني، وهذا من سوق الخير إلى أمته ﷺ، ولذا كان على الدعاة أن يرشدوا الناس إلى الخير وكل طريق موصلة إليه.

(وقيام الداعية بذلك، يجب أن يكون مبعثه تمثل الآخرة وما فيها من سعادة دائمة أو شقاء دائم، وتمثل ما أعده الله لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء وللعصاة من عقاب)[1].

والداعية بقيامه بذلك له عظيم الأجر وجزيل الثواب وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: ((وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[2] وقال ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[3]؛ فعلى الداعية أن يبين ويرشد المدعوين إلى أهمية وفضل إسباغ وتحسين الوضوء في التحلل من الذنوب ورفع الدرجات.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد الناس، وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[4]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديثين الشريفين، ففي الأول رغّب النبي ﷺ في إحسان الوضوء والعناية به، على حين رغّب ﷺ في الحديث الآخر في أن يكون الوضوء مثل وضوئه، وذلك بالإخبار عن الثواب الجزيل والفضل العميم عن فعل هذين الفعلين.

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي ص ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ١٩٢.

الحديث رقم (١٠٢٨)

١٠٢٨ - وعنه، قَالَ: رَأَيتُ رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: ((مَنْ تَوَضَّأَ هكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلاَتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

قول عثمان رضي الله عنه (رأيت رسول الله ﷺ) يؤكد الفعل من ناحية الصياغة في الماضي، ومن ناحية الرؤية، وهي أقوى طرق العلم، والتشبيه المقلوب في قوله (توضأ مثل وضوئي هذا) أصله توضأت مثل وضوئه، ولكن لما كان الحديث يعاد في الذاكرة وعلى لسان الصحابي وهو يتحدث عن الموقف والمكان الذي وقع فيه الوضوء أعاد الحدث كأنه يحصل حال الحديث عن طريق الصياغة في صورة الفعل الدال على الحركة التي ألبسها للحديث فشبهه بوضوئه، والحقيقة أن عثمان رضي الله عنه هو التابع في الوضوء، والرسول ﷺ الأصل، وترتيب المشبه، والمشبه به موافق للحكاية باعتبار زمن الحكاية، والإشارة (هذا) لتمييز المشار إليه أكمل تمييز، والتشبيه يؤكد أثر الأسلوب على المخاطبين في ترسيخ المعنى لديهم، وإتقانهم له عملا، وأداءً لغيرهم من الأجيال؛ لأنه يصل إليهم جميعاً على حد سواء في الإفهام لاشتراك حاسة السمع، والبصر في تلقيه، وقوله (مَنْ تَوَضَّأَ هكَذَا) التشبيه بالمشار إليه القريب يشير إلى الإسباغ، والمتابعة في الفعل بما يحقق الأجر، والتعبير بالفعل الماضي (غفر) يدل على التحقق، وعدم ذكر الفاعل لأنه معلوم، والتعبير عما سلف من الذنوب بالفعل (تقدم) في صورة الماضي يستغرق جميع الذنوب.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٢٩/٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٢).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٢٩)

١٠٢٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ – (أَو المُؤْمِنُ) – فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، فَإذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، (أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، فَإذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ المَاءِ، (أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بَطشتها: اكتسبتها[2].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى الأحاديث السابقة يدور حول محو الوضوء لخطايا المؤمن، ولكنه يتتبع المعنى شيئا فشيئا لمزيد من الإيضاح، والتوكيد، وقد بدأ بأسلوب الشرط الذي يعرض المعنى بطريقة تشعر المخاطب بأنه حر الاختيار، مع ترغيب في الفعل عن طريق عرض النتيجة المرغوبة للنفس مما يرجح الميل إلى الفعل، وقد استخدم أداة الشرط إذا التي تؤذن بتحقق الوقوع والفعل الماضي يشير إلى هذا التحقق، وربط جواب الشرط (خرج) بالوضوء يعطيه اطرادا على الزمان، والمكان، وتكرار ذكر الوجه مع تقدمه لتقريره في الأذهان وتوكيده، وكذلك ذكر اليد، والرجل، والتعبير بالبطش في جانب اليد يشير إلى التجاوز في الباطل، والأخذ بقوة، ونسبة الأفعال إلى هذه الجوارح باعتبارها آلة لها على سبيل المجاز الذي يؤكد ارتكابه للفعل؛ لأن هذه الجوارح جزء

---

(١) برقم (٢٤٤/٣٢)، وتقدم برقم (١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ش).

منه كما يدلل استخدام المجاز على أن هذه الجوارح مسخرة للإنسان، وسيحاسب عليها كما أن فيه عدم نسبة الذنب لأصل المؤمن بل بشي يتصل به، وهذا، وإن كان يؤكد ارتكابه الذنب إلا أنه يمكنه الخلاص منه إذ أن ما يتعلق بالأصل لا يمكن الخلاص منه كالشرك، والنفاق الذي يمسك بجذر القلب فيردي صاحبه، ولا يصلح معه عمل، أما ما يتعلق بجارحة غير القلب، ودون اعتقاد قادح في التوحيد فإنه يكفر بأعمال البر كالوضوء، والصلاة، وغيرها، كما أن قوله (مع الماء) يؤكد ترافق الخروج مع نزول الماء فيتأكد بنزوله مغفرة الخطايا كلما استجد المؤمن وضوءً تجددت الصورة في عقله مما يحدث في وجدانه توازناً نفسياً يدفعه إلى المحافظة على الطهر بالبعد عن المعصية، والمحافظة على التطهير بالحرص على الوضوء، وقوله (حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ) يشير إلى ذلك ويؤكد مغفرة خطاياه، والتعبير بالنقاء مبالغة في مغفرة الذنوب تدفع أي احتمال في بقاء ذنب حتى لا يستكثر عبد ذنوبه ويستعظمها على مغفرة الله، فيرتكب بهذا الظن ذنباً - ربما يفوق ذنوبه -.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٩).

الحديث رقم (١٠٣٠)

١٠٣٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فَقَالَ: ((السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا)) قالوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ)) قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: ((أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غر جمع أغرّ أي ذو غرة: والغرة: البياض الذي يكون في وجه الفرس والمراد هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ[٢].

مُحَجلة: الفرس المحجل: هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد. والتحجيل: أصله من الحجل بكسر المهملة وهو الخلخال والمرد هنا أيضاً: النور[٣].

ظَهْرَيْ خيل: المراد بينها خيل[٤].

دُهْم: جمع أدهم وهو الأسود[٥].

بُهم: جمع بهيم: الذي لا يخالط لونه لونًا سواه، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر يكون لونه خالصًا[٦].

---

(١) برقم (٣٩/٢٤٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ر ر)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ل)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٢٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

فرطهم: أنا أتقدمهم[١]، وفرط القوم: تقدَّم ليتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية (الأحبال التي يشدون بها الدلاء)[٢].

الشرح الأدبي

لم تقتصر محبة الرسول ﷺ لأمته على صحابته الذين عاصروه بل تعدتهم بفيض الوجدان إلى من لم يأت بعد من أمته، ويكمن البعد النفسي لمثل هذا الحديث في أنه يمثل رسالة عبر الزمان، والمكان تربت على نفوس المؤمنين وتوحي بقرب الرسول منهم شدا لأزرهم وتقوية لعزيمتهم باقية بقاء الدهر تؤدي هذا الدور همسة حب، وحنان منه، ثم إنه ربط أجيال الأمة كلها في هذا الفيض من المحبة حيث وصل السابقين بالحاضرين في قوله (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إنْ شَاءَ اللّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ) ثم وصل السابقين بالحاضرين، بالآتين بقوله (وَدِدْتُ أنَّا قَدْ رَأَيْنَا إخْوانَنَا) وما أجملها من برقية تفيض بالمحبة والرقة، وجميل المشاعر من القلب الكبير الطاهر أرسلها لك ولي نبيك ﷺ يقول لي، ولك إني أحبك فهل تحبني، ثم سل نفسك ما موجبات هذه المحبة؟ وهل تشعر بهذه المحبة حتى ترد على هذه البرقية النبوية التي أتتك؟ ولا تنسى أنه يعرفك، أنت بشخصك، لأنه يعرف كل أمته، ونحن في أمس الحاجة إلى أن يتعرف علينا رسول ﷺ لأننا نحتاج إلى شفاعته لذا لابد أن نحرص على علامة الأمة المحمدية أن نتشبه به في كل شيء في عاداته، وعباداته، والاستفهام النبوي الأول في الحديث (أرَأيْتَ لَوْ أنَّ رَجُلاً لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ) استفهام أمر بمعنى أخبرني ينبه إلى التميز بعلامة في هذه الأمة، والاستفهام الثاني: (ألا يعرف خيله....) استفهام تقرير للمخاطبين بما علموا من مضمون الخبر؛ لينتقل بهم من هذه الصورة المعروفة في بيئتهم صورة خيل لها علامة في وجوهها غرة في جبينها تميزها، وعلامة في أرجلها محجلة بين خيل شديد السواد إلى صورة الأمة المحمدية بين الأمم منذ خلق الله البشر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب هـ م).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط)

مميزة تمام التمييز للرسول ﷺ؛ ليقرب للمخاطبين ويقرر في الأذهان بهذا القياس الصورة المهيبة صورة الأمم محشورة في صعيد واحد، ويبين بجلاء رغم هذا الزحام الشديد أنه يعرف أمته من رآه منهم، ومن لم يره - بهذه العلامة، كما يعرف صاحب الخيل المسومة خيله من بين الخيول، وفيه بيان لفضل الوضوء، وترغيب في إطالة التحجيل بإسباغ الوضوء.

فقه الحديث

جواز التمني: قال النووي: (قوله ﷺ: "وددت أنا قد رأينا إخواننا" قال العلماء في هذا الحديث جواز التمني لا سيما في الخير ولقاء الفضلاء وأهل الصلاح)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: الحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: محبة النبي ﷺ لمن يأتي بعده من المؤمنين وبيان فضل صحبة رسول الله ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء في تمييزه للمؤمنين يوم القيامة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة.

أولاً - من آداب المدعو: الحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي هريرة ﷺ: "إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون"، قال القرطبي: (المقبرة: تقال بفتح الباء وضمّها. وتسليمُه عليهم لبيان مشروعية ذلك، وفيه معنى الدعاء لهم)[٢]، وقد حث النبي ﷺ على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة فقال: ((إنـي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩/٣/٢ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٠/١.

نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً))[١] وقال أبو هريرة ﷺ: ((زَارَ النَّبِيُّ قَبْرَ أُمِّهِ. فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ. فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي. فَزُورُوا الْقُبُورَ. فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ))[٢]، قال القاضي عياض: (استئذانه عليه السلام في زيارة قبر أمه والإذن في ذلك، دليل على جواز زيارة القبور، وصلة الآباء المشركين، وإذا كان هذا بعد الموت ففي الحياة أحق، وكأنه قصد عليه السلام قوة الموعظة والذكرى؛ بمشاهدته قبرها ورؤيته مصرعها، وشكر الله على ما منَّ به عليه من الإسلام، الذي حُرمته، وخص قبرها لمكانها منه، ويدل مقصده قوله آخر الحديث: "فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت".

وقوله: "فبكى وأبكى": بكاؤه ﷺ على ما فاتها من لحاق أيامه والإيمان به.

وقوله: "فزوروها": بين في نسخ النهي وفي علة الإباحة، أن يكون زيارتها للتذكير والاعتبار لا للفخر والمباهاة، لا لإقامة النوح والمآتم عليه، كما قال ﷺ: ((فَزُورُوهَا وَلا تَقُولُوا هُجْرًا قال مالك: يعني لا تقولوا سوءًا))[٣])[٤] و((كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله قَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ وَقَالَ رَسُولُ الله مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ))[٥]، فعلى المدعو أن يحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في الحديث من قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ: "أولسنا

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٨ رقم ١١٣٢٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٧/٤٢٩، وانظر: بلوغ المرام وشرحه سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٣٦٦. .

(٢) أخرجه مسلم ٩٧٦.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢٠٢٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٤٥٢ - ٤٥٣.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٨).

إخوانك يا رسول الله؟ فأجاب النبي ﷺ بقوله "أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد"، (والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي تجعل المدعو في استعداد فكري ونفسي...، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1]. وقد أفاد سؤال الصحابة رضوان الله عليهم، وإجابة النبي ﷺ، بيان محبة النبي ﷺ لمن ياتي بعده من المؤمنين.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: محبة النبي ﷺ لمن يأتي بعده من المؤمنين وبيان فضل صحبة رسول الله ﷺ:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "وددت أنا قد رأينا إخواننا" قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: "أنتم أصحابي. وإخواننا الذين لم يأتوا بعد".

قال القرطبي: (وقوله: "وودت أنا قد رأينا إخواننا" هذا يدل على جواز تمنّي لقاء الفضلاء والعلماء، وهذه الأخوة هي أخوة الإيمان اليقيني، والحب الصحيح للرسول ﷺ. وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام قال: إخواني الذين يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقون برسالتي ولم يلقوني، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله"، وقد أخذ أبو عمر ابن عبدالبر من هذا الحديث ومن قوله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَالْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))[2] أنه يكون فيمن يأتي بعدالصحابة من يكون أفضل ممن كان في جملة الصحابة، وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا، وأن من صحب النبي ﷺ، ورآه ولم مرة من عمره، أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل. وهو الحق الذي لا ينبغي أن يُصار لغيره، لأمور:

أولها: مزية الصحبة ومشاهدة رسول الله ﷺ.

---

(١) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن حبنكة، ٥٩/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٣٤١، مطولًا وقال الألباني: ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة (ضعيف سنن أبي داود ٩٣٤).

وثانيها: فضيلة السبق للإسلام.

وثالثها: خصوصية الذب عن حضرة رسول الله ﷺ.

ورابعها: فضيلة الهجرة والنصرة.

وخامسها: ضبطهم للشريعة وحفظها عن رسول الله ﷺ.

وسادسها: تبليغها لمن بعدهم.

وسابعها: السبق في النفقة في أول الإسلام.

وثامنها: أن كل خير وفضل وعلم وجهاد ومعروف فعل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحظهم منه أكمل حظ، وثوابهم فيه أجزل ثواب؛ لأنهم سنوا سنن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال ﷺ: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[1] ولاشك في أنهم الذين سنوا جميع السنن وسابقوا إلى المكارم، ولو عُددت مكارمهم، وفسرت خواصُّهم، وحصرت لملأت أسفارًا، ولكلّت الأعين بمطالعتها حيارى.

وعن هذه الجملة قال ﷺ فيما أخرجه البزار عن جابر بن عبدالله مرفوعًا: ((إنَّ اللهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى العَالَمِينَ سِوى النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، واخْتَارَ لي مِنْ أَصْحَابي أَرْبَعَةً - يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا رحمهم الله - فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابي وقال: فِي أَصْحَابي: كُلُّهُمْ خَيْرٌ))[2]. وكذلك قال ﷺ: ((لا تسبوا أَصْحَابي فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه))[3] وكفى من ذلك كله ثناء الله تعالى عليهم جملة وتفصيلاً، وتعيينًا وإبهامًا، ولم يحصل شيء من ذلك لمن بعدهم. فأما استدلال المخالف بقوله عليه الصلاة والسلام: "إخواننا" فلا حُجة فيه؛ لأن الصحابة قد حصل لهم من هذه الأخوة الحظ الأوفر؛ لأنها الأخوة اليقينية العامة، وانفردت الصحابة

(١) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢٧٦٣، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ١٠/١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١.

بخصوصية الصحبة.

وأما قوله: "للعامل منهم أجر خمسين منكم" فلا حجة فيه؛ لأن ذلك - إن صح - إنما هو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد قال عليه الصلاة والسلام في آخره: "لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون"، ولا بُعد في أن يكون في بعض الأعمال لغيرهم من الأجور أكثر مما لهم فيه، ولا تلزم منه الفضيلة المطلقة التي هي المطلوبة بهذا البحث. والله أعلم)[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه:

(قد كان النبي ﷺ يستعين على توضيح توجيهاته الدعوية بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم، ومما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من تشبيه معرفته بأمته يوم القيامة بصاحب الخيل الغر المحجلة، فإنه يعرفها تمام المعرفة وهي وسط خيل بهم غير محجلة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء في تمييزه للمؤمنين يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء" وفي رواية ((أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ))[٣] قال النووي: (قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة الفرس، والتحجيل بياض في يديها ورجليها، قال العلماء: سمى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهًا بغرة الفرس)[٤]، وقال ابن عثيمين رحمه الله: (ففي هذا الحديث دليل على فضيلة الوضوء، وأن هذه الأمة يأتون يوم القيامة وهم غر محجلون من أثر الوضوء، وغر يعني: بيض

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠١/١ - ٥٠٣.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

الوجوه، محجلون يعني: بيض الأرجل والأيدي وهذا البياض نور وإضاءة، يعرفهم الناس يوم القيامة في هذا اليوم المشهود العظيم)[١].

وقال د. الحسيني هاشم: (بيّن ﷺ أن اتباع المسلمين لتعاليمه وسيرهم على سنته حافظ لصلتهم به، خاصة إذا داوموا على الوضوء، حيث سيجتمعون عنده على الحوض سيزين بأنوارهم المتلألئة على أعضاء الوضوء، والمتفاوتة بحسب كثرته واتقانه)[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ "وأنا فرطهم على الحوض" قال النووي: (قال الهروي: وغيره معناه أنا أتقدمهم على الحوض، يقال فرط القوم إذا تقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والرشا، وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، فهنيئًا لمن كان رسول الله ﷺ عليه فرطه)[٣]، وما يؤكد شفقته ﷺ على أمته يوم القيامة قوله ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا. فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِىءَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٤].

قال النووي: (ومعناها أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها...، وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخر ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم)[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٧٤/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٥٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٤، ومسلم ١٩٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٩.

الحديث رقم (١٠٣١)

١٠٣١ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((ألاَ أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((إسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ؛ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[1])) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إسباغ الوضوء: إيفاء كل عضوٍ حقه في الغسل[3].

المكاره: مَكْرَه وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه كشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك[4].

الرباط: الرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها، أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله، ويكون الرباط مصدر رابطتُ: أي لازمتُ. وقيل: الرباط ههنا اسم لما يُربط به الشيء. أي: يشد، ويعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم[5].

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بأداة العرض (ألا) وهي للعرض بدليل قولهم في الجواب (بلى)

---

(١) في هذه الرواية مرة واحدة، وأما في رواية مالك، بعد هذا الحديث بدون رقم، ففيه مرتين: (فذلكم الرباط فذلكم الرباط).

(٢) برقم (٤١/٢٥١)، وتقدم برقم (١٣١)، وسيكرره المؤلف برقم (١٠٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب غ).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر هـ).

(٥) المرجع السابق (ر ب ط).

وتكون للتنبيه إذا كان الغرض منها تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلته عنه، وقوله ﷺ (.... ما يمحو الله به الخطايا) قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة) [١]، وأصل الرباط الحبس ومنه رباط الخيل حبسها واقتناؤها ورابط الجيش: أقام في الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة ورباط)، والإشارة في قوله (فذلكم الرباط) تدل على التفخيم وزيادة الميم زيادة في التنبيه إلى أن الإشارة إليهم هم، ثم وقوع اسم الإشارة مسندا إليه والمسند (الرباط) معرف باللام، ليفيد قصره عليهم، وكأنه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال معنى الرباط فيه، وألا يتوهم المبالغة في الإخبار عنه بهذا الخبر مع ما للجهاد المسلح من الفضل، فقطع بتكرار العبارة كل وهم وأكد المعنى تأكيدا لا شك فيه، ولعل سر هذا الفضل يرجع إلى أن هذه الأمور رباط دائم للإنسان في أجزاء اليوم، والليلة، ورباط الجيوش في وقت معين، ورباط الصلاة لمحاربة عدو خفى هو الشيطان، وهوى النفس، ورباط الجيش لقتال عدو ظاهر ولا شك أن قتال العدو الظاهر أيسر، ورباط الجيوش فرض كفاية، ورباط الصلاة فرض عين، ومن هنا كانت عناية النبي ﷺ بأسلوبه التشويقي الذي هيأ القلوب لاستقبال الأمر بداية بالاستفهام عرضا، وتشويقا، ومرورا بعبارات التشويق (يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)، وانتهاء بتكرار جملة التفصيل (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) توكيدا لفظياً، ومعنويا يفيد - كما تقدم - نفى المبالغة [٢].

المضامين الدعوية [٣]

---

(١) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الاول ١٤١/٢.

(٢) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣١).

الحديث رقم (١٠٣٢)

١٠٣٢- وعن أَبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ**)) رواه مسلم[1].

وَقَدْ سبق بطوله في باب الصَّبر.

وفي البابِ حديث عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه السابق في آخر باب الرَّجَاء[2]، وَهُوَ حديثٌ عظيمٌ؛ مشتملٌ عَلَى جملٍ من الخيرات.

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر الذي يشتمل على المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، لأن الطهور صيغة مبالغة من الطهر إذا ما أطلقت أوحت بتعدي معنى الطهر من صاحبه إلى من حوله فكأنه فاض على من حوله، ثم إن الطهارة معنى لازم لكل عبادة من العبادات بوجه من الوجوه لذلك قيل: أن الإيمَان يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ وَالْوُضُوءُ يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ وَهَذَا إِنْ تَمَّ يُفِيد أَنَّ الْوُضُوء شَطْرُ الإيمَانِ وَالأَظْهَرُ الأَنْسَبُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالإِيمَانِ الصَّلاة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ الْكَلام عَلَى تَقْدِيره مُضَاف أَيْ إِكْمَال الْوُضُوء شَطْر إِكْمَال الصَّلاة وَتَوْضِيحه أَنَّ إِكْمَال الصَّلاة بِإِكْمَالِ شَرَائِطهَا الْخَارِجَة عَنْهَا وَأَرْكَانهَا الدَّاخِلَة فِيهَا وَأَعْظَمُ الشَّرَائِط الْوُضُوء فَجُعِلَ إِكْمَالُهُ نِصْفَ إِكْمَال الصَّلاة وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُرَاد التَّرْغِيب فِي إِكْمَال الْوُضُوء وَتَعْظِيم ثَوَابه حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْف ثَوَاب الإِيمَان.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (١/٢٢٣)، وتقدم برقم (٢٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٤١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١).

(٢) برقم (٤٣٨).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث (٢٥).

الحديث رقم (١٠٣٣)

١٠٣٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - (أَوْ فَيُسْبِغُ) - الوُضُوءَ، ثُمَّ يقول: أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) [١]، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ[٢] وَرَسُولُهُ؛ إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أيِّهَا شَاءَ)) رواه مسلم[٣].

وزاد الترمذيُّ[٤]: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ)).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

فيبلغ أو فيسبغ: هما بمعنى واحد، أي: يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون[٥].

المتطهرين: من التطهر وهو: التنزه والكف عن الإثم[٦].

الشرح الأدبي

قوله (ما منكم من أحد) عبارة تفيد العموم، والاستغراق بتركيبها عموما، واستغراقا يسري عبر الزمان، والمكان، والفعل المضارع يشير إلى تجدد الحدث، واستمراره، والفعل يبلغ يشير إلى الإتقان الذي يصل إلى الحد المطلوب، والفاء للتعقيب،

---

(١) هذه الزيادة ليست عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده بعد هذا الحديث، بدون رقم.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (وأنَّ محمدًا عبد الله) والمثبت لفظ مسلم بعد هذه الرواية، بدون رقم.

(٣) برقم (١٧/٢٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٨).

(٤) برقم (٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٨).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٨.

(٦) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ط هـ ر).

والترتيب وقوله أشهد يوحي بالتحقيق، والتثبت، و اليقين، والمعاينة، وكلها تناسب هذا الاعتراف، والنطق بعبارة التوحيد (لا إله إلا الله) التي تتصدر الأحداث الجسام ويكثر ترديدها في العظائم؛ لكونها أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله، وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَحْدَهُ) توكيد لنفي الألوهية عن الجميع، وإثباتها لله، وكذلك قوله (لاَ شَرِيكَ لَهُ) يصعِّد هذا التوكيد إلى حد لا يبلغه شك، ولا يعترضه في قوته إنكار، وكثرة أشكال التوكيد في إثبات الألوهية لله، ونفيها عن من سواه؛ لأنه معنى زلت عنده الأقدام، وضلت عنه كثير من الأمم التي أشركت مع الله غيره من خلقه ما بين بشر، أو حجر، أو كوكب، أو غيره، ولذلك لما أتبع الشهادة ببقيتها، وهي قوله: (وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) نص فيها على صفة العبودية للرسول ﷺ للفرق بين مقام النبوة، والألوهية حتى تحبه الأمة ما تحبه، وهي تعلم أنه عبد نبي، وقوله (فتحت) لم يذكر الفاعل للعلم به، وجمع الأبواب يشير إلى الحفاوة بصاحب هذا العمل، وذكر العدد ثمانية يؤكدها ويوحي بعظمة الأجر، وإتيان العبد عملا عظيماً، وقوله (يدخل من أيها شاء) فعل المشيئة يشير إلى الحرية في اختيار المدخل، والعبارة توحي بمنتهى الحفاوة، والكرم الذي ينبيء بعظم العمل الذي استلزم هذا الجزاء.

فقه الحديث

الذكر المستحب عقب الوضوء:

قال النووي: (أما أحكام الحديث ففيه أنه يستحبّ للمتوضئ إن يقول عقب وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وهذا متفق عليه. وينبغي أن يضم إليه ما جاء في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث:

"اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين" ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه "عمل اليوم والليلة" مرفوعًا: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحده لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك))[١] قال أصحابنا: وتستحب هذه الأذكار للمغتسل أيضًا. والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: الحث على إسباغ الوضوء وبيان فضله.

ثانيًا: من آداب المدعو: الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ بعد إتمام الوضوء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من واجبات الداعية: الحث على إسباغ الوضوء وبيانه فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ -أو فيسبغ - الوضوء ... إلخ" قال النووي: (في قوله ﷺ "فيبلغ أو يسبغ الوضوء" هما بمعنى واحد أي: يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون والله أعلم)[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل إسباغ الوضوء، والدعاء بعده، وأن المداومة على ذلك سبيل إلى الدخول في الجنة والبعد عن النار، وكأن الإنسان بوضوئه قد تطهر وتنظف فأصبح صالحًا لدخول الجنة بعد أن زال عنه خطر النار)[٤].

وقد حث النبي ﷺ على إسباغ الوضوء مع بيانه ﷺ لفضل ذلك فقال: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ))[٥] وعن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٢٨٢٩ من حديث أبي سعيد الخدري > وليس فيه جملة "وحده لا شريك له" وقال النسائي: هذا خطأ، والصواب موقوف. وذكره المنذري في الترغيب ٣٥٤. وقال: رواه الطبراني في الأوسط ١٤٧٨ ورواته رواة الصحيح اهـ. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٤/٣/٢ .

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ص ٥٥١ - ٥٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٥.

أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ "أَوِ الْمُؤْمِنُ" فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))[1] قال النووي: (والمراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر وقال القاضي: والمراد بخروجها مع الماء المجاز والاستعارة في غفرانها)[2].

فعلى الداعية أن يوضح ويبين فضل إسباغ الوضوء لما في ذلك من عظيم الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثانيًا – من آداب المدعو: الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ بعد إتمام الوضوء:

إن المدعو ملتزم بالامتثال بما ورد عن النبي ﷺ دون زيادة أو نقص، وقد بين الحق تبارك وتعالى أن ما ورد عنه ﷺ هو وحي يوحى فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[3]. قال ابن كثير " (أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض، إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان)[4]، فعلى المدعو أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ من الدعاء بعد إتمام الوضوء.

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ثم يقول: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" (وأما الأذكار التي تقال عند غسل كل أعضاء الوضوء على حدة فكذب مختلق لم يقل رسول الله ﷺ شيئًا منه ولا علمه أمته ولا ثبت عنه (غير التسمية في أوله)[5] وغير قوله: (أشهد أن لا إله إلا وحده لا

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٢٦٣.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١ – ٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٠).

شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)[١] في آخره، وفي حديث آخر في "سنن النسائي" مما يقال بعد الوضوء أيضًا: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليك))[٢]، ولم يكن يقول في أوله نويت رفع الحدث ولا استباحة الصلاة لا هو ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم البتة ولم يرو عنه في ذلك حرف واحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف[٣].

وقال النووي: (ويستحب للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، وهذا متفق عليه، وينبغي أن يضم إليه ما في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث: "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين")[٤] ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه عمل اليوم والليلة مرفوعًا: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))[٥]. فعلى المدعو أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ في الدعاء عقب إتمام الوضوء، وفي بيان الحكمة من جمعه ﷺ للتوبة والطهارة في الدعاء بعد الوضوء: قال المباركفوري: (جمع بينهما إلمامًا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٦] ولما كانت التوبة طهارة الباطن عن أدران الذنوب والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى ناسب الجمع بينهما)[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي ٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤٨)، وهو حديث الباب رواية الترمذي.

(٢) قال محققا زاد المعاد: أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" ص٢١ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي سنده المسيب بن واضح، وهو سيء الحفظ، وكذا الراوي عنه، وهو يوسف بن أسباط. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٩٦.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٩٥ - ١٩٦.

(٤) تفرد به النسائي في السنن الكبرى ٩٨٢٩، ٩٨٣١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١/٣٢٧.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

التبشير من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو على سرعة الامتثال للأمر المدعو إليه وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من تبشيره ﷺ لمن يقول الشهادتين بعد إسباغ الوضوء بفتح أبواب الجنة الثمانية له يدخل من أيها شاء (ومما لا شك فيه أن أنواع الطاعات كثيرة جدًا، والعبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في التبشير والترغيب في القيام بهذه الطاعات)[1].

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ٥١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التنافس في فعل الخير:

أخبر النبي ﷺ فقال: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ. فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ». وفي هذا الحديث نوع من التربية على التنافس في فعل الخير، لأنه ربط بين إطالة الغرة وتحصيل ما ينتج عنها، وقوله ﷺ: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء"، والمتأمل في هذا الحديث يرى أن النبي ﷺ يفتح المجال واسعًا أمام كل مؤمن لإطالة غرته، وذلك بالإخبار أن الحلية تكون على قدر ما يبلغ الوضوء، ولا شك أن هذا يفتح طريق التنافس أمام المخاطبين لأن يتنافسوا في ذلك. وفي هذا تربية على التنافس في تحصيل الفضل، ويبين مسؤولية المربين في إثارة هذه الروح الطيبة في التنافس المحمود في فعل الخير وتحصيله، وذلك لأن "الشخصية الإسلامية إيجابية متفتحة على الحياة كلها ضمن حدود بيّنها المنهج الإسلامي، ومراده من ذلك هو: أن يجعل لتلك الشخصية الإسلامية دورًا في البناء وبذل النفع والخير للمجتمع، وجعلها تفيض بالخير عليهم باستمرارٍ حسب حالها، سواء أكانت فقيرة أم غنية، فقد جاءت السنة المطهرة حاضّة المسلم على فعل الخير حسب وسعه وطاقته، وجعلت له على كل فعل للخير صدقة تحتسب عند الله، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ. فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»[1].

من هذا الحديث يتبيّن لنا كيف أن الإسلام وسع دائرة الخير، وذلك ليفسح المجال أمام جميع الخلق على اختلاف مسئولياتهم وقدراتهم وأحوالهم كي يتسنى لهم

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري، ١٤٤٥، ومسلم ١٠٠٨.

المشاركة في فعل الخير وحصول الأجر من الله - سبحانه وتعالى - وبذلك لا يشعر الفقير أنه محروم من المشاركة من فعل الخير، لأنه قد فتح له باب المشاركة مع بقية إخوانه المسلمين، وجعل له في كل عمل خير يقوم به صدقة يثاب عليها مثله مثل الغني الذي ينفق من سعة ماله ويبذله في أوجه الخير المتنوعة. قال رسول الله ﷺ: "كل معروف صدقة"[(١)]، فالشخصية الإسلامية تهتدي إلى فعل الخير وتنجذب إليه ونادرًا ما تحتاج إلى من يبصرها به أو يدلها عليه، إذ فعل الخير هو الكمال الذي تنشده وتحس من خلاله بالسعادة والارتياح، فهي تسارع إلى كل خير فتسبق غيرها، وتنافس في كل فضيلة فتدركها وتعمل بها، فهي من الأبرار والمقربين"[(٢)].

ثانيًا: تربية الناشئة على إحسان العمل وإتقانه:

هذا المضمون يستمد من إحسان الوضوء وبيان فضل ذلك، فقد قال النبي ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء ..."، و"إسباغ الوضوء على المكاره"، و"ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول...".

ففي ذلك دعوة إلى إتقان العمل وإحسانه، وبيان أن الأجر يختلف باختلاف الإتقان والإجادة، وعلى ذلك ينبغي أن يُرَبَّى الناشئة والأولاد، فإنهم يجب أن يغرس فيهم حب إجادة العمل وتحسينه وعدم الاكتفاء بأداء العمل كيفما اتفق، فإن "المؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل بل يهمه أن يجوده، ويتقنه، ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في أي حال من أحواله، وأنه تعالى: "كتب الإحسان على كل شيء"[(٣)]، وقد فسر نبي الإسلام ﷺ هذا الإحسان في جانب العبادة، فقال: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(٤)]. وهذا هو شعور المؤمن في كل عمل من الأعمال، لا في

---

(١) أخرجه مسلم، ١٠٠٥، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ٣٦٥، ٣٦٦.

(٣) أخرجه مسلم، ١٩٥٥، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري، ٥٠، ومسلم، ٩.

العبادة وحدها. أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المؤمن دائمًا في أدائه لعمله: إني أرضي ربي.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة ...، وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال"[1].

والإتقان له دور كبير في النجاح، "فإن مستوى نجاحنا وتحقيق أهدافنا في هذه الحياة يعتمد بشكل كبير على درجة التركيز التي يمكن الوصول إليها، ألا ترى أن القدرة على الإتقان أوصلت رجالاً ونساءً كثيرين ذوي إمكانات عادية أو متواضعة إلى قمم النجاح التي لم يستطع صعودها العباقرة؟"[2].

ثالثًا: التعليم بالفعل:

وهذا يتضح من قول عثمان بن عفان ﵁: عندما توضأ "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هذَا"، فقد توضأ عثمان بن عفان ﵁ كما توضأ النبي، وذلك ليعلم المسلمين كيف كان وضوء النبي ﷺ، ولاشك أن التعليم بالفعل أوقع من التعليم بالقول، وقد كان النبي ﷺ يكثر من التعليم بالفعل، قال سهل بن سعد ﵁: وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَيْهِ (أي على المنبر) فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ. وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ. ثُمَّ رَجَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ. ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَغَ مِنْ آخِرِ صَلاَتِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هذَا لِتَأْتَمُّوا بِي. وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي»[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: "ولتعلَّموا صلاتي" هو بفتح العين واللام المشدّدة أي تتعلموا، فبين ﷺ أن صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله ﷺ بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه"[4].

---

(١) الإيمان والحياة ص ٢٥٦.

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة، د.إبراهيم بن حمد القعيد ص ٢٥٣.

(٣) أخرجه البخاري، ٩١٧، ومسلم، ٥٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤١٥، بيت الأفكار.

وقال ابن حجر: " وفيه جواز قصد تعليم المأمومين أفعال الصلاة بالفعل"[١].

وفي وضوء عثمان رضي الله عنه بالكيفية التي كان النبي ﷺ يتوضأ بها لون من ألوان التربية بالتطبيق، مما يؤثر في النفوس، ويجعل المؤمن يستصحب تلك الصورة العملية لهيئة الوضوء التي كان يفعلها النبي ﷺ وطبقها عثمان رضي الله عنه.

رابعًا: تذكير الناشئة بالحقائق الثابتة:

قال النبي ﷺ عندما أتى المقبرة: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، فقوله ﷺ: لأصحاب القبور: "وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ"، تذكير للمخاطبين بالحقائق الثابتة التي يجمعون عليها، وهي أن الموت مصير كل حيّ، وأن مصير هذا الخَلْق إلى فناء وزوال، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة، على تذكر الآخرة والاستعداد بالأعمال الصالحة، "فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء، وهي حياة أبدية، فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زادًا تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

ومثال على الشخصية الإسلامية التي بادرت إلى عمل الخير عندما علمت بطبيعة الحياة الدنيا، الحياة الآخرة،ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: «قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحد: «أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأينَ أنا؟ قال: في الجنة . فألقى تمراتٍ في يدِهِ، ثمَّ قاتلَ حتى قُتِل»[٣]"[٤].

---

(١) فتح الباري، ٦٧٧/١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٤٠٤٦، ومسلم، ١٨٩٩.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٣٦٢، ٣٦٣، بتصرف، وانظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ص ١٦٢، ١٦٣.

خامسًا: من أنواع التربية: التربية الصحية:

إن حثّ النبي ﷺ وترغيبه في الوضوء وإسباغه يستدل به على اهتمام الإسلام بالتربية الصحية التي تجعل الإنسان نظيفًا طيبًا فضلاً عن الوقاية من الأمراض، فقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان، وقد حرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة والمسارعة إليها، لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان، لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، ويمكن إجمال الأسس التي تقوم عليها التربية الصحية في الإسلام على النحو التالي:

١ - ممارسة الرياضة كالسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري.

٢ - استخدام السواك.

٣ - الاهتمام بالنظافة مثل تقليم الأظفار ونحو ذلك.

٤ - اتباع السنن النبوية في الأكل والشراب.

٥ - النوم على الشق الأيمن.

٦ - النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

٧ - الابتعاد عن الأمراض المعدية.

٨ - طلب العلاج عند وقوع المرض[1].

سادسًا: التربية بالتوجيه:

لقد وجّه النبي ﷺ المخاطبين إلي فعل ما فيه نفعهم وخيرهم فيما يتعلق بالوضوء وغيره، وذلك علي النحو التالي:

(ا) إطالة الغرة: ((فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَل)).

(ب) إحسان الوضوء: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» .

(ج) دلالتهم علي ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل ص ٣٣٥ - ٣٤٨.

يَمْحُو اللَّه بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» .

(د) توجيههم إلي إسباغ الوضوء والإتيان بالذكر بعده، حتى ينالوا الثواب العظيم: «فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».

والملاحظ علي التربية بالتوجيه هنا في هذا الباب ما يلي:

(ا) غلبة الترغيب علي هذا التوجيه، وعلى ذلك ينبغي أن يكون التوجيه الصادق من المربين؛ لأنه بهذا يثير الدوافع لدى من يقوم بتربيتهم إلى الامتثال والاستجابة، فالنفوس جبلت على حب الجزاء على أفعالها وأعمالها.

(ب) غلبة التبشير بمحو الذنوب والخطايا على هذا التوجيه: «خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ»، و«غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، و«خرج من وجهه كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينه مع الماء»، على حين بشر النبي ﷺ بالجنة في حديث واحد: «فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»، كما جمع ﷺ بين التبشير بمحو الذنوب ورفع الدرجات، فقال: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّه بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» .

ولعل الذي يفسر غلبة التبشير بمحو الذنوب، أن هذا الباب كثيرًا ما يدخل منه الشيطان على المسلم؛ فيلبّس عليه دينه فيظفر منه بما لم يظفر منه في حال المعصية: إنه يوسوس له أن معنى إتيانك بعض الذنوب: أن طاعتك ليست على ما ينبغي، وأنك غير صادق في هذه الطاعة وغير مخلص فيها، وأنك إن تفعل ذلك كالمستهزئ برب العالمين؛ والدليل على ذلك أنك لو كنت صادقًا مخلصًا غير مستهزئ، ما جرؤت على اقتراف هذه الذنوب وتلك الخطايا.

فإذا استجاب المسلم لتلك الوسوسة ترك ما كان عليه من طاعة وأصابه اليأس وداخله القنوط. وكم من مقيمين على الطاعة استزلّهم الشيطان بهذه الوسوسة حتى تحولوا - والعياذ بالله - إلى مقيمين على المعصية. فجاء الشرع الكريم ليسدّ هذا الباب الذي يلج الشيطان منه، ويمنعه من أن يلبّس على المسلم عبادته وطاعته؛ فأخبر النبي الكريم ﷺ عن طاعات تكفر بها الذنوب وتمحو بها الخطايا؛ حتى إذا فعلها المسلم ارتاح من همِّها ونكدها وسوء عاقبتها.

كما أن التذكير بمحو الذنوب إشعار للإنسان بفضل الله العظيم عليه، فإنه يعبد الله ويتوجه إليه بالعبادة ويقصده بالطاعة، ومن حاله كذلك كان من الأولى ألا يقع في معصية وألا يقارف ذنوبًا أو يرتكب خطايا؛ لأن من عَبَد العظيم كان الذنب الصغير معه عظيمًا، لكن الله بمنّه وكرمه عفا عن ذلك كلّه وتجاوز عنه؛ ليظلّ الإنسان مقيمًا على الطاعة ملازمًا لها طامعًا في عفو الكريم ومنّ المنّان.

(ج) التبشير كان بالجزاء الأخروي، ولعل في ذلك حكمًا ومقاصد: من ذلك أن يتعلق الإنسان بدار القرار وهي الآخرة، ويتذكر أن دنياه هي دار اختبار وعمل، فعليه أن يَجدّ في العمل ويجتهد في الطاعة حتى يفوز بجنة الله ودار رضوانه، كما أن في ذلك لفتًا له أن ما أصابه في الدنيا من جراء ملازمته الطاعة وإقامته عليها لا يكاد يذكر بجانب الفضل العميم الذي يناله يوم القيامة، وغير ذلك من الحكم الجليلة والمقاصد النبيلة.

ولكن لا يلزم مما سبق ترك الدنيا وإهمالها وعدم إعمارها، فهذا ليس مقصود الشرع، بل إن مقصود الشرع هو إعمار هذه الدنيا حتى تكون طريقًا لإعمار الآخرة، ولا يكون هذا إلا بإتيان كلّ نافع صالح مفيد في هذه الحياة الدنيا.

والمقصود أن التربية بالتوجيه تربية تقوم على الإرشاد إلى ما ينفع سواء في الدنيا أو الآخرة؛ فعلى المربين أن يستخدموا التوجيه الأمثل حتى يغرسوا في نفوسهم من يقومون بتربيتهم، القيم النبيلة والآداب الفضيلة والأخلاق الكريمة.

ملاحظة:

هناك مضامين تربوية أخرى غير ما سبق في أحاديث الباب، منها:

(أ) من أساليب التربية: الترغيب، وهذا موجود في أحاديث الباب كلها.

(ب) من أساليب التربية: الحوار، وهذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا؟ قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي...» الحديث. فهو حديث يقوم على الحوار.

(ج) من أساليب التربية: استخدام التشبيه: وهذا في قوله ﷺ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ. أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» .

وهذه المضامين التربوية قد تقدم قريبًا معالجتها في أبواب سابقة، فنكتفي بهذا، ولا داعي للإطالة هنا. والله ولي التوفيق.



١٨٦- باب فضل الأذان

الحديث رقم (١٠٣٤)

١٠٣٤ - عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا (عَلَيْهِ) [١]، ولو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٣].

أن يستهموا: أن يقترعوا[٤].

التهجير: التبكير إلى الصلاة[٥].

العتمة: صلاة العشاء[٦].

حبوًا: أي: يزحفون إذا منعهم مانع من المشي زحفًا؛ كما يزحف الصغير[٧].

---

(١) (عليه) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧/١٢٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٦). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٤، ١٠٨٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٧.

(٥) رياض الصالحين ٢٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت م).

(٧) فتح الباري، ابن حجر ١٦٦/٢.

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل المسارعة إلى النداء، والصف الأول، والبداية الفرضية التي أشارت إليها لو تبين مدى عظمة الخبر بعدها، و (لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الاستهام لامتناع العلم بالفضل، مما يشير إلى غفلة الناس عن فضل هذه الأمور، والتعبير بالاستهام فيه إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات المسلمة من المساواة والعدل الذي ينزع الأحقاد، ويمنع الفتن، وعبارة (ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ) كناية عن عظمة الثواب وتسابق الناس إليه، ، وتكرار (لو) مع فعل العلم يؤذن بجهل أكثر الناس، وغفلتهم عن فضائل لا تكلف جهدا كبيراً، وتحدث فرقاً كبيراً في ميزان حسنات العبد، يدل على ذلك تكرار الاستهام الذي يدل على حرص الجميع على الفوز به، والتعبير بالاستباق يؤكد ذلك، ويكشف اللثام لكل من له عقل عن عظمة الجزاء ليتنافس فيه المتنافسون، والتعبير بالعتمة عن العشاء فيه إشارة إلى موضع العناء فيها، والتي تجعل بعض الناس يتكاسلون عنها تحت وطأة الظلام، أو النوم أو الخوف من قاطع أو غيره، والفرض الذي افترضه للحضور يدل على عظمة الأجر الذي غفل عنه الناس، والحديث يضرب بمطرقة الافتراض (لو) على غفلة الناس عن عظيم الأجر تحت ستار الجهل ليوقظ أهل الفطنة.

فقه الحديث

١ - إثبات القرعة:

قال النووي: (فيه إثبات القرعة في الحقوق التي يزدحم عليها ويتنازع فيها)[١].

٢ - التبكير بأداء العبادات:

(التبكير بأداء العبادات في أول أوقاتها مستحب لتحصيل الفضل والثواب، وهذا على الجملة عند الفقهاء)[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣/٢ .

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٤/١٠ وهناك استثناءات من الحكم، انظرها هناك.

٣ - تسمية العشاء عتمة:

قال النووي: (في هذا الحديث تسمية العشاء عتمة، وقد ثبت النهي عنه[١] وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن هذه التسمية بيان للجواز وأن ذلك النهي ليس للتحريم.

والثاني: وهو الأظهر أن استعمال العتمة هنا لمصلحة ونفي مفسدة، لأن العرب كانت تستعمل لفظة العشاء في المغرب، فلو قال "لو يعلمون ما في العشاء والصبح" لحملوها المغرب، ففسد المعنى، وفات المطلوب، فاستعمل العتمة التي يعرفونها ولا يشكون فيها، وقواعد الشرع متظاهرة على احتمال أخف المفسدتين لدفع أعظمهما)[٢].

٤ - الأذان أفضل أم الإمامة:

قال النووي في الأذكار: (واختلف أصحابنا في الأذان والإمامة أيهما أفضل على أربعة أوجه: الأصحّ أن الأذان أفضل، والثاني: الإمامة أفضل، والثالث: هما سواء: والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة واستجمع خصالها فهي أفضل، وإلا فالأذان أفضل)[٣].

٥ - الصف الأول الممدوح:

قال النووي: (اعلم أن الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام سواء جاء صاحبه متقدمًا أو متأخرًا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا. هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث، وصرح به المحققون. وقيل[٤]: فإن تخلل الذي يلي الإمام شيء فليس بأول بل الأول ما لا يتخلله شيء

---

(١) أخرجه مسلم ٦٤٤ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٤/٢، وكذلك ١٢١/٥/٣ - ١٢٢ .

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٥٣، وانظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠/٤/٢ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٩/٢.

(٤) في المطبوع من شرح مسلم خلل في العبارة، أصلحناه بما رأيناه يوضح المعنى، والله أعلم بالصواب.

وإن تأخر. وقيل: الصف الأول عبارة عن مجيء الإنسان إلى المسجد أولاً وإن صلّى في صف متأخر. وهذان القولان غلط صريح، وإنما أذكره لأنبه على بطلانه؛ لئلا يغتر به والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأذان والصف الأول والتبكير إلى الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على حضور صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأذان والصف الأول والتبكير إلى الصلاة:

أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، وفي بيان ذلك قال النووي: "النداء هو الأذان والاستهام الاقتراع، ومعناه: أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقًا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان، بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد – لاقترعوا في تحصيله"[2]، "وقد تشاح الناس في الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد بن أبي وقاص بأقرع بينهم"[3]، وما ذلك إلا لترغيبه ﷺ في الأذان وبيانه لعظم فضله، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: "لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"[4]، وقال ﷺ: ((الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[5]، ومما أشار إليه الحديث الترغيب في الصف الأول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٤/٤/٢ ، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢٧ – ٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٣٦٨.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ١١٤/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٦٠٩.

(٥) أخرجه مسلم، ٣٨٧.

وفي بيان ذلك ، قال النووي: "ولو علم الناس ما في الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاؤوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه"[١]، وفي بيان فضيلة الصف الأول في الصلاة، قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ))[٢]، وقال: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا))[٣]، قال النووي: (واعلم أن الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام، سواء جاء صاحبه متقدمًا أو متأخرًا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا، هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون)[٤].

قال القرطبي: (وقوله: "لاستهموا عليه" فيه إثبات القرعة مع تساوي الحقوق)[٥].

(والقرعة في اللغة: السهمة والنصيب، والمقارعة: المساهمة، وأقرعت بين الشركاء في شيء يقسمونه، ويقال: كانت له القرعة، إذا قرع أصحابه، وقارعه فقرعه يقرعه: أي أصابته القرعة دونه، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال البركتي: القرعة السهم والنصيب، وإلقاء القرعة: حيلة يتعين بها سهم الإنسان أي نصيبه)[٦].

والقرعة مشروعة باتفاق الفقهاء، ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة، فأما مشروعيتها من القرآن الكريم، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[٧]، أي يحضنها فاقترعوا عليها.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٩٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٨١٦).

(٣) أخرجه مسلم، ٤٤٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ٦٤/٢.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٣٦/٣٣.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[(١)].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: (فساهم) يقول: "أقرع"[(٢)].

وأما مشروعيتها من السنة المطهرة، فحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه»[(٣)].

والقرعة تكون لتطييب القلوب وإزاحة تهمه الميل، وليس أدل على ذلك من استعمال زكريا عليه السلام القرعة مع الأحبار في ضم مريم إلى نفسه مع علمه بكونه أحق بها منهم لكون خالتها عنده تطييبًا لقلوبهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[(٤)]، "وكان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفرًا تطييبًا لقلوبهن"[(٥)][(٦)].

وقد رغب الحديث في التبكير إلى الصلاة، فقال ﷺ: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"، "والتهجير هو التبكير إلى الصلاة"[(٧)]، وفي التبكير إلى الصلاة فضل عظيم منه إدراك تكبيرة الإحرام التي بها تكون البراءة من النار والنفاق، كما في قوله ﷺ: "من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق"[(٨)]، وأيضًا في التبكير إلى الصلاة يكون انتظار الصلاة التي يكون بها محو الخطايا وارتفاع الدرجات كما قال ﷺ: "ألا

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩ - ١٤١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٣/٢٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٨٧٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٥) أخرجه البخاري، ٢٨٧٩.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ومراجعتها، ١٣٦ - ١٣٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ١١٥/٢.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٧٩٠).

أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ ثم ذكر ﷺ من ذلك ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة"[١]، وهذا فضلاً عن إدراك الصف الأول وما به من خير عظيم كما أسلفنا.

(وقد ذهب رأى أخر إلى أن التهجير هو المحافظة على الجمعة والظهر، فإنها التي تفعل في وقت الهاجرة، وهى شدة الحر نصف النهار، ويقال: هجر القوم، واهجروا: صاروا في الهاجرة)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على حضور صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا"، قال القاضي عياض: وقوله: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا" (تحضيض على شهود هاتين الصلاتين في الجماعة وعظم الأجر فيهما لشدتهما على النفس، وأنه طرفًا أوان نومها وغلبة سنات أجفانها وراحة بدنها، ومخالفة لمن يثقل ذلك عليه من المنافقين وأشباههم من البطلة المتهاونين والمحبين للدَّعة من المبادرة للنوم والراحة من تعب كدح اليوم الأول ليلهم، واستلذاذ الدفء وإغفاءة الفجر آخره)[٣]. وقال النووي: "فيه الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين، والفضل الكثير في ذلك، لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره، ولهذا كانت أثقل الصلاة على المنافقين"[٤]، كما قال النبي ﷺ: "إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما، ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٤.

(٣) إكمال المعلم، ٢/٣٥٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، ٣٦٨.

إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار"[(١)]، قال ابن حجر رحمه الله في قوله ﷺ: "لو يعلمون ما فيهما" أي من مزيد الفضل "لأتوهما" أي الصلاتين، المراد لأتوا إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد، وقوله "ولو حبوًا" أي يزحفون إذا منعهم مانع من المشي، كما يزحف الصغير"[(٢)]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحرص والمحافظة على حضور صلاة العشاء والصبح في جماعة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[(٣)]، (والمرء يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بما يجب عليه من عبادات وطاعات وأن يكون ذلك على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، لترغيب المدعو فيما وجب عليه)[(٤)]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترغيبه ﷺ في الأذان والحرص على الصف الأول في الصلاة، وذلك في قوله: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، وأيضًا ورد الترغيب في التهجير إلى الصلاة، وذلك في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا عليه"، وأخيرًا ورد أسلوب الترغيب في ضرورة المحافظة على صلاتي العشاء والفجر، وذلك في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا".

فعلى الداعية الترغيب في الطاعات وبيان عظيم ثوابها، وفضل المبادرة إليها والحرص عليها.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٥٧، ومسلم ٦٥١.

(٢) فتح الباري، ٢/١٦٦.

(٣) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

الحديث رقم (١٠٣٥)

١٠٣٥ - وعن معاوية ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقولُ: ((المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الأذان يصور ما يصل إليه الأذان بصاحبه يوم القيامة من الفضل وقول معاوية ﵁ قال (سمعت رسول الله ﷺ) فيه توثيق للخبر من وجوه منها صياغة الفعل في الماضي المحقق الوقوع، ومنها أنه نقل الخبر سماعا من الرسول ﷺ دون وسيط، ثم إن خبره خبر ثقة، وقول الرسول ﷺ: ((المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ) كناية عن العزة، والرفعة، والفخر بما أنعم الله عليهم به من صالح العمل الذي فاقوا به غيرهم، وهو الأذان، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل حيث كانوا يرفعون أصواتهم بتوحيد الله، وذكره ويستشرف الواحد منهم قدر المستطاع ليصل صوته للناس فكان جزائه أن أعزه الله وشرفه بهذا الاختصاص، والجميل في الكناية أنها تحتمل مع المعنى الكنائي المعنى الحقيقي بمعنى أنه يجوز أن يكون طول العنق حقيقة مقصوداً كعلامة تميزهم عن طوائف المؤمنين فيكرموا بخصوصية عملهم، ولا يدركهم من الكرب ما يدرك غيرهم، والتعبير بأفعل التفضيل (أطول) يشير إلى تميز سبقوا به الجميع رفعة، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يعطي الصورة تميزاً يتساوق مع الموقف العظيم حيث يكون التكريم على رؤوس الأشهاد.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام التالية:

---

(١) برقم (٣٨٧/١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨).

أولاً: فضل الأذان والتزاحم عليه: للأذان فضل كبير وأجر عظيم. والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، وطول الأعناق قيل: على حقيقته إذا ألجم الناس العرق وقيل هو كناية عن رفعة الشأن وقيل بالكسر إعناق أي خطى السير إلى الجنة[١].

ولا يجوز أن يؤذن اثنان فصاعدًا معًا فإذاحدث ذلك فالمؤذن هو المبتدئ والداخل عليه مسيء لا أجر له[٢]. وإذا تشاحا اثنان على الأذان قدم أحدهما على الآخر، والتقديم يكون بمراعاة الخصال المعتبرة فيقدم من كان أعلى صوتًا فإن تساويا قدم من كان أبلغ في معرفة الوقت وأشد محافظة عليه فإن تساويا قدم من يرتضيه الجيران لأنهم أعلم بمن يبلغهم صوته فإن تساويا قدم من هو أعف في النظر فإن تساويا أقرع بينهما فمن خرجت قرعته أذن هذا كله إذا لم يكن للمسجد مؤذن راتب فإن كان هناك مؤذن راتب ونازعه غيره قدم الراتب[٣].

ثانيًا: متى يلزم الأذان: يلزم النداء أو الأذان في مساجد الجماعات والقبائل حيث يكون الأئمة. أما الرجل في خاصة نفسه فإن أذن فحسن، وإن ترك الأذان فلا بأس. أما المنفرد في بلد أو صحراء إذا أراد الصلاة فيشرع له الأذان، وإن بلغه أذان غيره، واستحب البعض للمسافر الأذان وإن كان منفردًا[٤].

وقد أوجب البعض الأذان على أهل المصر ولا يجب على غير المصر من المسافرين[٥].

---

(١) حاشية الصاوي ٢٥٥/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٢/١.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٧٩/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٨/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٩٩/١.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٣٢/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٥٠/١.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٠/١.

ثالثًا: رفع صوت المؤذن: يستحب للمؤذن أن يرفع صوته في الأذان إن كان يؤذن للجماعة؛ لأنه أبلغ في جمع الجماعة فإن أسرّ بالأذان لم يعتد به لأنه لا يحصل به المقصود. وإن كان يؤذن لصلاته وحده لم يرفع صوته لأنه لا يدعو غيره فلا وجه لرفع الصوت(١).

رابعًا: أفضلية الأذان على الإقامة والإمامة: الأذان أفضل من الإقامة لزيادته عليه، وهو أفضل أيضًا من الإمامة(٢). وقال الإمام النووي: اختلف أصحابنا هل الأفضل للإنسان أن يرصد نفسه للأذان أم للإمام على أوجه: أصحها أن الأذان أفضل وهو نص الشافعي في الأم وقول أكثر أصحابنا.

والثاني: أن الإمام أفضل وهو نص الشافعي أيضًا. والثالث: أنهما سواء.

والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمام وجميع خصالها فهي أفضل وإلا فالأذان، قاله أبو علي الطبري وأبو القاسم والمسعودي والقاضي حسين من أصحابنا. وأما جمع الرجل بين الإمامة والأذان فإن جماعة من أصحابنا قالوا يستحب ألا يفعله، وقال بعضهم يكره، وقال محققوهم وأكثرهم أنه لا بأس به بل يستحب وهذا أصح والله أعلم(٣).

خامسًا: ما يفعله سامع الأذان: يسن لسامع المؤذن أن يقول مثل ما يقول المؤذن - وهو على أي حال كان من طهارة وغيرها ولو جنبًا أو حائضًا إلا حال الجماع وحال التخلي لكراهة الذكر فيهما - إلا في الحيعلتين فيقول عقب كل منهما [لا حول ولا قوة إلا بالله] وعقب التثويب يقول صدقت وبررت وعقب كلمة الإقامة يقول أقامها الله

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/١٢٠.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٨٥، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٢٤٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٢٣١، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١/٢٨٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٩٣.

وأدامها ما دامت السموات والأرض[١].

سادسًا: ما يفعله المستمع بعد الفراغ من الأذان: إذا فرغ المؤذن من الأذان فإنه يسن للسامع مع أن يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد[٢].

سابعًا: الدعاء بين الأذان والإقامة: يندب للإنسان الدعاء بين الأذان والإقامة وقد دلت السنة على قبول مطلق الدعاء ما لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الخير والفلاح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة:

(لقد شرع الأذان من أجل الإعلام بدخول وقت الصلاة وإعلاء اسم الله بالتكبير، وإظهار شرعه ورفعة رسوله ونداء الناس إلى الفلاح والنجاح، فكان من خير الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى، وهذا ما أكده نص الحديث في كون المؤذنين هم أطول الناس إعناقا يوم القيامة)[٤]، وفي بيان ذلك، قال القاضي عياض: (قال الإمام: اختلف

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٩٦/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٣/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٤٠/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤٦/١، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٧/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٥/٢.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٦/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٤/٣.

(٣) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٣١/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٧/٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٥٩/٢.

في تأويل هذا، فقيل: معناه: أكثر الناس تشوفًا إلى رحمة الله؛ لأن المتشوف يطيل عنقه لما يتشوف إليه، فكنى عن كثرة ما يرونه من ثوابهم بطول أعناقهم، وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا يغشاهم ذلك الكرب، قال يونس بن عبيد: معناه الدنو من الله، وهذا قريب من الأول الذي ذكرناه، وقيل: معناه: أنهم رؤساء العرب تصف السادة بطول الأعناق، قال الشاعر:

طوال انضية الأعناق واللِّمَمَ

وقيل: معناه: أكثر الناس اتباعًا، وقال ابن الأعرابي: معناه: أكثر الناس أعمالاً، وفي الحديث: "يخرج عُنق من النار"[1]: أي: طائفة، يقال: لفلان عنق من الخير، أي قطعة. ورواه بعضهم: "إعناقا": أي إسراعًا إلى الجنة، من سير العَنَق، قال الشاعر:

ومن سيرها العَنَق المسبطِر والعجز فيه بعد الكلال

ضربٌ من السير، ومنه الحديث: "كان يسير العنقَ فإذا وجد فجوة نصّ"[2]، ومنه الحديث (الآخر): " لايزال الرجل معنقًا ما لم يصب دمًا"[3]: يعني منبسطًا في سيره يوم القيامة.

قال الإمام: قد احتج بهذا الحديث من رأى أن فضيلة الأذان أكبر من فضيلة الإمامة، وفي ذلك اختلاف بين العلماء، أيهما أفضل المؤذن أم الإمام؟ واحتج من قال: إن الإمامة أفضل: بأنه كان ﷺ يؤم ولم يكن يؤذن، وما كان ﷺ ليقتصر على الأدنى ويترك الأعلى، واعتذر عن ذلك أنه ﷺ ترك الأذان لما يشتمل عليه من الشهادة له بالرسالة والتعظيم لشأنه فترك ذلك إلى غيره، وقيل: إنما ترك ذلك لأن فيه الحيعلة، وهي الأمر بالإتيان إلى الصلاة، فلو أمر في كل صلاة بإتيانها لما استخف أحد ممن سمعه التأخر وإن دعته الضرورة إليه، وذلك مما يشق، وقيل أيضًا: لأنه كان ﷺ في

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي، ٢٥٧٤، وصححه الألباني: (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٩.

(٣) أخرجه ابو داود ٤٢٧٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود، ٣٥٩٠).

شغل عنه بأمور المسلمين وعن مراعاة أوقاته، وقد قال عمر ﷺ: "لو أطقتُ الأذان مع (الخلِّيفى)[1] لأذنت"[2]، والخليفى: الخلافة.

قال القاضي: ذهب أبو جعفر الداودي إلى معنى قول عمر في هذا، أنه في أذان الجمعة أن الأذان إنما يكون بين يدي الإمام فيها، والإمامة للخليفة فلا يتفق له الأذان لذلك، وهذا معنى كلامه)[3].

وقال القرطبي: (وقول أنه ﷺ كان في شغل عنه بأمور المسلمين هو الصحيح وهذا ما صرح به عمر ﷺ)[4].

وقد بين ابن عثيمين: (أن الله تعالى إذا بعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة ليست لغيرهم وهى أنهم أطول الناس إعناقًا، فيعرفون بذلك تنويهًا لفضلهم وإظهارًا لشرفهم؛ لأنهم يؤذنون ويعلنون بتكبير الله عز وجل وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح..، ولهذا كان جزاؤهم من جنس العمل أن تعلو رؤوسهم، وأن تعلوا وجوههم، وذلك بإطالة إعناقهم يوم القيامة)[5]. وفي ذلك بيان على فضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة.

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الأذان:

والأذان لغة: "هو الإعلام بالشيء"[6]، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[7]، أى:

---

(١) قال ابن الأثير: الخِلِّيفى -بالكسر والتشديد والقصر- الخلافة، وهو وأمثاله من الأبنية، كالرِّمِّيا والدِّلِّيلا، ، مصدر يدل على معنى الكثرة يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة، وتصريف أعنتها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٢) التلخيص الحبير، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر، ٢١١/١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٥٥/٢ - ٢٥٦.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ١٦/٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، ١٢٨٠/٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ا ذ ن).

(٧) سورة الحج، الآية: ٢٧.

أعلمهم به، وادْعُهم إليه، وبلّغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته"[١]، و"الأذان شرعًا: (هو الإعلام بوقت الصلاة المفروضة، بألفاظ معلومة مأثورة على صفة مخصوصة)[٢].

بينها القاضي عياض في قوله: (واعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ومشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فابتدأ بإثبات الذات بقوله: "الله" وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها المضمنة تحت قولك: "الله أكبر" فإن هذه اللفظة على قلة كلمها واختصار صيغتها مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات الوحدانية والإلهية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على سائر وظائفه، ثم ابتدأ بإثبات النبوة لنبينا ﷺ ورسالته لهداية الخلق ودعائهم إلى الله، إذ هي تاليةُ الشهادتين، وموضعها من الترتيب بعد ما تقدم لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وهنا كمل تراجم العقائد - العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات فصرح بالصلاة ثم رتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته ﷺ لا من جهة العقل، ثم الحث والدعاء إلى الفلاح - وهو البقاء في النعيم. وفيه الإشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء - وهي آخر تراجم العقائد الإسلامية، ثم تكرر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشرع فيها للحاضر، ومن قرب، وفي طي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظيم حق من عبده، وجزيل ثوابه على عبادته)[٣].

وبذلك يكون الأذان من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٨٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٣٥٧.

(٣) إكمال المعلم، ٢/٢٥٣، ٢٥٤.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الخير والفلاح:

هذا ما يستفاد من الحديث في أذان المؤذن ودعوته إلى الخير والفلاح، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل الدعوة إلى الخير والفلاح، فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"[1]، وقال ﷺ: "ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[2]، قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٦٧٤.

(٢) أخرجه مسلم، ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣٦)

١٠٣٦- وعن عبدِ الله بن عبدِ الرَّحْمانِ بن أَبي صَعصعة: أنَّ أَبَا سَعيد الخدريَّ رضي الله عنه، قَالَ لَهُ: ((إنِّي اراكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ فَإذَا كُنْتَ في غَنَمِك - أَوْ بَادِيتِك - فَأذَّنْتَ للصَّلاَةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ، فَإنَّهُ لا يَسْمَعُ مدى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلاَ إنْسٌ، وَلاَ شَيْءٌ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ)) قَالَ أَبُو سَعيدٍ: سمعتُهُ مِنْ رَسولِ الله ﷺ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

البادية: الصحراء التي لا عمارة فيها[2].

بالنداء: بالأذان[3].

مدى صوت المؤذن: غاية صوته، أي: المكان الذي ينتهي إليه الصوت[4].

الشرح الأدبي

قول أبي سعيد رضي الله عنه لصاحب الغنم (إِنّي أَرَاكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ) خبر أريد به لازم الفائدة وهي التنبيه إلى ما يناسبه من النصح، والإرشاد، وقوله (فَإذَا كُنْتَ في غَنَمِك - أَوْ بَادِيتِكَ - فَأذَّنْتَ للصَّلاَةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ) أسلوب شرط يربط الأذان حال كونه في الغنم برفع الصوت بالنداء، وقد علل لهذا الأمر الذي ورد في جواب الشرط (فارفع) بشهادة كل من يسمعه له يوم القيامة، وقوله: (ولا شيء) بعد ذكر الجن،

---

(١) برقم (٦٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م د ى).

والإنس من ذكر العام بعد الخاص تعميما للحكم، وتوكيدا لما سبق وتقييد الشهادة بيوم القيامة يعلي من قيمة الشهادة حيث تشتد الحاجة إليها، وقول أبي سعيد سمعته من رسول الله ﷺ يضفي على الخبر صفة التشريع؛ لأن ما فيه أصبح سنة عنه ﷺ، ولقول الرسول ﷺ قبول في النفس ليس لكلام غيره من البشر.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (في الحديث:

١ - استحباب رفع الصوت بالأذان؛ ليكثر من يشهد له؛ ما لم يجهده أو يتأذى به.

٢ - وفيه أن حب الغنم والبادية ولا سيما عند نزول الفتنة من عمل السلف الصالح.

٣ - وفيه جواز التبدي ومساكنة الأعراب ومشاركتهم في الأسباب بشرط حظ من العلم وأمن غلبة الجفاء.

٤ - وفيه أن أذان الفذ مندوب إليه ولو كان في قفر ولو لم يرتج حضور من يصلي معه، لأنه إن فاته دعاء المصلين فلم يفته استشهاد من سمعه من غيرهم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعي في طلب الرزق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل المؤذن والشهادة له يوم القيامة من كل من سمعه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

هو سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري. قال ابن حجر: (مشهور بكنيته استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها، روى عن النبي ﷺ الكثير.. وهو مكثر من الحديث. قال حنظلة بن أبي سفيان عن

(١) فتح الباري، ابن حجر ٨٩/٢.

أشياخه: إنه رضي الله عنه كان من أفقه أحداث الصحابة رضي الله عنهم، وقال الخطيب: كان من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم وحفظ حديثًا كثيرًا، وروى ابن سعد من طريق حنظلة بن سفيان الجحمي عن أشياخه قال: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفقه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)[١].

وقال ابن عبدالبر: (أول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم اثنتي عشرة غزوة، وكان ممّن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنناً كثيرة، وروى عنه علماً جماً، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم)[٢].

وقال ابن عبدالبر كذلك: (كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعى في طلب الرزق:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي سعيد رضي الله عنه لعبد الله بن عبدالرحمن ابن أبي صعصة "فإذا كنت في غنمك"، وفي حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعى في طلب الرزق. قال تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤]، أى: "لطلب المكاسب والتجارات"[٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾[٦]، أى: "فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات"[٧]. وقد حث ورغب النبي صلى الله عليه وسلم على العمل والسعي في طلب الرزق

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٤٩١ - ٤٩٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ٨١٥.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠٠.

(٦) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٨.

مع تنفيره من المسألة فقال: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه"(١)، وقد حث النبي ﷺ أصحابه على العمل والإنتاج فقال: " ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"(٢).

(ولقد كان لهذا الحديث وغيره أثر بالغ في سلوك الصحابة وتوجيه بصيرتهم، فقد انطلقوا نحو مجالات الكسب وميادين العمل، وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: "كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم، فكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: لو اغتسلتم"(٣)، ومن أجل ذلك كان واجبًا على المسلمين أن يسلكوا جميع السبل من أجل الكسب الحلال وبالطرق التي تتيح لهم الوقوف على أسرار هذا الكون وتحقيق المنفعة، وليس ذلك فحسب، بل واجب على المسلمين أن يكونوا روادًا في هذا الميدان كما كانوا روادًا في دعوة الناس إلى الإيمان بالله والعبودية له والتخلق بالأخلاق الكريمة في كل الميادين)(٤).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل المؤذن والشهادة له يوم القيامة من كل من سمعه:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"، قال ابن حجر: (قال التوربشتي: المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلو الدرجة، وكما أن الله يفضح بالشهادة قومًا فكذلك يكرم بالشهادة آخرين)(٥)، وقال ابن عثيمين: "وهذا أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يُشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويهًا لفضله وبيانًا لثوابه"(٦)، وفي ذلك قال ﷺ: المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له

---

(١) أخرجه البخاري، ١٤٧٠، ومسلم، ١٠٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٠٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٠٧١.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٢٦٢.

(٥) فتح الباري، ٢/١٠٦.

(٦) شرح رياض الصالحين، ٢/٢٨٠..

كل رطب ويابس"[١] ، قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (كل رطب" أى نامٍ (ويابس) أي: جماد مما يبلغه صوته)[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

"الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي تشوق المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه والاستجابة له والثبات عليه"[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في الأذان ورفع الصوت به، وذلك في قوله ﷺ: "فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة".

إن الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا [٤]، من أجل ذلك ينبغي على الداعية ألا يغفل جانب الترغيب في دعوته إذ أن "الترغيب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي ويدفع به إلى مقاومة الشيطان" [٥].

---

(١) أخرجه ابو داود، ٥١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٨٤).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد اشرف عبدالعظيم آبادي، ٢٦٥.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٠٣٧)

١٠٣٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا نُودِيَ بالصَّلاَةِ، أدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّاذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ[1] أقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا واذكر كَذَا - لِمَا لَمْ[2] يَذْكُر مِنْ قَبْلُ - حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التثويب: الإقامة[4].

يخطر: يوسوس[5].

الشرح الأدبي

قوله (أدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأذِينَ) كناية عن شدة فزعه، وخوفه من سماعه، وكذا حال الخائف عندما يستولي الخوف على أقطار نفسه فلا يملك السيطرة على جوارحه، وهي صورة مضحكة عن حال الشيطان تبين عظيم أثر الأذان، والإقامة عليه، وتشير إلى ضعفه أمام الأذان، والإقامة خصوصا، وعند ذكر الله عموما، وقوله (حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ) كناية عن الوسوسة التي يقذفها في

---

(١) لفظ مسلم: (التأذين)، والمثبت لفظ أبي داود (٥١٦).

(٢) عند هما زيادة: (يكن).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (١٩/٣٨٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٦).

(٤) رياض الصالحين ٢٩٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٠٢/٢.

قلب المصلي يشغله بها عن صلاته، والفعل يخطر يوحي بالخطر، وعظم الأمر، والمضارع يرصد حركة الشيطان، والظرف بين يصور تردده الذي يعكس الحركة السريعة بين شيئين ليشغله، والطباق بين أدبر في بداية الحديث وبين أقبل في نهاية الحديث يوحي بأن الشيطان مع ضعفه ملحاح بطيء اليأس مما يستلزم من الإنسان طول صبر في مدافعته بالاستعاذة، وفعل الأمر في قول الرسول ﷺ (اذكر) وتكراره يصور لنا مكر الشيطان بالإنسان، وإلحاحه على شغل الإنسان عن كل خير عاجل، وآجل بكل الطرق حتى نحذر فعله، ونتنبه إليه، ونستعيذ بالله منه، ونُتِم صلاتنا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأذان في إدبار الشيطان لئلا يسمعه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان عداوة الشيطان للإنسان ورغبته في الوسوسة في الصلاة.

رابعًا: من فقه الداعية: ذكر الألفاظ الصريحة لمصلحة شرعية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأذان في إدبار الشيطان لئلا يسمعه:

هذا ما أكد عليه نص الحديث من قوله ﷺ: "إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ"، وقد ورد في رواية عن هذا الحديث قوله ﷺ: "إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص"، قال القاضي عياض: (وقوله: "وله حصاص" بمعنى قوله في الحديث، وله ضراط، وقد قيل: الحصاص: شدة العدو، قالهما أبو عبيد، وقال عاصم بن أبي النجود: إذا صرَّ بأذنيه ومصع بذنبه وعدا فذلك الحُصاص. وهذا يصح حمله على ظاهره، إذ هو جسم مُتغذ يصح منه خروج الريح، وقيل: يحتمل أنها عبارة واستعارة عن شدة الخوف والنفار كما يعترى الحمار.

وهروب الشيطان عن النداء لعظيم أمره عنده،ـ وذلك - والله اعلم - لما اشتمل عليه من الدعاء بالتوحيد، وإظهار شعار الإسلام، وإعلان أمره كما فعل يوم عرفة، لما رأى من اجتماع عباد الله على إظهار الإيمان، "وما ينزل عليهم من الرحمة"، وقيل: إنما يبعد لئلا يسمع تشهد ابن آدم فيشهد له بذلك - كما جاء في الحديث: (لا يسمع مدى

صوته جن ولا أنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)[(١)].

جاء في حواشي تحقيق إكمل المعلم: "ومعنى صرّ إذا جمع أذنيه، ومصع: ضرب بذنبه، ومعنى وقيل: هذا عموم المراد به الخصوص، وأن ذلك في المؤمنين من الجن والإنس، وأما الكافر فلا شهادة له، وهذا لا يسلم لقائله لما جاء في الآثار من خلافه، وقيل أيضًا: إن هذا ممن يصح منه الشهادة ممن يسمع، وقيل: هي عامة فيمن يسمع وفيمن لا يسمع من جماد، وأن الله تعالى يخلق لها حينئذ ولمن لا يسمع ممن لا يعقل من الحيوانات إدراكًا لأذانه وعقلاً ومعرفة لما يشهد به، فهو على كل شيء قدير. وإلى معنى هذا ذهب ابن عمر رضي الله عنهما لقوله للمؤذن: "يشهد لك كل رطب ويابس"[(٢)].

وقيل: بل لما في ذلك من الدعاء للصلاة التي فيها السجود الذي بسبب تركه وعصيانه عنه لُعن الشيطان، قال بعضهم: وهذا يرده ما ذكر في الحديث أنه: "إذا قضي التثويب أقبل..." وذكر وسوسته للمصلي.

وقد لا يلزم هذا الاعتراض، إذ لعل نفاره إنما كان من سماع الأمر والدعاء بذلك لا برؤيته ليغالط نفسه أنه لم يسمع دعاء ولا خالف أمرًا. وقيل: بل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان، وانقطاع طمعه أن يصرف عنه الناس، حتى إذا سكت رجع لحاله التي أقدره الله عليها، من تشغيب خاطره ووسوسة قلبه)[(٣)].

وقال ابن حجر: قال ابن الجوزي: "على الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها، لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به، بخلاف الصلاة فإن النفس تحضر فيها فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة"[(٤)]، وقال ابن حجر: وفي الحديث تنبيهان، ثم ذكر منهما أنه وردت في فضل الأذان أحاديث كثيرة ذكر المصنف بعضها

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود، ٥١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٨٤).

(٣) إكمال المعلم، ٢/٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) فتح الباري، ٢/١٠٤.

في مواضع أخرى، واقتصر على هذا هنا، لأن هذا [أي البخاري] الخبر تضمن فضلاً لا ينال بغير الأذان، بخلاف غيره من الأخبار فإن الثواب المذكور فيها يدرك بأنواع أخرى من العبادات[١]، وفي ذلك بيان على عِظم فضل الأذان في إدبار الشيطان وهروبه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة:

هذا مما يستفاد من الحديث من قوله ﷺ: "حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا واذكر كذا - لما لم يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى، وقد حث النبي ﷺ على الخشوع وحضور القلب في الصلاة. "فقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ رسولِ الله ﷺ خُدَّامَ أَنْفُسِنَا. نَتَنَاوَبُ الرِعَايَةَ - رِعَايَةَ إبِلِنَا - فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الإبْلِ، فَرَوَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فَإِذَا رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يقولُ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ. فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ مَا أَجْوَدَ هَذِهِ»[٢].

قال النووي: (في قوله ﷺ: "فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه"، هكذا هو في الأصول مقبل أي: وهو مقبل، وقد جمع ﷺ بهاتين اللفظتين أنواع الخضوع والخشوع لأن الخضوع في الأعضاء والخشوع بالقلب...، وقوله: (ما أجود هذا) يعني: هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة، وجودتها من جهات منها أنها سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة. ومنها أن أجرها عظيم، والله أعلم)[٣]، وقال ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يَسْهُو فيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤].

قال صاحب عون المعبود: في قوله ﷺ: "لا يسهو فيهما" أي: لا يغفل فيهما، قال

---

(١) المرجع السابق، ١٠٤/٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود، ٩٠٥. وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٨٠٠).

الطيبي: "أي يكون حاضر القلب أو يعبد الله كأنه يراه"[١].

وقال ﷺ: "من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين، لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه"[٢]، قال النووي: "لا يحدث فيهما نفسه أي لا يحدث بشيء من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة، ولو عرض له حديث فأعرض عنه لمجرد عروضه عفي عنه ذلك وحصلت له هذه الفضيلة إن شاء الله تعالى لأن هذا ليس من فعله وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر"، وقد قال معنى ما ذكرته الإمام أبو عبدالله المازري وتابعه عليه القاضي عياض فقال: يريد بحديث النفس الحديث المجتلب والمكتسب. وأما ما يقع في الخواطر غالبًا فليس هو المراد، قال: وقوله يحدث نفسه فيه إشارة إلى أن ذلك الحديث مما يكتسب لإضافته إليه، قال القاضي عياض: وقال بعضهم: هذا الذي يكون بغير قصد يرجى أن تقبل معه الصلاة، ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشيء لأن النبي ﷺ إنما ضمن الغفران لمراعي ذلك، لأنه قل من تسلم صلاته من حديث النفس، وإنما حصلت له هذه المرتبة لمجاهدة نفسه من خطرات الشيطان ونفيها عنه، ومحافظته عليها حتى لم يشتغل عنها طرفة عين، وسلم من الشيطان باجتهاده وتفريغه قلبه، هذا كلام القاضي والصواب ما قدمته والله أعلم)[٣]. وفي ذلك بيان على ضرورة الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان عداوة الشيطان للإنسان ورغبته في الوسوسة في الصلاة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه ... إلخ"، قال ابن حجر: في قوله ﷺ: "أقبل حتى يخطر" أي يوسوس، وفي قوله: "بين المرء ونفسه" قال الباجي: المعنى أنه يحول بين المرء وبين ما يريده من إقباله على صلاته وإخلاصه فيها"[٤]، وقد بين الحق تبارك وتعالى عداوة

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد اشرف الحق بن عبدالعظيم ابادي، ٤٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٣.

(٤) فتح الباري، ١٠٢/٢.

الشيطان للإنسان ورغبته في إضلاله فقال جلا وعلا في سورة الأعراف مبينًا ما قاله الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[١]، قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه لما أنذر إبليس" إلى يوم يبعثون"، واستوثق إبليس بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد، فقال: "فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم". أي: كما أغويتني، و"صراطك المستقيم" أي: طريق الحق وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدونك ولا يوحدونك بسبب إضلالك إياي، ثم لآتينهم من بين أيديهم"، أشككهم في آخرتهم، "ومن خلفهم" أرغبهم في الدنيا "وعن إيمانهم"، أشبه عليهم أمر دينهم، وعن شمائلهم": أشهي لهم المعاصي ...، ولا تجد أكثرهم شاكرين"، أي: موحدين"[٢]، وفي ذلك بيان عظيم على عداوة الشيطان للإنسان، ورغبته في إضلاله ومن هذا الإضلال وسوسته في الصلاة لإشغال المصلين عن خالقهم مما يفوت عليهم عظم الأجر والثواب.

رابعًا - من فقه الداعية: ذكر الألفاظ الصريحة لمصلحة شرعية:

هذا ما ذكره النبي ﷺ في الحديث من قوله: "إذا نودي بالصلاة، أدبر الشيطان، وله ضراط"، وقد استعمل النبي ﷺ صريح لفظ الضراط لمصلحة بينها الطيبي في قوله: "ثم سماه ضراطًا تقبيحًا له"[٣]، وقد بين النووي ذلك في قوله: (وقد يستعمل صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[٤]، وكقوله ﷺ: "أنكتها"[٥]، وكقوله ﷺ: "أدبر الشيطان وله ضراط"[٦]، وكقول أبي هريرة رضي الله عنه: "الحدث فساء أو ضراط"[٧]،

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٣/٣ - ٢٩٥).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢٠٢/٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٦٨٢٤.

(٦) أخرجه البخاري، ١٢٣١، ومسلم، ٣٨٩.

(٧) أخرجه البخاري، ١٣٥.

ونظائر ذلك كثيرة)[١].

أما إذا لم تكن هناك مصلحة شرعية على النحو السابق، فالمستحب في مثل هذا الكناية عن قبيح الأسماء واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض...، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٢])[٣].

قال القاسمي: (و"الرفث" أصله قول الفحش وكنى به هنا عن الجماع وما يتبعه. كما كنى عنه في قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[٤]، وقوله: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾[٥]. فالله تعالى كريم يكنى، وإيثار الكناية عنه - هنا - بلفظ الرفث الدال على معنى القبح - عدا بقية الآيات - استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانًا لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب. وللثعالبيّ في آخر كتابه "فقه اللغة" فصل في ذلك بديع)[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، ١١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١١٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٦) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١١١/٣/٢، ١١٢.

الحديث رقم (١٠٣٨)

١٠٣٨ - وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((إِذَا سَمِعْتُمُ النداء فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

لا تنبغي: لا تليق[٢].

الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم[٣].

حلَّت: وجبت. وقيل: نالته[٤].

الشرح الأدبي

صياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها لعظمة الأجر المترتب عليها مع قلة المؤنة التي تحتاج إليها، ومع قدرة جميع المسلمين عليها، حيث ربط سماع الأذان بالأمر بقول مثل ما يقول، وقوله (ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ) ثم تشير إلى وقت يطول، أو يقصر يستغرقه الترديد مع المؤذن، والأمر (صلوا) أمر نصح، وإرشاد، علله بقوله (فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً) ترغيبا في كثرة الصلاة على النبي ﷺ، وبين

---

(١) برقم (١١/٣٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٢٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣٩.

صلى، وصلاة جناس يؤكد المعنى، ويجعله ملأ الأسماع، والأفهام، ونسبة الصلاة المقابلة لصلاة العبد لله يعظم الأجر، ويرتقي به في درج الثواب مرتقى عظيماً، وبين قوله سلو، والوسيلة جناس أيضا يقرر المضمون، وتقديم الجار، والمجرور (لي) على المفعول للتخصيص وقوله (فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ) التوكيد للتنبيه لأهمية الخبر، وتنكير منزلة للتعظيم، والجار، والمجرور (في الجنة) يوحي بشرف هذه المنزلة، وقوله (لاَ تَنْبَغِي إلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ) أسلوب لقصر لمعنى الانبغاء على عبد واحد من عباد الله لا اثنين، وقوله (وَأَرْجُو أَنْ أَكونَ أَنَا هو) يشير إلى أنها منزلته ﷺ وتوسيط الضمير (أنا) يفيد الاختصاص، وقوله: (فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) أسلوب شرط يربط سؤال الوسيلة للنبي ﷺ بحلول الشفاعة للسائل، وصياغة الفعل في الماضي تفيد التحقق، والتعبير بالحلول يشير إلى معنى الوجوب، والاستحقاق.

فقه الحديث

يسن لمن سمع الأذان متابعته بمثله، وهو أن يقول مثل ما يقول، لقول النبي ﷺ: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول))[1] ويسن أن يقول عند الحيعلة: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللّهُ أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله. ثُمَّ قَالَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. قَالَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[2] ولأن حي على الصلاة، حيّ على الفلاح، خطاب فإعادته عبث، وفي التثويب وهو قول "الصلاة خير من النوم" في أذان الفجر يقول: صدقت وبررت – بكسر الراء الأولى – ثم يصلّي

(١) أخرجه مسلم ٣٨٤ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٥.

على النبي ﷺ ثم يقول: "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته"، كما ورد في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ثم يدعو بعد الأذان بما شاء لحديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة" ويقول عند أذان المغرب: "اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي".

ولو سمع مؤذنًا ثانيًا أو ثالثًا استحبّ له المتابعة أيضًا.

وما سبق هو باتفاق إلا أن المشهور عند المالكية أن يحكي السامع لآخر الشهادتين فقط، ولا يحكي الترجيع، ولا يحكي الصلاة خير من النوم ولا يبدلها بصدقت وبررت، ومقابل المشهور أن يحكي لآخر الأذان[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب قول مثل ما يقول المؤذن.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء للنبي ﷺ بعد الأذان، وبيان فضل ذلك.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: انتفاع الفاضل بدعاء المفضول.

سادسًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على مواطن الخير.

---

(١) منتهى الإرادات ١٣٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٢٦/١ - ٤٢٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٤٠/١، والمهذب ٦٥/١، ومنح الجليل ١٢١/١، والحطاب ٤٤٢/١، والبدائع ١٥٥/١، وابن عابدين ٢٦٥/١ - ٢٦٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧٢/٢)، وانظر الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٥٦ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٣٩).

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء الحديث في صياغة أسلوب الشرط: "إذا سمعتم النداء فقولوا ... ثم صلّوا"، وكأن السر في مجيئ الحديث بهذا الأسلوب أن الشرط فيه تلازم بين فعل الشرط وجوابه، ففعل الشرط يلزم عنه جواب الشرط، وكأن هذا إرشاد إلى المدعوين أن يلتزموا هذا قدر استطاعتهم وجهدهم ولا يتركوه بحال من الأحوال.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: استحباب قول مثل ما يقول المؤذن:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول"، وأيضًا في قوله: "إذا سمعتم النداء، فقولوا كما يقول المؤذن"، قال النووي: "وفيه أنه يستحب أن يقول السامع كل كلمة بعد فراغ المؤذن منها ولا ينتظر فراغه من كل الأذان"[١]، "ويسن أن يقول عند الحيعلة: "لا حول ولا قوة إلا بالله والسبب في عدم إعادة الحيعلة عند تريد الأذان هو أن حي على الصلاة وحي على الفلاح، خطاب فإعادته عبث. وفي التثويب وهو قول: الصلاة خير من النوم" في أذان الفجر، يقول: صدقت وبررت بكسر الراء"[٢]، قال القاضي عياض: (والحيعلة تنطلق على "حي على الفلاح"، وعلى "حي على الصلاة")[٣]. وفي بيان حث النبي ﷺ على ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أشهد أن محمد رسول الله، قال: أشهد أن محمد رسول الله. ثم قال: حى على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: حى على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله. من قلبه – دخل الجنة))[٤].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣٨.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٧٢/٢.

(٣) انظر: إكمال المعلم، ٢٥٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٥.

قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا قال المؤذن: الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر..." الحديث إلى قوله: "فإذا قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة" لأن في حكايته لما قال المؤذن من التوحيد والإعظام، والثناء على الله، والاستسلام لطاعته، وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذ هي دعاء وترغيب لمن سمعها، فإجابتها لا تكون بلفظها بل بما يطابقها من التسليم والانقياد، بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهيدين بحكايتهما، وإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان وجماع الإسلام واستوجب الجنة، وكذلك مضمن الحديث الآخر في القول عند أذان المؤذن: (رضيت بالله ربا...)[1] الحديث، ومثل هذا من التصريح بحقيقة الإيمان والاعتراف بقواعده.

واعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ومشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فابتدأ بإثبات الذات بقوله: "الله" وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها المضمَّنة تحت قولك: "الله أكبر" فإن هذه اللفظة على قلة كلمها واختصار صيغتها مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات الوحدانية والإلهية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على سائر وظائفه، ثم ابتدأ بإثبات النبوة لنبينا ﷺ ورسالته لهداية الخلق ودعائهم إلى الله، إذ هي تالية الشهادتين، وموضعها من الترتيب بعد ما تقدم لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وهنا كمل تراجم العقائد - العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فصرح بالصلاة ثم رتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته ﷺ لا من جهة العقل، ثم الحث والدعاء إلى الفلاح - وهو البقاء في النعيم. وفيه الإشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء - وهي آخر تراجم العقائد الإسلامية، ثم تكرر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها للحاضر ومن قرب، وفي طي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٦.

عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من عبده وجزيل ثوابه على عبادته)[١].

فعلى كل من سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول، لما في ذلك من عظم الأجر فضلاً عن الامتثال لأمر النبي ﷺ وفي ذلك كامل الأجر.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرًا"، "والمقصود بصلاة الله تعالى على من صلى على النبي ﷺ "هي رحمته وتضعيف أجره" كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٢]"[٣].

والمقصود بالصلاة على النبي ﷺ: الدعاء له بصيغة مخصوصة والتعظيم لأمره. قال القرطبي: (الصلاة على النبي من الله: رحمته، ورضوانه، وثناؤه عليه عند الملائكة، ومن الملائكة: الدعاء له والاستغفار، ومن الأمة: الدعاء له، والاستغفار، والتعظيم لأمره)[٤].

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي ﷺ للأمر بها)[٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥٣/٢ - ٢٥٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٣٥٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٢/١٤/٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣٤/٢٧.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر جل شأنه بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: السفلي والعلوي جميعًا)[١].

وجاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه.

فقد روى البخاري عند تفسير هذه الآية: (قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)[٢].

وفي الصلاة على النبي ﷺ فضائل عظيمة ومنح من الله جليلة، فمن ذلك كفاية الهم ومغفرة الذنب. "فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ)). قَالَ أُبَيٌّ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فقَالَ «مَا شِئْتَ». قال: قُلْت الرُّبُعَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ». قال: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ))[٣]. قال المباركفوري مبينًا مقصود قول أبي رضي الله عنه للنبي ﷺ: ("أجعل لك صلاتي كلها" أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي، فقال له النبي ﷺ: "إذا تكفى همك" والهم ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة، يعني إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة عليَّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٤٩٨.

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٩٩).

أعطيت مرام الدنيا والآخرة)[1]. وقد أورد ابن القيم في (كتابه جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ثلاثًا وثلاثين فائدة وثمرة حاصلة بالصلاة على النبي ﷺ، منها امتثال أمر الله سبحانه وتعالى ،وأن يرفع لمن صلى عليه عشر درجات، وأن يكتب له عشر حسنات، وأن تمحي عنه عشر سيئات، وأن يرجى له إجابة الدعاء إذا قدمها أمامه، وأنها سبب لشفاعته ﷺ، وسببًا لقضاء الحوائج، ونفى الفقر، فضلاً عن أنها سبب لنيل رحمة الله ودوام محبته لرسول الله ﷺ... إلخ)[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء للنبي ﷺ بعد الأذان، وبيان فضل ذلك:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي" وقوله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة،والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ... إلخ".

قال القاضي: ("وقوله "سلوا لي الوسيلة" فسرها في الحديث أنها منزلة في الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وهي مشتقه -والله أعلم- من القرب، توسَّل الرجل للرجل بكذا إذا تقرب إليه، وتوسَّل إلى ربه بطاعته تقرب إليه بها)[3].

وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ والفضيلة - من حديث جابر رضي الله عنه: "أى المرتبة الزائدة على سائر الخلاق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيرًا للوسيلة")[4].

وقال القرطبي: (وقوله: "أرجو أن أكون أنا هو"، قال: هذا ﷺ قبل أن يُبان له أنه صاحبها، إذ قد أخبر أنه يقوم مقامًا لا يقومه أحد غيره؛ ويحمد الله محامد لم يُلهمها

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٩٢٠/٢.

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزيه ص ٦١٢ - ٦٢٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥٢/٢.

(٤) فتح الباري، ١١٣/٢.

أحدٌ غيره؛ ولكن مع ذلك فلابد من الدعاء فيها، فإن الله تعالى يزيده بكثرة دعاء أمته رفعة كما زاده بصلاتهم، ثم إنه يرجع ذلك عليهم بنيل الأجور، ووجوب شفاعته ﷺ)[1].

وقال الطيبي: "وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته" الموصول مع الصلة إما بدل، أو نصب على المدح أو رفع بتقدير أعنى أو هو، ولا يجوز أن يكون صفة للمنكر، وإنما نكر لأنه أفخم وأجزل، كأنه قيل: مقامًا أى مقام، مقامًا يغبطه الأولون والآخرون، محمودًا يكل عن أوصافه ألسنة الحامدين، قال "الأشرف": المراد بوعده "تعالى" نبيه ﷺ، قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[2])[3].

قال ابن كثير: (قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم")[4]، وقد جعل النبي ﷺ هذه الشفاعة هي جزاء من دعا بذلك بعد الأذان فقال: "حلت له شفاعتي".

قال القاضي عياض: (وقوله: "فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة": قيل: معنى "حلت": غشيته وحلت عليه، قال المهلب: والصواب أن يكون "حلت" بمعنى: وجبت، كما قال أهل اللغة: حلَّ يحلُّ وجب، وحل يحل نزل، ويحتمل أن هذا مخصوص لمن فعل ما حضه ﷺ عليه وأتى بذلك على وجهه وفي وقته وبإخلاص وصدق نية، وكان بعض من رأينا من المحققين يقول هذا ومثله في قوله: "من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه عشرًا" هو والله أعلم لمن صلى محتسبًا مخلصًا قاضيًا حقه بذلك، إجلالاً لمكانه وحبه فيه، لا لمن قصد بقوله ودعائه ذلك مجرد الثواب، أو رجاء الإجابة لدعائه بصلاته عليه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ١٣/٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢٠٥/٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٣/٥.

والحظ لنفسه، وهذا فيه عندي نظر)[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: انتفاع الفاضل بدعاء المفضول:

هذا ما ظهر في الحديث من قوله ﷺ: "ثم سلوا الله لي الوسيلة"، والفاضل هنا هو النبي ﷺ، والمفضول هى أمة النبي ﷺ، وخير دليل على انتفاع الفاضل بدعاء المفضول، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأويس بن عامر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ[٢]. قال النووي: "وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم"[٣].

سادسًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على مواطن الخير:

هذا يستفاد من سياق الأحاديث الواردة في حرصه ﷺ على إفادة الخير لأصحابه رضي الله عنهم وحصول شفاعته ﷺ لهم، وهذا ما يحمل الداعية على أن يقتدى به ﷺ ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، "فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه، ويستضيئون بهديه، ... فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ، متتبعين منهجه مقتدرين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا"[٥]، فعلى الدعاة أن يحرصون على دلالة المدعوين على مواطن الخير لما في ذلك من عظيم الأجر لهم، وقد حث النبي ﷺ الدعاة على ذلك فقال: " ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥١/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين، ٥٩.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[١].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣٩)

١٠٣٩- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه بدأه النبي ﷺ بأسلوب الشرط، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي فقد ربط سماع النداء بالأمر بالقول مثل ما يقول، والتشبيه بقول المؤذن يقتضي متابعته فيما يقول دون زيادة كما يفعل بعض الجهلاء متخطين أمر رسول الله ﷺ بالمثلية في القول التي تعني ترديد قوله، وبين فقولوا، ويقول جناس يؤكد ترديد القول الذي يقوله المؤذن.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣/١٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٤٠)

١٠٤٠- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتي يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٢].

التامة: التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل وهي دعوة التوحيد[٣].

القائمة: الدائمة من قام على الشيء إذا داوم عليه[٤].

الوسيلة: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة وتطلق على المنزلة العالية، وقد فسرها النبي ﷺ بأنها منزلة في الجنة[٥].

الفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق[٦].

مقامًا محمودًا: يُحْمد القائم فيه[٧].

---

(١) برقم (٦١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) المرجع السابق ١١٢/٢ - ١١٣.

(٤) وقيل في تفسيرها غير ذلك. انظر: فتح الباري، ابن حجر ١١٣/٢، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٣٤.

(٥) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (و س ل)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٢٩، وفتح الباري، ابن حجر ١١٣/٢، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٧٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١١٢/٢.

(٧) المرجع السابق ١١٣/٢.

حلت: استحقت ووجبت أو نزلت عليه[١].

شفاعتي: السؤال في التجاوز عن الذنوب[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره الاسم الموصول (من) الذي ينادي من له عقل باغتنام الفرصة العظيمة للفوز بشفاعة الرسول ﷺ، وقوله (اللهم) توجه إلى الله بتمام الخشوع، والخضوع، ولفظ (رب) يوحي بالرعاية، والحفظ، والإشارة للتعظيم، ووصف الدعوة بالتامة تتميم بلاغي أفاد كفايتها لاحتوائها كلمة التوحيد أعظم ما يقال ووصف الصلاة بالقائمة يشير إلى الصلاة الحاضرة، وقوله (آت) أمر بغرض الدعاء، وكذلك قوله (وابعثه)، وتنكير المقام للتعظيم دل على ذلك وصفه بالمحمود وقوله (، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتي يَوْمَ القِيَامَةِ) أي وجبت له، واستحقها، وإضافة الشفاعة لضمير الرسول ﷺ بيان وتشريف، وتقييدها باليوم المضاف للقيامة يصعِّد الاهتمام بها ويعلي من قيمتها لقوة الدواعي إليها يومئذ.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) المرجع السابق ٢/١١٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٣) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٠٤١)

١٠٤١- وعن سعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنَّه قَالَ: ((مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: اشْهَدُ انْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَانَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الترديد مع المؤذن، والترغيب فيه، وقد بدأ بمن الموصولة المتضمنة لمعنى الشرط حيث ربط قول هذه الكلمات بمغفرة الذنوب تلاه الشهادة لله بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله -سبحانه وتعالى- قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله، وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَحْدَهُ) توكيد لنفي الألوهية عن الجميع، وإثباتها لله، وكذلك قوله (لاَ شَرِيكَ لَهُ) يصعِّد هذا التوكيد إلى حد لا يبلغه شك، ولا يعترضه في قوته إنكار، وكثرة أشكال التوكيد في إثبات الألوهية لله، ونفيها عن من سواه؛ لأنه معنى زلت عنده الأقدام، وضلت عنه كثير من الأمم التي أشركت مع الله غيره من خلقه ما بين بشر، أو حجر، أو كوكب، أو غيره، ولذلك لما أتبع الشهادة ببقيتها، وهي قوله: (وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) نص فيها على صفة العبودية للرسول ﷺ للفرق بين مقام النبوة، والألوهية حتى تحبه الأمة ما تحبه، وهي تعلم أنه عبد نبي، وقوله (رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلامِ دِيناً) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الإقرار، والاعتراف بهذه الصفات.

---

(١) برقم (٣٨٦/١٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٨).

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الأذان وقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا وبيان الحكمة من ذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب وحلول شفاعة النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الأذان وقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا وبيان الحكمة من ذلك:

يستفاد من سياق الحديث الحث على النطق بالشهادتين وقول: رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسول وبالإسلام دينًا، وذلك حين سماع المؤذن، وفي بيان الحكمة من ذلك قال النووي: قال القاضي عياض: "لأن في ذلك كمال التوحيد والثناء على الله تعالى والانقياد لطاعته والتفويض إليه...، فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان، وكمال الإسلام وذاق طعم الإيمان"[2]. وفي ذلك قال ﷺ، "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً"[3]، قال النووي: (قال صاحب التحرير: معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره؛ فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه)[4]، وقال القاضي عياض: "معنى الحديث صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه بالله ربًا، وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينًا، دليل ثبوت معرفته،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٤١ - مع المضامين الدعوية للحديث السابق.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، ٣٣٩.

(٣) أخرجه مسلم ٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦.

ونفاذ بصيرته بما رضى به من ذلك، ومخالطة بشاشته قلبه وهذا كالحديث الآخر: «وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمّا سِواهُما»[1]. وذلك أن الإنسان إذا رضي أمرًا واستحسنه سهل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات ربه ولذت له، ولم يشق عليه معاناتها"[2]، وفي ذلك بيان على الحكمة من الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الآذان وقول: "رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينا".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب وحلول شفاعة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "من قال حين سمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله ... إلخ"، غفر له ذنبه" أي من قال حين يسمع المؤذن هذه الكلمات غفرت له ذنوبه الصغائر المتعلقة بالله تعالى، وفي هذا من الفوائد ما فيه [3]، وقوله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة"[4] وقد بين الحق تبارك وتعالى أن طاعة نبيه ﷺ والاستجابة لأوامره هي سبب غفران الذنوب، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، قال السعدي: (هذه الآية هى الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوة مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد ﷺ، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقًا إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/ ٢٧٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٥.

(٤) أخرجه البحاري ٦١٤٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه)[١].

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديثين أن من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة، ومن قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه، وهذا التوجيه والحثّ النبوي يحمل المسلم على الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ من أقوال لأنها سبب لحلول شفاعة النبي ﷺ ولمغفرة الذنوب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

(إن لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، بل هو من لوازم الداعية في دعوته إلى الله، فغرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه)[٢]، [٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في هذا الحديث من ترغيبه ﷺ في قول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلامة والقائمة آت محمداً الوسيلك والفضيلة وأبعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة، وفي قول الشهادتين وإعلان الرضا بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينا حين سماع الأذان لما في ذلك من غفران الذنوب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١٠٥.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د.عبدالرحيم محمد المغذوي، ١٩٣.

(٣) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د.عبدالوهاب بن لطف الديلمي ١/٥٤٣.

الحديث رقم (١٠٤٢)

١٠٤٢- وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في الدعاء يشير إلى موطن من مواطن استجابة الدعاء بين الأذان، والإقامة، وأسلوبه خبري دون مؤكدات يتكون من جملة واحدة يتوسطها نفي يقرر المعنى المراد، وقوله (الدعاء) ال في الدعاء للجنس فيدخل فيه كل دعاء، وقوله (لا يرد) أسلوب نفي يشير إلى تحقق الإجابة في هذا الموطن والظرف بين يحدد الزمان، لأنه من المعلوم أن هناك أزمان فاضلة الإجابة فيها أقرب من غيرها، وكذلك هناك أماكن أفضل من غيرها للدعاء، وهذا الموطن من مواطن الإجابة لأنه بين ذكرين في بيت من بيوت الله.

فقه الحديث

قال الشيخ البسام: (يؤخذ من الحديث: استحباب الدعاء في هذا الوقت واغتنام النفحة الإلهية والكرم الرباني)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحري الدعاء بين الأذان والإقامة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٤٢٥)، وابن حبان (الإحسان ١٦٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٥).

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/٤٣٣.

أولاً - من وسائل الدعوة: الدعاء:

هذا ما يستفاد من الحديث من ذكر أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، والدعاء من الوسائل الدعوية الهامة، لما له من وقع في نفوس المدعوين من تقريب قلوبهم وبيان حب هدايتهم، وقد ضرب لنا النبي ﷺ في بيان ذلك أروع الأمثلة "فقال لأبي ذر رضي الله عنه: «ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا»[1].

قال النووي: (قال القاضي في المشارق: هو من أحسن الكلام مأخوذة من سالمته إذا لم ترَ منه مكروهًا فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم، فيكون سالمها بمعنى: سلمها)[2]، وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ: "وغفار غفر الله لها"، وهو لفظ خبر يراد به الدعاء)[3].

إن الدعاء طاعة لله تعالى وامتثال لأمره عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4]، وقال: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[5]، فالداعي مطيع لله تعالى مستجيب لأمره، وللدعاء فضله وثمراته التي يجنيها الداعي شريطة أن يأتي بشرائط الإجابة، فإذا فعل ذلك فإنه سيحصل على الخير وسينال نصيبًا وافرًا من ثمرات الدعاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ مُسْلِم يَدْعُو، لَيسَ بِإِثْم، وَلاَ بِقَطِيعَةِ رَحِيم، إلا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدخِرَهَا لَهُ فِي اَلآخِرَة، وَإِمَّا أَن يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السوءِ مِثْلَهَا. قَالَ: إذاً يُكْثِر. قَالَ: اللهِ أَكْثَر))[6].

قال ابن حجر: (كل داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه)[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥١٣، ومسلم ٢٥١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦/٦٢٨.

(٤) سورة غافر، آية: ٦

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

(٧) فتح الباري، ابن حجر ١١/٩٥.

فحريٌّ بالدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في تقريب وتأليف المدعوين بالدعاء لهم.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: تحري الدعاء بين الآذان والإقامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث، "والدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له"[(١)]، وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه كقوله ﷺ: (الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[(٢)])[(٣)]، وقال ﷺ ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ))[(٤)]. وقال: ((إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))[(٥)]، قال الطيبي: (وذلك لأن الله تعالى يحب أن يسأل من فضله على ما مر فمن لم يسل الله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه لا محالة)[(٦)]، هذا وقد حث النبي ﷺ على تحري أوقات معينة للدعاء يكون فيها الإجابة إن توافرت فيه شروط الدعاء، ومن ذلك تحري الدعاء بين الأذان والإقامة فإنه لا يرد، قال المباركفوري في بيان ذلك: "أى يقبل ويستجاب ...، وقال المناوي تحت قوله "مستجاب": أى بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه"[(٧)].

وقد حث النبي ﷺ على تحري ذلك فقال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[(٨)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٩٨/١١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٢٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٥٩٠).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٤).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٧٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٦).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤/ ٢١٠.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٢٢/١.

(٨) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٨٣٣).

وقال ﷺ: «يتَنـزلُ ربُّنا تَبارَكَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا حين يَبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يَدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطِيَه، من يستغفِرُني فأغفِرَ له؟»[1]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: هو وقت شريف، خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم، وغفران ذنوبهم، وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب، لاسيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب ولاسيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه)[2]. ومن هذه الأوقات الفاضلة التي يرجى فيها الدعاء، الدعاء بين الأذان والإقامة والدعاء عند اللقاء لقوله ﷺ: «ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّ مَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُ بَعْضًا»[3]. "والبأس: أي: القتال"[4]. وأيضًا في ساعة من يوم الجمعة لقوله ﷺ: "إن في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا إلا أعطاه إياه: وَأَشارَ بيدِهِ يُقلِّلها"[5]. وهناك من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء ما لا يسع المقام لذكرها. فعلى المدعوين أن يغتنموا هذه الأوقات الفاضلة في الدعاء لما في ذلك من الإجابة والقبول.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم، ٧٥٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٣٢/١١.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود٢٢/٥).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق العظيم آبادي، ١١٠١.

(٥) أخرجه البخاري ٩٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التحفيز:

قال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا. وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». لقد قام هذا الحديث الشريف على أسلوب التحفيز، وذلك بقيامه على أسلوب الشرط الذي يقوم على حصول الجزاء مترتبًا على وقوع الفعل والسبب، والملاحظ أن النبي ﷺ لم يحدد الجزاء ولم يعينه، وإنما أطلقه وعلّقه، وليس المقصود علم الناس وإنما المقصود الإخبار بالثواب العظيم والجزاء الجزيل المترتب على فعل هذه الخصال، وفي هذا تحفيز على المسارعة والمبادرة والتبكير إلى المسجد لما في ذلك من الثواب العظيم، وكثيرًا ما يستخدم المربون هذا الأسلوب التربوي لحث الناشئة على العمل والفعل، فيؤتى ثماره الطيبة خاصة لدى الفئات التي تحتاج إلى نوع من التحفيز، يولد ما لديها من طاقات في الفهم والإبداع والتميز.

تجد المعلم يقول لتلاميذه: لو يعلم الحاصل على المركز الأول في هذا الاختبار الذي تختبرونه ما يناله، لتمنى أن يكون العام كله اختبارات، وهكذا نجد هذا الأسلوب يؤتي بنتائجه التربوية المهمة، وذلك لأنه يقوم على مخاطبة ما يحبه الإنسان ويميل إليه من ذلك:

أ - يخاطب في الإنسان ما يميل إليه ويحبه في حصوله على جزاء الأعمال التي يعملها والأفعال التي يفعلها، فيزيده امتثالاً واستجابة.

ب - يخاطب في الإنسان حبه في التنافس والمسابقة والمبادرة، فالنفس تنشط وتقبل على الإعمال إذا وجدت تنافسًا لأنها مجبولة على حبّ السبق وتحقيقه وإنجازه.

ولذا فإن على المربين أن يستخدموا هذا الأسلوب بحكمة، وذلك لأثره البالغ في حياة الفرد والجماعة والأمم، فإنما الأمم تتقدم بما تملك من المتفوقين والمبدعين والمبتكرين في شتى المجالات والأعمال، والتحفيز من أهم الأساليب التربوية المؤثرة في النفوس.

ثانيًا: التربية على كيفية التعامل مع المشكلات:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه"، والاستهام: هو الاقتراع [١]. فإذا كان الناس يبادرون إلى الأذان والوقوف في الصف الأول، فإن ذلك ينتج عنه مزاحمة واختلاف، مما يذهب بالمقصود منهما وهو طاعة الله وإقامة شعائر الدين، فبين النبي ﷺ الطريق لحلّ ما ينتج من مشكلات لو تزاحم الناس على الأذان والوقوف في الصف الأول، وذلك عن طريق القرعة التي تخرج الأضغان والأحقاد من بين الناس وتجعلهم راضين متقبلين للأمر.

يقول ابن القيم: "وهذا هو سر المسألة وفقهها، فإن التعيين إذا لم يكن لنا سبيل إليه بالشرع فوّض إلى القضاء، وصار الحكم به شرعيًا قدريًا، شرعيًا: في فعل القرعة. قدريًا فيما تخرج به، وذلك إلى الله لا إلى المكلف، فلا أحسن من هذا ولا أبلغ في موافقة شرع الله وقدره" [٢].

وعلى ذلك ينبغي أن يربي المربون الناشئة على حل ما يقابلهم من مشكلات حلاً يحقق المطلوب، ولا ينتج عنه أحقاد ولا ضغائن ولا ثارات، وهذا ما قد يطلق عليه في علم التربية والنفس: التفكير الإيجابي.

يقول د. إبراهيم بن حمد القعيد عن أهمية هذا التفكير: "في حياتنا اليومية نتعرض لكثير من المثيرات والأحداث، ونتعامل مع العديد من الأشخاص، والتفكير الإيجابي هو البحث عن الأمور الإيجابية والطيبة في هذه الأشياء وإغفال أو التغافل عن الأشياء السيئة، إذا تحدث معك شخص فانظر إلى الجانب الإيجابي في حديثه، إذا تعرضت لمشكلة فانظر في الجانب الإيجابي لهذه المشكلة، مع عدم إغفال الجوانب الأخرى، وما تتعرض له من جهد لحلّ هذه المشكلة، هذا لا يعني بالطبع أن الأمور دائمًا إيجابية، نحن نعرف أن هناك الكثير من المشكلات والسلبيات والمنغصات والأحداث

---

(١) رياض الصالحين، ٣٩٧.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٩٩.

المؤلمة في الحياة من حولنا، ولكن التفكير الإيجابي يجعلنا أقدر على مواجهة هذه الأحداث واستغلال أفضل ما فيها لإثراء حياتنا أو التغلب عليها أو التكيف معها.

والتفكير الإيجابي على درجة كبيرة من الأهمية في حياة الإنسان، حيث يجعل حياته بنّاءة ومثمرة تلفُّها السعادة والنجاح، وعن طريق التفكير الإيجابي يمكن تحقيق أضعاف النتائج التي يمكن الوصول إليها بأي طريقة أخرى، وعلى العكس من ذلك التفكير السلبي يجعلك تنظر إلى الأمور بتشاؤم من جانبها المظلم، هل سمعت عن فكرة الكأس الذي نصفه مليء ونصفه فارغ، وإذا سألت الإنسان الإيجابي عن الكأس قال: نصفه مليء، وإذا سألت الإنسان السلبي قال: نصفه فارغ. هذا مفهوم رمزي للطريقة التي ينظر فيها الناس إلى الشيء الواحد: بعضهم يرى بعين متفائلة والبعض الآخر يرى بعين متشائمة"[١].

ثالثًا- التربية بمراعاة الميول والرغبات:

هذا واضح من قول الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه للتابعي عبدالله ابن عبدالرحمن بن أبي صعصعة: إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك -أوفى باديتك- فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء..." فقد لاحظ الصحابي ما يرغب فيه التابعي ويحبه، فدلّه على ما يوافق هذه الرغبة ويتلاءم معها، وهذا نمط تربوي هادف وناجح، لأنه من خلاله تتأتى عملية الدخول إلى الشخصية، وهكذا على المربين أن يلاحظوا رغبات الناشئة وميولهم ويدفعوهم إلى التفوق فيها، ولا يحاولوا أن يفرضوا عليهم رغباتهم وميولهم هم، فإن "كثيرًا من المربين يحاولون توجيه أبنائهم إلى الدراسات التي يرون أنها أعلى شأنًا من غيرها، أو المهن ذات المردود الأعلى، من غير نظر إلى رغبة الابن أو استعداده وقدرته، فيقسرونه على ذلك قسرًا، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الإخفاق في تحقيق ما يرجونه من النتائج. وكم من والد أو مربٍ ظلّ يعض بنان الندم، على ما أضاع على ابنه من سنوات عمره، بعدما أجبر على التخصص فيما لا يحسن أو يقدر عليه.

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٤١٩، ٤٢٠.

وينبغي -هنا- أن نقول: إن كل علم نافع أو مهنة مفيدة أيًا كانت الدرجة التي تحتلها تحتاج إليها الأمة، وإذا تميز فيها الولد فقد يجني من ورائها أعظم مما يجني من تخصص في شيء أفضل من ذلك في نظر المجتمع إذا لم يكن له تميز فيه، فلا ينبغي للمربين أن يجبروا الأولاد على الالتحاق بما لا يرغبون فيه، أو ما لا يتمكنون من تحصيله لضعف قدرتهم عليه، لأن ذلك يفضي إلى عكس المطلوب، بل يوجهونهم إلى ما تظهر رغبتهم فيه وقدرتهم على إجادته والتميز فيه. لكن ينبغي -هنا- على المربي أن يكون متيقظًا للدافع الحقيقي لعدم رغبة الولد، هل هو ضعفه وعدم قدرته وصعوبة الأمر عليه، أم هو الكسل والإخلاد إلى الأرض، والرغبة في التفرغ للعب وإضاعة الأوقات فيما لا يفيد؟"[١].

رابعًا- التربية بالترغيب:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إنهُ لا يَسمعُ مَدَى صَوْتِ المؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيء إلا شهد لهُ يومَ القيامةِ».

قال ابن حجر: (قوله: "جنّ ولا إنس ولا شيء" ظاهره يشمل الحيوانات والجمادات، فهو من العام بعد الخاصّ، ويؤيده ما في رواية ابن خزيمة[٢]: «لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له». ولأبي داود والنسائي من طريق أبي يحيي عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «المُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كلُّ رَطْبٍ وَيَابِس»[٣].

ونحوه، للنسائي وغيره من حديث البراء[٤] وصححه ابن السكن، فهذه الأحاديث تبين المراد من قوله في حديث الباب ولا شيء"[٥].

وهذا مما يرغب الإنسان في شعيرة الأذان وفي فضل رفع الصوت به لتسمع

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، ١٥٥.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ٣٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٥، والنسائي، ١٣/٢، ٦٤٦، وابن ماجه ٧٢٤.

(٤) أخرجه النسائي ٦٤٧/٢، ١٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٥٥١/١، ٥٥٢.

المخلوقات فتشهد له يوم القيامة، ولاشك أن هذه التربية بالترغيب تدفع المؤمن سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا إلى الاستزادة من عمل الخير الذي تشهد له الخلائق يوم القيامة.

وعلى ذلك يمكن الاستئناس بهذا الحديث على أنه ينبغي أن يربي الناشئ على أنه لا يعيش في هذا الكون بمفرده، فالمخلوقات التي معه تسمعه وتشهد له يوم القيامة، وفي التربية على ذلك -فيما نرى- عدة فوائد، منها:

أ- حث الناشئة على المحافظة على الحياة الطبيعية وتنميتها وعدم الاعتداء عليها.

ب- نشوء ألفة وتواؤم وتوافق بين الإنسان وهذا الكون الذي سخره الله تعالى له، وذلك من خلال الإفادة من نعم الله تعالى التي أفاء بها عليه، وشكره سبحانه عليها والسعي الحثيث لإعمار هذا الكون من خلال ما يتيسر من أسباب، لأن هذا الكون بمن فيه سيشهد على الإنسان يوم القيامة بما سعى إليه في حياته الدنيا.

رابعًا: من مهام المربي: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتربصه به:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إذا نُودِيَ للصَّلاةِ أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ.... حتَّى إذا قُضِيَ التثويبِ أَقبلَ حتى يَخْطُرَ بينَ المرءِ ونفسهِ يقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا -لما لم يَكنْ يَذكرُ- حتّى يَظلَّ الرجلُ لا يَدرِي كم صلَّى». ففي هذا الحديث الشريف توجيه تربوي نبوي يبصر المؤمن بحقيقة فعل الشيطان إذا نودي للصلاة، وخذلانه ومحاولاته المستمرة في إفساد العبادة على المؤمن، من خلال صرفه عنها بالوسوسة والتشكيك، وسعيه في تذكيره بحاجاته وهمومه ومشكلاته، مما يذهب خشوع الإنسان في صلاته، لاستجابته لوساوس الشيطان في الصلاة.

ولم يعنّف النبي ﷺ من وقع منه هذا الفعل ولا لامه ولا أنبّه. وإنما اكتفى ﷺ بذكر ما وقع، ويقع من وساوس وخطرات، وهذا أمر لا يسلم منه أحد ولا تكاد تخلو منه صلاة، وإن كان من جهة أخرى يدفع المصلي إلى أن يجاهد الشيطان قدر الاستطاعة حتى يؤدي صلاته في خشوع وإقبال وتفكر.

ولذا ينبغي للمربي أن يُبصّر بعداوة الشيطان للإنسان وتربصه به، خاصة في الصلاة أو حين يكون حريصًا على الطاعة، ففي البذل يوسوس إليه بالفقر ومشكلاته

وحاجاته وغير ذلك، مما يعوق همة المؤمن وإقدامه أحيانًا، ولذا فإن بيان مثل هذه الأمور والوساوس، يكون بمثابة تبصير بمواقف الشيطان وتلبيسه على الإنسان، ومن ثم كان من اللازم بيان مثل هذه الأمور من خلال القائمين على التربية، مع التعريج على قابلية الإنسان للاستجابة لمثل وساوس الشيطان، ولكن يجب عدم الاستسلام له، والاستعاذة بالله منه.

سادسًا: تربية الناشئة على تحصيل الخير والمشاركة في فعله:

أما تربية الناشئة على تحصيل الخير فمستمد من أمر الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه التابعي وهو في غنمه وفي الصحراء، أمره بأن يرفع صوته بالأذان مع أنه في الغالب يكون وحده وسيصلّي وحده كذلك، ولكن أمره لأنه سمع النبي ﷺ يخبر أن من سمع المؤذن سيشهد له يوم القيامة، ولا يقتصر هذا على ما يعقل فقط، بل يشمل أيضًا. الجماد والنبات ونحو ذلك، فكان الأمر هنا لتحصيل الفضل والأجر والخير، وهذا ما أشار إليه ابن خزيمة. فقال: "المؤذن في البوادي -وإن كان وحده- إذا أذن طلبًا لهذه الفضيلة كان خيرًا وأحسن وأفضل من أن يصلي بلا أذان ولا إقامة، وكذلك النبي ﷺ قد أعلم أن المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس، والمؤذن في البوادي والأسفار -وإن لم يكن هناك من يصلي معه صلاة جماعة- كانت له هذه الفضيلة لأذانه بالصلاة، إذ النبي ﷺ لم يخص مؤذنًا في مدينة ولا في قرية دون مؤذن في سفر ولا بادية، ولا مؤذنًا يؤذن لاجتماع الناس إليه للصلاة في جماعة دون مؤذن لصلاة يصلي منفردًا"[1].

أما تربية الناشئة على المشاركة في فعل الخير، فمستمد من أمر النبي ﷺ مَنْ سمع الأذان أن يقول مثل ما يقول المؤذن، فإذا كان المؤذن له من الفضل الشيء الجليل فالمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، فإن من قال مثل ما يقول سيشاركه في الأجر مع اختلاف الدرجات، وهذا ما يستطيعه أن يفعله من سمع المؤذن، لأن الأذان لا يقوم به

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ٢٠٨/١، ٢٠٩.

إلا واحد، فإن قام بالأذان ذهب بالأجر دون السامعين، فأمر النبي ﷺ بأن يقولوا مثل ما يقول، حتى ينالهم من الأجر بعض ما ناله.

وعلى ذلك فإن المربين عليهم أن يربوا الناشئة على عدم تفويت فرص المشاركة في الخير والمساهمة فيه، ويغرسوا فيهم حب التعاون والاجتماع والمسابقة إلى فعل الخير، حتى تزداد الحياة خيرًا وبركة ونماءً.

سابعًا: التربية على حب النبي ﷺ:

هذا مستمد من طلب النبي ﷺ بعد الفراغ من الأذان أن يصلي عليه المسلمون ثم سؤال الله عز وجل أن يعطي منزلة الوسيلة للنبي ﷺ، كما يبعثه المقام المحمود، ولاشكّ أن الصلاة عليه ﷺ والدعاء له ﷺ يدلان على الحبّ والودّ والتبجيل والتوقير، وعلى ذلك يجب أن يتربى الناشئة وينشئون لأن في ذلك فوائد تربوية جمّة لهم: منها:

١- أليس الحب دليلاً على الإيمان وصدقه وإخلاصه؛ وإذا توافر الصدق في الإيمان كان المؤمن مؤمنًا حقًا، يفعل ما أمر الله به وينتهي عما نهى الله عنه.

٢- أليس الحب هو طريق الاقتداء به ﷺ؟، ألا يبعث الحب الابن على الاقتداء بأبيه؟، فما بالك بحب الناشئة رسول الله ﷺ؟ وإذا اقتدى الناشئة به ﷺ فقد تمسكوا بمنهج تربوي يؤدي بهم إلى الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

يقول الأستاذ محمد المبارك: (الصلاة على النبي دعاء يطلب فيه من الله سبحانه رفعة الدرجة وعلو المقام للنبي الكريم ﷺ، والحقيقة أن هذا النوع من الدعاء يقصد به تذكير قائله بالنبي العظيم، وفضله في تبليغ رسالة الله العامة إلى البشر وتذكيره بسيرته العظيمة، وشمائله الإنسانية الرفيعة وشخصيته المثالية التي هي القدوة لكل إنسان، لأن الله في غنًى عن تذكيره بمقام الرسول الذي اختاره لأعظم رسالة، ولكن القصد الارتفاع بالداعي نفسه إلى مستوى أعلى وتقريبه من الشخصية المثالية التي هي شخصية الرسول ﷺ، وجعلت صيغة الصلاة هذه بديلاً من ألقاب التعظيم التي اعتاد البشر استعمالها وهي أفضل منها، لأنه ليس فيها مايشعر بتأليه بشر بل إنها تتضمن

التذكير بعبودية الرسول ﷺ نفسه لله، لأن المخاطب فيها هو الله، والمدعو له هو الرسول ﷺ)[١].

ثامنًا: التربية على الاعتزاز بالإسلام وبعقيدة التوحيد:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». فهذا قد يستمد منه أن الناشئة يجب أن يربوا على إعلان اعتزازهم بالإسلام وبعقيدته، فإذا كان المؤذن قد أسمع الدنيا شهادة التوحيد فإن الناشئ يشاركه فيقول الشهادتين مثلما قال، فضلاً عن إعلان رضاه واعتزازه بالله عز وجل وبرسوله محمد ﷺ وبدينه الإسلام، وهذا الاعتزاز يدفعه إلى أن يكون مؤمنًا بربه حقًا، متبعًا لرسوله صدقًا، ومتمثلاً الإسلام منهجًا وسلوكًا. وليس أدل على هذا الاعتزاز من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه للتابعي: «فإذا كنتَ في غنمكَ - أو باديتكَ - فأَذَّنْتَ بالصَّلاةِ فارفعْ صَوتَكَ بالنِّداءِ».

تاسعًا: تربية الناشئة على استغلال الأوقات الفاضلة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة"، وهذا توجيه تربوي للمخاطبين أن يشغلوا هذا الوقت بالدعاء والتوجه إلى الله عز وجل، وهذا إذا تكلمنا عنه من الناحية التربوية يكون تربية على استغلال الأوقات الفاضلة، والقيام بالواجب والمندوب فيها، وعلى ذلك يجب تنشئة الناشئة وتربيتهم، قال ابن القيم: "العارف لزم وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبدًا... فوقت الإنسان عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عاش عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني

---

(١) نظام الإسلام العقيدة والعبادة ص ١٧٧.

الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته"[١].

"وعمر الإنسان المسلم في حياته عمران: العمر الحقيقي والعمر الإنتاجي، أما العمر الحقيقي فهو السنوات التي يعيشها الإنسان من ولادته حتى وفاته، إنه الكينونة المادية وما يحيط بها من ملابسات حدود الزمان والمكان، أما العمر الإنتاجي فهو مقدار ما حقق الإنسان من إنجازات وما كسب من حسنات، ويستطيع كل واحد منا أن يطيل عمريه الحقيقي والإنتاجي بفضل الله ثم بفضل عمله الصالح: ففي زيادة العمر الحقيقي ورد الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢].

وفي زيادة العمر الإنتاجي هناك مساحة كبيرة لهذه الزيادة، فهناك زيادة بالأخلاق الفاضلة مثل حسن الخلق والإحسان إلى الجار، وهناك زيادة بالأجور المضاعفة كالصلاة في الحرمين الشريفين، والمحافظة على الصلاة في المسجد وأداء النوافل، والمواظبة على صلاة الجمعة وآدابها، والعمرة في رمضان، وصيام أيام مخصوصة، وقيام ليلة القدر، والصدقة الجارية، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الناس الخير"[٣].



---

(١) الداء والدواء ص ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٠٦٧، ومسلم، ٢٥٥٧.

(٣) كيف تطيل عمرك الإنتاجي، محمد بن إبراهيم النعيم، نقلاً عن العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٢٢٩ - ٣٠٠ بتصرف. وانظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٥٤ - ٦٢.

١٨٧- باب فضل الصلوات

قَالَ اللّٰه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

الحديث رقم (١٠٤٣)

١٠٤٣ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللّٰه ﷺ، يقول: ((أرَأيْتُمْ لَوْ أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرنِهِ شَيْءٌ؟)) قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: ((فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللّٰهُ بِهِنَّ الخَطَايَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

درنه: وسخه[٢].

الشرح الأدبي

أراد النبي ﷺ بهذا الحديث أن يوضح، ويقرر في الأذهان كيفية محو اللّٰه الخطايا بالصلوات الخمس فجاء باستفهام التقرير (هل يبقي من درنه شئ؟...) لقياس صورة معنوية هي صورة تطهير الصلوات الخمس لما يقع بينهن من الخطايا على صورة معهودة حسية، وهي صورة إنسان يغتسل في نهر خمس مرات ثم يلحق نتيجة الصلوات الخمس، وهي مغفرة الذنوب بنتيجة المغتسل خمس مرات إشارة إلى نقاء هذا المصلى من الخطايا كنقاء المغتسل. هذا ما أفاده التقرير بقياس صورة على صورة؛ لتوضيحها في الأذهان، وقد بدأ النبي ﷺ حديثه بهذا الاستفهام: (أر أيتم) الذي يتطلب جوابا، وهو

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧/٢٨٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٥/٢.

بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معاني متعددة كالعذوبة، والصفاء والرقة، وحسبك أن المخاطبين لا يرون النهر في بيئتهم كيف يرون النهر؟ إنه جنة أخرى بالنسبة لهم، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم) أي واحد منكم، ثم يصور هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ثم يطرق أسماعهم بالاستفهام مرة أخرى (هل يبقي من درنه شيء؟....) مقررا بذلك حقيقة قد رسخت في أذهانهم، والإجابة سابقة، والاستفهام يقررها، ثم ينقل الصورة مختلطة بمشاعره ليضعها بإزاء الصلوات التي يمحو الله بهن الخطايا؛ وبذلك تبدو صورة ذلك المصلى من خلال صورة المغتسل، وتبدو الصلوات وهي الطهارة البدنية قالباً، وهي الطهارة المعنوية قلباً من خلال صورة نهر صاف عذب قريب، وينتج من بين الصورتين صورة مؤمن نقي طاهر القلب، والقالب كنهره الذي اغتسل فيه صافياً نقياً)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلوات الخمس في تكفير الذنوب.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه

(لم يكن التمثيل والتشبيه مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرفق البلاغي

---

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

فحسب، بل إن له غايات نفسية تربوية نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء. ومن أهم هذه الأهداف التربوية: تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[١]، (وقد كان النبي ﷺ وهو الأسوة والقدوة يستعين بضرب المثل والتشبيه مما يشهده الناس بأم أعينهم، مما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من تشبيه ﷺ للصلوات الخمس في محو الخطايا بالنهر الجاري في إزالة الدرن عند الاغتسال منه خمس مرات في اليوم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلوات الخمس في تكفير الذنوب:

هذا ما يظهر جلياً من نص الحديث في قوله ﷺ: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"، قال ابن حجر رحمه الله في بيان ذلك: (قال ابن العربي: "وجه التمثيل في الحديث أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته)[٣]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((الصَّلاَةُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا. مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ))[٤]. قال القاضي: (قد يكون مراده الصلاة بشروطها من الطهارة وغيرها)[٥]، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، قال فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[٦]،

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٩٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢/١٥- ١٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٥.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٤.

قال: فقال الرجل: إلى هذه؟ يا رسول الله! قال: "لمن عمل بها من أمتي"[١]، قال النووي: في قوله تعالى: "وزلفاً من الليل" هي: ساعته، ويدخل في صلاة طرفي النهار: الصبح والظهر والعصر، وفي زلفاً من الليل: المغرب والعشاء، وقال ﷺ: (إن في الحديث تصريح بأن الحسنات تكفر السيئات، واختلفوا في المراد بالحسنات هنا فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين على أنها الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة)[٢]، وفي ذلك بيان على عظم فضل الصلوات الخمس في محو الذنوب والخطايا وضرورة المحافظة عليها.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب

(الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه والاستجابة له بعد أن اشتاقت نفس المدعو إلى ذلك)[٣]، فالمرء يحتاج دائماً إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب في القيام بذلك[٤]. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على الصلوات الخمس بقوله ﷺ: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا".

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦، ومسلم ٢٧٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١٦.

(٣) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١٢.

الحديث رقم (١٠٤٤)

١٠٤٤ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ)) رواه مسلم[1].

(الغَمْرُ) بفتح الغين المعجمة: الكثير[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

غمر: كثيرٌ ماؤُه، يغمر من دخله ويغطيه[3].

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بلفظ (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل: هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وهو بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معانى متعددة كالعذوبة، والصفاء، والرقة، وكلمة (غمر) التي تشير إلى الكثرة التي تغمر المغتسل فتطهر كل أجزاء جسده، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم)

---

(١) برقم (٢٨٤/٦٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧). تقدم برقم (٤٢٩).

(٢) بنصه في الترغيب (١/٣٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ م ر).

أي واحد منكم، ثم يصور الفعل المضارع (يغتسل) هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ؛مع اطراد مع الزمان أفاده لفظ الشمول (كل) المضاف ليوم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٤٢٩).

الحديث رقم (١٠٤٥)

١٠٤٥ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأتَى النبيَّ ﷺ فَأخْبَرَهُ فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذَا[1]؟ قَالَ: ((لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبين أثر الحسنة على السيئة، جاء في أسلوب خبري مؤكد بمؤكدين تنبيهاً على عظمة الخبر، ولفتاً للعناية به، وتنكير كلمة رجل لعدم إرادة تعيينه ستراً عليه، والتعبير بالإصابة يؤكد تحقق الفعل، وإتيان الرجل النبي ﷺ دليل على عزمه التوبة، والربط بالفاء في قوله (فأتى - فأخبره) يدل على سرعة توبته، والفعل الماضي الدال على التحقق يؤكد صدق توبته، ومضاء عزيمته لذلك جاءت الآية الكريمة فرجاً من عند الله له، وللمؤمنين من بعده، بأن الحسنة تمحو السيئة، وقول الرجل (ألى هذا؟) استفهام على حقيقته، وقدم الجار، والمجرور للاختصاص أي لى وحدي دون الناس، فكانت الإجابة من الرسول ﷺ (لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ) يسبقها التوكيد على الشمول، ويحدوها فضلا من الله على عباده.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند البخاري زيادة: (يا رسول الله).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣/٣٩)، وتقدم برقم (٤٣٤).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٤٣٤).

الحديث رقم (١٠٤٦)

١٠٤٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى فضل الصلوات في تكفير ذنوب العبد، وقوله (الصلوات الخمس) (ال) في الصلوات للعهد أي الصلوات المعهودة المفروضة، ووصفها بالخمس ينص على ذلك وقد جعلها الله تعالى محطات تنقية من الذنوب على مدار اليوم في الصلوات الخمس، وعلى مدار الأسبوع في صلاة الجمعة، وقوله (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) فيه إيجاز بالحذف، وصلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة، وقوله: (كفارة لما بينهن) أي ستر للذنوب، وما بينهن إشارة لما بين الوقت، والوقت على مدار اليوم، والليلة تفصيلا يتتبع كل ذنب يقع فلا تتراكم على القلب فيقسوا بل كلما وقع في ذنب كفرته صلاة، فينام نقيا يبدأ يومه بصلاة، وينتهي بصلاة ثم إنها صفاء روحي بالوقوف بين يدي الله في موقف يصقل إيمان العبد بشحنة من الخشوع يستكمل بها يومه، ثم إن بقي شيء - ولن يبقى - كفرته الجمعة إجمالاً، وانتقل العبد من نور إلى نور، وقوله (ما لم تغش الكبائر) لأنها تحتاج إلى توبة يعتزم عندها كف شره عن الناس، لأن كثيرا من الكبائر تتعلق بحقوق الناس، وما يتعلق بالله فمما يمس العقيدة، وهذه النوعية من الذنوب تحتاج إلى وقفة بالتوبة تطهره من دنسها.

المضامين الدعوية[٢]

(١) برقم (٢٣٣/١٤). تقدم برقم (١٣٠)، وسيكرره المؤلف برقم (١١٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٣٠) مع اختلاف في اللفظ.

الحديث رقم (١٠٤٧)

١٠٤٧ - وعن عثمان بن عفان ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءها؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

ترجمة الراوي:

خشوعها: خشيتها وخضوعها لله تعالى[2].

كَفَّارَةً: ساترةً وماحيةً[3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يقرر فضل الصلوات الخمس، وأثرها على محو الخطايا وتطهير العبد وتلك رحمة عظيمة من رب العباد لعلمه بشدة العذاب المعد للعصاة فإن العبد إذا لقي الله، بذنوبه فعوقب عليها فإنه يذوق عذابا لم يذقه العالمين في الدنيا ولو بذنب واحد فإن عبدا من عباد الله غمس غمسة في النار فأقسم بالله لله أنه لم ير نعيما قط، وقد كان أنعم أهل الأرض كما ورد في الحديث[4] لذلك أراد الله رحمة بحبيبه المؤمن أن تكون توبته من قريب فكلما وقع ذنب طهرته صلاة فينام ساعة ينام طاهرا، ويقوم ساعة يقوم طاهرا فجعل له هذه الصلوات طُهرة سريعة وقد صاغ المعنى في أسلوب القصر الذي يؤكد المعنى، ويحصره حيث قصر حضور الصلاة على الصفة المذكورة

---

(١) برقم (٢٢٨/٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢/٥٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ش ع).

(٣) المرجع السابق في (ك ف ر).

(٤) ينظر صحيح مسلم حديث (٧٢٦٦).

على كونها كفارة للذنوب، وقوله (مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ) ما نافية ومن لاستغراق الجنس ولفظ (مسلم) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وبذلك يدخل الجميع تحت الحكم، والتعبير بالكتابة يفيد توكيد الوجوب، ويعين المقصود بالمفروضة، والتعبير بالفعل (يحسن) يشير إلى إتقان أعمال الصلاة بمتابعة الرسول ﷺ فيها الظاهر، والإخلاص لله تعالى في الباطن، والكفارة الستر، والخفاء، وقوله (ما لم تؤت كبيرة) احتراس يخرج الكبيرة من الحكم؛ لأنها تحتاج إلى التوبة حتى تغفر، والتعبير بالإتيان يشير إلى التكلف، والمشقة، وهو يناسب الكبيرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الخشوع في الصلاة وبيان فضله.

ثالثًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها"، وقد حث النبي ﷺ على إحسان الوضوء فقال::لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة، إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها"[1]، قال النووي مبينًا قوله ﷺ: "فيحسن الوضوء: " أي: يأتي به تامًا بكمال صفته وآدابه، وفي الحديث الحث على الاعتناء بتعليم آداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ما ء طهور بالإجماع"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الخشوع في الصلاة وبيان فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها... إلخ".

(والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذل والسكون. قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[1]. أي سكنت، وذلت، وخضعت. ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[2])[3].

وقال الراغب الأصفهاني: (الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح)[4].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (الخشوع هيئة في النفس، يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع، وقال قتادة: الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة)[5].

قال ابن القيم: (والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه..، وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، وأجمع العارفون على أن الخشوع "محله القلب". وثمرته على الجوارح)[6].

(وقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ١٥٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/ ٧٠.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ١٥١.

من أهل الفلاح. ولو اعتد له بها ثوابًا لكان من المفلحين)[١].

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢].

وقد أكد ابن قدامة على أهمية الخشوع في كونه لب الصلاة وحياتها، فقال: (المعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة منها حضور القلب، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له، وسبب ذلك الهمة، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة، وانصراف الهمة يقوي ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة، فاعلم أن سببه ضعف الإيمان، فاجتهد في تقويته.

المعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام، فإنه أمر وراء حضور القلب، لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها.

والمواد إما ظاهرة وهي: ما يشغل السمع والبصر، وإما باطنة وهي أشد، كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا، فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد، ولم يغنه غض البصر، لأن ما وقع في القلب كاف في الاشتغال به، وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة. بقطع ما يشغل السمع والبصر، وهو القرب من القبلة، والنظر إلى موضع سجوده، والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة، وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه، فإن النبي ﷺ لما صلى في "انبجانية"[٣]، لها أعلام نزعها وقال: ((إنها ألهتني آنفًا عن صلاتي))[٤].

---

(١) المرجع السابق ١٦٠/٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٣) وهو كساء يُتّخذ من الصوف وله خمل ولا عَلَم له، وهى من أدْون الثياب الغليظة "وانبجانية" بكسر الباء ويروى بفتحها- يقال: كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة (النهاية في (أ ن ب ج ا ن) وقال محقق منهاج القاصدين، وهي مدينة في شرق حلب، وفتحت في النسب. وقيل إلى موضع اسمه انبجان وراء النهر ص ٢٣.

(٤) أخرجه أحمد ١٩٩/٦، رقم ٢٥٦٣٥، وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين ٤٢٦/٤٢.

وإن كان من المواد الباطنة، فطريق علاجه أن يرد النفس قهرًا إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة، بأن يقضي أشغاله، ويجتهد في تفريغ قلبه، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع، فإن لم تسكن الأفكار بذلك، فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه، فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق.

واعلم أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي، والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة، ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها، فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها، فقيل له، هذا شيء لا ينقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرعت أغصانها، انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار والذباب إلى الأقذار. فذهب العمر النفيس في دفع مالا يندفع، وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا. قيل لعامر بن عبد قيس: هل تحدثك نفسك في شيء من أمور الدنيا في الصلاة؟ فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب إليَّ من أن أجد هذا.

واعلم أن قطع حب الدنيا عن القلب أمر صعب، وزواله بالكلية عزيز، فليقع الاجتهاد في الممكن منه، والله الموفق المعين.

الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد في شيئين: معرفة جلال الله تعالى وعظمته. ومعرفة حقارة النفس وأنها مستبعدة، فيتولد من المعرفتين: الاستكانة والخشوع.

ومن ذلك الرجاء: فإنه زائد على الخوف، فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره.

والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب. وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر. وإذا ستر عورته، فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه وفضائح

سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم، والحياء، والخوف.

وإذا استقبل القبلة، فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

وإذا كبَّرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبك لسانك، إلا إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت. فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوًا، وتفهم معنى ما تتلو، واحضر التفهم بقلبك عند قولك: الحمد لله رب العالمين، واستحضر لطفه عند قولك: الرحمن الرحيم، وعظمته عند قولك: مالك يوم الدين، وكذلك في جميع ما تتلو.

وقد روينا عن زرارة بن أبي أوفى أنه قرأ في صلاته: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾[1]، فخر ميتًا، وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف.

واستشعر في ركوعك التواضع، وفي سجودك زيادة الذل، لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه، وتفهم معنى الأذكار بالذوق.

واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ وحصول الأنوار فيه التي بها تلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره وما يعلقها إلا العالمون.

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده)[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٨.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ٣٢- ٣٥.

ومن أجل ذلك رهب النبي ﷺ من عدم الخشوع ورغب في إتيانه، فقال في ترهيبه «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها»(١).

قال صاحب عون المعبود (وقوله ﷺ: "إن الرجل لينصرف": أي من صلاته: "وما كتب له إلا عُشر صلاته": أي عشر ثوابها لما أخلَّ في الأركان والشرائط والخشوع والخضوع وغير ذلك)(٢).

أما ترغيبه ﷺ في الحفاظ على الخشوع في الصلاة، فهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: «مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذٰلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»(٣).

قال النووي: (معناه: أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر...، وقال القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله، وقوله ﷺ: "وذلك الدهر كله" أي: ذلك مستمر في جميع الأزمان)(٤).

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل الخشوع في الصلاة في أنه سبب في دخول الجنة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الأبل. فَجَاءَتْ نَوْبَتِي. فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ. فَأَدْرَكْتُ رَسُولُ اللّهِ قائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ. فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ. ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِه وَوَجْهِهِ. ألاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود، ٧٩٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٧١٤).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي، ٣٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٥.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٣٤.

وقد ضرب لنا السلف الصالح رضي الله عنهم أروع الأمثلة في تجسيد الخشوع في الصلاة، وليس أدل على ذلك من أن: (ابن الزبير رضي الله عنه إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط، وصلى يومًا في "الحجر"[١]، فجاء: "حجر قدامة"[٢]، فذهب ببعض ثوبه فما انفتل.

وقال ميمون بن مهران رضي الله عنه : ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتًا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدمها، وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت،وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه، فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟)[٣].

وفي ذلك قال الشاعر:

ألاَ في الصلاة الخيرُ والفضل أجمعُ	لأن بهـا الآراب لله تخـضعُ
وأوّل فـرضٍ مـن شـريعة ديننـا	وآخـر مـا يبقـى إذا الـدِّين يُرفـع
فمـن قـام للتكبـير لاقتـه رحمـة	وكـان كعبـدٍ بـابَ مـولاه يَقْـرَعُ
وصـار لـربِّ العـرش حـين صـلاتِه	نَجيًّـا فيَـا طُوبـاه لـو كـان يخـشع[٤]

ثالثًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

هذا مما يستفاد من الحديث في إرشاده صلى الله عليه وسلم وحرصه على تحصيل النفع لأمته في تكفير الذنوب وذلك بإحسان الوضوء والخشوع في الصلاة، ((فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل دقيق وجليل من أمور الدين، وإذا كان هذا مطلب عامة المسلمين لا يسعهم إلا ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا

---

(١) اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ر).

(٢) قال محقق مختصر منهاج القاصدين، وهي المنجنيق.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ٣١.

(٤) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ٨/١٥، ٩.

أن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] ، فهو في حق الدعاة ألزم وأوجب،ذلك أن الدعاة إنما يدعون إلى هدى النبي ﷺ ومنهجه، وطريقته وهديه هو سبيل النجاة من كل شر ، والفوز بكل خير وبر))[2].

وقد حث النبي ﷺ على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، فقال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[3]، فعلى الداعية أن يحرص على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم لما في ذلك من عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين، ٥٨- ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: المهارة في افتتاح الظروف المناسبة للتعليم:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»، فقد جذب النبي ﷺ انتباه أصحابه رضي الله عنهم عن طريق هذا السؤال، ومن ثم يكونون واعين لما يعلمهم رسول الله ﷺ إياه، وفي هذا توجيه للقائمين على التربية لأهمية تخير الوقت وافتتاح الظروف المناسبة للتحدث عن موضوع ما، بأن يلفت انتباه الطلاب إلى أمور معينة لإثارة اهتمامهم وشوقهم إليها، فيسألون فيجاب على أسئلتهم، وإذا لم تصدر عن الطلبة أسئلة يمكن أن يستغلها المربي ليفتح نافذة يوسع بواسطتها مداركهم ومعارفهم، فللمربي أن يطرح عليهم بعض الأسئلة التي توقظ هممهم وتدعوهم للتفكير وتقليب النظر، كما له أن يطرح عليهم أسئلة لاختبار قدرتهم على الفهم والتحليل في نطاق ما هو مفيد، حتى إذا عجزوا عن الجواب تولى هو إفادتهم. وأسوتنا في هذا سيد البشر ﷺ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «أَن يُعْبَدَ اللّهُ وَلاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»[(١)]. قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ؟» فَقَالَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمْ. قَالَ «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ». فالرسول ﷺ قام بإثارة معاذ للتعلم بطرح سؤال فيما يريد أن يلقى إليه، والمتعلم إذا استفهم ولم يكن لهم علم بما يلقى إليه، يصغى إذ ذاك لما يقال ويأخذ بأهبته، فيكون أسرع في التعلم وأحدّ في الذهن"[(٢)].

ثانيًا: تربية الناشئة على الاعتراف بالأخطاء والسعي إلى التوبة منها:

وهذا مستمد من قول ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ رجُلاً أصابَ مِن امرأةٍ قُبلةً، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ»، ليجد مخرجًا إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى والتكفير عما بدر منه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ٧٣٧٣، ومسلم ٣٠.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس ص ٢٠١، ٢٠٢، ومراجعه ومصادره.

وعلى هذا يربي الناشئة ويعودون إذا وقع منهم الخطأ اعترفوا به وتابوا منه وأنابوا إلى ربهم ولم يستمروا عليه. يقول أبو الحسن الندوي: "الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون، تحوّل هذا الإيمان نفسًا لوّامة عنيفة، ووخزًا لازعًا للضمير، وخيالاً مروعًا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون. ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا، تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة" [١].

وينبغي للمربي ألا يقنط المخطئ أو من اقترف ذنبًا من رحمة الله تعالى، بل يفتح أمامه أبواب التوبة ويرهبه ويرغبه حتى لا يجترأ على المعاصي أو يقنط من رحمة الله، فيجب على المربي أن يراوح في أساليبه التربوية.

ثالثًا: التربية على عدم الاقتراب من دائرة الكبائر:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ» وقوله ﷺ: «إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا من الذنوب. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ».

فقد بيّن ﷺ أن هذه العبادات تكفّر الصغائر من الذنوب، أما الكبائر فلا تكفرها وإنما تكفرها التوبة إلى الله [٢]، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [٣]، قال الطاهر بن عاشور:

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ١٣٠، ١٣١ نقلاً عن التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٦٣، ٦٤.

(٢) انظر: الداء والدواء، لابن القيم ص ٢٢٤، وجامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٤٤٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٣١.

"وقد دلت إضافة "كبائر" إلى "ما تنهون عنه" على أن المنهيات قسمان: كبائر ودونها، وهي التي تسمى الصغائر... ويترتب على إثبات الكبائر والصغائر أحكام تكليفية: منها المخاطبة بتجنب الكبيرة تجنبًا شديدًا، ومنها وجوب التوبة منها عند اقترافها، ومنها سلب العدالة عن مرتكب الكبائر، ومنها نقض حكم القاض المتلبس بها، ومنها جواز هجران المتجاهر بها، ومنها تغيير المنكر على المتلبس بها"[1]. وقد خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية بطبيعة مزدوجة، فهي في تجاذب بين قطبين: قطب إلهي نوراني يوجهها ويجذبها نحو الخير والصلاح والسمو والإيمان، وقطب شيطاني مظلم يوجهها ويجذبها ويسحبها نحو الشرّ والفساد والانحطاط والكفر، والإنسان العاقل العارف بمصلحته هو الذي يدرك هذه الطبيعة ويعمل جاهدًا للاتجاه نحو القطب النوراني، والابتعاد عن القطب المظلم وما قرب إليه"[2].

رابعًا: تربية الناشئة على تحسين العمل وتجويده:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذٰلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». قال ابن رجب: "إن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مفيدة بتحسين العمل، كما ورد ذلك في الوضوء، والصلاة" [3].

"فالمؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل، بل يهمه أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله، ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في أي حال من أحواله... وشعور المؤمن في كل عمل من الأعمال لا في العبادة وحدها أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المؤمن دائمًا في أدائه لعمله: إني أرضي ربي،

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٦/٥، ٢٧.

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٣٥٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٤٧/١.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة... وهناك خُلُقَان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال"[1].

إن التربية الإسلامية تعمل على تنمية روح الجدّ والاجتهاد والإتقان للأعمال سواء كانت متعلقة بالعبادات أم بالأعمال الدنيوية التي يمارسها المسلم؛ لأن التربية الجادة تثمر ثمارًا طيبة في حياة الإنسان، وتؤدي إلى زرع الثقة بين الناس، وإن من أبرز أسباب فقدان الثقة بين الناس في عالمنا المعاصر، عدم الإخلاص في الأعمال وعدم إتقانها والغش والخداع إلى غير ذلك من الأنماط السلوكية التي ترفضها التربية الإسلامية.



(١) الإيمان والحياة ص ٢٥٦.

١٨٨- باب فضل صلاة الصبح والعصر

الحديث رقم (١٠٤٨)

١٠٤٨- عن أَبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(البَرْدَانِ): الصُّبْحُ والعَصْرُ[2].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث قصير بليغ يرغب في صلاة البردين وهما الصبح والعصر وسميا البردين، لأنهما يصليان في بردي النهار أي طرفيه حين يطيب الهواء وتذهب شدة الحر، وهما أول صلوات النهار، وهو الصبح، وآخر صلاة فيه، وهي العصر، ولهما خصيصة، وهي أنهما تحيطان حركة الإنسان الدائبة في وقت السعي بالنهار فتمحوان خطاياه ثم إنهما في وقت نوم يحتاج الإنسان لأدائهما إلى مزيد مجاهدة لنفسه، وشيطانه، وقد جعل الرسول ﷺ جزاء المحافظة عليهما الجنة والتعبير بالماضي يفيد تحقق الدخول، والتعبير بالجنة يوحي بكل محبوب للنفس حتى تخف النفس إلى هاتين الصلاتين، وإن كانت مأمورة بذلك في كل الصلوات إلا أن هاتين الصلاتين خصتا بالذكر، والتأكيد لفضلهما باجتماع ملائكة الليل، وملائكة النهار فيها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾[الإسراء: ٧٨]. كما أنهما من أكثر الصلوات التي تضيع على الناس بالنوم في وقتهما فاحتاجت إلى مزيد ترغيب في الحفاظ عليهما.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٢١٥/٦٣٥)، وتقدم برقم (١٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤١).

(٢) بنصه في الترغيب (٣٦٤/١).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٣٢).

الحديث رقم (١٠٤٩)

١٠٤٩- وعن أَبي زهير عُمارة بن رُؤَيْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((لَنْ يَلِجَ النَّارَ أحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)) يعني: الفَجْرَ والعَصْرَ. رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

عُمارة بن رُؤَيْبَة الثقفي: هو عمارة بن رُؤَيبة الثقفي من بني جُشَم بن ثقيف، كنيته: أبو زهير.

روى عنه ابنه أبوبكر بن عُمارة وأبو إسحاق السبيعي وعبدالملك بن عُمير، وحُصين ابن عبدالرحمن.

وكان يدافع عن السنة، فإذا رأى ما يخالفها، أعلن الناس أن سنة رسول الله ﷺ كذا، فقد رأى بشر بن مروان يخطب الجمعة فلما دعا رفع يديه، فقال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة وما يقول [أي يشير] إلا هكذا وأشار بإصبعه السبابة[(٢)].

وليس له في صحيح مسلم إلا حديثان: الحديث السابق وهذا الحديث المذكور في الرياض.

نزل العراق فسكن الكوفة[(٣)].

غريب الألفاظ:

يلج: يدخل[(٤)].

---

(١) برقم (٢١٣/٦٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٤).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٢٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٤٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٥/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠٩/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ج).

الشرح الأدبي

هذا الحديث مؤكد لمضمون سابقه، وهو فضل المحافظة علي صلاتي العصر، والصبح مع بعض الاختلاف في الأسلوب من أن الحديث السابق رغب في الصلاتين بالوعد بالجنة، ويشمل ضمنا الوعد بالنجاة من النار، وفي هذا الحديث يرغب فيهما عن طريق الوعد بالنجاة من النار، ويتضمن البشارة بالجنة لأن من نجا من النار دخل الجنة فمعنى الحديثين مؤكد لبعضهما، والتعبير عن هاتين الصلاتين في هذا الحديث بقوله (قبل طلوع الشمس) كناية عن صلاة الفجر، وقوله (وقبل غروبها) كناية عن صلاة العصر، وعبر في الحديث عنهما بقوله (البردين) كناية عن طرفي النهار، والتعبير بالولوج المنفي للنار يدخل على النفس من أحد جانبي التأثير فيها، وهو جانب الترهيب المحجوب بالمحافظة على هاتين الصلاتين، كما دخل عليها بجانب الترغيب في الجنة بأداء الصلاتين، والمحافظة عليهما في الحديث السابق، وحاصل الحديثين أن من صلى هاتين الصلاتين دخل الجنة، ونجا من النار، وهو الفوز الأعظم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الحفاظ على الصلوات خاصة صلاتي الفجر والعصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر:

جاء في الحديث بيان فضل صلاتي الفجر والعصر وعظم منزلتهما وأنهما منجاة للإنسان من عذاب الله تعالى، فقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» أي لن يدخل النار أحد صلى الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. قال السندي: (لا يحسن حملها على نفي التأبيد أي لا يدخل على الدوام، لأن نفي الدوام يكفي فيه الإيمان فلابد من حملها على نفي أصل الدخول، وحينئذ فالأقرب أن يراد بقوله: صلى قبل طلوع الشمس ... إلخ" أي داوم على الصلاة قبل طلوع الشمس فلعل المداوم عليهما

لا يدخل النار أصلاً، إذ لم يعلم أن أحدًا من المداومين يدخل النار كما لا يخفى)[١].

وفي ذلك انتفاء دخول النار وجاء في حديث آخر "من صلى البردين دخل الجنة"[٢]، وفي ذلك إثبات دخول الجنة، فيكون في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر إبعاد عن النار ودخول للجنة، فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٣]، [٤]، أي من جُنِّب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز[٥]، وإنما خص صلاتي الفجر والعصر لأن صلاة الصبح تكون عند النوم ولذته، ووقت العصر عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار وتجارته، ففي صلاة هاتين الصلاتين مع ذلك دليل على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانها ببقية الصلوات الخمس، وأنها إذا حافظت عليهما كانت أشد محافظة على غيرهما[٦].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر بالنجاة من النار فقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، في المدعو على الاستجابة للحق والثبات عليه وهناك شواهد كثيرة لاستخدام النبي ﷺ لأسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم

---

(١) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٢٦٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤، ومسلم ٢١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٩٠/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٨/٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٣٩.

القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف[(١)]، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على الصلاة ببيان ثواب ذلك، وحذر من التفريط فيها ببيان عقابه[(٢)].

إن أسلوب الترغيب من أبرز الأساليب استخدامًا وشيوعًا في عرض الدعوة، والترغيب يكون بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره المجتنبين لنهيه والممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين وفي الآخرة بالرضا والقرب منه سبحانه وتعالى، ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وتتجلى أهمية الترغيب في موافقته وملائمته لطبيعة الإنسان، إذ أن الإنسان لما كان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقربه عينه وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخيفه[(٣)].

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[(٤)].

ينقل الحافظ ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال أما أبعد فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا

---

(١) أخرجه أحمد ١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح١٤٢/١١.

(٢) ركائز الدعوة الإسلامية، د. فضل إلهي ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديملي، ٥٤٣/١.

وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[(١)] [(٢)].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الحفاظ على الصلوات خاصة صلاتي الفجر والعصر:

من الأمور الواجبة على المسلم المحافظة على الصلوات جميعها خاصة صلاتي الفجر والعصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[(٣)]، وقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[(٤)]، وكما جاء في الحديث: «لَنْ يَلْجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعني الفجر والعصر، فإن المدعو مطالب بأن يكف عن المعصية ويخرج من ذلها وإثمها ليستمتع بعز الطاعة وعظيم أجرها عند الله، ومطالب بأن يستمر على طاعته وأن يستزيد منها ومن فعل الخير[(٥)]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٦)].

إن للصلاة منزلة كبرى في الإسلام لا تعد لها أية عبادة أخرى فالصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا له.

جاء في القرآن: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[(٧)].

وهي أول عبادة فرضت على المسلمين، وقد فرضت في مكة قبل الهجرة بنحو سنة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٩٣/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٥، ١٦.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

ونصف سنة وفرضت وحدها في السماء ليلة الإسراء والمعراج بمخاطبة الرسول ﷺ بفرضية الصلاة.

ولقد جاء الحث على أداء الصلاة على ألسنة جميع الرسل والأنبياء لما لها من الأثر العظيم في تهذيب النفوس والقربى إلى الله، والصلاة لم تخل منها شريعة من الشرائع لأنها من مستلزمات الإيمان.

قال تعالى على لسان إبراهيم داعيًا ربه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[1]، وينوه الله بشأن إسماعيل عليه السلام فيقول: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[2].

وقال الله مخاطبًا لموسى عليه السلام ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3]. وتنادي الملائكة مريم فيما يقصه علينا القرآن: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4]. وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة الله فيقول كما جاء في القرآن: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[5]، ويأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل فتكون إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[6]، وقال الله مخاطبًا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٥) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

رسول الله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وفي هذه الآية يحث الله الرسول ﷺ وسائر المؤمنين أن يأمروا أهليهم بالصلاة ويداوموا عليها، كما أن في الآية إشعارًا بأن الصلاة سبب لإدرار الرزق[2].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٤ - ٢٧.

الحديث رقم (١٠٥٠)

١٠٥٠- وعن جُنْدُبِ بن سفيان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لاَ يَطْلُبَنَّكَ اللهُ[1] مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جُنْدُب بن عبدالله بن سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

الشرح الأدبي

البداية بالموصول، وصلته التي تدل على العموم من وسائل إعطاء المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان ليوافق التوجيه كل من كانت هذه حاله، وقوله (من صلى الصبح..) الفعل الماضي يؤكد التحقق، وذكر الصبح من بين الأوقات الخمسة ؛لأنه بداية النهار، وذكر الضمير للاختصاص، وذمة الله عهده، وأمانه، والتعبير ب (في) التي تفيد الظرفية للإشارة إلى تمكن، وإحاطة هذا العهد به من كل مكان كتمكن الظرف في المظروف، وقوله (فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ) أمر بمعنى اعتبر واتعظ، وتفكر (لا يَطْلُبَنَّك اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ) نهي مؤكد بنون التوكيد بمعنى التحذير، وهو نهي عام أخذ عمومه من النداء العام الشامل للجنس البشري بعده (يا ابن آدم)، ، وقد جاء لغرض التحذير، والتهديد، وكون لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه يزيد من الترهيب، والباء في قوله: (بشيء) للسببية أي بسبب شيء، وتنكير شيء للتقليل، أي مهما كان قليلاً، والحديث يتضمن تحذيرا من التعرض لمن صلى هذا الوقت، وحافظ عليه كما يتضمن الترغيب في المحافظة عليه؛ لأنه صار بهذا المعنى حافظا للإنسان فحفاظه عليه حفاظ على نفسه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ مسلم: (لا يطلبنكم الله)، والمثبت لفظ أحمد في المسند (١٨٨١٤).

(٢) برقم (٦٥٧/٢٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤٤)، وقد تقدم برقم (٢٣٢).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٢٣٢).

الحديث رقم (١٠٥١)

١٠٥١- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ (الصُّبْحِ)[١] وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ -وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادي؟ فَيقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتعاقبون: أي: تأتي طائفة عقب طائفة، ثم تعود الأولى عقب الثانية[٣].

يعرج: يصعدون إلى السماء[٤].

الشرح الأدبي

قوله ﷺ (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ) يصور الفعل المضارع حركة الملائكة الدائمة الدائبة التي تنبه الإنسان إلى أنه لا يخلو لحظة واحدة من رقابة الله تعالى، ومن مظاهر المراقبة تلك المخلوقات النورانية التي يخجل المؤمن من رؤيتهم له على المعصية، وقبل ذلك من رؤية الله له، فيحرص على أن يكون من الطائعين، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى استغراق التعاقب للزمن حتى لا تأتي عليه فترة مهما قلت دون رقابة، وحفظ، والفعل (وَيجْتَمِعُونَ) بصياغته في المضارع، ودلالته يصور الاحتشاد حتى تسلم طائفة عملها بحفظ الإنسان لطائفة تشعر الإنسان

(١) لفظ البخاري ومسلم: (الفجر) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢/٢١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٢/٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ج).

بأنه ذو قيمة عند الله تعالى والفعل (يعرج) يصور حركة الملائكة صعودا في السماء وقوله (- وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ) احتراس ينزه الله تعالى عن الجهل بحال خلقه، وقوله (كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادي؟) وهذه الاستفهامة الجليلة من الله تحمل مع الإخبار، والإشادة بفضل بني آدم، وتنبيه الملائكة لخطأ ظنهم وتذكيرهم بسابق قولهم تحمل مع ذلك: حبا عظيما أشاعته مباهاة الله ببني آدم الملائكة، ولخصته هذه الاستفهامة - دون أن تحده - تكريما أي تكريم لهذا الجمع الطاهر، وإجابتهم (تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) ختام بصلاح، وبداية بصلاح تضمن مغفرة ما بينهما، وهو ما يقرر فضل الصلاة، والحديث ينوه بفضل المصلين، ويشيد بهم.

فقه الحديث

المراد بالملائكة المتعاقبة: هل الملائكة هم الحفظة أم غيرهم حكي عن الجمهور أنهم الحفظة، والأظهر أنهم غير الحفظة. وأفضلية صلاة الصبح والعصر باجتماع الملائكة فيهما[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان لطف الله بعباده المؤمنين بتعاقب الملائكة فيهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من فقه الداعية: تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلاة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان لطف الله بعباده المؤمنين بتعاقب الملائكة فيهم:

جاء في الحديث تبيين وجهٍ من أوجه لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وذلك بتعاقب الملائكة فيهم في صلاتي الصبح والعصر، فقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون". قال القاضي عياض: (قوله: "يجتمعون في صلاة الفجر والعصر"

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٢٠٥/٢.

لطف من الله تعالى بعبادة المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماعهم عندهم وورودهم عليهم ومفارقهم لهم في أوقات عباداتهم ليكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة وثناؤهم عليهم أطيب ثناء، وتبين في هذا الحديث أن الاجتماع في وقتين واختصاصهم بالشهادة لهم بالصلاة التي وجدوهم عليها من دون سائر أعمال الإيمان دليل على فضل الصلاة على سائر الأعمال والقُرَب)[1].

قال ابن حجر: قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير، واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، أى قد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم[3]، وقال ابن علان: اجتماعهم فيهما من لطف الله تعالى بالمؤمنين وتكرمته لهم، إذ جعل اجتماع الملائكة عليهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على طاعتهم ربهم، فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير[4].

وقد ذكر العلماء بعض الفوائد والعطايا الإلهية من وراء اجتماع الملائكة في صلاتي الصبح والعصر، منها ما ذكره الإمام ابن حجر في قوله (ويستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات لأنه عنها وقع السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان من الملائكة، وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله.

ويترتب على ذلك حكمة الأمر بالمحافظة على صلاتي الصبح والعصر والاهتمام

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٩/٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٤/٢، ٤٥.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٤٠.

بهما، وفيه تشريف هذه الأمة على غيرها، ويستلزم تشريف نبيها على غيره، وفيه الإخبار بالغيوب، ويترتب عليه زيادة الإيمان، وفيه الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتى نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبا ونتقرب إلى الله بذلك، وفيه كلام الله تعالى مع ملائكته، وغير ذلك من الفوائد والله أعلم[١].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، لاجتماع الملائكة فيهما وشهادتهم بالخير للمصلين فقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر..."، وفي ذلك ترغيب في المحافظة على أداء الصلوات ولاسيما صلاتي الفجر والعصر، وبيان مدى فضل الله عز وجل على عباده المؤمنين باجتماع الملائكة في صلاة الفجر والعصر، "وهذا من خفي لطفه تبارك وتعالى وجميل ستره إذ أطلعهم بكرمه عليهم حال عباداتهم، ولم يطلعوا عليهم ولا جمعهم لهم في حال خلواتهم بلذاتهم، وانهماكهم في معاصيهم وشهواتهم، فسبحانه من حليم كريم جليل، إذ ستر القبيح وأظهر الجميل"[٢].

وأسلوب الترغيب من الأساليب المفيدة لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوآن بما يرغب الناس في قبول الدعوة،وذلك مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[٣].

ثالثًا- من فقه الداعية: تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلاة:

من فقه الداعية تحفيز المدعوين على فعل الخيرات والتي من أهمها المواظبة على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٥/٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ٢٦١/٢.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الصلاة فبها تزكو النفوس وتطهر القلوب، وذلك أساس النجاح وسبب الفوز والفلاح[1]. والصلاة هي التي تمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحية التي لابد منها لصلاح المجتمع[2]، وإن تحفيز المدعوين وحثهم على الخير والمواظبة على الصلاة له تأثير كبير وفعَّال، وذلك يلاحظ فيمن تربوا على يدي الرسول ﷺ ثم على يدي صحابته والتابعين ومن تلاهم.

لذا ينبغي على الداعية تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلوات وبيان فضلها وفوائدها، وقد جاءت آيات القرآن وتواترت أحاديث السنة في بيان فضل الصلاة وكثرة ثوابها.

فمن فضائلها أنها أعظم عبادة يحصل فيها الخضوع والذل لله وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه ولا يمكن تغذيته بمثل الصلاة أعظم غذاء وسقي لشجرة الإيمان، فالصلاة تثبت الإيمان وتنميه، وتنمي ما يثمره الإيمان من فعل الخير والرغبة فيه، وكذلك تنهي عن الشر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3]، فأخبر أن فيها الغذاء بذكر الله والشفاء بنهيها عن الفحشاء والمنكر، وأي شيء أعظم من هذا وأجل وأكمل؟

ومن فضائلها أنها أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[4]، أي على كل الأمور، أما عونها على المصالح الدينية فإن العبد إذا داوم على الصلاة وحافظ عليها قويت رغبته في فعل الخيرات وسهلت عليه الطاعات وبذل الإحسان بطمأنينة نفس واحتساب ورجاء للثواب، وتذهب أو تضعف

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٨.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٤٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

داعيته للمعاصي، وهذا أمر محسوس مشاهد، فإنك لا تجد محافظًا على الصلاة فروضها ونوافلها، إلا وجدت تأثير ذلك في بقية أعماله، ولهذا كانت الصلاة عنوانًا على الفلاح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، والمراد عمارتها بالصلاة والقربات.

وأما عونها على المصالح الدنيوية فإنها تهون المشاق وتسلي علن المصائب ويجازي الله صاحبها بتيسير أموره، ويبارك له في ماله وأعماله وجميع ما يتصل به ويباشره.

ومن فضائلها أن من أكملها وأتقنها فقد فاز وسعد، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضةٍ شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لِعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكَمَّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك»[2].

وللصلاة خمس فوائد كل واحدة خير من الدنيا وما عليها، تكميل الإسلام التي هي أكبر أركانه، وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفعة الدرجات، وزيادة القرب من رب السماوات، وزيادة الإيمان في القلب ونوره، وقد شرع الشارع الاجتماع لأحكامها، فإن العالم ينبه الجاهل، والجاهل يتعلم بالقول والفعل من العالم ويقتدي الناس بعضهم ببعض، وكذلك ما في الاجتماع من التواد والتواصل بين المسلمين وعدم التقاطع وما في ذلك من معرفة حال المصلين والمحافظين على الصلاة والمتهاونين، ومضاعفة الأجر بالاجتماع، وكثرة الخطا إلى المساجد وما يتبع ذلك من قراءة وذكر وعبادات تفعل في المساجد بأسباب الصلوات.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود، ٨٦٤، والترمذي، ٤١٣، وابن ماجه، ١٤٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٧٧٠، ٧٧١).

الحديث رقم (١٠٥٢)

١٠٥٢- وعن جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: ((فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ)).

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

لا تضامون: لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم[٣].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ وضوح رؤية الله يوم القيامة بوضوح رؤية القمر لا يمنع منهما مانع تشخيص لهذه الرؤية يقررها، ويؤكدها في الأذهان، وينفي عنها كل شك. وهذا التشخيص يرتبط بالدلالة الإيحائية للألفاظ، والعبارات، والتي تتصدرها أساليب التوكيد التي تمهد النفس لسماع الخبر العظيم، والفعل المضارع المتصل بالسين الدالة على المستقبل القريب (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ) وذكر لفظ الرب الذي يوحي بالرعاية، والتربية، والحفظ، وإضافته لكاف الخطاب، وميم الجمع الذي يشعر المخاطبين بالقرب، والمحبة، ويجمعهم تحت مظلة الربوبية لا يتخلف منهم أحد، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث الذي يفتح له الباب للتمسك بما يوجب له هذه الرؤية العظيمة عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣/٢١١) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقم (١٨٩٧).

(٢) أخرجها البخاري (٤٨٥١).

(٣) النهاية في (ض ي م).

طريق المحافظة على صلاتين غلب كثير من الناس النوم، والانشغال بأمور الحياة عنهما وقد كنى عنهما بذكر وقتهما (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) والذي جاء في صورة طباق يشير إلى أنهما يمثلان مفتتح النهار، وختامه بالعمل الصالح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

رابعًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على الفوز في الآخرة والمحافظة على الصلوات.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالسته صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث ما يدل على ذلك، فقال جرير بن عبدالله البجلي: "كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصًا شديدًا إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها، وقد يعسر على بعضهم الحضور فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام [1]، كما كان يفعل ذلك عمر رضي الله عنه، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهى من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا بعد يوم..." [2].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته والقرب منه، وكان أشد ما يفزعهم غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا [3]. وَفَزِعْنَا

---

(١) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٥٩، ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) أي يصاب بمكروه من عدو، إما بأسر، وإما بغيره، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٢.

فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ "وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ" فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ "وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ" قَالَ اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ...»[(١)].

وكانت هذه الصحبة لها أكبر الأثر في حياة الصحابة رضي الله عنهم وتبوئهم المنازل العليا والدرجات الرفيعة، ومن الأمثلة البارزة في ذلك أبو هريرة رضي الله عنه، أنعم الله عليه بأن صحب النبي ﷺ في سنوات ثرية بالتشريعات والأحكام فأقبل برغبة عظيمة على العلم، وتفرغ للصحبة النبوية فصار من النبلاء وصار من أبرز من رووا الأحاديث عن النبي ﷺ[(٢)].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من دلالة على "تيقن الداعي من دعوته وتمكنه منها مما يجعلها تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم"، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في الكثير من آياته وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[(٣)].

إن التوكيد له أكبر الأثر في تأكيد ما يلقى على المخاطب ووصوله إلى درجة اليقين وزوال ما قد يرد على خاطره من شك أو يأتي في ذهنه من تردد.

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) انظر: علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٢٨٩.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

وللمخاطب ثلاث حالات:

أ- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًا.

ب- أن يكون مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه ويسمى هذا الضرب طلبيًا.

ج- أن يكون منكرًا له وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفًا ويسمى هذا الضرب إنكاريًا"[(١)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

جاء التصريح في الحديث برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وذلك في قوله: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" وهذا الحديث فيه إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم، وهذا الحديث من النصوص التي تدل على أمرين: أولهما: علوه تعالى على خلقه لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم. ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقوله: "كما ترون القمر ليلة البدر" المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى، يعني أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهو كونه بدرًا ولا يحجبه سحاب، قال ابن تيمية عن أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم[(٢)].

وقد جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة،

---

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين ص ١٨٨.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد خليل هراس ص ٢١٥، ٢١٦.

منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾[(١)]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٢)].

وقد صح عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٣)].

ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى في حق الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(٤)]، فدل حجب هؤلاء على أن أوليائه يرونه، قال الإمام ابن أبي العز الدمشقي: وأما استدلال المعتزلة بقوله: ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾[(٥)]، وبقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[(٦)]، فالآيتان دليل عليهم.

أما الآية الأولى، فالاستدلال منها على ثبوت رؤية من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[(٧)].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٧) سورة هود، الآية: ٤٦.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، ولا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئى، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر، فظنه رجل طعامًا، فقال أطعمنيه، فالجواب الصحيح: إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[1]. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

ومع السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[2]. فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وأما دعواهم تأييد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام نفي الرؤية في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[3]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1] ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك، قال تعالى ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾[2]، فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذن: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3]، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾[4]، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

وبدونه، فالرب تعالى يُرَى ولا يُدْرك، كما يُعلم ولا يُحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية:. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

وليس تشبه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابرًا لعقله، أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة.

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها، ضعف رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[2]، قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليه ملكًا، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو ملك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا[3].

رابعًا- من آداب الداعية: حث المدعوين على الفوز في الآخرة والمحافظة على الصلوات:

إن ما جاء في الحديث من حث على التعلق بأسباب الفوز يوم القيامة والتمتع بالنظر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ١/٢١٣ - ٢٢٠.

إلى وجه الله الكريم وتحفيز على المحافظة على الصلوات خاصة صلاتي الصبح والعصر، أنموذج تطبيقي ومثل حى لما ينبغي أن يكون عليه الداعية متمثلاً بقول الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(1)، فإن مما ينبغي على الداعية الاضطلاع به حث الناس على فعل الخير والتواصي فيما بينهم بالحق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(2)، وغرس الالتزام بالإسلام من سلوك الناس، فإذا كان من المقرر أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإن الالتزام بالإسلام عقيدة وعبادة وفكرًا وسلوكًا وأدبًا وأخلاقًا هو من أهم ما يقوي الإيمان ويزيده(3).

إن المحافظة على الصلوات والإتيان بها في أوقاتها وحضور القلب واستشعار عظمة الله فيها أصل للفوز بكل خير في الدنيا والآخرة، وفيما يلي ذكر لبعض الفوائد والخيرات التي يجنيها المجتمع والأفراد من الصلاة في الأولى والآخرة: -

أ- إذا أحضر المصلي قلبه في صلاته، فإنه يخرج من صلاته وقد غفرت خطاياه.

ب- الصلاة راحة للنفس، فإذا أداها حق أدائها، وجد نشاطًا وراحة وروحًا.

ت- الدنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضيق، إذا دخل في الصلاة وجدها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا.

ث- كما أنها للجسم رياضة بدنية تقويه وتفيده، فإنها رياضة للروح تقويها وتنعشها.

ج- الصلاة صلة بين العبد وربه، وتذكر العبد بدوام مراقبته لله عز وجل فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

ح- من أسباب إشاعة النظافة بين المؤمنين.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية : 21.

(2) سورة الحج، الآية: 77.

(3) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص 36.

خ- توحيد اتجاه جميع المصلين إلى بيت الله الحرام إشعار بوجوب توحيد القلوب على أمر الله وطاعته وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد متعاونين متآزرين.

د- الصلاة الجامعة: كالجمعة والجماعات وغيرهما تجمع المصلين ليقفوا على أحوال بعضهم بعضًا وليتعلموا ويتعاونوا ويتآخوا في دين الله، ومن أجل هذا شرع بناء المساجد في الإسلام، وعد بناؤها من أكبر القربات عند الله تعالى.

ذ- تقوي خلق المراقبة والخشية لله عز وجل.

ر- الصلاة قوة خلقية هائلة وفيها إحياء للضمائر المؤمنة تأمرها بالخير وتنهاها عن الشر[1].

ز- تكرار الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات يكون تطهيرًا روحيًا للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه وزلات لسانه ومفترقات جوارحه[2].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، بالفوز بالنظر إلى وجهه الكريم، فقال ﷺ: "إنكم سترون ربكم ... فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا"، وأسلوب الترغيب من أجلّ الأساليب الدعوية شأنًا وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة للحق والثبات عليه[3]، كما يجعل الترغيب المستقبل أمام المدعو مضيئًا، فهو يأمل في دخول جنة الله تعالى والسعادة برؤيته والحصول على رضاه، وكذا صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويطمع في الخلود في هذا النعيم الأبدي[4].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٥٨٤/٦.

(٢) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٩٩هـ ص ٢٢١.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٦٧.

إن الترغيب له أهمية كبيرة في جنس الطاعات وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها، ويتناول الترغيب كذلك بقية أركان الإسلام الخمسة: كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وأركان الإيمان والإحسان. ومن ثم في بقية أنواع الطاعات الأخرى وأشكالها كبر الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإنفاق والإحسان إلى اليتيم والجار وذي الحاجة وغير ذلك[١].

(إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه)[٢].

ذكر ابن كثير عن عبدالله بن حكيم قال: (خطبنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٣])[٤].

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

(٢) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديلمي، ١/٥٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٩٣.

الحديث رقم (١٠٥٣)

١٠٥٣- وعن بُرَيْدَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

حبط: بطل[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير بليغ جاء في تركيب يبرق، ويرعد بالتهديد، والوعيد حيث حكم على من ترك صلاة العصر بحبوط عمله، وقد بدأ باسم الموصول المتضمن لمعنى الشرط الذي يقرر عدم تخلف النتيجة، وعبر بالفعل المضارع ترك الذي يدل بصيغته على التحقق، وبدلالته على الإهمال، وقد أكد الجواب بقد في قوله (فقد حبط عمله) ودخول الفاء فيه لأجل تضمن المبتدأ معنى الشرط و حبط بكسر الباء أي بطل، وهو من قولهم حبطت الدابة حبطا بالتحريك إذا أصابت مرعى طيبا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، وهو ما يوحي بأن هذا التارك أسرف في أمور دنياه بما تسبب في شدة ضرره في أخراه وصياغة الفعل (حبط) في الماضي يفيد التحقيق، وذكر العمل، وإضافته إلى الضمير العائد على التارك تخصيص يشعره بعظمة الخسران الذي يدل على عظم الذنب، ويرهب منه.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قد استدل بهذا الحديث من يقول بتكفير أهل المعاصي من الخوارج

---

(١) برقم (٥٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٦٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب ط)، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٠، فقد ذكر ابن حجر تفسيرات مختلفة لبيان المراد من حبط العمل.

وغيرهم، وقالوا: هو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[1] وقال ابن عبدالبر: مفهوم الآية أن من لم يكفر بالإيمان لم يحبط عمله فيتعارض مفهومها ومنطوق الحديث، فيتعين تأويل الحديث. لأن الجمع إذا أمكن كان أولى من الترجيح. وتمسك بظاهر الحديث أيضًا الحنابلة ومن قال بقولهم من أن تارك الصلاة يكفر، وجوابهم ما تقدم. وأيضًا فلو كان على ما ذهبوا إليه لما اختصت العصر بذلك، وأما الجمهور فتأولوا الحديث فافترقوا في تأويله فرقًا ... وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاة العصر.

رابعًا: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وترهيبهم مما يحبط أعمالهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر:

إن من فضل الصلاة أنه ببركتها والمداومة والحرص عليها تُكفر الذنوب، ولذا حذر النبي ﷺ من تركها وخاصة صلاة الصبح والعصر، فإن تركها يجر إلى الإهمال ويسوق إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وخاصة صلاة العصر[3] وقد جاء في صريح الحديث تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر، فقال ﷺ من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" وإحباط العمل في الحديث من العلماء مَنْ حمله على ظاهره وأما جمهور العلماء فتأولوه، فقيل إن إحباط العمل يحمل على ظاهره على من ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها أو معترفًا لكن مستخفًا مستهزئًا بمن أقامها، وقيل المراد من تركها

(١) سورة المائدة، آية: ٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٢/٢ - ٣٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٨.

متكاسلاً لكن خرج الوعيد مخرج الزجر الشديد، وقيل المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله، فكأن المراد بالعمل الصلاة خاصة أي لا يحصل على أجر من صلى العصر ولا يرتفع له عملها حينئذ، وقيل المراد بالحبط الإبطال أي يبطل انتفاعه بعمله في وقت ما ثم ينتفع به، قال ابن حجر: (وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد، قال ابن القيم وتخصيص العصر بالذكر لشرفها من بين الصلوات)[١].

إن إضاعة الصلاة -خاصة صلاة العصر- سبب للارتماء في أحضان الشهوات، فقد قال سبحانه في قوم أضاعوا الصلاة بعد أن كان آباؤهم متمسكين بهدى الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[٢].

تأمل وتمعن أيها القارئ في هذه الآية وانظر كيف جعل الله ترك الصلاة سببًا للفساد واتباع الشهوات التي تؤدي إلى الضلال. لأن الشهوات تؤدي بالمواهب العقلية وتضعف الجسد وتصرف الإنسان عن التفكير في المستقبل وأخذ العدة له. وما اجتاحت الشهوات أمة إلا أصيبت بعوارض الأنانية والجبن وكافة المساوئ التي تضر بسلامة المجتمع لهذا كان من دقائق التعبير القرآني بيان أن عاقبة الشهوات هو الضلال ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾.

ومن المؤلم أن هذا ينطبق على أكثرية فتيان هذا الجيل الجديد الذي لم يتربَّ تربية دينية صحيحة ولم يتبصر بحقائق الإسلام ولم يحافظ على الصلاة فانزلق في تيار هذه الحياة التي لوثها الاستعمار والصهيونية ودعاة السوء، فأصبحنا لا نرى هؤلاء الفتيان إلا في دور العرض السينمائي حيث تعرض أفضح مناظر الخلاعة والتهتك التي تطبع العقول والعادات على الميوعة والفساد وأصبحت مادة الثقافة التي يتزودون بها في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/ ٤٠، وكتاب الصلاة وحكم تاركها، الإمام ابن القيم، تحقيق تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٩.

أوقات فراغهم هي الصحف الفنية في ظاهرها والمأجورة لنشر الفساد في حقيقتها، والتي تعرض في صفحاتها صورًا فاضحة للإغراء الجنسي، وتذكر في سطورها فضائح الراقصات و"الارتستات" والماجنين وغيرهم مما يندى له الجبين خجلاً من سماعها، كل هذا يجري في مجتمعنا على مسمع من المسؤولين من سياسيين وتربويين، دون أن يتحرك أحد في سبيل القضاء على هذه الفتنة العمياء، ووضع الأسس الصالحة لصد هذا التيار الجارف المهلك الذي يجرف في خضمه زهرة هذا الجيل الجديد المعتمد عليه لبناء مستقبل أفضل.

فالصلاة عامل هام لحفظ الإنسان من الانزلاق في تيار الشهوات، وقد صدق الخليفة عمر بن الخطاب حين كتب إلى عمّاله موصيًا لهم بقوله: (إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع)[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء أسلوب الترهيب في الحديث واضحًا بينًا حيث رهب النبي ﷺ من ترك صلاة العصر بإحباط العمل، فقال ﷺ "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" والترهيب من الأساليب الدعوية الناجحة، لأنه (أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن)[2].

إن على الدعاة في العصر الحديث وهم يواصلون تبليغ الدعوة الاستفادة من أسلوب الترهيب، إذ أن الحاجة ملحة إليه، لأنهم إنما يتعاملون مع البشر والوضع البشري دائمًا معرض للهوى والغفلة معرض لظلم نفسه، وما دام الأمر كذلك فلا غرابة من مواجهتهم بين الحين والآخر بما ينغص عليهم هذا الهوى ويوقظهم من تلك الغفلة[3].

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، د. عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٣٤، ٣٥.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود ١/٢٣٢.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٤١٦.

لكن ينبغي على الداعية ألا يطلق العنان لأسلوب الترهيب في الدعوة، فيجب عليه أن يوازن بين الترغيب والترهيب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاة العصر:

جاء في مضمون الحديث بيان فضل المحافظة على صلاة العصر وأن في ذلك المحافظة على الأعمال وصونها من الإحباط، فقال ﷺ "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" ولفضلها أقسم الله تعالى بها ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[1] وخصها الله بالذكر من بين الصلوات فقال: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[2].

قال ابن كثير وقيل هي صلاة العصر، وقاله الترمذي والبغوي رحمهما الله وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال القاضي الماوردي وهو قول جمهور التابعين، وقال ابن عبدالبر هو قول أكثر أهل الأثر[3]. وجاء في الصحاح ما يؤيد ذلك فروي عن علي قال: ((لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ مَلأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الْوُسْطَىٰ. حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ))[4]، كما جاء في فضل صلاة العصر والمحافظة عليها إشهاد الملائكة عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((يَتعاقَبونَ فِيكمْ مَلائِكَةٌ بالليلِ ومَلاَئِكةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصر، ثمَّ يَعرُجُ الذينَ باتوا فِيكمْ، فيَسْأَلُهُمْ -وهوَ أعلمُ بهم-: كيفَ تَركتُمْ عِبادي؟ فيَقُولونَ: تَركْنَاهمْ وهم يُصَلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهم يُصَلُّون))[5]. قال ابن حجر: (وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، ويترتب عليه حكمة

---

(١) سورة العصر، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٦٤٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٣١، ومسلم ٦٢٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥٥٥.

الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبًا ونتقرب إلى الله بذلك)[١].

رابعًا- من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وترهيبهم مما يحبط أعمالهم:

في تحذير النبي ﷺ للأمة من ترك صلاة العصر، وبيانه أن ذلك من أسباب إحباط العمل "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" أنموذج حي ومثل تطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من خوف على المدعوين وترهيبهم وتحذيرهم من التهلكة ومواردها وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي بين الله أن من صفاته الخوف على الأمة وحرصه على مصلحتها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] أي يعز عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه، حريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[٣] وفي ذلك تنوية بصفاته ﷺ الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم ورغبتهم في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام[٤].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يقتفوا أثر رسول الله ﷺ في ترغيب المدعوين في عمل الطاعات والأعمال الصالحات وتحذيرهم من عمل المعاصي والمنكرات[٥]. وإذا كان الداعية على هذا المستوى فإنه يكون بمثابة صمام الأمان للمجتمع بأسره، وتكون حياته حياة للأمة وغيابه موت لها، ولله در أحمد بن غزال حين قال:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... حتى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وإن أبى عاد في أكنافها التلف[٦]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٥/٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٧٠/١٠/٥.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٧.

(٦) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٠، ١١.

المضامين التربوية لأحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على إتيان أفضل الأعمال:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقوله ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. ولاشك أن الصلاة من أفضل الأعمال، وعلى هذا يمكن أن يستأنس بهذين الحديثين على أن الناشئة ينبغي أن يربوا على إتيان أفضل الأعمال في أوقاتهم وأعمارهم، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم -فيه- الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور... وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس -أحد التابعين العباد الزهاد- أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له عامر: أمسك الشمس.

وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على رجلة أو في الأسواق، وكان ابن الجوزي يعيش في بغداد، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدار البدار قبل فوات الفوات، ونافسوا الزمان...، ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر، ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغلاء والرُّخص إلى غير ذلك، فعلمت أن الله تعالى لم يُطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفّقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]، نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٥.

أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه"[١].

ثانيًا: التربية بالمراقبة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ. وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ. وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعصْرِ. ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ. فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، فدل الحديث على أن الملائكة تراقب الإنسان وتلاحظ عمله وأفعاله، وهذا يستأنس به على تربية الناشئة على المراقبة وأن الله مطلع عليهم ورقيب عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله عز وجل عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان: معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله عز وجل للخلق كلهم. ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦٧، ٢١٥، ٢٩١، ٦٠٤، ونقلنا النص كما نقله عبدالفتاح أبو غدة في كتابه قيمة الزمن عند العلماء، ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الرعد، الآيات: ٨ - ١٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.

والنصرة والتسديد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1]، وقوله لهارون وموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]، فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى، والمعية الثانية تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره"[3].

ثالثًا: من مهارات المعلم: انتهاز الفرص للتعليم والتوجيه:

وهذا مستمد من حديث جرير عبدالله البجلي ﷺ، قال: كُنَّا عِنْدَ النبي ﷺ فنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ. لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ. فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فافعلوا» وفي رواية: فنظر إلى القمر ليلةَ أربعَ عشرةَ. فقد ربط النبي ﷺ بين رؤية القمر وبين رؤية الله عز وجل يوم القيامة في الوقوع والتحقق والتأكيد، وهذا يمكن أن يستأنس به على أن المعلم عليه أن ينتهز الفرصة، للتعليم والتوجيه، أو شرح أمر هام، أو توضيح فكرة غامضة أو القيام بغرس الفضائل وتكوين الاتجاهات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحسن مثال نسوقه في هذا المقام، ما قام به نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عندما سجن ودخل معه السجن فتيان وقصّ كل واحد منهما عليه الحلم الذي رآه، وطلب منه تفسيره، قام عليه السلام بانتهاز الفرصة للدعوة إلى دين الله قبل أن يفسر لهما حلميهما[4].

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس ص ٢٠٢.

مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[(١)].

رابعًا: تربية الناشئة على أن لكل وقت عمله:

وهذا مستمد من مجموع الأحاديث التي في الباب، وخاصة حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَن تَركَ صلاةَ العصرِ فقد حَبطَ عملُه». فإنه يستدل بهذه الأحاديث على أن العمل له وقت يفعل فيه فلا يفعل قبله وكذلك لايفعل بعده، ولذا "ينبغي للمؤمن أن يعرف ما يتطلبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح فيتحراه، ويجتهد في القيام به، حتى يقع موقعه من الموافقة للمقصود ومن القبول عند الله عز وجل، وقد جاء في وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه: اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار.

ليس المهم إذن أن يعمل الإنسان أي شيء في أي زمن، بل المهم أن يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة، لا يجوز التقدم عليها ولا التأخر عنها، ليعلمنا بذلك أن الشيء لا يقبل قبل أوانه، ولا بعد أوانه، قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[(٢)]، وقال في الصوم: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[(٣)].

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٦ - ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وفي الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[(١)].

وعمل القلب مثل اللسان يجب أن يكون في وقته وزمانه. يقول بعض العارفين: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة والبلية والطاعة والمعصية، ولله عليك في كل وقت منها سهم العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية.

فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه، أن هداه لها، ووفقه للقيام بها.

ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر، والرضا: رضا النفس عن الله، والصبر: ثبات القلب بين يدي الرب. وما قاله العارف يعبر عما نطق به القرآن والسنة"[(٢)].

وقال ابن الجوزي: "العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فإن بغته الموت رئى مستعدًا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا"[(٣)].



(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) الوقت في حياة المسلم ص ٢١ - ٢٢، وانظر إدارة الوقت ص ٨٣.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦١.

١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

الحديث رقم (١٠٥٤)

١٠٥٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الطباق بين الغدو، والرواح يشير إلى حركة المسلم الدائمة بين بيت الله تعالى، وبيت والذي يوحي بتعلق قلبه ببيوت الله كتعلق قلبه ببيته، أو أكثر كما أن التعبير بالغدو، والرواح يشير إلى صلاة أول النهار، وهي الفجر، وصلاة أول الليل، وهي المغرب، وإن كان دلالة الغدو والرواح على تواصل الحركة أدل، وأعم، وقوله (أعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ) التعبير بالإعداد في صيغة الماضي يشير إلى سابق التجهيز مع الحفاوة بمن أُعد له، ونسبة الإعداد لله تعطيه بعدا إيحائيا بعظمة ما أعد، لأن ما أعده الملك لا يتساوى بما أعده أحد أفراد الرعية فما بالك بما أعد ملك الملوك؟!، والنزل مكان النزول، والتعبير به يوحي باشتماله على كل ما يحتاج إليه النازل من الطعام، والراحة، ومختلف الملذات، وقوله (كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ) يشير إلى تواصل العطاء مع ارتباطه بعمل العبد مما يرغبه في استمراره، وعدم قطعه حتى لا تمل نفسه يوما من كثرة الغدو، والرواح إذا ما أيقن بأن لكل غدوة أو روحة عطاءً عظيماً.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٢٨٥/٦٦٩) واللفظ له، وتقدم برقم (١٢٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٢٣).

الحديث رقم (١٠٥٥)

١٠٥٥- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى[1] إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِي فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطُواتُهُ، إحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تحط: تزيل عنه[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالطهر عن الوضوء، من المجاز بالتعبير عن المسبب بسببه، وهو يفيد بيان الغرض من الوضوء كما أن التعبير بالطهر يتضمن الغسل لمن كان على جنابة، وفيه تلميح إلى الطهر الباطني بأن ينقي المؤمن المتوجه إلى الله قلبه بالتوبة من الذنوب، وعقله من شواغل الدنيا، والتعبير بالبيت يشير إلى السكن والمودة، وإضافته إلى الضمير تذكر كل واحد من المخاطبين ببيته حيث أهله، وخاصته، أما إضافته لله في قوله (بيوت الله) فهي إضافة تشريف ترتقي به ذرى شرف الأماكن في الأرض وتوحي بأن نازله مكرم لأنه نزيل بيت أكرم الأكرمين، وجمع البيوت تكثير لأماكن الخير، وتيسير على المرتاد، والجناس بين (بيت، وبيوت) يلح على معنى الطمأنينة والسكون من نوع خاص ببيوت الله، والجناس بين فريضة، وفرائض يشير - مع تأكيد المعنى- إلى ضرورة الحرص علي آداء ما افترض الله عليه كما يشير ضمنا إلى أن غير الفريضة

---

(١) لفظ مسلم: (مشى)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٣/ ٣٠٠، رقم ٢٦٩٤).

(٢) برقم (٢٨٦/ ٦٦٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ط ط).

من النوافل يمكن أن تُصلىً في البيت، وإضافة الفرائض لله تخصيص ينادي بمزيد عناية بها، ويرهب من التهاون فيها، والجناس بين (خطواته، خطيئة) يؤكد التلازم بين السعي، ومحو الخطايا، والطباق بين تحط، وترفع يصور تتابع الأجر بين حسنة تعطى، وسيئة تمحى ونسبة الحط، والرفع للخطوات من المجاز بنسبة الفعل لسببه توكيدا لثبات الحسنة، ومحو السيئة، وترغيبا في كثرة السير للمساجد.

فقه الحديث

قال القرطبي في المفهم: (وهذه الأحاديث تدل على أن البعد عن المسجد أفضل، فلو كان بجوار مسجد فهل له أن يجاوزه للأبعد؟ اختلف فيه: فروى عن أنس أنه كان يجاوز المحدث إلى القديم، وروى عن غيره أنه قال: الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرًا. وكره الحسن وغيره هذا. وقال: لا يدعْ مسجدًا قربه ويأتي غيره، وهو مذهبنا [أي مذهب المالكية] وفي المذهب عندنا في تخطي مسجده إلى مسجده الأعظم قولان)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء وإتيان الصلاة في المساجد.

ثانيًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يرفع درجاتهم ويحط خطاياهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء وإتيان الصلاة في المساجد:

إن المزور يكرم زائره، والمساجد بيوت الله تعالى فمن دخلها في أي وقت كان من ليل أو نهار أعطاه الله من فضله وأغدق له في العطاء لأنه سبحانه أكرم الأكرمين وأنه لا يضيع أجر المحسنين، ومن مظاهر ذلك ما بينته السنة النبوية من فضل الذهاب إلى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٢/٢. وقد نقله القرطبي المفسر بنصه في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢١/١٧ .

المساجد لحضور الجماعات وأن للذاهب ثواب الذهاب فضلاً عن ثواب الجماعة، حيث إن الخطوات تحط الذنوب والخطايا والصغائر وترفع درجات صاحبها ومكانته عند الله تعالى[١] كما جاء في صريح الحديث الدلالة على ما في التطهر وإتيان الصلاة في المسجد من فضل، فقال ﷺ من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، "كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" قال ابن علان في قوله "كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" أي تحط خطيئة من الصغائر المتعلقة بالله تعالى، والأخرى منهما ترفع درجة أي بعد تكفير الصغائر وتنزيهه منها، فالباقي من الخطوات ترفع بها الدرجات، وهذا لمن لا كبائر له، فمن عمل من الخطوات ما يزيد على صغائره المكفرة بها عددًا وله كبائر رجي أن يكفر عنه منها بقدر ما يغفر بها من الصغائر، فإن لم يكن ذا ذنب أصلاً، أو كان ذا صغائر، وزادت خطواته على المكفر بها رفع له بما زاد الدرجات[٢].

ثانيًا – من ميادين الدعوة: المسجد:

أشير في الحديث إلى المسجد في قوله ﷺ "ثم مضى إلى بيوت من بيوت الله" والمسجد هو أهم ميادين الدعوة، وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع من شأنه ودعا إلى عمارته في آيات كثيرة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٣].

وفي المساجد قيمة دعوية كبيرة، حيث يتم فيها تعميق المعرفة الدينية، ويتأثر سلوك الإنسان بالجماعة كما يؤثر فيها، وذلك أن الفرد المسلم يسلك داخل جماعته

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

الإسلامية سلوكًا اجتماعيًا ينسجم مع قيم هذه الجماعة ومُثلها العليا[١] ويتأكد هذا الكلام أكثر إذا علمنا أن المسجد مدرسة كاملة للتربية والتعليم، تعقد فيها حلقات العلم لتعليم الناس أمور دينهم وتبصيرهم بخير دنياهم[٢].

لقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ حين قدومه المدينة مهاجرًا من مكة المكرمة هو تأسيس مسجد قباء، أول مسجد أسس على التقوى، وفي هذا العمل النبوي العظيم حكمة عظيمة ومغزىً هام جدًا في التأكيد على أهمية المسجد واعتناء الإسلام به[٣]، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٤].

إن المساجد في الإسلام لا يوجد لها نظير في معابد الأمم والملل، النظافة والسكينة، وفي الجوّ الخاشع الروحاني الذي يسودها، وفي شعائر التوحيد التي تتجلى فيها: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٥] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٦] ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ﴾[٧] ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٨].

---

(١) انظر الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبدالحليم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ص ١٦٩.

(٢) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٢.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ٢١٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٦، ٣٧.

(٦) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وكانت هذه المساجد -ويجب أن تظل هكذا- مركز حياة المسلمين وتعلمهم ودراستهم، ومصدر الإصلاح والتوجيه، تعالج فيها قضايا المسلمين الاجتماعية والدينية، ويتلقون فيها أحكامًا في حياتهم ومهماتهم، فكان رسول الله ﷺ، إذا حدث حدثٌ أو نزل بالمسلمين أمر، وكانوا في حاجة إلى توجيه جديد، أو تعليم مزيد، أمر أن ينادي في الناس، "الصلاة جامعة" وظلت المساجد هكذا، فكانت القطب الذي كانت تدور حوله رحى الحياة، وتتفجر منها عيون العلم والهداية، وينبثق منها نور الإصلاح والإرشاد، وتنطلق منها موجة الكفار والجهاد، ولا تزال منها بقية يحسد عليها المسيحيون، والوثنيون، المسلمين في بلادهم، وينظرون إليها تارة بعين التلهف والحسرة، وطورًا بعين الإشفاق والوجل، ولابدّ لنشأة المسلمين الجديدة أن تعود هذه المساجد والجوامع إلى مركزها الأول، في حياة المسلمين وقيادتهم[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في التطهر وأداء الصلاة المفروضات في المساجد بتكفير الخطايا ورفع الدرجات، فقال ﷺ "من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" وأسلوب الترغيب من أرجى الأساليب الدعوة نفعًا وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[٢].

إن الإسلام يربي الناس على الرغبة والرهبة والخوف والرجاء، فكما أن هناك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس ويهز الأفئدة ويرهب القلوب فإن هناك من آيات الترغيب وأحاديث الرجاء ما يطمئن النفس ويسلي القلب، ويؤنس

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٢، ٥٣.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الخاطر ويبعث على الأمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[٢].

وفي الترغيب في إقام الصلاة وتعاهد التلاوة للقرآن الكريم يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٤].

إنه لمن الواجب على العالم والمربي والواعظ أن يجمعوا بين الأمرين، ويقرنوا بين الحسنيين فليس التخويف بمفرده سبيل للعلاج وأداة للتقويم وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا وألذ سماعًا وأطرب استمتاعًا[٥].

رابعًا - من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يرفع درجاتهم ويحط خطاياهم:

إن وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنهم من العلماء العالمين والهداة الراشدين والعظماء المجاهدين، فإنهم إنما بعثوا لهداية العالم[٦] وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ومن ذلك إرشادهم إلى ما فيه رفع الدرجات وحط الخطايا والسيئات

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٤، ٦٦٥.

(٦) هداية المرشدي، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

كما جاء في الحديث من دلالته ﷺ وإرشاده إلى التطهر وصلاة الفرائض في المساجد وقدكانت السمة العامة لرسول الله ﷺ الهداية إلى ما فيه الخير ورفع الدرجات ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ))[1]. قال القاضي عياض: (محو الخطايا كناية عن غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة)[2].

إن قيام الدعاة بتبليغ دعوتهم وبيان ما أعده الله من الثواب على طاعته لمن الأهمية بمكان، بل إن وجود الدعاة وفاعليتهم في المجتمع لمن المقاييس التي لا تنكر في معرفة مدى تقدم المجتمعات وازدهارها.

قال علي محفوظ: (والبرهان الحسي قائم على أن الأمة التي انتشر فيها الدعاة والوعاظ والخطباء تحيا بمقدار كثرتهم وتأثيرهم، وأن المعنى الذي يتناولونه في نصحهم وإرشادهم يكون أكثر انتشارًا وأشد رسوخًا في نفوس تلك الأمة، وأن الأمة إذا فرطت أو أفرطت في شيء يستعان دائمًا على اعتدالها بوعاظها وخطبائها؛ فالداعية الماهر والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة وقاطع الحجة وساطع البرهان وقوة البيان ومتانة علمه بتركيب وتأليف هذه الأدوية النافعة أن يصحح القلوب من أمراضها وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها وتعود إلى حد الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال)[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٢) شرح مسلم، النووي ص ٢٦٧.

(٣) هداية المرشدين ص ٧٤.

الحديث رقم (١٠٥٦)

١٠٥٦- وعن أُبيّ بن كعبٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأنصَارِ لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا[١] أبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ[٢] لا تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، فَقيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا لِتَرْكَبَهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ، إنّي أُرِيدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إذَا رَجَعْتُ إلى أهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لكَ ذَلِكَ كُلَّه)) رواه مُسلِم[٣].

ترجمة الراوي:

أبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث ثمرة من ثمرات الترغيب النبوي في المشي للمساجد في الأحاديث السابقة، وهو صورة تطبيقية للحرص عليه، وفيه حرص أصحاب النبي ﷺ على تنفيذ توجيهاته، وقولهم (لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَاراً لِتَرْكَبَهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ) لو شرطية فيها معنى التحضيض، وفي العبارة سجع جميل بختام الجملتين بكلمتي الظلماء، والرمضاء وهي شدة الظلمة، وشدة الحر، وقوله: (مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ) أسلوب نفي يقرر رضاه عن حاله مع بعد المسجد لأنه ينظر إلى عظمة الأجر، ويحرص عليه، وقوله (إنّي أُرِيدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ) في الكلام إيجاز بالحذف أي: أجر ممشاي، والتعبير بالكتابة تأكيد لثبات الأجر وبين قوله ممشاي، ورجوعي طباق يؤكد حركة التقي بين بيته، وبيت الله في كل وقت يراه الناس يتعب نفسه، ويراه هو

---

(١) قوله: (كان رجلٌ من الأنصار لا أعلم أحدًا) هذا لفظ المنذري في ترغيبه (٤٦٤)، ولفظ مسلم في (٦٦٣/٢٧٨) (كان رجلٌ لا أعلم رجلًا)، وبعده بحديث، بدون رقم بلفظ: (كان رجلٌ من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة).

(٢) لفظ مسلم: (كان) في الموضعين، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) برقم (٦٦٣/٢٧٨)، وتقدم برقم (١٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٢).

حسنات تجمع، وسيئات تمحى، والجناس بين رجوعي، ورجعت يشير إلى ذكاء الرجل، وفطنته في احتساب الذهاب، واحتساب الرجوع، وللنية دور كبير في تحقيق الأجر فقد يكون بين المصلي ومن بجواره في الصف ما بين السماء، والأرض من الأجر مع اتفاقهما في كل شيء إلا في القلب والنية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٧).

الحديث رقم (١٠٥٧)

١٠٥٧- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أنْ يَنْتَقِلُوا[١] قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبي صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُمْ[٢]: ((بَلَغَنِي أنَّكُم تُرِيدُونَ أنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟)) قالوا: نعم، يا رَسُول اللهِ، قَدْ أرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ[٣]: ((بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُم تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ))[٤].

فقالوا: مَا[٥] يَسُرُّنَا أنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا. رواه مسلم[٦].

وروى البخاري[٧] معناه من رواية أنس.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبني سلمة رضي الله عنهم (بَلَغَنِي أنَّكُم تُرِيدُونَ أنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟) استفهام تقرير أراد به التحقق، والتثبت ثم بنى عليها رده عليهم، وعبارة النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم) جاءت موافقة لنفسية المخاطبين الذي رأوا في

---

(١) عند مسلم زيادة: (إلى)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه (٢/٣٨٥، رقم ١٦٢٤)، ولا عند المنذري في ترغيبه (١/٢٨٥، رقم ٤٥٩).

(٢) عند مسلم زيادة: (إنه)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٣) عند مسلم زيادة: (يا) حرف النداء، وهي لا توجد عند الحميدي، والمنذري.

(٤) أخرجه مسلم (٦٦٥/٢٨٠).

(٥) عند مسلم زيادة: (كان)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٦) برقم (٦٦٥/٢٨١)، وتقدم برقم (١٣٦). أورده المنذري في ترغيبه برقم (٤٥٩).

تنبيه: فرّق الحميدي في جمعه بين الروايتين، فلما ساق اللفظ الأول، قال: زاد في رواية الجريري، عن أبي نضرة: (فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا). وجمعه المنذري بين الروايتين، فتبعه عليه المؤلف.

(٧) برقم (٦٥٦) ولفظه: (أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعروا، فقال: ألا تحتسبون آثاركم).

انتقالهم قرب المسجد قربا من الرسول ﷺ وحرصا على الصلوات فجاءت عبارة النبي ﷺ تحمل نداء التخصيص (يا بني سلمة) ثم جملة الإغراء (دياركم تكتب آثاركم) التي أوحت إلى نفوسهم بعظمة ما هم عليه، وثوابه، ثم تكرار العبارة الذي يؤكد المراد، ويرتقي بدرجة الإغراء إلى ذروتها مقابله لما يجيش في نفوسهم من رغبات الانتقال بجوار المسجد، وقد أدت العبارة وظيفتها على أكمل وجه، ووقعت على رغبة نفوسهم فطابت نفوسهم، وقرت عيونهم (فقالوا ما يسرنا إن كنا تحولنا)، وهكذا نجد أثر تركيب عبارة الرسول ﷺ انعكاسا صادقا، ودقيقا على المخاطبين مع تحقيقه لغرضه ورضاهم عنه.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (١٠٥٨)

١٠٥٨- وعن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: ((إنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أجْرًا في الصَّلاةِ أبْعَدُهُمْ إلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإمَامِ أعظَمُ أجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث يسعى إلى تحقيق بُعدٍ اجتماعي بتقارب المسلمين، واجتماعهم، وقد حرص على هذا المظهر من خلال الترغيب في المشي للمساجد، والحرص على الجماعة؛ لذلك بدأ بأفعل التفضيل (أعظم) مضافة للناس لترتقي بالنموذج المذكور فوق الجميع ثم التميز المنكَّر (أجرا) المفيد للتعظيم، وهو لفظ محبوب للنفس التي جبلت على حب الخير، وقوله (أبْعَدُهُمْ) يكشف سر التفضيل الأول؛ لأن عظمة الجزاء مرتبطة بعظمة العمل، وقوله (الصَّلاَةَ...يُصَلِّيَهَا) جناس يجذب السمع ويؤكد المعنى، ويكشف سر الانتظار، وقوله (مع الإمام) يبين سر الأفضلية، وهو شهود الجماعة، وإعادة أفعل التفضيل (أعظم) بيان لاستقلالية كل نموذج مع عمله المستوجب للفضل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم ثواب المشي من مكان بعيد إلى الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار صلاة الجماعة.

رابعًا: من آداب الداعية: بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ همم المدعوين لإدراكها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١)، ومسلم (٦٦٢/٢٧٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٣).

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة..." وأسلوب التوكيد من أبلغ الأساليب الدعوية لما فيه من الإيحاء إلى تيقن الداعي من دعوته وصحتها وذلك مما يجعلها تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد في كثير من آياته، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾[2].

والمقصود من التوكيد التوثيق والإحكام والتقوية، وجعل الشيء مقررًا ثابتًا في ذهن المخاطب، ولأهمية التوكيد جاءت الشريعة بجوازه في الأحكام لتقويتها وترجيحها على غيرها، حيث يرجح المؤكد على غيره من الأحكام غير المؤكدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾[3]،[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عظم ثواب المشي من مكان بعيد إلى الصلاة:

يتفاوت ثواب المصلين بحسب كثرة الخطى إلى المساجد والصلاة في جماعة وانتظار الصلاة بالذهاب قبيل الوقت أو قبله[5]، وقد جاء في صريح الحديث أن من أعظم الأعمال أجرًا، المشي إلى المساجد خاصة إذا كان من مكان بعيد، فقال ﷺ "إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى، فأبعدهم". فكلما كان البعد أكثر كانت الخطوات والمشقة أكثر فيكون ذلك أعظم للأجر[6]، واستنبط بعض

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٤٢/١٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٠.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٤.

العلماء من الحديث استحباب قصد المسجد البعيد ولو كان بجنبه مسجد قريب، وإنما يتم ذلك إذا لم يلزم من ذهابه إلى البعيد هجر القريب وإلا فإحياؤه بذكر الله أولى[١]، وقال الشيخ ابن عثيمين :"ومن فضل الله علينا معاشر المسلمين أننا نغدو إلى المساجد ونروح في كل يوم وليلة خمس مرات، فيكتب للإنسان نزل في الجنة يعني ضيافة في الجنة، وذلك من فضائل المشي إلى المساجد[٢].

ولقد أدرك سلفنا الصالح ثواب صلاة الجماعة في المساجد والمشي إليه، ومما يدل على إدراك سلف هذه الأمة عظيم ثواب صلاة الجماعة وحرصهم على نيله أن بعضهم كان يقارب خطاه عند ذهابه إلى المسجد كي يكثر خطاه فيكثر ثوابه، فقد روى الإمام البخاري عن ثابت أنه كان مع أنس رضي الله عنه بالزاوية فوق غرفة له فسمع الأذان فنزل ونزلت فقارب في الخطا، فقال: «كنت مع زيد بن ثابت فمشى بي هذه المشية وقال أتدري لم فعلت بك؟ فإن النبي صلى الله عليه وسلم مشى بي هذه المشية وقال أتدري لم مشيت بك؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ليكثر عدد خطانا في طلب الصلاة»[٣].

ونجد صحابيًا آخر يسلك مسلكًا آخر لتكثير ثواب مشيه إلى المسجد فلا يرغب في أن يكون منزله بجوار المسجد بل يسكن في مكان بعيد من المسجد، ويأتي إليه من هناك. فقد روى الإمام مسلم عن أبي كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فتوجعنا له، فقلت له: "يافلان! لو أنك اشتريت حمارًا يقيك من الرمضاء[٤] ويقيك من هوام الأرض". قال: "أم، والله! ماأحب أن بيتي مُطنَّب ببيت محمد صلى الله عليه وسلم"[٥].

---

(١) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ١٦٥/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١٢٩٤/٢.

(٣) الأدب المفرد، ٤٥٨، وضعفه الألباني (ضعيف الأدب المفرد ٦٩).

(٤) الرمضاء: هي شدة حر الأرض من وقع الشمس، انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٨٦/٢.

(٥) "ما أحب أن بيتي مطنب ببيت محمد صلى الله عليه وسلم" مطنب: بفتح النون، والمراد ما أحب أنه مشدود بالأطناب -وهي الحبال- إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم بل أحب أن يكون بعيدًا منه لتكثير ثوابي وخطاي إليه، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٦.

قال فحملت به حملا[١] حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته قال فدعاه فقال له مثل ذلك وذكر أنه يرجو في أثره الأجر[٢] فقال له النبي ﷺ: "إن لك ما احتسبت".

وفي رواية أخرى أنه قال: "ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد. إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي".

فقال رسول الله ﷺ: "قد جمع لك ذلك كله"[٣].

الله أكبر! ما أطيب نيته وأزكاها!.

ولم تكن عنده نية طيبة فحسب بل كان يتحمل العناء والمشقة لحضور صلاة الجماعة واستمر في ذلك حتى يقول عنه أبي رضي الله عنه: "فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ".

فما بال كثير منا يغيب عن صلاة الجماعة في المسجد وبيته بجوار المسجد ووسائل النقل -ولله الحمد- متوفرة[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل انتظار صلاة الجماعة:

جاء في صريح الحديث أيضًا فضل انتظار الصلاة مع الإمام جماعة، فقال ﷺ: "والذي ينتظر الصلاة جماعة، حتى يصليها أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام" وفي ذلك بيان أفضلية صلاة الجماعة مع الإمام على صلاة الفرد حتى وإن كانت في أول الوقت أو في جماعة، يستفاد منه أن الجماعات تتفاوت لحوز المنتظر لصلاة الجماعة لفضيلتين:

أولاهما: أن صلاة الجماعة ثوابها أضعاف صلاة الفرد، كما ثبت ذلك في الصحاح، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ

---

(١) "فحملت به حملًا" بكسر الحاء، معناه أنه عظم عليَّ وثقل واستعظمته لبشاعة لفظه وهمني ذلك، وليس المراد به الحمل على الظهر، انظر: المرجع السابق ص ٥١٦.

(٢) "في أثره الأجر" أي في ممشاه، المرجع السابق ص ٥١٦.

(٣) أخرجه مسلم ٦٦٣.

(٤) انظر: أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ٧٢، ٧٣.

صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[(١)].

ثانيهما: أن المنتظر للصلاة يأخذ ثواب الصلاة مدة انتظاره لها، وكما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ. لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ»[(٢)]، [(٣)]. وفي رواية: «وَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ»[(٤)]. قال شمس الحق آبادى في قوله: "ينتظر الصلاة" أى ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان"[(٥)].

إن من المعلوم أن المساجد إنما بنيت لعبادة الله تعالى، واللبث في المسجد لأي نوع من أنواع العبادة، كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم ونحو ذلك من عمارة المساجد بالعبادة، مرغب فيه شرعًا.

كما جاء في الأحاديث الآنفة الذكر، والشاهد فيها:

"لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه ...".

"الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه مالم يحدث ...".

ووجه الدلالة: أن المنتظر للصلاة، والذاكر لله تعالى بعدها في مصلاه لا يزال في ثواب الصلاة حتى ينصرف.

وهذه الأحاديث: تنص على فضل الجلوس بالمسجد قبل الصلاة لانتظارها، وبعد الصلاة للذكر ونحوه، وينبغي للمسلم أن يجلس في المسجد أوقات فراغه ليتعلم الخير ويتلو القرآن، ويحرص على الجلوس في المسجد بعد الفجر، حتى ترتفع الشمس قيدَ رمح، ثم يصلي ركعتين لثبوت ذلك بالسنة، ولما فيه من الفضل العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٥، ومسلم ٦٥٠

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٩، ومسلم ٦٤٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٦٢/٢، دليل الفالحين، ابن علان ص ١٢٤٥، شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٥/٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٠٧.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»[(١)].

أما من ليس له عمل ولا صناعة وقد ترك التكسب إما لكبره، وإما ليتفرغ للعبادة، فإن يكن غنيًا له مال يدر عليه وعلى مَنْ تحت يده، أو قام بعمله مَنْ يكفيه من بنيه أو خدمه، فإن لبث هذا في المسجد فيه خير عظيم له؛ لأنه يصون وقته ويحفظه بالعبادة.

وأما إن كان فقيرًا، أو كان المسلمون بحاجة إلى علمه في المدارس والمجتمعات أو بحاجة إلى إدارته لبعض المصالح، فلا يحل له أن يتقاعس عن نفع المسلمين وخدمتهم؛ لأنه إن أخلص النية لله تعالى فهو قد عمل عملاً يثاب عليه. وإن ترك ذلك العمل بلا عذر، فقد أساء لنفسه، وللناس[(٢)].

وأما إن كان يحتاج إلى قوت لا يجد من يؤمنه له، فليس له أن يسكن المسجد ويلبث فيه ليكون عالة على المؤمنين، يكتسب من صدقاتهم، اللهم إلا أن يكون عاجزًا عن التكسب، فله ذلك لأن الضرورة قد أجبرته على هذا.

رابعًا - من آداب الداعية: بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ همم المدعوين لإدراكها:

إنه ما من شك أن الأعمال وأجورها في الإسلام تتفاوت فمنها ما هو عظيم ومنها ما هو أعظم أجرًا ، ولذا كان من آداب الداعية أن يبين للناس درجات الأعمال وتفاوت الثواب عليها وشحذ هممهم إلى الازدياد والتطلع دائمًا ، إلى الأكمل ثوابًا والأعظم أجرًا ، فإن العبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة[(٣)] ، ولقد كان من هديه ﷺ تربية أصحابه على علو الهمة وطلب معالي

---

(١) أخرجه مسلم ٦٧٠، ٢٨٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٧٠، ١٧١، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٢١، ١٢٢.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥١٣.

الأمور، ومن الأدلة على ذلك قوله ﷺ: « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ »[1]. فكانت همة الصحابة في العبادة وطلب العلم والدعوة وغير ذلك أعلى همة وبهذه الهمة العالية سادوا الدنيا وحكموا العالم[2].

إن بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ الهمم لإدراكها وتشجيع المدعوين على عمل الخير وخير العمل كان سمة عامة في دعوة رسول الله ﷺ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها:

أ- روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ. وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمُ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[3].

ب- روى البخاري عن أبي هريرة أيضًا قال: قال النبي ﷺ: «أيُّما رجُلٍ أعتَقَ امرًا مُسلمًا استَنْقذَ اللَّهُ بكلِّ عُضو منهُ عضوًا منهُ منَ النار. قال سعيدُ بنُ مَرجانةَ: فانطلَقْتُ بهِ إلى عليِّ بنِ الحسينِ، فعمدَ عليُّ بنُ الحسينِ رضي الله عنهما إلى عبدٍ له قد أعطاهُ بهِ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ - أو ألفَ دينارٍ - فأعتقَهُ»[4].

ت- وروى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ أُمَّتي يُدْعَونَ يومَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ من آثارِ الوُضوءِ، فَمنِ اسْتطاعَ مِنكمْ أنْ يُطيلَ غُرَّتَهُ فليَفْعَلْ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٦.

ث- وروى أيضًا عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: « الساعي على الأرملةِ والمِسكين كالمجاهد في سبيلِ اللّه، أو كالذي يصوم النهارَ ويقومُ الليل»[1].

ج- روى البخاري عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: « إنَّ في الجنةِ لشجرةً يَسيرُ الراكبُ في ظلها مائةَ عامٍ لا يقطعُها»[2].

مما لاشك فيه أن من يطلع على هذه الأحاديث التي مر ذكرها، وهناك غيرها، تتحول حياته الدنيا إلى نعيم يرسم الابتسامة على الوجه، حتى ولو انعدمت كل أسباب الحياة المادية، للمؤمنين بها، لأنها حياة تستحق أن يعيشها حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً[3]، لأنه عرف أن الدنيا زائلة فانية، وأن الآخرة هي الباقية ومن ثم اتخذ دنياه مجرد معبر إلى هذه الآخرة فعاش فيها بروح المرتحل المتطلع إلى جنة الخلد[4].

وهكذا يكون ترغيب الناس في الأعمال العظيمة الثواب والكبيرة الأجر وشحذ هممهم وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير، والسلوك الحسن، وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء، حرصًا منه على نيل المرغب فيه وخشية من فواته، لاسيما وأنه لا مثيل له ولا تعدله لذة مهما بلغت[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٥٥٢.

(٣) اليوم الأخر والحياة المعاصرة، د. عبدالغني عبود ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق، ١٢٥ بتصرف.

(٥) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٢٢٣.

الحديث رقم (١٠٥٩)

١٠٥٩ - وعن بُريدَةَ ﵁، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((بَشِّرُوا المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

المشائين: جمع المشاء وهو: كثير المشي[2].

بالنور التام: النور الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط[3].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في صلاة العشاء، والصبح في جماعة جاء فيه أمر الرسول ﷺ (بشروا) أمر بالإخبار بما يسر وفيه تشويق لما يتلوه، وهو غير موجه لمأمور معين، وإنما يريد عموم الأمر، وذيوعه حتى كأن كل فرد من أفراد هذه الأمة مبشرا لهؤلاء المشائين إلى المساجد بالنور التام، وقوله (المشائين) مبالغة في كثرة المشي إلى الجماعات، والتعبير بالنور يوحي بحسن المصير مع الظهور، والوضوح، وفيه تكريم لهؤلاء، وتنويه برضا الله عليهم، وقبوله لهم، وإشادة، وتعريف بهذا النعيم الذي أعد لهم عند الله جزاءً من جنس العمل لما كان مشيهم إلى الصلوات يستلزم قطع المسافات في الظلمات وما يترتب عليه من تعرض لأنواع الإيذاء جعل لهم الله - عز وجل - نورا ووصفه بالتمام إشارة إلى إحاطة الضياء بهم، وهو علامة على الفلاح فمن تمامه أنه علامة

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ، أورده المنذري في ترغيبه (٤٧٢) وقال: رجال إسناده ثقات.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ٢٨٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٣١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٣١/١.

فرح، وسرور وضوح للغاية العظمى، وهي الجنة، وفي الحديث إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم ٨].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التبشير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المشي إلى المساجد في الظلم.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على صلاة العشاء والفجر مع الجماعة.

رابعًا: من ميادين الدعوة: المساجد.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التبشير:

جاء أسلوب التبشير صريحاً في الحديث في قوله ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ». ومسلك التبشير له نتائجه الباهرة التي لا تخفى على أحد، وقد أصله لنا أنبياء الله بوحى من الله على لسانهم ولسان الرسل أجمعين كما نطق بذلك القرآن[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾[2]، فبين الله في هذه الآية أن وظيفة الرسل التبليغ بالبشارة والنذارة لا التصدي للمجادلة، لأنها مجادلة لم يقصد منها الاسترشاد بل الغاية منها إبطال الباطل[3]، يقول د. عمر سليمان الأشقر: ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، إذ هما مفتاح النفس

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٧٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٣٥٢/١٥/٦.

البشرية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها ودفع الشر عنها فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير وتتطلع إلى نعيم الله المبشر به، نعيم يَسْتَعْذبُه القلب وتلذّه النفس ويهيم به الخيال[١].

إن التبشير من أبرز الأساليب الدعوية التي سنها رسول الله ﷺ، ومن دلائل ذلك قوله ﷺ "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٢].

والتبشير من أساليب التحفيز للإنسان، لاسيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته، فلابد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف، يرافقها التبشير، حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه البهجة، ولا تشعر بثقل التكاليف والواجبات عليها، وهي مازالت تنوء بحمل كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها، لأن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومنفرة من الإسلام وأهله، تؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها، بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء، ومسوغًا واضحًا للمتصيدين في الماء العكر لمحاربة الإسلام وأهله وإبعاد الناس عنه[٣].

ومن هنا نرى أن رسول الله ﷺ كان يعرض الإسلام عرضًا سهلاً وبسيطًا دون تعقيد أو تكلف، فحين سأله رجل فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «لاَ تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»[٤].

وكان يختار أيسر الأمور وأسهلها، كما أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسرَهما، ما لم يَكن إثمًا، فإن

---

(١) الرسل والرسالات ص ٤٨

(٢) أخرجه البخاري، ٢١٦.

(٣) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد، ص ١١.

(٤) أخرجه مسلم ١٦٥.

كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه»[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المشي إلى المساجد في الظلم:

إن للمشي إلى المساجد وحضور الجماعات، ولاسيما في ظلمات الليل وغيرها من الأشياء التي قد توجد صعوبة في الوصول إلى المساجد، فضلا لا يُضاهى وشرفًا لا يُدانى ومن ذلك أن الله يثيب من يتجشم المصاعب لحضور الجماعات في المساجد (بالنور التام من جميع الجهات تشريفًا وتكريمًا وإيناسًا وإعزازًا لمن داوم على ذلك في إخلاص وتصميم)[٢]، كما جاء في الحديث من بيانٍ لفضل المشي إلى المساجد في الظلم وتبشير أصحابها بالنور التام يوم القيامة، فقال ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فلا شك أن الذي يذهب إلى المسجد في الظلم فإن جزاءه من جنس العمل، يعني كما تجشم الظلم وأتى إلى المساجد فإنه يكتب له النور يوم القيامة[٣]. وقال الطيبي: وفي وصف النور بالتام، وتقييده بيوم القيامة. «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، تلميح إلى وجه المؤمنين يوم القيامة، وقولهم "ربنا أتمم لنا نورنا" في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٤]، وفيه أن من انتهز هذه الفرصة وهى المشى إلى المساجد في الظلم في الدنيا كان مع النبي ﷺ والذين آمنوا من الصديقين والشهداء والصالحين"[٥].

ثالثًا – من آداب المدعو: الحرص على صلاة العشاء والفجر مع الجماعة:

من الآداب التي ينبغي أن يحافظ عليها المدعو فضلاً عن الداعية، الحرص على أداء

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٥٦٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٤/٢.

(٤) سورة التحريم الآية: ٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٢٤٠.

صلاتي العشاء والفجر مع الجماعة، لما لذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي ترغب وتحث على أدائهما في المسجد مع ما قد يلاقيه المصلي من التعريض لمخاطر الطريق ومقاساة الظلام، فيقول ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وجعل ﷺ صلاتهما في جماعة تعادل ثواب قيام الليل، فقال ﷺ: ((مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة. وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ))[1]، وخصت صلاتا الصبح والعشاء بالذكر لثقلهما على النفوس غالبًا لأن وقت الأولى وقت طيب النوم ولذته، ولذا أمر المؤذن أن يقول في أذانه: "الصلاة خير من النوم" والعِشاء وقت العَشَاء مع غلبة الظلمة وقتها، فاختصا بالتحريض عليهما لذلك[2]، قال ﷺ: ((وَلَوْ يَعلمونَ مَا فِي العَتْمَةِ والصُّبحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))[3].

إن الحرص على أداء الصلوات جماعة في المسجد خاصة صلاتي العشاء والفجر - له حكم دقيقة ومصالح عظيمة للمسلمين، منها ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع والتعاون والتعارف ومنها:

أ- أن لاجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمات.

ب- التشجيع على العبادة والمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها وإتقانها والإكثار منها وإصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد أو من خلل للانفراد أو الجهل، وتعلم ما فات من أحكامها وآدابها وأذكارها وقراءتها والتأسي بالعلماء الفقهاء والعباد المخلصين.

ج- أن إخلاص بعض المخلصين وخشوعه يؤثر في الجماعة كلها ويوقظ النفوس

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٦

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

الخامدة ويحرك الهمم الفاترة، وقد يكون سببًا في قبول عبادة الجميع والغض عما فيها من ضعف أو خلل أو تقصير، وذلك شيء لا يخالف المعقول أو المنقول فأهل الإخلاص والخشوع قوم لا يشقى بهم جليسهم"[١].

رابعًا - من ميادين الدعوة: المساجد:

أشير إلى المساجد كميدان من ميادين الدعوة في الحديث في قوله ﷺ بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد"، وقد اتخذت المساجد في الإسلام مكانًا لتنطلق منه دعوة الحق حاملة الخير والسعادة والعزة الإنسانية، وذلك لما للمسجد من أهمية قصوى في حياة المسلمين ودور كبير في إبلاغ هذا الدين وبيانه للمسلمين، فتاريخ المسجد مرتبط ارتباطًا جذريًا بدين الإسلام ذلك أن رب العزة والجلال يقول في محكم تنزيله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٢]،[٣].

(وليست الغاية من المسجد عبادة الله فقط بل يهدف أيضًا إلى النهوض بمستوى المسلمين علميًا وخلقيًا بما يلقي فيه من دروس ومواعظ على لسان فقهاء المسلمين وعلمائهم الذين ساروا على هدي نبيهم.

وبعد عصر النبوة شيدت المساجد في أنحاء البلاد الإسلامية التي تم فتحها، فبنى عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر مسجده الذي سمي باسمه والذي أطلق عليه: المسجد الجامع، فكان أول جامعة علمية إسلامية كبرى في مصر تخرج فيه عدد كبير من العلماء، وكان القائمون بالتعليم فيه في أول عهدهم هم الصحابة والتابعون، ومن الذين قاموا بالتدريس فيه الإمام الشافعي الذي تخرج على يده كثير من العلماء.

وبنى الجامع الأزهر الذي تتلمذ في حلقاته كثير من علماء المسلمين قديمًا وحديثًا والذين كانوا دعاة للخير ومنبرًا للفضيلة.

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ١٩٢.

ومن المساجد المشهورة التي اتخذت في شتى العصور مدارس ومعاهد للدين والدنيا: الحرم المكي بمكة المكرمة، والحرم النبوي بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس، وجامع الزيتونة بتونس، ومسجد نبي أمية في دمشق، ومسجد المنصور ببغداد، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، بل إنه لم يخل قطر من مسجد اتخذ مكانًا للعلم والتفقه في الدين، وقد شهد بذلك الدكتور غوستاف لوبون، فقال:

(وكما أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للغرباء ومرجع للمرضى هي كذلك موئل للتعليم، وفي أصغر المساجد يعلم الأولاد، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التي لا تقل أحيانًا عن جامعات أوروبا أهمية)[1].

وقد كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون يجعلون من المسجد مؤتمرًا يجمعون فيه المسلمين ليشاوروهم في أمور دينهم وشؤون دنياهم، كما ينبغي أن يكون المسجد دائمًا مقرًا لمؤتمرات صغيرة لأهل الحي أو القرية أو البلد، يجتمعون فيه للعبادة ويتشاورن ويتباحثون فيما يعود عليهم من النفع.

والمساجد وسيلة للتقريب بين طبقات الأمة غنيها وفقيرها، رئيسها ومرؤوسيها، ففيها يجتمعون للصلاة جنبًا إلى جنب يقفون موقفًا واحدًا ويخرون جميعًا ساجدين لله فليس لرأس على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز، يدعون الله أن يرشدهم ويوصلهم إلى طريق الحق والسعادة، وأن يرعاهم برحمته ويشملهم برضوانه، يسمعون إمامهم وهو يقرأ القرآن الذي يحض على الإحسان فيكون في ذلك إيحاء قوي للأغنياء بأن يعطفوا على إخوانهم المؤمنين الفقراء فيحسنوا إليهم، وبذلك الإحسان تصفوا قلوب الفقراء من الغل والحسد والبغض للأغنياء فتأتلف بذلك طوائف المؤمنين تحت شعار الإيمان ويكون بذلك مدعاة إلى وحدة الأمة وقوتها[2].

---

(١) حضارة العرب، ترجمة الأستاذ محمد عادل زعيتر، ٢٠٤/١.

(٢) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٢١٨ - ٢٢٠.

الحديث رقم (١٠٦٠)

١٠٦٠- وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**)) قَالُوا: بَلَى يا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: ((**إسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**)) رواه مسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بأداة العرض (ألا) وهي للعرض بدليل قولهم في الجواب (بلى) وتكون للتنبيه إذا كان الغرض منها تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلته عنه، وقوله ﷺ (....ما يمحو الله به الخطايا) قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة) [2]، وأصل الرباط الحبس ومنه رباط الخيل حبسها واقتناؤها ورابط الجيش: أقام في الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة ورباط)، والإشارة في قوله (فذلكم الرباط) تدل على التفخيم وزيادة الميم زيادة في التنبيه إلى أن الإشارة إليهم هم، ثم وقوع اسم الإشارة مسندا إليه والمسند (الرباط) معرف باللام، ليفيد قصره عليهم، وكأنه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال معنى الرباط فيه، وألا يتوهم المبالغة في الإخبار عنه بهذا الخبر مع ما للجهاد المسلح من الفضل، فقطع بتكرار العبارة كل وهم وأكد المعنى تأكيدا لا شك فيه، ولعل سر هذا الفضل يرجع إلى أن هذه الأمور رباط دائم للإنسان في أجزاء

---

(١) برقم (٢٥١/٤١)، وتقدم برقم (١٣١)، و (١٠٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٤١/٢.

اليوم، والليلة، ورباط الجيوش في وقت معين، ورباط الصلاة لمحاربة عدو خفى هو الشيطان، وهوى النفس، ورباط الجيش لقتال عدو ظاهر ولا شك أن قتال العدو الظاهر أيسر، ورباط الجيوش فرض كفاية، ورباط الصلاة فرض عين، ومن هنا كانت عناية النبي ﷺ بأسلوبه التشويقي الذي هيأ القلوب لاستقبال الأمر بداية بالاستفهام عرضا، وتشويقا، ومرورا بعبارات التشويق (يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)، وانتهاء بتكرار جملة التفصيل (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) توكيدا لفظياً، ومعنويا يفيد - كما تقدم - نفى المبالغة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣١).

الحديث رقم (١٠٦١)

١٠٦١ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ[1] فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمَانِ، قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول ارتباط الإيمان باعتياد المساجد والترغيب فيه وقد جاء في أسلوب الشرط، وهو من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، واستخدام (إذا) كأداة للشرط يشير إلى تحقق وقوعه و (ال) في الرجل للجنس، والتعبير بالاعتياد يشير إلى تتابع مع دوام في الفعل، وجمع المساجد إشارة إلى حرصه على أداء الصلوات، والعبادات خاصة، وليس إلى مسجد معين يألفه، أو يألف أهله، وقوله (فاشهدوا) أمر إشادة وتكريم لهذا المرتاد المعتاد للمساجد، و (له) تخصيص، وتعلق الشهادة بالإيمان تشريف للعبد وتنويه بذكره يقرر فضل الصلاة في المسجد، والمحافظة عليها.

فقه الحديث

قال ابن العربي: (دلت الآية على أن الشهادة لعمّار المساجد بالإيمان والصلاة

---

(١) لفظ الترمذي: (المسجد) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه (١/٢٩٥، رقم ٤٨٧).

(٢) برقم (٣٠٩٣)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وصحَّحه ابن خزيمة (١٥٠٢)، وابن حبان (الإحسان ١٧٢١)، وقال الحاكم (١/٢١٣): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٧).

صحيحة لأن الله ربطها بها وأخبر عنها بملازمتها، والنفس تطمئنّ بها وتسكن إليها، وهذا في ظاهر الصلاح ليس في مقاطع الشهادات، فلها وجوه وللعارفين بها أحوال، وإنما يؤخذ كل أحد بمقدار حاله وعلى مقتضى صفته، فمنهم الذكي الفطن المحصّل لما يعلم اعتقادًا وإخبارًا، ومنهم المغفّل، فكل أحد ينزل على منزلته ويقدّر على صفته)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الشهادة بالإيمان للحريصين على صلاة الجماعة في المساجد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل عمارة المساجد.

رابعًا: من أهداف الدعوة: بيان أثر الإيمان بالله في السلوك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

إن الأساليب الدعوية لها أهميتها البالغة في الدعوة إلى الله نظرًا لأثرها البالغ في إقناع المدعوين واستجابتهم، وهى من مقومات نجاح الدعوة إلى الله، ومن هذه الأساليب: الشرط والذي جيء به صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، ولأهمية أسلوب الشرط وتعلق جواب الشرط أثر كبير في تحفيز الهمم للإقبال على الدعوة، وقد استخدمه القرآن كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3].

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٩٠٦/٢، ونقله بنصّه أبو عبدالله القرطبي المفسر في جامع أحكام القرآن ١٣٤/١٠ - ١٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الشهادة بالإيمان للحريصين على صلاة الجماعة في المساجد:

جاء في الحديث الأمر بالشهادة لعامري المساجد بالإيمان، فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" أي يخدمه ويعمره، وقيل المراد بالتردد إليه في إقامة الصلاة وجماعته، وهذا هو التعهد الحقيقي، فاشهدوا له بالإيمان أي بأنه مؤمن[1]، وذلك أن أداء المسلم للصلاة وحفاظه عليها خاصة في المسجد يجعله يحس برهبة المثول بين يدي الحضرة الإلهية خمس مرات في اليوم والليلة، لابد أن يرسخ الإيمان بالله في تفكيره وفي نظرته إلى العالم المادي، فيصبح إيمانه قوة فعالة في حياته، فترتدع نفسه عن الشهوات، وتعدل عما كانت عليه من الآثام والمنكرات، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]، [3]، لأن الإيمان بالله تعالى هو الذي يدفع المسلم إلى المحافظة على الصلاة في المساجد واعتيادها ومن ثمَّ قال النبي ﷺ "فاشهدوا له بالإيمان".

ولما كانت لصلاة الجماعة في المساجد تلك المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، أمر الله تعالى بها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4]، ولذلك داوم عليها الرسول ﷺ وأصحابه مداومة شديدة، حتى كأنها جزء من الصلاة، ولم يتركها ﷺ حتى في مرضه الذي مات فيه[5]، فروى عن عبيد بن عبدالله بن عتبة قال: «دخلتُ عَلَى عائشةَ فَقُلتُ: ألا تُحدِّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ؟

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٠٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٥٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٥) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٤.

قالت: بلى. ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتظِرونك. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فَفَعَلْنَا. فاغتسَلَ فذهبَ لِيَنوءَ فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال ﷺ «أَصَلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتَظِرونَكَ يارسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فقعَد فاغتسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنُوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم يَنتظرونك يا رسول اللهِ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخضَبِ. فقعدَ فاغتَسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أَصلَّى النّاسُ؟ فقلنا: لا، هم يَنتظرونكَ يارسولَ اللهِ - والناسُ عُكوفٌ في المسجدِ ينتظرونَ النبيَّ عليهِ السلامُ لصلاةِ العِشاءِ الآخرةِ - فأَرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُركَ أَنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ - وكان رجُلاً رَقيقًا - يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ. فصلَّى أَبو بكرٍ تلكَ الأيامَ. ثمَّ إِنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ من نفسهِ خِفَّةً، فخرَجَ بينَ رجُلينِ - أَحدُهما العبّاسُ - لصلاةِ الظُّهر، وأبو بكرٍ يُصلِّي بالناسِ. فلمَّا رآه أَبو بكرٍ ذهبَ لِيَتأخَّرَ، فأَومأَ إِليهِ النبيُّ ﷺ بأَنْ لا يَتأخَّرَ، قال: أَجلِساني إلى جَنبهِ، فأَجلَسَاهُ إلى جَنبِ أبي بكرٍ، قال: فجعلَ أبو بكرٍ يُصلِّي وهو يأتَمُّ بصلاةِ النبيِّ ﷺ والناسُ بصلاةِ أَبي بكرٍ والنبيُّ ﷺ قاعدٌ

قال عُبيدُ اللهِ: فدخلتُ على عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ فقلتُ له: أَلا أَعرِضُ عليكَ ما حدَّثتني عائشةُ عن مَرَضِ النبيِّ ﷺ؟ قال: هاتِ. فعرَضْتُ عليهِ حديثَها. فما أنكرَ منهُ شيئًا، غير أَنه قال: أَسمَّتْ لكَ الرجُلَ الذي كان مع العباسِ؟ قلت: لا. قال: هو عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنه»[1].

وكان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس التزامًا لصلاة الجماعة، روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إِلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ. أَوْ مَرِيضٌ. إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ. وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى. وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ».

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٨٧.

وفي رواية أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[1].

قال النووي: (قوله: "ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف" معنى يهادى أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما وهو مراده بقوله في الرواية الأولى:"إن كان المريض ليمشي بين رجلين". وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل عمارة المساجد:

جاء في الحديث الإرشاد والحث على تعاهد المساجد وعمارتها وأن ذلك دليل الإيمان وموجب للشهادة لصاحبه بالإيمان فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3]، ومن معاني اعتياد المساجد وتعاهدها تعهدها بالحفظ والعمارة والنظافة وتطييب رائحتها وغير ذلك، كما يدل عليه استشهاده ﷺ بالآية[4]: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، وكما

(١) أخرجه مسلم، ٦٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٦٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٠٥.

أشار إلى ذلك الطيبي ببيان أن التعهد هو التحفظ بالشيء وتجديد العهد به، كما جاء في رواية: "إذا رأيتم الرجل يتعاهد المساجد" وفي رواية يعتاد من الاعتياد وهو معاودته إلى المسجد كرة بعد أخرى لإقام الصلاة، وكلاهما حسن"[1]. وجاء في الآية ما يدل على أن عمارة المساجد واعتيادها سبب الفلاح فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2]، أى إن أولئك هم المفلحون، كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]، يقول: "إن ربك سيبعثك مقامًا محمودًا وهى الشفاعة، وكل "عسى" في القرآن فهى واجبة"[4].

إن عمارة المساجد في الإسلام من أعظم الأعمال في الإسلام، صحيح أن الإسلام اعتبر الأرض كلها مسجدًا، ولكن لابد للجمع والجماعات من مكان صالح لا سلطان لأحد عليه، ليكون جديرًا بحق بأن يسمى بيت الله وليستشعر المصلي في كل خطوة إليه وكل سجدة فيه أن سعيه موجه إلى غاية واحدة هي الله تبارك وتعالى.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بعمارة الأرض بالمساجد، إن الإسلام كلما دخل بلدًا كان المسجد فيها هو شعاره وعنوانه وكان ناديًا للجمع ومعهدًا للدرس ومعبرًا للذكر وإمام الصلاة فيه هو قائد المعركة، وقاضي الخصومة، وولي أمر المؤمنين ومرشدهم في هذا البلد، ولما كان للمسجد هذه المنزلة حث الشارع على عمارته وذلك يكون بشيئين:

أ - تعمير مادي: وذلك يكون بإقامته وإضاءته وتنظيفه وصيانته.

ب - تعمير روحي: وذلك يكون بإلفه وإدامة الذكر والصلاة، ومدارسة العلم فيه وغير ذلك من النوافل والقُرب[5].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/ ٢٤١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢١/٤.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ١٤٠، ١٤١.

رابعًا - من أهداف الدعوة: بيان الإيمان بالله وأثره في السلوك:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله بيان الصلة بين الإيمان والسلوك، والحديث مثال على ذلك حيث بين النبي ﷺ أن الإيمان دافع لصاحبه باعتياد المساجد وعمارتها، وأن ذلك العمل من أسباب تقوية الإيمان فكان ذلك سببًا في شهادة الناس وإقرارهم بإيمان صاحبه، فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، فالإيمان بالله هو عماد الحياة، ومصدر كل سعادة وهو يطلق النفس من قيودها المادية فتتعالى على شهواتها ولا تبالي بالمنافع والمضار، فيسعى الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعًا ضمن قوانين الحق العامة وسنة الخير الشاملة، فكل ما في الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات مستمد من إيمانه، والإيمان يحول بين المرء واقتراف المعاصي، كما أنه مصدر ينير لصاحبه ظلمات هذه الحياة وقد أخبر الله أهل الإيمان بأن يد المعونة والتأييد ممدودة لهم[(١)]، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[(٢)]، وقال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[(٣)].

إن الإيمان بالله تعالى وعبادته ينتظم جميع الأعمال الإنسانية فيتحقق بذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(٤)].

فالمسلم في وسعه أن يتعبد بكل نية ينعقد عليها عزمه، وكل كلمة أو حركة تهتز لها جوارحه، مادام يبغي بذلك وجه الله تعالى. فالرجل يمسي كالاً من عمل يده عابد، والمرأة تبيت ساهرة على رعاية طفلها عابدة، حتى الذي يعني بطعامه ويهتم بعلف دابته - إذا نوى إعداد بدنه للكفاح، ودابته للجهاد - ينال بما نوى أجرًا عظيمًا، ويكتب في عداد العابدين[(٥)].

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٥ - ١٧٧.

(٢) سورة التغابن، الآية : ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٧.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من ميادين التربية: المسجد:

وهذا مستمد من أحاديث الباب، التي ترغب في الذهاب إلى المسجد، قال الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي عن الوظيفة التربوية للمسجد: "كانت للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددًا منها، فقد كان منطلقًا للجيوش وحركات التحرير، تحرير الأمم والشعوب من العبودية للبشر والأوثان والطواغيت ليتشرفوا بعبوديتهم لله وحده، وكان المسجد مركزًا تربويًا يربى فيه الناس على الفضيلة وحبّ العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر، فكان أن انطلق تعليم القراءة والكتابة، أي البدء بمحو الأمية من مسجد رسول الله ﷺ وكان المسجد مصدر إشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل، وبقي الأمر على هذا ما بين مدّ وجزر، تطغى الأغراض الدنيوية حينًا على بعض المنظمين لرواد المساجد، ممن كانوا يسمون علماء، فتنقلب حلقاته إلى موارد للرزق، ومعاقل للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الشخصي"[1].

ثانيًا: التربية بالتحفيز:

للتربية بالتحفيز أثر كبير في النفوس، لأن هذه التربية تبعث على الإقدام والتنافس في الخيرات وتحصيل الثواب، وقد تجلى ذلك في قول النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ . أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً ...». وفي هذا الحديث تربية بالتحفيز على الحرص على الغدو والرواح إلى المسجد، لتحصيل هذا الفضل العظيم المترتب على ذلك.

وقوله ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَضَىٰ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ ...».

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٩، وانظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٣٦٠ - ٣٦٣.

ففي هذا الحديث ذِكْر أن من تطهر وذهب إلى المسجد، ليصلي الصلوات المفروضة يبتغي به وجه الله عز وجل، ولم يذهب لغرض من الأغراض الأخرى التي لم يبن المسجد لها، فلم يذهب لقضاء وقت من مسامرة أو حديث، وكذلك لم يذهب لنوم أو نحو ذلك، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة على أن يذهبوا إلى المسجد للأغراض التي جُعِلَ المسجد من أجلها، ولا يقتصر هذا على المسجد فحسب، بل يمتد أيضًا ليشمل كل مناحى الحياة ونواحيها، فإذا أدّى الناشئة أعمال الأماكن التي هم فيها، دلّ ذلك على حسن تربيتهم وفضل أخلاقهم ومزيد معرفتهم بالواجبات والمسؤوليات، مما ينعكس على حياة الفرد والمجتمع فيُحقق أمل النجاح والفلاح والفوز ونحو ذلك، وإلاّ وقع الخلل والانحراف عن الجادة.

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ ....». فهذا الحديث يتضمن تربية بتحفيز كل مسلم على السعي إلى المساجد والاستكثار من المشي إليه وانتظار الصلاة مع الإمام، مما يؤصل في النفس الإقبال على الطاعة والصبر عليها رغبة في الثواب العظيم، بدلاً من الانصراف واستثقال ذلك على النفس. ومن التربية بالتحفيز ما ورد في قوله ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وهذا مما يغرس في النفوس أهمية الحرص على هذا الفضل، تحصيلاً لما أعده الله تعالى للمشائين في الظلم إلى المساجد.

ثالثًا: تربية الناشئة على تحصيل أعظم الأجر وأفضله:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ». وقوله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ». وعندما قال الصحابي: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ. وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي». عندما قال ذلك قال النبي ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ».

وعلى هذا ينبغي أن يربى الناشئة، وذلك قد يندرج فيما يطلق عليه علماء التربية

وعلماء السلوك، السعي للتميز، يقول د. إبراهيم بن حمد القعيد: "أقصد بعادة السعي للتميز: العمل الدؤوب ومواصلة الاستمرار عليه لتحقيق التميز في الحياة، وهذا يعني مداومة التطوير الذاتي ورفع مستوى الإيمان والأخلاق والعلاقات وتسخيرها لتحقيق رسالتك في الحياة، ومن ثم فعادة السعي للتميز في حياتك تعني ثلاثة أمور رئيسة.

الأول: المداومة على رفع مستوى إيمانك.

الثاني: المداومة على رفع مستوى الاحتراف والتخصص والإنتاج والكفاءة والفعالية في عملك أو مهنتك.

الثالث: المداومة على رفع مستوى علاقتك الإيجابية مع الآخرين.

أما الإيمان فهو المعين الذي لا ينضب من العلاقة القوية والدائمة مع الله سبحانه وتعالى، وبقدر ما تقوي هذه العلاقة، ويرتفع مستوى الإيمان وتتدرج في مقاماته، تحقق رسالتك في الحياة بفاعلية، والإيمان - كما هو معروف - مؤشر حساس في حياتنا يرتفع حينًا بسبب زيادة العلم وإخلاص العبادة والاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى. وينخفض حينًا آخر بسبب الانشغال والكسل والغفلة والإهمال. وجوهر عادة السعي للتميز، هو أن تُبقى هذا المؤشر في حركة دائبة نحو الارتفاع وتبحث عن الوسائل والطرق التي تحافظ على هذه الحركة الدائبة من الأسفل إلى الأعلى..." [(١)].

رابعًا: تربية الناشئة على أن الأجر يتفاوت بتفاوت العمل:

هذا مستمد من قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ»، فقد بيّن ﷺ أن الأجر في الصلاة يختلف ويتفاوت باختلاف مسافة المشي من البيت إلى المسجد، فأعظم المصلين أجرًا من كان أبعد ممشى فأبعدهم.

كما بين ﷺ أن اختلاف الأجر في الصلاة باختلاف تحمل المصلّي وصبره، فمن

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٨٩ - ٩٠.

انتظر ليصلي مع الإمام أعظم أجرًا ممن لم يصبر ولم يبذل جهدًا لأن يصلي في جماعة، بل استجاب لرغبته في النوم فصلى بمفرده ثم نام.

والخلاصة أن الأجر يختلف باختلاف العمل ودرجته، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة، فلا يتساوى عندهم الأعمال أهمها مع مُهمها، وأفضلها مع فاضلها، وسيئها مع أسوئها، وقبيحها مع أقبحها، ونحو ذلك، بل يترسخ في أذهانهم وأفئدتهم أنه لا يتساوى المحسن مع المقتصد فضلاً عن أن يتساوى لديهم الطيب مع الخبيث.

وإذا رسخ ذلك في أفئدتهم دفعهم ذلك لأن يأتوا بأفضل الأعمال وأحسنها، ويتركوا أسوأ الأعمال إن هم عجزوا عن ترك سيئها، وهكذا يكون سلوكهم في جميع مناحي حياتهم ومراحلها، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

خامسًا: التربية بالصبر على الطاعة وملازمتها طمعًا في فضل الله تعالى:

لا شك أن النفس الإنسانية تحتاج إلى مجاهدة ومراقبة، وأحيانًا تمل نفس الإنسان من ملازمة الطاعة، خاصة إذا فترت همته، ووسوس إليه الشيطان، ولبّس عليه بأنه يعاني التعب والإجهاد وبحاجة إلى الراحة وغير ذلك من الأعذار التي يمكن للإنسان أن ينتحلها مبررًا للتقاعس عن العبادة، إلا أن النبي ﷺ أمر بالصبر والمصابرة بصفة عامة في كافة الأمور، وبصفة خاصة في أمور العبادة والطاعة، والتي من جملتها المشي إلى المساجد في الظلمات في قوله ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فالنبي ﷺ بشر من يمشي في الليل وقت الظلام من أجل أن يذهب إلى المسجد ليصلي العشاء والفجر، وصبره على ذلك وتحمل البرد والظلمة أحيانًا في بعض الأماكن، وكذلك وحشة الطريق إذا كان المسجد بعيدًا عن مكان الإنسان، بشره بالنور التام الكامل يوم القيامة، حيث يجد الثواب الجزيل الذي أعده الله لفعله هذا. وصبره على الطاعة وملازمته لها، فإذا كان مشى في الظلام من أجل الصلاة فإن الله

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ - ١٨.

كافأه بالنور يوم القيامة، وعلى مثل هذا ينبغي أن يربى الناشئة، فيتركون الدعة والراحة في الدنيا من أجل الراحة والنعيم في الآخرة.

يقول د. محمد أمين شحادة: "وصرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن، والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية، بل تحتاج إلى تطويع وترويض تلك النفس عليها، لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم وهو الجنة ونعيمها.

لاشك أن الجلوس والتراخي في البيت من مواطن الراحة لكن قد يأبى الداعي النشيط إلا الخروج للناس ومخالطتهم ودعوتهم وتحمل أذاهم أينما كانوا مستصغرًا في سبيل ذلك تعب جسده، ولاشك أن الاطمئنان على النفس والمال من أعظم مواطن الراحة الأساسية في حياة الإنسان حسب دراسات متخصصة في هذا المجال، لكن الكيِّس الطالب رضوان الله تعالى قد يتخطى ذلك الحاجز المادي الذي يشده للأرض، فيخاطر بنفسه وماله، بل قد يضحي بهما في سبيل أهداف وغايات ينشدها" [(١)].

سادسًا: من مهام المربي: بيان معايير الحكم على الناس:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإِيْمَانِ، قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [(٢)]» . فقد أخذ النبي الحكم من الآية الكريمة.

إن من أبرز المهام التربوية التي ينبغي أن يضطلع بها القائمون على التربية: بيان معايير الحكم على الناس خاصة في هذا الزمان الذي انبهمت فيه الرؤى الصحيحة على

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.

كثير من الناس، حتى أصبح الثراء المادي أو الوجاهة الاجتماعية، أو المناصب هي أساس الحكم على الناس، وغابت القيم الحقيقية التي ينبغي أن يربى عليها الإنسان صغيرًا أم كبيرًا، ومن جملة هذه القيم الشهادة بالفضل وبالإيمان لمن يلازم اعتياد المساجد، والتي من جملة عمارتها إعمارها بذكر الله وإقامة الصلاة، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وقوله ﷺ: كما في حديث الباب: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بالإِيْمَانِ».

حقًا، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]. "لقد وُجدت التربية الإسلامية من أجل العمل بها وتفعيلها في الواقع العملي في الحياة، وما ذلك إلا لأنها أحكام شرعية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، مع كونها قيمًا سلوكية تتفق مع قدرات الإنسان العقلية والوجدانية والجسدية"[2].

"وحياة الرسول ﷺ في سلمه وحربه، في حلّه وترحاله، في داره وبين رجاله، كلها تشهد بما شهدت به السيدة عائشة والمسلمون جميعًا من أنه كان خلقه القرآن، فأدعيته مستقاة من القرآن تارة باللفظ وتارة بالمعنى، أما أصحابه رضوان الله عليهم فقد أخذوا أنفسهم بتطبيق القرآن مع تعلمه حتى قال قائلهم: كنا على عهد رسول الله ﷺ لا نجاوز السورة من القرآن حتى نحفظها ونعمل بها فتعلمنا العلم والعمل جميعا"[3].



(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٤٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٤.

١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة

الحديث رقم (١٠٦٢)

١٠٦٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ ، قَالَ: ((لا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمنَعُهُ أنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تحبسه: تمنعه[٢].

ينقلب إلى أهله: أي يعود ويرجع إلى بيته[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يثمن غاليا تلك اللحظات الطاهرة التي يقضيها المؤمن في رحاب ربه في بيت من بيوت الله - تعالى- ينتظر الصلاة مما يرغب المؤمن في طول المكث في المسجد مكان السكينة، والطمأنينة، وقد بدأ الحديث بفعل يدل على الاستمرارية بصيغته، ودلالته وهو قوله (لا يَزَالُ أحَدُكُمْ) كما أن لفظ (أحدكم) يدل على عموم الحكم لأنه مضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع، وقوله (في صَلاَةٍ) يقرر أن ثوابه مستمر، وأجره غير منقطع أكده بالفعل الدال على الدوام، والاستمرار (مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ) والتعبير بالحبس إشارة إلى قسر النفس على طاعة الله تعالى لأن حمل النفس

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩/٢٧٥، كتاب المساجد، باب ٤٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب س)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ب).

على الطاعة يحتاج إلى مجاهدة النفس، والشيطان، وقد صوره الفعل المضارع بصيغته (تحبسه) وقوله (لا يَمنَعُهُ أنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ) أسلوب قصر لصفة المكث في المسجد على الصلاة دون أي غرض دنيوي، وفيه إشارة إلى الإخلاص لله تعالى في بقائه في المسجد، وانتظاره للصلاة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على انتظار الصلاة في المسجد والتبكير لها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المجدية في الدعوة إلى الله تعالى والتي لها أكبر الأثر في الإقبال عليها والاستجابة لها والثبات عليها وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في انتظار الصلاة بجريان أجر الصلاة عليه، فقال ﷺ: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصلاةُ)). والمقصود بالترغيب في الشرع: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[1]، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكرُ الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها، والترغيب كان من أساليب الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[١]، فرسل الله دعاة جاءوا بوحي ورسالة وحق وهداية فمن قبل هدى الله فلا يضل ولا يشقى تبشره الرسل بالهداية وتسره بالفوز في الدنيا والآخرة[٢].

إن سبل الخير لما كانت محفوفة بالمكاره ومخالفة هدى النفس وسبل الشر محفوفة بمغريات النفس وفواتن الأهواء والأفكار، كانت إذن الدعوة إلى الله وأصولها تستدعي إيجاد قوة محرضة وجاذبة إلى طريق الهداية زائدة على الإقناع الفكري المجرد، وتستدعى كذلك إيجاد قوة صادّة عن سبيل الشر وطريق الغواية زائدة بعضها أيضًا على قوة الإقناع الفكري المجرد[٣].

وهاتان القوتان -المحرضة والصادة- يطلق عليهما الترغيب والترهيب أو التحفيز والتحذير، وهما من الأساليب الدعوية التي اعتمدها النبي ﷺ[٤]، واستخدمها كوسيلة من وسائل الدعوة والتربية والإعداد، مصحوبًا بتصوير فني رائع لنعيم الجنة مثيرًا الانفعالات والوجدانية والعواطف الربانية فهو ﷺ لا يغفل عن أية طريقة أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة:

صرح الحديث بفضل انتظار الصلاة، فقال ﷺ: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلهِ إلاّ الصلاةُ)). وفي ذلك فضل كبير وأجر عظيم، فلا يزال المنتظر للصلاة يجرى عليه ثوابها ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان، وفي ذلك تنبيه على تصحيح النية[٦]، إضافة إلى ما في انتظار الصلاة من إمكانية الصلاة في الصف الأول وإدراك

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٢.

(٣) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٠.

(٥) فلسفة التربية الإسلامية، في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٥.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

تكبيرة الإحرام، ولذلك فضيلة لا تتكرر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لا يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"[١]، وهذا دأب الصالحين وشيمة العباد المتقين، ولو استقرأت حال السلف الصالح لوجدت أن تبكيرهم وانتظارهم الصلوات سمة بارزة في حياتهم ومنذ الصغر ومعظمنا يسمع أن سعيد بن المسيب لم تفته تكبيرة الإحرام بل ما أذن المؤذن إلا وهو في المسجد[٢].

إن النصوص والآثار تبين أن انتظار الصلاة واللبث في المسجد لأي نوع من أنواع العبادة كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم ونحو ذلك من عمارة المساجد أمر مُرَغَّب فيه شرعًا وأن المنتظر للصلاة والذاكر لله تعالى بعدها في مصلاه لا يزال في ثواب الصلاة حتى ينصرف[٣].

وذلك يدخل في عموم عمارة المساجد الموصوف بها أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٤]، أي إنما يعمر مساجد الله بالرعاية والعناية والولاية والعبادة، إنما يعمره من آمن بالله إيمانًا كاملاً صادقًا وآمن باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وكان عمله الظاهر موافقًا لعقيدته فيقيم الصلاة ويؤديها كاملة الأركان، ويؤدي الزكاة لأربابها.

والمعنى قصر تعمير المساجد على المؤمنين بالله والمقيمين الصلاة إقامة كاملة مع إيتاء الزكاة، والخشية من الله وحده دون غيره مما لا ينفع ولا يضر والمراد الخشية

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٧.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٣.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضيري من إصدارات الكتاب الإسلامي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ ٢/١٩٤، ١٩٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨.

الدينية لا الغريزية كالخوف من الحيوان المؤذي مثلاً، ونحن نرى الآن أنه لا يعمر بيوت الله إلا هؤلاء فقط.

فأولئك الموصوفون بهذه الصفات الجليلة هم المهتدون إلى الخير، المستحقون على أعمالهم عظيم الأجر، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وفي تصدير جزائهم بكلمة عسى إشارة إلى قطع أطماع الكفار أي إذا كان هؤلاء العاملون المقربون جزاؤهم بين لعل وعسى فما بال الكفار؟!!(١).

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على انتظار الصلاة في المسجد والتبكير لها:

من الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المسلم الحرص على انتظار الصلاة والتبكير لها، وفي ذلك جريان لأجر الصلاة على من ينتظرها، فيقول ﷺ "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه" وهذا من رحمة الله بعباده وجزيل كرمه، أن رتب على جلوسهم في المساجد وانتظار الصلاة كأجر المصلى، لكن ينبغي على من ينتظر الصلاة ألا يضيع هذا الوقت فيما لافائدة فيه، فقد يفرط كثير من الناس بهذا الوقت، وقت انتظار الصلاة، خاصة بين الأذان والإقامة فتجدهم يقلبون أعينهم في المصلين أو التالين، وبعضهم يرسل بصره وعقله في تأمل نقوش المسجد وعمارته إلى غير ذلك، ولو أنهم اغتنموا هذا الوقت بقراءة القرآن أو ذكر الله أو الاجتهاد في الدعاء لأنه وقت إجابة لكان فيه الخير الكثير(٢).

لذا ينبغي على المسلم إذا وفق للمكث في المسجد لانتظار الصلاة أو غير ذلك أن يستغل وقته هذا ولا يدعه يمر خاليًا من الأعمال الصالحات.

إن واجب المسلم نحو وقته أن يدرك أولاً أن وقته هو حياته فيحفظه ويحصى كل ساعة منه فيصرفها بعمل ينفعه في دينه دنياه، ويحرص على عمارة أوقاته بالعمل الصالح لينجو يوم القيامة، حيث إن الفوز بالجنة سببه ما أسلف العبد في أيامه

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣٤/١٠/١.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٩٦، ١٩٧.

الخالية[١]، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[٢]، أي: بما قدمتم في أيام الدنيا[٣] وقال الإمام النسفي: (بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية)[٤].

ولقد ضرب الله الأمثال في تتابع الليل والنهار ليتدبر العقلاء ويعتبروا بمرور الأيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[٦].

قال د. يوسف القرضاوي: (إن مضي الزمن واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يمر بالمؤمن وهو في ذهول عن الاعتبار به والتفكير به، ففي كل يوم يمر، بل في كل ساعة تمضي، بل في كل لحظة تنقضي، تقع في الكون والحياة أحداث شتى، منها ما يرى وما لا يرى، ومنها ما يعلم وما لا يعلم، من أرض تحيا، وحبة تنبت، ونبات يزهر، وزهر يثمر، وثمر يقطف، وزرع يصبح هشيمًا تذوره الرياح، أو من جنين يتكون، وطفل يولد، ووليد يشب، وشاب يكتهل، وكهل يشيخ، وشيخ يموت!، ومن أحوال تدور على الناس كلما دار الفلك من فوق أو دارت الأرض من تحت، بين يسر وعسر، وغنى

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٨٠.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ١٨ - ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/١٨/٢٧١.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٧٩.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٦) سورة النور، الآية: ٤٤.

وفقر، وصحة وسقم، وسرور وحزن، وشدة ورخاء، وسراء وضراء، وفي كل ذلك آية لمن كان له لب، وذكرى لمن كان له قلب، وعبرة لمن كان له بصر)[١].

فالوقت مسؤول عنه العبد يوم القيامة، واعتبر العلماء أن من العقوق إضاعة الوقت، كما جاء في فيض القدير: إن (من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثَّله، أو حمدٍ حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه)[٢].

فالمسلم لا يهدر وقته، بل يملؤه بالعمل النافع كما كان حال سلف الأمة، كانوا شديدي الحرص على عدم تضييع الوقت بدون عمل نافع[٣].

(١) الوقت في حياة المسلم ص ١٠، ١١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢٢٨/٦.

(٣) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص ٢٧.

الحديث رقم (١٠٦٣)

١٠٦٣ - وعنه رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ)) رواه البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

العلاقة بين الملائكة، والمؤمنين علاقة حميمة تقوم على الرعاية والحفظ، والدعاء من جانب الملائكة بينما يستشعر المؤمنون وجودهم في إيمان عميق ومحبة لخلق أطهار، وقد صدر الحديث بلفظ الملائكة، وهو تقديم للمسند إليه على الخبر الفعلي في قوله (الملائكة تصلي) ويفيد الاختصاص، أو الاهتمام، وتقوية الحكم، ولفظ أحدكم يعمم الخطاب ليشمل الجميع، والفعل المنفي (مادام) يفيد البقاء، والاستمرار، قوله (ما لم يحدث) أي ما لم يأت بالحدث، وكلمة ما مصدرية زمانية، والتقدير مدة دوام عدم الحدث، فحذف الظرف، وخلفته ما وصلتها، والجناس بين مصلاه، وبين صلى يؤكد المعنى، ويشير إلى العلاقة بين المكان، وطبيعة الأجر المتعلق به في وجود النية، لأنه يجري عليه الثواب، ودعاء الملائكة، وهو فيه، وحكاية صلاة (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) تفسير لطبيعة هذه الصلاة، وهي الدعاء بهذا الدعاء، وهو دعاء شامل لخير الدنيا، والآخرة، لأن مغفرة الذنوب خير في الدنيا، وخير في الآخرة؛ لأن الذنوب تفتح على العبد باب المصائب في الدنيا قال تعالى (﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] (وما أصابكم) خطاب للمؤمنين (من مصيبة) بلية، وشدة (فبما كسبت أيديكم) كسبتم من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر

---

(١) برقم (٤٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٦).

الأفعال تزاول بها (ويعفو عن كثير) منها فلا يجازي عليه وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، فمغفرة الذنب تجنبه الشدائد في الدنيا، والعذاب في والآخرة، والرحمة يحتاج إليها الإنسان في كل شؤونه في الدنيا، والآخرة.

فقه الحديث

بوّب البخاري على هذا الحديث: باب الحدث في المسجد[1].

قال ابن حجر: (قال المازري: أشار البخاري إلى الرد على من منع المحدث أن يدخل المسجد أو يجلس فيه، وجعله كالجنب، وهو مبني على أن الحدث هنا الريح ونحوه، وبذلك فسره أبو هريرة كما تقدم في الطهارة[2]. وقد قيل المراد بالحدث هنا أعم من ذلك؛ أي لم يحدث سوءًا، ويؤيده رواية مسلم ((ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه))[3] وفي أخرى للبخاري ((ما لم يؤذ فيه بحدث فيه)) وسيأتي قريبًا بناءً على أن الثانية تفسير للأولى)[4].

ثم قال: (فيه دليل على أن الحدث في المسجد أشدّ من النخامة لما تقدم من أن لها كفارة، ولم يذكر لهذا كفارة[5]، بل عومل صاحبه بحرمان استغفار الملائكة، ودعاء الملائكة مرجو الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[6])[7].

وتعقب ابن باز في تعليقه على الأجزاء الأولى من فتح الباري، تعقب ابن حجر في هذا

---

(١) الحديث ٤٤٥.

(٢) الحديث ١٧٦ في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٢ - ٦٤٩، وهي عند البخاري ٢١١٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١.

(٥) أخرجه البخاري ٤١٥، ومسلم ٥٥٢ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: "البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها".

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١ - ٦٤٢.

فقال: (هذا فيه تفصيل: فإن قصد بالحدث المعصية أو البدعة فما قاله الشارح متوجه، وإن أريد بالحدث الريح ونحوها مما ينقّص الطهارة سوى البول ونحوه فليس ما قاله الشارح واضحًا، والصواب إباحة ذلك أو كراهته من غير تحريم، وإن فاتته به صلاة الملائكة ويؤيد الثاني ما ذكره الشارح في شرح الحديث ٤٥٧ فتنبه)(١).

قلت: قال ابن حجر في شرح الحديث ٦٥٩ ما نصه: (وقد تقدم الكلام في الطهارة على معنى قوله "ما لم يحدث" وفيه زيادة على ما هنا، وأن المراد بالحدث حدث الفرج، لكن يؤخذ منه أن اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولى، لأن الأذى منها يكون أشد، أشار إلى ذلك ابن بطال)(٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمؤمن ما دام في مصلاه.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على انتظار الصلاة في المسجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: طهارة المساجد والمحافظة عليها من الأحداث.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بيّنًا، حيث بين النبي ﷺ أجر وفضل الجلوس في المسجد بعد الصلاة فقال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه". وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه(٣).

---

(١) تعليق ابن باز على فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١ حاشية ١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٤٣/٢ .

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجًا وردعًا يأتي بشيرًا ونذيرًا، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها، ومن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب ويوقظه الإنذار ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه[1].

فالترغيب والترهيب، والرجاء والخوف هما جناحا الإيمان وقد وصف الله عباده المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء بالتوجه إلى الله تعالى يحدوهم إليه الخوف والرجاء، قال تعالى عن نبيه ذكريا وآل بيته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[2] وقال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3].

وتتجلى أهميته الترغيب والترهيب في موافقته لطبيعة الإنسان وفطرته التي فطر عليها.

فالإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب[4].

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة من عدة اعتبارات منها:

أ - أنه أحد الأساليب الدعوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي فالقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أُمر به والانتهاء عما نهى عنه.

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السعيد الزناتي ص ٦٤٦.

ب- أن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء وهذا يدفع للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي حيث أن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء.

ومن آيات الترغيب في الآخرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[1].

ج- أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه، كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف، فيمتنع عما نهى عنه، والعمل بماأُمر به. مما يجعل للترغيب والترهيب أثر ظاهر في الدعوة إلى الله.

د- أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة، مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية الدعوية[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمؤمن ما دام في مصلاه:

إن لانتظار الصلاة في المسجد والمكث في المسجد بعد أدائها ثواب لا يدانى، وفضل لا يضاهى ومن مظاهر ذلك أنه يكتب للإنسان ثواب هذا الانتظار والجلوس كأنما استغله في أداء صلوات، زد على ذلك محبة الملائكة ودعائها له واستغفارها له ما دام في مجلسه على وضوئه[3]، وذلك ما جاء في صريح قوله ﷺ: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه" قال ابن حجر: (ودعاء الملائكة مرجو الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4][5].

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٣١ - ٣٦.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ٢٩٣ - ٢٩٥.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦٤٢/١.

قال الطيبي في قوله "اللهم اغفر له اللهم ارحمه" طلب الرحمة بعد طلب المغفرة لأن صلاة الملائكة استغفار لهم[١].

قال ابن حجر: (وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٣]، قيل والسر فيه أنهم يطلعون على أفعال بني آدم وما فيها من المعصية والخلل في الطاعة فيقتصرون على الاستغفار لهم من ذلك، لأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، ولو فرض أن فيهم من تحفظ من ذلك فإنه يعوض من المغفرة بما يقابلها من الثواب)[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على انتظار الصلاة في المسجد:

من مهام الداعية وصفاته حث المدعوين على انتظار الصلاة وعدم التعجل بالخروج من المسجد بعد أداء الصلاة، رغبة في الخير ودعاء الملائكة، وكما جاء في الحديث "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه" فمن جلس في مصلاه بعد أداء الصلاة فإن الملاكة تصلي عليه وتدعو له بالمغفرة، وإن المكث في المسجد بعد أداء الصلاة من شأنه أن يرقق القلب ويذرف الدمع ويقرر العبد بذنوبه، وذلك بذكر ربه وجمع قلبه عليه، وهو في هذا الموطن الطاهر والبقعة المباركة، فالمكث فيه بمفرده عبادة واعتكاف إن نوى ذلك، وحق على المزور أن يكرم زائره[٥].

فحريٌّ بالمسلم أن يخصص من وقته في انتظار الصلاة تحصيلاً للأجر والمثوبة قال

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ج٢/٢٤٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٦٨/٢.

(٥) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٢.

تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: طهارة المساجد والمحافظة عليها من الأحداث:

ينبغي لكل مسلم أن يحافظ على طهارة المسجد ونقاء جوه وطيب رائحته، لذا بين النبي ﷺ أثر الحدث في المسجد في انقطاع استغفار الملائكة للإنسان فقال ﷺ "الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث" وفيه دليل على أن الحدث يبطل ذلك ولو استمر جالسًا وفيه دليل على أن الحدث في المسجد أشد من النخامة فإنه لا كفارة له ولم يذكر لهذا كفارة بل عومل صاحبه بحرمان استغفار الملائكة[(٢)].

وقال ابن حجر أيضًا: يؤخذ منه أن اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولى، لأن الأذى منهما يكون أشد، أشار إلى ذلك ابن بطال[(٣)].

ولقد كره العلماء الحدث في المسجد قال ابن عابدين: (وأما الريح فيكره إخراجها في المسجد؛ سواء أكانت ضراطًا[(٤)] أم فساء[(١)] وقيل: يجوز إخراج الريح في المسجد لجواز النوم فيه[(٥)].

والكراهة إنما هي للتنزيه، وليست للتحريم، وفرق بين المتعمد لإخراجها فإنه لو أخرجها عمدًا قاصدًا الإضرار بمن حوله وإيذاءهم فإن إخراجه لها في هذه الحالة محرم عليه؛ لأن أذى المسلمين محرم. ودليل الكراهية: هذا الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٤١/١، ٦٤٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٧/٢.

(٤) الفساء: خروج الريح بلا صوت، والضراط: خروجها بصوت، مختار الصحاح في (ض ر ط).

(٥) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٥٦/١.

رسول الله ﷺ قال: ((الملائكةُ تُصلّي علَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاَّهُ الذي صلَّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ)) ولمسلم: "ما لم يحدث فيه". ولهما: "ما لم يؤذ فيه"[(١)].

الشاهد: "ما لم يحدث... ما لم يؤذ فيه".

وجه الدلالة: أن إخراج الريح هو الحدث، كما فسره أبو هريرة رضي الله عنه وبسببه ينقطع استغفار الملائكة عمن صدر منه عقابًا له؛ لأنه آذى من حوله بالريح التي تخرج منه، فإن قيل: إن المراد بقوله "يحدث" أي يأتي ببدعة، فالجواب: أن أبا هريرة فسر الحديث، وهو راوي الحديث، ولا مانع أن تشمل الكلمة ما فسره أبو هريرة وزيادة[(٢)].

خامسًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد وردت الإشارة إلى الدعاء في هذا الحديث الذي معنا من خلال إخبار النبي ﷺ بدعاء الملائكة لمن يمكث في مصلاه فقال ﷺ "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه" ولاشك أن الدعاء يعد من الأساليب الدعوية المهمة في حصول ما يأمله الداعية من انتشار الدعوة ونجاحها، وعلو شأنها، وقد أمر الله عباده بالدعاء، ووعد بالاستجابة في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٣)] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[(٤)]. والدعاء أمر ضروري للداعي لتقوية صلته بالله عز وجل، فالداعي إلى الله يهدف إلى تعريف الناس بربهم وتوثيق علاقتهم به، فكيف يتأتى له ذلك إذا كان واهي الصلة بالله عز وجل[(٥)].

ومن هنا يتبين لنا أهمية الدعاء وأثره البالغ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٩، ومسلم ٦٤٩.

(٢) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضير ٢٠٧/٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٥) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٢٩.

إن الدعاء من أعظم العبادات وليس شيء أكرم على الله من الدعاء ولا يرد القضاء إلا الدعاء، فلنسأل الله في حوائجنا صغيرها وكبيرها عاجلها وآجلها ولننتظر الفرج من الله تعالى[1].

وقد أمر الله بالدعاء في مثل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2].

ولا يقتصر الإنسان على الدعاء لنفسه بل رغب الإسلام في الدعاء للآخرين ولا سيما بظهر الغيب وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وينبغي على الداعي أن يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغيرهما.

قال ابن مفلح: (فالعارف "يعني الذي يعلم حق الله عليه مثلاً" يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك ولا يملُّ ولا يسأم ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة، فإنه أنجح، فالواجب النظر في الأمور، فإن عدم الإجابة فليعلم أن ذلك إما لعدم بعض المقتضى أو لوجود مانع فيتهم نفسه لا غيرها، وينظر في حال سيد الخلائق وأكرمهم على الله عز وجل، كيف كان اجتهاده في وقعة بدر وغيرها ويثق بوعد ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4] وليعلم أيضًا أن كل شيء عنده بأجل مسمى[5] كما ينبغي على الداعي أن يلتزم للدعاء

---

(١) انظر: خطب مختارة، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٩هـ ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ج١/١٤٩.

بآدابه، وقد جمع العلماء آداب الدعاء في عدة أمور منها:

أ - أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

ب - أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

ج - أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه.

د - الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

هـ - أن يلح في الدعاء ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له أن لا يستبطئ الإجابة.

و - أن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

ز - التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بِكُنْهِ الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة، وتحري أكل الحلال[1].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٣٠٤ - ٣٠٧.

الحديث رقم (١٠٦٤)

١٠٦٤ - وعن أنس ﷺ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلاَةَ العِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى، فَقَالَ: ((صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا)) رواه البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شطر الليل: نصفه[2].

الشرح الأدبي

حركة الرسول ﷺ وسكونه مرتبط بربه، ومحكوم بغرض التبليغ لذلك نجده عند كل حدث يستجد موعظة، أو توجيها ينفع الأمة في حاضرها يوم الحديث في الصحابة أو فيما وليهم من عصور، وما سيليهم إلى يوم القيامة، والحديث أسلوبه خبري إفادة مضمون الخبر والمقصود بشطر الليل نصفه (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) الإقبال هو المواجهة، وليس هناك أجمل مشهدا من ذلك، وكأني بالصحابة ينهون صلاتهم ثم ينتظرون هذا الحدث، وعيونهم معلقة بشخصه، وقوله (صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا) خبر أريد به لازم الفائدة، وهو الإشادة بالمنتظرين للصلاة، والبشارة لهم بجريان الأجر عليهم من الله ما داموا في انتظارها.

فقه الحديث

قال النووي: (اختلف العلماء: هل الأفضل تقديم صلاة العشاء أم تأخيرها؟ وهما

---

(١) برقم (٦٦١)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٦٤٠/٢٢٢، وسيكرره المؤلف برقم ١٧٥٠. أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ط ر).

مذهبان مشهوران للسلف، وقولان لمالك والشافعي، فمن فضل التأخير احتج بهذه الأحاديث[١] ومن فضل التقديم احتج بأن العادة الغالبة لرسول الله ﷺ تقديمها، وإنما آخرها في أوقات يسيرة لبيان الجواز أو لشغل أو لعذر، وفي بعض هذه الأحاديث الإشارة إلى هذا، والله أعلم)[٢].

والواضح من جملة الأحاديث أن الاختيار في ذلك للإمام فيعجل بها إذا اجتمع الناس ويؤخرها إذا تأخروا لحديث جابر عند الشيخين، وفيه قوله: "والعشاء أحياناً يعجل، كان إذا رآهم اجتمعوا عجل وإذا رآهم أبطئوا أخر".

ويفهم من ذلك أنه ليس للفرد أن ينفرد بتأخير العشاء إذا لم يؤخرها إمامه لأن في فعله ضياع الجماعة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة وعدم التعجل.

ثانيًا: من مهام الداعية: تبشير المدعوين بالثواب العظيم على انتظار الصلاة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة وعدم التعجل:

جاء في الحديث بيان فضل انتظار الصلاة وأدائها جماعة مع الإمام، وجريان أجر الصلاة على من ينتظرها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخر ليلة صلاة العشاء إلى شطر الليل، ثم أقبل بوجهه بعدما صلى فقال صلّى الناس ورقدوا ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" وفي ذلك تبشير لهم بالفضل الذي نالهم من تأخيره الصلاة بهم[٤].

---

(١) انظر هذه الأحاديث في صحيح مسلم ٦٣٨ - ٦٤٣: باب وقت صلاة العشاء: كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وانظر هذه الأحاديث في رياض الصالحين الباب رقم ٣٣٤، باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة، الأحاديث ١٧٤٨ - ١٧٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٥/٣ - ١١٨. وانظر فتح الباري، ابن حجر ٥١/٢ - ٥٢ .

(٣) انظر: الدين الخالص، الشيخ محمود خطاب ١٨/٢، ط/٤: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٨.

وجاءت أحاديث أخر بنفس المعنى، وذلك مثل ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((... والذي يَنتظِرُ الصلاةَ حتى يصلِّيَها مع الإمامِ أعظمُ أجرًا من الذي يُصلِّي ثمَّ يَنامُ))[1] قال ابن حجر: (أي سواء صلى وحده أو في جماعة، ويستفاد منه أن الجماعات تتفاوت)[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة" قال الشيخ شمس الدين آبادي: (أي ما دام ينتظر فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان)[3].

كما بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أن في انتظار الصلاة وأدائها مع الإمام تحصيل الثواب، وأن الثواب على قدر المشقة[4].

ثانيًا- من مهام الداعية: تبشير المدعوين بالثواب العظيم على انتظار الصلاة:

إن من مهام الداعية تبشير المدعوين بالثواب على فضائل الأعمال ومنها ما جاء في الحديث من بيان فضل انتظار الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم: "ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" إذ أن مسلك التبشير له نتائجه الباهرة في إصلاح النفوس وتزكيتها وتنقيتها من قبائحها، وتصفيتها من أدرانها، والسمو بها إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والامتثال بها[5] ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية[6]، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ج٢/١٦٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦١.

(٥) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٧٤ - ٤٧٦.

(٦) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر ص ٤٨.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

وقال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1] والمبشر هو المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الحادث لمن يخبر به والوعد بالعطية، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر، وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل.

وقدمت البشارة على النذارة في قوله بشيرًا ونذيرًا لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في انتظار الصلاة بجريان أجر الصلاة على وقت الانتظار، فقال ﷺ "لم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" أي لم تزالوا في صلاة من حيث الثواب من ابتداء وقت انتظاركم إياها[3].

وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعوين إلى الاستجابة للحق والثبات عليه، ولما فيه من إلانة القلب وتأثير في النفس وازدياد النفوس المهذبة إيمانًا وهداية[4].

والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكد أن أهمية الترغيب والترهيب لما فيهما من استجاشة قلب الإنسان نحو الخير وتوجيهه لذلك وتخويفه من الانحراف وتحذيره من ذلك[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥٣/٢٢/٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٨.

(٤) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧١.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٣.

والقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أمر به وثواب ذلك، ومن ذلك الحفاظ على صلاة الجماعة وانتظارها وهو موضوع الحديث، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾[1] وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الملائكةُ تُصلّي علَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاّهُ الذي صلّى فيه ما لم يُحدث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ له، اللّهمَّ ارحَمْهُ))[2]. وفي ذلك بيان فضل صلاة الجماعة وأن من بيان فضلها أن من جلس في انتظارها فهو في الصلاة وأن الملائكة تستغفر له وتدعو له بالرحمة[3] كما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصلاةُ))[4].

وذلك من فضل الله على المؤمنين أن جعل من وظائف ملائكته الاستغفار للمؤمنين، وذلك ما صرح به القرآن كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٩، ومسلم ٢٧٤.

(٣) أهمية صلاة الجماعة، د. فضل إلهي ص ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٩.

(٥) سورة غافر، الآية: ٧ - ٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على الإقبال على العمل:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «لاَ يَزَالُ أَحَدكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ. لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ». فقد بيّن ﷺ فَضل من انتظر الصلاة، لا تحبسه إلا الصلاة، ولا يمنعه من الذهاب إلى بيته وأهله إلا أنه في انتظار الصلاة يصليها لا انتظار شيء آخر كصديق أو حديث أو اجتماع ونحو ذلك.

وعلى هذا يجب أن يربى الناشئة حتى يصلوا إلى المراتب العليا والدرجات الفضلى، "فمن شأن متطلب الكمال والساعي إلى حميد الفعال، أن يقبل على كل أمر ينفعه وأن يسلك السبل المفضية إلى ما رامه وأمّله، وأن يتجنب كل أمر يعوقه، ويقطع سيره، وأن ينأى بنفسه عن كل ما شأنه أن ينزل قدره ويدني همته"[(1)].

قال ابن القيم: "طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه. يحتاج أن يكون شجاعًا مقداماً، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل كثير السكون، دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفره المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون. وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب"[(2)].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٧٠.

(٢) الفوائد، ٢٧١، ٢٧٢.

ثانيًا: تربية الناشئة على التواجد في أماكن الخير:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «الملائكةُ تُصلّي علَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاّهُ الذي صلّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ». فقد بين النبي ﷺ أن الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه الذي صلى فيه وتدعو له، أي أنه فرغ من صلاته ولم يبرح مكانه الذي صلى فيه، أي أنه ظل في مكان الخير والبركة ورضا الله عز وجل، لذا دعت له الملائكة بأن يرضى الله عنه ويتقبله ويرحمه ويغفر له، وفي هذا استئناس بأن الناشئة يربون على ملازمة أماكن الخير ومجالس العلم، وتحاشي أماكن الشر وعدم الاقتراب منها ومن أهلها، وفي ذلك فوائد تربوية عظيمة لهم، فإنهم يزدادون خيرًا على خير، وفضلاً على فضل، وتزكية فوق تزكية، وهذا ما ينادي به علم التربية من أن الناشئة يجب أن ينشأ في بيئة صالحة فعالة تغرس فيهم حب الخير والإقبال عليه، وذلك لأن الإنسان نتاج بيئته، فإن كانت خيرًا كان من أهل الخير، وإلا أصابه الخلل والانحراف.

ثالثًا: من مهارات المعلم: تقديم التشجيع المناسب للطلبة:

وهذا مستمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «أَخَّرَ ليلةً صلاةَ العِشاءِ إلى شَطرِ الليلِ، ثمَّ أقبلَ علينا بوجهِهِ بعدَما صلَّى فقال: صلَّى الناسُ ورَقَدوا ولم تَزالوا في صلاةٍ منذُ انتظَرْتموها». فكان هذا تشجيعًا وثناءً من رسول الله ﷺ عليهم وعلى انتظارهم صلاة العشاء لمنتصف الليل.

وفي ذلك قدوة للمعلمين والمربين، "فيجب على المعلم تقديم التشجيع المناسب والثناء الحسن للطلبة لأن التشجيع مهم في العملية التعليمية والتربوية لأنه يؤدي إلى شعور الطالب بنجاحه وتفوقه، وهذا الشعور يصاحبه شعور بالارتياح ويصبح حافزًا على عملية التعلم والاستمرار فيه، ومن هنا تأتي ضرورة تشجيع الطالب المتأخر دراسيًا والطالب الخجول أو الطالب الذي هو أقل من أقرانه في الذكاء، لأن ذلك يقوي ثقته في قدرته ويرفع من مركزه بين أقرانه، ويشجعه على التعليم ويجعله يميل إلى الاستمرار فيه"[1].



(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ٢١٨، ٢١٩.

١٩١- باب فضل صلاة الجماعة

الحديث رقم (١٠٦٥)

١٠٦٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ افْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الفذ: المنفرد[٢].

الشرح الأدبي

للصلاة أثر عظيم في المجتمع من حيث اتحاد أفراده، من خلال الجماعة، واتصال بعضهم ببعض في حلقات متداخلة تبدأ صغيرة بصلاة النافلة في المنزل مع الأسرة الصغيرة، ثم تكبر في صلاة الجماعة في المسجد، والتي تشمل أفراد الدائرة المحيطة بالمسجد يتابع كل منهم أحوال الآخرين، ويصلهم، ثم تتسع هذه الدائرة أكبر في صلاة الجمعة، ثم تتسع أكثر في صلاة العيد، وغيرها مما يجعل المجتمع كتلة واحدة شديدة التماسك، والتداخل، مع ما يضمنه هذا التجمع من أشكال التكافل والتعاون، والتواصل، والتحابب، وما ينتج عن هذه الصفات من الإيثار، والتضحية والإحساس بالأمن، والسعادة للمجتمع المسلم كله، وقوله (أفضل من صلاة الفذ) جاء بها بلفظ أفعل التي هي للتفضيل، والتكثير في المعنى المشترك، وهي أبلغ من تفضل على ما لا يخفى، و(الْفَذِّ) مُعَرَّفٌ بالأَلِفِ وَاللاَّمِ يفيدِ الْعُمُومِ الذي يدل عَلَى فَضِيلَةِ صَلاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلاةِ كُلِّ فَذٍّ مما يستلزم العناية بها، وعدم الانفراد في الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٢٤٩/٦٥٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ذ ذ).

فقه الحديث

١ - صلاة الجماعة:

قال النووي: (واحتج أصحابنا والجمهور بهذه الأحاديث على أن الجماعة ليست بشرط لصحة الصلاة، خلافًا لداود، ولا فرضًا على الأعيان خلافًا لجماعة من العلماء، والمختار أنها فرض كفاية، وقيل: سنة)[١].

وقال ابن حجر: (واستدل بأحاديث الباب على أن الجماعة ليست شرطًا لصحة الصلاة لأن قوله ((صلاة أحدكم وحده))[٢] يقتضي صحة صلاته منفردًا؛ لاقتضاء صيغة أفعل والاشتراك في أصل التفاضل فإن ذلك يقتضي وجود فضيلة في صلاة المنفرد، وما لا يصح لا فضيلة فيه)[٣].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ فيُحطب، ثمَّ آمرَ بالصلاةِ فيُؤذَّنَ لها، ثمَّ آمرَ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالِفَ إلى رجالٍ فأُحرِّقَ عليهم بيوتَهم. والذي نفسي بيده، لو يَعلمُ أحدُهم أنَّه يَجدُ عَرقًا سَمينًا أو مِرْماتَينِ حسنَتَينِ لشَهِدَ العِشاء))[٤].

قال النووي: (هذا مما استدل به من قال: الجماعة فرض عين، وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وداود، وقال الجمهور: ليست فرض عين، واختلفوا هل سنة أم فرض كفاية كما قدمناه. وأجابوا عن هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين، وسياق الحديث يقتضيه، فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ وفي مسجده، ولأنه لم يحرق بل همّ ثم تركه، ولو كانت فرض عين لما تركه)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩/٥/٣ .

(٢) رواية عند مسلم ٢٤٥- ٦٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٣٦/٢ .

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٤، ومسلم ٦٥١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٥/٣ . وانظر فتح الباري، ابن حجر ١٢٥/٢- ١٣٠ . وانظر اختلاف الفقهاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٢٧- ١٦٧ ومراجعها ومصادرها.

٢ - فضيلة الصلاة: قال ابن حجر: (استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال لما ذكر من صلاة الملائكة عليه ودعائهم له بالرحمة والمغفرة والتوبة. وعلى تفضيل صالحي الناس على الملائكة لأنهم يكونون في تحصيل الدرجات بعبادتهم والملائكة مشغولون بالاستغفار والدعاء لهم) [(١)].

٣ - إعادة الجماعة:

قال ابن حجر: (واستدل بها على تساوي الجماعات في الفضل سواء كثرت الجماعة أم قلت، لأن الحديث دلّ على فضيلة الجماعة على المنفرد بغير واسطة، فيدخل فيه كل جماعة. كذا قال بعض المالكية... ويترتب على الخلاف المذكور أن من قال بالتفاوت استحبّ إعادة الجماعة مطلقًا لتحصيل الأكثرية، ولم يستحب ذلك الآخرون. ومنهم من فصل فقال: تعاد مع الأعلم أو الأورع أو في البقعة الفاضلة، ووافق مالك على الأخير لكن قصره على المساجد الثلاثة، والمشهور عنده بالمسجدين المكي والمدني)[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على صلاة الجماعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من فوائد صلاة الجماعة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ:

جاء في صريح الحديث بيان رسول الله ﷺ لفضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد، فقال ﷺ "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين دجة" وذلك من فضل الله عز وجل بأن ضاعف الأجر على الصلاة في جماعة، وقد اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات، وأَجَلِّ الطاعات[(٣)] ولقد جاءت النصوص الجمة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١/١٣٦.

(٢) المرجع السابق ٢/١٣٦- ١٣٧ .

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ٢/١٢٩٧.

في صلاة الجماعة وفضلها وفوات الأجر الكثير بتركها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((من سرَّهُ أن يَلقى اللَّهَ تعالى غدًا مسلمًا؛ فليُحافظْ على هذهِ الصلواتِ الخمسِ، حيثُ يُنادَى بهنَّ، فإنَّ اللَّهَ شرعَ لنبيِّكُم صلى الله عليه وسلم سننَ الهدى، وإنهُنَّ من سُنَنِ الهُدى، ولو أنَّكم صلَّيتم في بيوتِكم كما يُصلي هذا المتخلِّفُ في بيتهِ لتركتُمْ سنَّةَ نبيِّكم، ولو تركتُم سنَّةَ نبيِّكم لضللتم وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ))[1]، ولمكانة صلاة الجماعة لم يؤثر أن المسلمين أهملوا فيها، بل شرعت الجماعة حتى في الحرب بما يعرف بصلاة الخوف جمعًا بين فضيلة الجماعة وأخذ الحيطة والحذر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ...﴾[2].

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحرص ما يكونون على صلاة الجماعة حتى في شدة المعارك ولقاء الأعداء. عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونا قِتَالاً شَدِيدًا. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ذٰلِكَ. فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَنَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ. فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ، قَالَ صَفَّنَا صَفَّيْنِ. وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ. قَالَ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللّهِ وَكَبَّرْنَا. وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا. ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الأَوَّلُ. فَلَمَّا قَامُوا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي. ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الأَوَّلُ وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الثَّانِي. فَقَامُوا مَقَامَ الأَوَّلِ. فَكَبَّرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَبَّرْنَا. وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا. ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الأَوَّلُ. وَقَامَ الثَّانِي. فَلَمَّا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم))[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٤.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٠١، ١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم ٨٤٠.

ويتجلّى في هذا الحديث اهتمام الرسول الكريم ﷺ بصلاة الجماعة من عدة وجوه، منها:

أ - أدّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر مع الجماعة أثناء قتال مع قوم من جهينة وكانوا قد قاتلوا المسلمين قتالاً شديدًا.

ب - إن الاطلاع على قرار المشركين بالإغارة على المسلمين دفعة واحدة أثناء تأديتهم صلاة العصر مع الجماعة لم يقلّل من اهتمامه ﷺ بأدائها في الجماعة.

هذا، ولا يظنن أحد أن النبي الكريم ﷺ صلى مع الجماعة أثناء المعركة في يوم واحد فقط بل إنه عليه الصلاة والسلام صلاها في أيام مختلفة ومواطن عدة. يقول الإمام أبو سليمان الخطابي: (صلاة الخوف أنواع، وقد صلاها رسول الله ﷺ في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة)[1].

كما ذكر ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلاها في عشرة مواطن[2].

وذكر الإمام أبوبكر ابن العربي أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة الخوف مرارًا عدة بهيئات مختلفة. فقيل في مجموعها: إنها أربع وعشرون صفة، ثبت فيها ست عشرة صفة[3].

كذلك لم يترك النبي ﷺ الجماعة حتى في مرض موته واشتداده عليه.

روى الإمام البخاري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة قال: ((دخلتُ عَلَى عائشةَ فَقُلتُ: أَلا تُحدِّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ؟ قالت: بلى. ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتظِرونكَ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فَفَعَلْنَا. فاغتسَلَ فذهبَ لِيَنوءَ[4] فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال ﷺ أَصَلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم

---

(١) معالم السنن ١/٢٦٩.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ٤٥٣.

(٣) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي ١/٤٩١.

(٤) لينوء: ليقوم، انظر: شرح الكرماني ٥/٦٩.

ينتَظِرونَكَ يارسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فقعَد فاغتسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنُوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أصلَّى النَّاسُ؟ قلنا: لا، هم يَنتظرونك يا رسول اللهِ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخضَبِ. فقعدَ فاغتَسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أَصلَّى النَّاسُ؟ فقلنا: لا، هم يَنتظرونكَ يارسولَ اللهِ -والناسُ عُكوفٌ في المسجدِ ينتظرونَ النبيَّ عليهِ السلامُ لصلاةِ العِشاءِ الآخرةِ- فأَرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُركَ أَنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ -وكان رجُلاً رَقيقًا- يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ. فصلَّى أَبو بكرٍ تلكَ الأيامَ... الحديث))[1].

الله أكبر! كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصًا على حضور صلاة الجماعة!

يشتد مرضه فيغتسل، ثم يُغمى عليه فيفيق فيغتسل للمرة الثانية، ثم يغمى عليه فيفيق فيغتسل للمرة الثالثة. كل ذلك لعله ﷺ يكسب نشاطًا يمكنه بفضل الله تعالى من حضور صلاة الجماعة في المسجد.

ثم يُغمى عليه فيفيق فيجد نفسه غير قادر على الذهاب إلى المسجد فيرسل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه كي يصلي الناس.

وليس هذا فحسب بل نجده ﷺ يخرج إلى صلاة الجماعة في المسجد حينما وجد من نفسه خفة. وكيف كانت تلك الخفة؟ وكيف كان خروجه عليه الصلاة والسلام؟ كي نتصوّر ذلك فلنقرأ ما رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادي[2] بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان[3] من الوجع.. الحديث[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧.

(٢) يُهادي: بضم أوله وفتح الدال أي عتمد على الرجلين متمايلًا في مشيه من شدة الضعف، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢/١٥٤.

(٣) تخطان: لم يكن يقدر على رفعهما من الأرض، انظر: شرح الكرماني ٥/٥١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤.

سبحان الله! لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلا اعتمادًا على رجلين، وحتى بعد ذلك لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض نظرًا لشدّة ضعفه لكنه مع هذا كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد. فما بال كثير ممن ينتسب إليه يتخلف عن صلاة الجماعة بأتفه الأسباب وبغير سبب.

يقول العلامة العيني تعليقًا على القصة: فيه الإشارة إلى تعظيم الصلاة بالجماعة. وفيه تأكيد أمر الجماعة والأخذ بالأشد وإن كان المرض يرخص في تركها، ويحتمل أن يكون فعل ذلك لبيان جواز الأخذ بالأمثل وإن كانت الرخصة أولى[1].

ثانيًا- من آداب الداعية: حث المدعوين على صلاة الجماعة:

إن حث المدعوين على إتيان الصلاة في جماعة من أهم الأولويات التي ينبغي على الداعية أن يراعيها وأن يجعلها نصب عينيه، لما في صلاة الجماعة من اجتماع المسلمين للعبادة وذكر الله، إظهارًا لشكر نعم الله عليهم، وتعبيرًا عن كيانهم الرصين[2]، كما أن فيها إظهارًا لشعيرة من شعائر الإسلام، بل من أعظم شعائره، وهي الصلاة، فهي تبين ترابط المسلمين وترابطهم بدخولهم المساجد جميعًا ثم خروجهم جميعًا، فضلاً عن حصول الألفة بين المسلمين، واجتماع القلوب على الخير وإزالة الحقد والغل وهدم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون مما يشيع روح الإخاء والمساواة[3]. لذا ركز النبي ﷺ على حث المسلمين على صلاة الجماعة ووردت عنه الأحاديث الجمة في الترغيب في أدائها والترهيب من أدائها ومنها ما جاء في الحديث "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة".

إضافة إلى ما في صلاة الجماعة من فوائد في ترابط المجتمع الإسلامي وتقوية بنيانه، وانصهار أفراده في بوتقة المجتمع الإسلامي ووحدته.

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٩٥/٥.

(٢) فضائل الجمعة، أحكامها، خصائصها، دراسة فقهية مقارنة في المذاهب الأربعة، د. محمد ظاهر أسد الله ص ٤٨.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٢.

(إن الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين وإزالة الحقد والغل في قلوبهم، وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم، وتبادل المنافع فيما يعود عليهم من خير.

فالمسلمون يقفون جميعًا في الصلاة جنبًا إلى جنب متلاصقين، رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقًا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها، كل هؤلاء يتقرّبون إلى الله، لا بأموالهم وجاههم وإنما بطاعة ربهم، كلهم يخاطبون ربهم ويعترفون له بالعبودية، ويطلبون منه الهداية لبعضهم بعضًا قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

إن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تُطبق عمليًا في حياة المرء وفي تفكيره. وها نحن نرى بعض الأمم التي تدعي أنها في مقدمة الأمم مدنية وحضارة، وتدعي الديمقراطية والحرية والمساواة، نرى أبرز ما يشغلها التمييز العنصري الذي يهدد كيانها ويهددها بأخطر العواقب التي تودي بحضارتها، وليس بعيدًا ماجرى منذ أمد قريب في أميركا حيث أحرق الزنوج كثيرًا من المساكن والمخازن في مدينة "ديترويت" وغيرها من المدن، وأحدثوا فيها خسائر مادية تقدّر بمئات الملايين من الدولارات، كل ذلك بسبب التمييز العنصري الذي لم توفق المدنية والحضارة الحديثة من انتزاعه من قلوب من يدّعي التمدن والحضارة.

وقد كان التشريع الإسلامي موفقًا في جعله "الصلاة جماعة" التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون، فوحّدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من فوائد صلاة الجماعة:

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه للحديث "فضل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" كثيرًا فوائد الصلاة، نذكر بعضا منها فيما يلي:

أ - إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة والتبكير إليها في أول الوقت والمشي إلى

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٧.

المسجد بالسكينة وانتظار الصلاة.

ب - صلاة الملائكة عليهم واستغفارهم وشهادتهم لهم.

ج - حصول الخشوع والسلامة عما يلهي غالبًا.

د - إظهار شعائر الإسلام.

هـ - إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل.

و - السلامة من صفة النفاق، ومن إساءة الغير الظن بأنه ترك الصلاة رأسًا.

ز - الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر وعود بركة الكامل على الناقص.

ح - قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلاة[1].

إلى غير ذلك من فوائد الخير وعوائد الثواب.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢/١٥٦، ١٥٧.

الحديث رقم (١٠٦٦)

١٠٦٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((صَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتهِ وفِي سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ ضِعْفاً، وَذلِكَ أنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ، (مَا لَمْ يُحْدِث) [١]، تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ [٢] فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ)) متفقٌ عَلَيهِ [٣]، وهذا لفظُ البخاريِّ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يبين فضل صلاة الجماعة تلك الخصيصة التي امتاز بها الإسلام، وأصبحت من أعظم مظاهره التي يعرف بها المجتمع المسلم؛ لأنها لا توجد في هيئتها وتتابعها على مدار اليوم، والليلة مع انتشارها الشامل لكل ربوع الأمة، وهو ما يقض مضجع أعدائها، الذين يبحثون عن كل حيلة لإطفاء جذوتها، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري يقرر الأفضلية في هدوء، وثقة، ونسبة الصلاة للرجل تخصيص، و (ال) في الرجل للجنس فتشمل الجميع، والجناس (تضعف، وضعفا) يؤكد المعنى، ويقرر الثواب المتزايد، والجناس بين (يخط، خطوة) يؤكد التلازم بين السعي، ومحو الخطايا، وقوله (لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ) تكميل بلاغي يشير إلى توفر النية على الصلاة، والطباق بين رفعت، وحطت، يصور تتابع الأجر بين حسنة تعطى، وسيئة تمحى، وبين قوله (صلى تصلي) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى العلاقة بين المكان،

---

(١) هذه الزيادة ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٥٩).

(٢) عند البخاري زيادة: (احدكم).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧) واللفظ له، ومسلم (٦٤٩/٢٧٢)، وتقدم برقم ١٠. أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٣).

وطبيعة الأجر المتعلق به في وجود النية، لأنه يجري عليه الثواب، ودعاء الملائكة، وهو فيه مستمر استمرار المجلس، وحكاية صلاة الملائكة (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) تفسير لطبيعة هذه الصلاة، وهي الدعاء بهذا القول، وهو دعاء شامل لخير الدنيا، والآخرة، لأن مغفرة الذنوب خير في الدنيا، وخير في الآخرة؛ لأن الذنوب تفتح على العبد باب المصائب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (١٠٦٧)

١٠٦٧– وعنه، قَالَ: أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى، فقَالَ: يا رَسُولَ اللّهِ، لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: ((هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((فَاجِبْ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يرخص: يُسَهِّل ويُيسِّر[2].

النداء: الأذان[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين من خلال الحوار ضرورة المحافظة على الصلاة في المسجد، وقول الراوي (أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى) التعبير بالإتيان يشير إلى مشقة، وعناء لأنه رجل أعمى حركة تكتنفها المتاعب، وقول الأعمى (لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِدِ) أسلوب نفي يقرر أصل المشكلة، وقوله (قائد يقودني) جناس يؤكد المعنى، ويمهد لطلبه الذي أرصد له بهذه المقدمة وهو أن يرخص له فيصلي في بيته، وقوله: (فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ) كأنه لم يرد أن يفتح باب العذر يدخل منه المتكاسلون، وقول الرسول ﷺ له (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت يرتب عليه الحكم، وقوله (فأجب) يدل ذلك على أن صلاة الجماعة في المسجد لا تسقط حتى عن الأعمى بل

---

(١) برقم (٦٥٣/٢٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦١٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر خ ص).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

يجب عليه أن يدبر من يقوده إلى المسجد حتى يحضر إلى المسجد هذا إذا كان يسمع النداء أما إذا كان بعيد ا بحيث لا يسمع النداء فله أن يصلي في بيته لكن المراد بسماع ذلك إذا كان هناك صوت عادي بدون مكبر صوت وأما مع مكبر الصوت فمعلوم أن مكبر الصوت ينقل الصوت إلى مكان بعيد لكن يقال قدر لو كان المؤذن يؤذن بصوته الخاص وليس هناك عمائر طويلة تحجب الصوت فإن كنت تسمعه على هذا التقدير وجب عليك أن تحضر إلى المسجد وإلا فلا.

فقه الحديث

قال النووي: (هذا الأعمى هو ابن أم مكتوم جاء مفسرًا في سنن أبي داود وغيره، وفي هذا الحديث دلالة لمن قال الجماعة فرض عين، وأجاب الجمهور عنه بأنه سأل: هل له رخصة أن يصلي في بيته وتحصل له فضيلة الجماعة بسبب عذره؟ فقيل: لا، ويؤيد هذا أن حضور الجماعة يسقط بالعذر بإجماع المسلمين، ودليله من السنة حديث عتبان بن مالك)[١].

وأما ترخيص النبي ﷺ له ثم رده وقوله "فأجب" فيحتمل أنه بوحي نزل في الحال، ويحتمل أنه تغير اجتهاده ﷺ إذا قلنا بالصحيح وقول الأكثرين: أنه يجوز له الاجتهاد. ويحتمل أنه رخص له أولاً وأراد أنه لا يجب عليك الحضور: إما لعذر، وإما لأن فرض الكفاية حاصل بحضور غيره، وإما للأمرين، ثم ندبه إلى الأفضل فقال: الأفضل لك والأعظم لأجرك أن تجيب وتحضر، فأجب. والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من واجبات المدعو: الحرص على استفتاء أهل العلم والفضل.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٥، ومسلم ٣٣ بعد الحديث ٦٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٥/٣ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٦٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٦٨).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على إجابة المؤذن والإسراع إلى الصلاة في المسجد.

أولاً- من واجبات المدعو: الحرص على استفتاء أهل العلم والفضل:

ورد في الحديث الإشارة إلى هذا الأدب من خلال سؤال عبدالله بن أم مكتوم لرسول الله ﷺ لحكم الصلاة في البيت وطلبه الرخصة في ذلك، قال: "يارسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له" ، وفي ذلك أنموذج تطبيقي ومثل حى لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من الرجوع إلى أهل العلم والفضل، وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وبين ﷺ أن في السؤال علاجًا للجهل فقال ﷺ : "ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال"[2]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شئون الدين، بل في الكثير من شئون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه، كما في حديث أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[3]، [4].

لذا ينبغي على الدعاة أن يبينوا للمدعوين فضل الفقه في الدين وضرورة السؤال عما يشكل عليهم وحرصهم على ذلك وبيان أن السؤال وطلب العلم سبيل من سبل الرفعة وطريق من طرق الجنة، قال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[5].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٤.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٣٩.

كما يجب على الدعاة بيان أن فضل العلم خير من فضل العبادة؛ لأن العلم يبعث على فضل العبادة، والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة، فلزم علم الدين كل مكلف لأن علم ما لا يسع جهله من العبادات فرض على كل مسلم[(١)].

إضافة إلى أن السؤال من أوسع أبواب العلم، والذي به تُحازُ الفضائل ويتفاضل الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[(٣)]. وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[(٤)].

قال بعض العلماء لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن لم تنالوا به الدنيا حظًا فلأن يذم الزمان لكم أحب إلى من أن يذم الزمان بكم، ومن لم يفد بالعلم مالاً كسب به جمالاً، ونستعيذ بالله من خِدع الجهل المذلة ونسأل الله العلم النافع[(٥)].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث : "فسأل رسول الله ﷺ: ... فلما ولى دعاه فقال له هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم، قال فأجب". وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة، فهي تجعل المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الأجوبة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[(٦)].

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١٠٨٢.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤٦.

(٦) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢- ٥٩.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والجواب بكثرة في التربية والدعوة وتوجيه المدعوين وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا.

واستخدام أسلوب السؤال والمحاورة يدفع بالمدعو إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وأسلوب السؤال والجواب طريقة لا يمكن أن يكون المدعو فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك(١).

واستخدام أسلوب السؤال والجواب من أسهل الأساليب في إيضاح الأحكام بعرضها عرضًا بسيطًا وسهلاً خاليًا من التعقيد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة(٢)، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصَى ومنها ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رَدِيفُ النبي ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخرَة الرحل فقال: يا معاذُ، قلتُ: لبيكَ يا رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سارَ ساعةً، ثم قال: يا مُعاذ، قلتُ: لبيكَ رسول اللّهِ وسَعدَيكَ، ثم سارَ ساعة، ثم قال: يا معاذَ بن جَبل، قلتُ: لبيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تدري ما حق اللّهِ على عبادِه؟ قلتُ: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق اللّهِ على عبادِهِ أن يَعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيكَ رسول اللّه وسَعدَيك. قال: هل تدري ما حق العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلت: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق العباد على اللّه أن لا يعذبَهم»(٣).

وذكر ابن حجر (من الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه)(٤).

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث النبوي، د. عبدالكريم بكار ص ٣٣٣.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٧.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤١٢/١١.

الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي، الذي يحرك الوجدان، ويهذب السلوك، وينبه إلى أمر عظيم. مثل هذا يقول الرسول ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على إجابة المؤذن والإسراع إلى الصلاة في المسجد:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "هل تسمع النداء ؟ قال نعم، قال فأجب" ، والأذان واجب الإجابة، فالأذان حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل وأعظم لقاء، في أطهر مكان، يدعو الأمة إلى أن تقبل على الله لأداء الصلاة والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[2]. وقد جاء في الحديث التصريح بالأمر بإجابة المؤذن في قوله ﷺ: "فأجب"، قال الشيخ ابن عثيمين: هذا الحديث في بيان وجوب الجماعة وأن تكون في المسجد، فقوله ﷺ للأعمى هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال فأجب" دليل على وجوب صلاة الجماعة ودل ذلك أيضًا على أنها تجب في المسجد[3].

إن الأذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء في أطهر مكان. فهو عبادة تتقدم الصلاة، يتردد صداها في الكون، الله أكبر، فكل ما نتصور أنه كبير، فالله أكبر، فكل شيء دون الله حقير، التجارة، الأموال، المتاع، الدنيا، يا له من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك، ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، فيرتفع ذكره مع كل أذان مقترنًا بذكر الله تعالى، يتردد عبر الأزمان.

يدعو النداء أمة الإسلام أن تقبل على الله لأداء الصلاة، والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٠١.

(٢) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، ١٢٩٩/٢.

وينتهي الأذان معلنًا لكل من شغلته الدنيا وألهته، الله اكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، حتى ينتبه، ويترك كل شيء، ويسعى إلى لقاء الله[١].

كما جاء في صريح الحديث إرشاد النبي ﷺ إلى المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد والمسارعة إليها، وإن كان فيها شيء من التعب خاصة مع أصحاب الأعذار فعندما جاءه الأعمى يسأله أن يرخص له أن يصلي في بيته، قال له رسول الله ﷺ: هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: فأجب"، وفي الرواية الأخرى : أن عبدالله بن أم مكتوم قال: يارسول الله "إن المدينة كثيرة الهوام والسباع"، كثيرة الهوام أى المؤذيات من العقارب والحيات والسباع كالذئاب أو الكلاب[٢]، فقال رسول الله ﷺ تسمع حى على الصلاة، حي على الفلاح، فحي هلا، قال ابن علان: وفي الحديث تأكيد طلب الجماعة واحتمال خفيف التعب في حصولها[٣]، فبالرغم من المشقة التي يلاقيها هذا الصحابي، أمره الرسول ﷺ بإجابة النداء[٤]، فإن الجزاء على قدر المشقة[٥].

---

(١) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤، ٦٥.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٨٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥١.

(٤) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٥.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢/٥٠٦.

الحديث رقم (١٠٦٨)

١٠٦٨- وعن عبدِ اللهِ -وقيل: عَمْرو بن قَيسٍ- المعروف بابن أُمّ مكتوم المؤذن رضي الله عنه أنه قَالَ: يا رَسُول اللهِ، إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ. فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: ((تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّ هلاً)) رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ومعنى (حَيَّ هَلاً): تعال.

ترجمة الراوي:

ابن أم مكتوم: مختلف في اسمه فقيل: عمرو. وقيل: عبدالله. والأكثر: عمرو. وأبوه هو: قيس بن زائدة القرشي. وأم مكتوم هي أمه واسمها عاتكة وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين.

أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأوائل، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا مصعب بن عمير ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن. كان ضريرًا ذهب بصره وهو صغير، وكان مؤذنًا لرسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة حينما يخرج لغزواته، فكان يصلي بالناس ويخطب فيهم، وبلغ استخلاف النبي ﷺ له ثلاث عشرة مرة.

كان شديد الغيرة على رسول الله ﷺ محبًا له، مدافعًا عنه رغم عذره، فقد كانت امرأة يهودية تخدمه ولكنها كانت تسب النبي ﷺ وتقع فيه فقتلها. فرفع الأمر إلى النبي ﷺ فقال هو: أما والله إن كانت لتَرْفُقُني [تخدمني] ولكن آذتني في الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: ((أبعدها الله قد أبطلت دمها))[2].

وقد نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة: قالت عائشة: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، في

---

(١) برقم (٥٥٣). وصحّحه ابن خزيمة (١٤٧٨)، وقال الحاكم (٣٧٥/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٩).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٠٩/٤، وقال محققو السير (٣٦٣/١): رجاله ثقات.

ابن أم مكتوم الأعمى، أتى النبي ﷺ فجعل يقول: يا نبي الله أرشدني قالت: وعند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل النبي ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر. فقال النبي ﷺ: يا فلان أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا. فنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾[1].

وقال زيد بن ثابت: إن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُّها عليَّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت فأنزل الله على رسوله ﴿ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ ﴾[2].

ورغم ذلك لم يرض بالقعود، بل شارك في الفتوحات ونشر دين الله، فقد شارك في موقعة القادسية وقال للمسلمين: ادفعوا إليّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ وأقيموني بين الصفين.

وقد قيل: إنه استشهد بالقادسية. وقيل: إنه رجع إلى المدينة ومات بها. ولم يسمع له بذكر بعد عمر بن الخطاب[3].

غريب الألفاظ:

الهوام: جالمؤذيات من العقارب والحيات[4].

السباع: جميع سَبُع: كل ما له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها كالأسد

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣١) وابن حبان (٥٣٥)، والحاكم (٥١٤/٢) وصححه الألباني. وينظر تفسير ابن كثير (٣١٩/٨-٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٢) والآية رقم ٩٥ من سورة النساء.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٠٥/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٨٠ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٩٩، والسير (٣٦٠/١) والأعلام، خير الدين الزركلي (٨٣/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١١٦٢/٢، ١٤٤٢).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٢.

والذئب[١].

حيَّهلا: تعال[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يدور حول أهمية الصلاة في المسجد، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يؤذن بقوة الاتصال بين المتحاورين في قول ابن أُمّ مكتوم ﷺ (يا رسول الله) وهو نداء تكريم، وتنبيه ولفت إليه لأنه لا يدرك إن كان الرسول ﷺ متوجها إليه أم إلى غيره، وقوله (إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ) جملة مؤكدة بعدة مؤكدات تمهيدا للخبر الذي جاء بدوره تمهيدا لطلبه وذكر الهوام، والدواب لتصوير الأخطار الحاملة على الطلب، وقوله (تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّهلاً) قوله (حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ) كناية عن الآذان، والتعبير بالكناية عنه فيه تذكير بهذا النداء المتكرر على مدار اليوم، والليلة، والتعبير بلفظ (حي) بمعنى أقبل لأن في مدلوله معنى الحياة، وكأنه يقول للسامع أقبل على ما فيه حياة قلبك أو حياة النعيم الدائم كما أن لفظ الصلاة يذكر بالصلة بين العبد، وربه، وهو ما يجعل التعبير النبوي المختار في قمة الدقة في الوفاء بالمعنى المراد، وقوله فَحَيَّهلاً أي: عليك بكذا، أو أدعوك، أو أقبل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب ع).

(٢) رياض الصالحين ٤٠٤.

(٣) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٦٩)

١٠٦٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهمْ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أخالف إلى رجال: آتيهم من خلفهم، أو المعنى: أخالف الفعل الذي أظهرت من إقامة الصلاة وأتركه وأسير إليهم، أو أخالف ظنهم في أني مشغول بالصلاة عن قصدي إليهم. أو معنى أخالف: أتخلف - أي عن الصلاة - إلى قصدي المذكورين[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب القسم الذي يوحي بأهمية الخبر ويعكس انفعال الرسول ﷺ به مع اهتمامه وعنايته، وبتحليل صيغة القسم يتبين ذلك لأن قوله (والذي نفسي بيده) يوحي بالرهبة ويهز الوجدان هزاً عنيفاً إذا تصور روح المقسم كأنها في قبضة المقسم به، وكأنه بذلك يقول: كيف أكذب بما أخبر به وروحي في يد الله؟ والمعنى أن أمر نفوس العباد بيد الله أي بتقديره وتدبيره، وفيه تنبيه على عظم شأنه، والقسم بطبيعته من أساليب الإيقاظ والتنبيه، والتشويق لما بعده؛ لأن المخاطب إذا سمع القسم استشرفت نفسه لما بعده، وتطلعت إليه ؛لأن القسم غالباً ما يتصدر العظائم، وينبئ بمهم يتبعه، فإذا ما تلقى الخبر وقع من نفسه موقعاً حسناً.

قوله: (لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب) جواب القسم وأكده باللام وكلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) واللفظ له، ومسلم (٢٥١/٦٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٨) من رواية مسلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٥٢/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(قد) زيادة في توكيد الخبر ونفياً لأى شك قد يجول بخاطر أحد في صدق الخبر وعزم النبي ﷺ على حرق بيوت المتخلفين عن صلاة الجماعة دون عذر، وقوله: (فيحطب) أى يكسر ليسهل اشتعال النار به، ويحتمل أن يكون أطلق عليه ذلك قبل أن يتصف به تجوزاً بمعنى أنه يتصف به أى على سبيل المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما سيكون، وقوله: (بحطب فيحطب) جناس ناقص حيث اختلف اللفظان في الهيئة دون الصورة، فالأول اسم، والثانى فعل، وهذا الاختلاف يحدث نوعاً من الإثارة للسمع والانتباه مما يحقق اليقظة، ويؤكد المعنى، والمتأمل لأساليب الفصل والوصل في حديث الرسول ﷺ يجد أنها جاءت في منتهى الدقة لتقرير المعنى، وضبط حركة الزمن في الحديث بينما يحقق تقويم الخطأ فقد استخدام الفاء، وثم، وأو، فاستخدام الفاء لإلغاء الزمن بين جملتين للإشارة إلى سرعة تحقق المأمور به، في قوله: (آمر بحطب فيحطب)، وجملة (آمر بالصلاة فيؤذن لها) والفاء ترتب الأحداث بعضها إثر بعض دون مهلة غير أن هذا القول يخالف ما جاء عليه قول الرسول ﷺ (ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها)، حيث تقدم المعطوف عليه في الوجود، فوقعت الفاء في عبارته عاطفة لما هو متقدم على المعطوف عليه حيناً، فالإذن أسبق من الصلاة، وقد عطفه على الصلاة، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [1]، وقد وجَّه الكوفيون القول في ذلك بأن الترتيب لا يلزم فيها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ [2] قالوا: فالبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك، ، وهو في الآية مؤخر عنه. [3] أما البصريون الذين يرون الترتيب معنى لا يتخلف في الفاء فإنهم يؤلون ذلك بأحد وجهين: إما بالتأول في الفعل على سبيل التجوز بالمسبب عن السبب، وإما بالتأول في الترتيب، وجعله ترتيباً لفظياً أطلقوا عليه الترتيب في الإخبار [4]. وقد استخدم الرسول ﷺ (ثم) في الحديث

---

(١) سورة النحل: ٩٨.

(٢) سورة الأعراف: ٤.

(٣) رصف المباني صد ٤٤.

(٤) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم) د. محمد أمين الخضري صـ ١٧ ط/١، مكتبة وهبة: ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

لرصد حركة الزمن، فقد ترك مهلة زمنية بين جمع الحطب، والأمر بالصلاة إشارة إلى المبالغة في جمع الحطب وأنه سيوقد ناراً عظيمة على هؤلاء المتخلفين، وذلك في قوله: (آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة)، وقد جعل حرف العطف (ثم) دليلاً على طول فترة الجمع مبالغة في الإحراق بغرض الترهيب من التخلف عن صلاة الجماعة، أيضاً ترك فترة زمنية بين الآذان، والإقامة في قوله: (فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس).

أيضاً ترك مهلة زمنية بين الصلاة، ومخالفته إلى هؤلاء المخلفين لإعطائهم المهلة اللازمة للحضور، وقطع حجتهم بالتأخير، وحتى يحضر جميع من في نيته الحضور، ولا يبقى إلا من يتعمدون ترك صلاة الجماعة دون عذر، وذلك في قوله: (ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال)، والتقيد بالرجال يخرج النساء، والأطفال.

وتنكير كلمة (رجال) للتقليل لما هو معلوم من حرص الصحابة الكرام على حضور صلاة الجماعة، وقد يكون التنكير للتحقيق لما علم أيضاً من نفاق من كان يتخلف عن الصلاة آنذاك دون عذر كما قال الصحابى في رواية مسلم[1] (لقد رأيتنا، وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه)، والتعبير بصيغة المبالغة (أُحرِّق) يفيد المبالغة، والتكثير ترهيباً من عقاب هؤلاء المحدق بهم، وتعلق الفعل (أحرق) بالجار، والمجرور (عليهم) يشعر بأن العقوبة ليست قاصرة على المال بل المراد تحريق المقصودين، والبيوت تبعاً للقاطنين بها[2].

والمتأمل لأساليب الرسول ﷺ في بيان خطر ترك صلاة الجماعة يجد أنه يحذِّر من تركها، ويشدد على من تخلَّف عنها، ويثمِّن غالياً قيمتها على الفرد والجماعة الأمر الذي دعاه إلى الهم بتحريق المتخلفين عنها ؛ولذلك نجد الأساليب البلاغية للرسول ﷺ في إطار تقويم خطأ ترك صلاة الجماعة تتسم بالثورة، والانفعال حيث بدأت بالقسم، والوعيد، والإنذار بسرعة العقاب، والاتصال في الأحداث عن طريق حروف العطف، وهذا الانفعال، وعلو النبرة في الأساليب يرجع إلى عموم الخطأ وتهاون الناس، وغفلتهم عن أثر صلاة الجماعة على الفرد والأمة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: صلاة الجماعة من سنن الهدي، حديث رقم ٦٥٤.

(٢) ينظر فتح الباري، ابن حجر ٥٦٣/٣

فقه الحديث

انظر فقه الحديثين ١٠٦٥ – ١٠٦٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التهديد والتغليظ لمن تهاون في الصلاة في المساجد.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الأذان.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الإمامة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية، وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، يقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

ويقول عبيدة بن الأبرص:

حلفت بالله إن الله ذو نعم ... لمن يشاء وذو عفو وتصافح[1]

وقد استخدم أسلوب القسم في القرآن كثيرًا وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2]، قال ابن حجر: (وفيه جواز القسم على الأمر الذي لا شك فيه تنبيهًا على عظم شأنه)[3].

---

(١) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

(٣) فتح الباري، ٢/١٥٢.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التهديد والتغليظ لمن تهاون في الصلاة في المساجد:

جاء في الحديث تهديد رسول الله ﷺ وتغليظه في شأن التهاون في حضور الجماعة في المسجد، وهو تهديد ما أشده، فقال ﷺ : "والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن بها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم"، وذلك لما لصلاة الجماعة من أهمية في الإسلام ، ولما لتركها والتخلف عنها من خطورة على تاركها من النفاق وشقائه، روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - عن صلاة الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف"، قال النووي: (وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها)[1].

وبيان أن ترك الجماعات من شيم المنافقين وسماتهم، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ وَالعِشاءِ، وَلو يَعلمونَ ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا»[2]. وروى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما : «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ . أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[3]. ومعنى هذا الترديد أن أحد الأمرين كائن لا محالة إما الانتهاء عن تركها أو الختم[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[5].

أي ما من ثلاثة فما فوقهم في قرية أو بادية لا تقام فيهم صلاة الجماعة[6]،

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٧

(٣) أخرجه ابن ماجه ٧٧٨ ، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤٦٥).

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام المناوي، ٣٩٧/٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٥٤٧ ، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبو داود ٤١٢).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

إلا غلبهم الشيطان واستولى عليهم وحولهم إليه[1]، فعلى الإنسان أن يلتزم بالجماعة، وأن يبتعد عن الفرقة والتشرذم والانفراد حتى ولو في العبادة، فإن الشيطان يتسلط على الخارج عن أهل الجماعة وأهل السنة[2].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الأذان:

أشير إلى الأذان في الحديث في معرض تهديده ﷺ وزجره عن التخلف عن الجماعة في المسجد، فقال ﷺ: "ثم آمره بالصلاة فيؤذن لها"، والأذان من أظهر وسائل الدعوة وأعظمها، فالآذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، فيه الجهر بالدعوة إلى الحق، وإظهار شعائر الإسلام، فهو يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء، في أطهر مكان، وياله من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، يدعو الأذان الأمة أن تقبل على الله لأداء الصلاة والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[3].

وقد شرع الأذان بالمدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة على الأصح للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك[4]، ومنها ما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه: «أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلاَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا بِلاَلُ قُمْ. فَنَادِ بِالصَّلاَةِ»[5].

وكذلك ما روى عبدالله بن زيد قال: «لَمَّا أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ

---

(١) شرح السيوطي على سنن النسائي، ١٠٦/٢، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ٢٦٠.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٥٨/٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٦٠٤، ومسلم، ٣٧٧.

لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ، طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَاعَبْدَ الله أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قال: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قال: أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قال فقال: تَقولُ الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله، أَشْهَدُ أَنْ لا إِله إِلاَّ الله. أَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله، أَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله. حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ. حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. لا إِلهَ إِلاَّ الله. قال: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قال: وتَقولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ الله، أَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله. حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. قَدْ قَامَتْ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ. الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلاَّ الله. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فقال: إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ الله، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ، فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ. قال: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ ويقولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَارسولَ الله لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُرِيَ، فقال رسولُ الله ﷺ: فلله الْحَمْدُ»[1].

رابعًا- من وسائل الدعوة: الإمامة:

أشير إلى الإمامة في الحديث في قوله ﷺ "ثم آمر رجلاً فيؤم الناس" والإمامة من أعظم وسائل الدعوة لما فيها من إظهار شعيرة من شعائر الإسلام، ولما فيها من اجتماع المسلمين لأداء الصلاة متجملة بالنظام والاستماع إلى آيات القرآن، كما أن صلاة المسلمين جماعة وراء إمام فيها من الفوائد ما لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، فالصلاة جماعة وراء إمام يقودها تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة، والإمامة في الصلاة واجتماع المسلمين ورائها لها فضل كبير في سلامة هذا الدين، وسلامة الشريعة الإسلامية، والأوضاع الدينية، وبقائها على ما تركها عليه رسول

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٦).

الله ﷺ[1].

كما أن في الإمامة غرس النظام في نفوس المسلمين واصطباغ حياتهم به، ومن يقرأ النصوص التي ورد فيها ذكر الإمامة يجد ذلك واضحًا فيها أيما إيضاح ومن ذلك:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ ليُؤتَمَّ به، فلا تَختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال سمعَ اللهُ لمن حمِدَه فقولوا ربَّنا لكَ الحمدُ، وإذا سَجدَ فاسجُدُوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جُلوسًا أجمعونَ، وأقيموا الصفَّ في الصلاةِ، فإنَّ إقامةَ الصفِّ مِن حُسنِ الصلاة»[2]، وعن أبي مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ»[3].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث ظاهرًا بينًا حيث رهب النبي ﷺ من التخلف عن الجماعات في المسجد بهمه بتحريق مَنْ هذا شأنهم، فقال ﷺ: "والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمُرَ بالصلاة فيؤذن بها ثم آمُرَ رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم" والترهيب من أشد أساليب الدعوة تأثيرًا في النفس لما فيه من التخويف والتوعد وجذب الناس إلى الخير خوفًا من العقاب[4]، يقول ابن القيم: "في تعريف الترهيب: هو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيرًا من الوقوع في المخالفات"[5].

---

(١) الأركان الأربعة الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، في ضوء الكتاب والسنة، مقارنة مع الديانات الأخرى، أبو الحسن علي الحسني الندوي ص٥٦- ٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٣.

(٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٣٤، ٣٥.

(٥) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، الإمام ابن القيم، مكتبة المتنبي، القاهرة، دون ذكر للطبعة وتاريخها ص ٢٠٢.

وقد استخدم المنهج الإسلامي أسلوب الترهيب وكذلك الترغيب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه ونهى نفسه عن غيها وطغيانها وتارة بالترهيب مما أعده الله تعالى للمفسدين والمنحرفين عن سبل السلام[١]، ومن آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[٢].

لذا ينبغي على الداعية عدم إهمال أسلوب الترهيب في دعوته دونما إفراط أو تفريط.

فإن الإفراط في استخدام الترغيب أو الترهيب قد يعودان بالأثر السلبي، إذ أن الإفراط في الترهيب دون الترغيب يجلب اليأس عند المدعو حيث لا يقرع سمعه إلا العقاب والتهديد، كذلك الإفراط في الترغيب دون الترهيب يدفع إلى التمادي والتراخي وعدم الجدية[٣].

لذا ينبغي على الداعية أن يعتدل في استخدام الترغيب والترهيب وأن يوائم بينهما، فلا يغلب أحدهما دون الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة وحسبما تقتضيه المواقف.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٤.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

(٣) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة الحياة، بيروت، دون ذكر للطبعة والتاريخ ص ١٣٠.

الحديث رقم (١٠٧٠)

١٠٧٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللّهَ تَعَالَى غداً مُسْلِماً، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإنَّ اللّهَ شَرَعَ لِنَبيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وَإنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَوْ أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكم كَمَا يُصلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكُم لَضَلَلْتُمْ[1]، ... وَلَقَدْ رَأيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ في الصَّفِّ. رَوَاهُ مُسلِم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

سنن الهدى: طرائق الهدى والصواب[3].

المتخلف: المتأخر عن صلاة الجماعة، الذي لا يشهدها[4].

يُهَادى: يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما[5].

الشرح الأدبي

التعبير بالسرور من براعة الاستهلال بما يسيطر على النفس الراغبة، ويضمن الانتباه، والإنصات، وقوله (فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ) أمر بأداء

---

(١) عند مسلم زيادة: (وما من رجل يتطهرُ فيحسن الطهور، ثمَّ يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله بكلّ خَطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيّئة).

(٢) برقم (٦٥٤/٢٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

الصلاة على وقتها وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم) جملة مؤكدة بعدة مؤكدات لأنها جاءت لتحقيق الإقناع، وتقديم لفظ الجلالة لتربية المهابة مع ما يفيده من الاختصاص، أو العناية، والاهتمام، والعبارة تقرر أن الأمور استقرت على ما شرع الله لنبيه فليس لأحد أن يخالف فيها، وإضافة النبي ﷺ لكاف الخطاب، وميم الجمع تشعرهم بالانتماء له مما يجعلهم أكثر طاعة له، وقوله (سُنَنَ الهُدَى) أي طرق الهداية في العبادات والعادات وقوله (وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ) أسلوب شرط يربط الصلاة في البيت بترك سنة النبي ﷺ والتشبيه بالمتخلف يقصد منه التنفير من فعله، ثم إن التعبير بالتخلف في إطار الحديث عن الطاعات فيه لون من الذم، والجناس بين (مُنَافِقٌ، والنِّفَاقِ) يؤكد سر التخلف عن الجماعة في السابق أى أنها لم تكن صفة أحد من المؤمنين، و قوله (يهادى بين رجلين) بنَاء الْمَفْعُول أَيْ يُؤْخَذ مِنْ جَانِبَيْهِ يُتَمَشَّى بِهِ إِلَى الْمَسْجِد مِنْ ضَعْفه وَتَمَايُله، وهو كناية عن شدة الضعف مما يعكس شدة حرصهم على حضور الجماعة.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض" هذا دليل ظاهر لصحة ما سبق تأويله في الذين همّ بتحريق بيوتهم أنهم كانوا منافقين)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من حكمة الداعية: استثارة همم وعزائم المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بالمحافظة على الصلاة في المسجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٥/٣، وانظر فقه الحديثين ١٠٦٥- ١٠٦٦ من رياض الصالحين.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٧٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٧١).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من مخالفة سنة النبي ﷺ وترك صلاة الجماعة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في صلاة الجماعة بلقاء الله على الإسلام، وبيان أن صلاة الجماعة من سنن الهدى التي شرعها الله لنبيه ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى الله غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى))، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيرًا في النفوس في الاستجابة إلى الحق وقبوله والثبات عليه، وهو أشد ما يكون نفعًا مع النفوس التي ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور[1]، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[2].

أي يدعون ربهم ويعبدونه خائفين وطامعين، أي من غضبه وطمعًا في رضاه وثوابه، أي هاتان صفتان لهم[3]، والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه[4].

ولما كان الإنسان مفطورًا على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم، كان أسلوب الترغيب له تأثير كبير في تربية الإنسان، وتوجيه سلوكه[5].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩- ٢٠٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢١/٨.

(٤) معالم في التربية، عجيل جاسم النشمي ص ٢٠٨.

(٥) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السعيد الزناتي ص ٦٤٦.

ثانيًا- من حكمة الداعية: استثارة همم وعزائم المدعوين:

إن من حكمة الداعية: استثارة همم المدعوين وتقوية عزائمهم وغرس الفضائل في نفوسهم، ويرشدونهم إلى طرق الهدى والرشد بالجد والجهد، فالعلماء والدعاة رعاة الأمة في تصحيح عقائدها وصيانة دينها، وكل راع مسئول عن رعيتها[1]، ولقد ضرب لنا السلف الصالح أروع المثل في الدعوة وحث المدعوين وتحفيزهم على الانصياع لتعاليم السماء، ومن ذلك ما جاء في حث عبدالله بن مسعود الناس على صلاة الجماعة فقال: "من سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنة الهدى".

وفي ذلك يبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن سبيل السعادة العظمى والسرور الأكبر يوم القيامة والوسيلة إلى حسن الختام هي المحافظة على أداء الصلوات الخمس في جماعة، لأن الجماعة سنة هدى، مخالفتها ضلال وابتعاد عن الطريق القويم، ولقد حافظ الصحابة رضوان الله عليهم على حضور الجماعات رغم كل الظروف حتى إن أحدهم كان يؤتى به وهو مريض مستندًا على ذراعي أخويه من الصحابة[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأمر بالمحافظة على الصلاة في المسجد:

شرعت الصلاة المفروضة بالجماعة، وهي طبيعة الصلاة المشروعة في الإسلام، ووضعها الصحيح، قال تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3]، ولذلك داوم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مداومة شديدة، حتى كأنها جزء من الصلاة، ولم يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في مرضه الذي مات فيه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم من أشد الناس التزامًا بالجماعة والدعوة إليها[4]، ومن ذلك ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من

---

(١) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٦٦- ٧٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٤) الأركان الأربعة، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ٥٤، ٥٥.

سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن"، أى في المكان الذي يعلم بهن للاجتماع لصلاتهن من نحو المساجد[1]، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى" أى طرائق الهدى والصواب[2].

إن في المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد حِكَمًا دقيقة ومصالح عظيمة للمسلمين، منها ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع، والتعارف والتعاون، منها:

أ- أن لاجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلى الرحمات.

ب- التشجيع على العبادة والمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها وإتقانها والإكثار منها وإصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد أو من خلل للإنفراد أو الجهل، وتعلم ما فات من أحكامها وآدابها وأذكارها وقراءتها والتأسي بالعلماء الفقهاء والعباد المخلصين.

ج- أن إخلاص بعض المخلصين وإخباته وخشوعه يؤثر في الجماعة كلها ويوقظ النفوس الخامدة ويحرك الهمم الفاترة، وقد يكون سببًا في قبول عبادة الجميع، والغض عما فيها من ضعف أو خلل أو تقصير وذلك شيء لا يخالف المعقول أو المنقول، فأهل الإخلاص والخشوع قوم لا يشقى بهم جليسهم[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد:

إن الإسلام يدعو إلى الوحدة ونبذ الفرقة، وينادي بالتوحيد والاعتصام بحبل الله المتين، وتنطلق حناجر المؤذنين مدوية في وقت واحد تجهر بنداء الحق، فيجتمع المسلمون خمس مرات كل يوم وليلة في مسجد حيهم[4]، ولم يرخص النبي ﷺ حتى للأعمى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٥،٥٦.

(٤) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢١.

في التخلف عنها، فقال له: "هل تسمع النداء، فقال: نعم، قال فأجب"[١]، وجاء في قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه التحذير الشديد من ترك الجماعات، ببيان أن في ذلك إعراض عن سنة الهدى واتصاف بصفات المنافقين، فقال عن أداء الصلوات في الجماعات في المساجد "فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم، سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق"، أى منافق قد علم نفاقه[٢]، وذلك لأن المنافق لا يرجو ثوابًا ولا يؤمن بالحساب فلا يحضرها وتكون على قلبه ثقلاً لا يستطيع تحمله، خاصة صلاتي العشاء والفجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر"، بخلاف المؤمنين الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٣].

أي وإنها مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين، وقال الضحاك: (وإنها لكبيرة)، قال: "إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطواته المصدقين بوعده ووعيده، المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته"[٤].

نعم إن الصلاة ثقيلة الوقع شديدة الوطء إلا على الخاشعين الذين عمرت قلوبهم بالإيمان فخفت جوارحهم إلى الصلاة بنشاط واطمئنان[٥].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من مخالفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وترك صلاة الجماعة:

جاء في قول عبدالله بن مسعود التحذير من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه أن

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/١.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣٤/١/١.

ذلك الضلال بعينه، فقال رضي الله عنه: "ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم"، يعني لو أن كل واحد صلى في بيته كما صلى هذا المتخلف لتركنا السنة ولتعطلت المساجد، ولا نقطع الناس بعضهم عن بعض، ولما تعارفوا ولا تآلفوا، ولا حصل هذا المظهر العظيم في الدين الإسلامي"[1]، وكما أمر النبي ﷺ بطاعته حذر من الخروج عن سنته ورهب من تركها والإعراض عنها[2]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا : يارسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[3].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «جاءت ملائكة إلى النبيِّ ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إنْ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظان، فقالوا: مثلهُ كمثل رجلُ بَنى دارًا وجَعَلَ فيها مأدُبةً وبَعثَ داعيًا، فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدبة، ومن لم يجبِ الداعيَ لم يدخل الدار ولم يأكل منَ المأدبة. فقالوا: أولوها له يَفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ، فقالوا: فالدارُ الجنة والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاعَ محمدًا فقد أطاعَ اللَّه، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى اللَّه، ومحمدٌ فرَّق بينَ الناس»[4].

قال ابن حجر: (قوله: "فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله" أي: لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة)[5]. ومن أعرض عنه ولم يجبه حُرِم منها وباء بالخيبة والخسران وفوات النعيم.

---

(١) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٣٠١/٢.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ١١٧.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٧٠/١٣.

الحديث رقم (١٠٧١)

١٠٧١ - وفي رواية له[1]: قَالَ: إنّ رَسُول اللهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى؛ وإنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلاَةَ في المَسْجِدِ الَّذي يُؤَذَّنُ فيهِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (٢٥٧/٦٥٤). أوردها المنذري في ترغيبه (٥٧٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٧٢)

١٠٧٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلاَ بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلاَّ قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ[1] بالجَمَاعَةِ[2]، فَإنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَة)) رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[3] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

استحوذ عليهم الشيطان: استولى عليهم وغلبهم[4].

القاصية: البعيدة عن الأغنام[5].

الشرح الأدبي

الحديث يبين قيمة صلاة الجماعة في الحفاظ على الفرد من الشيطان والحديث قائم على أسلوب القصر، وأسلوب الأمر، وأسلوب التشبيه، فالقصر لمعنى وجود الثلاثة في موطن لا يقيمون الصلاة على استحواذ الشيطان عليهم، وهذا الأسلوب يفيد تأكيد سيطرة الشيطان عليهم، وأسلوب القصر بإنما في قوله (فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَة) لقصر أكل الذئب للغنم على القاصية لا يتعداها فيصل إلى التي في جماعة، وأسلوب الأمر المرتب على ما سبق (فعليكم بالجماعة) أي الزموا الجماعة ترغيبا في

---

(١) لفظ أبي داود: (فعليك)، والمثبت لفظ النسائي (٨٤٧)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه (٣٤٩/١، رقم ٦٠٦).

(٢) نقل ابن حبان (٤٥٩/٥) عن السائب بن حُبيش الراوي أنه قال: إنما يعني بالجماعة: جماعة الصلاة.

(٣) برقم (٥٤٧)، وصحَّحه ابن خُزيمة (١٤٧٦)، وابن حبان (الإحسان ٢١٠١)، وقال الحاكم (٢١١/١): هذا حديثٌ صدوق روايته شاهد لما تقدمه، متفق على الاحتجاج برواته، إلا السائب بن حُبيش، وقد عرف من مذهب زائدة أنه لا يحدّث إلا عن الثقات. أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٦).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ز).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٠.

التماس الأمن من الشيطان، وقوله (فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ) أي: المنفردة عن القطيع؛ فإن الشيطان مسلط على مفارق الجماعة. قال الطيبي: هذا من الخطاب العام الذي لا يختص بسامع دون آخر تفخيما للأمر شبه من فارق الجماعة التي يد الله عليهم ثم هلاكه في أودية الضلال المؤدية إلى النار بسبب تسويل الشيطان بشاة منفردة عن القطيع بعيدة عن نظر الراعي ثم تسلط الذئب عليها وجعلها فريسة له مما يوحي بأن الجماعة للمؤمن كالحصن الذي يحتمي به من الشيطان.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (الحديث استدل به على وجوب الأذان والإقامة، لأن الترك الذي هو نوع من استحواذ الشيطان، يجب تجنبه.

وإلى وجوبهما ذهب أكثر العترة وعطاء وأحمد بن حنبل ومالك والإصطخري كذا في البحر ومجاهد والأوزاعي وداود كذا في شرح الترمذي وقد حكى الماوردي عنهم تفصيلاً في ذلك ... وعند الشافعي وأبي حنيفة أنهما سنة ... وروى ابن عبدالبر عن مالك وأصحابه أنهما سنة مؤكدة واجبة على الكفاية. وقال الآخرون: الأذان فرض على الكفاية)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث والتأكيد على صلاة الجماعة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من ترك صلاة الجماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه لترسيخ المعنى في نفس المدعوين.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٧- ٢٤٨، وانظر شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢٤٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٧٢/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٢٥/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٠/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث والتأكيد على صلاة الجماعة:

جاء في صريح الحديث الحث والإرشاد الذي يصل إلى درجة الأمر بأداء الصلاة في جماعة، فقال ﷺ: "فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، أى الزموا الجماعة، فإن الشيطان بعيد عن الجماعة، ويستولى على من فارقها، ويتسلط على الخارج عن الجماعة وأهل السنة [١] فضلاً عما للجماعة من فوائد وعطايا إذ أن لها من الحِكَمِ الدقيقة والمصالح العظيمة للمسلمين، كالوحدة والاجتماع والتعاون والتعارف ولما في اجتماع المسمين راغبين في الله، راجين، راهبين، مسلمين وجوههم إليه من خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمات[٢].

إن صلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، واتفق المسلمون على أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها[٣]، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤].

وقد حث النبي ﷺ عليها، وبين فضلها وعظيم أجرها، فقال ﷺ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ -يُعْنِي الفَرْد- بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[٥]، وقال ﷺ:

---

(١) عون المعبود، الإمام العظيم آبادي ص ٢٨٠.

(٢) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٥٥.

(٣) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ص ٧٥.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٥، ومسلم ٦٥٠.

«صلاةُ الرجلِ في الجماعةِ تُضعَّفُ على صلاتهِ في بيتهِ وفي سُوقهِ خمسًا وعشرينَ ضِعْفًا، وذلكَ أنه إذا تَوضَّأَ فأَحسَنَ الوُضوءَ، ثمَّ خرَجَ إلى المسجدِ لا يُخرِجهُ إلاّ الصلاةُ، لم يَخطُ خُطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجةٌ وَحُطَّ عنه بها خَطيئةٌ. فإذا صلَّى لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليهِ ما دام في مُصَلاَّه...»[1] ... الحديث.

ثانيًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من ترك صلاة الجماعة:

إن من الواجبات المنوطة بالداعية، تحذير مدعويه من ترك صلاة الجماعة إذ أن تركها من دلائل الافتراق والاختلاف، وسبب من أسباب الهلاك[2]، كما نرى ذلك في تحذير النبي ﷺ في الحديث من ترك الجماعة، فقال ﷺ: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان" أى غلبهم وحولهم إليه، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". أى يأكل الشاة البعيدة عن الأغنام لبعدها عن راعيها[3]، لذا كان الأمر بالتزام الجماعة "فعليكم بالجماعة" لما فيها من سر لسلامة الإيمان وسلامة الدين، والانخراط في سلك المؤمنين وفي تركها تعريض النفس لهلاك والضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها[4].

ولقد دلت الأحاديث دلالة صريحة على الترهيب الشديد لمن يتخلف عن صلاة الجماعة، ويكفي في ذلك أن الرسول ﷺ همَّ بأن يحرق على تاركي الجماعات بيوتهم بمعنى أن يعاقبهم بالنار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا. وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ. ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٣٠٢/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٨٠.

(٤) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٨- ٢٩.

بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[١].

ألا فيعلم الذي يتخلف عن أداء الصلاة جماعة في المسجد أنه على خطر عظيم وأنه اقترف ذنبًا كبيرًا لأنه لا يتوعد بالنار إلا لمن ارتكب كبيرة وليعلم أنه أسرف على نفسه بهذه المعصية فكيف سيقابل المولى جل وعلا غدًا يوم القيامة[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه لترسيخ المعنى في نفس المدعوين:

جاء في الحديث ضرب للمثل والتشبيه، حيث شبه النبي ﷺ من فارق الجماعة التي يد الله عليهم أى حفظه وكلاءته، ثم هلاكه في أودية الضلال المؤدية إلى النار بسبب تسويل الشيطان، بالشاة المنفردة عن القطيع البعيدة عن نظر الراعي ثم يسلط الذئب عليها وجعلها فريسة له[٣]، فقال ﷺ: "فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" فضرب الأمثال من وسائل التربية والدعوة التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، [٥]، وكان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهد الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ[٦].

إن ضرب الأمثال يقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبة، بما قد ألفوه وعرفوه، حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، أو تصوير المعاني بصورة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧، ومسلم ٦٥١.

(٢) من فقه السنة، د. فالح الصغير، ٣٣٠.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣٣، ٣٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٥) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٣٢٤.

(٦) التربية النبوية، عثمان قدري ص ٣١، ٣٢.

الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد(١).

كما أن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى(٢).

ومنها: إن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل التربية بنواحيها المختلفة: الروحية والخلقية والاجتماعية والجسدية والعلمية والإيمانية والنفسية(٣).

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما روى عن أبي عثمان قال: «كنتُ معَ سَلْمانَ تحتَ شجرَةٍ اخذَ غُصنًا مِنْها يابِسًا فهَزَّهُ حتَّى تَحاتَّ وَرَقُهُ ثمَّ قالَ: يا أَبا عُثْمان أَلا تَسأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذا؟ قلتُ: ولِمَ تَفْعَلَهُ؟ قال: هكَذا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ وأَنا معَهُ تحتَ شجرةٍ وأَخَذَ مِنْها غُصنًا يابِسًا فهزَّهُ حتّى تَحاتَّ ورَقُهُ، فقالَ: يا سَلْمانُ أَلا تَسأَلُنِي لمَ أَفْعَلُ هَذا؟ قلتُ: ولِمَ تَفعَلُهُ؟ قال: «إِنَّ المسلمَ إِذا توضأ فأَحْسَنَ الوضُوءَ ثمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الخمسَ تَحاتَّتْ خَطاياهُ كما يَتَحاتُّ هَذَا الوَرِقُ»، وقالَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾(٤)»(٥).

---

(١) المصباح المنير، الرازي ص ٦٢٣.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص ٣٢.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٢٣، ٤٢٤.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٥) أخرجه أحمد ٤٣٧/٥، رقم ٢٣٧٠٧، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره ١١١/٣٩.

والفائدة هنا من ضرب المثل أن رسول الله ﷺ استخدم غصن الشجرة كوسيلة إيضاح لذهاب السيئات عن الإنسان المواظب على الوضوء والصلاة وعدم رجوعها إليه كما تتساقط الأوراق اليابسة من غصن الشجرة ثم لا تعود إليه.

وفي هذا تحريك للعواطف والوجدان وإثارة النفس للتخلص من الذنوب والخطايا بإكثار الوضوء والصلاة مما سيتسبب في تقوية الجانب الروحي لدى الفرد[1].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على التزام الجماعة:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في صلاة الجماعة وذلك بذكر فضلها على صلاة الفذّ، وفي هذا إشارة لالتزام الجماعة، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ». فقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لمن لا يلتزم بالجماعة، فإنه يكون عرضةً لأن يكسل أو يفتر أو يصل إلى مرحلة خطيرة كترك الواجبات، نظرًا لتغلب الشيطان عليه واستحواذه عليه، فمثله كمثل الغنم عندما تنفصل عن جماعتها فتكون فريسة سهلة لأن يأكلها الذئب، وفي هذا أبلغ الأساليب لالتزام الجماعة وعدم الانفصال عنها، وعلى ذلك ينبغي أن يربي الناشئة ويغرس هذا في فكرهم وأفعالهم. ومنها: في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة:

أ- المحافظة على قيم الفرد وأخلاقه وسلوكياته، وذلك لأن الجماعة التي تضم الفئات الصالحة من ذوي الأخلاق العظيمة لها توجيه وتأثير تربوي إيجابي يحمل الإنسان على المحافظة على المبادئ والقيم النبيلة. ولذا تجد الالتزام الأخلاقي والاجتماعي منتشرًا بين الجماعات المتماسكة والمترابطة، والمتخلقة بأخلاق الإسلام، والمتمسكة بمبادئه، ولاشك أن محافظة المسلم على صلاة الجماعة تكسبه تربية إيمانية وأخلاقية عالية تزكو بها نفسه، وتسمو بها روحه.

ب- خلق روح التنافس بين أفراد الجماعة، وذلك لأن الفرد لا يحب أن يقصر في الوقت الذي يجدّ فيه غيره، خاصة في مجال الطاعة، ومن ثم فإن المسلم يتربى على المنافسة الشريفة في الطاعات وتحصيل الفضل، ويحاول جاهدًا أن يسعى إلى التخلص من تقصيره.

ج- من الآثار التربوية لالتزام الجماعة، نشرُ روح الودّ والألفة بين أفرادها، وذلك لأن هؤلاء الأفراد يحاولون قدر الطاقة والجهد أن يسع بعضهم بعضًا، كما يطلّعون على أحوال بعضهم بعضًا، فيشاركون إخوانهم في مناسباتهم ويواسونهم في ظروفهم،

ويقومون بحقوق الإخوة الإسلامية. مما يعمق في النفوس روح المودة والمحبة والمواساة، وغير ذلك من المعاني الإيمانية والاجتماعية والأخلاقية التي ينبغي أن تُربى عليها الأجيال، خاصة في هذا الزمان الذي لاذ الناس فيه بالعزلة، حتى أضحى الإنسان غريبًا في مجتمعه، وهذا ما يرفضه الإسلام.

ثانيًا: التربية على الحرص على صلاة الجماعة:

وهذا مستمد من حديث أبي هريرة ﵁: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ ، فَرَخَّصَ لَهُ. فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ». ولما قال ابن أم مكتوم ﵁: «يَا رسولَ الله إِنَّ المَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ... ». يريد أن يأذن له النبي ﷺ بسبب ذلك بأن يصلي في بيته، ولا يصلي في المسجد جماعة، لكن النبي ﷺ سأله عن سماعه النداء بالصلاة، وأمره أن يأتي المسجد عندما أخبره أنه يسمعه، وقد ضرب صحابة النبي ﷺ المثل العالي في الحرص على صلاة الجماعة، فقد كان الرجل منهم، وكما يقول ابن مسعود ﵁: يؤتى به، يهادي بين الرجلين من شدة مرضه وتعبه، ليصلي الجماعة مع الناس، وهذا نوع فريد من التربية على الحفاظ على صلاة الجماعة، ومما يؤكد ذلك عدم ترخيص النبي ﷺ لهذا الرجل الأعمى الذي لا يجد قائدًا، بل أمره بالمجيء إلى المسجد ما دام أنه يسمع النداء، وفي هذا توجيه تربوي لحث المتخاذلين عن صلاة الجماعة مع قدرتهم على حضورها، والتعلل بأعذار واهية، لا تضاهي تلك الحالة التي لم يرخص فيها النبي ﷺ لمن لا يبصر، وليس معه قائد، فمن الأولى والأجدر بالمسلم أن يوطن نفسه على المحافظة على صلاة الجماعة، ويجدر بالقائمين على التربية في البيت ومؤسسات التعليم المختلفة لاسيما مراحله الأولى أن يعملوا على تنشئة الناشئة على المحافظة على صلاة الجماعة.

ثالثًا: التربية بالتهديد:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ فيُحتطب، ثمَّ آمرُ بالصلاةِ فيُؤذَّن لها، ثمَّ آمرُ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالِفُ إِلى رجالٍ

فأُحرِّقُ عليهم بيوتَهم». فالنبي ﷺ قد هدّد المتخلفين عن صلاة الجماعة بأن يحرق عليهم بيوتهم.

قال ابن حجر: "وفي الحديث أيضًا من الفوائد: تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة وسرّه أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأعلى من العقوبة نبه عليه ابن دقيق العيد[1] ... وفيه إشعار بأنه تقدم منه زجرهم عن التخلف بالقول حتى استحقوا التهديد بالفعل، وترجم عليه البخاري في كتاب الأحكام: "باب إخراج أهل المعاصي والريب من البيوت بعد المعرفة"[2]. يريد أن من طلب منهم بحق فاختفى أو امتنع في بيته لددًا أو مطلاً أخرج منه بكل طريق يتوصل إليه بها، كما أراد النبي ﷺ إخراج المتخلفين عن الصلاة بإلقاء النار عليهم في بيوتهم... ولا يلزم من التهديد بالتحريق حصول القتل لا دائمًا ولا غالبًا، لأنه يمكن الفرار منه أو الإخماد له بل حصول المقصود منه من الزجر والإرهاب"[3].

ففي هذا الحديث دعوة للمربين أن يستخدموا التهديد في التربية، وذلك عندما يكون مناسبًا يتوقع أن يؤتى بالنتائج المرجوة؛ ونستطيع أن نذكر للتربية بالتهديد عدة فوائد منها:

أ- بيان قبح الفعل المهدّد عليه وتوضيح شناعته للناشئة، ومن ثم يجتنبونه ولا يفعلونه وإنما يفعلون ما هو مقبول وفاضل.

ب- إقلاع أصحاب الأفعال المهدد عليها عن هذه الأفعال، والتخلي عنها، ومن ثمّ يقع الإصلاح دون عقوبة فعلية، وهذا إن حدث يكون نجاحًا للمربي وتقويمًا طيبًا للمخطئين.

ج- زجر غيرهم عن الاقتداء بهم وعدم الوقوع فيما وقعوا وفعل ما فعلوا.

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٠.

(٢) رقم الحديث ٧٢٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/٥٦٨.

رابعًا: التربية بالمحافظة على السنة في صلاة الجماعة وعدم تركها:

وهذا مستمد من قول ابن مسعود رضي الله عنه: «وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ... وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ»، فقد استخدم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أسلوب الإشارة هذا ليشير إلى من تخلف عن صلاة الجماعة، ليبين لهم خطأه وخطر النتائج المترتبة على ترك صلاة الجماعة[1].

كما ذكر رضي الله عنه أن التخلف عن صلاة الجماعة من أفعال المنافقين وصفاتهم، والمسلم أشد الناس نفورًا عنهم وعن صفاتهم وأفعالهم، والذي جعل ابن مسعود رضي الله عنه يعين هذا المتخلف عن الجماعة، ويشير إليه أمام الناس، خطورة أمر ترك صلاة الجماعة، والتي وضحها بقوله: "لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ"، فالأمر متعلق بالضلال عن طريق الهدى والصلاح، وهذا أمر في غاية الخطورة على المسلم، لذا نبه ابن مسعود رضي الله عنه على هذا الخطأ وعاب من فعله، وفي ذلك استئناس للمربين أن يستحثوا المؤمنين والمؤمنات على المحافظة على السنة في التزام صلاة الجماعة والتحذير من تركها بالتخلف عن الجماعة، نظرًا للفوائد التربوية العظيمة المترتبة على حضور الجماعة في المسجد وما في ذلك من فضائل مكتسبة، واستشعار الالتزام والانسجام مع المسلمين وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم إذا غابوا ومشاركتهم، وإن ترك الجماعة يفوت على المسلم تحصيل هذه الفضائل، ويجعله في عزلة ووحشة، مما يؤدي إلى نفوره من إخوانه، ومن هنا جاءت أهمية التربية على المحافظة على السنة في الحرص على صلاة الجماعة، وعدم التخلف عنها.

❁ ❁ ❁

---

(١) ليس في روايات الحديث التي بين أيدينا أن هناك رجلًا قد تخلف عن الجماعة، فقال ابن مسعود قوله هذا، وإنما كتبنا ما كتبناه بناءً على الاستنباط، وهذا ما يؤيده المعنى والسياق، والله أعلم.

١٩٢- باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء

الحديث رقم (١٠٧٣)

١٠٧٣- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ، يقول: ((**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**)) رواه مُسلِم[(١)].

وفي رواية الترمذيِّ[(٢)] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((**مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفَ لَيلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ**)) قَالَ الترمذيُّ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل صلاة العشاء، والصبح، ويبين عظمة أجرهما، وقوله: (من صلى العشاء في جماعة) أي معهم (فكأنما قام نصف الليل) أي اشتغل بالعبادة إلى نصف الليل، وهو تشبيه لبيان مطلق مقدار الثواب، وتقرير تقارب الأجر (ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) نزل صلاة كل من طرفي الليل منزلة نوافل نصفه، ولا يلزم منه أن يبلغ ثوابه ثواب من قام الليل كله؛ لأن هذا تشبيه في مطلق مقدار الثواب، ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه، ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء، والفجر جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب، وعبر بصلى، ولم يعبر بقام في قوله: (فَكَأنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ) على سبيل المشاكلة لقوله (من صلى الصبح) والتشبيه بكأن يفيد شدة الشبه ترغيبا في هاتين الصلاتين وحثا على استحضار نية تحصيل أجر قيام الليل عند صلاتهما.

---

(١) برقم (٢٦٠/٦٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٨٩).

(٢) برقم (٢٢١). أوردها المنذري في ترغيبه (٥٨٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على طرق الخير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على طرق الخير:

من أهم المهام والواجبات التي أمر الله أن يضطلع بها الأنبياء وأتباعهم التبيين للناس ودلالتهم على طرق الخير والرشاد(١)، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٢). ومن ذلك بيان فضل صلاتي العشاء والفجر في جماعة، والذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث فقال: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما صلى الليل كله"، فينبغي على الدعاة أن يكونوا شديدي الحرص على هداية المدعوين ودلالتهم على طرق الخير، فالدعاة يقومون بأعمال الرسل عليهم السلام، وقد كان النبي ﷺ أكثر الأنبياء شفقة بمن يدعوهم، ولقد كان رسول الله ﷺ وسيظل للمسلمين عمومًا وللدعاة إلى الله خاصة المثل الأعلى والأسوة الحسنة(٣)، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٤).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة:

إن لأداء الصلاة في جماعة، واجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين، مسلمين وجوههم إليه، خاصية وفضلاً كبيراً في نزول البركات وتدلى الرحمات(٥)، ومن ذلك ما أفاض الله على المسلمين في صلاة الفجر والصبح في جماعة من فضل

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٥٥.

كبير وثواب جزيل، فقال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل"، أي بصلاة التهجد، إذ القيام في عرف الشرع عبارة عن ذلك[(١)]، "ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله" أي منضمًا لصلاة العشاء جماعة، إذ بصلاة الصبح جماعة كأنما صلى الليل كله وذلك بانضمام ذلك النصف فكأنه أحيا نصف الليل الأخير[(٢)]. فالعشاء جماعة تساوي ثواب نصف الليل والفجر جماعة يساوي نصف الليل، وهذا فضل عظيم[(٣)]. ولذلك أشار النبي ﷺ إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من حرص عليهما فقال ﷺ ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا"[(٤)].

كما أن في المحافظة على أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة اختتام اليوم وافتتاحه بأعظم الأعمال وهي الصلاة في أعظم الأماكن وأطهرها وهي المساجد.

فإن المسلم إذا صلى العشاء وصلى ما كتب الله له "جلس مطرقًا بين يدي ربه تعالى هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه. فإذا قضى من الاستغفار وطرًا، وكان عليه بعد ليل، اضطجع على شقه الأيمن مجمًا نفسه، مريحًا لها، مقويًا على أداء وظيفة الفرض، فيستقبله نشيطًا بجده وهمته كأنه لم يزل طول ليلته لم يعمل شيئًا؛ فهو يريد أن يستدرك ما فاته في صلاة الفجر، فيصلي السنة ويبتهل إلى الله بينها وبين الفريضة، فإن لذلك الوقت شأنًا يعرفه من عرفه، ويكثر فيه من قول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، فلهذا الذكر في هذا الموطن تأثير عجيب.

ثم ينهض إلى صلاة الصبح قاصدًا الصف الأول عن يمين الإمام أو خلف قفاه، فإن فاته ذلك قصد القرب منه مهما أمكن، فإن للقرب من الإمام تأثيرًا في سر الصلاة، ولهذا القرب تأثير في صلاة الفجر خاصة يعرفه من عرف قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٥٣٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ٢/١٣٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٧، ومسلم ٢٥٢.

﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[١]، قيل: يشهده الله عز وجل وملائكته، وقيل: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء البدل عند صعود أولئك فيجتمعون في صلاة الفجر، وذلك لأنها هي أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل فيشهده ملائكة الليل والنهار، واحتج لهذا القول بما في الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ صَلاَةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلاَةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ» يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في جلاء ووضوح، حيث رغب النبي ﷺ في أداء صلاتي الصبح والعشاء في جماعة ببيان أن فضل الصلاة منهما ما يضاهي ثواب قيام نصف الليل، فقال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله"، ومعنى هذا الحديث محمول على الرواية الأخرى للترمذي"، من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة فحمل الحديث الأول، رواية مسلم، على الحديث الثاني، رواية الترمذي[٣]، وفي ذلك الترغيب القوي للمسلم للحرص على أداء صلاتي العشاء والفجر في الجماعة وكذلك باقي الصلوات، فلا ينبغي للمسلم أن يدعها إلا لعذر قوي ولا يشغلنه عنها لعبة أو أكلة ولا يتساهل في حق الله كما لا يقصر في حق نفسه، فإن الإنسان إذا ناداه عظيم لبى نداءه، وهرول نحوه لتنفيذ إشارته، فما بالنا بنداء الله تعالى، ينادي عباده ويثنى النداء حي على الصلاة حي على الفلاح، فأحرى بالمسلم أن يعدو إلى التشرف بلقاء الله والتلذذ بمناجاته واللجوء إليه[٤].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٥.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٥٤.

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، فإن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[1].

(١) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٠٧٤)

١٠٧٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيهِ[١]. وقد سبق بطولِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العَتَمة: صلاةُ العشاء[٢].

حَبْوًا: زحفًا، كما يزحف الصبيُّ الصغير[٣].

الشرح الأدبي

التعبير بالعتمة كناية عن صلاة العشاء لاشتداد الظلمة في وقته وقول الرسول ﷺ (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ) معناه أنهم لم يعلموا ما فيهما من الفضل فلم يأتوا، وهذا مفهوم من مدلول (لو) وهي شرطية تعلق الإتيان على الصفة المذكورة على العلم، وقوله (لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) كناية عن عظمة الأجر وشدة الحرص عليه، والتعبير بالحبو مبالغة في اتخاذ الوسائل الموصلة وتحمل المشاق، والافتراض الذي افترضه الرسول ﷺ يرغب في المحافظة على هاتين الصلاتين.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤) واللفظ له، ومسلم (١٢٩/٤٣٧)، وتقدم برقم (١٠٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب و).

(٤) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٠٣٤).

الحديث رقم (١٠٧٥)

١٠٧٥– وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ صَلاَةٌ أثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المنافقون: جمع منافق: الذي يظهر إيمانه ويكتم كُفره [2].

حَبْوًا: زحفًا، كما يزحف الصبيُّ الصغير[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين علاقة المحافظة على صلاة الفجر، والعشاء بالإيمان فكلما كان المؤمن أكثر إيمانا كان أكثر حفاظا عليهما، وكلما ابتعد عن الإيمان كلما قصر فيهما، وقد جعل الرسول ﷺ من المحافظة على صلاة الفجر، والعشاء علامة على الإيمان، والتثاقل عنهما علامة نفاق، وقد جاء هذا المعنى في ثوب النفي (لَيْسَ صَلاَةٌ أثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ) والتعبير بالثقل يوحي بكراهة في نفوسهم منبعها هذا النفاق الذي سكن قلوبهم فتثاقلت عن الصلاة أبدانهم، وقول الرسول ﷺ (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً) لو حرف امتناع لامتناع ومعناه امتناع الإتيان عل هذه الصفة لامتناع العلم بما فيهما وقوله (لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً) كناية عن عظيم الأجر الذي يجعل حتى المنافق يحرص على تحصيله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢/٦٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٥٩٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب و).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان طبيعة المنافقين واستثقالهم لصلاة العشاء والصبح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث والترغيب في حضور صلاتي العشاء والصبح..

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الكناية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان طبيعة المنافقين واستثقالهم لصلاة العشاء والصبح:

إن المنافق يراءى بعمله ولا يقصد به وجه الله، لذا فليس عنده من الدافع إلى الإتيان بالأعمال الصالحة وإن جاء بها فإنما يأتي بها عن كسل وتثاقل وكما وصف الله المنافقين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. يقومون للصلاة على كسل وهذه صفة ظواهرهم، ثم ذكر صفة بواطنهم الفاسدة فقال: "يراءون الناس"، أى لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الصلاة تقية من الناس ومصانعة لهم، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون غالبًا فيها كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح وفي وقت الغلس[2]. كما جاء في الحديث: "ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء"، قال ابن حجر: "ودل هذا على أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين، وإنما كانت العشاء والفجر أثقل عليهم من غيرهما لقوة الداعي إلى تركهما، لأن العشاء وقت السكون والراحة والصبح وقت لذة النوم[3].

إن المنافقين لجهلهم، وقلة علمهم، وسوء تقديرهم، يفعلون ما يفعل المخادع حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والله سبحانه فاعل بهم ما يفعله المخادع حيث أجرى

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٨/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٦٦/٢.

عليهم الأحكام العامة التي عصموا بها دماءهم وأموالهم، وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار، في الحقيقة الله لا يخادع فإنه العالم بالسر وأخفى فقيل إن المراد يخادعون رسول الله والمؤمنين، وإنما آثر القرآن هذا التعبير ليسجل عليهم عظيم جرمهم وليشير إلى أن من يخادعه يخادع الله.

وقال بعضهم إنهم يخادعون الله يوم القيامة حيث يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة وسائرين على الطريق ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[(١)]، والله خادعهم حيث يستدرجهم في طغيانهم ويبعدهم عن الحق والنور ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[(٢)].

ولا غرابة في ذلك فهاهم أولاء المنافقون مع أشرف الأعمال وأفضلها وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنه لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا هم يعقلون معناها!.

وأما قلوبهم ففاسدة، ونواياهم سيئة يفعلون بلا إخلاص، ولا يعاملون الله ولكن يعاملون الناس، ألا تراهم يراءون في كل عمل، ويستخفون من الناس والله معهم.

وإذا قاموا إلى الصلاة خشية من الناس بالطبع لا يذكرون الله إلا قليلا، وهم لعنهم الله مضطربون دائمًا بين الإيمان والكفر ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾[(٣)]، وتراهم مرة مع المؤمنين في الظاهر وأخرى مع الكفار في الباطن، فهم لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، وحقيقة مَنِ اللهُ يضله ولا يوفقه، فلن تجد له سبيلاً إلى الخير والسداد[(٤)].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٤/٥/١، ٧٥.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث والترغيب في حضور صلاتي العشاء والصبح:

جاء في صريح الحديث بيان فضل أداء صلاتي العشاء والفجر في جماعة، والحث على حضورهما، فقال ﷺ: ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا" قال القاضي عياض: (وفي ذلك تحضيض على شهود هاتين الصلاتين في الجماعة وعظم الأجر فيهما لشدتهما على النفس وأنهما طرفًا أوان نومها وغلبة سنات أجفانها وراحة بدنها ومخالفة لمن يثقل ذلك عليه من المنافقين وأشباههم من البطلة المتهاونين والمحبين للدعة من المبادرة للنوم والراحة من تعب كدح اليوم الأول ليلهم، واستلذاذ الدفء وإغفاؤه الفجر آخره)[1]. ، قال ابن حجر: (هذا الحديث دال على فضل صلاة العشاء والفجر، ولو يعلم الناس ما فيهما من مزيد الفضل لأتوهما -أي إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد- ولو حبوًا يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير)[2]. وقال النووي: (وفي ذلك الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين والفضل الكثير في ذلك لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره، ولهذا كانت أثقل الصلاة على المنافقين)[3]، فإن هاتين ثوابهما المرتب عليهما يخفف عنه ألم معاناتهما[4] وفي ذلك حث على تحمل المشاق والتعب بغية مضاعفة الثواب ومحو الذنوب ورفع الدرجات[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الكناية:

ورد أسلوب الكناية في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا"، وذلك كناية عن الاهتمام بأداء صلاتي العشاء والفجر في الجماعة بالمسجد فقوله: "ولو حبوا" أي لا يمنعه عن الصلاة شيء حتى وإن أعيا عن المشي فيذهب حبوًا يقال: حبا البعير إذا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٢/ ٣٥٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ج٢/١٦٥- ١٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٦.

(٥) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٢.

برك ثم زحف عن الإعياء وحبا الصبي إذا زحف على إليتيه ويطلق على الحيوان يمشي على يديه وركبتيه أو إسته[١]، واستعمال الكناية في الدعوة إلى الله من الدوافع التي تحرك العواطف والوجدان مما ينتج عن ذلك تحريك الإرادة ودفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات[٢].

إن الكناية من أساليب الدعوة المجدية، وهي مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيها برهانها.

كما أن من أسباب بلاغة الكناية: أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات[٣].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢/١٨٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٢٣.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ص ١٥٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على استدراك ما قد يفوت:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة. وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». وفي رواية الترمذي: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاء فِي جَمَاعةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاء والفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ». فإذا كان المسلم يرغب في قيام الليل لما في ذلك من تحصيل الفضل الجزيل الذي أعدّه الله لمن قام بالليل والناس نيام، إذا كان المسلم يرغب في ذلك، فإنه في بعض الأحيان قد لا يتمكن من قيام الليل، مما يفوّت عليه هذا الأجر، فدلّه النبي ﷺ على ما يستطيع به استدراكه وتحصيله، وهو صلاة العشاء والفجر في جماعة، لذا فإنه يحرص أشد الحرص على أدائهما في جماعة، حتى يحصل فضل الجماعة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يستدرك ما قد يفوته من قيام الليل إن لم يفعله.

والخلاصة أنه يمكن الاستئناس بهذا الحديث للتربية على استدراك ما قد يفوت، وفي هذا المقام يمكن ذكر حديث النبي ﷺ كذلك، أنه قال لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بثُلُثَ الْقُرآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ» «ثُلُثَ الْقُرآنِ»[1].

وعلى ذلك فإن التربية على استدراك ما قد يفوت فيها عدة فوائد منها:

أ- التربية على فعل الأفضل والأحسن والجمع بين الأفعال الفاضلة إذا تيسر ذلك، وإلا حاول من توجه إليه التربية أن يفعل ما يمكنه من استدراك ما فاته لأي سبب من الأسباب، وفي هذا تحصيل للخير ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2].

ب- مراعاة الأحوال والطبائع البشرية التي يعرض لها ما يجعلها لا تحصل ما تريده من الخير، فيكون المجال واسعًا أمامها للاستدراك.

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠١٥، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

ثانيًا: التربية بذكر أفعال المخالفين:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ والعِشاء، ولَو يَعلمونَ ما فيهما لأتَوهما ولو حَبْوًا». فقد ذكر النبي ﷺ من صفات المنافقين أن أثقل الصلوات عليهم صلاتا الفجر والعشاء، مع أنهم لو علموا بفضل هاتين الصلاتين في جماعة لأتوا إليهما بكل طريق ممكنة، ولوا اقتضى الأمر أن يكون ذلك حبوًا. ولاشك أن من استمع إلى هذا الحديث من المسلمين فَهِم منه فضل صلاتي الفجر والعشاء في جماعة، كما فَهِم كره المنافقين لحضور هاتين الصلاتين، ومن ثم يستقر في ذهنه أنه ينبغي أن يحافظ عليهما في جماعة قدر جهده وطاقته، حتى لا يفعل فعلاً من أفعال المنافقين، وهو أشد الناس كرهًا لهم، ونفورًا منهم.

والمقصود أن هذا الحديث يستدل به على التربية بذكر أفعال المخالفين، وهذا مستقر عليه بين المربين وشائع فيما بينهم، فنجد الأب والمعلم والداعية والواعظ يستخدمونه استخدامًا ليس بالقليل، فنجد المعلم مثلاً يذكر أن من صفات الطلاب الفاشلين الكسل والتهاون وتأجيل الواجبات عن مواعيدها، وتضييع الأوقات فيما لا يفيد، والانشغال بما يعطل ويعوّق عن التحصيل الدراسي ونحو ذلك، وهو إذ يفعل ذلك يربي طلبته على نقيض هذه الصفات، وهي صفات الطلبة المتفوقين المجدين الممتازين، وهكذا الحال في شتى أحوال التربية ونواحيها.

والتربية بذكر أفعال المخالفين فيه عدة فوائد تربوية منها:

١ - التنفير من هذه الأفعال وجعل سد منيع بينها وبين الناشئة فلا يقتحمونها ولا يحومون حولها.

٢ - دفع الناشئة لأن يفعلوا الصفات الطيبة والأفعال الحميدة التي تركها هؤلاء المخالفون وراء ظهورهم، واتبعوا السيئ من الأفعال والأقوال.

٣ - لفت الانتباه بطريق غير مباشر إلى الاقتداء بأهل الأفعال المحمودة والخصال الطيبة.

ثالثًا: التربية بالتوجيه:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة.

وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». فقد وجّه النبي ﷺ أتباعه إلى المحافظة على صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة، كما أن في ذلك توجيهًا غير مباشر إلى قيام الليل، والترغيب فيه، وعلى ذلك ينبغي أن يوجه المربي من يربيهم إلى ما ينفعهم ويصلح أحوالهم، يقول النووي في ذلك: "وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية، ويعوده الصيانة في جميع أموره الكامنة والجلية، فأول ذلك أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأن يكون دائمًا على ذلك حتى الممات، ويعرفه أن بذلك تنفتح عليه أبواب المعارف، وينشرح صدره وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في حاله وعلمه، ويوفق للإصابة في قوله وفعله وحكمه. ويزهده في الدنيا ويصرفه عن التعلق بها، والركون إليها، والاغترار بها، ويذكره أنها فانية، والآخرة آتية باقية، والتأهب للباقي، والإعراض عن الفاني، هو طريق الحازمين ودأب عباد الله الصالحين.

وينبغي أن يرغبه في العلم، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء، وأنهم ورثة الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ولا رتبة في الوجود أعلى من هذه"(١).

رابعًا: التربية على علو الهمة في العبادة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا"، فالنبي ﷺ رغب في صلاة العشاء والصبح جماعة، وذلك لفضلهما العميم، ولو اقتضى ذلك أن يأتيهما المصلي حبوًا كالطفل لا يستطيع إلا ذلك، وفي ذلك تربية للأتباع على علو الهمة ومغادرة مواطن الراحة لتحصيل معالي الأمور، قال ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء"(٢)، وقال كذلك: "فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت

---

(١) مقدمة المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، ٧٣/١، وانظر المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦٠.

أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل"[1].

"وإنما تعلو قيمة المرء وتسمو مكانته بقدر نصيبه من علو الهمة، ذلك أن علو الهمة يستلزم الجدّ والإباء، ونشدان المعالي وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنايا والصغائر ومحقرات الأمور.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد"[2].



(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢/ ٢٢٤.

(٢) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧ ومرجعه.

١٩٣- باب الأمر بالمحافظة عَلَى الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ

قال الله تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة: ٥].

الحديث رقم (١٠٧٦)

١٠٧٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رَسُول اللهِ ﷺ أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الوَالِدَيْنِ)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهو ما كان يسعى إليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قام المعنى في الحديث على أسلوب الحوار الذي أداره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله (أي العمل أفضل؟) وهو استفهام على حقيقته، والسؤال عن أفضل الأعمال مما اختلفت فيه أجوبة الرسول ﷺ لاخْتِلافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ بِأَنْ أَعْلَمَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَة، أَوْ بِمَا هُوَ لائِقٌ بِهِمْ، أَوْ كَانَ الاخْتِلاف بِاخْتِلافِ الأَوْقَاتِ بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ كَانَ الْجِهَاد فِي اِبْتِدَاءِ الإِسْلامِ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ؛ لأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَدَائِهَا، وَقَدْ تَضَافَرَتْ النُّصُوص عَلَى أَنَّ الصَّلاةَ أَفْضَل مِنْ الصَّدَقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي وَقْتِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥/١٣٧) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٣١٢)، وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٧).

مُوَاسَاةِ الْمُضْطَرِّ تَكُونُ الصَّدَقَةُ أَفْضَلَ، أَوْ أَنَّ " أَفْضَلَ " لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا بَلْ الْمُرَاد بِهَا الْفَضْل الْمُطْلَق، أَوْ الْمُرَاد مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ فَحُذِفَتْ (مِنْ) وَهِيَ مُرَادَة، وقوله (الصلاة على وقتها) لأن الله ربطها بزمان محدد، وفي المسارعة إظهار لمعانٍ متعددة، كالطاعة، والشوق للقائه، ومحبته، وقوله: (ثم أي) فيه حذف يستلزمه الشوق إلى المزيد وتقديره: ثم أي الأعمال أفضل؟، فجاء في المرتبة الثانية بر الوالدين لعظيم فضلهما، فقد قدم الصلاة؛ لأنها حق الله، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد؛ لأن الحاجة إليه ليست في كل وقت، كالصلاة، وبر الوالدين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٢).

الحديث رقم (١٠٧٧)

١٠٧٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ : ((بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاء الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[2].

وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوى بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٠٨)، و (١٢٧٣).

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور ص ١٩٠.

رَسُولُ اللّٰهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ الْبَيْتِ) و (ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

قال ابن رجب الحنبلي: (والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه وقد خرّجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، ولفظه "بني الإسلام على خمس دعائم" فذكره، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا ثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا يتنقص بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله، وقد جاء في رواية ذكرها البخاري تعليقًا "بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله"[1]، وذكر بقية الحديث، وفي رواية لمسلم: "على خمس: على أن يوحّد الله"[2] وفي رواية له "على أن يعبد الله ويكفر بما دونه"[3] وبهذا يعلم أن الإيمان بالله ورسوله داخل في ضمن الإسلام)[4].

---

(١) صحيح البخاري ٤٥١٤.

(٢) صحيح مسلم ١٦، ١٩.

(٣) صحيح مسلم ١٦، ٢٠.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٤٤/١ - ١٤٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: المجاز.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أركان الإسلام الخمسة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بأركان الإسلام.

رابعًا: من موضوعات الداعية: أثر الالتزام بأركان الإسلام في اكتساب الأخلاق.

خامسًا: من فقه الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: المجاز:

ورد أسلوب المجاز في الحديث في قوله ﷺ: "بني الإسلام على خمس" قال ابن علان: "واستعمال البناء الموضوع للمحسوسات في المعاني مجاز علاقته المشابهة، شبه الإسلام ببناء عظيم محكم وأركانه الآتية، إقام الصلاة ...، بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء، وقال الكازوروني: وفي الحديث استعارة تمثيلية شبهت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيم على خمسة أعمدة، فقطبها التي تدور عليه الأركان الشهادة، وبقية شعبه بمنزلة الأوتاد، فتكون مغايرته لهذه الأركان كمغايرة الخباء للأعمدة"[(١)].

فالحديث كسائر أحاديثه ﷺ من جوامع كلمه، وفيه أسلوب التمثيل إذ مثل الإسلام بخباء (خيمة) ذي أعمدة وأطناب، أو ببناء محكم له أركان كما أشار إلى ذلك الإمام المناوي[(٢)]، وهذا التمثيل له أثره التصويري الدعوي والتربوي، إذ أنه يبقى ماثلاً في الذهن محفوظًا، سهل النقل سريع التنبيه والتذكير للخاصة والعامة، ويفعل في الإدراك بأكثر من وسيلة، وذلك من البلاغة، التي ينبغي على الدعاة أن يتذوقوها ويعرفوا أصولها ويتدربوا عليها ويمارسوها في مجالات الدعوة ضمن المأذون لهم شرعًا، ليكون تأثيرهم في جماهير الناس أعمق وأوسع، وذلك من الحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٥٧.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣/١٨٥ - ٢٠٨.

اللتين أمر الله بهما في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[١]، [٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان أركان الإسلام الخمسة:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لأركان الإسلام فقال ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان، وهو قائم لا ينتقص بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين[٣].

فنجد أن الرسول ﷺ في هذا الحديث ذكر أركان الإسلام العملية وهي الخمسة المذكورة، وقد أفردها دون غيرها؛ لأنها الأعمال التي تلزم كل مسلم دون استثناء فمنها ما يدخل به الإسلام ويستمر به فيه كالشهادتين دون تحديد وقت، ومنها ما يمارسه يوميًا خمس مرات وهي الصلاة، ومنها ما هو عبادة سنوية وهو صوم رمضان، ومنه ما يجب عند وجود المال المعين كالزكاة، ومنها ما يجب في العمر مرة إذا توفرت الاستطاعة وهو الحج.

قال ابن عبدالبر: (قال الله عز وجل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً ....الآية﴾[٤]. يعني شبابًا وشيوخًا، وقال: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ...الآية﴾ إلى

---

(١) سورة النحل، الآية : ١٢٥.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٤٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤١.

قوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]. فثبت فرضه - أي الجهاد - إلا أنه على الكفاية لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾[٢]، وعلى هذا جمهور العلماء، ودليل ذلك قوله ﷺ ((بني الإسلام على خمس))ليس فيها ذكر الجهاد؛ لأنها - أي الخمس - متعينة على المرء في خاصته) أ.هـ[٣].

وقال ابن عبدالبر في موضع آخر من التمهيد: (ذكر ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة بن شريح عن بكير بن عمرو المعافري أن بكير بن الأشج حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر، فقال: يا أبا عبدالرحمن، ما حملك على الحج عامًا وتقيم عامًا، وتترك الجهاد في سبيل الله، وقد علمت ما رغب الله فيه، فقال: يا ابن أخي، بني الإسلام على خمس: إيمان الله ورسله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت ... وعلى هذا أكثر العلماء أن أعمدة الدين التي بني عليها خمس على ما في خبر ابن عمر هذا إلا أنه جاء عن حذيفة خبر يخالف ظاهره خبر ابن عمر هذا في الإسلام، رواه شعبة وغيره عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: الإسلام ثمانية أسهم: الشهادة سهم، والصلاة سهم، الزكاة سهم، وحج البيت سهم، وصوم رمضان سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له). أ هـ[٤].

وقد عبر بالأسهم وليس بالبناء؛ لأنه دخل في المجموع أمور غير الخمس، ثم وضح الفرق ابن عبدالبر، فقال: وقد ذكرنا فرض الجهاد وما يتعين منه على كل مكلف، وما منه فرض على الكفاية، وأنه لا يجري مجرى الصلاة والصوم.

ومؤدى كلام ابن عبدالبر أن هذه الخمس ملازمة للمسلم لازمة الوجوب، أما مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فواجب في أحوال دون أحوال.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٠٤/١٨.

(٤) المرجع السابق ١٦٠/١٦.

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بأركان الإسلام:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لأركان الإسلام الذي لا يكتمل إلا بها فقال ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". فالإسلام بناء قوي محكم، شرعه الله عز وجل لعباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١]، هذه الدعائم وهذه الأعمدة الخمسة التي أقيم عليها الإسلام والتي بينها رسول الله ﷺ ومعلوم أن الأعمدة أساس البنيان، وأنه إذا فقدت الأعمدة تداعى البنيان وانهدم[٢]، لذا وجب على المسلم الالتزام والإذعان الكامل لأركان الإسلام وعدم التهاون في شيء منها خاصة الشهادتين اللتين بهما عصمة الدم والمال، كما قال ﷺ: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتّى يقولوا لا إله إلاّ اللّهُ، فمن قالها فقد عَصَمَ مني مالَهُ ونَفْسَهُ إلاّ بحقّهِ، وحِسابهُ على اللّه»[٣].

رابعًا – من موضوعات الداعية: أثر الالتزام بأركان الإسلام في اكتساب الأخلاق:

هذا الحديث يركز على أسس الإسلام، ومن أبرز ثمارها الأخلاقية أن الشهادتين كلما تكررتا ربطتا المسلم بالله وبرسوله، فذكر الله طرد للغفلة واستشعار لإلهيته وعظمته ورقابته، فينتج عن ذلك الخوف منه ورجاؤه والاستقامة على دينه، وذكر الرسول ﷺ استحضار لمنهجه ومثاليته وسموه، فينتج عن ذلك الاقتداء به والأخذ بهديه والالتزام بسنته والصلاة والسلام عليه، وقياس كل الزعامات بمعيار اتباعه. ومعنى ذلك أن ذكر الشهادتين فيهما إيقاظ للقلوب وتقويم للسلوك، ولذلك اعتبرت الشهادتان أفضل الذكر كما وردت بذلك النصوص. وأما الصلاة فهي الصلة بين العبد وربه، وهي أفعال وأقوال تعني الخضوع والخشوع والمناجاة، ولجوء العبد المحتاج إلى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري، ١٣٩٩، ومسلم، ٢٠.

الخالق الصمد الغني، ونتائج الصلاة الخاشعة ظاهرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[٢]. وأما الزكاة، فهي تطهير للنفوس من رذيلتي البخل والشح، وهما من أبرز أسباب الصراع لدى البشرية على حطام الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]، والزكاة تطهير وتزكية سنوية، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٤].

وأما الصوم فهو تقوية للإرادة، وبناء للصبر، ولذلك سمي رمضان شهر الصبر، وهو تحرر من العادات والشهوات المباحة فضلاً عن المرحمة، وضبط للأعصاب والجوارح وفي الحديث المتفق عليه، الذي روي عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيامُ جُنَّة، فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ. وإنِ امرُؤٌ قاتَلَهُ أو شاتَمَهُ فلْيَقُلْ: إني صائمٌ - مرَّتين - والذي نفسي بيدِهِ لَخُلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْك، يَترُكُ طَعامَهُ وشَرابَهُ وشَهْوتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أجْزي به، والحسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها»[٥].

وأما الحج، فهو رحلة إلى الله وتعويد للنفوس لتحمل المشاق والاغتراب وفراق الأهل والوطن مرضاة لله، وهو إلزام للنفس بالاستسلام للفرائض التي فرضها الله، ولو لم تظهر أسرارها للعقل كعدد مرات الطواف وكتكرار رمي الجمار....الخ.

وحَسْبُ العاقل أنه يمارس العبودية استسلامًا لأمر الله بالإضافة إلى الجوانب الأخرى التي يتشابه فيها الحج مع الصوم في بناء الصبر وضبط الأعصاب والتحرر من

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٩٤.

السلبيات، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[1]. والجوانب التي يشبه فيها الحج والزكاة، فالحج نفقات وتطهير من الشح، ولذلك كانت أركان الإسلام مدرسة ملازمة للمسلم تبني في نفسه فيما تبني مكارم الأخلاق وتتعاهد باستمرار.

خامسًا - من فقه الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن في بيان رسول الله ﷺ في الحديث لأركانه الإسلام ودعائمه في قوله: "بني الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله ..." أنموذجًا تطبيقيًا ومثلاً حيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من قيامه ببيان الحقائق، وذلك واجب شرعي أوجبه الله على الأنبياء وأتباعهم الدعاة، أن يوضحوا للناس الحقائق ولا يكتمونها[2]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

قال القاسمي: (أي لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوته ﷺ. وفي قوله تعالى: "وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ" من النهي عن الكتمان، بعد الأمر بالبيان، مبالغة في المأمور به.

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق، وتجنب كتمانه، فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك مما يجب إظهاره. وقد تقدم هذا، وإن المراد بذلك إذا لم يؤد إلى مفسدة. ويدخل في الكتم منع الكتب المنطوية على علم الدين حيث تعذر الأخذ إلا منها[4].

فكفى بذلك دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢١٧/٤/٢.

استجلاب لمسارِّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتلقيه مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن يُنْسب إليه غيرهم[1].

(١) الكشاف، الزمخشري ص ٢١٠.

الحديث رقم (١٠٧٨)

١٠٧٨ - وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)) متفقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يبين منزلة أركان الإسلام، وأنها عصمة للإنسان ماله، ودمه، ويبين قيمة الصلاة باعتبارها من أهم أركان الإسلام، وقول الرسول ﷺ (أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) يؤكد أن قتال الرسول لهؤلاء أمر علوي فوق تقدير الرسول ﷺ من تقدير خالقه، و (ال) في الناس للجنس فتشمل كل من يتصدى للدعوة، ويمنع عن غيره النور بل العدل أن يصل النور إلى الجميع فيختار كل منهم ما يشاء، وقد جعل الله لرسوله في قتاله غاية ينتهي إليه أشار إليها بقوله (حَتَّى يَشْهَدُوا...) وأسلوب الشرط (فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) يقرر أن عصمتهم مرهونة بدخولهم الإسلام، وتطبيقهم أركانه، وقوله (إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ) احتراس يخرج الأخذ بحد من حدود الله من الحكم السابق، وقوله: (وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ) تكميل بلاغي يفيد أخذه إياهم بما ظهر له منهم، وترك علم الباطن على الله لأنه العالم به.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦)، وتقدم برقم (٣٩٠)، وسيأتي برقم (١٢١١).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٩٠).

الحديث رقم (١٠٧٩)

١٠٧٩- وعن معاذٍ ﷺ، قَالَ: بَعثنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإنْ هُمْ أطاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

كرائم أموالهم: جمع كريمة: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها[2].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل درسا تربويا في فنون التعليم يقوم على فهم طبيعة المتعلم التي تكشف كثيرا من أبعاد شخصيته، ومداخلها، وكيفية التأثير فيها، فبدأ حديثه بالتوكيد لتعظيم الأمر في نفس معاذ ﷺ، وإشعاره بجلال الأمر؛ لأنه صار رسول رسول الله ﷺ قال له: (إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ) ثم استخدم الأمر الحقيقي في قوله (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وهو تنقية للعقيدة لما حصل من خلط فيها عندهم، وبناء لها على أساس صحيح بالإيمان بالله، ورسوله، وجملة الشرط التي تكررت بعد كل مرحلة من مراحل التعليم تشير إلى ترتب كل نتيجة على سابقتها

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩/٢٩) واللفظ له، وتقدم برقم (٢٠٨)، وسيأتي برقم ١٢١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر م).

كما تشير إلى التدرج في التعليم حتى لا يمل المتعلم، ثُمَّ إن الْحَدِيث لَيْسَ مَسُوقًا لِتَفَاصِيل الشَّرَائِع بَلْ لِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَة إِلَى الشَّرَائِع إِجْمَالاً وَأَمَّا تَفَاصِيلهَا فَذَاكَ أَمْر مُفَوَّض إِلَى مَعْرِفَة مُعَاذ رضي الله عنه فَتَرْك ذِكْر الصَّوْم، وَالْحَجّ لا يَضُرّ كَمَا لا يَضُرّ تَفَاصِيل الصَّلاة، وَالزَّكَاة، والطباق بين الأغنياء، والفقراء (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق التكافل بين الناس، والمحبة، وقوله (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ) إياك أسلوب تحذير يقوم على الإيجاز الخاطف الذي يقذف الخوف من المحذر منه في نفس السامع، وكرائم الأموال كناية عن أفضل أنواع الأموال لديهم، وفيه بعد نفسي برعاية طبيعة النفس المجبولة على حب المال؛ لأن أخذ الأفضل قد يوغر الصدر، ويحمل على عدم إخراج الزكاة، وقوله (واتق دعوة المظلوم) أمر بغرض التحذير وهو من المجاز بإطلاق المسبب، وإرادة السبب أرِيد بِهِ اِتَّقِ الظُّلْم خَوْفًا مِنْ دَعْوَة الْمَظْلُوم عَلَيْك، والتعبير بالمجاز يريه العاقبة التي يؤل إليها الظلم ليقلع عنه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٠٨).

الحديث رقم (١٠٨٠)

١٠٨٠ - وعن جابرٍ رضي الله عنه ، قال: سمعت رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكفر، تَرْكَ الصَّلاَةِ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

والمتأمل لأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغي في هذا الحديث يجد أنه صلى الله عليه وسلم بدأ حديثه بأسلوب خبرى يتسم بالهدوء، والثقة اللذين يشعران المخاطب بأن الخبر مما لا ينكر لذلك ساق الرسول صلى الله عليه وسلم خبره سوق الواثق الذي لا يقابل بإنكار، ذلك أن المعنى واضح وضوح الشمس راسخ رسوخ الجبال لا يقبل الشك تعظيماً لأهمية الصلاة، وأنها عماد الدين تاركها تاركه، ولذلك لم يؤكد خبره بأى مؤكد إشارة إلى أن الخبر من الظهور بحيث لا يتأتى لمنكر أن ينكره، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) تشبيه ضمنى يجعل الصلاة بمثابة سور حاجز للمسلم عن خطر عظيم مهلك هو الشرك والكفر مما يبين ويؤكد أهمية الصلاة على دين المسلم ويغرس في النفوس أن تارك الصلاة أزال ستار الإيمان وصار وجهاً لوجه في الشرك، والكفر خارجاً عن نطاق الإيمان، والجمع بين الكفر والشرك من مراعاة النظير وهو الجمع بين الشيء ونظيره وقد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله، والكفر أعم، وعطف الكفر على الشرك من عطف المفردات لوجود الجهة الجامعة بينهما، وهي التماثل مع قصد التشريك في الحكم، والجمع بينهما يوحي بعظم الذنب الذي يترك صاحبه بين خطرين عظيمين كلاهما شر مستطير، والصلاة هي الحاجز عن هذين الخطرين فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه.

---

(١) برقم (١٣٤/٨٢). أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٥).

فقه الحديث

قال النووي: (وأما تارك الصلاة فإن كان منكر لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه.

وإن كان تَرْكُه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه:

فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن، لكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وبه قال عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي.

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي - رحمهما الله - أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي.

احتج من قال بكفره بظاهر الحديث: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يقتل، بحديث "لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث..."[1] وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يفكر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2]، وبقوله ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة))[3] و((ومن

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٤٨، ١١٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٧، ومسلم ٩٤.

مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة))[(١)] و((لا يلقى الله تعالى عبد بهما غير شاكٍ فيحجب عن الجنة))[(٢)] و((حرم الله على النار من قال: لا إله إلا الله))[(٣)] وغير ذلك.

واحتجوا على قتله بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾[(٤)]، وقوله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم))[(٥)] وتأولوا قوله ﷺ: "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة" على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر، وهي القتل أو أنه محمول على المستحلّ أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر أو أن فعله فعل الكفار، والله أعلم)[(٦)].

المضامين الدعوية[(٧)]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يحقن دماء المنافقين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً – من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن بين الرجل"، وأسلوب

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣/٢٦.

(٢) أخرج مسلم ٤٥/٢٧ بنحوه.

(٣) أخرجه مسلم ٤٧/٢٩ بنحوه.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ٢١/١٦ بنحوه.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/٢/٦١ - ٦٢، وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٤٥ - ١٤٩، الحديث الثالث، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩ - ٢١١.

(٧) هذه المضامين الدعوية تشمل هذا الحديث - ١٠٨٠- والحديثين التاليين (١٠٨١، ١٠٨٢).

التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يوحي من تيقن الداعي من دعوته، وزيادة التأكيد والتقرير لما يدعو إليه مما يجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[(١)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يحقن دماء المنافقين:

صرح النبي ﷺ في الحديث بما يحقن دماء المنافقين، فقال: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة"، أي: أن العهد الذي بيننا وبين المنافقين الصلاة، بمعنى أنها الموجبة لحقن دمائهم كالعهد في حق المعاهدين، فالعمدة في إجراء أحكام الإسلام على المنافقين تشبههم بالمسلمين في حضور صلاتهم ولزوم جماعتهم وانقيادهم للأحكام الظاهرة[(٢)].

وصرح النبي ﷺ في الحديث بكفر من ترك الصلاة، فقال ﷺ: (فمن تركها فقد كفر)، قال ابن عثيمين: (فهذا الحديث فيه تحذير من إضاعة الصلاة ودليل على كفر تارك الصلاة)[(٣)]، وقد ساق ابن القيم في كتابه "كتاب الصلاة وحكم تاركها" أدلة القائلين بتكفير تارك الصلاة والقائلين بنقيض ذلك فلينظر[(٤)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها:

التحذير من ترك الصلاة وردت فيه نصوص من الكتاب والسنة بلغت حدًا في الكثرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣١٣/٢.

(٤) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، ص ٢٣ - ٥٤.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٩.

قال ابن جريج: "سمعت عطاء بن أبي رباح يقول: هي الصلاة المكتوبة، وقال الحسن: جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله"[(١)]، ولقد أمر المدعوين بالصلاة وعدم التهاون بها أو تركها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[(٣)]، وبيَّن أن ذلك مورد من موارد التهلكة والعذاب، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[(٤)].

إن خطورة ترك الصلاة تؤدي إلى التفريط والإهمال في العبادات الأخرى، قال ابن كثير: (وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع، لأنها عماد الدين وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًا: أي خسارًا يوم القيامة)[(٥)].

ومن السنة ما جاء في الحديث من بيان خطورة ترك الصلاة، فقال ﷺ: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)، قال النووي: "ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة، أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه"[(٦)].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[(٧)]، إن القرآن الكريم يصور لنا حال أهل النار، عندما يسألون عن سبب ما هم من عذاب، قال الله تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٩/١٨/٩، وكتاب: الصلاة وحكم تاركها، ابن القيم ص ٤٢.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٣/٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٤.

(٧) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1].

فالصلاة أول عمل كفر به أولئك المكذبون، وأول ما يندمون على تضييعه يوم القيامة، روي عن يحيى بن يعمر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه...))[2].

ولما للصلاة من الفضل العظيم بعد الشهادتين، كانت آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أمته قبل وفاته، روي عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال وهو في الموت: ((الصَّلاةُ الصَّلاةُ وما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ))[3].

والصلاة هي آخر ما يفقد من الدين فإن ضاعت ضاع الدين، كما جاء في الحديث: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)، لذا ينبغي على المسلم أن يحرص على أداء الصلاة في أوقاتها وألا يتكاسل أو يسهو عنها، فقد رهّب القرآن من حال الذين يلهون حتى يضيع الوقت وتفوت الصلاة.

وروي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: ((مَنْ حافَظَ عَلَيْها كانَتْ لَهُ نُورًا وبُرْهَانًا ونَجاةً يومَ القيامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْها لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولا بُرْهَانٌ ولاَ نَجاةٌ، وكانَ يومَ القيامَةِ معَ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ))[4]، قال ابن القيم: "وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفرة، وفيه نكتة بديعة وهو أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ - ٤٨.

(٢) أخرجه أحمد ٦٥/٤، رقم ١٦٦١٤، والحديث قال عنه محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد ١٦٠/٢٧).

(٣) أخرجه أحمد ٣٢١/٦، رقم ٢٦٧٢٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح لغيره ٣١٥/٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٦، وقال محققو المسند: حديث إسناده حسن ١٤٢/١١.

رئاسته أو تجارته، فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغله عنها رئاسة أو وزارة فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيّ بن خلف"[١].

جاء في صريح حديث الباب التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها فقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)، قال ابن علان: (لا يخفى ما فيه من تعظيم شأن الصلاة والحث على فضلها والحض على ملازمتها)[٢].

وكذلك ما ورد عن الصحابة من تكفير معظمهم لتارك الصلاة فعن شقيق بن عبدالله التابعي، قال: "كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة"، قال ابن علان والمراد معظمهم وذلك لما ورد من خلاف في حكم تارك الصلاة"[٣]، وظاهر قول شقيق بن عبدالله يدل على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون أن ترك الصلاة كفر، وقال الطيبي: (يفيد ذلك أن ترك الصلاة عندهم كان من أعظم الوزر وأقرب من الكفر)[٤].

إن في الصلاة سرًا لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى والبقاء في حظيرة الإسلام والانخراط في سلك المؤمنين، لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد ضرب بعض العارفين لذلك مثلاً عظيمًا فقال: "كانت لأحد الأغنياء الحكماء حديقة غنّاء، ولما حضرته الوفاة، دعا ابنه وقال له: أوصيك بالمحافظة على هذه الحديقة، وعلى ما فيها من أشجار وأزهار، ونباتات وحشائش، فلا تُقص منها شيئًا استغناءًا عنه أو زهدًا فيه، فإنها كلها تقوم على حكم غامضة، وفوائد مستورة، ولما مات الرجل وآل الأمر إلى ولده، رأى أن نباتًا قد ذوي وأصبح حشيشًا لا رائحة ولا غناء فيه، ورأى أنه يشغل

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٦/٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢١٥/٢.

مكانًا من غير جدوى، ويسيء إلى الحديقة وجمالها ومنظرها، فاقتلع الجرثومة، فما لبث أن دخلتها حية سوداء فلدغت سيدها فمات من ساعته، وعلم الناس أن الجرثومة كانت وقاية عن الحيّات أو الأفاعي والحشرات السامة فلا تدخل حديقة فيها هذه الجرثومة.

كذلك من ترك الصلاة، واستغنى عنها، اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها ،وكانت قطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة والخير الكثير، فقد عرض نفسه للهلاك، وأعماله للحبط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها"[1].

ومن ثم فلا يليق بمسلم موحد يخشى ربه، ويرجو ثوابه، أن يضيع الصلاة بحال من الأحوال، بل ينبغي أن يسعى جاهدًا لإقامتها تامة محققًا ما فيها من الخشوع والخضوع لله، متجردًا من كل مغريات الحياة وفتنها، ولا يأتي عملاً ولا يقول قولاً من شأن الصلاة إلا وهو مقبل على الله بقلبه وروحه وجسده، عندئذ هنيئًا له الفلاح، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2] "[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث حيث رهّب النبي ﷺ من ترك الصلاة ببيان أن ذلك إباحة لما عصم بالإسلام من دم وغيره وأن ذلك من مداخل الكفر والإشراك بالله تعالى، فقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

(وفي ذلك لون من أشد ألوان الترهيب ففي الحديث بيّن النبي ﷺ: أن الصلاة

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٢٦ - ٢٧.

هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، فمن اتصف بصفة الإسلام وصلى فقد أوجد الحاجز بينه وبين الكفر، فلا يتطرق إليه الاتصاف به ومن اتصف بها ولم يصل لم يوجد حاجز بينه وبين الاتصاف بالكفر، ولا شك أنه إن استحل تركها كان كافرًا بلا شك، وأن تركها طريق إلى الكفر وابتعاد عن الإسلام)[١].

قال ابن القيم: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريقة الحكمة.

والقابل الذي عنده غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يُجادل بالتي هي أحسن)[٢].

والترهيب أهم الأساليب الدعوية وهو أحد ركني الموعظة الحسنة، يقول ابن القيم: "والعظة: هي الأمر والنهي، المعروف بالترغيب والترهيب"[٣]، وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٤][٥]، والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والمواعظ لأن من طبع النفس النسيان والغفلة، لذلك فإن الترهيب يصبح نوعًا من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص، ووقوع في الرذائل والآثام[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٧.

(٢) التفسير القيم ص ٣٤٤.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٤٤٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٧٠.

(٦) نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي ص ٢٠٨.

الحديث رقم (١٠٨١)

١٠٨١- وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((العَهْدُ الَّذي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)) رواه التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨٦).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يبين أهمية الصلاة للفرد، وأنها الحاجز بين الكفر، والإسلام، وقوله (العهد) أي الميثاق، والمقصود الْعَمَل الَّذي أَخَذَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِ الْعَهْد، وَالْمِيثَاق مِنْ الْمُسْلِمِين، وَقَدْ بَايَعَهُمْ ﷺ عَلَى الصَّلَوَات، وَذَلِكَ مِنْ عَهْد اللَّه تَعَالَى، والطباق بين الظرفين (بيننا، وبينهم) يقرر افتراق الناس إلى أهل حق، وأهل باطل، وأسلوب الشرط يجعل بين ترك الصلاة، والكفر تلازما عكسيا بحيث إذا وجدت الصلاة انتفى الكفر، وإذا انتفت الصلاة وجد الكفر، والتعبير بالترك يشعر بالإهمال، وعدم المبالاة الذي آل به إلى هذا المصير، وهو ترهيب بليغ من ترك الصلاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٢٥). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٤٥٤)، وقال الحاكم (٧/١): هذا حديث صحيحٌ الإسناد ولا تعرف له علةٌ بوجه من الوجوه، أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٦).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٨٢)

١٠٨٢- وعن شقيق بن عبدِ الله[1] التَّابعيِّ المتفق عَلَى جَلاَلَتِهِ رَحِمهُ اللهُ، قَالَ: كَانَ أصْحَابُ محَمَّدٍ ﷺ لا يَـرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُـهُ كُفْـرٌ غَيْـرَ الصَّلاَةِ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[2] في كِتابِ الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

هو: عبدالله بن شقيق العقيلي، هكذا ذكره الترمذي ٢٦٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٨١٧، وابن تيمية الجدّ في المنتقى ٤٠٢، وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ١٤٧/١ ط الرسالة، وغيرهم.

وقد ترجم له المزي في تهذيب الكمال فذكر من روى عنهم، فذكر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وأبي هريرة وعائشة أم المؤمنين.

وقد ذكر المزي الأقوال التي قيلت في تعديله وتوثيقه، منها:

قال محمد بن سعد: كان ثقة في الحديث وروى أحاديث صالحة، وقال أحمد بن حنبل: ثقة.

وقال يحيى بن معين: ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه وذكر ابن حجر قول الجريري: كان عبدالله بن شقيق مجاب الدعوة كانت تمرّ به السحابة فيقول: اللهم لا تجوز كذا وكذا حتى تمطر، فلاتجوز ذلك الموضع حتى تمطر

أما وفاته فقيل إنها كانت سنة ١٠٨ وقيل مات بعد المائة[3].

---

(١) هكذا هنا، والصواب: (عبد الله بن شقيق). وعلى الصواب في الترغيب للمنذري.

(٢) برقم (٢٦٢٢)، وقال الحاكم (٧/١): صحيحٌ على شرطهما. وقال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي (٣٨٣/١): إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٨).

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٢/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥٣/٢- ٣٥٤، وتقريب التقريب ٤٢٢/١، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف.

الشرح الأدبي

الحديث كسابقيه في المضمون، وهو الترهيب من ترك الصلاة مع اختلاف في الأسلوب، وقول التابعي: (كَانَ أَصْحَابُ محَمَّدٍ ﷺ) يشير إلى أن ذلك كان حكمهم الغالب على تارك الصلاة، ونسبة الأصحاب إلى الاسم الحبيب الظاهر (محمد) فيه تخصيص، وتشريف، وذكر الاسم الظاهر دون الصفة للتلذذ بذكره الذي يعكس الشوق إليه، وقوله: (لا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ) الرؤية هنا بمعنى الاعتقاد، والظن أي لا يعتقدون، وتنكير (شيئا) في سياق النفي يفيد العموم وقوله: (تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ) يؤكد كفر تارك الصلاة بما نقل التابعي من اعتقاد الصحابة في حكم تارك الصلاة.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٣- مع المضامين الدعوية للحديث (١٠٨٠، ١٠٨١).

الحديث رقم (١٠٨٣)

١٠٨٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((إنَّ أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُ عز وجل: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِن تَطَوّعٍ، فَيُكَمَّلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أعْمَالِهِ[1] عَلَى هَذَا)) رواه التِّرمِذِيُّ[2]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وأنجح: أي فاز وظفر بمطلوبه[3].

سائر عمله: باقي عمله[4].

الشرح الأدبي

البداية بالخبر المؤكد طرقة على سمع المخاطب تزلزل الغفلة، وتنبه إلى العناية بالخبر، وأفعل التفضيل تحقق التشويق، وتنبه إلى بلوغ المفضل النهاية صعودا في الصفة، أو انخفاضا، وذكر الحساب يوحي بالترقب والرهبة، وارتباطه بالظرف يوم، وإضافته للقيامة تصعِّد الرهبة لما هو معروف من هول اليوم، وأسلوب الشرط في قوله

---

(١) لفظ الترمذي: (عمله).

(٢) برقم (٤١٣). وقال الحاكم (١/٣٩٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال القاضي الرباعي في فتح الغفار (١/١٨٤): رواه الخمسة وأبوداود بإسناد لا بأس به، والنسائي بإسناد رجاله رجال الصحيح، وصحّحه ابن القطان.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٧٠٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤١١.

(فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) أسلوب شرط يربط عاقبة عمل العبد بعاقبة صلاته من حيث قبولها أو عدمه، ويؤكده الطباق بين أفلح، وخاب، والطباق بين أنجح، وخسر، وتوضح الفارق بين العاقبتين حتى ينظر كل عاقل في صلاته ثم رغبه في النوافل يتخذها كرصيد احتياطي يستكمل به نقص ما افترضه الله عليه عن طريق أسلوب الأمر مع الاستفهام المحكي في قوله: (قَالَ الرَّبُّ - عز وجل -: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي من تطوّعٍ) والأمر انظروا بمعنى تأملوا، ودققوا، وابحثوا، وقوله: هل لعبدي من تطوع؟ استفهام إشادة وتكريم؛ لأنه يعكس اهتمام ربه بنجاته، وإضافة العبد لياء المتكلم تشريف لهذا العبد، والتعبير بلفظ تطوع يشير إلى السماحة، والمطاوعة في نفس العبد الذي أتى تلك النوافل دون فرض، ولا إلزام بل محبة لربه، وتقربا فقربه بها من الجنة جزاءً من جنس عمله.

فقه الحديث

قال النووي: (ينبغي لكل أحد المحافظة على النوافل والإكثار منها لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته..." الحديث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الإكثار من النوافل.

رابعًا: من أهداف الدعوة: بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/ ٢٧٨.

القيامة)، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إشعار المدعو بصدق وجدية ما يلقى على مسامعه، مما يجعل الدعوة تحوز في قلب المدعو على القبول والتسليم، ولأهمية التوكيد كثر وروده في القرآن الكريم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة:

إن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ لأن لها منزلة كبيرة في الإسلام، لا تصل إليها أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وتأتي منزلتها بعد الشهادتين لتكون دليلاً على صحة الاعتقاد وسلامته، وتتقدم الصلاة على جميع الأركان بعد الشهادتين لمكانتها وعظيم شأنها[3].

ومن دلائل عظمة الصلاة وعلو شأنها، ما جاء في الحديث من بيان أنها أول الأعمال التي يسأل عنها العبد يوم القيامة، فقال ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته)، أي: الصلاة المفروضة[4]، لذا جاء التأكيد البالغ على أدائها في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[5]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ١٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٨/١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٦) سورة المنافقون، آية: ٩.

"والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالمنافقين، الذين يغترون بالأموال والأولاد، ويشتغلون بتدبيرها ورعايتها عن ذكر الله وعبادته"[١].

إن الصلاة هي الفيصل السلوكي الأساسي بين المؤمن والكافر، كما أن الشهادتين هي الفيصل الاعتقادي بين المسلم وغير المسلم، وليس لأحد - كائنًا من كان - أن يترك عماد الدين تحت أي مقولة من المقولات، فهذا الترك في هذه الحالة المتفلسفة كفر، وكما يقول علامة الهند الشيخ أبو الحسن الندوي: "فإن من ترك الصلاة، واستغنى عنها، اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قنطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة والخير الكثير، فقد عرض نفسه للهلاك، وأعماله للإحباط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها.

إن الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة والاطراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل. فالمسلم في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: ((وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))[٢]، وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: ((يا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا))[٣].

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢٨/٤٥.

(٢) أخرجه النسائي، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٦٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

وكان هذا شأن الصحابة ﷺ، وكان حنينهم إلى الصلاة وإيثارهم لها على كل ما حبب إلى النفس البشرية، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، وقد روى مسلم عن جابر ﷺ قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا (إلى أن قال): وقالوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[1].

والعجيب في أمر الصلاة أن كلا من الجسم والعقل والقلب ممثل في الصلاة، وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظامًا رتيبًا خشبيًا جامدًا، لا روح فيه، ولا حياة، ولا نظامًا عسكريًا، لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب، ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيمًا، عادلاً، فللجسم قيام،وركوع وسجود، وانتصاب وانحناء، وللسان تلاوة وتسبيح، وللعقل تفكر وتدبر،وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة والتذاذ.

وقد أعطى الله تعالى في كتابه المحكم كلا نصيبه فقال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3]، وكل ذلك من أعمال الجسد. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[4]، وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[5]، والخشوع من أعمال القلب. وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[6]، والخوف والطمع من

(١) أخرجه مسلم ٣٠٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٦) سورة السجدة، آية: ١٦.

أعمال القلب"[١].

وهكذا - كما نفهم من كلام الشيخ الندوي - فإن الصلاة هي روح العبادة، وبدونها تنعدم الصلة بالله، بل إن الصلاة هي خلاصة الإسلام كما نفهم من الكلام السابق، ولهذا كانت الفيصل الواضح بين المؤمن والكافر[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الإكثار من النوافل:

تأتي أهمية النوافل والإكثار منها في جبرها ما نقص من الفرائض أو فسد منها كما جاء ذلك في صريح الحديث فقال ﷺ: (فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع)، أي في صحيفته سنة أو نافلة من صلاة على ما هو ظاهر من السياق قبل الفرض أو بعده أو مطلقًا، فإن فضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم[٣]، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا، أي سائر أعماله من صوم وحج ونحوهما، وفي ذلك حض على إكثار النوافل لتكون جابرة لخلل الفرائض الذي لا يخلو منه إلا الفذ النادر[٤]، وهذه النوافل منها ما هو غير تابع للصلاة المكتوبة، كصلاة الكسوف والخسوف، ومنها ما هو تابع للصلاة المكتوبة كالنوافل القبلية والبعدية كالسنة الراتبة، والتي جاءت في الحديث: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلاَّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. أَوْ إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ))[٥][٦].

لقد كان من فضل الله تعالى أنه سبحانه شرع لكل عبادة أوجبها عبادة تطوعية من جنسها، يكمل بها المؤمن ما قد يقع له من نقص في العبادة الواجبة[٧].

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩ - ٣١.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر مجموعة من العلماء ١/٢٥٧ - ٢٥٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٧٠٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦١.

(٥) أخرجه مسلم ٧٢٨.

(٦) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٧) فقه السنة الميسر، د. عبدالله المطلق ص ١٧٩.

كما أن التطوع بالنوافل من أهم الطرق الموصلة إلى حب الله سبحانه وتعالى، لذا سن الرسول ﷺ صلاة النوافل لتحقيق الاتصال الأسمى بالله سبحانه وتعالى.

إن العبادات فرائض ونوافل تقوي صلة العبد بره، وبفضل الله تعالى ثم هذه الصلة الطاهرة الهادفة، يشعر العبد في نفسه بقوة روحية عظيمة، فيعيش قوى الإرادة، تقيّ الضمير، متمتعًا بقوة كافية لمواجهة الشدائد وللتغلب على الصعاب.

ومن فوائد النوافل أنها تجبر الفرائض، فمثلاً الصلاة نوافلها تجبر نقص الصلوات المفروضة، وتعين العبد على إتمام الخشوع والخضوع في الصلوات المفروضة، ومن هذه النوافل: السنن التابعة للفرائض، وصلاة الضحى وصلاة الليل والوتر وسنة الوضوء، وتحية المسجد وغير ذلك[1].

رابعًا - من أهداف الدعوة: بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة:

إن من أهداف الدعوة التي ينبغي أن توجه إليها أفئدة المدعوين، وأن يجعلها الدعاة نصب أعينهم، بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة، وفي الحديث صورة لتلك الصور، فيقول ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا)، وفي معرفة تلك الصور وهذه الحقائق مدعاة إلى الاجتهاد في فعل الطاعات، التي تقربه إلى رب الأرض والسماوات، ويمتنع عن كل ما يغضب ربه مهما كان، وكلما ازداد المؤمن من فعل الطاعات، ازداد شوقًا إلى الجنات ويحن إليها، وذلك ما يجعله دائمًا حريصًا على الطاعة[2].

وفي القرآن نجد توضيحًا وتحفيزًا متكررًا وعَرْضًا متعدد الوجوه لأحداث القيامة، وربط مباشر وغير مباشر بأحوال الإنسان وأعماله وتوجيهاته واستعداداته لتلك الأحداث

---

(١) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر موعة من العلماء ٢٧٥/١ - ٢٧٦.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٨٥.

والتحولات[١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٢].

إن وقوف الإنسان وعلمه بيوم القيامة وما فيه من مواقف وحقائق ومشاهد، يؤصل ويعمق في قلبه الإيمان بالغيب، ومنه يوم القيامة والاستعداد له.

وإيمان الإنسان بذلك واستحضاره له أكبر الأثر في حياة الأفراد والمجتمعات، ومن أوجه ذلك:

أ - صيانة الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والتمزق والانشغال بما تخلق له، وما لم توهب القدرة للإحاطة به.

ب - طمأنينة النفس واستقرارها وعدم تعريض النفس والعقل للبلبلة والاضطراب والضلال، عند محاولة تفسير الغيب وأسرار الكون من خلال التصورات المحدودة.

ج - إن في النفس الإنسانية جانبًا لا يملؤه إلا الإيمان مهما بلغ الإنسان تقدمًا في جانب الحضارة المادية، فالسعادة هي في طمأنينة النفس واستقرارها، وليست في حضارتها المادية المجردة.

د - إن الإيمان بالغيب يبعث على العمل والنشاط في جميع أوجه الحياة، فيسعى المؤمن لإقامة موازين العدل في الأرض، ويصبر على متاعب الحياة، طلبًا لما عند الله من الأجر والثواب في الدار الآخرة[٣].

---

(١) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٣) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٢٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على ترتيب الأعمال:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، منها حديث ابن مسعود ﷺ وسؤاله النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، وإخبار النبي ﷺ له بأفضلها ثم أفضلها، كما أن النبي ﷺ رتب الأعمال التي يفعلها معاذ ﷺ مع أهل اليمن، فطلب منه دعوتهم إلى الشهادتين، فإن فعلوا ذلك أخبرهم بالصلوات المفروضة الخمس، فإن أدوها أخبرهم بالزكاة الواجبة عليهم، كما أخبر النبي ﷺ أن أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، فإذا كانت صالحة فاز ونجح وإلا أصابه الخسران والحسرة. وفي هذا بيان لأهمية الصلاة وأولوية المحافظة عليها وتقديمها على غيرها من الأعمال.

وبناء على ما سبق كانت هذه تربية على ترتيب الأعمال حسب فضلها ودرجتها وقيمتها. وعلى ذلك فإنه ينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم على ترتيب الأعمال وأدائها حسب رتبتها، فلا يُقَدِّم مهمًا على أهم، ولا مفضولاً على فاضل، ولا يفعل ما هو أشد ضررًا ويترك ما هو أقل ضررًا إذا تحتم فعل أحد الأمرين، "فإن كمية الوقت المتاح لكل فرد ثابتة لا تتغير، وإن اختلاف إنتاج البشر يكمن في الاستعمال الأحكم لأوقاتهم، لكن الأعباء ومتطلبات الحياة قد تتكاثر على الفرد، بحيث يصعب إنجاز كل شيء في ذلك الوقت المتاح، عندها يتوجب العمل حسب الأولويات، ذلك لأنّه عندما تقرر القيام بعمل معيّن خلال وقت ما، فأنت تقرر أيضًا عدم القيام بأعمال أخرى خلال هذا الوقت نفسه، لذلك من الحكمة أن يستثمر الوقت في المهام ذات الأولوية دون غيرها"[1].

ثانيًا: الاهتمام بالأسس التربوية:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه،

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ٣٦٩، ٣٧٠.

وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». فقد بيّن ﷺ أسس الإسلام وأركانه التي لا يكون هناك إسلام بدونها، ولذا قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دماءَهُم وأموالَهُم إلاّ بحَقِّ الإسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه»، كما اقتصر ﷺ على بيان أسس الإسلام عندما وجه معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، ولا يعني ذلك أنه ﷺ أهمل الجوانب الأخرى كالأخلاق والمعاملات ونحو ذلك، فهذا لا يكون أبدًا منه ﷺ، بل اقتصر النبي ﷺ على تلك الأسس لأن المقام يقتضي ذلك، فإذا تمكنت هذه الأسس من نفوس الناشئة وغيرهم كانت معدة لاستقبال مكملات الإسلام والتلبس بها كالأخلاق الفاضلة والمعاملات الطيبة، وما شابه ذلك.

والخلاصة أنه على المربين أن يغرسوا في نفوس من يربونهم الأسس والمبادئ التربوية المهمة أولاً، التي بدونها لا تؤتى التربية ثمارها ولا نتائجها المرجوة، فإذا نجحوا في ذلك انتقلوا إلى مرحلة أخرى: مرحلة استكمال الفضائل والآداب الجميلة.

ونستطيع من خلال هذه الأحاديث أن نجمل أسس التربية الإسلامية، وهي:

١ - إفراد الله بالوحدانية والعبادة وإخلاص العمل لوجهه سبحانه وتعالى.

٢ - الإيمان بمحمد ﷺ رسولاً من عند رب العالمين، ووجوب متابعته فيما جاء به والاقتداء به.

٣ - القيام بالواجب من العبادات: الصلاة والزكاة والحج والصوم.

وقالت د. هدى على جواد الشمري عن أسس التربية الإسلامية: "العقيدة هي الأساس الأول لبقية الأسس في الدين الإسلامي ومفهومها يتضمن الإيمان بالله تعالى، وبما جاء به الرسول ﷺ من الغيبيات والإيمان بكتب الله ورسله وأنبيائه والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

أولاً- الأساس الاعتقادي:

ومن الآثار والفوائد التربوية لهذا الأساس:

١- غرس وتنمية العقيدة الإسلامية: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره".

٢- التنمية الروحية للمسلم ليزداد تعلقه بالله وتحرره من العبودية لغيره.

٣- تنمية الإرادة وتحرير النفس من سيطرة غير الله.

٤- تقوية النفس واستقرارها: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١).

٥- سلامة العقل فهي تدعو إلى إعمال العقل في كون الله سبحانه، وتجعل العقل مرتبطًا بالله في كل الموازين.

٦- تقوية الوازع الديني وتوجيهه نحو الخير والبعد عن الشر وتنمية مراقبة الله في كل شيء.

٧- ويبين تصور المسلم عن الله سبحانه وتعالى، ثم عن الإنسان والكون والهدف من الحياة.

٨- كما أن نظرة الإسلام للإنسان واضحة فهو الخليفة له في أرضه لعمارتها، ويبين الغاية التي خلق من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

ثانيًا- الأساس التعبدي:

ومن الآثار المترتبة على هذا الأساس:

١- العبادة تربية اعتقاديه إيمانية.

٢- العبادة تنمية وتغذية للروح.

٣- العبادة تقوية للنفس والروح للسير على منهاج الله.

٤- العبادة تربية اجتماعية فالصلاة تربي المسلم على الارتباط بالجماعة والمشاركة لها

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

وتحطيم الفوارق الاجتماعية والطبقية، فالمسلمون يصلون صفًا واحدًا وميزان التفاضل واحد، وكذلك الزكاة مشاركة للجماعة المسلمة بالعطف على الفقراء وتربية على البذل وبعد عن البخل والشح.

٥- العبادة تغذي العقل فهو دائم التفكير في عظمة خالقه وقدرته.

٦- العبادة تحقق الراحة والاستقرار النفسي.

٧- العبادة تربية صحية.

٨- العبادة تربية أخلاقية حث الإسلام فيها على القيم الأخلاقية الراقية.

٩- العبادة تربية سياسية تقوم على التعاون والتناصح وعلى العدل والمساواة، ونبذ الفرقة والتمييز العنصري والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا- الأساس التشريعي:

ومن الآثار المترتبة على هذا الأساس:

١- ما حدد من عقوبات الحدود والقصاص كعقوبات القتل والزنا، والسرقة وغيرها.

٢- الحفاظ على العقل وسلامة الجسم (فردًا أو مجتمعًا) كما يظهر في تحريم الخمر والمسكرات والمخدرات وغيرها وتحقيق ما سمي بالضرورات الخمس والتي هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ العقل [(١)].

ثالثًا: استعانة المربي بأهل الفضل والعلم:

هذا مستمد من قول معاذ رضي الله عنه: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: ..." الحديث، ودلّه ﷺ على ما يفعله مع أهل الكتاب.

وفي هذا استعانة النبي ﷺ بأصحابه للقيام بالدعوة وما يلزم عن ذلك من تربية وتوجيه وإرشاد، والملاحظ أن النبي ﷺ استعان بمعاذ، وهو من أهل الفضل والعلم من الصحابة، فقد وصفه النبي ﷺ بأنه: "أعلم أمتي بالحلال والحرام" [(٢)].

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية، ٣٦ - ٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٧٩٠، ٣٧٩١ من حديث انس بن مالك >، وقال: حسن صحيح.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يستعينوا بأهل العلم والفضل لا بأهل الثقة الذين يغلب عليهم عدم الكفاءة وعدم الإتقان، ولكون همهم الأول إرضاء مرؤوسيهم فقط، دون الالتفات إلى العمل وواجباته لأن ولاءهم لمن وَلَّاهم لا لشيء آخر، وهكذا يضيع الناس وتَضيع حقوقُهم إذا قام بشؤونهم أهل الثقة دون أهل العلم والفضل. والمقصود من ذلك أن يستعين المربون بأهل الفضل والعلم لكي يساعدوهم في القيام بواجبات التربية والتنشئة، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ- تخفيف العبء عن كاهل المربين، فإنهم لا يستطيعون أن يقوموا بكل شيء، فهذا خلاف طبيعة البشر، كما أن في ذلك تفريغًا لهم لأن يقوموا بالأهم فالأهم في التربية.

ب- إعداد صفٍّ من المربين الموثوق بهم، الذين يحملون الراية ويحافظون على المبادئ التربوية الممتازة التي تخرج أجيالاً تؤدي ما هو مأمول منها ومتوقع من تحسين مستوى الحياة وزيادة مساحة الخير فيها، وتقليل نطاق الشر.

ج- ظهور اجتهادات جديدة وطرق مبتكرة مفيدة في مجال التربية، فإن وضع المربي ثقته فيمن ينوب عنه يجعله يبذل قصارى جهده في إنجاح مهمته والتفكير في وسائل جديدة نافعة تؤدي إلى الأهداف المرجوة، وبذلك يتطور العلم ويتقدم.

رابعًا: مراعاة الطبيعة البشرية:

وهذا مستمد من تحذير النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه من أن يأخذ كرائم أموال أهل الزكاة، فقال له: "فإياك وكرائم أموالهم"، وكرائم الأموال: هي الأموال النفسية الغالية، وإنما حذَّر النبي ﷺ معاذًا من ذلك، مراعاة للطبيعة البشرية التي تحب أن تحتفظ بالمال الغالي النفيس، فقد جبلت على ذلك، فإن النفس تحب ما غلا وثمن من أموالها، وتحب أن تتملكه، ففي أخذه منها إضرار بها وإيلام لها، وخاصة أنها قد تعبت في تحصيله واقتنائه، كما أن جابي الزكاة وآخذها أمامه أن يأخذ من الأموال الجيدة الأخرى التي يملكها من وجبت عليه الزكاة.

وعلى ذلك فإن على المربي أن يراعي الطبيعة البشرية لمن يربيهم من الناشئة

وغيرهم، فيراعي طبيعتهم وأنهم من روح وجسد، فلا يربيهم على أنهم ملائكة لا تخطأ ولا يداخلها نزعات ورغبات وإنما يعاملهم على أنهم بشر لهم تطلعات وتشوفات، يعبّر ابن القيم عن هذا المضمون بقوله: "العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يُقم الفريضة؟

فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها.

وقد قال يحيى بن معاذ: "طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها"، العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة، فإن الفطام عن الثدي الذي ما غفل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه، شديد، ولكن تخيّر من المرضعات أزكاهن وأفضلهن، فإن للبن تأثيرًا في طبيعة المرتضع ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد، وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على مرارة الفطام وإلا فارتضع بقدرٍ، فإن من البَشَم[1] ما يقتل"[2].

خامسًا: التربية بالترهيب:

عمد النبي ﷺ إلى التربية بالترهيب، وذلك للتنفير من الوقوع في المعاصي وظلم الآخرين، وفي حديث من أحاديث الباب يرهب النبي ﷺ معاذًا، وذلك في قوله ﷺ: «واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الله حِجَابٌ». قال ابن حجر: "أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع والمراد أنها مقبولة، وإن كان عاصيًا"[3].

فالنبي ﷺ أمر معاذًا رضي الله عنه بأن يتجنب الظلم الذي يجعل صاحبه يدعو الله ويتوجه إليه، ودعوته يتقبلها الله ولا يردها، فخوّفه من الظلم بأن ذكره بالله وبنصرة

(١) البَشَم: محركة: التُّخَمَة، القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، ١٠٨٠.

(٢) الفوائد، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) فتح الباري، ٩٠١/١.

الله للمظلوم على الظالم، فإذا كان الظالم انتصر على المظلوم، فإن توجه المظلوم إلى الله ودعاءه له، يجعل الظالم مهزومًا مدحورًا، أي أن النبي ﷺ حذّر معاذًا من الظلم، وذلك بذكر نصرة الله للمظلوم وانتصافه سبحانه من الظالم، ولاشك أن هذا أسلوب تربوي مفيد جدًا في المنع من اقتراف ما يغضب الله ويسخط منه، وعلى ذلك ينبغي على المربين أن يفعلوه في تربيتهم للناشئة وغيرهم، فإنه لا فائدة في تربية لا تقوم على الخوف من الله والخشية منه، بل هي تربية عقيمة فاشلة حين لا تغرس في نفوس أهلها مراقبة الله والخوف من عقابه، وذلك لأن الخوف من الله يمنعُ الأمين أن يخون، وقد سهل أمامه طريق الخيانة دون أن يراه أحد، وهو الذي يمنع القوى أن يظلم الضعيف ويعتدي عليه، وهو يأمن أن لا يعاقبه القانون الدنيوي، وهو الذي يمنع الصادق أن يكذب، وقد عرف أن الناس يصدقونه حال كذبه، وهو الذي يمنع الورع أن ينظر إلى العورات والحرمات، وهو يأمن أن لا يراه أحد، وعلى ذلك فَقِسْ، فما أجمل أن يتربى الناس على الخوف من الله والرهبة من عقابه وتجنب الوقوع في ظلم الآخرين لأنه إذا تربت النفس على الرهبة من الظلم ومقارفته، كان ذلك بمثابة السياج المنيع الذي يحول بينها وبين ظلم الآخرين أو مجرد التفكير في ذلك، نظرًا للعواقب الوخيمة للظلم.

سادسًا: بيان العلامات الفارقة بين أهل الإسلام وغيرهم:

وهذا مستمد من قول الرسول ﷺ: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"، وقوله ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، وقول شقيق بن عبدالله التابعي: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، فقد جعل النبي ﷺ الصلاة علامة فارقة بين المسلمين وغيرهم، فمن أداها فهو من المسلمين، ومن تركها لم يكن من المسلمين[1]، بل كان من أهل الشرك والكفر، وقد كان الصحابة يفتون بهذا، كما أخبر عنهم التابعي شقيق بن عبدالله.

---

(١) على خلاف في صفة الترك فهناك خلاف في كفر من ترك الصلاة تكاسلاً، انظر: المغني ٣٥١/٢ وما بعدها.

والمقصود من الحديثين والأثر هو بيان العلامة الفارقة التي يفرق بها بين المسلم وغيره، وقد تربى الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، كما جاء في أثر شقيق ابن عبدالله.

ومن ثم ينبغي على المربين أن يهتموا ببيان العلامات الفارقة بين التربية الصحيحة المقبولة، وبين غيرها لمن يربونهم، وفي ذلك فوائد جمة، لعل أهمها تعويد وتنشئة الأجيال على معرفة هذه العلامات، ومن ثم فعل ما تقتضيه ويلزم عنها.

سابعًا: التربية على المحافظة على الصلاة والاستكثار من النوافل:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضةٍ شيئًا قال الرب عز وجل: انظروا هل لِعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على هذا»، فقد بين ﷺ أن العبد إذا أدى الفرائض على وجه فيه نقص فإن أداءه للنوافل والتطوع قد يكمل هذا النقص ويسد خلله. وفي هذا لَفتُ نظر المربين أن يربوا الناس على أنهم لا يقتصرون على فعل ما يجب عليهم فقط بل يفعلون كذلك المندوبات والآداب الطيبة التي تجمل فعل الواجب وتزينه، وتجعله يقع على أحسن ما يكون وأفضل، وتجعل الناس تترقى في الدرجات والمقامات، فمن مقام إلى مقام ومن رتبة إلى رتبة، فمن مقام الإسلام إلى مقام الإيمان، ومن مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، وهكذا يكون الناس في ترق وصعود، فإن لم يقع هذا فعلى الأقل سد التقصير الذي قد يقع في أداء الواجبات، ولنضرب مثالاً على ذلك، إن من يرغب في فعل الخير سواء أكان واجبًا أم مندوبًا لا ينتظر من أحد أن يبادره بفعل ذلك، بل هو يبادر إلى ذلك ويسابق، فإن من أراد تحصيل أجر السلام على الناس لم ينتظر أن يلقوا عليه السلام بل يبادر هو ليلقي السلام عليهم ويبدأهم به، وهكذا في جميع أحواله وأوقاته ومع مختلف الناس وطبائعهم.



١٩٤- باب فضل الصف الأول

والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها

الحديث رقم (١٠٨٤)

١٠٨٤- عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((ألاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟)) فَقُلْنَا: يَا رَسُول اللهِ، وَكَيفَ تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟ قَالَ: ((يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

يتراصون: يتلاصقون حتى لا تكون بينهم فرج[2].

الشرح الأدبي

التشبيه في قوله: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) حيث شبه الحالة التي يجب أن يكون عليها المصلون في إقامة الصلاة وتسوية الصفوف بحال الملائكة حين يصفون عند ربهم تعالى ووجه الشبه هو تمام الاستقامة، والمراقبة.

وهذا التشبيه يوحي بعدة دلالات:

أ- الارتقاء بمستوى الموقف البشري لموقف الملائكة.

ب- تحقيق أعلى درجة من الانتظام والخشوع لكمال إيمان الملائكة الذي لا ينقص ولاستشعار جلال الموقف عند الرب فلا شك أن من خدم سيده وهو يعلم أنه ناظر إليه بذل أقصى الجهد في خدمته والرسول ﷺ بذلك يحثهم على بلوغ منزلة اليقين بين يدي الله.

---

(١) برقم (٤٣٠/١١٩). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص ص).

ج- في الربط بين حال المصلين وحال الملائكة بالتشبيه إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه المصلى من الانقطاع عن جميع الشواغل الدنيوية والتعلق بالذكر والتسبيح والدعاء كما الحال مع الملائكة فبذلك يؤدى المصلون حق الموقف بين يدي الله ظاهراً باستقامة الصف وسكون الجوارح، وباطناً بالانقطاع عن الشواغل وتفريغ القلب إلا من الله.

ز- الإيضاح بعد الإبهام وهو من وسائل التشويق وإثارة الانتباه وتنشيط الذهن مما يمكِّنُ للمعنى ويمهِّدُ النفوس لتلقى المعنى باستشراف وتطلع يؤدى إلى تأكيده وتثبيته وذلك في قوله: (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) وهو توضيح وبيان لما أبهم في قوله: (كما تصف الملائكة عند ربها) لأن المخاطبين لا يعلمون كيفية صفوف الملائكة عند ربها، والحق أن أسلوب الحديث في التشويق بلغ الذروة درجة بعد درجة بالمخاطبين بداية بأسلوب التحضيض في قوله: (ألا تصفون..) ومروراً بالتشبيه في قوله: (كما تصف الملائكة) مع ما يحمله التشبيه من طرافة وجدة وانتهاء بالإيضاح بعد الإبهام حيث جاءت جملة (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) تقويماً للخطأ الأول وتحديداً للصواب وما يجب أن يكون عليه المصلون من انتظام في الصفوف وإتمام لها واستحضار لعظمة الموقف بين يدي ذى الجلال والإكرام، وقد استقبلت أسماعهم هذه المعانى وهي في قمة الإطراق وقلوبهم في قمة الشوق وعقولهم في قمة الوعي واليقظة مما يضمن للخبر الرسوخ والثبات وهذا من براعته ﷺ في دقة التبليغ وبراعة التوصيل التي يحتاج إليها كل داع ومصلح في الوصول بالمعنى إلى قلب المخاطب حتى يقوم خطأه ويرشده إلى الحق.

د- ومما تجدر الإشارة إليه في قول الرسول ﷺ: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) هذا التحضيض في هذا السياق الذي يوفر على المعنى الإصغاء والمتابعة وتمام اليقظة من المخاطبين واستشرافهم لمعرفة المحضوض عليه، والذي صعَّده بالصورة التشبيهية ثم صعده أكثر بتقييد الصف بالظرف (عند) وإضافته للرب وإضافة الرب للضمير العائد على الملائكة (عند ربها) مما أضفى على الموقف

خصوصية تستوجب الخشوع والخضوع واستشعار الذل في الموقف الجليل بين يدي العزيز، وهذا التصعيد للمعانى مما يتصل بالمنطق الوجدانى والثروة النفسية وهو طرد الكلام حثيثاً في مقدمات يسلم بعضها إلى بعض كأقيسة المنطق، توصل في سرعة وسلامة إلى النتيجة بحيث لا يشعر المخاطب بسرعة التتابع والانقياد للمسلمات بدون جهد دون غايته وتلك خصيصة في البيان الكريم تكسبه قوة الاستيلاء، وشدة الهيمنة على قلوب السامعين، لأنها منطق النفس إلى النفس.(١)

٥- التكرار لمادة (صف) أربع مرات في نهاية الحوار تأكيد لأهمية الاستقامة التي يصورها الصف مصغرة ويريدها في نفس المؤمن حتى تكون سلوكاً يشمل كل مناحى حياة الفرد المسلم يقيه شر الفوضى والتشتت، ويعوده النظام حتى يصير سلوكاً ينسحب إلى جميع شئونه وصياغة الفعل (يتراصون) على صيغة التفاعل يقتضى تعاون الجميع في إقامة الصفوف وتدعيم النظام ومعاونة الإمام(٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تسوية الصفوف وإتمامها في الصلاة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من خصائص الأمة الإسلامية: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة.

أولاً – من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟..." الحديث، حيث علم أصحابه كيفية صف الصفوف في الصلاة، والتعليم وسيلة من وسائل الدعوة المهمة، حيث إن الله حباه قدسية عالية، حيث كلف جبريل عليه السلام بمهمة

---

(١) انظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٢٥٣.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٦٥

التعليم والإبلاغ عنه للمصطفى صلوات الله عليه وسلامه، وحباه كذلك إطارًا من الفخر والاعتزاز قائلاً: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

وإن أهمية التعليم تنبع من أنه يكون الوسيلة التي تدرك بها الحقائق، وتنير الطريق إلى الخير والثواب. وسبيل الداعية إلى تعليم المدعوين هو العلم، ولذا فإن من أهم ما يحسن بالداعية أن يتحلى به صفة العلم، فإن العلم زينة للداعية، ووسيلة صحيحة للعمل، ومرافق دائم في مجال الدعوة والأمر والنهي.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[3]، وعن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين»[4][5].

ومن الأمور المعلومة أن التعليم من أهم وسائل الدعوة إلى الله.

ثانيًا – من آداب الداعية: حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها:

إن من آداب الداعية التي تستنبط من هذا الحديث، حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها، يظهر ذلك من عموم الحديث، حيث حث النبي ﷺ أصحابه على أهمية الصف والتراص في الصلاة، والداعية يجب عليه أن يقتدى برسول الله ﷺ في ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ هو القدوة والمعلم للأمة بصفة عامة والدعاة بصفة خاصة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[6]. وقال: أبو نصرة: كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل

---

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري٧١.

(٥) انظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد العمار ص ٧٩.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم، استووا قيامًا، يريد الله بكم هدى الملائكة. ثم يقول: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾[1]. تأخر يافلان، تقدم يافلان، ثم يتقدم فيكبر ﷺ[2].

فينبغي على الداعية أن يتأدب بآداب رسول الله ﷺ: في الصلاة وتعليم المدعوين آدابها.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تسوية الصفوف وإتمامها في الصلاة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ. وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ».

قال القاضي عياض: (وما لا يختلف فيه أن من سنن الصلاة وهديها، حسن هيأتهم، وإكمال الصف الأول فالأول والتراص فيه، ليتم استقامته واعتداله، ولئلا يتخلله الشياطين، كما جاء في الحديث، وتشبهًا بالملائكة في صفوفها، ولما في ذلك من جمال هيئة الجماعة للصلاة وحسنها، وتأتي صلاتهم في صفوفهم دون أن يضيق بعضهم على بعض، ولا يتمكن بعضهم من تمام صلاته وسجوده إذا كانوا غير صفوف، ولأن في ذلك مع مراعاة تمكنهم من صلاتهم من تكثير جمعهم أكثر ما يكون مع الاختلاط، ولئلا يشغل بعضهم بعضًا النظر إلى ما يشغله منه إذا كانوا مختلطين، وفي الصفوف غابت وجوه بعضهم عن بعض وكثير من حركاتهم، وإنما يلي بعضهم من بعض صفحات ظهورهم)[3].

وفي قوله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة". قال ابن عثيمين: الملائكة لها عبادات متنوعة، وهم -عليهم الصلاة والسلام- لا يستكبرون من عبادة الله ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾[4]. وكيف صفوفهم؟ قال النبي ﷺ: يكملون الأول فالأول

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤/٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٤٤/٢.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٦٥ - ١٦٦.

ويتراصون ، إذن فنحن إذ صففنا بين يدي الله في صلاتنا ينبغي أن نكون كالملائكة: يكملون الأول فالأول ويتراصون[(١)] ، وتسوية الصفوف والتراص في الصلاة، من الأشياء التي فضلت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ترغيب النبي ﷺ في تسوية الصفوف، وبين أن التسوية وإتمام الصفوف هو فعل الملائكة، والملائكة يعبدون الله باستمرار، وعلى أفضل الطرق في العبادة ولا يسأمون من عبادتهم، قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾[(٢)]. فرغب ﷺ في صف الصفوف وإتمامها اقتداء بفعل الملائكة في العبادة، وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[(٣)].

والترغيب في العبادة وحب الفضائل الإنسانية من أساليب الدعوة المهمة، حيث إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربي على الأخلاق الفاضلة وتبعد عن وساوس الشيطان[(٤)].

خامسًا- من خصائص الأمة الإسلامية: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟.....إلخ الحديث".

خص الله عز وجل هذه الأمة إكرامًا لها على سائر الأمم بأن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة[(٥)].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٣١٥/٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٨.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) انظر: الدعوة على الله، د. توفيق الواعي، ٢٠٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٩٤/١.

ومما يؤيد هذه الخاصية من السنة المطهرة -ما جاء عن حذيفة- رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ. وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءِ». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى»[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فَضَلْتُ بِأَرْبَعٍ: جُعِلْتُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي الصَّلاَةِ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ، وَجُعِلَ الصَّعِيدُ لِي وَضُوءًا، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، ٥٢٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، كما في الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٤٠٩٥).

الحديث رقم (١٠٨٥)

١٠٨٥- وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[2].

لاستَهمُوا: لاقترعوا[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل المسارعة إلى النداء، والصف الأول، والبداية الفرضية التي أشارت إليها لو تبين مدى عظمة الخبر بعدها، و (لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الاستهام لامتناع العلم بالفضل، مما يشير إلى غفلة الناس عن فضل هذه الأمور، والتعبير بالاستهام فيه إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات المسلمة من المساواة، والعدل الذي ينزع الأحقاد، ويمنع الفتن، وعبارة (ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ) كناية عن عظمة الثواب وتسابق الناس إليه، ، وتكرار (لو) مع فعل العلم يؤذن بجهل أكثر الناس، وغفلتهم عن فضائل لا تكلف جهدا كبيراً، وتحدث فرقاً كبيراً في ميزان حسنات العبد، ، يدل على ذلك تكرار الاستهام الذي يدل على حرص الجميع على الفوز به، والتعبير بالاستباق يؤكد ذلك، ويكشف اللثام

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣) واللفظ له، ومسلم (٤٣٧/١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨٤)، وقد تقدم برقم ١٠٣٤، ١٠٧٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) الصحاح ولسان العرب، ابن منظور في (س هـ م).

لكل من له عقل عن عظمة الجزاء ليتنافس فيه المتنافسون، والفرض الذي افترضه للحضور يدل على عظمة الأجر الذي غفل عنه الناس، والحديث يضرب بمطرقة الافتراض (لو) على غفلة الناس عن عظيم الأجر تحت ستار الجهل ليوقظ أهل الفطنة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٣٤).

الحديث رقم (١٠٨٦)

١٠٨٦- وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أوَّلُهَا)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى التسابق إلى الصلاة بالتسابق إلى الصفوف الأولى التي رغَّب فيها بصبغها بصفة الخيرية المضافة للصفوف تخصيصاً، وقد استخدم الطباق لتقرير المعنى، وتوكيده بين قوله أولها، وآخرها، الذي يشير أثر المكان الذي يقف فيه العبد في المسجد على الخيرية التي تستلزم الثواب، كما طابق بين الرجال، والنساء في إشارة إلى التساوي في العمل المقرب لله - تعالى - الذي يستلزم التساوي في الأجر، كما طابق بين خير، وشر الذي يؤكد التفاوت في العاقبة التي ترتبت على التبكير إلى المسجد، والسبق إلى أول الصفوف، لأنه لا يحرص عليها إلا محب للصلاة مبكر إليها طموح في عمل الآخرة.

فقه الحديث

اتفق الفقهاء على أن أفضل صفوف الرجال - سواء كانوا يصلون وحدهم أو مع غيرهم من الصبيان والنساء- هو الصف الأول ثم الذي يليه، ثم الأقرب فالأقرب، وكذا أفضل صفوف النساء إذا لم يكن معهن رجال، أما النساء مع الرجال فأفضل صفوفهن آخرها، لأن ذلك أليق وأستر لقوله ﷺ ((خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرّها أولها)) وقوله ﷺ ((لو يعلم الناس ما في

---

(١) برقم (١٣٢/٤٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨٥).

النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا))[(١)]"[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين بالنسبة لصفوف الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث المدعوين على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول والتحذير من التأخر عن الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من واجبات الداعية: بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين بالنسبة لصفوف الصلاة:

إن الصلاة ركن من أركان الإسلام، بل إنها أهم أركان الإسلام، فينبغي للداعية أن يبين الأمور التي تتعلق بها، ومن ذلك صفوف الصلاة. يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "خير صفوف الصلاة أولها، وشرها آخرها....." الحديث.

حيث بيّن ﷺ أن صفوف الرجال على عمومها، خيرها أولها أبدًا وشرها آخرها أبدًا، أما صفوف النساء، فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها وشرها آخرها. والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء، أقلها ثوابًا وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣، ومسلم ٤٣٧/١٢٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢٧ ومراجعها ومصادرها ومنها: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٠٠/٤، و الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٤٦/١، والقوانين الفقهية ص ٥٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٣٦/١، وشرح السنة ٣٧٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٨/١، ٤٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٢٠/٢.

الرجال، لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم، وتعلق القلب بهم، عند رؤية حركاتهم، وسماع كلامهم ونحو ذلك[١].

فبين ووضح ﷺ أفضل صفوف الرجال وأفضل صفوف النساء.

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين وتوضح الأمور المتعلقة بصفوف الصلاة.

فقد بوّب الإمام البخاري مجموعة أبواب بالنسبة لصفوف الصلاة منها: باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها[٢]، وباب: إقبال الإمام على الناس، عند تسوية الصفوف[٣]، وباب: الصف الأول[٤]، وباب: إقامة الصف من تمام الصلاة[٥]. وباب: إثم من لم يتم الصفوف[٦].

وبوب الإمام مسلم بابًا بعنوان: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف[٧].

فينبغي على الداعية أن يبين ويوضح للمدعوين الأمور المتعلقة بصفوف الصلاة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث المدعوين على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول والتحذير من التأخر عن الصلاة:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها".

وهو بذلك يحث على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول وثوابه وقد قال ﷺ: «لو يَعلمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ثمَّ لم يَجِدوا إلا أن يَسْتَهِموا عليهِ لاستَهَموا»[٨].

---

(١) انظر: شرح مسلم، النووي ص ٣٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٥.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ٢٨.

(٨) أخرجه البخاري، ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

فالرجال كلما تقدموا فهو أفضل لهم، كما قال النبي ﷺ محذرًا عن التأخر: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله"[(١)]، أي: عن الصفوف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته، أو عظيم فضله ورفع المنزلة، وعن العلم ونحو ذلك[(٢)]، قال ابن عثيمين: وهذه خطيرة: أن الإنسان- كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث، ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح، والعياذ بالله، ولهذا قال: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله"، فأنت يا أخي تقدم في الصف الأول فالأول[(٣)].

لأن هذا دأب الصالحين وشيمة العباد المتقين لرب العالمين، ولو استقرأت حال السلف الصالح رضوان الله عليهم لوجدت أن تبكيرهم إلى الصلوات وحرصهم على الصف الأول، سمة بارزة في تراجمهم، فهذا سعيد بن المسيب يقول: (ما أذّن المؤذّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد)[(٤)].

إن الذي يكنّ في صدره الحرص على الصف الأول، تجده غالبًا قلبه معلق بالمسجد، وفي ذلك من الفضل مالا يخفى، وهو الاستظلال بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، رزقنا الله جميعًا ذلك الفضل[(٥)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة:

حيث ذكر رسول الله ﷺ أن شر صفوف الرجال آخرها لقربها من النساء، وشر صفوف النساء أولها كذلك لقربها من الرجال. وذلك لأن هدف الدعوة حفظ النفس وتهذيبها، ولا يتم ذلك حتى تتحلى بالفضائل والأخلاق، فالنفس مجبولة على أخلاق مهملة وأخلاق مرسلة، فالمحمود فيها يؤدب، وغير المحمود يهذب، والآداب زينة للشخصية الإسلامية يسمو بها مقادير كبيرة على الناس، فيتعلم آداب المعاملة، وآداب

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٧.

(٢) شرح مسلم، النووي، ٣٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣١٧/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٢١/٤.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٣، ٣٣٤.

المخالطة وآداب العزلة، وآداب المجالس، وآداب العبادة، وآداب عديدة كثيرة[١].

فينبغي على المصلى أن يتحصن من مداخل الشيطان، فإن للشيطان مداخل عديدة يعكر فيها صفو الباطن، ولذلك يجب مواجهة التحديات الشيطانية وإلقاءاته الإبليسية وسد تلك الأبواب حتى لا يفسد الباطن[٢] كالاختلاط في الصلاة وشغل القلب بغير عبادة الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[٣].

رابعًا – من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها"، حيث رغب ﷺ الرجال في الصف الأول ورهب الرجال من الصف الأخير، ورغب النساء في الصف الأخير، ورهبهم من الأول.

وأسلوب الترغيب: يقصد به الترغيب في العبادة، وحب الفضائل الإنسانية، حيث أن العبادة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربى على الأخلاق الفاضلة، وتبعد عن وساوس الشيطان[٤].

ويقصد بالترهيب: الترهيب من انشغال القلب في العبادة بغير عبادة الله والإقبال عليه.

---

(١) انظر: الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة، بإشراف أحمد عبدالعزيز القطان اسم بن محمد بن مهلهل ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٢٠١.

(٤) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٥.

الحديث رقم (١٠٨٧)

١٠٨٧- وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رأى في أصحابه تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: ((تَقَدَّمُوا فَأتَمُّوا بِي، وَلْيَأتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله)) رواه مُسلِم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

وليأتم بكم من بعدكم: يقتدوا بي مستدلين على أفعالي بأفعالكم[(٢)].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ لا يترك ظاهرة سلبية في المجتمع عامة، أو في أصحابه خاصة إلا قوَّمها، وأرشد إلى الصواب، وهذا الحديث يحكي موقفا من المواقف التي وقعت في المسجد حيث رأى في أصحابه تأخرا أي عن الصفوف الأول، فجاء قوله (تَقَدَّمُوا فَأتَمُّوا بي) أمر نصح، وإرشاد يصوب الخطأ وقوله فأتموا بي، الفاء للتعليل والفعل يدل على الإقتداء به في الصلاة بالإضافة إلى أن الفعل يوحي بطلب المتابعة له على كل حال، وقوله (وَلْيَأتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ) يشير إلى التتابع المؤذن بقوة الاتصال في هذا التجمع العظيم بين يدي الله تعالى وقوله (لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله) تعريض بمن يتأخرون عن الصفوف، أو عن الصلاة، والجناس بين (يَتَأَخَّرُونَ وبين يُؤَخِّرَهُمُ) يشير إلى أن الجزاء من جنس العمل حيث كانوا يتأخرون في الصفوف أو عن الصلوات، فأخرهم الله في الآخرة عن هؤلاء السابقين.

---

(١) برقم (١٣٠/٤٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "وليأتم بكم من بعدكم" معنى وليأتم بكم من بعدكم: أي يقتدوا بي مستدلين على أفعالي بأفعالكم، ففيه جواز اعتماد المأموم في متابعة الإمام الذي لا يراه ولا يسمعه على مبلّغ عنه أو صفٌ قدامه يراه متابعًا للإمام)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التسابق لتحصيل الفضل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من التأخير عن الصلاة.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا، فقال لهم: "تقدموا..." فتفقد أحوال المدعوين من المهام التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، ومن الأشياء التي تؤيد أهمية تفقد أحوال المدعوين حرص رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من بعده على تفقد أحوال المدعوين، ومن ذلك تفقده ﷺ من غاب عن حلقته بسبب حزنه على وفاة ابنه:

كان صحابي يحضر حلقة الرسول الكريم ﷺ مع ابن له، وكان الرجل يحبه حبًا شديدًا، فمات الولد، وامتنع الرجل أن يحضر الحلقة حزنًا على ابنه. ففقده النبي الكريم ﷺ فسأل عنه، فأخبر عن حاله، فلقيه وعزاه، فقد روى الإمام النسائي عن معاوية بن قرة عن أبيه، قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٤/٢ ، وانظر نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٨٦ .

(مالي لا أرى فلانًا؟ !) قالوا: يارسول الله ! بُنَيُّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بُنيّه؟ فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: (يا فلان أيما كان أحب إليك؛ أن تمتع به عمرك؟ أو لا تأتي غدًا إلى باب من أبواب الجنة، إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة؛ فيفتحها لي؛ لهو أحب إلي، قال فذاك لك)[١].

ومما نجده في هذا الحديث الشريف أن النبي الكريم ﷺ افتقد الرجل الذي غاب عن حلقته بسبب حزنه على وفاة ابنه، فأخبر عن سبب غيابه، وهذا يدل على حرصه على تفقد أحوال أصحابه[٢].

كذلك حرص أصحابه ﷺ على تفقد أحوال المدعوين ، ومن ذلك ما ورد عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في حواشي المدينة من الليل، فيستسقى لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق ﷺ الذي يأتيها وهو خليفة. فقال عمر: أنت لعمري[٣].

فإذا تفقد الداعية أحوال المدعو، ووجد تقصيرًا منه، نبهه إلى هذا التقصير، ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي نبه فيه عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ وحثه على عدم التقصير، فقال ﷺ: ((يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ. كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التسابق لتحصيل الفضل

هذا يستنبط من عموم الحديث حيث أمر رسول الله ﷺ المصلين بالتقدم والإئتمام به وحذر من التأخير، فيتضح من ذلك أهمية السعي والتسابق لتحصيل الفضل.

---

(١) أخرجه النسائي ٢٠٨٨ ، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٩٧٤).

(٢) مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ١١٢.

(٣) حياة الصحابة، الكاندهلوي ص ٣٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ١١٥٢ ، ومسلم ١١٥٩.

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1].

قال القرطبي: أي سارعوا بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم. وقيل: سارعوا بالتوبة؛ لأنها تؤدي إلى المغفرة؛ قاله الكلبي. وقيل التكبيرة الأولى مع الإمام؛ قاله مكحول. وقيل الصف الأول[2].

وقال السعدي: أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومكانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضى الله على الدوام، من الإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع[3].

فالإسلام يربي أتباعه على المسابقة إلى الخيرات، والحرص على الأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[5].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: في الطاعات، كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغُرُفات ... ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ أحسن ما قيل فيه: أنهم يسبقون إلى أوقاتها. ودل بهذا أن الصلاة في أول الوقت أفضل ... وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته[6].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٦/١٧/٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٣/١٢/٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من التأخير عن الصلاة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله".

قال النووي: أي: عن الصفوف الأولى حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم ونحو ذلك[١].

وقال ابن علان: (لا يزال قومٌ يتأخرون، أي: عن اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل "حتى يؤخرهم الله" عن رحمته وعظيم ثوابه وفضله ورفيع منزلة أهل قربه، حتى يكون عاقبة أمرهم النار. وفيه آكد حث على التسابق إلى معالي الأمور والأخلاق، وأبلغ زجر عن الميل إلى الدعة والرفاهية، وأبلغ تنبيه إلى أن ذلك يؤدي إلى تجرع غصص البعد والغضب، أعاذنا الله بمنه)[٢].

وعن عبدالله بن الصامت: عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوقْتِهَا. فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»[٣].

قال النووي: معنى يُميتُون الصلاة يؤخرونها فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه، والمراد بتأخيرها عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٤٨

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٢.

الحديث رقم (١٠٨٨)

١٠٨٨- وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ، يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلاَةِ، وَيَقُولُ: ((اسْتَوُوا ولاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) رَوَاهُ مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

الأحلام: جمع حِلْمٍ: من الحلم والأناة والتثبت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء[2].

النُّهى: جمع نُهْيَة: العقل؛ سمي كذلك لأنه ينهى صاحبه عن القبيح[3].

الشرح الأدبي

قوله: (يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلاَةِ) كناية عن تسويته للصفوف مع ما يعكسه هذا التصرف من محبة، وتواضع، وألفة، وضمير الجمع المضاف إلى المناكب دليل على أنه كان يتعهد أصحابه بالمسح على مناكبهم حتى يطمئن إلى استقامة الصفوف، وقول الرسول لأصحابه (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) أسلوب أمر للتوجيه، والإرشاد، عضده بالنهي عن ضده ثم تبعه بجملة تعليلية حملت تهديداً ووعيداً بجزاء من جنس العمل؛ فإنه لما خالفوا بين الصفوف ظاهراً عوقبوا بالمخالفة بين قلوبهم باطناً، والمخافة بين القلوب كناية تولد الكراهية، والتفرق بينهم، وقوله: (لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى) أمر توجيه، وإرشاد، وتعليم لكل أمته بترتيب الصفوف بين يدي الله على هيئة ترضيه تعالى، وأولو الأحلام والنهى، هم أصحاب الحكمة،

---

(١) برقم (٤٣٢/١٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥)، وقد تقدم برقم ٣٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل م).

(٣) المرجع السابق في (ن هـ ي).

والعلم، والعقل، وقوله (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) استخدام حرف العطف ثم للتأخير الرتبي بحيث يقدم العقل فالأعقل، والأعلم فالأعلم، وتكرار العبارة يشير إلى ضرورة رعاية هذا الترتيب، والحرص عليه.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم مَنْ وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمعٍ إلى الإمام وكبير المجلس كمجلس العلم والقضاء والذكر والمشاهدة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك) [1].

المضامين الدعوية [2]

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/١٣٠ .

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٤٩).

الحديث رقم (١٠٨٩)

١٠٨٩- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ)) متفقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: ((فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إقَامَةِ الصَّلاَةِ)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

تمام الصلاة: حسن الصلاة وفي لفظ عند البخاري ٧٢٢: "إن إقامة الصف من حسن الصلاة"[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الاستقامة الظاهرية التي تنم عن الاستقامة الباطنية لأن الله - عز وجل - يحب استقامة الصفوف، وقد أمر بإقامتها حتى في أصعب الظروف في وقت لقاء العدو، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤] لأن فيها دلالة على الاتحاد، والوداد الذي يدل عليه تلامس

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٣/١٢٤). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣). أوردها المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

تنبيه: مما أوهم المؤلف أن اللفظ الأول متفق عليه، والثاني رواية للبخاري، إيراد المنذري في ترغيبه (٣٨٥/١، رقم ٦٩٠) الحديث أولًا باللفظ الأول، ثم قال: رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم، وفي رواية للبخاري، ثمَّ ذكر اللفظ الثاني، فتبين مما ذكرنا أن اللفظ الأول هو لمسلم، والثاني للبخاري، وليس الأول متفقًا عليه، والثاني رواية أخرى للبخاري، فلم يخرج البخاري هذا الحديث بهذا اللفظ إلا في موضع واحد.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٤٥/٢.

الأكتاف، والأقدام والذي يصهر المجتمع في بوتقة، واحدة الغني، والفقير، والرئيس، والمرؤوس يجمعهم صف واحد في موقف واحد في الذل، والخضوع لله تعالى، وأمر الرسول ﷺ (سووا صفوفكم) أمر يحافظ على تلك المزية التي تتم غرض الصلاة، وقد علل لهذا الأمر بقوله (فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ) لتحقيق الإقناع بالفعل، وكون التسوية من تمام الصلاة يعني أن تركها نقص من هذه الصلاة، وفي الرواية الأخرى (فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة إشارة إلى الإصلاح، والتعديل، وتركه يشير إلى الميل، والاعوجاج.

فقه الحديث

١- تسوية الصف في صلاة الجماعة:

ذهب الجمهور إلى أنه يستحب تسوية الصفوف في صلاة الجماعة، بحيث لا يتقدم بعض المصلين على البعض الآخر، ويعتدل القائمون في الصف على سمت واحد مع التراص، وهو تلاصق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم والكعب بالكعب حتى لا يكون في الصف خلل ولا فرجة.

ويستحب للإمام أن يأمر بذلك، لقوله ﷺ: "سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة" وفي رواية ((أقيموا الصف فإن إقامة الصف من حسن الصلاة))[1] ولما رواه أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا بوجهه فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري"، وفي رواية: "وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه".

وذهب بعض العلماء -منهم ابن حجر وبعض المحدثين- إلى وجوب تسوية الصفوف لقوله ﷺ "لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم" فإن ورود هذا الوعيد دليل على وجوب التسوية، والتفريط فيها حرام، ولأمره ﷺ بذلك، وأمره للوجوب ما

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٢.

لم يصرفه صارف، ولا صارف هنا[١].

قال ابن حجر: (ومع القول بأن تسوية الصف واجبة، فصلاة من خالف ولم يسوّ صحيحة، ويؤيد ذلك: "أن أنس بن مالك ﷺ مع إنكاره عليهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة"[٢])[٣].

ومن تسوية الصفوف إكمال الصف الأول فالأول، وأن لا يشرع في إنشاء الصف الثاني إلا بعد كمال الأول، وهكذا، وهذا موضع اتفاق بين الفقهاء، لقوله ﷺ "أتموا الصفَّ المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر" وقوله ﷺ: ((من وصل صفًّا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله)) وعليه فلا يقف في صفٍ وأمامه صف آخر ناقص أو فيه فرجة، بل يشق الصفوف لسدّ الخلل أو الفرجة الموجودة في الصفوف التي أمامه؛ للأحاديث السابقة.

فإذا حضر مع الإمام رجلان أو أكثر، أو رجل وصبي اصطفا خلفه. ولو حضر معه رجلان وامرأة اصطف الرجلان خَلْفه والمرأة خلفهما، ولو اجتمع الرجال والنساء والصبيان والصبيات المراهقات وأرادوا أن يصطفوا للجماعة، وقف الرجال في صفٍ أو صفين أو صفوف مما يلي الإمام، ثم الصبيان بعدهم، وفي وجه عند الشافعية يقف بين كل رجلين صبي ليتعلم أفعال الصلاة.

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٨/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٧/٢، ٢٧٠، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٣/٢، ١٢٦٤ - ١٢٦٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٢/٣، ٥٨٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٤٦/١، وفتح الباري، ابن حجر ٢٠٩/٢ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧ - ٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢١٠/٢ .

ثم يقف النساء ولا فرق عند المالكية والشافعية بين الكبيرة والصبية المراهقة. أما الحنفية والحنابلة فيرون أن الصبيات المراهقات يقفن وراء النساء الكبيرات، ويتقدم هؤلاء جميعًا في الصفوف الأُول الأفضل فالأفضل، لما رواه أبو مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))(١).

ولما رواه عبدالرحمن بن غنم من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال: ألا أحدثكم بصلاة النبي ﷺ؟ قال: فأقام الصلاة وصفّ الرجال وصفّ خلفهم الغلمان ثم صلّى بهم فذكر صلاته ثم قال: هكذا صلاة. قال عبدالأعلى -راوي الحديث- لا أحسبه إلا قال: صلاة أمتي(٢).

وإن لم يحضر مع الإمام إلا جمع النساء صفهن خلفه، وكذا الاثنتان والواحدة.

ومن أدب الصف أن تسدّ الفرج والخلل، وأن لا يشرع في صف حتى يتم الأول، وأن يفسح لمن يريد دخول الصف إذا كانت هناك سعة. ويقف الإمام وسط الصف والمصلون خلفه(٣)؛ لقوله ﷺ "وسطوا الإمام وسدُّوا الخلل" ومقابل الإمام أفضل من الجوانب، وجهة يمين الإمام أفضل من جهة يساره، لقوله ﷺ "إن الله وملائكته يصلُّون على ميامن الصفوف"(٤).

٢- جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة:

قال النووي: (قوله: "فقام حتى كاد يكبر فرأى رجلاً باديًا صدره من الصفّ فقال: لتسون عباد الله صفوفكم" فيه جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة، وهذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ومنعه بعض العلماء. والصواب الجواز، وسواء كان الكلام لمصلحة الصلاة أو لغيرها أو لا لمصلحة)(٥).

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٢/١٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٦٧٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٣٢).

(٣) المصادر السابقة.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧ - ٣٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٤/٢ .

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته وتسوية الصفوف.

رابعًا: من خصوصيات النبي ﷺ ومعجزاته رؤية الصفوف من خلفه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة، يظهر ذلك في قوله ﷺ: "سووا صفوفكم، ..." وقول أنس رضي الله عنه: إذا أقيمت الصلاة فأقبل رسول الله ﷺ، بوجهه، فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا ..."، وهذا يدل على حرص رسول الله ﷺ على تسوية صفوف الصلاة، وقد ورد من الأحاديث ما يؤكد هذا الحرص منها، عن النعمان بن بشير قال: " كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللّهِ! لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[2].

قال النووي: قوله: (يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح"، القداح بكسر القاف هي خشب السهام حتى تنحت وتبرى، وأحدهما قدح بكسر القاف، معناه: يبالغ في تسويتها، حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها)[3].

وتسوية الصفوف من الأعمال العظيمة والتي يصلي الله وملائكته على فاعليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ. وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً»[4].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٨٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه مسلم ٤٣٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٩٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٨١٤).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "سووا صفوفكم..." وقوله ﷺ: "أقيموا صفوفكم وتراصوا...." وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين وحثهم على ما ينفعهم، وهو من الأساليب التي يكثر استخدامها في الدعوة إلى ذلك، حتى يعلم المدعو بأهمية الدعوة، وضرورة التزامه بأمر الداعية، لأنه يأمره بالخير وينهاه عن الشر.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته وتسوية الصفوف:

يستنبط هذا من عموم الحديثين[1] حيث أمر رسول الله ﷺ بتسوية الصفوف والتراص. قال ابن تيمية: (وطاعة الرسول فيما أمرنا به، هو الأصل الذي على كل مسلم أن يعتمده، وهو سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة، وطاعته في أمره أولى بنا من موافقته في فعل لم يأمرنا بموافقته فيه باتفاق المسلمين، ولم يتنازع العلماء أن أمره أوكد من فعله، فإن فعله قد يكون مختصًا به، وقد يكون مستحبًا"، أما أمره لنا فهو من دين الله الذي أمرنا به، ومن أفعاله ما قد علم أنه أمرنا أن نفعل مثله، كقوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[2]، وقوله: لما صلى بهم على المنبر، ((إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي))[3])[4] ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتشبه بالملائكة في صلاتنا عند الصف، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِم؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[5]، فيجب على المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته والالتزام بهديه في تسوية الصفوف.

---

(١) حديث رقم (١٠٨٩)، (١٠٩٠)، والمضامين الدعوية واحدة.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٣) أخرجه البخاري ١٧، ومسلم ٥٤٤.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤٨/١١، ط. العبيكان، ٢٢،٣٢١، ط. ابن القاسم.

(٥) أخرجه مسلم ٤٣٠.

رابعًا - من خصوصيات النبي ﷺ ومعجزاته رؤية الصفوف من خلفه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "فإني أراكم من وراء ظهري ...". قال الطيبي: هذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام[١]. وقد ورد عنه ﷺ قوله: (هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري)[٢]. وقال الشافعي في رواية حرمله قوله: إني أراكم من وراء ظهري كرامة من الله تعالى، أبانه بها من خلقه[٣]. وقال ابن حجر: ... والصواب ... إن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة[٤]. فيتضح من ذلك أن رؤيته ﷺ للصفوف من خلفه من معجزاته التي أيده الله بها.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤٣/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٨، ومسلم ٤٢٤.

(٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٧٣/٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦١٣/١.

الحديث رقم (١٠٩٠)

١٠٩٠- وعنه، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: ((أقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا؛ فَإنِّي أرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي)) رواه البُخَارِيُّ بلفظه، ومسلم بمعناه[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يلزق منكبه: يلصق منكبه والمراد المبالغة في تعديل الصف وسد خلله[٣].

منكب: المكان الذي يجتمع فيه الكتف مع رأس العضد[٤].

الشرح الأدبي

قوله (أقيمت الصلاة) ومادة (قوم) في اللغة تدور حول معنى التعديل، والرد إلى الاستقامة، والحفظ، قال الزمخشري: "وقوم العود، وأقامه فقام، واستقام، وتقوم ورمح قويم، وقوم المتاع، واستقامه"[٥]. والقَوَّام الحافظ اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر يقال: هذا قيِّم المرأة، وقوامها للذى يقوم بأمرها، ويهتم بحفظها ولذلك عبر به عن أداء الصلاة، وقول الرسول ﷺ (أقيموا الصفوف، وتراصوا) التعبير بإقامة الصف

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩)، ومسلم (٤٣٤/١٢٥) ولفظه: ((أتموا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة)).

(٢) برقم (٧٢٥).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٣٦٠، فتح الباري، ابن حجر ٢٤٧/٢.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

(٥) أساس البلاغة للزمخشري، ٢٨٥/٢ مادة (ق و م)، ط/٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

يشير إلى المعاني التي سبق ذكرها من التعديل، والحفظ، وغيره، وجمع الصفوف يلمح إلى تكثيرها بالحرص من الجميع على حضور الجماعات، وإضافتها إليهم خصوصية بهم تستلزم منهم الحرص عليها، والتعبير بالتراص يشير إلى التتابع، والانتظام، وقوله (فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي) العبارة فيها تهديد للمخالف، والرؤية من وراء الظهر خصوص له ﷺ، أعطاه الله من القوة أن يرى من خلفه كما يرى من أمامه لا أنه يخبر عنهم بخبر، ولو كان من طريق الخبر لقال عليه السلام، إني لأعلم بحالكم من وراء ظهري.

المضامين الدعوية [1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٩١)

١٠٩١- وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ، يقول: ((لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)) متفقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا[٣]، حَتَّى كَأنَّمَا يُسَوِّي بهَا القِدَاحَ حَتَّى رَأى أنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: ((عِبَادَ اللهِ، لتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)).

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

أو ليخالفنّ بين وجوهكم: يريد أن كُلاً منهم يصرف وجهه عن الآخر، ويوقع بينهم التباغض؛ فإن إقبال الوجه على أثر المودَّة والألفة [٤].

القِداح: جمع قَدْحٍ: السهم [٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه، وهو بيان فضل تسوية الصفوف، والعناية بها غير أنه سلك بالأسلوب مسلك التهديد، والوعيد في قوله (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦/١٢٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥). وتقدم في الرياض برقم ١٦٠.

(٢) لفظ مسلم: (كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) (٤٣٦/١٢٨). أوردها المنذري في ترغيبه رقم (٧١٥)، وتقدمت في الرياض برقم ١٦٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٥) المرجع السابق في (ق د ح).

بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) حيث بدأ بأسلوب الأمر المؤكد باللام، ونون التوكيد التي تشير إلى ارتفاع نبرة الكلام، وجنوحه نحو الوعيد، واتصال الصفوف بكاف الخطاب، وميم الجمع يعم الجميع، وقوله (أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) كناية عن البغضاء، والكراهية، وَاخْتُلِفَ فِي الْوَعِيد الْمَذْكُور فَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَقِيقَته، وَالْمُرَاد بِهِ تَشْوِيه الْوَجْه بِتَحْوِيلِ خَلْقه عَنْ وَضْعه بِجَعْلِهِ مَوْضِع الْقَفَا، أَوْ نَحْو ذَلِكَ، وَقِيلَ: كناية كما تقدم، وَمَعْنَاهاُ يُوقِع بَيْنكُمْ الْعَدَاوَة وَالْبَغْضَاء وَاخْتِلَاف الْقُلُوب كَمَا تَقُول تَغَيَّرَ وَجْه فُلَان عَلَيَّ أَيْ ظَهَرَ لِي مِنْ وَجْهه كَرَاهِيَة؛ لِأَنَّ مُخَالَفَتهمْ فِي الصُّفُوف مُخَالَفَة فِي ظَوَاهِرهمْ، وَاخْتِلَاف الظَّوَاهِر سَبَب لِاخْتِلَافِ الْبَوَاطِن، والطباق بين التسوية التي تشير إلى الاتفاق وبين المخالفة يؤكد المعنى ويوضح أثر الاختلاف المنافي لجلال الموقف، وغرض الاجتماع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦٠).

الحديث رقم (١٠٩٢)

١٠٩٢- وعن البراء بن عازبٍ ﵄، قَالَ: كَانَ رَسُول اللّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إلى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: ((**لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**)) وكَانَ يَقُولُ: ((**إنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ**)) رواه أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

يتخلل الصف: يدخل بينهم[2].

مناكبنا: جمع منكب: موضع التقاء الكتف مع رأس العضد[3].

الشرح الأدبي

تعبير الراوي بـ (كان) يشير إلى أن تخلل الرسول ﷺ للصفوف كان عادة له غالبة عند الصلاة، وقوله (مِنْ نَاحِيَةٍ إلى نَاحِيَةٍ) يشير إلى دقة تفقده للصفوف، ويصور الفعل المضارع (يتخلل) مع ذكر الناحيتين حركة الرسول ﷺ في ذهاب، ومجيء بين طرفي الصف وقوله (يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا) التعبير بالمسح يصور مع تحقيق التسوية المودة، والمحبة لأصحابه، والعبارة كناية عن حرصه على تمام الاعتدال، وعدم التفاوت بين المصطفين، وقوله (لا تَخْتَلِفُوا) نهي بغرض التحذير، والتهديد دل عليه قوله (فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) وهو كناية عن الكراهية، والبغضاء، وقوله: (إنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ) توكيد عبارة الترغيب تربية للمهابة وتعظيما للخبر، ولاة

---

(١) برقم (٦٦٤)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٥٦)، وابن حبان (الإحسان ٢١٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

الله مغفرة، ورحمة وعطايا أخرى، وصلاة الملائكة استغفار، ودعاء، والجمع بين الله، وملائكته في الصلاة على هؤلاء يشير إلى أهمية العمل، ويشيد بأهل الصف الأول الحريصين على الجماعات الطامحين إلى المقدمات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الاختلاف في الصفوف واثر ذلك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف:

يتضح هذا من الحديث: "كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا" وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإخبار عن هدى النبي ﷺ في أموره كلها، وخاصة هنا في هذا الحديث هديه ﷺ في تسوية الصف، والصحابة رضي الله عنهم يفعلون هذا لأنهم يعلمون أن في طاعة النبي واتباعه في هديه ودله، إنما يحقق لهم الهداية، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[1]، ويحقق لهم محبة الله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ويحقق لهم الفوز بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[3].

ومن آثار حرص النبي ﷺ على أمته، أنه جعل في طاعته سببًا يحقق لهم الرفقة في

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٢.

الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

وفي إخبار البراء رضي الله عنه بحرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف، إنما هذا إرشاد إلى ضرورة متابعة الرسول ﷺ.

(إن التأسي بالنبي ﷺ هو أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين، فإذا قال الرسول ﷺ قولا قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثل فعله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عظم شيئًا عظمناه، وإذا حقر شيئًا حقرناه، وإذا رضى لنا أمرًا رضينا به، وإذا وقف بنا عند حدٍ وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه، وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ تجريد متابعته والتلقي عنه وحده)[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهي:

حيث جاء في الحديث: "لا تختلفوا" حيث نهى النبي ﷺ عن الاختلاف في الصف حتى لا تختلف قلوبهم، ومما لا شك فيه أن أسلوب النهي من أساليب الدعوة النافعة حيث يشعر المدعو بخطورة المنهي عنه، وضرورة الحذر منه، وبهذا أمر الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[3]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٢٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

وقوله جل شأنه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الاختلاف في الصفوف وأثر ذلك:

يظهر هذا من الحديث: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" ومما هو معلوم أن الاختلاف في الصفوف يؤدي إلى اختلاف القلوب، ولحرص النبي ﷺ أنه كان يتخلل الصف. قال شرف الحق العظيم آبادي"يتخلل الصف: أى يدخل بينهم قوله "لا تختلفوا" أى بالتقدم والتأخر في الصفوف"[2]، وقال د. الحسيني هاشم: (لقد كان الرسول ﷺ يذهب خلل الصفوف بتسويتها بيده الشريفة، ويحذر من أن عدم الانتظام فيها سبيل إلى اختلاف القلوب، وأفضل الصفوف الأول فالذي يليه)[3]. ولاشك أن استواء الصف مظهر من مظاهر الوحدة والاتفاق وعدم التفرق، واختلاف القلوب يؤدي إلى التفرق، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[4].

قال ابن كثير: (أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والإئتلاف فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[5]. وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف)[6].

وقال د. محمد محمود حجازي: (يأمرنا الله بالاتحاد وعدم الخلاف والشقاق مع

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٥٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٥) أخرجه مسلم، ١٧١٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٩/٢ - ٩٠.

الاعتصام بالعهد والقرآن، وأمرنا بالتمسك بدينه ونهانا عن التفرق والاختلاف، فقد أنعم علينا بالإسلام، وألف بين قلوبنا بالقرآن، والنبي ﷺ، وخاطب المسلمين أن يكونوا أمة لها كيان ونظام، أمة مؤتلفة الأعضاء موحدة الجهات لا ترهب أحدًا، ولا تخاف شيئًا، فعلى المسلمين جميعًا واجب تكوين تلك الأمة، لتكون بهذا الوضع. وحذر الله المسلمين أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا اختلافًا كثيرًا لما حصل لليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات التي تهديهم إلى السبيل لو اتبعوها)[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الالتزام بالشرع "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة".[2]

خامسًا - من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ:

يتضح هذا من سياق الحديث، ومعلوم أن الرسول الكريم هو القدوة الأولى للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[3] ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي ﷺ في هذا الأمر، قال الشيخ ابن عثيمين: "لقد كان ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يسوي بيده الكريمة، وكان هذا عادته. ولما كثر الناس في زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وفي زمن عثمان رضي الله عنه، صار هناك رجال موكلون من قبل الخليفة يسوون الصفوف، فإذا جاءوا إلى الإمام وقالوا: إن الصفوف قد تمت وكملت، كبر للصلاة"[4].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١١/٤/١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين، ١٣١٩/٢.

ومما لاشك فيه أن الاقتداء بالنبي ومتابعته فيه الفوز والسعادة والرضى والفلاح والنجاة من النار. (إن طاعة الرسول ﷺ هى المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام، فكلما ازداد الحب زادت الطاعات، فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... ذاك لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن أحب مطيع

والتحاكم إلى سنة النبي ﷺ أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته ويسلم تسليمًا، ومن علامات الزيغ والنفاق: الإعراض عن سنته وترك التحاكم إليها)[1].

---

(١) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٢.

الحديث رقم (١٠٩٣)

١٠٩٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((اقيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأيْدِي إخوانِكُمْ، ولاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ)) رواه أبُو دَاوُدَ[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

وحاذوا بين المناكب: اجعلوا بعضها حذاء بعض فيكون كل منكب موازيًا للآخر فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمت واحد[٢].

سدوا الخلل: أي الفرجة في الصفوف[٣].

ولينوا بأيدي إخوانكم: كونوا لينين هينين منقادين، أي: إذا أخذوا بها ليقدموكم أو يؤخروكم حتى يستوي الصف[٤].

فرجات: جمع فرجة وهي: الخلل الذي يكون بين المصلين في الصفوف[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يدور كسابقه حول تسوية الصف، وقد جاء المعنى في أسلوب الأمر، العام مع النهي، وقد وردت جمل الحديث التي تصدرها الأمر، أو النهي قصيرة سريعة تعمد إلى تقرير المعنى بصورة مباشرة تناسب مقام الشروع في الصلاة، والمتأمل لجملة الأوامر

---

(١) برقم (٦٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٢).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ج).

(أقيموا - حاذوا - سدوا - ولينوا) يرى أنها متصلة بواو الجماعة التي تعم جميع المخاطبين، كما أنها تصبُّ في اتجاه واحد، وهو تمام الصلاة باستقامة الصف، وتمام الاستعداد للموقف الجليل مع ما يدل عليه من الالتحام، والتوافق، والاتصال، والرفق المحقق للغاية، وهو نموذج للنظام، وقوة الاتصال الوجداني، والجسدي في الصلاة ينسحب على جملة أمور المسلمين التي تجمعهم على الاتفاق، وتمنع أسباب الشقاق، ثم جاء الترغيب النبوي في وصل الصفوف عن طريق الشرط الذي يربط وصل الصف بوصل الله، وقطع الصف بقطع الله، وقد تكون جملتا الشرط خبريتين لفظا إنشائيتين معنى على سبيل الدعاء من الرسول ﷺ بوصل الله لواصل الصف بمعنى اللهم صله، وقطع الله لقاطع الصف، ثم إن النهي الوحيد في الحديث (ولاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ) يشير إلى بُعد آخر من الحديث وهو تصفية هذا الجمع الطاهر من كل نماذج الشر، فهذه الصورة التي تجتمع في الصفوف من التلاحم، والترحم، والتحابب لا يجب أن يخترقها عدو فإقامة الصفوف على هذه الصورة تخرج من بينهم اخطر أعدائهم، وأخفاهم، وهو الشيطان.

المضامين الدعوية [(١)]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إقامة الصفوف وتسويتها ووصلها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

إن للدعوة أساليبًا متعددة، والداعية الحصيف هو الذي يستعمل الأسلوب المناسب في موطنه المناسب، ومن هذه الأساليب أسلوب الأمر، ويتضح هذا من الحديثين[(٢)]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٩٤).

(٢) حديث رقم (١٠٩١)، (١٠٩٢).

"أقيموا الصفوف" "حاذوا بين المناكب"، "رصوا صفوفكم" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه، ومن هنا وجب على الداعية أن ينوع في أساليب الدعوة، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]، وقوله جل شانه: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾[3].

قال د. نور الدين مختار الخادمي: (إن أوامر الشرع هي أوامر الله تعالى الذي تعالى في كونه وهيمن وحَكم، فهو المتعالي المهيمن الجبار، ولذلك فإن الأمر هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء، فهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، وليس طلب الند للند أو النظير لنظيره، وإذا صدر الطلب من شخص يساوي الشخص المطلوب، كطلب الزميل من زميله أو الجار من جاره فيسمى التماسًا ورجاءً، وإذا صدر من الأدنى إلى الأعلى سمى دعاءً وتضرعًا، وهو طلب المخلوق من الخالق كل الخير والمغفرة والعفو في الدنيا والآخرة)[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على إقامة الصفوف وتسويتها ووصلها:

إن الرسول ﷺ يرشد الجماعة المؤمنة إلى إقامة الصف وتسويته وووصله، حتى يتدرب المسلم ويتمرن على الاتحاد والتراص كالبنيان المرصوص، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل"، وقوله: "من وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله"، ولا شك أن إقامة الصفوف وسد الخلل من الأمور المهمة في الصلاة، قال الطيبي: وقوله: "قاربوا بينها"، أى قاربوا بين الصفوف بحيث لا يسع بينهما صف آخر، حتى لا يقدر الشيطان أن يمر بين أيديكم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٤) تعليم علم الأصول ٣٦١، ٣٦٢.

فيصير تقارب أشباحكم سببًا لتعاضد أرواحكم. وقوله:" وحاذوا بالأعناق" بأن لا يقف أحدكم مكانًا أرفع عن مكان آخر، ولا عبرة بالأعناق أنفسها، إذ ليس للطويل أن ينخس عنقه ليحاذي عنق القصير، وقوله: "إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف"، هى الغنم الصغار الحجازية، وقيل: هى صغار جرد ليس لها آذان ولا أذقان، يُجاء بها من جرش اليمن. والضمير في "كأنها" راجع إلى مقدر، أى جعل نفسه شاة أو ماعز، كأنها الحذف[١].

وقال العظيم آبادي: "والمراد بقوله" وحاذوا بين المناكب" أى اجعلوا بعضها حذاء بعض، بحيث يكون منكب كل واحد من المصلين موازيًا لمنكب الآخر ومسامتًا له فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمت واحد. وقوله: "لينو بأيدي إخوانكم" أى كونوا لينين هنيين منقادين إذا أخذوا بأيديكم ليقدموكم"[٢].

ولا شك أن تسوية الصفوف، ومحاذاة المناكب في صلاة الجماعة تولد في داخل المؤمن الوحدة والاجتماع والتآزر، ومن ثم كان حرص رسول الله ﷺ على تسوية الصف قال: الشيخ أبو الحسن الندوي: (وفي الجماعة حكم دقيقة، ومصالح عظيمة للمسلمين منها: ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع، والتعاون، وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها، إذا لا تتحقق فوائد الجماعة ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها، كالبنيان المرصوص، ولأن الصلاة والجماعة تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة) [٣].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث جاء في الحديث: "ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله"،

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) الأركان الأربعة، ٥٥، ٥٦.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة النافعة والناجعة، "والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه، والترهيب هو التخويف للعمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور، والإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب"(١).

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف:

إن من الأمور المهمة التي يطلبها الله من عباده ان يكونوا أمة واحدة ويدًا واحدة، وتبدأ هذه الوحدة من وحدة الصف في الجماعة في المسجد، ويؤخذ هذا المعنى من الحديث في قوله ﷺ:"أقيموا الصفوف"، "رصوا صفوفكم"، وإن وحدة الصف في الصلاة هى المؤشر لوحدة القلوب والأفئدة، وبداية الوحدة الإسلامية تتحقق من وحدة الصف في الصلاة أولاً، وقد بين الله أنه يحب وحدة الصف، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٢)، وأمر بالوحدة والاعتصام فقال جل شانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(٣)، ونهى الله عن التفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾(٦).

---

(١) أصول التربية إسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الروم، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

قال السيد سابق: (والإسلام بطبيعته يجعل من المسلمين كتلة واحدة، ويخلق بينهم تضامنًا، فهو يجمعهم على عقيدة واحدة، وعبادة واحدة، وشريعة واحدة، وقبلة واحدة، وغاية واحدة، وأي صدع في هذه الوحدة، وأي هزة في هذا الكيان، يعتبر جريمة ما بعدها جريمة، فإن الفرقة قاضية على الدين والدنيا معًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1]، وذهاب الريح هو ذهاب القوة القاضية بالضعف والإذلال ثم الفناء والزوال، وعلى المسلمين أن يسارعوا إلى إصلاح ذات البين وتقوية الروابط إذا تعرضت لوهن أو ضعف، ولا تقل أهمية هذه المسارعة عن أهمية المسارعة إلى الصلاة وغيرها من العبادات)[2].

والطريق لتحقيق وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف، إنما يبدأ من الحرص على عدم ترك خلل أو فرج في الصفوف، وقد قال النبي ﷺ في الحديث:((ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله))، قال العظيم آبادي: وقوله: "سدوا الخلل" أي الفرجة في الصفوف، وقوله: "لا تذروا" أي لا تتركوا فرجات للشيطان فإن من وصل صفًا بالحضور فيه وسد الخلل منه وصله الله أي برحمته ومن قطع صفًا بالغيبة أو بعدم السد أو بوضع شيء مانع قطعه الله أي برحمته الشاملة وعنايته الكاملة وقوله "رصوا صفوفكم" أي ضموا بعضها إلى بعض ومنه رص البناء وقاربوا بين الصفوف بحيث لا يسع بين الصفين صف آخر"[3]، ولا شك أن كل هذه النصوص تؤكد على الحذر من ترك خلل أو فرج في الصفوف.

وتدعو إلى وحدة الصف والتراص، لتحقيق هدف الدعوة بعدم اختلاف المسلمين وجعلهم أمة واحدة.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) عناصر القوة في الإسلام ١٧٩، ١٩٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

الحديث رقم (١٠٩٤)

١٠٩٤- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ)) حديث صحيح رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1] بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

وحاذوا بالأعناق: اجعلوا بعضها في محاذاة بعضٍ: مقابلته[2].

خلل الصف: أي فرجته، أو كثرة تباعدها عن بعض[3].

الحَذَفُ: بحاء مهملة وذال معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهي غنم سود صغار تكون باليمن[4].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، ومقارب له في الأسلوب مع اختلاف في بعض الألوان البلاغية، وقد بدأ بأسلوب الأمر برصِّ الصفوف والمقاربة بينها والمحاذاة (رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وحاذوا بالأعناق) فالتراص في الصف ينظم علاقة المصلي بمن على يمينه، ويساره، والمقاربة تنظم علاقة الصف بمن أمامه ومن خلفه، والمحاذاة بالأعناق تشير اعتدال قامة المصلى باعتبار من يقف حوله وقوله (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى) يمثل نقلة وجدانية في طبيعة السياق، لأنه قسم يتزلزل له الوجدان؛ لأن الذي

---

(١) برقم (٦٦٧)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٤٥)، وابن حبان (الإحسان ٢١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٤) رياض الصالحين ٤١٠.

يحلف صادق لا يكذب، وهو نبي يوحى إليه مما يحقق اليقظة، والترقب، ويضمن للمعنى الثبات؛ لأنه ارتبط بتعبير له خصوصية في الترهيب وهو قوله: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وطبيعة تكوين هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة بالتكذيب يوحي بأهمية المعنى بعده الذي ثم أكد بإن مع اللام المؤكدة لفعل الرؤية وقوله (لأرى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ) يشير إلى سبب كثافة المؤكدات وهو تربص العدو، ودخوله بينهم مع عدم رؤيتهم له، وغفلتهم عنه وقوله (كأنها بنات حذف) تشبيه من بيئة المخاطبين يقرب المعنى عن طريق الصورة التي تشبه الشيطان بين المصلين بالحذف وهو غنم سود صغار وهذا التشبيه يشير إلى أنه يتصاغر حتى يجد فرجة تسعه، ويبحث بين الصفوف ومن يترك فرجة في الصف يعطي فرصة للشيطان يدخل إليه ليفسد بعد ذلك صلاته.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٩٥)

١٠٩٥- وعنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((أتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ)) رواه أَبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ترتيب الوقوف مع الإمام في الصلاة بداية بالصف المقدم الفاضل بصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته كما مر في الأحاديث السابقة، حتى إذا وجد نقص يكون في آخر صف، وقوله (أتموا) إشارة أن عدم تمام الصف المقدم في وجود من يتمه نقص يجب أن تخلو منه صورة صفوف المصلين، والطباق بين الصف المقدم، وبين الصف المؤخر يقرر هذا المعنى الذي يصحح صورة الاستقامة على الوجه الذي يرضاه الله تعالى ورضا الله غرض خرج له كل مؤمن قصد المسجد لأداء الصلاة في الجمع محرزا السبق في الصف الأول، ومتجنبا أقل الصفوف أجرا، والتعبير بالنقص وجعله في آخر صف يقرر الأفضلية للصف الكامل لأن الشيطان يتخلل الصفوف ويبحث عن الفُرج ليقف فيها فلا يجدها في الصف الأول، وربما وجدها في الصف الأخير الذي يكون فيه النقص، وهو مما يؤثر على الصلاة، وينتقصها، وهو من أسباب فضل الصف الأول.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إتمام الصف الأول وتدريب المسلم على النظام.

ثالثًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمامه للصفوف.

---

(١) برقم (٦٧١)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٤٦).

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث "أتموا - فليكن" ولاشك أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤثر في المدعو وتجعله يقدم على المأمور به لشعوره بأهميته، وخطورته، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2]، ومما يذكر في أسلوب الأمر أنه إذا كان من الأدنى للأعلى فهو طلب ودعاء مثل قوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ﴾[3]، وإذا كان الأمر من المساوي للمساوي فهو التماس، وإذا كان من الأعلى للأدنى فهو أمر صريح. والداعية الناجح يستخدم أسلوب الأمر في موطنه، ومع من يناسبه من أصناف المدعوين.

قال محمد أبو زهرة: (والطلب الذي تدل عليه صيغة الأمر هو طلب الفعل، إما على جهة اللزوم، أو على وجه الندب، ولكن بالاستقراء تبين أن العرف الإسلامي في فهم الكتاب والسنة باعتبارهما مبينين للشرع الإسلامي يجعل الأمر فيهما للوجوب، أي للطلب الحتمي اللازم؛ لأن ذلك هو الكثير الغالب، وعلى ذلك فكل أمر يدل على الطلب اللازم، إلا إذا قام الدليل على خلاف ذلك، وذلك هو رأي جمهور الفقهاء)[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية إتمام الصف الأول وتدريب المسلم على النظام:

إن أداء العبادات في الإسلام له أثره الرئيس في سلوك المسلم، ومن ذلك إتمام الصف الأول في الصلاة، فهو يُعَوِّد المسلم على الحرص على النظام، ويتضح هذا من الحديث من قوله ﷺ: "أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) أصول الفقه، أبو زهرة ص ١٧٦.

المؤخر" قال الطيبي: " ولإتمام الصف، لا يُمنع لضيق المكان من يريد الدخول بين الصف لسد الخلل"[١]. وقال شمس الحق العظيم آبادي: وقوله: "أتموا الصف المقدم" أي: الأول ثم الذي يليه، أي ثم أتموا الصف الذي يلي الصف الأول، وقوله "فما كان" أي فما وجد، وقد دل الحديث على جعل النقصان في الصف الأخير، لكن لم يظهر منه موقف الصف الناقص والظاهر أن يقف أهل الصف الناقص خلف الإمام عن يمينه وشماله"[٢]، وفي توجيه النبي ﷺ بإتمام الصف الأول ثم الذي يليه، إنما يعلم المسلمين النظام في الوقوف في الصف، والنظام في الصلاة ولا شك أن هذا يؤثر على سلوك المسلم فيكون مستصحبًا للنظام في جميع أموره.

وقد علّم رسول الله ﷺ المسلمين النظام حتى في إمامة الصلاة، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّه. فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً . فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ. فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً. فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً. فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا. وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ. وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ ليُؤتَمَّ به، فلا تَختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال سمعَ اللّهُ لمن حمِدَه فقولوا ربَّنا لكَ الحمدُ، وإذا سَجدَ فاسجُدُوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جُلوسًا أجمعونَ، وأقيموا الصفَّ في الصلاةِ، فإنَّ إقامةَ الصفِّ مِن حُسنِ الصلاة»[٤].

"ومن فوائد النظام أنه يحفظ أمر الجماعة ويقيها من الاختلاف والتفرق، وهو يؤدي إلى ألفة الجماعة وعدم اختلافها، ويوطد أركان الأسرة ويدعم العلاقات الاجتماعية

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٤.

ويبعد الشحناء، ومن خلال النظام يمكن القيام بالأعمال الكثيرة في الأوقات القليلة، وهو دليل الالتزام بأحكام الشرع، والالتزام بالنظام يبعد الشيطان ويجلب البركة"(١).

ومن خلال هذا يتضح أن التزام المسلم بإتمام الصف الأول ثم الذي يليه وحرصه على ذلك، يدرب المسلم على التزام النظام في حياته، وفي علاقته مع الآخرين. فعلى الدعاة الهداة تعويد المصلين على النظام من خلال تنبيههم إلى ضرورة إتمام الصف الأول، وأن يكون النقص في الصف المؤخر.

ثالثًا- من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمامه للصفوف:

يتضح هذا من سياق الحديث، ويتضح منه اهتمام النبي ﷺ بإتمام الصفوف، والتأكيد عليها، وهذا يجعل من آداب الداعية أن يقتدى بالنبي ﷺ في هذا ويحرص على إتمام الصفوف.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ. وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»(٢).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قُلْنَا: وكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قال: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُقَدَّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»(٣).

واقتداء بهدي النبي ﷺ كان عمر رضي الله عنه يهتم بتسوية الصف، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾(٤)، قال ابن كثير: (والمراد أي نقف صفوفًا في الطاعة، وعن الوليد بن عبدالله بن أبي مغيث قال: كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت هذه

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٥١٤/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤٣٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

الآية فصفوا، وقال أبو نصرة: كان عمر ﷺ إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم استووا قيامًا، يريد الله بكم هدى الملائكة، ثم يقول: "وإنا لنحن الصافون" تأخر يافلان، تقدم يافلان، ثم يتقدم فيكبر ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[1]، أي نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له، فقراء إليه خاضعون لديه)[2].

ولقد ثبت من الحديث حرص النبي ﷺ على تسوية الصف وإتمامه، وإذا كان النبي ﷺ قد فعل ذلك وحرص عليه، فإن الرسول الكريم هو الأسوة والقدوة لنا في جميع شئون الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، والداعية الذي يحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ إنما يؤثر في نفوس المدعوين، ويحقق لهم أيضًا القدوة الحسنة.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٤٤/٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الحديث رقم (١٠٩٦)

١٠٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ)) رواه أبُو دَاوُدَ[١] بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم، وفيه رجل مُخْتَلَفٌ فِي تَوثِيقِهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ميامن: جمع مَيْمَنَةٍ: اليمين [٣]، أي: الصفوف التي في ميمنة الإمام[٤].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يتسم بإيجاز القصر تصدَّره توكيد بـ(إن) مع اسمية الجملة، ولفظ الجلالة (الله)، وتصدير الكلام به تصدير له بذروة سنام القدسية، والطهر في الألفاظ، وأعمقها دلالة على الإطلاق، وتصدر لفظ الجلالة الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين تلين قلوبهم لذكره؛ لأنه يبث في النفوس الهيبة، والجلال بقدر صفاء هذه النفوس (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) [سورة الحج: ٣٥]. هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره في كل ألفاظ كل لغات البشر، ثم إن بداية الخبر بالتوكيد دون مواجهة بالتكذيب تعظيم

---

(١) برقم (٦٧٦)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢١٦٠)، وقال المنذري في ترغيبه (٣٨٨/١)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٢١٣/٢): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٧).

(٢) الراوي المختلف فيه، هو: أسامة بن زيد الليثي.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي م ن).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٨.

للخبر، وبث لهذا الإحساس في نفوس المخاطبين حتى إذا ما قرَّ فيها عملت بموجب هذا الخبر، وذكر الملائكة يوحي بالسكينة، والطمأنينة؛ لأن بينهم، وبين المؤمنين اتصال يتمثل في محبة، وإيمان من المؤمنين، ومحبة، واستغفار، وحفظ، ورعاية من جانب الملائكة، وقوله (يصلون) تصور صيغة المضارع تجدد الفعل، واستمراره مع حركة عُمَّار المساجد السبَّاقون للخيرات، وصلاة الله - عز وجل - مغفرة، ورحمة، وصلاة الملائكة استغفار، وقوله (ميامن) جمع ميمنة وهي جهة اليمين في المكان، وجمعها يشير إلى أن هذا الفضل متعلق بيمين كل صف، وليس الصف الأول فقط، ويعضده جمع الصفوف، وهو يجري مع سنة الرسول ﷺ في التيمن في كل شيء.

فقه الحديث

وفي الحديث استحباب أن يكون المصلي في يمين الصف الأول وما بعده من الصفوف[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الوقوف في ميامن الصفوف.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والتزام هديه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الله وملائكته" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يقبل على المؤكد عليه، ويدل على ثقة الداعية فيما يقول ولذا أكده، وأسلوب التوكيد يستخدم عندما يراد إقناع المدعو بشيء ما، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2]، وقوله

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٣/٣.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣١.

سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[١]، وقوله جل شانه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[٢].

قال الأستاذ علي الجارم: (إن للمخاطب ثلاث حالات:

١- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد.

٢- أن يكون مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه.

٣- أن يكون منكرًا له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفًا)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الوقوف في ميامن الصفوف:

إن الإسلام يحب التيامن في كل شيء، ولذا كان من توجيهاته البدء باليمين في كل أعمال الخير، ومن ثم حث الرسول ﷺ على الوقوف في ميامن الصفوف. ويتضح هذا من الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، قال العظيم آبادى: والميامن جمع ميمنة، وفيه استحباب الكون في يمين الصف الأول وما بعده من الصفوف"[٤].

وقال ابن علان: (وقوله: "يصلون على ميامن الصفوف" أى الصفوف التي في ميمنة الإمام، ومنه أخذ أئمتنا أفضلية الوقوف عن يمين الإمام، ولو تعارض مع القرب من الإمام على ما استوجهه أئمتنا، والمراد أنه يسن إذا وصل المأموم المسجد ووجد الناس متوسطين الإمام ووجد فرجة على يمينه وأخرى عن يساره أن يسد فرجة اليمين، فلا يلزم من تفضيل التيامن فوات سنة توسيط الإمام المطلوب أيضًا، ومحل طلب التيامن إذا كانت جهته تسع جميع الجاءين، وإلا سن التسابق إليها، والباقون يصلون

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم - مصطفى أمين - ص ١٨٨.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٤.

في اليسرى، كما أن السنة إتمام الصف الأول ثم الثاني وهكذا)[١].

وقال الراغب: (واليمين أصله الجارحة، وقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[٢]، أي منعناه ودفعناه، فَعُبِّر عن ذلك الأخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان عن تعاطي الهجاء وقيل معناه بأشرف جوارحه وأشرف أحواله، وقوله جل شأنه ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾[٣]، أي أصحاب السعادات والميامن، وذلك على حسب تعارف الناس في العبارة عن الميامن باليمين، وعن المشائم بالشمال، واستعير اليمين للتيمن والسعادة. ومن اليمين تُوولَ اليمن، يقال ميمون النقيبة أي مبارك، والميمنة: ناحية اليمين)[٤].

وقال الفيروز آبادي: (واليمن البركة كالميمنة، واليمين الجارحة، وضد اليسار أيضًا البركة، واليمين المنزلة الجليلة، وتيامن ذهب به ذات اليمين، وكان ﷺ يحب التيامن في كل شيء حتى في تنعله وترجله وفي شأنه كله)[٥].

وقال ابن الأثير: (التيمن: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن)[٦]، وإذا كان النبي ﷺ يرغب في ميامن الصفوف، فلقد كان هديه ﷺ البداءة باليمين في كل أحواله، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ. وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ. وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ»[٧].

قال النووي: (قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتشريف، وأما ما كان بضده فيستحب التياسر فيه، وذلك كله

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٨.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الواقعة، الآية٢٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٥٣.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤٠٦/٥، ٤٠٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٢٧.

(٧) أخرجه البخاري ٥٣٨٠، ومسلم ٢٦٨ واللفظ له.

بكرامة اليمين وشرفها)[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والتزام هديه:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من أهم آداب المدعو الالتزام بهدى النبي ﷺ والاقتداء به في كل الأمور، وذلك تصديقًا لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، قال السعدي: "والأسوة نوعان: أسوة حسنة وأسوة سيئة، فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة. والأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[3].

وقال د. صالح بن حميد عن نفس الآية: (ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة، أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ﷺ، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه، أو خلق من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها، فيقتدى به ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء)[4].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من الحديث: (إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، وأسلوب

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٠٩.

(٤) معالم في منهج الدعوة ٦١.

الترغيب يحبب المدعو في الإقدام على الطاعات وفعل الخيرات انتظارًا لثواب الله عز وجل، "لقد جبل الله النفس البشرية على حب الخير، فالإنسان تواق دائمًا لكل ما يحقق لذاته الخير والفلاح والسعادة، وفي الوقت ذاته حريص على تجنيب نفسه وحفظها من كل مكروه، وأسلوب الترغيب محبب إلى هذه النفس، فأول ما يبدأ الداعية يكون بهذا الأسلوب)[1].

وإذا كان الداعية يجب عليه أن يبدأ بالترغيب، فإنه مطالب كذلك بالموازنة بين الترغيب والترهيب في الدعوة، حتى لا يركز على أسلوب دون الآخر، وقد قال الله عن وظيفة النبي الكريم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[2].

وفي الحديث رغب النبي ﷺ في الوقوف على يمين الصف، ببيان أن الملائكة تصلي على ميامن الصفوف، وفي هذا تحفيز للمدعو إلى الحرص على الصلاة، والوقوف في ميامن الصفوف لنيل صلاة الملائكة.

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجارى، ٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٠٩٧)

١٠٩٧- وعن البراء رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُول اللهِ ﷺ أحْبَبْنَا أنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ – (أو تَجْمَعُ) – عِبَادَكَ)) رواه مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

تعبير الراوي بـ(كان) إشارة أن هذا الحدث عادة غالبة في الفعل المذكور، واتصال الفعل بـ(نا) الدالة على الجماعة يشير إلى أن الخبر مشهود، وهو ما يُضفي عليه لونا من التأكيد، والظرف المضاف إلى الرسول ﷺ (خَلْفَ رَسُول اللهِ ﷺ) يوحي بشرف المكان وقوله (أحْبَبْنَا أنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينهِ) التعبير بالمحبة يشير إلى أن هواهم صار تبعا لما جاء به الرسول ﷺ وهو ما يجب أن يكون عليه المؤمن، وقوله: (يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) يصور الفعل المضارع حركة وجه الرسول ﷺ في انتقال من اتجاه القبلة دائرا جهة الصحابة رضي الله عنهم وعيونهم متعلقة بالمطلع المهيب للنور البشري الأعظم، وقوله (رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ – أو تَجْمَعُ – عِبَادَكَ) نداء حذفت منه أداة النداء، وأصله (يا رب) ولعله استشعر قربه لدرجة لم يحتج فيها إلى مد الصوت فلم يذكر أداة النداء، وقد يكون العبد في موقف آخر مستشعرا بعده عن منزلة الزلفى فيمد صوته بـ(يا) أو حتى لمجرد الرغبة في إطالة أمد الكلام، والاستلذاذ بحالة القرب الإلهي، وقوله (قني) أمر من الوقاية قصد به الدعاء وفي الجملتين الأخيرتين سجع بديع يجذب السمع، ويثبت اللفظ، ويؤكد المعنى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ.

---

(١) برقم (٦٢/٧٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٨).

ثانيًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على ملازمة رسول الله ﷺ ويتضح هذا من حرصهم على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ، وذلك حيث جاء في الحديث: "كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه"، قال أبو العباس القرطبي في المفهم: "وقوله: أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه" يحتمل أن يكون هذا الإقبال منه ﷺ في حال سلامه من الصلاة، فإنه كان يبدأ السلام بيمينه، والأظهر: أنه كان حين انصرافه من الصلاة. ويكون هذا حين كان يكثر أن ينصرف عن يمينه والله أعلم"[1].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أن يكونوا عن يمين رسول الله ﷺ لأنه ﷺ كان ينصرف عن يمينه، فعن أنس رضي الله عنه قال: «أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ»[2]. وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما يخالف هذا فعنه رضي الله عنه قال: «لاَ يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ مِنْ نَفْسِهِ جُزْءًا، لاَ يَرَى إِلاَّ أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ، أَنْ لاَ يَنْصَرِفَ إِلاَّ عَنْ يَمِينِهِ. أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْصَرِفُ عَنْ شِمَالِهِ»[3].

قال النووي في الجمع بينهما: "وجه الجمع بينهما أن النبي ﷺ كان يفعل تارة هذا وتارة هذا، فأخبر كل واحد بما اعتقد أنه الأكثر فيما يعلمه فدل على جوازهما، ولا كراهة في واحد منهما، وأما الكراهة التي اقتضاها كلام ابن مسعود فليست بسبب أصل الانصراف عن اليمين أو الشمال، وإنما هي في حق من يرى أن ذلك لابد منه، فإن من اعتقد وجوب واحد من الأمرين مخطيء، ولهذا قال: يرى أن حقًا عليه، فإنما ذم من

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٤٩.

(٢) أخرجه مسلم ٧٠٨.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥٢، ومسلم ٧٠٧.

رآه حقًا عليه، ومذهبنا أنه لا كراهة في واحد من الأمرين، لكن يستحب أن ينصرف في جهة حاجته سواء كانت عن يمينه أو شماله، فإن استوت الجهتان في الحاجة وعدمها فاليمين أفضل لعموم الأحاديث المصرحة بفضل اليمين في باب المكارم ونحوها. هذا صواب الكلام في هذين الحديثين، وقد يقال فيهما خلاف الصواب والله أعلم"[١].

وقال ابن حجر معقبًا على ما ذكره النووي: "... ثم ظهر لي أنه يمكن الجمع بين الحديثين بوجه آخر، وهو أن من قال: كان أكثر انصرافه عن يساره نظر إلى هيئته في حال الصلاة، ومن قال كان أكثر انصرافه عن يمينه نظر إلى هيئته في حال استقباله القوم بعد سلامه من الصلاة، فعلى هذا لا يختص الانصراف بجهة معينة، ومن ثم قال العلماء: يستحب الانصراف إلى جهة حاجته. قال ابن المنير: فيه أن المندوبات قد تنقلب مكروهات إذا رفعت عن رتبتها، لأن التيامن مستحب في كل شيء أي من أمور العبادة، لكن لما خشي ابن مسعود أن يعتقدوا وجوبه أشار إلى كراهته، والله أعلم"[٢].

وقال ابن علان: "وفي الحديث الندب إلى تأخر المأموم عن الإمام، وإن كانت المساواة له في الموقف لا تبطل الصلاة، وقوله: "أحببنا أن نكون عن يمينه" أي واقفين بجهة يمناه، وعلل حبهم ذلك على طريق الاستئناف البياني بقوله: "ويقبل علينا بوجهه" وفيه الحث على التيامن وتعمير جهة اليمين"[٣].

ثانيًا - من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

إن النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وسمته ودله وهديه قدوة للمسلمين جميعًا، وواجب الداعية التأسي بالنبي ﷺ حتى يضمن لدعوته النجاح والقبول، ويستنبط هذا من الحديث من قول البراء رضي الله عنه: "يقبل علينا بوجهه"، قال القاضي عياض: "وإقبال النبي ﷺ يحتمل أن يكون بعد قيامه من مصلاه، أو يكون ينفتل دون قيام، وفيه أن الإمام لا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٩٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣٩٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

يبقى على حالته في مصلاه، فإما أن يقوم، أو ينحرف عن موضعه، وينفتل بوجهه لئلا يخلط على الناس، ويظن الداخل أنه في الصلاة بعد، ولأنه بتقدمه عُلم بأن الصلاة انقضت، ومقامه هناك من باب التمييز بمكانه عن غيره، وليس فيه شيء من العجب والكبر، كما كره له الصلاة أرفع مما عليه أصحابه، وإن أمن ذلك في حق النبي ﷺ، ونُزِّه عنه، فهو يشير بما يقتدي به بعده"[(١)].

وقال الشافعي: "فإذا قام المصلي من صلاته إمامًا أو غير إمام فلينصرف حيث أراد إن كان، حيث يريد يمينًا أو يسارًا أو مواجهة وجهه أو من ورائه، انصرف كيف أراد لا اختيار في ذلك أعلمه، لما روى أن النبي ﷺ كان ينصرف عن يمينه وعن يساره وإن لم يكن له حاجة في ناحية، وكان يتوجه ما شاء، أحببت له أن يكون توجهه عن يمينه لما كان النبي ﷺ يحب التيامن غير مضيق عليه في شيء من ذلك"[(٢)].

وقال شبير أحمد العثماني: "وفي قوله: يقبل علينا بوجهه" قال الحافظ: قيل الحكمة في استقبال المأمومين أن يعلمهم ما يحتاجون إليه، فعلى هذا يختص بمن كان في مثل حاله ﷺ من قصد التعليم والموعظة، وقيل: الحكمة فيه تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت، إذ لو استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلاً. وقال الزين بن المنير: استدبار الإمام المأمومين إنما هو لحق الإمامة، فإذا انقضت الصلاة زال السبب، فاستقبالهم حينئذٍ يرفع الخيلاء والترفع على المأمومين، والله أعلم"[(٣)].

وينبغي على الداعي أن يتأسي برسول الله ﷺ في ذلك، حتى يحبه المدعوون ويقبلوا عليه كما يقبل هو عليهم، والداعية الناجح هو الذي يدرب نفسه على التأسي برسول الله ﷺ لأنه هو الداعية الأول وإمام الدعاة، وبذا يضمن الداعي لدعوته النجاح والفلاح. "فإذا ربى الداعية نفسه على حب الرسول ﷺ واتباعه، توجه إلى أهله

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٢/٣.

(٢) الأم، الإمام الشافعي ص ٩٨.

(٣) فتح الملهم ٤٤٣/٤.

وأبنائه وعشيرته الأقربين فدعاهم لما يحييهم ويضمن لهم الفوز في الدنيا والآخرة، ثم توجه بالدعوة بعد ذلك لكل من يستطيع دعوتهم. وهذا هو عين الخير وحسن الخلق وكمال الإيمان، وثمرة ذلك كله هو القرب من رسول الله ﷺ في جنة النعيم"[١]. وقد جعل الله الهداية في طاعة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢]، وجعل اتباعه والتأسي به سبب لمحبة الله، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

حيث جاء في الحديث فسمعته يقول: "رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك"، ولا شك أن هذا تعليم للصحابة رضي الله عنهم ويعتبر التعليم من وسائل الدعوة المهمة "إن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق، وإذا كان الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خيرًا غزيرًا فإن أول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به"[٤].

إن المدعوين قد يخفى عليهم الكثير، ولا يتحقق لهم معرفة ما جهلوا إلا من خلال التعليم لهم، وهذا ما حرص عليه رسول الله ﷺ، فعن أبي رفاعة رضي الله عنه قال: «انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيِّ،

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/ك و - من مقدمة الناشر.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة - الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٢.

حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا»[1].

قال النووي: (وفي الحديث استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٧٠.

الحديث رقم (١٠٩٨)

١٠٩٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللّهِ ﷺ: ((وَسِّطُوا الإمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ)) رواه أبُو دَاوُد[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وسِّطوا الإمام: اجعلوه في الوسط، والصفوف وراؤه[٢].

الخلل: الفُرجَة والفراغ يكون في الصف، قبل تمامه[٣].

الشرح الأدبي

اقتضت طبيعة المقام عند إقامة الصلاة أن يكون الكلام موجز شديد التركيز على المطلوب لشروعهم في الصلاة، ولذلك جاء الحديث كلافتة قصيرة تعجل بالحكم وقوله: (وسطوا الإمام) :أمر توجيه، وإرشاد أي اجعلوه وسط الصف لينال كل أحد عن يمينه وشماله حظه من نحو سماع، وقرب كما أن الكعبة وسط الأرض لينال كل منها حظه من البركة، أو المراد اجعلوه من واسطة قومه أي من خيارهم (وسدوا الخلل) أمر نصح، وإرشاد لتتبع المسافات الخالية بين المصلي، والمصلي، والخلل ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص، ونلاحظ أن الفعلين متصلان بواو الجماعة لتشمل جميع المخاطبين لأنها صلاة جماعة، والمأمور به لا يتحقق إلا من خلال تعاون الجماعة عليه.

---

(١) برقم (٦٨١)، أعلّه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٣/٣٥٠) ببشير بن خلاد، وأمه، وهي الجهل بحاله وبحال أمه، وقال الذهبي في المهذب (٢/١٠٣٥): سنده لين.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث وتوجيه النبي ﷺ للمأمومين بتوسيط الإمام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على سدّ الخلل في الصفوف وفضل ذلك.

أولاً – من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث: "وسطوا الإمام" "وسدو الخلل"، وأسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية المأمور به مما يستلزم معه ضرورة تنفيذه وعدم إهماله وتجاهله، وقد أمر الله في القرآن بفعل ما أمر به رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر، قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3].

"إن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة والامتنان والإهانة والتحقير والاعتبار. وهذه ليست على سبيل الحصر، وإنما هناك صيغ كثيرة تستفاد من السياق"[4].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: حث وتوجيه النبي ﷺ للمأمومين بتوسيط الإمام:

ويتضح هذا من الحديث من قوله: "وسطوا الإمام" قال شرف الحق العظيم آبادي:

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٤) البلاغة الواضحة، علي الجارم – مصطفى أمين، ٢١٤.

وسطو الإمام أي اجعلوا إمامكم متوسطًا بأن تقفوا في الصفوف خلفه وعن يمينه وعن شماله[1]. وقال ابن علان: "أي اجعلوا موقف الإمام وسط المصلى ليقف المأموم عن يمينه وعن يساره"[2]. وقال الشيخ ابن عثيمين: "وقد أمر النبي ﷺ أن يوسط الإمام، فقال: "وسطو الإمام" يعني اجعلوه وسطًا، وهذا هو العدل، ولهذا لما كان في أول الهجرة وكان الناس يصفون إذا كانوا ثلاثة صفًا واحدًا، كان مشروعًا أن يكون الإمام بينهم، لا يكون متطرفًا من حيث اليسار بل يكون بينهم، فدل ذلك على أن توسيط الإمام له أهمية ومن يقف ناحية اليمين في الصف واليسار ليس فيه إلا القليل، فهذا خلاف السنة، لأنه ليس فيه توسيط الإمام والسنة أن يكون اليمين واليسار متقاربين فإذا تساويا فهنا نقول: "الأيمن أفضل فإن زاد رجل أو رجلان في الأيمن فلا بأس"[3].

قال د. الحسيني هاشم: "وفي الحديث الأمر بأن يكون موقف الإمام وسط المصلى ليقف المأموم عن يمينه ويساره، ولا تتركوا خللاً في صفوف الصلاة ليكمل لكم ثواب الجماعة، وليحصل لكم الأجر بالتمام والكمال"[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على سدِّ الخلل في الصفوف وفضل ذلك:

يتضح هذا من الحديث "وسدوا الخلل"، قال ابن علان: وقوله: "وسدوا الخلل" أي بأن لا يبقى ثمة ما يسع مصلٍ سدًا لمداخل الشيطان"[5]، ولاشك أنه قد تكاثرت النصوص النبوية في بيان أهمية سد الخلل وفضله. فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهُمَا وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ))[6].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٢٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، ٥٧٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

(٦) أخرجه أبو داود ٦٦٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٦٢١).

إن الحرص على سد الخلل في الصف هو دليل انتظام الجماعة المسلمة، قال الشيخ أبو الحسن الندوي: "وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف، شديد الإنكار على الإخلال بها، والتفريط فيها، إذ لا تتحقق فوائد الجماعة ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، ولأن الصلاة والجماعة تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة"[1]، وإن في تحقيق النظام في الصلاة من خلال سد الخلل وتوسيط الإمام مظهرًا من مظاهر المساواة في الإسلام.

"إن الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين، وهدم للفوارق الاجتماعية فيما بينهم، فالمسلمون يقفون جميعًا في الصلاة جنبًا إلى جنب متلاصقين، رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقًا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها، كل هؤلاء يتقربون إلى الله لا بأموالهم وجاههم، وإنما بطاعة ربهم، وإن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تطبق عمليًا في حياة المرء وفي تفكيره، وقد كان التشريع الإسلامي موفقًا في جعله "الصلاة جماعة" التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية، والتعصب للجنس واللون، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء"[2].

---

(١) الأركان الأربعة ٥٦.

(٢) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٧، ١٧٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التشويق:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ لأصحابه: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»، فكان هذا السؤال من النبي ﷺ تشويقًا لصحابته الكرام أن يكونوا مثل الملائكة في اصطفافها عند ربها، وهذا أدعى للامتثال من الأمر مباشرة، لأن في التشويق إثارة وجذبًا لانتباه السامعين وترغيبًا لهم في الامتثال والإذعان، فإن "التشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب لكنه يأتي بعده، فعند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به، والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه، والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقصّ على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوّقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما كان له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها، وينتج عن ذلك، استقامةٌ في السلوك وثمارٌ في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة"[(١)].

ثانيًا: التربية الوقائية:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا». وهذا الوصفّ يكون عندما تصلّي النساء مع الرجال دون أن يكن متميزات عنهم، أما إذا كان هناك تميّز أو يصلين معًا دون الرجال، فإن حكمهن يكون حكم الرجال، فيكون خير صفوفهن الصف الأول أما آخرها فيكون شرها، وإنما اختلف حكمهن مع الرجال عن حكمهن إذا تميزن، وذلك بسبب ما قد يعرض للرجال من تعلق وانشغال بهن، فيذهب مقصود الصلاة وهدفها، وهذا يكون منتفيًا إذا كان هناك تميز بين الرجال والنساء، وهذا ما

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٢٢٣، ٢٢٤.

يوضحه النووي فيقول: "المراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها وشرها آخرها، والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابًا وفضلاً وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك، والله أعلم"(١).

أي يمكن القول: إن الحديث الشريف يقصد إلى التربية الوقائية، وذلك بمنعه ما يؤدي إلى بعض المفسدة التي قد تعيق تحقيق المصلحة المبتغاة من الصلاة، وهكذا الشأن فيما يتشابه مع ذلك أو يكون قريبًا منه، لذا كانت الوقاية أصلاً من أصول التربية الإسلامية، سواء في الأمور الجسدية أم الأخلاقية، إن الوقاية هي المرادف لـ "درء المفاسد"، وهي المرادف لقاعدة: كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام، والوقاية في المحصلة النهائية ليست إلا الحذر مما يؤدي إلى الضرر، وهذه المحصلة نفسها هي ما تنتهي إليه في المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية، كل القواعد التي تنهي عما يقرب من الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل الفساد(٢).

ثالثًا: التربية على المبادرة والسبق إلى الخيرات:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في الصلاة في الصف الأول، وهذا يلزم عنه في الأغلب الأعم المبادرة إلى المسجد قبل إقامة الصلاة بوقت كافٍ، ومما قد يلزم عنه بدوره الإتيان بالسنة القبلية للصلاة، وما زاد عن ذلك يُشغل بقراءة القرآن والذكر والدعاء ونحو ذلك من وجوه الخير.

فكان في هذا تربية على المبادرة والمسابقة إلى الخيرات، وعلى أهل التربية أن يربوا أتباعهم على ذلك، لأن في ذلك تحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة، وتحصيلُ أفضل الأعمال وأحسنها وأرغبها، كما أن ذلك يجعل في المجتمع اتجاهًا عامًا إلى المنافسة والمبادرة في فعل

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٣٦٩ الدولية.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، ٣١٠/١ بتصرف، وانظر: أصول التربية الإسلامية ص ٦٠ - ٧٠.

الخيرات، ومما يلزم عنه المنافسة في ترك الشرور والسيئات والأفعال القبيحة.

وإن مجتمعًا يتربى أفراده على هذه الروح لمجتمع سعيد حقًا، فيه تظهر آثار التربية الحقة وثمارها اليانعة.

"إن مما يدفع المؤمن إلى المبادرة أنه يشعر كأن كل يوم تبزُغ شمسه أو ينشق فجره، يناديه بصوت جهير: أيها الإنسان أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فتزود مني واغتنمني بعمل الصالحات، فإني إذا مضيت لا أعود أبدًا.

وهو الذي يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج، فلا يؤخر عمل اليوم إلى غدٍ، لأن للغد عمله الذي يزحمه، فلا يتسع لعمل غيره من الأيام.

وهو كذلك حريص على أن يكون يومُه خيرًا من أمسه، وغدُه خيرًا من يومه، وأن يطيل حياته -بعد موته- بطول أعماله، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إنه يحرص أن يخلف وراءه علمًا نافعًا أو عملاً طيبًا أو مشروعًا مثمرًا أو صدقة جارية أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع الناس به، تكون مثوبته عند الله"[1].

رابعًا: التربية على النظام:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في الاصطفاف كما تصطف الملائكة عند ربها عز وجل، فأخبر ﷺ أن الملائكة "يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف"، وكان النبي ﷺ يمسح مناكب أصحابه رضي الله عنهم ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وكان ﷺ ويقول: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة»، وأقبل النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم وقال لهم: «أقيموا صفوفكم وتراصُّوا»، وأكد النبي ﷺ أمر تسوية الصفوف فقال: «لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أو ليُخالفَنَّ اللهُ بينَ وُجوهِكم». وكان ﷺ يسوِّي صفوف الصلاة حتى كأنما يسوِّي بها القداح، ونحو ذلك، وكان ﷺ حريصًا على إتمام الصف الأول فالأول، فقال ﷺ:

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠٥.

«أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ». ونحو هذا. مما يلزم عنه الانتظام في الصفوف وفي ترتيب الصفوف وفي رصّها، وإذا كان هذا مطلوبًا في الصلاة، وهي أفضل العبادات وأشرفها وأجلّها، فمن باب أولى يكون مطلوبًا في كل مناحي الحياة التي تتطلب النظام والترتيب والهيكلة، فعلى المربين أن يربوا الناشئة على ذلك، حتى ينشأوا منظمين مرتبين، تسير حياتهم وفق خطوات منظمة ومراحل مرتبة، وفي ذلك فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - إظهار الناشئة وغيرهم بمظهر جمالي ترتاح له النفس وتقرّ به العين، وفي هذا تربية جمالية تجمل الحياة والمعيشة وتزينها.

ب - تعويد الناشئة وغيرهم على الانتظام في الجماعة والعمل في إطارها، ومن ثم الالتزام بها والعمل على تحقيق أهدافها العامة التي تفيد جميع أفرادها.

ج - تربية الناشئة على التزام النظام في حياتهم وأعمالهم وأفعالهم، فلا يضيع كثير من الوقت أو الجهد في التخطيط لها أو إنجازها وفعلها.

خامسًا: التربية على الإقدام وعدم التراجع والتأخر:

وهذا مستمد من حديث أبي سعيد الخدري ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه»، فالنبي ﷺ لما رأى في أصحابه تأخرا عن الصفوف الأولى[1] بادر ﷺ بأن يتقدموا إلى الصف الأول، ليقتدوا به في أفعاله في الصلاة، ويقتدي بهم من بعدهم، وحذّرهم من التأخير، لأن ذلك يؤدي إلى أن يؤخرهم الله عن رحمته أو عظيم فضله، ورفع المنزلة ونحو ذلك[2].

إن من الدروس التربوية المستفادة من أمر النبي ﷺ لأصحابه بالتقدم وعدم التأخر والإتمام: دفع المسلم إلى الإقدام على تحصيل الفضل والثواب، من خلال القيام بالأعمال

---

(١) انظر: شرح مسلم، النووي ص ٣٦٨.

(٢) المرجع السابق، ٣٦٨.

النافعة، وهذا لون من ألوان التربية الإسلامية التي تجعل الكيفية التي يكون عليها المسلم في صلاته - من التقدم للصفوف الأولى والإتمام وعدم التأخر- نقطة انطلاق في الحياة العملية مما يجعل المسلم يغتنم الفرص بسبب الإقدام المدروس، ولذا فإننا نلحظ في حياتنا أناسًا تفوتهم الفرص الثمينة بسبب ترددهم وتراجعهم وعدم قدرتهم على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، لأنه لا يملك الشجاعة التي تؤهله للتعامل مع المواقف الحاسمة نظرًا لأنه يعاني التردد والوسوسة ويحتاج إلى من يقوده، ولذا فإن النبي ﷺ أكد على أهمية التقدم في الصفوف وإتمامها وعدم التأخر، مما يُعد نوعًا من أنواع التربية الجادة، وقد عمل على تعزيز هذا التوجيه بالتحذير من مغبة التأخر بقوله: «لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه».

سادسًا: التربية بالاقتداء:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «تقدموا فأْتَمُّوا بي، ولْيَأْتم بكم من بعدكم» فالنبي ﷺ أمرهم بأن يقتدوا به ﷺ في صلاته، كما أمر من خلفهم بالاقتداء بهم رضوان الله عليهم، وفي ذلك تربية بالاقتداء، وإذا كان هذا في الصلاة، فإنه يكون كذلك في التربية والتوجيه والإرشاد، وهذا واقع في حياة الناس بلا ريب ولاشك، فالابن يقلّد أباه، وعندما يشبّ ويكبر يقلده ابنه وهكذا تنتقل الأخلاق والآداب، وهذا معمول به في الإسلام لكن منضبط بقواعد الإسلام وآدابه.

ولا شك أن القدوة لها فائدة مهمة جدًا، يقول الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي: "مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكامل ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية واستنفاذ طاقاته على أكمل وجه مهما يكن من ذلك كله، فإنه لا يغني عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مُربٍّ يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي، كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، لذلك بعث الله محمدًا ﷺ عبده ورسوله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]".

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ولقد سُئِلَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ خُلُق رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرآنَ»[(١)]، وحقًا كان رسول الله ﷺ بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ولما فيه من أسس تربوية إسلامية وأساليب تربوية قرآنية"[(٢)].

سابعًا: التربية على النُّفور من الاختلاف المذموم:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، منها: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وقوله ﷺ: «لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم». وقوله ﷺ: «عباد الله: لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم»، قال النووي: "والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال تغير وجه فلان عَلَيّ. أي ظهر من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه علي؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن"[(٣)]. أي أن النبي ﷺ حذر من الاختلاف في الظاهر الذي يسبب الاختلاف في الباطن، أي أن النبي ﷺ ينفر من الاختلاف المذموم الذي تختلف فيه القلوب والأهواء والرغبات والنزعات بحيث يؤدي إلى الضعف والقلة وطمع الأعداء وذهاب القوى والقدرات سدى دون فائدة، وإنك "لو أجَلْت النظر في حال المسلمين اليوم لوجدتهم متفرقين مختلفين عن اليمين وعن الشمال عزين، وكل حزب بما لديهم فرحون إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

فالفرقة والاختلاف من أسباب الهزيمة والضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[(٤)]. وبسبب ذلك ينال العدو نيله من الأمة ويتمكن من التغلغل فيها، والإيضاع خلالها، ابتغاء فتنتها وصدها عن دينها وتوهين قواها. وبسبب الخلاف تتفرق

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢٠٥ ومرجعه.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الكلمة وتبدد الجهود، وتتقبض الأيدي عن التعاون. وإن المصيبة لتعظم وإن الخطب ليجل عندما يقع الخلاف بين خاصة المسلمين وبين أهل العلم والفضل.

ولن يغرق المرء في المثالية فيحلم بألا يوجد خلاف البتة، فذلك غير ممكن فسنة الله اقتضت وجود الخلاف، فليست المشكلة أن نختلف، وإنما هي ألا نعرف كيف نختلف وليس الحل بألا نختلف أبدًا، وإنما هو بألا نصعد الخلاف، وألا نسعى في إذكائه، وبأن نعرف كيف نختلف كما نعرف كيف نتفق، كما كان الصحابة رضي الله عنهم.

فهم خير الناس حال الوفاق وحال الخلاف فمع أن الخلاف وقع بينهم في العديد من المسائل إلا أن قلوبهم كانت متوادة متراحمة متقاربة متآلفة، بل لقد كانوا رضي الله عنهم مثالاً يحتذي ونهجًا يقتفى حتى في حال الفتنة والقتال، فبرغم ما حصل بينهم من قتال وفتنة إلا أن منار العدل والتقوى كان قائمًا فيهم، فلم يكفر بعضهم بعضًا ولم يبدع بعضهم بعضًا. بل لقد كانوا يأخذون العلم من بعض، ويلتمسون المعاذير لبعض، بل كانوا يثنون على بعض، ويترحمون على بعض.

ولهذا كان حريًا بمن له جاه، أو منزلة أو قدرة أن يسعى سعيه، وأن يبذل قصارى جهده لرأب الصدع، وإصلاح ذات البين، وجمع كلمة المسلمين على الحق المبين، فهذا من أعظم الجهاد، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها[1]، وقال تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2]، قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۢ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[3].

ثامنًا: التربية على تقديم أهل الفضل والعلم:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قال النووي: "في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام لأنه أولى

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٩٠، ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ... وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة"[1].

إن "مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين والاعتراف بفضلهم وحبهم في الله عز وجل، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهادهم لنا خير من اجتهادنا لأنفسنا"[2]، ولاشك أن في تربية الناشئة على تقديم أهل الفضل والعلم عدة فوائد تربوية منها:

أ - الدعوة للناشئة وغيرهم لأن يكونوا من أهل العلم والفضل، أو على الأقل الاقتداء بهم وفعل أفعالهم.

ب - إعلاء قيم التبجيل والاحترام والتقدير في نفوس الناشئة.

ج - الاستفادة من أهل العلم وأهل الفضل وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم.

تاسعًا: التربية بالممارسة العملية:

المنهج التربوي النبوي منهج عملي مؤثر يعتمد الممارسة العملية أساسًا من أسس التغيير الإيجابي، والتوجيه للسلوك الأفضل، حيث يرى النبي ﷺ أن التطبيق العملي له تأثير عظيم في النفوس، يستنبط ذلك من قيام النبي ﷺ بتسوية الصفوف، من ذلك: أن رسول الله ﷺ كان يسوّي صفوفنا حتى كأنما يسوي القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه. ومن ذلك أيضًا قول البراء بن عازب رضي الله عنهما: «كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ ناحيَةٍ إِلَى نَاحيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا»، فقد كان النبي ﷺ

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ١٠٥.

لا يكتفي بأمر أصحابه بتسوية الصفوف فقط، بل كان يقوم أيضًا بتسوية صفوف المصلين من أصحابه يعتني بذلك أشد الاعتناء، فكان يربيهم بالفعل والممارسة، كما يربيهم بالقول، "لقد كان من أسلوب النبي ﷺ أن يعلم أصحابه بالممارسة العملية، لذا فإن على المربي دائمًا أن يربي طلابه على أن يعتزموا أن يحققوا في حياتهم ما يدرسهم إياه، وأن يلقى إليهم بأسئلة من واقع الحياة، ليتأكد كيف سيطبقون علمهم في مواقف معينة من حياتهم الفردية والاجتماعية، ويكرر هذا في كل درس جديد يلقيه عليهم. وقد حكى عن بعض علماء السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل به والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه حقيقة من حقائق التربية وعلم النفس التي أثبتتها تجربة هذه العلوم، وقد سبق إليها الإسلام بعدة قرون. فمن البدهي أن التعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أوقع للنفس وأدعى إلى ثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة"[١].



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٢، ٢١٣.

١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

الحديث رقم (١٠٩٩)

١٠٩٩ - عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رملة بِنْتِ أبي سُفْيَانَ رضي الله عنها، قالت: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلّي للهِ تَعَالى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيرَ الفَرِيضَةِ، إلاَّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ، أو إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ)) رواه مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: هي رَملةُ بنت أبي سفيان بن حرب، "أم المؤمنين".

من أزواج النبي ﷺ، وهي أخت معاوية رضي الله عنه، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا، وكانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة، تزوجها أولاً عبيد الله بن جحش، فأسلما، ثم هاجرا إلى الحبشة (في الهجرة الثانية) فولدت له حبيبة، وبها كانت تكنى، ثم ارتدَّ متنصرًا، فأعرضت عنه حتى مات.

فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها وعهد للنجاشي "ملك الحبشة" بعقد نكاحه عليها، ووكلت هي خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأمهرها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وأولم عليها عثمان بن عفان لحمًا، وقيل أولم عليها النجاشي، وبعث إليها رسول الله ﷺ شُرحْبيل ابن حَسَنَةَ، فجاء بها، وذلك سنة ٧هـ وقيل ٦هـ.

ولما بلغ الخبر إلى أبي سفيان -وكان ما زالَ على دين الجاهلية- أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته عجب له وقال "ذلك الفحل، لا يُقْدَعُ[2] أنفه".

---

(١) برقم (٧٢٨/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٧).

(٢) فحل لا يُقْدَعُ انفه: قَدَعَ الفحل: ضرب أنفه بشيء ليرتد، وفحل لا يقدع أنفه: اي كريم. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة قدع.

وهي التي منعت أباها - أبوسفيان - من أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ عندما دخل عليها بعد أن قدم المدينة من أجل أن يؤكّد عقد الهدنة، وقالت له: أنت امرؤ نجسٌ مشرك.

وعند وفاتها دعت عائشة رضي الله عنها: وقالت لها: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فتحلّليني من ذلك فحلّلتْها، واستغفرت لها، ثم قالت لها: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة بمثل ذلك.

وقد روت عن النبي ﷺ جُلة أحاديث بلغت ٦٥ حديثًا.

وتوفيت بالمدينة سنة ٤٤هـ، وقيل ٤٢هـ، وقيل ٥٩هـ وهو بعيد، ودفنت بالبقيع[1].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في صلاة النافلة التي تمثل يوم القيامة مخزون العبد الاحتياطي عندما يحاسب على صلاة الفريضة تكون مصدر مدد يكمل منه ما نقص في الفريضة، أو يرفع بها الدرجات، وينال بها عظيم الأجر، وقد جاء المعنى في ثوب القصر بطريق النفي، والاستثناء وقد قصر معنى صلاة العبد ثنتي عشر ركعة بالشرط المذكور على بناء الله له بيتا في الجنة، ونلاحظ أن النفي جاء عاما مستغرقا للجنس من حيث دخول النفي على النكرة التي تسبقها من، وقوله (تطوعا) تكميل بلاغي يخرج الفريضة، ويشير إلى خصوصية الطواعية التي توحي بالرضا، والمحبة، وقوله من غير الفريضة توكيد لمعنى التطوع، والتعبير بالبيت مع أن ما في الجنة قصور

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٩٦/٨ - ١٠٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٦٨٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠١ - ٩٠٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١١٦/٧ - ١١٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٤/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٣/٤)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣٣/٣)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢١٨/٢ - ٢٢٣)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٤/١ - ١٩٢).

ليستصحب مدلول اللفظ المكنون في النفوس تجاهه من الشعور بالراحة، والسكن، والطمأنينة، والإحساس بالملك، والتعبير بالقصر لا يستصحب كثيرا من هذه المعاني لأنهم لم يعيشوا فيها، وتنكير البيت للتعظيم، وتعلق الجار والمجرور (في الجنة) بالفعل (بنى) يوحي بشرف البيت وحسنه، وبهائه ويقرر أنه قصر شامخ، والتعبير بالماضي (بنى) يفيد أنه سابق التجهيز، ونسبته لله تعالى تؤكد تحقق البناء مع عظمة المبنى لارتباط الأثر بالمؤثر.

فقه الحديث

١ - عدد ركعات السنن الرواتب:

قال النووي: (في حديث أم حبيبة: "من صلّى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيت في الجنة" وفي رواية: "ما من عبدٍ مسلمٍ يصلّي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة"[1] وفي حديث ابن عمر: "قبل الظهر سجد سجدتين وكذا بعدها وبعد المغرب والعشاء والجمعة"[2] وزاد في صحيح البخاري قبل الصبح ركعتين[3] وهذه اثنتا عشرة ركعة. وفي حديث عائشة هنا: "أربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وبعد المغرب وبعد العشاء وإذا طلع الفجر صلّى ركعتين"[4] وهذه اثنتا عشرة أيضًا، وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود وإسناده صحيح عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلّي قبل العصر ركعتين[5]، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: رحم الله امرأً صلّى قبل العصر أربعًا، رواه أبو داود والترمذي

---

(١) أخرجه مسلم ٧٢٨، ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٢، ومسلم ٧٢٩، ١٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٣ من حديث ابن عمر عن أخته حفصة }.

(٤) أخرجه مسلم ٧٣٠ مطولًا.

(٥) أخرجه أبو داود ١٢٧٢.

وقال: حديث حسن[١]. وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: "من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[٢].

وفي صحيح البخاري عن ابن مغفل أن النبي ﷺ قال: "صلُّوا قبل المغرب" قال في الثالثة لمن شاء[٣].

وفي الصحيحين عن ابن مغفل أيضًا عن النبي ﷺ "بين كل أذانين صلاة" المراد بين الأذان والإقامة. فهذه جملة من الأحاديث الصحيحة في السنن الراتبة مع الفرائض، قال أصحابنا وجمهور العلماء بهذه الأحاديث كلها واستحبوا جميع هذه النوافل المذكورة في الأحاديث السابقة، ولا خلاف في شيء منها عند أصحابنا إلا في الركعتين قبل المغرب، ففيهما وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحب. والصحيح عند المحققين استحبابهما بحديثي ابن مغفل، وبحديث ابتدارهم السوارى بها وهو في الصحيحين[٤].

قال أصحابنا وغيرهم: اختلاف الأحاديث في أعدادها محمول على توسعة الأمر فيها وأن لها أقل وأكمل، فيحصل أصل السنة بالأقل، ولكن الاختيار فعل الأكثر الأكمل)[٥].

٢ - استحباب المواظبة على السنن الرواتب:

قال ابن حجر عن حديث ابن عمر: (فيه حجة لمن ذهب إلى أن الفرائض رواتب تستحب المواظبة عليها وهو قول الجمهور. وذهب مالك في المشهور عنه إلى أنه لا توقيت

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٧١، والترمذي ٤٣٠.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، والترمذي ٤٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٣، ومسلم ٨٣٧، ٣٠٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٧ - ٨، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٢٧٧ - ٢٧٨.

في ذلك؛ حماية للفرائض، لكن لا يمنع من تطوع بما شاء إذا أمن ذلك، وذهب العراقيون من أصحابه إلى موافقة الجمهور)[١].

٣ - **التطوع بين الأذان والإقامة:**

قال ابن حجر: (ولم يختلف العلماء في التطوع بين الأذان والإقامة إلا في المغرب ... ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما [أي تخفيف الركعتين قبل صلاة المغرب] كما في ركعتي الفجر)[٢].

المضامين الدعوية [٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على صلاة النوافل وفضلها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المواظبة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا كل يوم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عمر رضي الله عنه.

خامسًا: من واجبات الداعية: بيان السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على صلاة النوافل وفضلها:

هذا ما يستفاد من نص الحديث: (والنفل لغة: الزيادة)[٤]، "والنافلة ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٥]"[٦]، وقد كان من نعم الله عز وجل أن شرع لعباده نوافل زائدة عن الفريضة لتكمل بها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥١/٣ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٦/٢، ١٠٧ ، وانظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٦/٣ - ١٠٤ . وانظر كذلك فتح الباري.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٩٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٤٣.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٠/٤١.

الفرائض، لأن الفرائض لا تخلو من نقص"[١]، وهذا فضلاً عما دلت عليه السنة النبوية "من أن إدامة النوافل بعد الفرائض تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه"[٢]، فقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))[٣]، قال ابن حجر: "في قوله: (بالنوافل حتى أحبه)، ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟ والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها.. وقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه[٤]، وهذا ما أكده ابن رجب في قوله: "إن أولياء الله على درجتين: إحداهما: المتقربون إليه بأداء الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض أفضلُ الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أفضل الأعمال أداءُ ما افترض الله، والورع عما حرّم الله، وصدق النية فيما عند الله عز وجل)، وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته: (أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتنابُ المحارم، وذلك لأن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه، ويوجب لهم رضوانه ورحمته ...).

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٢١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٠٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣٥١/١١.

للعبد محبة الله، كما قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده"[1]، وفي ذلك بيان على فضل صلاة النوافل وأهمية المحافظة عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المواظبة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا كل يوم:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: (ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة)، ففضلاً عن عِظم الأجر في المحافظة على ثنتي عشرة ركعة في اليوم من بناء بيت في الجنة لمن قام بذلك، إلا أن من أهم الفضائل المترتبة على المحافظة على أداء النوافل هي إكمال ما نقص للعبد من صلاة الفرض، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملِهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لِعَبْدِيَ من تطوعٍ؟ فيُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[2].

قال المباركفوري: "وقوله ﷺ: (ما انتقص من الفريضة) قال العراقي في شرح الترمذي: يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله فيها وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصله فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيح عوضًا من الصلوات المفروضة انتهى. وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع، ويحتمل ما نقصه

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٣٦/٢ - ٢٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

من الخشوع عندي أظهر لقوله ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال، وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم انتهى (ثم يكون سائر عمله على ذلك) أي إن انتقص فريضة من سائر الأعمال تكمل من التطوع"[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا في اليوم، وذلك ببناء بيتٍ في الجنة لمن كان ذلك فعله، "والترغيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو إلى فعل ما فيه خير وصلاح له، وذلك بعد أن شوّق نفسه إلى فعل المرغب فيه"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عمر رضي الله عنه:

يستفاد ذلك في الحديث من قوله رضي الله عنه: (صليت مع رسول الله ﷺ)، فهو الذي قال فيه النبي ﷺ: ((نعمَ الرجلُ عبدُاللهِ لو كانَ يُصلِّي منَ الليلِ. فكان بعدُ لا يَنامُ مِنَ الليلِ إلاَّ قَليلاً))[٣]، وقال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: (إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا عبدالله بن عمر)، وقال فيه سعيد بن المسيب: "لو شهدت لأحدٍ من أهل الجنة لشهدت لابن عمر"[٤]،وقال فيه ابن المبارك: "أنبأنا عمر بن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبدالله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر، ثم يثب فيتوضأ، ثم يصلي يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا"[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٧/١.

(٢) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٢/٣.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ٩٠٨.

وقيل لنافع: "ما كان يضع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما"[١].

"وقد كان رضي الله عنه من أحرص الصحابة رضي الله عنهم في التحري عن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم، حتى في أدق التفاصيل، وقد حفظت لنا الوثائق الحديثة نماذج كثيرة من ذلك، تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثير بحب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان هذا هو المعنى في مفتاح فقه ابن عمر رضي الله عنهما، والسمة الرئيسة لما ينقل عنه من الآراء التشريعية"[٢] "وخير دليل على ذلك قول ابن وهب عن مالك، عمن حدثه: "إن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك"[٣]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[٤]، وقال أبو جعفر الباقر: "كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله"[٥]، وقال نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَوْ تَرَكْنَا هذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ))، قال: نافع فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات"[٦]. وفي ذلك بيان على حرصه رضي الله عنه على متابعة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله والاقتداء بها، وفي ذلك عظيم منزلته رضي الله عنه وعلو فضله.

خامسًا- من واجبات الداعية: بيان السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها:

هذا ما بيّنه ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث من قوله: (صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٢) انظر: أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ص ٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٤) المرجع السابق ٢١١/٣.

(٥) المرجع السابق ٢١٣/٣.

(٦) قال محققو السير: أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٦٢/٤ من طريق أبي الوليد الطيالسي عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك، ورجاله ثقات.

ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد الجمعة، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء)، وزاد في صحيح البخاري: "قبل الصبح ركعتين"(١)، وهذه اثنتا عشرة ركعة. وفي حديث عائشة رضي الله عنها عندما سألت عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوعه؟ فقالت: ((كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا. ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ. ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ. ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ. وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ))(٢)، وهذه اثنتا عشرة أيضًا.

قال ابن حجر: "في بيان ما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن قبل الظهر ركعتين، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أربعًا، أن الأولى أن يحمل على الحالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين، وفي بيته يصلي أربعًا ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في البيت، واطلعت عائشة على الأمرين"(٣).

وقال النووي: "وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال: ((رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا))(٤)، وفي حديث عليّ رضي الله عنه: ((ركعتين))(٥)، وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ))(٦)، وورد في صلاة المغرب قوله ﷺ: ((صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣/٧٠.

(٤) أبو داود ١٢٧١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣١).

(٥) أخرجه النسائي ٨٧٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣٠).

رَكْعَتَيْنِ لِمَنْ شَاء))[١]، وقال ﷺ أيضًا: ((وَبَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ))[٢]، "المراد بين الأذان والإقامة"[٣]، "واختلف العلماء في الاختيار في الأخذ بهذه الأحاديث، فرأى جُلُّهم الأخذ بها والعمل بفعل النبي ﷺ وأمره بذلك، وكونها سنة مع صلوات الفرائض، قال بعضهم: ولأن تلك الأوقات أوقات تفتح فيها أبواب السماء، ويستجاب فيها الدعاء ويرغب في تكثير العمل الصالح فيها، واختلاف الأحاديث باختلاف فعله عليه السلام ليُرى سعة الأمر، وأنه ليس فيه حدّ لازم والله أعلم"[٤]، وهذا ما أكده النووي في قوله: "واختلاف الأحاديث في أعدادها محمول على توسعة الأمر فيها، وأن لها أقل وأكمل فيحصل أصل السنة بالأقل ولكن الاختيار فعل الأكثر والأكمل"[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٨٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٤٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠٢.

(٤) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٦٩/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

الحديث رقم (١١٠٠)

١١٠٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ العِشَاءِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب تعليم السنن، وتقريرها، وقوله (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم) يشير إلى تقرير الحدث بالفعل بالصلاة مع الرسول ﷺ أو في حضرته، وإقراره، وبـ(كلا) الوجهين تثبت، وفي الكلام إيجاز بالحذف يقتضيه مقام البلاغة في قوله (قبل الظهر) أي قبل صلاة الظهر، وكذلك الجمعة، والمغرب، والعشاء، وفائدة النافلة إذا سبقت الفرض أنها تمهد النفس للفريضة بالدخول بين يدي الله مع تمام الخشوع بعد أن خرجت من أعباء الحياة بهاتين الركعتين، ثم إن لها بعدا آخر وهو أنها تشعر بالانتماء للسنة باتباع النبي ﷺ، وتربطنا وجدانا به ﷺ كلما تبعناه في سنة من السنن.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النوافل من الصلاة في يوم الجمعة وغيرها، وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه يسن صلاة النافلة عقب صلاة الجمعة، وإن اختلفوا في عدد ركعات

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٥) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩/١٠٤).

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥٧/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، شرح معاني الآثار ٣٣٦/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٩٧/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٧/٢، الأم، الإمام الشافعي ١٦٤/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٤١/٣، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٧/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٠٥/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠٩/٢.

هذه السنة لاختلاف الروايات فيها، فقيل ركعتان، وقيل أربع، وقيل ست جمعًا بين الروايات فيها، وأفضلها القول بأن المرء مخير بين ركعتين وست ركعات حسبما يطلب من الخير ويقدر على التطوع.

أما السنن الراتبة في غير يوم الجمعة فقد ذكر الفقهاء كما سبق القول في الحديث الفائت[1] أن السنن الراتبة من النوافل غير صلاة التهجد اثنتا عشرة ركعة بالليل والنهار وقيل عشر ركعات بالليل والنهار، ومنها صلاة أربع ركعات في وقت الظهر اثنتان قبله واثنتان بعده، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء اقتداء بفعله ﷺ كما يروى في هذا الحديث.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ٣٣٩/١، مواهب الجليل، الحطاب ٦٦/٢، نهاية المحتاج، الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج، الشربيني ٤٤٩/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢٢/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٧/١ وما بعدها.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠١)

١١٠١ - وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كل اذانين صلاة)) قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

غريب الألفاظ:

أذانين: المراد بالأذانين: الأذان والإقامة؛ عند التغليب[2].

الشرح الأدبي

قوله (بين كل أذانين) أي: الأذان، والإقامة فهو من باب التغليب كقولهم الأسودان للتمر، والماء، والأسود إنما هو أحدهما، وقد تكون من باب المشاكلة وهي تسمية أحد الاسمين باسم الآخر لوقوعه في صحبته شائع وقيل: يحتمل أن يكون الاسم لكل واحد منهما حقيقة، لأن الأذان في اللغة الإعلام، والأذان إعلام بحضور الوقت، والإقامة إعلام بفعل الصلاة (قال الإمام العيني: الأذان إعلام الغائبين، والإقامة إعلام الحاضرين، وقوله (لمن شاء) تتميم بلاغي أفاد التخيير، وهذا الاستثناء يخص صلاة النافلة دون الفريضة؛ لأنها فريضة ليس فيها تخيير، قوله (صلاة) فيه إيجاز بالحذف: أي وقت صلاة، وموضعها، وتكرار العبارة يملأ النفس إحساسا بها (والتكرار وسيلة بيانية، وأداة فنية تستند إلى أساس مكين في فطرة النفس، وتعبر عن طابع نفسي، ومزاج عقلي عند أصحاب اللسان العربي كما تقتضيها مقامات، ومواقف لا بديل منها فيها، والمقام هنا مقام ترغيب، والموقف يستدعي ذلك لأنه بصدد تقرير حقيقة لا غنى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧)، ومسلم (٨٣٨/٣٠٤).

تنبيه: قوله: (بين كل أذانين صلاة) تكررت عند البخاري مرتين، وعند مسلم مرّة، وقال: (قالها ثلاثا).

(٢) رياض الصالحين ٤١٢.

لمؤمن عنها في علاقته بربه، وأثرها على مغفرة الخطايا، ونجاة العبد، وتكرير العبارة يؤكد المعنى، ويرفع درجة التشويق والإثارة التي تهز الوجدان، وتملك على المخاطب أقطار نفسه، ويصير درجة بعد درجة في قمة الحرص على أداء الصلاة بين كل أذانين، أضف إلى ذلك أن هذا الذي يكرر العبارة في قمة الوعي لمدلولها مع قمة الصدق فيها.

فقه الحديث

وقد اتفق الفقهاء(١) على أن المقصود بالأذانين هنا الأذان والإقامة، وأنه يستحب الفصل بينهما، وأن ما يفصل به بين الأذان والإقامة صلاة ركعتين أو أكثر، وذلك في كل الفرائض ما عدا المغرب لأنها مبنية على التعجيل فيكون الفصل بين الأذان والإقامة فيها قليلاً، وقد حدده الحنفية(٢) والمالكية(٣) بقدر قراءة ثلاث آيات، وحدده الشافعية(٤) والحنابلة(٥) بقدر صلاة ركعتين خفيفتين.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٢/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢، شرح الخرشي ٣/٢، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٦٠/٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٧/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٧/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٢٢/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٢/١.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢، شرح الخرشي ٣/٢.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٦٠/٢.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٧/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٧/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٢٢/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة وبيان فضلها.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه الخير لهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: التكرار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تكرار النبي ﷺ لقوله: إن بين كل أذانين صلاة، ((وقد كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه))[1]، والتكرار من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، لفهم الأمر المدعو إليه والتأكيد على أهميته. وهذا ما أفاده التكرار كأسلوب دعوي في الحديث، من بيان أهمية الصلاة بين الأذان والإقامة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة وبيان فضلها:

هذا ما يستفاد في الحديث من تكرار قوله ﷺ: "بين كل أذانين صلاة، والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة"[2]، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "بين كل أذانين صلاة"، يعني: الأذان والإقامة، وغلب عليهما اسم الأذان؛ لأن فيهما إعلامًا بالشروع في الصلاة)[3].

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على الصلاة بين الأذان والإقامة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري حتى يخرج النبي ﷺ وهم كذلك يصلون ركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء"[4]، قال ابن حجر: (في قوله ﷺ: (يبتدرون) أي

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) رياض الصالحين، النووي، ٤١٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٤٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٥.

يستبقون و"السواري" جمع سارية، وكأن غرضهم بالاستباق إليها الاستتار بها ممن يمر بين أيديهم لكونهم يصلون فرادى)[١].

وقد بين ابن حجر: فضل الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة. فقال: "والحكمة من الندب إليها رجاء إجابة الدعاء"[٢]، وفي ذلك قال ﷺ: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة"[٣]، وقوله ﷺ: "لا يرد" أى يقبل ويستجاب...، وذلك بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه، فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه"[٤].

– الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد صلاة العصر.

– وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلة له وتضرعًا ورقة.

– واستقبل الداعي القبلة.

– وكان على طهارة.

– ورفع يديه إلى الله.

– وبدأ بحمد الله والثناء عليه.

– ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ.

– ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار.

– ثم دخل على الله، وألحَّ عليه في المسألة، وتملَّقه ودعاه رغبةً ورهبةً. وتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده.

– وقدَّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٢٧/٢.

(٢) المرجع السابق ١٢٧/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٥).

(٤) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٢٢.

(٥) الداء والدواء ١٤، ١٥.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه الخير لهم

هذا ما يستفاد من الحديث في إرشاده ﷺ إلى الصلاة بين كل أذانين لما في ذلك من عظيم الأجر، كما أسلفنا، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1]، ثم بين ﷺ عظم أجر الداعية إلى الخير فقال: "ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[2]. وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"[3]، فعلى الداعية أن ينتهج ما أمر الله ورسوله به لما في ذلك من عظيم الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الاستزادة من الخير:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إلاَّ بَنَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ».

فقد رغب النبي ﷺ في الاستزادة من الخير، فإذا كانت الصلوات المفروضة تكفر صغائر الذنوب وهي واجبة وجوبًا عينيًا على المكلفين، فإن السنن الرواتب مع الفرائض ليست بواجبه، فقد لا يفعلها المكلف في بعض الأحيان، ولكنه يحرم نفسه من خير كثير، إلا وهو بناء بيت في الجنة كما أخبر بذلك النبي ﷺ. وفي هذا الحديث يربي النبي ﷺ كل مسلم على الاستزادة من الخير والتطلع إلى معالي الأمور، وذلك من خلال استنهاض الهمم وتنشيط العزائم، وتفعيل الطاقات الداخلية في الإنسان، وتوظيفها التوظيف السليم النافع حتى يتسنى للمسلم أن يكون مؤهلاً للدرجات الرفيعة من الجنة، وهذا مما تميزت به التربية الإسلامية في تحفيز المسلم لنيل رضوان الله تعالى.

ولاشك أن هذا السلوك له أثر محمود في حياة الإنسان، فإذا كان المسلم يسعى للاستزادة من الطاعات لبلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة، فإن هذا مما يعمل على ترسيخ هذه الروح ليصبح ذلك النشاط هو السمت العام الذي يمثل عوامل دفع للنجاح في الحياة، وبذل أسباب التفوق للوصول إلى الغايات النبيلة، ولاشك أن مثل هذه التربية الهادفة تجعل المسلم إيجابيًا يتفاعل مع مشكلات الحياة ويسعى للتغلب عليها، ويستشعر المعاني العظيمة للتوجيه النبوي بالأخذ بأسباب القوة الهادفة وليست العصبية أو التهور، حيث يقول النبي ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[1]، ولاشك أن القوة لا تتأتى إلا بتحصيل أسبابها من خلال التأهيل العلمي

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

والخلقي والأخذ بأسباب التقدم مع عدم حرمان النفس من فضل الله تعالى.

يقول عائض القرني: "من عرف قصر العمر وبعد الطريق، وهول المصير اجتهد في جمع الحسنات كل يوم وليلة والعبد الصالح حريص على الأعمال الصالحة أشد من حرص التاجر على التجارة الرابحة، وهناك قائمة بأعمال تمر بالعبد كل يوم وليلة لو أنه أحضر نيته عند القيام بها لملأ ديوانه حسنات: كالتبسم في وجه المسلم، والكلمة الطيبة والمصافحة، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين، والمشي إلى الصلاة، والصدقة ولو بالقليل، والتسبيحة والتحميدة والتكبيرة والتهليلة وأمثال تلك الأعمال اليسيرة على العبد الثقيلة في ميزانه، وله الحمد سبحانه ما أرحمه أدخل امرأة بغيا الجنة لأنها سقت كلبًا كاد يهلك من العطش، وأدخل رجلاً الجنة لأنه أزال غصنًا كان يؤذي الناس في طريقهم فيا من آمن بلقاء الله لن يشفق عليك أحد غيرك فارحم نفسك بجمع الحسنات وحفظ الأوقات ورفع الدرجات"[1]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾[2].

ثانيًا: التربية على محبة الإتيان بالنوافل:

وهذا مستمد من أحاديث الباب ففي حديث أم حبيبة رضي الله عنها ذكر النبي ﷺ: اثنتي عشرة ركعة، وذكر ابن عمر: أنه حفظ من النبي ﷺ عشر ركعات.

قال أحمد فريد: "ومما ينبغي الاهتمام به في تربية الإيمان: الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مما افْتَرَضتُ عَلَيهِ، وما يزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه»[3].

فأول ما يقرب إلي الله عز وجل أداء الفرائض، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وحسن النية فيما عند الله عز وجل.

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ماعدا

---

(١) هكذا حدث الزمان، ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٧.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفرائض من أجناس الطاعات.

قال العلماء: ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض؟ وأجاب بعضهم: بأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها، فيفعلها العبد بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله عز وجل، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض، فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل، وتلاوة القرآن والأذكار الموظفة وغير الموظفة، والصيام وقضاء حوائج الناس وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم الشاغل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله عز وجل تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك. وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلاشك أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروي بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن [1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2].

ثالثًا: التربية على المداومة على فعل الخير:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ ...» فلفظة "كل يوم" ترغب في المداومة على هذه الاثنتي عشرة ركعة بحيث تفعل كل يوم، وهذا هو معنى المداومة، وإذا كان النبي ﷺ رغب في ذلك بالقول فإنه ﷺ رغّب بالفعل، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «صلَّيتُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رَكعتَين قبلَ الظُّهرِ وركعتَين بعدَ الظُّهرِ وركعتَين بعدَ الجمعةِ وركعتَين بعدَ المغربِ وركعتَين بعدَ العِشاءِ». وفي رواية عند البخاري: «حَفِظتُ منَ النبيِّ ﷺ عشرَ ركعاتٍ: رَكعتَينِ قبلَ الظُّهرِ، وركعتَينِ بعدَها، وركعتَينِ بعدَ المغربِ في بيتِه، وركعتَينِ بعدَ

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

العِشاء في بيتِهِ، ورَكعتَينِ قبلَ صلاةِ الصبحِ وكانت ساعةً لا يُدخَلُ على النبيِّ ﷺ فيها»[(١)].

ولا شك أن الترغيب على المداومة بالقول والفعل يدفع إلى أن يلتزم المخاطبون هذا، وذلك ما يوضحه الحديث الذي أخرجه مسلم بإسناده عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس قال: «حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ. قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ».

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ عَنْبَسَةُ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ.

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ»[(٢)].

والخلاصة أن على المربي أن يربِّي أتباعه على أن يداوموا على فعل الخير، وإذا كانت هذه الأحاديث في السنن الرواتب، فإنه من الأجدر والأحسن أن تكون هذه العادة موجودة في جميع خصال الخير، بحيث يتربى الناشئة وغيرهم على ذلك، ولقد عمّم النبي ﷺ المداومة على الأعمال، فقال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ الله مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ». وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه»[(٣)].

كما أخبرت عائشة رضي الله عنها عن عمله ﷺ: فقالت: «كان عمله ديمة»[(٤)]، قال النووي: "أي يدوم عليه ولا يقطعه"[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، ١١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٧٢٨، ١٠١

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٦٤٦٢، ومسلم، ٧٤١.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري، ١٩٨٧، ومسلم، ٧٨٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٠.

وقد انعكس ذلك على عائشة رضي الله عنها، فكانت إذا عملت عملاً لزمته[(١)]، ولم يقتصر ذلك عليها رضي الله عنها فحسب، بل امتد ذلك إلى أهل بيت النبي ﷺ أيضًا: فقد: "كان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه"[(٢)]، قال النووي: "أي لازموه وداوموا عليه، والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه ﷺ من أزواجه وقرابته ونحوهم"[(٣)].

إن مبدأ المداومة مبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية، وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة، لقد أصبحت الحياة اليوم أكثر تعقيدًا مما مضى، فنرى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات التي لا تستطيع إنجازها جميعًا خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر.

وإن المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل، مثال ذلك: مفتي بغداد الإمام المفسر الآلوسي حيث يروي حفيده محمود شكري الآلوسي أنه كان يدرس أيام اشتغاله بالتفسير ثلاث عشرة حلقة علمية في المسجد، وهنا نتساءل: كيف استطاع الإمام الآلوسي الذي كان منشغلاً بالإفتاء والتدريس طوال يومه أن ينتج تفسيره الفريد الضخم الذي قيل فيه بأنه أعجوبة فريدة لدى العلماء من بين التفاسير؟ والجواب هو: أن الإمام الآلوسي كان يكتب بأواخر الليل ورقات قليلة من تفسيره كل ليلة، وداوم على ذلك حتى أنتج ذلك التفسير فألفه بالمداومة على العطاء، وضم القليل إلى القليل في كل يوم وبشكل مستمر، مما أكسبه الإمامة في التفسير، وقيل عنه: هو خاتمة المفسرين[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٨٣، ٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم، ٧٨٢، ٢١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٣٠.

(٤) انظر: قيمة الزمن عند العلماء: عبدالفتاح أبو غدة ص ٥٧، وإدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤١٢.

رابعًا: من أساليب التربية: التكرار:

وهذا مستمد من حديث عبدالله بن مغفّل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بين كل أذانين (أي: الأذان والإقامة) صلاة، بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة"، فقد كرر ﷺ الجملة ثلاث مرات، وذلك لزيادة إفهام المخاطبين، يقول الأستاذ أبو لبابة حسين[1]: "كان الرسول ﷺ يكرر المسائل مرارًا لصحابته حتى يفهموا، فهذه امرأة تسأله عن غسلها من المحيض، فبيّن لها ذلك بالتعريض للحرج الذي يسببه الوضوح في مثل هذه الحالة، ولا تفهم المرأة فيعيد لها، إلا أنها مع ذلك لم تفهم الأمر الذي جعل عائشة رضي الله عنها تجتذبها إليها وتشرح لها قائلة: "تتبعي بها أثر الدم"[2].

وقد يكرر ﷺ الكلمة ثلاث مرات تمكينًا لسامعيه من فهمها واستيعابها، جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا سلّم سلّم ثلاثًا وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا"[3]، وقال يومًا منذرًا أولئك الذين لا يحسنون وضوءهم: "ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثًا"[4].

ونظرًا لكون التكرار صار منهجًا متبعًا لدى الرسول ﷺ في تعليمه لصحابته، فإن البخاري عقد بابًا كرّسه لتأكيد هذا المعنى ترجم له بقوله: باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم[5]، وهنا يلاحظ ابن حجر أن الثلاث ليست شرطًا بل المراد التفهيم فإذا حصل بدونها أجزأ"[6]، كما شرح ابن المنيّر مراد البخاري فقال: "نبّه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة وعدّه

---

(١) التربية في السنة النبوية ص ٧٠ - ٧٢.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة: أخرجه البخاري، ٣١٤، ومسلم، ٣٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٩٤، ٩٥.

(٤) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٦٠، ومسلم، ٢٤١، واللفظ للبخاري.

(٥) وذلك في كتاب العلم، الباب رقم ٣٠، فوق الحديثين، ٩٤، ٩٥.

(٦) فتح الباري، ١/٢٣٦.

من البلادة"، وأضاف: "الحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة (واحدة) إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد"[1].



(١) السابق، الموضع نفسه.

١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

الحديث رقم (١١٠٢)

١١٠٢ - عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس والمراد الصلاة التي تقع في هذا الوقت وهي صلاة الصبح[2].

الشرح الأدبي

تنقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سنة من سنن الصلاة عن النبي ﷺ في أسلوب خبري بدأته بالتوكيد تعظيما للخبر، ولمن تخبر عنه وتعبيرها بالماضي يدل على أن صلاة الركعات المذكورة في أوقاتها المحددة عادة اعتادها رسول الله ﷺ، وقولها (لا يَدَعُ أرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ) أسلوب نفي يقرر عدم تركه لها، وقوله (الغداة) كناية عن صلاة الصبح، وهي صلاة يفتح المسلم بها يومه فيكون فتحا، بخير يغفر الله له ما بعده، ويحفظه في دينه، ودنياه.

فقه الحديث

قال النووي: (قولها "لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين

(١) برقم (١١٨٢).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

قبل صلاة الصبح"[١] فيه دليل على عظم فضلهما وأنهما سنة ليستا واجبتين، وبه قال جمهور العلماء، وحكى القاضي عياض عن الحسن البصري - رحمهما الله - وجوبهما، والصواب عدم الوجوب لقولها "على شيء من النوافل، مع قوله ﷺ للرجل الذي يسأل عن الإسلام: خمس صلوات قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع)[٢].

وقد يستدل به لأحد القولين عندنا في ترجيح سنة الصبح على الوتر لكن لا دلالة فيه، لأن الوتر كان واجبًا على رسول الله ﷺ فلا يتناوله هذا الحديث[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وبيان فضلها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شدة حرص النبي ﷺ على ركعتي الفجر وبيان فضلهما.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على سنتي الظهر والفجر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وبيان فضلها:

هذا ما أشارت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أنه ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، "أي: لا يترك أربعًا قبل الظهر وهي سنة الظهر"[٥]، وفي بيان عظم فضلها قالت

---

(١) هذا لفظ مسلم ٧٢٤، ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١ من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٦/٣ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٤٢/٢ - ٤٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٤٠/٢ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٠٢ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٣)، (١١٠٤).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٥٩٧.

أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ إنه قال: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ))[١]، قال صاحب عون المعبود في بيان قوله ﷺ: "من حافظ: أي: داوم وواظب، وفي قوله ﷺ: (حرم على النار)، أي: حرمه الله على النار، وفي رواية: (لم تمسه النار)[٢]، وفي رواية: (حرم الله عز وجل لحمه على النار)[٣]، وقد اختلف في معنى ذلك، هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً، أو أنه وإن قدر عليه دخولها لا تأكله النار، أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه، وإن مست بعضه، كما في بعض طرق الحديث عند النسائي بلفظ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))[٤]، فيكون قد أطلق الكل وأريد البعض مجازًا، والحمل على الحقيقة أولى، وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار وفضل الله تعالى أوسع ورحمته أعم. والحديث يدل على تأكيد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده -ركعتان منهما مؤكدة، وركعتان مستحبة- وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك. وظاهر قوله "من صلى" أن التحريم على النار يحصل مرة واحدة ولكنه قد أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما بلفظ: (من حافظ) فلا يحرم على النار إلا المحافظ"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: شدة حرص النبي ﷺ على ركعتي الفجر وبيان فضلهما:

هذا ما ظهر جليًا في الأحاديث الواردة من قول عائشة رضي الله عنها (إن النبي ﷺ كان لا يدع.. ركعتين قبل الغداة، وإنه ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣٠).

(٢) أخرجه النسائي ١٨١٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧١٣).

(٣) أخرجه النسائي ١٨١٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٨).

(٤) أخرجه النسائي ١٨١٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٠٩).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٦٠٢.

على ركعتي الفجر، وأنهما خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لهما أحب إليّ -أي النبي ﷺ- من الدنيا جميعًا"، وفي بيان ذلك قال ابن القيم: "وكان تعاهدُه ﷺ ومحافظته على سنة الفجر أشدَّ مِن جميع النوافل، ولذلك لم يكن يدعُها هي والوترَ سفرًا وحضرًا، وكان في السفر يُواظب على سنة الفجر والوتر أشدَّ مِن جميع النوافل دون سائر السنن، ولم يُنقل عنه في السفر أنه ﷺ صَلَّى سنة راتبة غيرَهما، ولذلك كان ابن عمر لا يزيد على ركعتين ويقول: سافرتُ مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فكانوا لا يزيدون في السفر على ركعتين"[1]، وفي تأكيد ذلك قال ابن عثيمين: "فالنبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل -يعني رواتب الصلوات- أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، تعاهدهما ﷺ، وأخبر ﷺ أنهما خير من الدنيا وما فيها، وأحب إليه من الدنيا وما فيها ولم يكن ﷺ يدعهما حضرًا ولا سفرًا، كل هذا تتميز به سنة الفجر، فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها وأن يحرص عليها حضرًا وسفرا، وإذا فاتته قبل الصلاة فليصلها بعدها إما في نفس الوقت وإما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح"[2].

وقال صاحب عون المعبود نقلاً عن القاري: "والحديث فيه دليل على عظم فضلهما، وأنهما أقوى وأوكد السنن الرواتب والمحافظة عليهما أشد من غيرهما"[3]، وقال ابن حجر: "إنه قد استدل به بعض الشافعية للقديم في أن ركعتي الفجر أفضل التطوعات"[4]، "ومن عظم فضلهما حكى القاضي عياض عن الحسن البصري بوجوبهما"[5]، ونقل ابن حجر قول القاضي عياض، بلفظ منقول عن الحسن البصري

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٥/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٢٣/٢.

(٣) عون المعبود على سنن ابي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٥٩٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠١.

قال فيه: "كان الحسن يرى الركعتين قبل الفجر واجبتين"[١]، وقال النووي: "بعد بيان عظيم فضلهما إنهما ليستا بواجبتين وبه قال جمهور العلماء واستدل بقول عائشة رضي الله عنها من الحديث الوارد بقولها: ((على شيءٍ منَ النوافلِ))[٢]"[٣]. وفي ذلك بيان على فضل ركعتي الفجر وحرصه ﷺ عليهما.

ثالثا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على سنتي الظهر والفجر:

لقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم - النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة - دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسِّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة"[٤].

"... فينبغي لنا أن نحرص على ما كان النبي ﷺ يحرص عليه، وأن نقتدي بسنته ﷺ ما استطعنا، فإن الله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥]"[٦]، والنبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٧]"[٨]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على سنتي

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣/٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ١١٦٣، ومسلم ٧٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠١.

(٤) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ١/٧٥.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٢٣.

(٧) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٨) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٦٣.

الظهر والفجر، لما في ذلك من عظيم الأجر والفضل في الدنيا والآخرة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد الترغيب جليًا في المحافظة على ركعتي الفجر من الحديث في قوله ﷺ: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا)، "أي: من متاع الدنيا"[1]، "ومما لا ريب فيه أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر...، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان"[2]، فكان الترغيب بابًا في ذلك لحمل الأنفس على فعل ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط/٣ البابي الحلبي، مصر، ١/٣٠٨.

الحديث رقم (١١٠٣)

١١٠٣- وعنها، قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنهُ[١] عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ. متفقٌ عَلَيهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

تعاهدًا: محافظة[٣].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث بيان لما لركعتي الفجر من الأهمية، والتأكيد، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أكدهما، وعظم شأنهما، بفعله. وقوله، حيث قالت: (لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر)، وهو أسلوب نفي عام يقرر أنه لم يحرص على نافلة كما حرص على ركعتي الفجر، والتعبير بأفعل التفضيل يشير إلى بلوغ قمة الحرص على هذه النافلة، ومعنى النافلة أي الزيادة، وهي تشمل ما دون الواجب من السنن، والمستحبات، والمندوبات، والتعبير بالتعاهد يشير إلى قوة المتابعة مع الأيام دون ترك، وكون النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدهما أكثر من غيرهما، يعني أن إهمال من أهملهما -على سهولتهما، وعظم أجرهما، وحث الشارع عليهما- يدل على ضعف دينه، وحرمانه من الخير العظيم.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) لفظ البخاري: (أشدّ منه تعاهدًا)، ولفظ مسلم: (أشدّ معاهدة منه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٦٠/٤، رقم ٣٢٨٠)، وكذا عند المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤/٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٠).

(٣) الصحاح والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠٤)

١١٠٤- وعنها، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا)) رواه مُسلِمٌ[1].

وفي رواية[2]: ((لَهُمَا أحَبُّ إليَّ مِنَ الدنْيَا جَمِيعًا)).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث خبري خال من المؤكدات لا يقابل بإنكار ولا شك لأنه من العلم النبوي الذي لم يسبق للمخاطب العلم به فهو خال الذهن منه، ويدور معنى الحديث كسابقه على بيان فضل ركعتي الفجر، وقول الرسول ﷺ (رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا) عبارة قصيرة، وجيزة تبين قيمة هاتين الركعتين، وعظمة العمل للآخرة، وبالمفهوم ضمنا حقارة الدنيا؛ لأن الدنيا بجوار الآخرة لا تساوي ساعة في ملايين السنين، لأن البقاء في الآخرة سرمدي خلود بلا موت لذلك فضلت عليها ركعتي الفجر لما تسفر عنه الآخرة من بيان الأجر العظيم لهذه النافلة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٩٦/٧٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٩).

(٢) برقم (٩٧/٧٢٥). أورده المنذري في ترغيبه بعد رقم (٨٢٩).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٢)، (١١٠٣).

الحديث رقم (١١٠٥)

١١٠٥ - وعن أبي عبد الله بلالِ بن رَبَاح رضي الله عنه ، مُؤَذِّن رَسُولِ اللهِ ﷺ : أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ ، لِيُؤْذِنَه بِصَلاةِ الغَدَاةِ ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ ، حَتَّى أَصْبَحَ جِدًّا ، فَقَامَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاَةِ ، وَتَابَعَ أذَانَهُ ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ ، فَأَخْبَرَهُ أنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى أصْبَحَ جِدًّا ، وَأنَّهُ أبْطَأَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ ، فَقَالَ (-يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ-)[1] : ((**إنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ**)) فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إنَّكَ أصْبَحْتَ جِدًّا؟ فقَالَ: ((**لَوْ أصْبَحْتُ أكْثَرَ مِمَّا أصْبَحْتُ ، لَرَكَعْتُهُمَا ، وَأحْسَنْتُهُمَا وَأجْمَلْتُهُمَا**)) رواه أبُو دَاوُدَ[2] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

بلال بن رياح: هو بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبدالله.

مؤذن النبي ﷺ ، وخازنه على بيت ماله ، ومولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وأحد السابقين الأولين الذين أوذوا وعُذِّبوا في الله ، شهد بدرًا ، والمشاهد كلها ، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة ، وكان شديد السُّمرة ، نحيفًا طوالاً رآه أبوبكر رضي الله عنه يُعذب في رمضاء مكة وهو مدفون في الحجارة فاشتراه بخمس أواق من ذهب فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه لو أبيت إلا أوقية لبعناكه ، فقال الصديق رضي الله عنه : لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

وقال فيه مجاهد : إن أول من أظهر الإسلام بمكة سبعةٌ: رسول الله ﷺ ، وأبوبكر ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وبلال ، وسمية أم عمار. فأمّا بلال فهانت عليه نفسُهُ في الله عز وجل ، وهان على قومه ، فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا في عنقه حبلاً من ليف فدفعُوهُ إلى صبيانهم ، فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة -جبلي مكة- فجعل يقول: أحد أحد.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٢٥٧).

وقد قال له النبي ﷺ يومًا ((حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني قد سمعت الليلة خَشْفَ نعليك بين يديَّ في الجنة)) فقال: ما عملت عملاً أرجى من أنّي لم أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صلّيت لربي ما كُتِبَ لي أنْ أصلي[1].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فلما تُوفي رسول الله ﷺ لم يؤذّن لأحد، وأراد الجهاد، فأراد أبوبكر رضي الله عنه منعه، فقال بلال رضي الله عنه: إن كنت أعتقتني لله فخلِّ سبيلي فأذن له أبوبكر رضي الله عنه في الغزو، فذهب إلى الشام حتى قَدِمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية، فسأل المسلمون عمر أن يسأل لهم بلالاً فيؤذّن لهم فسأله، فأذّن يومًا، فلم يُر يومًا كان أكثر باكيًا من يومئذ، ذكرًا منهم للنبي ﷺ.

وقيل: إنه لم يؤذّن لأحد بعد النبي ﷺ إلا مرة واحد في قَدَمَةٍ قدمها المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ، وطلب إليه الصحابة ذلك فأذّن، ولم يتمّ الأذان.

وكان يقول عندما يذكر الناس فضله وما قسم الله له من خير: إنما أنا حبشي كنت بالأمس عبدًا، وقال عند احتضاره: غدًا نلقى الأحبَّة محمد ﷺ وحزبه، وكانت امرأته تقول: واويلاه ولكنه كان يقول وافرحاه.

وقد روى عن النبي ﷺ ٤٤ حديثًا. وتوفي في سنة ٢٠هـ وهو ابن بضع وستين سنة(٢).

غريب الألفاظ:

ليُؤْذِنَه: ليُعلمه[3].

صلاة الغداة: صلاة الصبح[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨ واللفظ لمسلم.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٨٥/٧ - ٣٨٦) (١٦٥/٣) و(٢٣٢/٣)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨١ - ٨٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤١٥/١ - ٤١٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٣٨، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٤٧/١ - ٣٦٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٨٩/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٥٣/١، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٥٢٦/١ - ٥٣٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

أجْمَلْهما: جعلتهما جميلتين حسنتين[١].

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل ركعتي الفجر، وحرص الرسول ﷺ عليهما، وقد ورد المعنى في سياق القصة المبنية على الحوار الذي خلص إلى تقرير هذه الحقيقة ببيان قيمة هاتين الركعتين، وقول الراوي (: أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لِيُؤْذِنَه بِصَلَاةِ الْغَدَاةِ) أكد الخبر لإحساسه بغرابة الخبر لأنه يقصُّ أمرا غير معتاد، وهو تأخره عن الأذان، والتعبير بالإتيان يشير إلى ما يتضمنه من مشقة السير في الظلام، وملاقاة الهوام، وترك النوم، وقوله (ليؤذنه) اللام للتعليل ومعناه ليعلمه بدخول وقت الصلاة، وصلاة الغداة هي الصبح، وقوله (فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ) أي أخرته عن الإعلام بوقت الصلاة، وقول الرسول ﷺ (إِنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ) يقرر أنه أدى ركعتي الفجر رغم أنه أدرك الصباح والجناس في قوله: رَكَعْتُ رَكْعَتَي يؤكد هذا المعنى ويشير إلى مدى عنايته بهما كما أكده قوله ﷺ ردا على بلال رضي الله عنه (لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا وَأَجْمَلْتُهُمَا) فالتعبير بالإحسان، والإجمال مع تأخره يؤكد حرصه الشديد على أداء هاتين الركعتين، بل وتحسينهما وتجميلهما إشارة إلى إعطائهما وقتهما اللازم وتوفيتهما حقهما من الخشوع، والسكينة، وإن تأخر الوقت.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم ركعتي الفجر وأنهما سنة مؤكدة عن النبي ﷺ حتى إنه لم يكن يتركهما ولو بعد مضي وقتهما.

وقد اتفق الفقهاء[٢] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الرواتب لما لهما من

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج م ل).

(٢) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١، الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١، المحلى، ابن حزم ١٩/٢.

عظيم الأجر، كما بينت الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المقام، وأن وقت صلاتهما قبل صلاة الفريضة فإن دخل المسجد ووجد الصلاة للفريضة فليصلها، وهل تقضى ركعتا الفجر؟ خلاف بين الفقهاء بناء على خلافهم في حكم قضاء النوافل، فذهب جمهور الفقهاء محمد بن الحسن من الحنفية[1]، وجمهور المالكية[2]، والشافعية[3]، والحنابلة[4] إلى أن من فاتته ركعتا الفجر قضاهما وإن اختلفوا في وقت القضاء، وذهب الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف[5] والإمام مالك[6] إلى أن ركعتي الفجر لا يقضيان إن فاتتا المصلي وإنما يصلي الصبح فقط.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

رابعًا: من واجبات المدعو: الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه:

قد ظهر ذلك في الحديث من أنه رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤذنه بصلاة الغداة،

---

(١) المبسوط، السرخسي ١/١٦١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٨٤، ٢٨٧.

(٢) المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١/٢١١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/٢٢٨.

(٣) الأم، الإمام الشافعي ١/٨٧، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٥٢٢.

(٤) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ١/٢٤٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٤٣١.

(٥) المبسوط، السرخسي ١/١٦١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٨٤، ٢٨٧.

(٦) المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١/٢١١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/٢٢٨.

"فهو مؤذن النبي ﷺ، وخازنه على بيت ماله، ومولى أبو بكر رضي الله عنهما، وأحد السابقين الأولين الذين أوذوا وعذبوا في الله، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة"[1]، فقال له: ((حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ، فِي الإِسْلاَمِ مَنْفَعَةً. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ)). فقَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً فِي الإِسْلاَمِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لاَ أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ، إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ))[2]، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أبوبكرٍ سيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني بلالاً)[3]، وفي ذلك بيان على عظم فضله رضي الله عنه ومكانته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم:

هذا ما ظهر جليا في الحديث "من تعظيم بلال رضي الله عنه لحرمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عدم إنكاره عليها وإعلامها أنها شغلته عما جاء بسببه، وأن المصلين ينتظرون حضور رسول الله ﷺ ليصلي بهم"[4].

وقد عَظُمت منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، "فهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، زوج النبي ﷺ الحبيب، وأليفة القريب سيد المرسلين، المبرأة من العيوب.. المعراة من ارتياب القلوب"[5].

قال فيها حسان بن ثابت رضي الله عنه يذكر طهرها وشرفها:

رأيْتُكِ، ولْيَغْفِرْ لكِ اللَّهُ، حُرَّةً ... مِنَ المُحصَنَاتِ غيرَ ذاتِ غوَائِلِ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٦٥/٣، ٢٣٢/٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٤٧/١ - ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨ واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

(٥) انظر: موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢٠/١.

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غرثي مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ
وإنَّ الذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِقٍ بِكِ الدهرَ بل قِيلُ امْرِىءٍ متماحل
فإن كُنْتُ أهجُوكُم كما بلَغُوكُمُ فَلا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي
وكَيْفَ وودِّي ما حَيِيْتُ وَنُصْرَتِي لآلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ المَحَافِلِ
وإنَّ لَهُمْ عِزًّا يُرى النَّاسُ دُونَهُ قِصَارًا وَطَالَ العِزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ
عَقيلة حَيٍّ مِن لؤيِّ بنِ غَالِبٍ كرام المَسَاعي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مهذَّبة قد طَيَّبَ اللَّهُ خيمَهَا وطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوْءٍ وبَاطِلِ[1]

وقد علم الصحابة رضي الله عنهم شرف مكانتها رضي الله عنها وعظيم منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتحرون بهداياهم يومها، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: كان الناسُ يَتحرَّون بهَداياهم يومَ عائشة. قالت عائشةُ: فاجتمعَ صَواحِبي إلى أمِّ سلمةَ فقلْنَ: يا أمَّ سلمةَ، واللَّهِ إنَّ الناسَ يَتحرَّونَ بهداياهم يومَ عائشةَ، وإنَّا نريدُ الخيرَ كما تريدُهُ عائشة، فمري رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أن يأمُرَ الناسَ أن يُهدوا إليه حيثُ كان، أو حيثُ ما دار. قالت: فذكرَتْ ذلكَ أمُّ سلمةَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، قالت: فأعرَضَ عني. فلما عادَ إليَّ ذكَرْتُ له ذلك، فأعرضَ عني. فلما كان في الثالثة ذكرتُ له فقال: ((يا أمَّ سلمةَ، لا تؤذيني في عائشةَ، فإنه واللَّهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها))[2].

وقد استفاضت النصوص في بيان عظم فضلها وشرف مكانتها بما لا يتسع المقام لذكرها، وفي ذلك بيان على عظيم مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأذان:

قد ورد الأذان كأحد أساليب الدعوة إلى الله في الحديث من قول الراوي: "فقام بلال فآذنه بالصلاة، وتابع أذانه".

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٥٢/٣ - ٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٧٥.

وقد شرع للدعوة إلى الصلاة والجمع عليها نداءً، لم تتجلّ فيه مقاصد الصلاة ومعانيها فحسب، بل تجلّت فيه كذلك مقاصد الإسلام وشعار التوحيد، وروح الدين، بوضوح وبلاغة وإيجاز، وجمال ونغمة، أصبح بها هذا النداءُ الذي يرفع به المؤذن صوته من مكان عال خمس مرات في كل يوم، دعوة مركّزة إلى الإسلام، تعريفًا بمقاصده وتعليماته، قد يؤثر في نفوس كثير من غير المسلمين، فيشرح الله صدورهم للإسلام، وليس لهذا النداء - الذي يجمع بين الجمال والبساطة - نظير في أساليب الدعوة والإعلام بالعبادات في الديانات الأخرى، إنه هو النداء الديني الوحيد الذي ابتعد عن كل مظهر خارجي، وعن استعانة بالآلات والإغراءات، وجاء فيه لباب الدين، وخلاصته.

إنه يضم الإعلان بعظمة الله وكبريائه، وأنه أكبر من كل كبير، ويضم الشهادتين، شهادة: (أن لا إله إلا الله)، وشهادة: (أن محمدًا رسول الله) ثم الدعوة إلى الصلاة وحضورها في جماعة في المسجد، ثم الإخبار بأنها وسيلة الفلاح في الدنيا والآخرة، وأن لا فلاح بدونها، فأصبح بذلك كلمة جامعة، ودعوة كاملة، ونداءًا بليغًا يخاطب القلب والعقل، ويلفت المسلم وغير المسلم، وينشّط الكسلان، وينبه الغافل، يقول حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي: "واقتضت الحكمة الإلهية أن لا يكون الأذان وسيلة إعلام وتنبيه فحسب، بل يضم مع ذلك أن يكون من شعائر الدين بحيث يكون النداء به على رؤوس الخامل والنبيه، تنويهًا بالدين، ويكون قبوله من القوم آية انقيادهم لدين الله، فوجب أن يكون مركبًا من ذكر الله، ومن الشهادتين والدعوة إلى الصلاة ليكون مصرحًا بما أريد به"(١).

رابعًا- من واجبات المدعو: الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: (إني كنت ركعت ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله! إنك أصبحت جدًا! قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتها وأحسنتها وأجملتها)، وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على ركعتي الفجر، وفي بيان

(١) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٥٠ - ٥١.

قوله ﷺ: (لو أصبحت أكثر مما أصبحت)، قال ابن علان: "أي: ولم أكن ركعتهما (لركعتهما وأحسنتهما)، بالإتيان بالسنن والهيئات (وأجملتهما)، بالآداب والتطوعات"[1]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما وتجميلهما، فعلى المدعو أن يحرص عليهما لما في ذلك من فضل عظيم وخير عميم فهما: ((خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[2]، "أي: من متاع الدنيا"[3]، ((ولَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ))[4]. وما ذلك إلا لعظيم فضلهما.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٩، ومسلم ٧٢٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالقدوة:

للتربية بالقدوة تأثير عظيم في نفوس الناس، خاصة الناشئة والشباب.

ولقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على التمسك بأداء سنة الصبح، فقال: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"، كما تحدث ﷺ عن نفسه، فقال: "لهما أحبُّ إليّ من الدنيا جميعًا"، ولم يكتف ﷺ بالقول فقط ﷺ بل التزم أيضًا بما ربىّ عليه أصحابه رضوان الله عليهم، فهذه زوجته عائشة رضي الله عنها وأقرب الناس إليه وأكثرهم اطلاعًا على أحواله، تذكر عنه ﷺ أنه كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة، وأنه ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، وهذا النبي ﷺ نفسه يخبر مؤذنه بلالاً رضي الله عنه بأنه حريص على فعلهما ولو في وقت الإسفار، فقال ﷺ: "لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما"، ولم يقتصر الأمر على الصلاة فحسب بل كان ﷺ كذلك في جميع شؤونه يفعل ما يدعو أصحابه إليه ويكون أول الفاعلين وأسبق الممتثلين، فإذا أمر الناس بالشجاعة كان أول السابقين إلى ميدان القتال، وإذا دعا الناس إلى الإنفاق والبذل كان أسبقهم وأكثرهم عطاءً وبذلاً، وإذا رغّب الناس في حسن الخلق، كان أحسنهم أخلاقًا وصفاتٍ وشمائل، ولذا كان النبي ﷺ هو القدوة والمثل الذي يحتذى لكل المربين والمعلمين والدعاة والوعاظ وغيرهم.

يقول ابن الجوزي عن أهمية العمل بالعلم: "لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته: العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبةٍ، يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ.

ولقيت عبدالوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذ يعمل بكاؤه في قلبي ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت شديد التحرِّي فيما يقول متقنًا محققًا.

وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما. ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب، وبدّد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقلّ الانتفاع بهم في حياتهم، ونُسُوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم. فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فَقَدِمَ مفلسًا، مع قوة الحجة عليه"[(١)].

ثانيًا- التربية على تقديم اللذة الدائمة على اللذة الوقتية الآنية:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"، وفي رواية: "لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا"، فوقت صلاة الصبح يمتد من طلوع الفجر الثاني إلى شروق الشمس، والناس في هذا الوقت الأغلب عليهم أنهم مستغرقون في النوم، ويجدون لذة في هذا النوم ومتعة، فتجد القيام منه فيه صعوبة كبيرة، وثقلاً شديدًا على النفس حتى إن بعضهم قد يريد القيام لكن يغلبُ عليه طلبُ الراحة وتحصيل اللذة فيعود إلى نومه مستغرقًا فيه، والمقصود أن النوم في هذا الوقت محبب إلى النفس لذيذ إليها، لكن النبي ﷺ أخبر أن القيام لصلاة التطوع قبل صلاة الصبح الفريضة خير من الدنيا وما فيها جميعًا، فهما خير من لذات الدنيا ومتعها، فلا يساوي تحصيلها والتمتع

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢١٧، ٢١٨.

بها هاتين الركعتين من التطوع فكيف بصلاة الصبح الفريضة نفسها؟

إن النبي ﷺ يعلمنا أن نقدم دائمًا اللذة الدائمة على اللذة الوقتية الآنية، فيعلمنا أن نعمل على تحصيل لذة ثواب الصلاة الذي يكون في الآخرة الدائمة، على التمتع بلذة الدنيا الفانية الزائلة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ومن ثمّ كان على المربين ان يربوا أتباعهم على ذلك فلا ينخدعوا بالزائل الوقتي على حساب الدائم الباقي، أي تربيتهم على أن يكون همهم الأول هو العمل للآخرة، وليس للدنيا، وليس معنى ذلك ترك الدنيا والزهد فيها والرغبة عنها، وإنما يكون إعمار الدنيا طريقًا لإعمار الآخرة لا للإعراض عنها وإهمالها. قال ابن القيم: "اللذة من حيث هي مطلوبة للإنسان، بل ولكل حيٍّ، فلا تذمُّ من جهة كونها لذة، وإنما تذمّ ويكون تركها خيرًا من نيلها، وأنفع إذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألما حصوله أعظم من ألم فواتها.

فههنا يظهر الفرق بين العاقل الفطن والأحمق الجاهل، فمتى عرف العقل التفاوت بين اللذتين والألمين، وأنه لا نسبة لأحدهما على الآخر، هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة، فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا.

والمعوّل في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة واحتمل الألم الأسهل على الأصعب والله المستعان"[(١)].

ثالثًا: من آداب المربي: سعة الصدر والإجابة على الأسئلة:

وهذا مستمد من موقف النبي ﷺ وإجابته على استفسار بلال رضي الله عنه، عن إبطائه ﷺ في الخروج إلى الصلاة، وقد أعلمه بأنه آذنه بها، فأخبره النبي ﷺ أنه كان يصلي ركعتي سنة الصبح: "إني كنت ركعت ركعتي الفجر" فعجب وسأل عن تأدية هاتين

---

(١) الفوائد، ٢٨٣، ٢٨٤.

الركعتين في وقت إسفار الصبح جدًا، فأخبره النبي ﷺ أنه كان سيصليهما ولو أسفر الصبح أكثر من ذلك: "لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما"، ففي هذا الحديث إجابة النبي ﷺ بلالاً عما سأل، واحترم سؤاله الثاني وإن كان يحمل التعجب الذي هدفه العلم النافع، مع أنه قد يُعتقد أن بلالاً ليس له الحق في توجيه السؤال الثاني، لأن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، وهو المشرع لهذه الأمة يفعل ما يراه صالحًا لها، لكنه ﷺ وهو المعلم الأكمل والمربي الأرشد، أجاب عن سؤال بلال، ولعل ذكر حديث آخر يوضح المراد ويبين المقصود.

قال عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم، فلما غابت الشمس، قال لبعض القوم يافلان قم فاجْدح لنا[1]، فقال: يا رسول الله لو أمسيت؟ قال: انزل فاجْدح لنا. قال: إن عليك نهارًا، قال: انزل فاجْدح لنا. فنزل فجدح لهم، فشرب النبي ﷺ ثم قال: إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم"[2].

قال ابن حجر: "وأما قول الراوي: (وغربت الشمس)، فإخبار منه بما في الأمر نفسه، وإلا فلو تحقق الصحابي أن الشمس غربت ما توقف، لأنه حينئذٍ يكون معاندًا، وإنما توقف احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة، قال الزين بن المنير: يؤخذ من هذا جواز الاستفسار عن الظواهر لاحتمال أن يكون المراد إمرارها على ظاهرها، وكأنه أخذ ذلك من تقريره ﷺ الصحابي على ترك المبادرة إلى الامتثال... وفي الحديث تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث"[3].

والمقصود بيان أن في ذلك دعوة للمربين أن يتسع صدرهم ويحترموا أسئلة الناشئة وغيرهم ويجيبوا عنها بما يقنع السائل ويفيده، ولا يهملون الإجابة عن ذلك ولو كانت الأسئلة في غير موضعها وقتًا وعلمًا ومكانًا وزمانًا، لما في ذلك من فوائد تربوية مهمة

---

(١) الجدح: تحريك السويق (وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير) ونحوه بالماء بعود يقال له: المجدح مجنح الرأس. فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩٠، وانظر المعجم الوسيط، ٤٦٥.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، ١٩٥٥، ومسلم، ١١٠١، واللفظ للبخاري.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩٠ الدولية.

جدًا تعود على المربين ومن يربونهم، فإنه تنمو عند الناشئة الرغبة في المشاركة وإبداء الآراء والاقتراحات. كما توجد عندهم الدوافع لمزيد من التساؤلات والاستفسارات، وقد يكون بعض المربين أوقاتهم مزدحمة وظروفهم لا تسمح لهم، فيكون الحل الأسهل لديه أن ينعزل عن التجاوب مع الناشئة بحجة أنه مشغول ولا وقت لديه للبحث في مثل هذه الأمور، أو ما يظهر على هذه المقترحات من سطحية وعدم اكتمال ونحو ذلك: وهذا من الأخطاء الكبيرة، فإن الناشئ ينظر إلى مربيه نظرة مملوءة بالتقدير، وأنه هو القادر على أن يحلّ له هذه المعضلات، فإذا صدّه عن ذلك لجأ إلى غيره يبحث عنده عمّا لم يجده عند مربيه، إضافة إلى ما يترتب على ذلك من قطيعة فكرية، أو ضعف التواصل الفكري بين الصبي وبين مربيه، بل ينبغي على المربي أن يتسع صدره لذلك، وأن يقصر نفسه قصرًا على توفير وقت من أوقاته يلبي فيه هذه الاحتياجات، إذ هي أولى من كثير مما يظن من الأمور، ولا يستعجل بل يسمع منه ويصغى إليه، ويناقشه فيما يقول ويوضح له، لأن ذلك هو طريق بناء الإنسان الذي يمكن أن ينفع نفسه ومجتمعه ودينه"[1].



(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ١١٩، ١٢٠.

١٩٧- باب تخفيف ركعتي الفجر

وبيان مَا يقرأ فيهما وبيان وقتهما

الحديث رقم (١١٠٦)

١١٠٦ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإقَامَةِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

وفي روايَةٍ لَهُمَا[2]: يُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أقُولَ: هَلْ قَرأَ فيهما بِأُمِّ القُرآنِ.

وفي رواية لمسلم[3]: كَانَ يُصلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إذَا سَمِعَ الأذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا.

وفي رواية[4]: إذَا طَلَعَ الفَجْرُ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[5].

أم القرآن: سورة الفاتحة[6].

الشرح الأدبي

الحديث مع تقريره لصلاة ركعتي الفجر يشير إلى خصيصة في هاتين الركعتين

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٩) واللفظ له، ومسلم (٧٢٤/٩١).

(٢) أخرجها البخاري (١١٧١)، ومسلم (٧٢٤/٩٢) واللفظ له، من حديث أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، عن أمه.

(٣) برقم (٧٢٤/٩٠) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه.

(٤) بعد حديث (٧٢٣/٨٨، بدون رقم) من حديث أبي أسامة.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٦٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٥٧/٣.

وهي أنهما خفيفتان، وتأكيد أم المؤمنين عائشة ﵂ الخبر الذي ترويه عن الرسول ﷺ في قولها: (أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ) لاعتقاد كثير من الناس أنه ﷺ يطيل في النوافل، وأنه أولى هاتين الركعتين عناية كما دلت بعض أحاديث الباب، واستخدامها الماضي (كان) يشير إلى العادة الغالبة في صلاته تلك أن يخففها، والتعبير بالخفة يشير إلى قصر وقت القراءة يدل على ذلك قول عائشة ﵂ في الرواية الأخرى (فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرْآنِ) كناية عن تقصير القراءة فيها مع الوفاء بجميع الأركان، وهي قصيرة بالنسبة لصلاته لغيرها لنه كان يطيل في أكثر النوافل.

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قوله: "كان رسول الله ﷺ يصلّي ركعتي الفجر إذا سمع الأذان ويخففهما"[١] وفي رواية "إذا طلع الفجر"[٢] فيه أن سنة الصبح لا يدخل وقتها إلا بطلوع الفجر. واستحباب تقديمها في أول طلوع الفجر وتخفيفها، وهو مذهب مالك والشافعي والجمهور، وقال بعض السلف: لا بأس بإطالتهما، ولعله أراد أنها ليست محرمة، ولم يخالف في استحباب التخفيف. وقد بالغ قوم فقالوا: لا قراءة فيهما أصلاً حكاه الطحاوي والقاضي عياض)[٣] وهو غلط بيّن، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم بعد هذا أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فيهما بعد الفاتحة بـ "قل يا أيها الكافرون" و"قل هو الله أحد" وفي رواية "قولوا آمنا بالله" و"قل يا أهل الكتاب تعالوا" وثبت في الأحاديث الصحيحة: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[٤] و"لا تجزيء صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب"[٥][٦].

---

(١) هذه رواية عند مسلم ٧٢٤، ٩٠.

(٢) هذه رواية عند مسلم بعد الحديث ٧٢٤، ٩٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٤/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٣٩٤ من حديث عبادة بن الصامت >.

(٥) أخرجه الدارقطني ٣٢٢/١،وقال: إسناده صحيح.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٦/٣ .

٢ - قال النووي: (قوله ﷺ "كان إذا طلع الفجر لا يصلّي إلا ركعتين خفيفتين" قد يستدل به من يقول تكره الصلاة من طلوع الفجر إلا سنة الصبح وما له سبب، ولأصحابنا في المسألة ثلاثة أوجه:

أحدها: هذا ونقله القاضي عياض عن مالك والجمهور[١].

والثاني: لا تدخل الكراهة حتى يصلي سنة الصبح.

الثالث: لا تدخل الكراهة حتى يصلّي فريضة الصبح.

وهذا هو الصحيح عند أصحابنا، وليس في هذا دليل ظاهر على الكراهة، إنما فيه الإخبار بأنه ﷺ كان لا يصلّي غير ركعتي السنة ولم ينه عن غيرها)[٢].

المضامين الدعوية [٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر.

ثانيًا: من فقه الداعية: بيان الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر:

قد ورد ذلك في الأحاديث الواردة من قول عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين خفيفتين... إلخ)، ومن قول حفصة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين"، وفي بيان ذلك قال النووي: "هذا الحديث دليل المبالغة في التخفيف، والمراد المبالغة بالنسبة إلى عادته ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها من نوافله"[٤]، ((فقد كَانَ النَّبيُّ ﷺ لَيَقُومُ أو ليُصَلّيَ حَتَّى تَرِمُ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٣ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٠٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠١.

قَدَمَاهُ، أَوْ سَاقَاهُ))[١]، (أما في ركعتي الفجر فكان ﷺ يخفف أركانها بالاقتصار على المجزئ منها، حتى تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: هل قرأ فيهما بأم القرآن)[٢]، قال القرطبي: (وليس معنى هذا أنها شكّت في قراءته ﷺ فيها بأم القرآن، لأنه قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((لا صلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرآنِ))[٣]، وإنما معنى ذلك: أنه ﷺ كان في غيرها من النوافل يقرأ بالسورة، ويرتلها حتى تكون أطول منها[٤]، بخلاف فعله في هذه فإنه كان يخفف أفعالها وقراءتها، حتى إذا نسبت إلى قراءته في غيرها كانت كأنها لم يقرأ فيها. وقد دلّ على صحة هذا ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ كان يقرأ فيهما بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٥]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٦][٧]، وهذا بعد قراءة الفاتحة في الركعتين قبل السورتين، على ما قد تبيَّن اشتراطه في الصلاة كما تقدم، وعلى هذا يحمل حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أنه كان يقرأ فيهما بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[٨]، وبقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾[٩][١٠]، إنه كان يقرأ ذلك بعد الفاتحة، وما ذكرناه هو الظاهر من مجموع الأحاديث، وهو اختيار جمهور أصحاب مالك، استحبوا: أن يقرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة منهما، و"قل يا أيها الكافرون" في الأولى، و"قل هو الله أحد" في الآخرة، وهو قول الشافعي،

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٢٩٥.

(٤) هذا مضمون الحديث رقم ٧٣٣، ١١٨ في صحيح مسلم.

(٥) سورة الكافرون، آية: ١.

(٦) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٧) أخرجه مسلم ٧٢٦.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٣٦.

(٩) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(١٠) أخرجه مسلم ٧٢٧.

وأحمد، واستحب مالك الاقتصار على أم القرآن، على ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها، وذهب قومٌ إلى أنه لا يقرأ فيهما بالجملة الكافية. حكاه الطحاوي، وذهب النخعي إلى جواز إطالة القراءة فيهما. واختاره الطحاوي، وذهب الثوري والحسن وأبو حنيفة إلى أنه يجوز لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأه فيهما"[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: بيان الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر:

قد أشار نص الحديث إلى تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر، وفي بيان الحكمة من ذلك قال ابن حجر: "واختلف في حكمه تخفيفهما فقيل: ليبادر إلى صلاة الصبح في أول الوقت وبه جزم القرطبي، وقيل: ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل، ليدخل في الفرض أو ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام"[٢]، فعن زيد بن خالد الجُهني رضي الله عنه أنه قال: ((لأَرْمُقَنَّ صَلاَةَ رَسُولِ اللّهِ اللَّيْلَةَ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ. طَوِيلَتَيْنِ.... إلخ))[٣]، وقال ابن علان: "إن الحكمة من تخفيفه ﷺ للركعتين هو المسارعة لأداء الفرض الذي كان يطيل قراءته فيه"[٤]، فعلى الداعية أن يبين الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر:

إن التأسي بالنبي ﷺ يعني: "تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، والنبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه، قولاً وعملاً

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/٥٦، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ٧٦٥.

(٤) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ص ٢٧٤.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، قال السعدي: "أي: ليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه، لا يتبع إلا ما أوحي إليه، من الهدي والتقوى في نفسه وفي غيره، ودلّ هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ"[2]، فعلى المدعو أن يتأسى ويقتدي بالنبي ﷺ في كل أمره، ومن ذلك تخفيف ركعتي الفجر.

---

(١) سورة النجم الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٦٠.

الحديث رقم (١١٠٧)

١١٠٧ - وعن حفصة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلصُّبْحِ وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إذَا طَلَعَ الفَجْرُ لا يُصَلِّي إلاَّ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

ترجمة الراوي:

حفصة بنت عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٧٢٥).

الشرح الأدبي

يدور معنى هذا الحديث على بيان صفة ركعتي الفجر، وهو في معنى سابق، وقريب منه في الأسلوب مع اختلاف الراوي حيث إن هذا الحديث ترويه حفصة رضي الله عنها والحديث السابق روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتعدد الروايات في المعنى الواحد يقرر المعنى، ويؤكده وقولها (كَانَ إذَا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلصُّبْحِ) التعبير بفعل الكينونة الماضي يشير إلى أنه متكرر معتاد غالبا كما مرَّ في الحديث السابق، وقوله أذَّنَ المُؤَذِّنُ فيه جناس يؤكد المقصود وقولها (وَبَدَا الصُّبْحُ) كناية عن دخول وقته، وقولها (صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) التعبير بالماضي يفيد التحقق، والخفة تشير إلى تقصير زمن صلاتهما بتقصير القراءة.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨١)، ومسلم (٧٢٣/٨٧)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٤١/٤، رقم ٣٤٦٩).

(٢) برقم (٧٢٣/٨٨) من حديث زيد بن محمد، عن نافع.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠٨)

١١٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنتين اثنتين، وإعادة مثنى للمبالغة في التأكيد[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر بعض السنن، ويبين صفة بعضها، وقول الراوي (كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ) يشير إلى أن عادته في صلاة القيام أن يصلي ركعتين ثم يسلم ثم يصلي ركعتين حتى يصلي ما شاء على هذه الهيئة، ثم يوتر أي يصلي ركعة منفردة، وقوله (وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ) (ال) في الركعتين للعهد أي المعهودتان، وقوله (قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ) قوله قبل يشير إلى سنة الفجر، وصلاة الغداة هي صلاة الفجر، وقوله (وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ) المراد هنا بالأذان الإقامة، وهي إشارة إلى شدة تخفيفها بالنسبة إلى باقي صلاته ﷺ، والتشبيه يفيد أنه كان يسرع بركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة خشية فوات أول الوقت، ومقتضى ذلك تخفيف القراءة فيهما، واستخدام كأن يفيد المبالغة في شدة الشبه، والغرض منه بيان حاله في أداء هاتين الركعتين.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩/١٥٧) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١١٧٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٥٦/٢.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قوله: "كان النبي ﷺ يصلّي من الليل مثنى مثنى" استدلّ به على فضل الفصل لكونه أمر بذلك وفعله، وأما الوصل فورد من فعله فقط)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قيام الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية صلاة النبي ﷺ بالليل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الوتر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على قيام الليل:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل... إلخ)، وقيام الليل من أعظم دلائل حب الله، فهو دأب الصالحين، وقربة إلى رب العالمين، وقد أثنى الله تعالى على أهله، فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]، "وقد تلا رسول الله ﷺ هاتين الآيتين لمعاذ رضي الله عنه في مَعرِض جوابه عن سؤاله"[٣]، يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: ((لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ))، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٨٦ .

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) انظر: شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ١٢٩.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[(١)(٢)].

وقد جعله الله - أي قيام الليل - صفة للمتقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: "اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

أحدهما: أن (ما) نافية، تقديره: كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا، وقال قتادة، عن مطرف ابن عبدالله: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله عز وجل، إما من أولها وإما من أوسطها. وقال مجاهد: قلَّ ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. وكذا قال قتادة. وقال أنس ابن مالك رضي الله عنه، وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء. وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

والقول الثاني: أن (ما) مصدرية، تقديره: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم. واختاره ابن جرير. وقال الحسن البصري: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون): كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدّوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر. وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون): كانوا لا ينامون إلا قليلاً"[(٤)].

وقد حثّ النبي ﷺ على قيام الليل فقال: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[(٥)].

وقال ﷺ: ((علَيكم بقيامِ الليلِ؛ فإنَّه دأبُ الصالحينَ قبلَكم، وهوَ قُربةٌ لكم

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٦/٧ - ٤١٩.

(٥) أخرجه مسلم ١١٦٣.

إلى ربكم، ومَكفَرَةٌ للسَّيِّئاتِ، ومَنهاةٌ عنِ الإثمِ))[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ، وَحَيِّهِ إِلَى صَلاَتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلاَئِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلاَتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَالَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لِمَلاَئِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ))[2].

وقد دعا النبي ﷺ بالرحمة لمن حرص على ذلك فقال: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))[3].

قال صاحب عون المعبود: "(قام من الليل): أي بعضه (فصلى): أي التهجد (وأيقظ امرأته): بالتنبيه أو الموعظة وفي معناها محارمه (فإن أبت): أي امتنعت لغلبة النوم وكثرة الكسل (نضح): أي رش (في وجهها الماء): والمراد التلطف معها والسعي في قيامها لطاعة ربها مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[4] وقال ابن الملك: وهذا يدل على أن إكراه أحد على الخير يجوز بل يستحب (رحم الله امرأة قامت من الليل): أي وفقت بالسبق (فصلت وأيقظت زوجها): والواو لمطلق الجمع، وفي الترتيب الذكرى إشارة لطيفة لا تخفى، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة"[5].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٠٧/١، رقم ١١٩٧، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال محقق المستدرك: هو حديث صحيح بمجموع شواهده.

(٢) أخرجه أحمد ٤١٦/١، رقم ٣٩٤٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن إلا أن الدار قطني صحح وقفه ٦٢/٧.

(٣) أخرجه أبو داود ١٣٠٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ١١٦٠).

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٦١٩.

وقد كان للسلف الصالح أقوال مضيئة في ذلك، منها ما قاله الحسن البصري: "لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف الليل، فقيل له: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره"[(١)].

وقد بيّن ابن قدامة المقدسي أن لقيام الليل أسبابًا ميسرة له فقال: "اعلم أن قيام الليل صعب إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له. فمن الأسباب ظاهر، ومنها باطن، فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا.

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار.

ومنها: أن يجتنب الأوزار. قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة: فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا "[(٢)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية صلاة النبي ﷺ بالليل:

قد ورد ذلك في الحديث من قول ابن عمر ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل فقال

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة ص ٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١.

رسول الله ﷺ: ((صلاةُ الليلِ مَثنى مثنى))[١]. قال ابن حجر: "أي: اثنتين اثنتين...، وإعادة مثنى للمبالغة في التأكيد، وقد فسره ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث من طريق عقبة بن حريث، قال: قلت لابن عمر: ما معنى مثنى مثنى؟ قال: تسلم من كل ركعتين، وما فسره به هو المتبادر إلى الفهم...، قال ابن دقيق العيد: وهو ظاهر السياق، وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل لما صحّ من فعله ﷺ بخلافه، ولم يتعين أيضًا كونه لذلك، بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف، إذ السلام بين كل ركعتين أخف على المصلي من الأربع فما فوقها، لما فيه من الراحة غالبًا، وقضاء ما يعرض من أمر مهم"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الوتر:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (ويوتر بركعة من آخر الليل)، وفي بيان حرصه ﷺ على صلاة الوتر قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِتر))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِهِ إِذَا ذَكَرَهُ))[٤]، قال صاحب عون المعبود: "قال الشوكاني: الحديث يدل على مشروعية قضاء الوتر إذا فات، وقد استدل بالأمر بقضاء الوتر على وجوبه، وحمله الجمهور على الندب"[٥]، وقد رغّب النبي ﷺ في الحرص على صلاة الوتر فقال: ((مَنْ خافَ أنْ لا يقومَ منْ آخرِ الليلِ فلْيُوتِرْ أوَّلَه، ومَنْ طمعَ أنْ يقومَ آخرَه فليوترْ آخرَ الليلِ، فإنَّ صلاةَ آخرِ الليْلِ مشهودةٌ، وذلكَ أفضلُ))[٦]،

---

(١) أخرجه البخاري ٩٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٥٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٨.

(٤) أخرجه أبو داود ١٤٣١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٨).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٦١.

(٦) أخرجه مسلم ٧٥٥.

"أي: أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة"[١]، وقال ﷺ: ((يا أَهْلَ القرآنِ أَوْتِرُوا، فإنَّ اللَّه تَعَالَى وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ))[٢]، "أي: يثيب عليه ويقبله من عامله"[٣]. وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على صلاة الوتر.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول ابن عمر رضي الله عنهما، ويصلي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكأن الأذان بأذنيه، قال النووي: "قال القاضي: المراد بالأذان هنا: الإقامة، وهو إشارة إلى شدة تخفيفها بالسنة إلى باقي صلاته ﷺ"[٤]، وقال ابن حجر في قوله ﷺ: "بأذنيه، أي لقرب صلاته من الأذان، والمراد هنا الإقامة فالمعنى أنه كان يسرع بركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة خشية فوات أول الوقت، ومقتضى ذلك تخفيف القراءة فيهما"[٥]، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كانَ النبيُّ ﷺ لَيُصلِّي رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إني لأَقُولُ هَلْ قرأ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرآنِ؟))[٦]، فهذا الحديث دليل على المبالغة في التخفيف، والمراد بالمبالغة بالنسبة إلى عادته ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها من نوافله[٧]، وفي ذلك بيان على تخفيفه ﷺ لركعتي الفجر.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥١٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٦).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥١٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٥/٢.

(٦) أخرجه البخاري ١١٧١، ومسلم ٧٢٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠١.

الحديث رقم (١١٠٩)

١١٠٩ - وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] [1].

وفي رواية: وفي الآخِرَةِ الَّتي في آل عِمْران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] رواهما مسلم.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الروايات فيما كان يقرؤه صلى الله عليه وآله وسلم في الركعتين قبل الفجر متعددة متنوعة، فمنها ما هذا الحديث، وسيأتي في بعض الأحاديث أنه كان يقرأ بغيرهما على ما سيأتي شرحه، وقول ابن عباس رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ) خبر مؤكد ببعض المؤكدات التي تشير إلى أن في المسألة تنوع، واختلاف في الروايات، فكل منهم سمع من الرسول ﷺ شيئا نقله عنه، وأكد هذا النقل الذي يحقق إقناع المخاطب دون تعارض (كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: {قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: {آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) والطباق بين الأولى، والآخرة يؤكد المعنى، ويقرر ما كان يقرأ في كل ركعة على جهة الوضوح الذي ليس فيه أي لبث كما أن اختيار الآيات له خصوصية من حيث اختيار الموضوع، وهو تجديد الإيمان الفارق بين الحق، والباطل، ونفي الشركاء عن الله تعالى.

---

(١) برقم (٩٩/٧٢٧) و (١٠٠/٧٢٧).

المضامين الدعوية [(١)]

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا: من فقه الداعية: بيان الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص في ركعتي الفجر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على متابعة النبي ﷺ والتأسي به.

سادسًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما ورد عنه من القراءة في ركعتي الفجر.

أولاً - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

وهذا ما يستفاد من سياق الأحاديث في قراءته ﷺ لآيات من القرآن في الصلاة: (والقرآن الكريم كتاب الله أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين، دستورًا للأمة، ومنهجًا قويمًا للبشرية جمعاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه، من أجل صلاح البشر في الدنيا والفوز بالجنة والنعيم المقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [(٢)]).

ويقول تعالى مقررًا لدور القرآن في الهداية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [(٣)].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٠٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١١٠)، (١١١١).

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٩ - ١٠.

(والقرآن هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، أنزل الله فيه كل علم وبيّن فيه كل شيء، وما نزلت بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، فقد كان ولا يزال هو المرجع الأول لجميع مصادر التشريع في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1][2].

وهو بين الكتب والتشريعات التي سبقته أكملها وأحكمها وأعدلها وأقومها كما وصفه الله جل وعلا بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3])[4].

"وقد ظلت الأمة الإسلامية حقبًا طويلة من الزمن؛ عزيزة الجانب، صلبة العود، مرفوعة الرأس، قوية الشكيمة، قد كتب الله لها العز والتمكين والنصر، فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس؛ وما ذاك إلا لأنها أقبلت على هذا الكتاب العزيز، واهتدت بهديه واستضاءت بنوره، وسارت على دربه، وعُنيت به حفظًا، وفهمًا وتدبرًا، وتعليمًا، وتعلمًا، وعملت بما فيه، ونفذت أحكامه، وجعلته مصدر شريعتها، وسبيل هدايتها وعصمتها من الأهواء، وشفائها من الأدواء"[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٢) حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم، د. سليمان صالح القرعاوي ص ٩، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٤) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان ص ٢ -٣، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٥) المرجع السابق ص ٣.

فعلى الأمة جمعاء أفرادًا وشعوبًا وحكامًا أن يحتكموا إلى كتاب الله، فهو شرع الله المحكم، وكتابه المنزل، وهديه المستقيم، فضلاً عن أنه المصدر الأصيل والنبع العظيم في الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من واجبات الداعية: بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر:

قد ورد في الأحاديث بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر، وفي ذلك يقول النووي: "قوله: قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد)، وفي الرواية الأخرى قرأ الآيتين: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وقل: يا أهل الكتاب تعالوا)، هذا دليل لمذهبنا، ومذهب الجمهور، أنه يستحب أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة، ويستحب أن تكون هاتان السورتان أو الآيتان كلاهما سنة، وقال مالك وجمهور أصحابه: لا يقرأ غير الفاتحة، وقال بعض السلف: لا يقرأ شيئًا وكلاهما خلاف هذه السنة الصحيحة التي لا معارض لها"[1]، فعلى الداعية أن يبين ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر، متأسيًا في ذلك بما ورد عن النبي ﷺ في ذلك.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سورتي البقرة وآل عمران:

يستفاد ذلك مما ورد في الحديث من قراءته ﷺ لآيات منهما في ركعتي الفجر، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل سورتي البقرة وآل عمران، فقال: ((اقْرَأُوا الْقُرآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[2]. قَالَ مُعَاوِيةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ)).

قال النووي: "في قوله ﷺ: (اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، قالوا: سميت الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما...، وفي قوله ﷺ: (فإنهما يأتيان

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

يوم القيامة كأنهما غيايتان)، قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين. وقوله ﷺ: (أو كأنهما فرقان من طير صواف)، أي: قطيعان، وجماعتان"[١]، وقال النواس بن سمعان رضي الله عنهما: سمعت النبي ﷺ يقول: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةَ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ. تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ)) وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ، مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ. قَالَ: ((كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ. بَيْنَهُمَا شَرْقٌ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا))[٢]، قال القاضي عياض: "وقوله: (أو ظلتان بينهما شرق)): قيل: معناه: ضياء ونور، رويناه بسكون الراء وفتحها، قيل: معناه: قد يكون يخلق الله خلقًا من قراءته يوم القيامة على صفة الغمامة، أو جماعة الطير يحاج عن القارئ"[٣]، وفي ذلك بيان عظيم على فضل سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا – من فقه الداعية: بيان الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص في ركعتى الفجر:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، وقرأ: (قل هو الله أحد)، وأيضًا من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (رمقت النبي ﷺ شهرًا فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، و(قل هو الله أحد)، وفي بيان الحكمة من ذلك قال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل، والوتر خاتمته. ولذلك كان النبي ﷺ يُصلي سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد. انتهى.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٥.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٧٤/٣.

فسورة ﴿قل هو الله أحد﴾[١]: متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرَّب تعالى من الأَحَدِيَّةِ المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمديَّة المثبتة له جميعَ صفات الكمال التي لا يلحقها نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية، وغناه وأَحَديَّته ونفي الكفء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورةُ إثباتَ كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبُه جميعَ فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت ((تَعْدل ثلثَ القرآن))[٢]، فإن القرآن مدارُه على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورةُ ﴿قل هو الله أحد﴾ الخبرَ عنه، وعن أسمائه، وصفاته، فعدلت ثلثَ القرآن، وخلَّصت قارئها المؤمنَ بها من الشرك العلمي، كما خلَّصت سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾ من الشرك العملي الإرادي القصدي. ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامُه وقائدُه وسائقُه، والحاكُم عليه ومنزله منازِله، كانت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ تعدل ثلثَ القرآن. والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر، و﴿قل يا أيها الكافرون﴾[٣]، تعدل ربع القرآن، والحديث بذلك في الترمذي من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: "إذا زلزلت" تعدل نصف القرآن، و"قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن، و"قل يا أيها الكافرون" تعدل ربع القرآن[٤].

ولما كان الشرك العملي الإرادي أغلبَ على النفوس لأجل متابعتها هواها، وكثيرٌ منها ترتكبه مع علمها بمضرَّته وبطلانه، لِمَا لَهَا فيه من نيل الأغراض، وإزالتُه، وقلعُه

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) أخرجه مسلم ٨١١.

(٣) سورة الكافرون، آية: ١..

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٩٣، وقال الألباني: صحيح دون فضل زلزلت، (صحيح سنن الترمذي ٢٣١٨).

منها أصعبُ، وأشدُّ من قلع الشرك العلمي وإزالته، لأن هذا يزول بالعلم والحُجَّة، ولا يمكن صاحبُه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه، بخلاف شرك الإرادة والقصد، فإن صاحبه يرتكِب ما يدله العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه، واستيلاء سُلطان الشهوة والغضب على نفسه، فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العملي، ما لم يجيء مثله في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ولما كان القرآن شطرين: شطرًا في الدنيا وأحكامها، ومتعلقاتها، والأمورِ الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها، وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها، وكانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ قد أُخْلِصَتْ من أولها وآخرها لهذا الشطر، فلم يذكر فيها إلا الآخرة، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسُكَّانها، كانت تَعدِلُ نصفَ القرآن، فأحرى بهذا الحديث أن يكون صحيحًا ـ والله أعلم ـ ((ولهذا كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف))[1]، ولأنهما سورتا الإخلاص والتوحيد، ((كان يفتتح بهما عمل النهار، ويختمه بهما))[2]، ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد"[3].

وفي ذلك بيان على الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص "قل هو الله أحد" و"قل يا أيها الكافرون" في ركعتي الفجر.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على متابعة النبي ﷺ والتأسي به:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله رضي الله عنه: (رمقت النبي ﷺ شهرًا)، قال المباركفوري: (أي: نظرت إليه)[4]، وقد كان حرصه رضي الله عنه على متابعة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٦.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٦/١ - ٣١٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧١٢/١.

والتأسي به سنة له، فعن نافع (أن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس، وعن مالك عمن حدثه أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)[1]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[2].

سادسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما ورد عنه من القراءة في ركعتي الفجر:

"إن مبعث الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]"[4]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5]، قال السعدي: "وقد استدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به"[6]، "والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٢) المرجع السابق ٢١١/٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

كل دقيق وجليل من أمور الدين...، والله عز وجل جعل نبيه ﷺ للناس كافة الهادي والمبلّغ، والسراج المنير"[١]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢]، فعلى المدعو أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ فيما ورد عنه ﷺ من قراءته في ركعتي الفجر.

---

(١) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١١١٠)

١١١٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ رَوَاهُ مُسلِمٌ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث والذي بعده يقرران ما كان يقرأ الرسول ﷺ في صلاة الركعتين قبل الفجر وكلاهما جاء بأسلوب خبري أكد في الأول، في قوله: (أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لأنه كان يطيل في أكثر النوافل، وجاءت القراءة في هذه النافلة بقصار السور التي حددها الحديث أما في الحديث الثاني فإنه لم يؤكد لكنه بدأ بلفظ (رمقت) الذي يوح مع دلالته على النظر بالتأمل وتوحي بالقصد والتتبع بالنظر، وقوله (شهرا) يؤكد ذلك لأن طول الفترة يوحي بملاحظته، وهو ما يؤكد الخبر وأنه رضي الله عنه كان يقرأ بهما في ركعتي الفجر، وذكر الظرف (قبل) في الحديث الثاني يؤكد أن المقصود النافلة وليس الفرض، ومن يتأمل فضل السورتين اللتين عينهما الراوي في صلاة الرسول ﷺ يدرك سر الاختيار من ناحية موضوع السورتين في الإخلاص المطلق الخالي من شائبة الشرك، ومن ناحية الأجر المترتب عليهما فسورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، و(قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن كما ثبت في باب فضائل السور؛ لأن القرآن يشتمل على تقرير التوحيد، والنبوات، وبيان أحكام المعاش، وأحوال المعاد و(قل هو الله أحد) مشتملة على التوحيد، وبعض صفات الله تعالى، و(قل يا أيها الكافرون) محتوية على توحيد الله؛ لأن البراءة عن الشرك إثبات للتوحيد.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم (٧٢٦/٩٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١١)

١١١١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: رَمَقْتُ النَّبيَّ ﷺ، شَهْرًا فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[١]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

رمقت النبي: أطلت النظر إليه وراقبتُه[٢].

الشرح الأدبي[٣]

المضامين الدعوية [٤]

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم ركعتي الفجر وأنهما سنة عن النبي ﷺ وما يستحب فيهما من القراءة.

وقد اتفق الفقهاء[٥] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الراتبة التي واظب

---

(١) برقم (٤١٧)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٤٥٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر م ق).

(٣) الشرح الأدبي في هذا الحديث تم دمجه مع الحديث الذي سبقه.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١ – مع المضامين الدعوية (١١٠٩)، (١١١٠).

(٥) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١، الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١، المحلى، ابن حزم ١٩/٢.

عليها النبي ﷺ وأن وقت صلاتهما بعد الأذان وقبل الإقامة للفريضة، وأنه يستحب التخفيف في القراءة في هاتين الركعتين، وقراءة ما كان يقرؤه رسول الله ﷺ فيهما مما ورد في هذا الحديث اتباعًا لهديه ﷺ فيهما.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١١– مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٩)، (١١١٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالفعل والممارسة:

وهذا مستمد من أحاديث الباب:

أ - حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ». وفي رواية: «فَيُخَفِّفُهُمَا حتَّى أقولَ: هَلْ قَرأَ فِيْهِمَا بِأُمِّ القُرْآنِ».

ب - حديث حفصة رضي الله عنها: «أن رَسُول اللَّهِ ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين».وفي رواية: « كان رَسُول اللَّهِ ﷺ إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين».

ج - حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ويُصلِّي الرَّكعتَينِ قبلَ صلاةِ الغداةِ وكأَنَّ الأذانَ بأُذنَيهِ».

فهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم، حكوا عن النبي ﷺ فعله في تخفيف ركعتي الفجر، وقد بيّن ابن عمر قدر هذا التخفيف، وإسراعه بذلك. فقال: «وكأَنَّ الأذانَ بأُذنَيهِ». وهكذا شأن المربين يربون أتباعهم عن طريق الفعل وليس شرطًا أن يتكلموا ويوجهوا خطابًا مباشرًا لهم، ومن ثم يفعلون ما يفعل، ويعملون ما يعمل، وهذا قد يصلح في مجالات كثيرة في الصلاة وغيرها من العبادات والطاعات، "فعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك - ولاشك - سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به، وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها، بل على المربي أن يدفع الطفل إلى ذلك دفعًا كأن يخرج من جيبه ما يريد دفعه للفقير، ثم يقول للطفل اذهب وأعطه هذا الفقير، فهو في هذا يحقق أكثر من هدف تربوي: فقوله "الفقير" يبيّن للطفل السبب في الدفع لذلك الإنسان، وهو مساعدة المسكين والفقير، ويعوّده على سخاء النفس ببذل ماله للغير المحتاج، كما يعلمه هذا السلوك الشجاعة والتعامل مع الآخرين، ولعل في مسلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ما يشهد لذلك فقد جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: أعطه

دينارًا، وقد يحدث أن الطفل نفسه بعدما رأى من صنيع والده ما رأى، أن يأتي فيطلب منه ما يعطيه للفقير، ولا ينبغي للمربي في هذه الحالة أن يمنع ذلك، حتى لو كان المربي لا يرى أحقية ذلك الفقير، لأننا - الآن - في مرحلة بناء هذا الخلق عند الطفل، وليس الحكم على هذا السائل أنه يستحق أو لا يستحق، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي تريد له أن يتخلق بها، على أنها سلوك عملي وليست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه"[(١)].

ثانيًا: من وسائل التربية: مجالسة العلماء الربانيين:

هذا مستمد من قول ابن عمر رضي الله عنهما: «رمَقْتُ النبيَّ شهرًا فكانَ يقرأُ في الركعَتَيْنِ قبلَ الفجرِ بـ {قلْ يا أيها الكافرونَ} و{قلْ هو الله أحدُ}». فقوله رضي الله عنهما: «رمقت النبي صلى الله عليه وسلم» يلزم عنه مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ومراقبة أحواله والجلوس بين يديه للتعلم منه والاقتداء به، وعلى ذلك يجب أن يربى على مجالسة العلماء الربانيين الجامعين بين العلم والعمل، "فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم حملة هدي النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله، ومن ثم كان لا غنى لطالب العلم عن صحبتهم ومجالستهم والتأدب بأدبهم، وقد اعتنى السلف بذلك وأكدوا على أن مهمة العالم لا تقف عند مجرد التحديث وسماع المرويات، بل تتجاوز ذلك إلى تعلم السمت والأدب والهدي، قال ابن المبارك:

أيها الطالب علمًا ائت حماد بن زيد

فاكتسب حلمًا وعلمًا ثم قيده بقيد

ودع الفتنة من آثار عمرو بن عبيد

قال أبو العالية: "كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه نظرنا إلى صلاته، فإن أحسن الصلاة أخذنا عنه، وإن أساء لم نأخذ عنه".

وقال إبراهيم: كنا نأتي مسروقًا فنتعلم منه هديه ودلّه.

وأوصى حبيب الشهيد وهو من الفقهاء ابنه فقال: يا بني.. اصحب الفقهاء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، فإنه أحب إليّ من كثير من الحديث.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة: محمد بن شاكر الشريف ص ٥٣، ٥٤.

وقال ابن وهب: ما استفدت من أدب مالك أكثر مما استفدت من علمه - ومن ثم فلا غنى للشباب عن مجالسة أهل العلم الربانيين والاستفادة من علمهم وسمتهم وخلقهم، وحري بالمربي أن يسعى لتعزيز هذا الجانب، ومن وسائله:

أ - الالتزام بحضور دروسهم ومجالسهم.

ب - زيارتهم واللقاء بهم بين آونة وأخرى.

ج - استقبالهم ودعوتهم لزيارة أنشطة الطلاب وبرامجهم.

وحري بالذين منّ الله عليهم بقدر من العلم أن يعطوا الناشئة من أوقاتهم ويحتسبوا ذلك في صالح ما يقدمون"[1].

ولذا كان من الخطأ أن يحجب الناشئة عن مجالسة العلماء، "فكثير من الناس لا ينظرون إلى الصبيان في هذه المرحلة إلا كما ينظرون إلى الأطفال غير المميزين، فيمنعونهم من مجالسة الكبار، ويحرمونهم من حضور مجالس العلم، خوفًا من عدم انضباطهم وإذا جاء الضيف أخرج الصبيان المميزون من المجلس وحرموا من المقابلة، وبعضهم ربما بالغ في ذلك فحبسهم في غرفة وأغلق عليهم لحين خروج الضيف، كل ذلك مبالغة في الحرص على الهدوء ويعدون ذلك من الأدب. والأدب الحقيقي والتصرف الصحيح أن يمكن المربي الصبيان من حضور هذه المجالس، فمنها يتعلمون أدب الحديث وأدب المجالسة وأدب الاستماع ويسمعون من الكلام ما يستفيدون منه، وكذلك يفعل بالفتيات عند زيارة النساء، كما أن حضور هذه المجالس له تأثير حسن على نفوسهم، إذ يشعرهم بأنهم قد فارقوا مرحلة الطفولة الأولى، مما يسهم في سرعة تأهيلهم للمرحلة التي تليها ولا يستثنى من ذلك إلا المجالس الخاصة التي لا يحسن حضورها إلا ممن هو مخصوص بها، كأن يكون في الأمر سر أو نحو ذلك"[2]، كما حدث في حديث الهجرة عندما ذهب الرسول ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه في ساعة لم

---

(١) تربية الشباب: الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص ١١٣، ١١٤.

يكن يذهب إليها قال له: «أخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، فقالَ أبو بكر: يا رسولَ الله إنَّما هُما ابْنَتَايَ - يَعني عائشةَ وأسماءَ - فقالَ: «أَشَعَرْتَ أنهُ قَدْ أُذِنَ لي في الخُرُوجِ»؟...الحديث[1].



(١) أخرجه البخاري، ٢١٣٨، من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٩٨- باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تَهَجَّد بالليل أم لا

الحديث رقم (١١١٢)

١١١٢ - عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ إذَا صَلَّى ركعتي الفجر، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن. رَوَاهُ البُخَارِي[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر عَلَى الجنب الأيمن، والحث عليه تبين فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عادة الرسول ﷺ بعد صلاة ركعتي الفجر وأنه كان يضطجع على شقه الأيمن على عادته في التيمن في كل خير، وقد روت الحديث بأسلوب خبري خال من المؤكدات لأنه يقرر أمور لا خلاف فيها، وهي من فضائل الأعمال، وقد جاء في أسلوب الشرط لما له من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم في الفعل الذي يصير كالعادة، المتكررة.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ويستحب أن يضطجع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن، وكان أبو موسى ورافع بن خديج وأنس بن مالك يفعلونه، وأنكره ابن مسعود وكان القاسم وسالم ونافع لا يفعلونه، واختلف فيه عن ابن عمر، وروى عن أحمد أنه

---

(١) برقم (١١٦٠).

ليس بسنة، لأن ابن مسعود أنكره. ولنا ما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صلّى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه" وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا صلّى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن. واتباع النبي ﷺ في قوله وفعله أولى من اتباع من خالفه كائنًا من كان)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاضطجاع بعد سنة الفجر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الأمور كلها.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان هدي النبي ﷺ في قيام الليل.

خامسًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن هدي النبي ﷺ في صلاته من العشاء إلى الفجر، وبيان حرصه ﷺ على ركعتي الفجر واضطجاعه على شقه الأيمن، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، وبيان ما خفي عليهم من الأمور والأحكام، وإرشادهم إلى ما فيه الخير والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاضطجاع بعد سنة الفجر:

كان ﷺ يضطجع بعد سنة الفجر على شقه الأيمن، وهذا ما ورد في الأحاديث

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٤٢/٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧/٦/٣-١٨، وفتح الباري، ابن حجر ٤٣/٢-٤٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني٤٨٠-٤٨٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٢ - مع المضامين الدعوية للحديث (١١١٣)، (١١١٤).

من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن)، وقولها: (... فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن، قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن)، ومن قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه).

قال القاضي عياض: "وفيه الترغيب على كون الاضطجاع على الشق الأيمن، وفائدته لئلا يستغرق في النوم، لتعلق القلب الذي هو في جهة اليسار حينئذ إلى الأيمن، وقلق النفس من ذلك بخلاف قراره في النوم اليسار ودعة النفس لذلك"[1].

وقال ابن حجر: "وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح...، وقيل: إن فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح"[2]، وقال ابن علان: "ليتذكر بذلك ضجعته في القبر فيحمله ذلك على الخشوع الذي هو لب العبادة، فإن تعذر الأيمن فالأيسر، لأن الميسور لا يسقط بالمعسور"[3].

وقد أكد العلم الحديث على عظم فوائد الاقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في الاضطجاع أو النوم على الشق الأيمن فقال: (إن الكبد أكبر من المعدة وهي تقع في الطرف الأيمن فعندما ننام على الطرف الأيمن، تستريح المعدة فوق الكبد، وأما العكس فتتأثر المعدة من ثقل الكبد وبخاصة في أول النوم، وذلك فضلاً عن أن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب ويعيق التنفس"[4].

وفي ذلك بيان على فضل اتباع هديه صلى الله عليه وسلم من حصول خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨٣/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٣/٣٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٧٧.

(٤) مجلة النفس المطمئنة، السنة الثامنة، العدد: ٣٩، يوليو ص ٤١، نقلًا عن: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح أحمد رضا ص ١٠٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الأمور كلها:

"إن التيمن هو الابتداء في الأفعال باليد اليُمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن"[١]. وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من اضطجاعه ﷺ على شقه الأيمن، وحثه على ذلك في قوله ﷺ: (فليضطجع على يمينه)، "والتيمن في الأمور مخالفة لأهل الشرك، إذ أن شعارهم استعمال الشمال، وكذا مخالفة للشيطان، وفيه مرضاة الرب ومحبة النبي ﷺ"[٢]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيُّ ﷺ يُعجِبهُ التَّيمُّنُ في تَنَعُّلِهِ وتَرَجُّلِهِ وطُهورِهِ وفي شأنِهِ كلِّه))[٣]، وعنها رضي الله عنها أنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ. فِي نَعْلَيْهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ))[٤]، قال القاضي عياض: "وقوله: (كان يحب التيمن في شأنه كله): تبركًا باسم اليمين، وإضافة الخير إليها، قال الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[٦]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[٧]، ولما في معناه من اليُمن"[٨].

وقال ابن حجر: "(كان يعجبه التيمن): قيل لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة، وتأكيده (الشأن) بقوله (كله) يدل على التعميم...، أي: لا يترك ذلك سفرًا ولا حضرًا ولا في فراغه ولا شغله ونحو ذلك"، وقال الطيبي: .. وكأنه ذكر التنعل لتعلقه بالرجل والترجل لتعلقه بالرأس، والطهور لكونه مفتاح

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي م ن).

(٢) نضرة النعيم ٤/١٤٣٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٦٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٨.

(٥) سورة مريم، آية: ٥٢.

(٦) سورة الواقعة، آية: ٢٧.

(٧) سورة الحاقة، آية: ١٩، والإنشقاق، آية: ٧.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٧٥.

أبواب العبادة، فكأنه نبه على جميع الأعضاء فيكون كبدل الكل من الكل"[١].

وقد استفاضت النصوص في حث النبي ﷺ على التيمن في الأمور كلها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((إذا أتيت مَضجَعَك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبةً إليك، لا مَلجأَ ولا مَنْجَى منك إلا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيِّكَ الذي أرسلت. فإن مُتَّ متَّ على الفِطرة، فاجعلْهُنَّ آخرَ ما تقول)). فقلتُ: أستذكرهنَّ: وبرسولكَ الذي أرسلت. قال: ((لا، وبنبيِّكَ الذي أرسلت))[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ. وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)).

وفي رواية: ((لا يأكلَنَّ أحدُكم بشمالِه ولا يشربنَّ بها؛ فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله ويشربُ بها))[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: للسدي لما سأله كَيْفَ أَنْصَرِفُ إِذَا صَلَّيْتُ؟ عَنْ يَمِينِي أَوْ عَنْ يَسَارِي؟ قَالَ: ((أَمَّا أَنَا فَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ))[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا انتعلَ أحدُكم فليَبدأ باليمين، وإذا نَزَعَ فليبدأ بالشمال، لِتكنِ اليمنى أولهما تُنعل، وآخِرَهما تُنزَع))[٥].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ. وَلاَ يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلاَءِ بِيَمِينِهِ. وَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ))[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٤/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١١، ومسلم ٢٧١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٧٠٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٥٦، ومسلم ٢٠٩٧.

(٦) أخرجه البخاري ١٥٣، ومسلم ٢٦٧.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ: إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ. حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ[١]. فَقَالَ: أَجَلْ. إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ. أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ. وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ. وَقَالَ: ((لاَ يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ))[٢].

قال ابن حجر: (قال النووي: قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين، وما كان بضدهما استحب فيه التياسر)[٣].

فعلى المرء أن يستجلب هذه القاعدة في أفعاله أحواله.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل:

قد ورد ذلك في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها: ((كانَ النبيُّ يُصَلِّي فيما بينَ أنْ يَفْرَغَ من صلاةِ العشاءِ إلى الفَجْرِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعةً، يُسَلِّمُ من كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، ويوترُ بواحِدَةٍ)).

وفي بيان ذلك قال ابن القيم: "وكان قيامُه صلى الله عليه وسلم بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاثَ عشرة، كما قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما، فإنه ثبت عنهما هذا وهذا، ففي «الصحيحين» عنها: ((ما كان رسولُ اللّهِ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة))[٤]. وفي «الصحيحين» عنها أيضًا: ((كان رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُصلي من الليل ثلاثَ عشرة ركعة، يُوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخِرِهِن))[٥]. والصحيح عن عائشة الأول، والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر، جاء ذلك مبينًا عنها في هذا الحديث بعينه: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي ثلاث عشرة

---

(١) الخراءة: بالكسر والمد: التخلي والقعود للحاجة. قال الخطابي: وأكثر الرواة يفتحون الخاء، وقال الجوهري: إنها الخراءة بالفتح والمد. يقال: خَرِءَ خراءة مثل كره كراهة، ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ء).

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٥/١.

(٤) أخرجه البخاري ١١٤٧، ومسلم ٧٣٨.

(٥) أخرجه البخاري ١١٣٨، ومسلم ٧٣٧.

ركعة بركعتي الفجر))، ذكره مسلم في «صحيحه»[(١)].

وقال البخاري: ((كان رسول الله ﷺ يُصلي بالليل ثلاثَ عشرة ركعة، ثم يُصلي إذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين))[(٢)]. وفي «الصحيحين» عن القاسم بن محمد قال: سمعتُ عائشة ﵂ تقول: ((كانت صلاةُ رسول الله ﷺ من الليل عشرَ ركعات، ويُوتر بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، وذلك ثلاثَ عشرة ركعة))[(٣)]، فهذا مفسر مبين.

وأما ابنُ عباس ﵄، فقد اختلف عليه، ففي «الصحيحين» عن أبي جمرة عنه: ((كانت صلاةُ رسولِ الله ثلاثَ عشرة ركعةً يعني بالليل))(٤). لكن قد جاء عنه هذا مفسرًا أنها بركعتي الفجر. قال الشعبي: سألتُ عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر ﵄، عن صلاةِ رسول الله ﷺ بالليل، فقالا: ((ثلاثَ عشرة ركعة، منها ثمان، ويُوتر بثلاث، وركعتين قبل صلاة الفجر)). وفي «الصحيحين» عن كُريب عنه، في قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث: ((أنه ﷺ صلّى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ، فلما تبيَّن له الفجرُ، صلّى ركعتين خفيفتينِ. وفي لفظ: فصلّى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذِّنُ. فقام فصلّى ركعتين خفيفتين، ثم خرج يُصلي الصبح))[(٥)]. فقد حصل الاتفاقُ على إحدى عشرة ركعة واختلف في الركعتين الأخيرتين: هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرُهما؟"[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٠، ومسلم ٧٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣٨، ومسلم ٧٦٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٩٨، ومسلم ٧٦٣.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٥/١ - ٣٢٧.

وقد بيّن القاضي عياض: "أن هدي النبي ﷺ في قيام الليل كان أكثره خمس عشرة ركعة - وقصد في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ يُصلّي بالليلِ ثلاثَ عشرةَ رَكعةً، ثمَّ يُصلي إذا سمعَ النِّداءَ بالصبحِ رَكعتَينِ خفيفتَينِ))[1]، وأقله سبع، وذلك لما كان يتفق من اتساع الوقت له أو ضيقه، إما بتطويل قراءته في بعضها كما جاء، أو طول نومه أو لعذر من مرض أو كبر سن، كما بينته عائشة رضي الله عنها بقوله: ((فلما أسن، صلى سبع ركعات))[2]"[3].

وهذا ما بيّنه مسروق في قوله: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن صلاةِ رسولِ اللّهِ ﷺ بالليلِ فقالت: ((سَبعٌ وتِسعٌ وإحدى عشرةَ، سوى رَكعتيِ الفجرِ))[4].

قال القاضي عياض: "ولا خلاف أنه ليس في ذلك حدٌّ لا يزاد عليه ولا ينقص منه، وأن صلاة الليل من الفضائل والرغائب التي كلما زيد فيها زيد في الأجر والفضل، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه"[5].

خامسًا - من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر:

أشار الحديث إلى ذلك من قول عائشة رضي الله عنها أخبرته: (... قام فركع ركعتين خفيفتين)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته: ((أن رسولَ اللّهِ ﷺ كَانَ، إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الأَذَانِ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، قَبْلَ أَنْ تُقَامَ الصَّلاَةُ))[6]، قال النووي: "فيه أنه يسن تخفيف سنة الصبح وأنهما ركعتان"[7]، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كانَ النبيُّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨١/٣.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨٢/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٨، ومسلم ٧٢٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٠.

لَيُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إني لأَقُولُ هَلْ قرأ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرْآنِ؟))[١]، وعن حفصة رضي الله عنها قالت: ((إن رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا أذن المؤذِّنُ للصُّبحِ وبدا الصبحُ صلَّى رَكعتينِ خَفيفَتينِ))[٢]، "فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ، ولا يقف التأسي به ﷺ عند حد معين...، بل يشمل كل مشروع متعبد به"[٣]، وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤].

سادسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (فليضطجع)، والأمر من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو وإرشاده إلى فعل ما فيه خير له، وهذا ما أراده النبي ﷺ من قوله فليضطجع، لما في ذلك من خير وفائدة للمدعو كما أسلفنا في أول الحديث.

---

(١) أخرج البخاري ١١٧١، ومسلم ٧٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٨، ومسلم ٧٢٣.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (١١١٣)

١١١٣ - وعنها ، قالت: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي فيمَا بَيْنَ أنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ[١] إلَى الفَجْرِ إحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً ، يُسلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ ، فَإذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ ، وَجَاءهُ المُؤَذِّنُ ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ، (هكَذَا)[٢] حَتَّى يأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلإقَامَةِ. رَوَاهُ مُسلِم[٣].

قَوْلُهَا : ((يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ)) هكَذَا هو في مسلمٍ ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْن.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

نقل تفاصيل عبادة الرسول ﷺ أو عادته هو نقل للدين، ولذلك توفرت على هذا الغرض همم الصحابة رضي الله عنهم ، ونقلوا عنه كل كبيرة، وصغيرة متلبسة بما يخالجه أو يخالجهم من مشاعر، وبما يحيط بها من ملابسات، وقيام الليل مضمار المتنافسين ورياض الصالحين الذي يتسابقون فيه إلى ربهم، وقد ساروا في ذلك على هدي نبيهم ﷺ وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي كشفت عن جانب من عبادته في الليل، وطريقته، وتتبعت أجزاء الليل من حيث العمل فيها، والسكون، وقد وضح الراوي نوع العبادة في قوله (يصلي) وبيَّن وقتها في قوله (بَيْنَ أنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ إلَى الفَجْرِ) كما بيَّن عدد الركعات التي كان يصليها بعد صلاة الفريضة في قوله (إحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً) ثم بيَّن طريقة الأداء في قوله: (يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ) والذي

---

(١) عند مسلم زيادة: (وهي التي يدعو الناس العتمة).

(٢) (هكذا) لا توجد عند مسلم.

(٣) برقم (٧٣٦/١٢٢).

يتأمل الأفعال التي تحرك الصورة يجد أنه وردت في صيغة الماضي (يصلي - يفرغ - يسلم- يوتر) والفعل يصلي يطوي أفعال الصلاة من ركوع، وسجود، وقيام، وقعود مع حركة اللسان، والقلب كلها تتسق في طاعة الله تعالى وقوله (قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) في العبارة جناس يؤكد المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، وقوله :(ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هكَذَا حَتَّى يأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ) يشير إلى عادته في الاضطجاع على شقه الأيمن في اتصال ذكر من عبادة إلى عبادة ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الآتية:

أولاً: حكم قيام الليل، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن التطوع في صلاة الليل غير محدد بوقت ولا عدد ركعات معين، ولكن يأتي الإنسان قدر طاقته دون مغالاة، وأفضل الصلاة أن يصلي إحدى عشرة ركعة.

ثانيًا: كيفية صلاة الليل وقد اتفق الفقهاء[2] على أن صلاة الليل تختم بالوتر، وإن

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل ٣٩٩/١ وما بعدا، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥٠/١، ١٦٤، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٢/١، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١٨٩/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢١٣/١، الأم، الإمام الشافعي ١٦٥/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥١١/٣، ٥٥٠، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣١٦/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/١، الفروع، ابن مفلح ٥٦٢/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٨٦/١.

اختلفوا في عد ركعاته، فقيل ركعة واحدة وقيل ثلاث، واتفقوا على أن صلاة النفل تصح مثنى ورباعًا سواء أكانت بالليل أم بالنهار، وإن اختلفوا في الأفضل، فذهب جمهور أهل العلم[(١)] إلى أن الأفضل أن تصلى مثنى مثنى، وذهب أبو حنيفة[(٢)] إلى أن الأفضل أن تصلى رباعًا.

ثالثًا: كيفية أداء ركعتي الفجر وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٠٥) أنه قد اتفق الفقهاء[(٣)] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الراتبة التي واظب عليها النبي ﷺ وأن وقت صلاتهما بعد الأذان وقبل الإقامة للفريضة، وأنه يستحب التخفيف في القراءة في هاتين الركعتين، وقراءة ما كان يقرأه رسول الله ﷺ فيهما مما ورد في الحديث اتباعًا لهديه ﷺ فيهما.

رابعًا: حكم الاضطجاع بعد صلاة الفجر وحتى صلاة الصبح، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١١١١).

المضامين الدعوية[(٤)]

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٧٢.

(٣) المبسوط، السرخسي ١/١٦١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٨٤، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١/٢١١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/٢٢٨، الأم، الإمام الشافعي ١/٨٧، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٥٢٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ١/٢٤٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٤٣١، المحلى، ابن حزم ٢/١٩.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١٤)

١١١٤-وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إذا صَلَّى أحَدُكُمْ رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ)) رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1] بأسانيد صحيحة، قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

مرَّ الحديث في هذا المعنى نقلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في عادته في الاضطجاع على شقه الأيمن في بيان للسنة الفعلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث يشير إلى السنة القولية في ذلك، وقد جاء المعنى في ثوب الشرط الذي يربط صلاة ركعتي الفجر بالاضطجاع، وقوله (فليضطجع على يمينه) أي ليستريح من تعب قيام الليل ثم يصلي الفريضة على نشاطه، وانبساطه، وهو أمر استحباب في حق من تهجد بالليل فينبغي اخفاؤه، وفعله -كما ذكر بعض العلماء-.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦١)، والترمذي (٤٢٠) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. فيه عبد الواحد بن زياد، قال الذهبي في الميزان (٦٧٢/٢): احتجا به في الصحيحين، وتجنبا تلك المناكير التي نقمت عليه، فيحدث عن الأعمش بصيغة السماع، عن أبي صالح، ثمّ ذكر فيه هذا الحديث عند أبي داود، قلتُ: تابع الأعمش فيه محمد بن إبراهيم، وهو ثقة عند الجرجاني في أماليه (٢٣٤)، فانتفى الإشكال، وصحّحه ابن خزيمة (١١٢٠)، وابن حبان (الإحسان ٢٤٦٨).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١١٤- مع المضامين الدعوية للحديث (١١١٢)، (١١١٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الاستعداد الجيد للعبادة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: «إذا صلَّى أحدكم ركعتي الفجر، فليضطجع عن يمينه» هذا من قوله ﷺ، ومن ناحية أخرى كان هذا من فعله ﷺ كما أخبرت عن ذلك زوجه عائشة رضي الله عنها: «كان إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن». فلاشك أن الاضطجاع راحة للجسم ولكنها راحة من أجل الإقبال على صلاة الفجر بنشاط وتدبر، وقد كان النبي ﷺ يضطجع بعد قيام الليل قبيل صلاة الفجر، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً. يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ. حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»[١].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن النبي ﷺ قد اتخذ مؤذنًا يُؤْذِنُه بدخوله وقت الصلاة وإقامتها، وهذا يعين - بلا شك - على أن يستعدّ الإمام للصلاة جيدًا، فضلاً عن أن يتهاون في أدائها، قال النووي: "دليل على استحباب اتخاذ مؤذن راتب للمسجد، وفيه جواز إعلام المؤذن الإمام بحضور الصلاة، وإقامتها واستدعائه لها"[٢].

والخلاصة أن النبي ﷺ اضطجع قبيل صلاة الفجر، واضطجع بعد أدائه ركعتي سنة الفجر، وذلك حتى يأخذ -كما يظهر لنا- قسطًا بسيطًا من الراحة يعينه على أداء صلاة الفجر بإقبال وخشوع وتدبر، كما أنه ﷺ قد اتخذ مؤذنًا يؤذنه بدخول الوقت وإقامة الصلاة، وكل ذلك يستفاد منه - في رأينا - أنه استعداد لأداء العبادة كما ينبغي، وعلى ذلك يجب على المربين أن يربوا أتباعهم على هذا، فيرشدونهم إلى الطرق والوسائل المعينة على أداء العبادة على أحسن وجه وأكمل أداء، بل لا يقتصر هذا على العبادة فقط بل يمتد أيضًا إلى جميع مناحى الحياة ومختلف الأنشطة والفعاليات.

إن المقصود من العبادة خصوصًا -ومن العمل عمومًا- أن يؤدي ثمرته المرجوة منه

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٠٧.

ونتيجته المبتغاة من ورائه، وهذا لا يتأتى إلا بأن يستعد الاستعداد الطيب للأداء الفعّال، وأخذ الوسائل المتاحة المفضية لذلك.

إن صلاة الفجر لها فضل عميم وخير عظيم، ولكن نجد كثيرًا من المسلمين مقصرين في أدائها في الجماعة بل تجدهم يؤدونها بعد خروج وقتها بعد شروق الشمس، مع أن أغلبهم يوّد لو أن الله منّ عليه أن يصليها في جماعة أو على الأقل في وقتها قبل شروق الشمس، والسبب الرئيسي -في رأينا- في ذلك أنهم لم يستعدوا استعدادًا جيدًا لأداء صلاة الفجر جماعة، فلم يناموا مبكرًا بل أشبعوا الليل سهرًا وسمرًا، ولم يلتمسوا الأسباب التي تساعدهم على القيام لأداء الصلاة بشكل مناسب، فأدى ذلك إلى تفريطهم في أداء هذه الصلاة العظيمة وتضييعهم لها.

لننظر إلى النبي ﷺ كيف كان يستعد لقيام الليل، تقول عائشة رضي الله عنها: «كنّا نعدّ لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره، فيبعثه الله (أي: يوقظه) ما شاء الله أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلي»[(١)].

فإنه بالنظر في هذا الحديث يمكن ذكر ما يلي:

١- استعانة النبي ﷺ بأهل بيته في إعداد العدة لقيام الليل، وفي هذا تخفيف للأعباء وتفريغ للاهتمام بالأهم فالأهم.

٢- لم يكن النبي ﷺ يستعين بمن يوقظه، لأنه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، كما أخبر بذلك ﷺ في الحديث المتفق عليه[(٢)].

٣- حرصه ﷺ على التسوك لما في ذلك من رضا الله تعالى وتطهيرٍ للفم.

والخلاصة أن على المربين أن يربوا أتباعهم على أخذهم الاستعداد الجيد لأداء العمل، سواء كان عملاً دينيًا أو دنيويًا[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦.

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه البخاري ١١٤٧، ومسلم ٧٣٨.

(٣) وانظر: نحو تربية إسلامية راشدة ص ٦٦ وما بعدها.

ثانيًا-التربية على عدم الاستغراق في النوم قبيل وقت الصلاة:

هذا مستمد من اضطجاع النبي ﷺ على شقه الأيمن بعد أدائه ركعتي سنة الفجر، فقد ذكر العلماء لذلك حكمة وهو عدم الاستغراق في النوم، ومن ثمّ تفوت الصلاة في جماعة أو يفوت وقتها[١].

وقد كان من هَدْي النبي ﷺ الحرص على عدم الاستغراق في النوم حتى لا تفوته الصلاة، ولو كان ذلك في السفر، قال أبو قتادة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ. وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ، نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ»[٢].

قال النووي: "قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم، فتفوت صلاة الصبح عن وقتها أو عن أوّل وقتها"[٣].

وعلى ذلك ينبغي أن يعود الناشئة وغيرهم، فلا يضيعون أوقاتهم فيما لا يفيد ولا يضيعون ما يفيدهم وينفعهم، إن "صرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية بل تحتاج لتطويع وترويض تلك النفس عليها، لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم، وهو الجنة ونعيمها"[٤].

لكن الواقع يشهد أن هناك أوقاتًا هائلة تُهدر كان يمكن أن تستغل في المفيد من

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٠٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٦٨٣.

(٣) رياض الصالحين، ٣٧٦.

(٤) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ٤٠٧.

الأعمال، "ففي المنازل آلاف الآلاف من طلبة المدارس يقضون أربعة أشهر أو خمسة أشهر، إجازة صيفية فهل تساءل الآباء كيف يقضي هذا الوقت الطويل فيما يعود بالنفع على جسمهم وعقلهم وخلقهم وبلادهم، وفي البيوت نصف عدد الأمة من النساء فكيف يقضين أوقات فراغهن؟ إذا كان الزمن هو المادة (الخامة) لاستغلال المال، وتحصيل العلم وكسب الصحة، فكم أضعنا من كل ذلك؟ وكم أعمار تضيع في عبث؟ لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

ومن نتائج ضياع الزمن ضياع كثير من منابع الثروة، كان يمكن أن تستغل لولا إهمال الزمان والجهل باستعماله، فكم من الأراضي البور كان يمكن أن تُصلح ومن الشركات يمكن أن تؤسس، ومن المؤسسات المختلفة يمكن أن تنشأ وتدار بجزء من الزمان الفارغ، وإن من نتيجة ضياع الزمن في عالمنا كساد الكتب وعدم قراءتها والرضا بالجهل، فليس هناك نفوس تألم من الجهل، ولكن أجساد تخلد إلى الراحة، والشأن في عالم المال كالشأن في عالم الكتب، فهناك القناعة بالقليل والرضا بالميسور والنوم على الوظيفة والعمل الراتب الذي لا يدعو إلى جهد ولا يبعث على تفكير، ثم هناك الفكر المضني وإفساح الطريق للأجنبي النشيط الذي يعرف كيف يستغل زمنه.

ولست أريد من المحافظة على الزمن أن يُمْلأ كله بالعمل، وأن تكون الحياة كلها جدًا ودأبًا، لا راحة فيها ولا مَرَح، وأن تكون عابسة لا ضحك فيها ولا بشر، وإنما أريد ألا تكون أوقات الفراغ طاغية على أوقات العمل، وألا تكون أوقات الفراغ هي صميم الحياة، وأوقات العمل على حاشيتها وطرفها.

بل أريد أكثر من ذلك: أن تكون أوقات الفراغ خاضعة لحكم العقل كأوقات العمل، فإننا في العمل نعمل لغاية، فيجب أن تصرف أوقات الفراغ لغاية ذلك، إما لفائدة صحية كالألعاب الرياضية المشروعة، وإما للذة نفسية كالمطالعات العلمية، وإما لغذاء روحي كالقيام بقراءة القرآن والحديث الشريف ونوافل الطاعات والعبادات[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) فيض الخاطر: أحمد أمين ٦٧/٣، نقلًا عن قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ٨٠- ٨٢، وقد تصرف فيه أبو غدة تصرفًا يسيرًا، وزاد فيه زيادة يسيرة.

١٩٩- باب سنة الظهر

الحديث رقم (١١١٥)

١١١٥ - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا[1]. متفقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى سنة من سنن الصلاة التي يتتبعها أتباع النبي ﷺ والصالحون في كل مكان، وزمان يقتدون بهم دون الناس، ويروي الحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في إشارة إلى سنة عملية طبقها مع الرسول ﷺ في قوله (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا) والفعل الماضي يشير إلى تحققه، والمعية المفهومة من قوله: (مع رسول الله ﷺ) تشير إلى شرف الصحبة، والطباق بين قبل، وبعد يشير إلى إحاطة النافلة بصلاة الظهر، ويؤكد موضعها من الفريضة بما يفتح للمتسابقين في الخيرات بابا للمنافسة.

فقه الحديث

١ - قال ابن حجر: (قال الداودي: وقع في حديث ابن عمر "أن قبل الظهر ركعتين" وفي حديث عائشة "أربعًا"، وهو محمول على أن كل واحد منهما وَصَف ما رأى. قال: ويحتمل أن يكون نسي ابن عمر ركعتين من الأربع. قلت: [القائل ابن حجر]: هذا الاحتمال بعيد، والأولى أن يحمل على حالين، فكان تارة يصلّي ثنتين، وتارة يصلّي أربعًا.

---

(١) لفظ البخاري: (بعد الظهر).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٥) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩/١٠٤).

وقيل: هو محمول على أنه إذا كان في المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته، واطلعت عائشة رضي الله عنها على الأمرين، ويقوى الأول ما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها "كان يصلي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج" قال أبو جعفر الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها)[١].

٢ - قال النووي: (قولها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلِّي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلِّي بالناس ثم يدخل فيصلِّي ركعتين وذكرت مثله في المغرب والعشاء ونحوه من حديث ابن عمر[٢]: فيه استحباب النوافل الراتبة في البيت كما يستحب فيه غيرها، ولا خلاف في هذا عندنا، وبه قال الجمهور، وسواء عندنا وعندهم راتبة فرائض النهار والليل، وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها في المسجد كلها. وقال مالك والثوري: الأفضل فعل نوافل النهار الراتبة في المسجد وراتبة الليل في البيت، ودليلنا هذه الأحاديث الصحيحة، وفيها التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الصبح[٣] والجمعة في بيته[٤]. وهما صلاتا نهار مع قوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"[٥] وهذا عام صحيح صريح لا معارض له، فليس لأحد العدول عنه، والله أعلم)[٦].

المضامين الدعوية[٧]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة سنة الظهر.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٥٨ - ٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٢، ومسلم ٧٢٩، ١٠٤.

(٣) انظر الأحاديث المتقدمة من ١١٠٢ - ١١١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٨٨٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلِّي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣١، ومسلم ٧٨١.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ،مج٣/٦/٩ ، وانظر المغني ٢/٥٤٣ - ٥٤٤، ونيل الأوطار ٤٧٩ .

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٥ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١١٦).

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على سنة الظهر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخبار ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما عن هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر، والإخبار من الأساليب الدعوية التي يكون بها بيان ما ورد في الشرع وتوضيحه، فضلاً عن إرشاد المدعوين إلى فعل ما يجب عليهم على النحو الذي يتفق مع الشرع.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر:

هذا ما أشار إليه ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث من قوله: (صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها)، وأيضًا في قول عائشة رضي الله عنها: (إن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر..).

وقد أفرد البخاري لبيان هدي النبي ﷺ في سنة الظهر: (باب الركعتين قبل الظهر)[1]، وساق تحته حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال ابن حجر: "وأما حديث عائشة رضي الله عنها فقوله فيه: إنه كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، لا يطابق الترجمة"[2]، وفي الجمع بينهما قال ابن حجر: "الأول أن يحمل على الحالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعًا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين، وفي بيته يصلي أربعًا، ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته واطلعت عائشة رضي الله عنها على الأمرين... قال أبو جعفر الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها"[3].

وقال ابن عثيمين: "والظهر له ست ركعات أربع قبله بسلامين وركعتان بعده، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر، لأن الرواتب تقضى كما

---

(١) البخاري، كتاب التهجد، باب: الركعتين قبل الظهر، رقم ٣٤ ص ١٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٧٠.

تُقضى الفرائض"[١].

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على سنة الظهر.

قال ابن عثيمين: "وفي هذه الأحاديث دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يحافظ على الرواتب، لقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ لا يدع أربعًا قبل الظهر، يعني لا يتركها"[٢]، وقال ابن علان: "أي لا يترك أربعًا قبل الظهر لاهتمامه بها"[٣]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في الحرص والمحافظة على السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وقد بين النووي الحكمة في شرعية النوافل فقال: "قال العلماء: والحكمة تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص، ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة"[٤]، وبالحرص على أداء النوافل يكون حب الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[٥]، قال ابن حجر: "في قوله: (بالنوافل حتى أحببته) في رواية الكشميهني (أحبه) ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل"[٦]، فعلى المدعو أن يحرص ويحافظ على السنن الراتبة، بما في ذلك سنة الظهر للحصول على كامل الأجر والثواب.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٢٦/٢.

(٢) المرجع السابق ١٣٢٦/٢ - ١٣٢٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/١١.

الحديث رقم (١١١٦)

١١١٦ - وعن عائشة رضي الله عنها : أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه في بيان سنة صلاة الظهر القبلية، وقد روت الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأسلوب خبري مؤكد ببعض المؤكدات التي تدعم الخبر في نفس السامع، وتوفر العناية بالخبر، واستخدام (كان) يشير إلى العادة الغالبة في الفعل، وقولها (لا يَدَعُ أرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ) أسلوب نفي يقرر مواظبته على هذه النافلة بوقتها قبل صلاة الفريضة في الظهر، وعددها المتمثل في أربع ركعات كبيان لأمته لتقتدي به في أدائها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى سنة الظهر القبلية، وقد سبق بيان حكمها في الحديث (١١٠٠).

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم (١١٨٢)، وزاد في آخره: (وركعتين قبل الغداة).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١٧)

١١١٧- وعنها، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ العِشَاءِ، وَيَدْخُلُ بَيتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

نقلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أكثر السنن التي كان يؤديها النبي ﷺ في بيته، لأنه لا يطلع عليها فيه إلا آل بيته لاسيما أزواجه، وخاصة عائشة رحمها الله رحمة واسعة بما حفظت للأمة من سنن رسوله ﷺ، وقول أم المؤمنين رضي الله عنها (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعاً) يشير إلى ما غلب على فعله في السنن، وقولها (يصلي) مضارع يصور الحدث وتجدده واستمراره، وقولها (في بيتي) يشعر بالخصوصية التي تشير إلى صدق الخبر، ودقة تفاصيله التي نقلتها بالمشاهدة المباشرة، وقولها (قبل الظهر) يشير إلى وقت السنة، وقولها (أربعا) يشير إلى عددها، وقوله (ثم) يعطي فترة زمنية هي فترة بقائه في البيت بين الأذان، والإقامة، وقولها: (ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ) إشارة إلى السنة البعدية للظهر، والأفعال المضارعة (يصلي - بيتي - يخرج - يدخل) ثم تكرار فعل الصلاة المضارع عدة مرات ثم الدخول، والخروج بين بيته، والمسجد في حركة دائبة دائمة في استغراق شامل لحياته في مرضاة الله تعالى وإذا نظرنا نظرة أوسع حول بيته، ومسجده وجدنا شعاع النور الذي يفيض من قلب الرسول يجمع حوله الصحابة في صور القدوة التي تجعل المجتمع المسلم كخلية النحل بين الصلاة، والذكر، والتلاوة وغيرها.

---

(١) برقم (٧٣٠/١٠٥).

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١ - استحباب أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها - وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١١٠٠).

٢ - استحباب ركعتين بعد المغرب[١]، وركعتين بعد العشاء[٢].

٣ - مكان صلاة الفاضلة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يستحب أداء النوافل في البيت - يستوي في ذلك راتبة فرائض النهار والليل.

- وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها كلها في المسجد.

- وقال مالك والثوري: الأفضل فعل نوافل النهار الراتبة في المسجد، وراتبة الليل في البيت[٣].

والراجح: رأي الجمهور الذي يرى استحباب أداء النوافل في البيت، لقول رسول الله ﷺ: ((أفضلَ الصلاةِ صلاةُ المرءِ في بَيتهِ، إلاّ المكتوبةَ)).

قال الإمام النووي: (وهذا عام صريح لا معارض له، فليس لأحد العدول عنه والله أعلم)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة السنن الرواتب.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النوافل في البيت.

---

(١) المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٤٧٧/١، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٩/٢، نيل الأوطار ١٨/٢.

(٢) المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٤٧٨/١، نيل الأوطار ١٨/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٩/٦، نيل الأوطار ١٨/٢، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٢٠/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠/٦.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخبار عائشة رضي الله عنها لهدي النبي ﷺ في صلاته للنوافل بأن جعلها في بيته، والإخبار من الأساليب التي تعين الداعية على بيان هدي النبي ﷺ وسنته في الأمر كله، بما يوضح للمدعوين ما خفى عليهم من أمره ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة السنن الرواتب:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين)، وذكرت مثله في المغرب والعشاء، وفي بيان الحكمة التي من أجلها شرعت النوافل يكون الحرص عليها، وهذا ما بينه القاضي عياض في قوله: "قال بعض المتكلمين: ووجه الحكمة في تقديم هذه النوافل على الفرائض، لتوطين النفس فيها وامتحانها بالإقبال على عبادة الله، وإخلاء سرّه مما كان قبل فيه من أمور الدنيا، حتى لا يدخل في فريضته إلا ونفسه مرتضاة بذلك، وظاهره وباطنه جميعٌ لأدائها على وجهها، وليصحبها من النوافل قبلها وبعدها ما يجده لجبر نقص فرضه مما يدخله من وهم أو سهو، على ما جاء في الحديث من جبر نقص فرائض العبد بنوافله"[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لِعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[2]، قال العراقي: "يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧١/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

فلم يصله فيعوض عنه من التطوع"[١]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحرص على النوافل لما في ذلك كمال الأجر فيما انتقص من أداء الفرائض.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النوافل في البيت:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في حرصه ﷺ على صلاة النوافل في بيته، وذلك من قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج، فيصلي بالناس... إلخ)، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن النوافل أفضل ما أتي بها في بيت الإنسان، وذلك به يخلص العبد من مداناة الرياء؛ لأن الفرائض تسلم من ذلك من أجل أنه يؤدي العبد بها حقًا واجبًا فهو كمن قضى دينًا، وأما النوافل فوضعها على التبرع والاختيار فإذا أتى بها ظاهرًا، أظهر ما إخفاؤه أفضل له وأحزم"[٢]، وقد بين ﷺ فضل صلاة النافلة في البيت فقال: ((إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ. فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا))[٣]، وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٤]، وقال ﷺ: ((اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ. وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا))[٥]، قال النووي: "معناه: صلوا فيها لا تجعلوها كالقبور مهجور من الصلاة، والمراد به صلاة النافلة أي: صلوا النوافل في بيوتكم"[٦].

وقال القاضي عياض: "هذا من التمثيل البديع حين شبّه البيت الذي لا يُصلى فيه بالقبر الذي لا يتأتى فيه من ساكنه عبادة، وشبه النائم ليله كله بالميت في قبره وكذلك تمثيله بالحي والميت؛ لأن العمل إنما يتأتى من الحي، وقد يرجع التمثيل إلى

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٨/١ - ٧٠٩.

(٢) الإفصاح ٣٢/٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١١٣، ومسلم ٧٧٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٧٠٤، ومسلم ٧٧٩.

(٥) أخرجه مسلم ٧٧٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٨١.

صاحب البيت"[١].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ حُجَيْرَةً بِخَصَفَةٍ أَوْ حَصِيرٍ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي فِيهَا. قَالَ فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ. قَالَ ثُمَّ جَاؤُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا. وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْهُمْ. قَالَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ. فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ مُغْضَبًا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ. فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاَةِ فِي بُيُوتِكُمْ. فَإِنَّ خَيْرَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ. إِلاَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ))[٢]، قال القاضي عياض: "وقوله: (احتجر النبي ﷺ حجيرة بخصيفة أو حصير)، أي: اقتطع موضعًا حجرَه عن غيره، أو لهذه العبادة عن غيرها، والحجرُ: المنع، ومنه سميت الحجرة، وحجيرة بتصغيرها، والخصفة والحصير بمعنى، والخصف: ما صنع من خوص المُقل والنخل"[٣]، قال النووي: "وقوله ﷺ: (فإن خير صلاء المرء في بيته إلا المكتوبة) هذا عام في جميع النوافل المرتبة مع الفرائض والمطلقة، إلا في النوافل التي هي من شعائر الإسلام، وهي العيد والكسوف والاستسقاء وكذا التراويح على الأصح، فإنها مشروعة في جماعة في المسجد والاستسقاء في الصحراء، وكذا العيد إذا ضاق المسجد والله أعلم"[٤]، وفي ذلك بيان على فضل صلاة النوافل في البيت.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٤/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٨١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٥/٣ - ١٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٩.

الحديث رقم (١١١٨)

١١١٨ - وعن أُمّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها، قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ)) رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[١]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٠٩٩).

الشرح الأدبي

نار جهنم أكبر مرهوب بالنسبة للمؤمن الذي استقر اليقين بها في قلبه يتخذ كل وسيلة تنجيه منها، ويسلك كل طريق يبعده عنها، والرسول ﷺ يعرف ذلك في نفوس المؤمنين فاتخذ منه وسيلة يرغبهم بها في عمل ينجيهم من هذا الهول، والحديث يبدأ بقوله(مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية التي تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة التي تنجيه من أكبر المهلكات بصلاة أربع ركعات قبل الظهر، وأربعٍ بعدها وقوله: (حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ) جملة جواب الشرط التي ترتبط بفعل المحافظة وجودا، وعدما، والتحريم على النار يتضمن البشرى بدخول الجنة، ونسبة التحريم لله تعالى تؤكد النجاة من النار.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (الحديث يدل على تأكد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك)[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦٩)، والترمذي (٤٢٨) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وصحّحه ابن خزيمة (١١٩٥)، وقال الحاكم (٣١٢/١): صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٥).

(٢) نيل الأوطار ٤٧٧، وانظر المغني ٥٤٤/٢ - ٥٤٥ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:

هذا ما اشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حرمه الله على النار)، وفي بيان حثه ﷺ على ذلك قال صاحب عون المعبود: "في المراد بقوله ﷺ: (من حافظ)، أي: داوم وواظب، وقوله ﷺ: (أربع بعدها)، أي: ركعتان منها مؤكدة، وركعتان مستحبة فالأولى بتسليمتين وقوله ﷺ (حُرم على النار)، أي: حرمه الله على النار، وفي رواية: (لم تمسه النار)[1]، وفي رواية: (حرمه الله عز وجل على النار)[2]، وفي أخرى: (حرم الله عز وجل لحمه على النار)[3]، وقد اختلف في معنى ذلك هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً، أو أنه إن قدر عليه دخولها لا تأكله النار، أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه وإن مست بعضه كما في بعض طرق الحديث عند النسائي بلفظ: ((فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))[4]، وهو موافق لقوله في الحديث الصحيح: ((وحَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ))[5]، فيكون قد أطلق الكل وأريد البعض مجازًا والحمل على الحقيقة أولى وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار، وفضل الله أوسع ورحمته أعم، والحديث يدل

---

(١) أخرجه النسائي ١٨١٧ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧١٣).

(٢) أخرجه النسائي ١٨١٤ صححه الألباني، (صحيح صنن النسائي ١٧١٠).

(٣) أخرجه النسائي ١٨١٢ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٨).

(٤) أخرجه النسائي ١٨١٣ صححه الألباني بما قبله، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٩).

(٥) أخرجه النسائي ١١٤٠ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٠٩٢).

على تأكيد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك"[١]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص والمحافظة على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٢]، "والرغبة: السؤال والطمع، ويرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه"[٣]، "فالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[٤]، "وقد كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ، والداعية المسلم عليه أن يرغب المدعوين فيما عند الله من الجود والكرم والعطايا"[٥].

وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، وذلك بتحريم النار على من يداوم ويواظب على ذلك.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات:

هذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لتحريم النار على من يواظب ويداوم على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، فمن فقه الداعية بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات، لما في ذلك من حصول الترغيب والتشويق لفعلها، "فالنفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها - ذكرًا كان أم أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا - يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٦٠٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٥٠٩.

(٤) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري ص ٥١٢.

كبيان جنس الطاعات، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1][2].

ففعل الطاعات والقيام بالعبادات لله تعالى، هو روح القلوب ولذّات النفوس، وبها يكون نعيم الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: "إن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإخلاص العمل له وإفراده بالتوكل عليه، هو غذاءُ الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه، كما دَلَّ عليه أَهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقوله من يقول: إن عبادته تكليف ومشقة على خلاف مقصود القلب ولذته؛ لمجرد الامتحان والابتلاء، كما يقوله مُنكرو الحكمة والتعليل، أو لأجل التعويض بالأجر؛ لما فى إيصاله إليه بدون معاوضة منه تكدره، أو لأجل تهذيب النفس ورياضتها، واستعدادها لقبول العقليات، كما يقوله من يتقرب إلى النبوات من الفلاسفة، بل الأمر أعظم من ذلك كله وأجل، بل أوامر المحبوب، قرة العيون، وسرور القلوب، ونعيم الأرواح ولذات النفوس، وبها كمال النعيم، فقرة عين المحب فى الصلاة والحج، وفرح قلبه وسروره ونعيمه فى ذٰلكَ، وفى الصيام والذكر والتلاوة، وأَما الصدقة فعجب من العجب، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إِلى الله والصبر على أعداء الله سبحانه، فاللذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف، ولا يدركه من ليس له نصيب منه، وكل من كان به أقوَمَ كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم، ومن غلظ فهمه وكَثُفَ طبعه عن إدراك هذا، فليتأمل إِقدام القوم على قتل آبائهم وأَبنائهم وأَحبابهم، ومفارقة أَوطانهم وبذل نحورهم لأَعدائهم، ومحبتهم للقتل وإيثارهم له على البقاء، وإيثار لوم اللائمين وذم المخالفين على مدحهم وتعظيمهم، ووقوع هذا من البشر بدون أَمر يذوقه من حلاوته ولذته وسروره

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري ص ٤٤١.

ونعيمه ممتنع، والواقع شاهد بذلك، بل ما قام بقلوبهم من اللَّذة والسرور والنعيم أَعظم مما يقوم بقلب العاشق الذى يتحمل ما يتحمله فى موافقة رضى معشوقه، فهو يلتذ به ويتنعم به، لما يعلم من سرور معشوقة به:

فيـــا منكـــرًا هـــذا تـــأَخَّر فإِنـــه حرام على الخفاش أَن يبصر الشمسا

فمن كان مراده وحبه الله، وحياته فى معرفته ومحبته، ونعيمه فى التوجه إِليه وذكره، وطمأْنينته به وسكونه إِليه وحده، عرف هذا وأَقر به.

وأما في الآخرة فيكون حسن الجزاء على الطاعات بكمال النعيم؛ لأن كمال النعيم في الدار الآخرة أيضًا به سبحانه وتعالى، برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه، لا كما يزعم من يزعم أنه لا لذة في الآخرة بالمخلوق، من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق تعالى، أعظم وأعظم ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وفي دعاء النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم في صحيحيهما: ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ، فِى غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ))[1]، ولهذا قال تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يُعذب به أعداؤه، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أولياءه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه، والدنو منه وقربه"[3]. وهذا لا يكون إلا بفعل الطاعات والتقرب إلى الله بالعبادات.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٤/٤، رقم ١٨٣٢٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٦٥/٣٠، وابن حبان ١٩٧١.

(٢) سورة المطففين، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٦٦ - ٦٧ بتصرف يسير.

الحديث رقم (١١١٩)

١١١٩ - وعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أرْبَعًا بَعْدَ أنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقَالَ: ((إنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيها أبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ)) رواه التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن السائب بن أبي السائب: وهو عبدالله بن السائب بن أبي السائب، واسم أبي السائب صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، القرشي، المخزومي، المكي، القارئ، يكنى أبا عبدالرحمن، ويقال: أبو السائب، ويعرف بالقارئ، وكان أبوه شريك النبي ﷺ فعن السائب بن أبي السائب أنه كان شريك النبي ﷺ في أول الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح قال: ((مرحبًا بأخي وشريكي، لا يُدارِي ولا يماري))[2] وأسلم عبدالله يوم الفتح، وهو في عداد صغار الصحابة، وله رواية، روى له البخاري في "الأدب" والباقون.

وكان يحرص على القرب من رسول الله ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فعنه أنه قال: صلى لنا النبي ﷺ الصبح بمكة، فاستفتح سورة المؤمنون، حتى جاء ذِكرُ موسى وهارون عليهما السلام أو ذكر عيسى أخذت النبيَّ ﷺ سَعْلَةٌ[3] فركع[4].

وهو مقرئ مكة، فقرأ القرآن على أبيٍّ بن كعب، وأخذ عنه أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قرّاء أهل مكة، وكان ممن يُفْتَخر بهم، أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن مجاهد قال: كنا نفخر على الناس بقارئنا عبدالله بن السائب،

---

(١) برقم (٤٧٨) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٨).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، (٢/٣٧٣، ٣٧٤)، حديث رقم (٢٤٠٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال محقق المسند: أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود، وفي سنده اضطراب.

(٣) قال السندي: سعلة: مرة من السعال قيل إنما أخذته من البكاء، حاشية السندي على مسند أحمد (٢٤/١١٤).

(٤) أخرجه مسلم ٤٥٥.

وبفقيهنا عبدالله بن عباس، وبمؤذننا أبي مَحْذُورة، وبقاضينا عبيد بن عمير، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء عن سنده: "هو صحيح". وترجم له ابن سعد فيمن نزل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فقد سكن عبدالله بن السائب مكة، وظل بها حتى مات في إمارة عبدالله بن الزبير، وصلّى عليه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر المؤرخون عمرهُ والسنة التي مات فيها(١).

غريب الألفاظ:

تزول الشمس: تميل عن منتصف السماء. وبه يدخل وقت الظهر(٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في صلاة أربع ركعات قبل الظهر، وقد جاء الترغيب في هذه النافلة من وجهين، الأول: أنه فعلها، ومن ثَمْ صارت سنة للمؤمنين بفعله، والوجه الثاني الترغيب بذكر المزية الخاصة بالوقت الفاضل لتوقيت هذه الصلاة والتي قررها في قوله (إنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فيها أبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ) والتعبير بفتح أبواب السماء كناية عن ساعة الإجابة، وجمع الأبواب للتكثير الذي يزيد في الترغيب، وقول الرسول ﷺ (فأحب) يصعِّد الترغيب في العمل، والتعبير بالصعود يوحي بالرقي الذي يبشر برقي صاحبه، والجار، والمجرور(لي) يفيد التخصيص، والجار، والمجرور (فيها) يشير إلى خصوصية الوقت الفاضل، ووصف العمل بالصالح مدح، وثناء على تلك الركعات التي تلبثت بالزمن الفاضل الذي وافق ساعة تفتح فيها أبواب السماء بالخيرات بمختلف العطايا.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٤٥/٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٣٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥٤/٣، ٢٥٥)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٧٦، ٧٧٧)، سير أعلام النبوة (٣٨٨/٣ - ٣٩٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٤١/٤، ١٤٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٤١/٢، ٣٤٢)، السندي (١١٢/٢٤)، موسوعة عظماء حول الرسول (١٢٠٩/٢، ١٢١٠).

(٢) معجم لغة الفقهاء ٢٠٨، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٨٠.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة أربع ركعات بعد الزوال.

ثالثًا: من آداب المدعو: اغتنام فرص الأوقات الفاضلة.

رابعًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب وأهمية ذلك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخبار الراوي بهدي النبي ﷺ في صلاته لأربع ركعات بعد زوال الشمس قبل الظهر والتأكيد على فضلها، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ وبيان ما خفي على المدعوين من هدي النبي ﷺ في الأمور كلها، بما يحصل به الاقتداء والتأسي بهديه ﷺ على الوجه الصحيح.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة أربع ركعات بعد الزوال:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قول عبدالله بن السائب رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر... إلخ)، وفي بيان ذلك قال المباركفوري: "قال العراقي: هي غير الأربع التي هي سنة الظهر قبلها وتسمى سنة الزوال (وقال إنها) أي ما بعد الزوال، وأنّثهُ باعتبار الخبر وهو (ساعة تفتح) بالتخفيف ويجوز التشديد (فيها أبواب السماء) لطلوع أعمال الصالحين"[2]، قال صاحب عون المعبود: "وفيه كناية عن حسن القبول وسرعة الوصول"[3]، "وقوله ﷺ: (فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح)، فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[4]"[5].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٠).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٥٥/١.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٠٣.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٥٥/١.

"أي: "إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه، ويثني اللهُ على صاحبه بين الملأ الأعلى"، "والعمل الصالح من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (يرفعه) الله تعالى إليه أيضًا كالكلم الطيب"[١]، وفي ذلك بيان على عظم فضل وأهمية صلاة أربع ركعات بعد زوال الشمس قبل الظهر. ومن شدة اهتمام الرسول ﷺ بتلك الركعات وحرصه عليها أنه كان إذا فاتته قبل الظهر صلاها بعده لحديث عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلي أربعًا قبل الظهر صلاهن بعدها" أي: "بعد الظهر بعد الركعتين"[٢].

وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: "إن صلاة الظهر لها ست ركعات: أربع قبلها بسلامين، وركعتان بعدها، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر لأن الرواتب تقضى كما تقضى الفرائض"[٣]، وخير دليل على ذلك ما رواه كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبدالله بن عباس وعبدالرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم أَرْسَلُوهُ إِلَىٰ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ. وَقُلْ: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا. وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَىٰ عَنْهُمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أضرب[٤] مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ النَّاسَ عنها. قَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي بِهِ. فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ. فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا. فَرَدُّونِي إِلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ، بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَىٰ عَائِشَةَ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْهَىٰ عَنْهُمَا. ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا. أَمَّا حِينَ صَلاَّهُمَا فَإِنَّهُ صَلَّى الْعَصْرَ. ثُمَّ دَخَلَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٧٢٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/ ١٣٢٦.

(٤) هكذا وقع في بعض الأصول أضرب الناس عليها، وفي بعض أصرف الناس عنها، وكلاهما صحيح ولا منافاة بينهما، وكان يضربهم عليها في وقت ويصرفهم عنها في وقت من غير ضرب أو يصرفهم مع الضرب، ولعله كان يضرب من بلغه النهي ويصرف من لم يبلغه من غير ضرب وقد جاء في غير مسلم أنه كان يضرب عليها بالدرة. قاله النووي في شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥١.

وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ. فَصَلاَّهُمَا. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ. وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا؟ فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ. قَالَ فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ. فَأَشَارَ بِيَدِهِ. فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: ((يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ. إِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بِالإِسْلاَمِ مِنْ قَوْمِهِمْ. فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ. فَهُمَا هَاتَانِ))[1].

قال النووي: "فيه فوائد، منها إثبات سنة الظهر بعدها. ومنها أن السنن الراتبة إذا فاتت يستحب قضاؤها، وهو الصحيح عندنا. ومنها أن الصلاة التي لها سبب لا تكره في وقت النهي وإنما يكره ما لا سبب لها، وهذا الحديث هو عمدة أصحابنا في المسألة، وليس لنا أصح دلالة منه، ودلالته ظاهرة، فإن قيل: فقد داوم النبي ﷺ عليها ولا يقولون بهذا. قلنا: لأصحابنا في هذا وجهان حكاهما المتولي وغيره: أحدهما القول به فمن دأبه سنة راتبة فقضاها في وقت النهي، كان له أن يداوم على صلاة مثلها في ذلك الوقت. والثاني وهو الأصح الأشهر ليس له ذلك، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ، وتحصل الدلالة بفعله ﷺ في اليوم الأول، فإن قيل: هذا خاص بالنبي ﷺ. قلنا: الأصل الاقتداء به ﷺ وعدم التخصيص حتى يقوم دليل به، بل هنا دلالة ظاهرة على عدم التخصيص، وهي أنه ﷺ بين أنها سنة الظهر ولم يقل هذا الفعل مختص بي، وسكوته ظاهر في جواز الاقتداء"[2]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص والمحافظة على السنن الرواتب ومنها سنة الظهر.

ثالثًا – من آداب المدعو: اغتنام فرص الأوقات الفاضلة:

"لقد اختص الحق تبارك وتعالى بعض الأزمنة بخواص لم يختص بها غيرها، ففضلها على سائرها، وقدّمها على ما سواها، وندب إلى اغتنامها، والتعرض لما

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٣٣، ومسلم ٨٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥١، وانظر آراء الفقهاء في ذلك، الموسوعة الفقهية ٢٨٤/٢٥.

يدركها من نفحات"[١] ، فقال ﷺ: ((إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلاَ تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا))[٢] .

وكان من هذه الأوقات الفاضلة ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ عند صلاته لسنة الزوال: (إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمال صالح)، وقد بينت النصوص الشرعية هذه الأوقات الفاضلة، وحثت عليها، فعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ سَاعَةٍ أَقْرَبُ مِنَ الأُخْرَى؟ قَالَ: ((نَعَمْ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ فَإِنَّ الصَّلاَةَ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ))[٣] .

قال المباركفوري: "قال القاري في قوله: (فإن استطعت)، أي: قدرت ووفقت (ممن يذكر الله)، من ضمن صلاة أو غيرها (في تلك الساعة)، إشارة إلى لطفها (فكن)، أي: اجتهد أن تكون من جملتهم"[٤] .

وكان من هذه الأوقات الفاضلة التي يُندب إلى اغتنامها، ويحثُ الشرع على الحفاظ عليها، يوم الجمعة، فإن ((فيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وَهوَ قائمٌ يُصلّي يَسأَلُ اللَّهَ تعالى شيئًا إلا أَعطاهُ إِيّاهُ))[٥] .

قال ابن حجر (وروى عبد الرزاق عن معمر أنه سأل الزهري عن ساعة يوم الجمعة، فقال: لم أسمع فيها بشيء، إلا أن كعبا كان يقول لو أن إنسانا قسم جمعة في جمع لأتى على تلك الساعة، قال ابن المنذر: معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من الجمع من أول النهار إلى وقت معلوم، ثم في جمعة أخرى يبتدئ من ذلك الوقت إلى وقت آخر حتى يأتي على آخر النهار، قال: وكعب هذا هو كعب الأحبار، قال: وروينا عن ابن عمر أنه قال:

---

(١) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب، ط/٢ دار الوفاء، السعودية: ١٤٠٧هـ ص ٦٨.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠ ، وضعفه في ضعيف الجامع ١٩١٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٥٢٠/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٩٣٥.

إن طلب حاجة في يوم ليسير، قال: معناه أنه ينبغي المداومة على الدعاء يوم الجمعة كله ليمر بالوقت الذي يستجاب فيه الدعاء انتهى، والذي قاله ابن عمر يصلح لمن يقوى على ذلك، وإلا فالذي قاله كعب سهل على كل أحد، وقضية ذلك أنهما كانا يريان أنها غير معينة، وهو قضية كلام جمع من العلماء كالرافعي وصاحب المغني وغيرهما حيث قالوا: يستحب أن يكثر من الدعاء يوم الجمعة رجاء أن يصادف ساعة الإجابة، ومن حجة هذا القول تشبيهها بليلة القدر والاسم الأعظم في الأسماء الحسنى، والحكمة في ذلك حث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة، بخلاف ما لو تحقق الأمر في شيء من ذلك، لكان مقتضيًا للاقتصار عليه وإهمال ما عداه)[١].

وقال ابن حجر: (قال ابن المنير في الحاشية: إذا علم أن فائدة الإبهام لهذه الساعة ولليلة القدر بعث الداعي على الإكثار من الصلاة والدعاء، ولو بين لاتكل الناس على ذلك وتركوا ما عداها، فالعجب بعد ذلك ممن يجتهد في طلب تحديدها)[٢].

وقد كان من فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم أيامًا العمل الصالح فيها أحب إليه من أي يوم آخر، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما منْ أيَّامٍ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ منْ هذه الأيامِ العشرةِ))، قالوا: يا رسولَ اللهِ! ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ((ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلاَّ رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه فلمْ يرجعْ منْ ذلكَ بشيءٍ))[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أيام عَشْرِ ذي الحِجَّةِ))، قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللهِ هُنَّ أفْضَلُ أمْ عِدَّتُهُنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللهِ؟ قالَ: ((هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللهِ ومَا مِنْ يَوْمٍ أفضلُ عِندَ اللهِ مَنْ يومِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إلى السَّمَاءِ الدنيا فَيُبَاهِي بأهلِ الأرض أهلَ السَّماء، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبادي شُعثًا غُبْرًا ضاحين[٤] جاؤوا مِنْ كُلِّ فجٍّ عَمِيقٍ يرجونَ رحمتي، ولم يَرَوْا

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٤.

(٢) المرجع السابق ٢/٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٩٦٩.

(٤) ضاحين: بالضاد المعجمة والحاء المهملة، أي: بارزين للشمس غير مستترين منها، يقال لكل من برز للشمس من غير شيء يظله ويكفه: إنه ضاح، وقد تحرف في الأصل إلى: (حاجين) قاله محقق صحيح ابن حبان، شعيب الأرنؤوط ٩/١٦٤.

عذابي، فَلَمْ يُرَ يومٌ أكثرُ عتقًا من النارِ مِنْ يومِ عرفةَ))[١].

"وقد اختص الله تعالى شهر رمضان - الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة - بخصائص ليست لسائر الشهور، فافترض صومه، واستن قيامه، وندب إلى الإكثار فيه من كل عمل صالح.

ثم اختص العشر الأخير منه، ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر"[٢]، ((فكان ﷺ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ حتّى تَوَفّاهُ اللهُ تعالى، ثمَّ اعتكَفَ أزواجُهُ من بَعدِه))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيُّ ﷺ إذا دَخلَ العَشرُ شَدَّ مِئزَرَه، وأحيا ليلَه، وأيْقَظَ أهلَه))[٤].

"ومما لا شك فيه أن هذا الاغتنام لتلك الأوقات الفاضلة بالقربات والطاعات، يعني للمسلم شيئًا آخر أيضًا، وهو: إنزاله عمله دائمًا من الوقت الملائم له.

فأجزاء الليل والنهار متفاوتة قيمة من حيث عطاء المرء: نوعه وقدره، فالحريص من يُنزِّل كل عمل فيما يناسبه من وقت.

والبكور الذي هو أول النهار، خير أوقات العمل التي تغتنم لكل مهم ودقيق وجليل"[٥].

فعن صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأمَّتِي في بُكُورِهَا)) قال: وكَانَ إذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَها مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا، وكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فأَثْرَى وكَثُرَ مالُهُ[٦].

---

(١) أخرجه ابن حبان ٢٨٥٣، وقال محققه: حديث صحيح ٩/١٦٤.

(٢) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٢٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٢٤.

(٥) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٧٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

فعلى المدعو أن يغتنم فرص الأوقات الفاضلة، لما في ذلك من فلاحه في الدنيا والآخرة.

رابعًا - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب وأهمية ذلك:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي بيان أهمية اتباع النبي ﷺ والتأسي به في المحافظة على السنن الرواتب قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾[1]، "واتباع النبي ﷺ هو الاقتداء به في أقواله وأفعاله على الوجه الذي جاء به من وجوب أو ندب مع توفر القصد والنية في متابعته والتأسي به"[2]، "فلقد شرع رسول الله ﷺ سنن الصلوات الرواتب ورغّب المصلين فيها، وحثهم على المواظبة عليها بقوله وفعله، والحقيقة أن العناية بها والحرص عليها لدليل على الاهتمام الكبير بشأن الفروض الخمسة، التي جعلها الله على المؤمنين كتابًا موقوتًا، والعكس بالعكس، فإن التهاون بها والتفريط فيها وسيلة إلى التقصير في الفرائض أو الإضاعة لها. لأن دعوة الشيطان دعوة مرحلية؛ ذلك بأنه يأتي إلى المصلي ويزهده في السنن الرواتب بحجة أنها لا يترتب على تركها عقاب، حتى إذا أقنعه بذلك واقتنع، انتقل به قطعًا إلى تأخير الفرائض عن أوقاتها المحددة، وصلاتها في البيوت، ولا يزال به يترك بعض الفرائض أو كلها، وذلك ما يريده الشيطان من الإنسان ليقطع الصلة بين العبد الضعيف وبين خالقه القادر على كل شيء، والغني عما سواه، فعلى المدعو أن يتأسى ويقتدي بالنبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب"[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ١.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٠٦.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد محمد هادي ص ١٨٨.

الحديث رقم (١١٢٠)

١١٢٠ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذا لَمْ يُصَلِّ أربعًا قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تنقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موقفا عن النبي ﷺ يعكس حرصه على تدارك الخير ما أمكن إذا فاتته السنة القبلية لصلاة الظهر تداركها بعدها فأداها حتى لا يفوته خيرها، (كَانَ إذا لَمْ يُصَلِّ أربَعاً قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا) والطباق بين الظرفين المحيطين بالصلاة تقرر عدم خلو أحدهما عن نافلة تصلى فيه، وهو منتهى الحرص عليها كما أنه يعلم أمته من بعده أمرا مهما في النوافل، وهو أن ما لا يدرك كله لا يترك كله فمن شغلته الدنيا بشواغلها، -وأكثرنا هذا الرجل في عصر كثرت فيه المغريات - تدارك من هذه النوافل ما يستطيع، ولا يتركها بل عليه أن يحرص على أداء ما استطاع، ثم إن لهذا الأمر بعدا آخر، وهو أن النوافل تمثل حصنا حصينا للفرائض لا يستطيع الشيطان أن ينال من فرائض عبد حريص على النوافل حتى يخرجه أولا عن هذا الحصن.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٤٢٦) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التأسي بالنبي ﷺ في الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد وصلاة التطوع في البيت:

كان النبي ﷺ حريصًا على تربية أصحابه رضي الله عنهم والأمة من بعدهم على بيان كيفية صلاة الفريضة وصلاة التطوع من حيث المكان، حيث كان يصلي الظهر فضلاً عن بقية الصلوات المكتوبة في المسجد، وكان حريصًا على تربية المسلم على أهمية إعمار البيوت بصلاة التطوع. ولاشك أن الجو الروحي الذي تضفيه الصلاة على المكان يؤدي إلى نوع من السكينة والوقار والهدوء، وإذا كان ذلك هو السمت العام للمساجد، فقد أراد النبي ﷺ أن تمتد هذه الحالة الروحية إلى البيوت من خلال صلاة التطوع فيها.

وقد عمل النبي ﷺ على ترسيخ ذلك عمليًا من خلال ما قام به، حيث أخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك فقالت: "كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلّي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين"؛ فالنبي ﷺ قد صلّى في بيته ليحقق بذلك السكينة، وقد كان ذلك متحققًا في بيوت النبي ﷺ ولكن ليعلمنا أهمية هذا الأمر، ثم خرج فصلّى بالناس ثم دخل فصلّى التطوع في البيت فإذا كان ﷺ قد أمّ الناس في المسجد، فإنه جمع إلى ذلك أن صلّى تطوعًا في بيته، فجمع ﷺ بين إمامة المسلمين وصلاة التطوع في بيته، حيث يؤدي ذلك إلى إشباع الرغبات الروحية للنفس، وهذا مطلب غاية في الأهمية؛ حيث يكون للنفس حظها من التزكية والتهذيب والترقي في مقامات العبودية.

إن على المربي أن يربي أتباعه على الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد وصلاة التطوع في البيت، اهتداءً بهذا الهدي النبوي الشريف، فيحافظون على أداء الصلوات الخمس جماعة في المساجد، بيوت الله في أرضه، فهي من شعائر الإسلام ومعالمه

البارزة، وخصائصه المميزة، كما يعمر بيته بأداء النوافل فيه، كما عمّر مساجد الله بالصلاة والذكر والدعاء والتلاوة، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

إن الصلاة لها دور تربوي لا يخفى، سواء الصلوات الجماعية في المساجد أم الصلوات الفردية في البيوت، يقول الأستاذ محمد المبارك: (إن العبادة اليومية الأساسية في الإسلام هي الصلات، وهي في حقيقتها خلوة قصيرة لمناجاة الله تشتمل على تفكر وتأمل وعلى ذكر ودعاء وعلى تلاوة للقرآن، وهي وسيلة لتذكير الإنسان بربه من خلال استغراقه في الأعمال اليومية الدنيوية التي توجه ذهنه عادة إلى الكسب والربح أو إلى الصلات الاجتماعية أو إلى ملذات الحياة أو متاعبها ومشاقها، وهو في كل ذلك في حاجة إلى تذكيره برابطته الأساسية الباقية التي هي رابطته بالله لتخرجه من استرساله في الشهوات أو ميله إلى الظلم والشر والباطل أو من ضعفه بالنفس وشعوره بالعجز إذ تصله بمصدر القوة ومصدر الحق والخير والعدل، من له الحكم وإليه المصير.. وقد أجمع المسلمون على أن ثمة صلوات مفروضة في كل يوم لا مجال لإهمالها أو التقصير فيها، وهذا الحد الأدنى من الصلة بالله التي نظمها الشارع في الإسلام في الصلوات المفروضة، هو الحدّ الذي يفصل بين الإنسان الغافل اللاهي الفاقد للشعور بموقعه الحقيقي في الوجود، ذلك الإنسان القريب جدًّا من الحيوان وإن زاد عنه في ملكة التفكير ولكنه فاقد للعنصر الأسمى من إنسانيته، الإنسان الواعي لإنسانيته.

إن الصلاة التي تتخلل ساعات الليل والنهار تذكر الإنسان بموقعه من الكون وخالقه وتذكره برسالته في هذه الأرض التي استخلفه الله فيها وبأوامر ربّه التي بلغها رسوله وبالمثل العليا التي رسمها لحياته، فهي تزكي أعماله وتطهر نفسه، ويجب أن

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

تتخلل الصلاة جميع أعمالنا ومنظماتنا ومؤسساتنا يجب أن تهيأ لها الفرص لإقامتها في المدرسة والثكنة والباخرة والقطار والمخيم ومكاتب العمل ومصانع العمال، ويحسب لها حسابها في ساعات العمل وفي برامج الاجتماعات وتعلن شعائرها فيستعلن صوت المؤذن "الله أكبر" ويخفت كل صوت غيره في مواعيد الأذان ومواقيت الصلاة في ساحة الجند وصفوف الطلاب والعمال وفي المحاكم ودور الحكومة ومكاتب الموظفين والمجالس النيابية والحفلات العامة.

إن في انصراف هؤلاء جميعًا إلى الصلاة - صلاة الجماعة - معنى استعلاء الروح واستعلاء المثل العليا على المال والمنصب والجاه والقوة، وفيه معنى التقاء الناس على اختلاف أحوالهم المالية والاجتماعية على صعيد العبودية لله والمساواة في هذه الصفة.

والصلاة في الإسلام يمكن أن تكون فردية ويمكن أن تكون جماعية، ومنها المفروض، ومنها صلاة التطوع الزائدة على الفرض"[1].

ثانيًا - التربية بالترغيب واغتنام الأوقات الفاضلة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها، حرمه الله على النار" وقد حرص النبي ﷺ على التربية بالترغيب من خلال بيانه ﷺ الثواب أو الجزاء المنوط بالمحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، كما أن النبي ﷺ ضرب المثل والقدوة في اغتنام الوقت الفاضل كما في حديث عبدالله بن السائب رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ يصلّي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح.

فقد ملأ النبي ﷺ هذا الوقت الفاضل بعمل صالح وهو الصلاة، حتى يكون ذلك في صحيفة أعماله، فدل ﷺ - بهديه قولاً وعملاً - على اغتنام الوقت الفاضل وشغله بالأعمال الطيبة والأفعال الصالحة، لذا كان من الأجدر أن تقوم التربية على

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دون بيانات أخرى ص ١٧٨ - ١٨٠.

اغتنام هذه الأوقات والأزمان التي ميزها الله بالفضل، فما وقع في الوقت أخذ حكمه، فما وقع في وقت فاضل كان فاضلاً، وما وقع في وقت التفريط والإهمال اصطبغ بذلك وتطبع، ولذا كان على "المسلم الحريص على استباق الخيرات، أن يتحرى الأوقات التي ميزها بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها.

كما روي في الحديث ((إن لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها))[1] وهذا التخصيص من شأن الألوهية وحدها، يختص برحمته من يشاء وبما يشاء، فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأنواع على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، فضل كذلك بعض الأزمنة على بعض ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾[2]، فقد فضل الله في الليل ساعات السحر وهي الثلث الأخير من الليل حيث يتجلي الله على عباده كل ليلة، حيث ينزل إليهم نزولاً يليق بجلاله فينادي ((هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرُ الصُبْحُ))[3].

ولهذا وصف الله المتقين المحسنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4]، وقال ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فإِنْ استَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[5]. وفضل الله تعالى من أيام الأسبوع يوم الجمعة وهو العيد الأسبوعي للمسلمين وفيه فريضة صلاة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن محمد بن مسلمة كما في الجامع الصغير للسيوطي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١٩١٥، لكنه حسّنه في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٦٨.

(٣) أخرجه مسلم ٧٥٨، ١٧٠، وأخرجه البخاري ١١٤٥ بنحوه.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ – ١٨.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩ ، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٣).

الجمعة، ولقاء الجمعة وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له.

وفضل الله تعالى من أيام العام: أيام عشر ذي الحجة، وأفضلها يوم عرفة بل هو أفضل أيام العام على الإطلاق، جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هذهِ الأَيَّامِ، يعني العشر قِيلَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فلا يَرْجِعْ مِنْ ذَلكَ بِشَيْءٍ))[1].

وفضل الله من الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فرض فيه الصيام، وسن فيه القيام، واستحب فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين. وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة قائلين: مرحبًا بالمطهر، يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم، ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

ورمضان كله شهر مهم، ولكن أهم أجزائه: الثلث الأخير منه، أو العشر الأواخر، وأهميتها لأمرين:

أولاً - أنها ختام الشهر وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: "اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك".

ثانيًا - أنها مظنة ليلة القدر، وهي الليلة التي جعلها الله خيرًا من ألف شهر وأنزل في فضلها سورة من كتابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾. وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنص القرآن: إنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٦٩.

(٢) من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٢٠٢، ومسلم ١١٦٩.

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله[١] وكان يخصها بالاعتكاف[٢].

وفضل الله من الشهور بعد رمضان: الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾[٣] وظلم النفس محرم في كل شهر، ولكنه في الأشهر الحرم أشد إثمًا[٤].

ثالثًا - التربية على فعل الخير وإن فات وقته:

وهذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلِّ أربعًا قبل الظهر، صلاهن بعدها، فدل هذا على أنه ﷺ كان يحرص على ألا يفوته ثواب التطوع مع صلاة الظهر، فإذا كان من سنته ﷺ التنفل قبلها أربعًا أو اثنتين، فإنه قد يعرض له ما يشغله عن ذلك، فيحرص النبي ﷺ على أن يصلِّي أربعًا بعد صلاة الظهر، وذلك حرصًا على عدم تفويت الأجر والثواب، وعن عائشة رضي الله عنها ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[٥]، قال النووي: (هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضي)[٦]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[٧].

وإذا كان هذا في مجال العبادات، وهو مقيد بما جاء في الشرع، ففي مجال المعاملات يكون المجال مفتوحًا على مصراعيه لاستدراك ما فات من الخير لأي سبب

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠١٩، ومسلم ١١٧٢ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٤) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ٢٢ - ٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ٧٤٦، ١٤٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١١ .

(٧) أخرجه مسلم ٧٤٧.

من الأسباب، وعلى ذلك يجب تربية الناشئة على هذا، وفي ذلك عدة فوائد تربوية:

أ - تعويد الناشئة على عدم تأجيل فعل الخير لضرورة أو حاجة، وذلك لأن لكل وقت عمله الذي يعمل فيه، فإذا أجل زاحمته الأعمال الأخرى وتعارضت معه.

ب - عدم الضجر والملل من العوارض التي تمنع من إتيان الخير وفعله في وقته، فما دام هناك فسحة لاستدراك ذلك في وقت آخر، فلا داعي للقلق والحزن لذلك، وذلك إذا كان هذا العارض بسبب خارج عن إرادة الإنسان[1].



(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ٣٦٥ وما بعدها.

٢٠٠- باب سنة العصر

الحديث رقم (١١٢١)

١١٢١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[١]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث السنة القبلية لصلاة العصر يرويه الإمام علي كرم الله وجهه - وقد استخدم كان ليشير إلى أنها عادة غالبة أنه يصلي قبل العصر أربع ركعات، فالظرف (قبل) يحدد زمن النافلة، ولفظ (أربع) يحدد العدد، وقوله (يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ) يوضح صفة صلاة هذه النافلة، والمقصود بالتسليم على الملائكة، والنبيين التسليم في التشهد، والجمع بين المَلائِكَةِ، والمُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ فيه مراعاة نظير، وهو الجمع بين الشيء، وما يناسبه، وبينهم تناسب في المعنى من حيث أنهم جميعا يوحدون الله - عز وجل -.

فقه الحديث

وفي الأحاديث[٢] من الفقه: استحباب أربع قبل العصر[٣]، أو ركعتين نظرًا لاختلاف الروايات، إلا أن الصلاة قبل العصر ليست من الرواتب، ويجمع بين الرواية التي تذكر

---

(١) برقم (٤٢٩). وصحّحه ابن خزيمة (١٢١١).

(٢) أي أحاديث الباب.

(٣) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٤٢/١، الفواكه الدوائي ١٩٦/١ - ١٩٧، الثمر الداني ١٣٢/١، إعانة الطالبين ٢٤٥/١، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشربيني ١١٥/١، المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، المبدع، ١٦/٢، الكافي، ابن قدامة ١٤٩/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٥/٢٢ - ١٢٦.

أربعًا، والأخرى التي تذكر ثنتين بأن النبي ﷺ كان يصلي أحيانًا أربع ركعات، وأحيانًا ركعتين، وعلى ذلك فالمرء مخير بين أن يصلي أربعًا، أو ركعتين والأربع أفضل[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة العصر وفضلها.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان فضل صلاة النوافل والثناء الحسن على من يحافظ عليها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة النوافل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة العصر وفضلها:

هذا ما أشارت إليه الأحاديث الواردة، وفي بيان هديه ﷺ في ذلك قال المباركفوري: "فيه استحباب أربع ركعات قبل العصر لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يُصلي قبل العصر أربع ركعات، أما في رواية أبي داود من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين، فالمراد أنه ﷺ أحيانًا يصلي أربع ركعات وأحيانًا ركعتين جمعًا بين الروايتين، فالرجل مخير بين أن يصلي أربعًا أو ركعتين والأربع أفضل، وفي قوله: (يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين)، المراد بالتسليم تسليم التشهد دون تسليم التحلل"[٣]، "وهذا ما بيّنه البغوي في شرح السنة"[٤]، وقال الطيبي: "سمي التشهد بالتسليم لاشتماله عليه"[٥]، وقال المباركفوري: "وقيل: المراد بالتسليم التحلل من الصلاة"[٦]، وقال ابن علان: "والتسليم هو: التحلل من

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤١٥/٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٢١ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٢)، (١١٢٣).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٤/١.

(٤) شرح السنة ٤٦٨/٣.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٨٧/٣.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٥/١.

الصلاة (على الملائكة المقربين ومن تبعهم)، أي: في توحيد الله سبحانه وتعالى (من المسلمين والمؤمنين)، من عطف المتساويين؛ إذ الإسلام والإيمان متَّحدا ماصدقا وإن اختلفا مفهومًا، وما فعله ﷺ من الفصل بالتسليم هو الأفضل؛ لما فيه من زيادة الأعمال والأذكار، ويجوز صلاتهن بتسليم واحد"[١]، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل صلاة أربع ركعات قبل العصر، فقال: "رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا"، قال ابن علان: "وجملة (رحم الله)، خبرية لفظًا دعائية معنى؛ نحو غفر الله لك، وفي الحديث إيماء إلى التبشير لفاعل ذلك بالموت على الإسلام، الذي هو أعظم الرحمات، وأسنى العطيات لابتناء نعيم الآخرة عليه"[٢]، وقال صاحب عون المعبود: "وفي الحديث استحباب أربع ركعات قبل العصر، والدعاء منه ﷺ بالرحمة لمن فعل ذلك، والتصريح بتحريم بدنه على النار، مما يتنافس فيه المتنافسون"[٣].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان فضل صلاة النوافل والثناء الحسن على من يحافظ عليها:

هذا ما يستفاد من قوله ﷺ: (رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا)، فعلى الداعية بيان "أن من سنن الهدى التي توجب للعبد من ربه الرحمة والمغفرة والهدى، وتكون سببًا متينًا من أسباب المخرج من شدة هول يوم القيامة: نوافل الصلاة، إذ أنها من القربات التي ترفع العبد درجات، وتكفر عنه السيئات والخطيئات، التي لا محيص ولا مفر للعبد من الوقوع فيها مهما كانت التقوى والورع والتحرزات، وما ذلك إلا لضعف هذا الإنسان البشري أمام الشهوات والشبهات، وأمام تلك الأمور الملهيات والمغريات، التي توجد عبر تاريخ الزمن وسائر الأوقات. وإنه ليكفي المتقرب إلى الله عز وجل بنوافل العبادات -ومنها نوافل الصلاة- أن الله تبارك وتعالى يكون معه بالحفظ والتأييد والتوفيق والعناية والرعاية"[٤]، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ص ١٢٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٠٣.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي ص ١٩٠.

الله ﷺ: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[١]، قال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (بالنوافل حتى أحبه)، ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟ والجواب: أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها... وقال الفاكهاني: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما، أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى، وقال ابن هبيرة: يؤخذ من قوله (ما تقرب ... إلخ) أن النافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى. وأيضًا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة، بخلاف ما يؤدي ما عليه من خراج، أو يقضي ما عليه من دين.

وأيضًا من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض"[٢] كما صحّ في الحديث الذي أخرجه الترمذي: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لِعَبْدِيَ مِنْ تطوعٍ؟ فيُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[٣]، قال المباركفوري: "قال العراقي: "في قول: (فيكمل بها ما انتقص من الفريضة) يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١١/٣٥١.

(٣) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٢٧).

يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصله، فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضًا من الصلوات المفروضة انتهى.

وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع، ويحتمل ما نقصه من الخشوع عندي أظهر، لقوله: ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم انتهى. "ثم يكون سائر عمله على ذلك"، أي: إن انتقص فريضة من سائر الأعمال تكمل من التطوع"[1].

"ولعظم شأن نوافل الصلاة قد رغّب الله عباده فيها بأسلوب فاضل عظيم وهو الثناء الحسن على المحافظين عليها ووعدهم الجزاء الأوفى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]"[4].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا عن المتقين لله عز وجل: إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، وقوله (آخذين ما آتاهم ربهم)، قال ابن جرير: أي: عاملين بما آتاهم الله من الفرائض ...، ولما كان قيام الليل بالصلاة من أفضل النوافل بعد

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٩/١.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ – ١٨.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ – ١٧.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد مدخلي ص ١٩١.

المكتوبة لقوله ﷺ: ((وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[(١)]، كانت هذه الآيات الكريمات لتدل دلالة صريحة على فضل قيام الليل وإحيائه بنوافل الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار، التي تعتبر من أجَلّ صفات المتقين، ومن أبرز العلامات التي ترشد إلى إيمان المؤمنين، وإحسان المحسنين، كما تدل بوضوح على حسن الجزاء لهؤلاء الأبرار الذين آثروا الآجلة على العاجلة، ولذات المناجات الربانية على لذة النوم العاجلة، ولذة المتعة الحياتية الزائلة، فعلو ذلك طمعًا ورجاء فيما أعد الله لهم من كرامة في دار الكرامة، ومن إحسان وفضل في دار الإقامة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، حقًا إن هؤلاء الأتقياء تلذذوا بمناجاة خالقهم وبارئهم، لا سيما في جوف الليل الذي يتنزل فيه الرب إلى السماء الدنيا فيستجيب دعاء من دعاه، ويغفر ذنب من ذكره واستغفره، ويجيب سؤال من تضرع إليه وسأله، حتى يبرق الفجر كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَن يَدعوني فأستجيبَ له، مَن يسألني فأُعطيَه، من يَستغفِرُني فأغفِرَ له))[(٢)]"[(٣)].

فعلى الداعية أن يذكّر بفضل الله العظيم، وبكرمه العميم، الذي أعده لعباده الطائعين المحافظين على فرائضه، والمقيمين لنوافله.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا[(٤)]، و"الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهو من الأساليب الدعوية الناجحة للنفس الإنسانية التي جُبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب"[(٥)]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي ص ١٩١.

(٤) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٥) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

أربع ركعات قبل العصر وذلك لنيل رحمة الله تعالى.

رابعًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة النوافل:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث، "فهو ﷺ الذي جعله الحق تبارك وتعالى للناس كافة، الهادي والمبلغ، والسراج المنير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

فعلى المدعوين أن يترسموا خطاه، ويستضيئوا بهديه، ويقتفوا أثره، والتأسي به ﷺ - يعني التجريد والمتابعة في كل دقيق وجليل من أمور الدين، فهو ﷺ المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[2]، فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ في تزكية النفس بصنوف العبادات المفروضة والمسنونة، فإذا سهل على المدعو قيادة نفسه، كانت دعوته لغيره أسهل وأيسر"[3]، وفي ذلك عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٨ - ٦٤.

الحديث رقم (١١٢٢)

١١٢٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((رَحِمَ اللّهُ امْرءًا صَلّى قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعًا)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَديثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في صلاة أربع ركعات قبل العصر ورد في صورة دعاء حنون من الرسول ﷺ عن طريق الخبر اللفظي في قوله (رحم الله امرأ) بمعنى اللهم ارحم ويحتمل أن يكون خبرا لفظا، ومعنى، والغرض منه الإشادة به، وترغيب السامعين، وإن كان خبراً، فهو خبر صدق، وإن كان دعاءً فهو مقبول؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي للإنسان أن يتعرض لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله امرأً صلى قبل العصر) أما بعد صلاة العصر فيأتي المنع من النافلة. إذاً :جاء في فريضة العصر أنه يصلي أربعاً قبلها، وكأنه عندما يقول: (رحم الله امرأً صلى) كأنه يقول: الأمر أهون من غيره، ولكن إن شئت الرحمة، والفضل فصل أربعاً قبل العصر، ولابد أن يعلم أنها في قوة الطلب ليست كركعتي الفجر، وليست كركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها؛ لأن الطلب هنا فيه ترجيح، وترغيب من جهة التعرض لرحمة الله سبحانه، وتعالى - على ما ذكر شارح بلوغ المرام في الحديث.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠) ولفظهما سواء، وقال: حديثٌ غريبٌ حسنٌ. وصحّحه ابن خزيمة (١١٩٣)، وابن حبان (الإحسان ٢٥٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (٨٤٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٢٣)

١١٢٣ - وعن علي بن أبي طالب ﵁: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يتناول بيان سنة العصر من ناحية تحديد زمانها، وعددها في جملة قصيرة مركزة مؤدية للمعنى من طريق واضح، وهو الأسلوب الخبري الضارب في عمق الماضي ب(كان) التي تشير إلى التحقق، وسبق التحقق، والعادة الغالبة في الفعل، والفعل المضارع (يصلي) يستحضر الصورة المتجددة المستمرة منه ﷺ، والظرف (قبل) يحدد زمان هذه النافلة وقوله (ركعتين) يحدد العدد عن طريق المثنى، ويقرر السنة فيها عن طريق الفعل (يصلي) وهو ترغيب للمؤمنين بفعل الرسول ﷺ للإقتداء به في هذه النافلة.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم (١٢٧٢). وكذا قال المؤلف في المجموع (٤/٨).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٢٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢١)، (١١٢٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالدعاء:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «رَحِمَ الله امرءًا صلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا». فقد دعا النبي ﷺ لمن تطوع بأربع ركعات قبل العصر، قال ابن عثيمين: "هذه الجملة دعائية: يعني أن النبي ﷺ دعا لمن صلّى قبل العصر أربعًا، وهذا الحديث - وإن كان فيه مقال عند أهل العلم - لكنه يرجى أن ينال الإنسان الأجر إذا صلّى هذه الأربع"(١).

وقال العراقي: "يحتمل أن يكون دعاءً وأن يكون خبرًا"(٢)، وعلى توجيه أن الحديث جاء دعاءً فإنه يمكن أن نستفيد منه في مجال التربية والتهذيب، والتعليم والتوجيه، ولا سيما في مجال الترغيب في فعل الخير والمسابقة إليه، وكذلك الترهيب من فعل الشر والمبادرة إلى اجتنابه، إن المربي يمكن أن يربي أتباعه عن طريق الدعاء ويحقق نتائج طيبة جدًا، ومن أمثلة ذلك أن يقول لهم:

أ - أعان الله من أعان مسلمًا. في التربية على الإعانة والتعاون.

ب - ستر الله من ستر مسلمًا. في التربية على الستر.

ج - أحب الله من أحبّ الخير لإخوانه. في التربية على حب الخير للإخوان وإرشادهم إليه.

د - حرم الله النار على من اجتنب الكبائر.

هـ - زاد الله مال من اجتنب الربا. وجعل بينه وبينه سدًا منيعًا.

وهكذا يسير المربي في تربية أتباعه على هذا النهج.

والمتأمل في التربية بالدعاء يجد فيه فوائد تربوية مهمة منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى واستعانته وطلب عونه ومدده في جميع الأحوال والمواقف.

ب - تذكير الناشئة وغيرهم بسعة رحمة الله وعفوه وجزيل ثوابه، مما يعود عليهم

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٣٢٨/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٧٢٥/١.

بالإقبال على العمل والخشوع في أدائه، لأنهم يعاملون ربًا كريمًا عفوًا، يجزي على الحسنة بعشرة أمثالها، حتى تبلغ سبعمائة ضعف، ويضاعف لمن يشاء وهو الحكيم العليم.

ج - الدعاء من الذكر، "وذكر الله تعالى يولد الصحوة في إتقان العمل والإخلاص في التعامل في البيع والشراء وسائر المعاملات، ورعاية المصلحة العامة، والنظر إلى الحقوق والواجبات وعدم التجاوز عليها، والرفق بالناس وعدم غمطهم حقوقهم ومعاونتهم ومواساتهم بالقول والعمل، والذب عن العرض والمال والوطن جهادًا في سبيل الله وابتغاء مرضاته"[1].

والمقصود أن المربي يستخدم الدعاء ليربي أتباعه على فعل الخير والمبادرة إليه، حتى يكونوا من الذين قال عنهم ابن القيم: "استغشوا الهوى فخالفوه، واستنصحوا العقل فشاوروه، وفرَّغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له، وجوارحهم للعمل بما أُمِروا به، وأوقاتهم لعمارتها بما يعمر منازلهم في الآخرة، واستظهروا على سرعة الأجل بالمبادرة إلى الأعمال، وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها، واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها، واهتموا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه، وتزوّدوا للآخرة على قدر مقامهم فيها، فعجّل لهم سبحانه من نعيم الجنة أن آنسهم بنفسه، وأقبل بقلوبهم إليه وجمعها على محبته، وشوقهم إلى لقائه، ونعمهم بقربه، وفرّغ قلوبهم مما ملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا والهم والحزن على فوْتها والغمّ من خوف ذهابها، فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانهم والملأ الأعلى بأرواحهم"[2].

ثانيًا: التربية على معايشة الصالحين وأهل الصلاح:

هذا مستمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ يصلِّي قبلَ العصرِ أربَع ركعاتٍ يفصلُ بينهنَّ بالتسليمِ على الملائكةِ المقربينَ ومن تَبِعهمْ من المسلمينَ والمؤمنينَ». فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم على صفوة خلق الله من الملائكة المقربين، ومن

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ١١٥.

(٢) الفوائد ٢٧٥.

تبعهم من المسلمين والمؤمنين، والسلام من المعايشة، فمن خصّ فلانًا بالسلام كان عارفًا بفضله ومكانته، وكان مستحضرًا لذلك وقت السلام[1]، وهذا هو خلاصة المعايشة، فليس مقصودًا بها معايشة الأبدان ورؤية الأعيان فقط، وإنما يقصد بها كذلك المعايشة باستحضار الصالحين وأفعالهم وأخلاقهم ولو لم يكن هناك رؤية بالعين، كما هو الحال في السلام على الملائكة فنحن لا نراهم، ولكن نعرف مدى عبادتهم ربهم وخوفهم وخشيتهم منه سبحانه وتعالى، ونقصد من السلام عليهم من ضمن ما نقصد، تقديرهم وإنزالهم منزلتهم التي استحقوها لعبادتهم ربهم عز وجل، ومن ثم الاقتداء بهم قدر الطاقة البشرية، ثم عطفنا بالسلام على من تبع الملائكة في الانقياد والطاعة والإذعان من عباد الله المسلمين والمؤمنين، والقاسم المشترك بين هؤلاء الثلاثة: الملائكة والمسلمين والمؤمنين، هو عبادة الله وحده والإخلاص في ذلك، فالسلام عليهم استحضار لذلك ومحاولة لأن يلحق بهم والدخول في زمرتهم، وذلك وفق ما تسمح به الطبيعة البشرية، لذا فإنه على المربي أن يعمل على أن يعايش مَن يقوم بتربيتهم أهل الصلاح والصالحين من العباد والعلماء الربانيين، سواء معايشة مباشرة عن طريق المعايشة الحياتية أو عن طريق القصّ والذكر والقراءة والسماع، ونحو ذلك، وهذا من أهم طرق المعايشة.

"فإن مطالعة سير الأبطال والمصلحين والنابغين وقراءة تراجمهم المحررة بأقلام تشرح نواحي العظمة فيهم وتصف آثارهم وتبين ما اختصّ به عظماء الرجال من تقدير وتمجيد كل ذلك مما يبعث الهمة ويوقظ العزيمة، ذلك أن حياة أولئك تتمثل أمام القارئ، وتوحي إليه بالاقتداء بهم، والسير على منوالهم، ولم تخل أمة من أبطال لا يقرأ القارئ ترجمة حياتهم إلا ويشعر بأن روحًا جديدًا دبّ فيه، وحرّكه للإتيان بعظائم الأمور، وجلائل الأعمال.

وكثيرًا ما دفع الناس إلى العمل الجليل حكاية قرؤوها عن رجل عظيم أو حادثة

---

(١) سواء قصد بالسلام الذي في الحديث التشهد، أو قصد به التسليم للخروج من الصلاة، انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٧٢٥/١.

رويت عنه، وأمتنا الإسلامية -بحمد الله- غنية بالأبطال في شتى الميادين"[١].

والخلاصة أن على المربين أن يكثروا من رواية قصص الصالحين وأصحاب الهمم العالية حتى يدفعوا أتباعهم إلى الاقتداء بهم، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.



(١) انظر: الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد، ٢٠٣ ومرجعه.

٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تقدم في هذه الأبواب حديثُ ابن عمر[١] وحديث عائشة[٢]، وهما صحيحان: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصلِّي بَعدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ.

الحديث رقم (١١٢٤)

١١٢٤- وعن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**صَلُّوا قَبْلَ[٣] المَغْرِبِ**)) قال في الثَّالِثَةِ: ((**لِمَنْ شَاءَ**)) رواه البُخَارِيُّ[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز يقرر سنة المغرب القبلية، وقد جاء المعنى في أسلوب إنشائي صدر على جهة الاستعلاء من حيث دلالة الأمر، وقوله ﷺ (صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ) أمر توجيه، وإرشاد لما فيه الثواب من الله تعالى كما أن فيه إعدادا للنفس، وتهيئة لها قبل الدخول إلى الفرض بتفريغ القلب بعد تفريغ الجوارح فكثير من المصلين يقف بين يدي الله فارغ الجوارح لكنه مشحون القلب بكل ما ترك خارج المسجد، فقد يكون بين مصل، ومصل من الأجر ما بين السماء، والأرض مع أنهما في صف واحد في وقت واحد، ولكن شتان بين قلب، وقلب، وتكرار الرسول ﷺ الأمر الذي حكاه الراوي يشير إلى أهمية هذه الصلاة، وتصعيد للأمر، وقوله (لمن شاء) احتراس من الظن بوجوبها، وقيل: كراهية أن يتخذها الناس سنة، ومعنى سنة طريقة لازمة يواظبون عليها.

---

(١) تقدم برقم (١٠٩٨).

(٢) تقدم برقم (١١١٥).

(٣) عند البخاري زيادة: (صلاة).

(٤) برقم (١١٨٣).

فقه الحديث

قال النووي: (وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب، وفي المسألة وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحبّ، وأصحهما عند المحققين: يستحبّ لهذه الأحاديث. وفي المسألة مذهبان للسلف واستحبهما جماعة من الصحابة والتابعين من المتأخرين أحمد وإسحاق. ولم يستحبهما أبو حجر وعمر وعثمان وعلي وآخرون من الصحابة، ومالك وأكثر الفقهاء. وقال النخعي: هي بدعة. وحجة هؤلاء أن استحبابهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها قليلاً وزعم بعضهم في جواب هذه الأحاديث أنها منسوخة. والمختار استحبابهما لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة. وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ: ((صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب. قال في الثالثة: لمن شاء))[1].

وأما قولهم يؤدي إلى تأخير المغرب فهذا خيال منابذ للسنة، فلا يلتفت إليه، ومع هذا فهو زمن يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها. وأما من زعم النسخ فهو مجازف، لأن النسخ لا يصار إليه، إذا عجزنا عن التأويل، والجمع بين الأحاديث، وعلمنا التاريخ، وليس هنا شيء من ذلك، والله أعلم[2].

وقال ابن حجر: (ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر)[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتكرار.

---

(١) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٠٧ - ١٠٨ ، وانظر المجموع ٣/٣٤٧ - ٣٤٨ . وانظر كذلك المغني ٢/٥٤٦ - ٥٤٧ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١/٤٤٥، والقوانين الفقهية ص ٣٦، والكافي لابن عبدالبر ص ٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٠٩ .

(٤) هذه المضامين الدعوية خاصة بأحاديث الباب حتى الحديث رقم (١١٢٧).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب وإقرار النبي ﷺ لذلك.

خامسًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في الحرص على صلاة ركعتين قبل المغرب.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

سابعًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر والتكرار:

قد ورد أسلوب الأمر في الحديث من قوله ﷺ: (صلوا)، والأمر من الأساليب الدعوية، التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وإرشاده إلى فعل ما يجب عليه من أمور دينية ودنيوية، بما يحقق له الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، أما التكرار فبه لفت الانتباه والحث على أهمية الأمر المدعو إليه، ((وقد كان رسول الله ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ))[1]، وهذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: (قال في الثالثة). حيث أفاد التكرار الحث على صلاة النافلة قبل المغرب.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول الراوي: إن النبي ﷺ قال ثلاثًا: (صلوا قبل المغرب)، وزاد أبو داود في روايته: ((صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ))[2].

قال النووي: (وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب، وقال في قول من قال إن فعلهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة، ومع ذلك فزمنها يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها)[3]، وقال ابن حجر:

---

(١) أحرجه البخاري ٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٨١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٤٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٢.

(ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر، قيل: والحكمة في الندب إليهما رجاء إجابة الدعاء، لأن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد)[1].

وقد أكد النبي ﷺ في حثه على ذلك فقال: ((بَينَ كلِّ أذانَينِ صلاة، بينَ كلِّ أذانَينِ صلاة - ثم قال في الثالثة:- لِمنْ شاء))[2]، قال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (بين كل أذانين)، أي: أذان وإقامة..، ولا مانع من حمل قوله: (أذانين) على ظاهره لأنه يكون التقدير بين كل أذانين صلاة نافلة غير المفروضة"[3]، وفي ذلك بيان على حثه ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب بين الأذان والإقامة.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل:

هذا ما يظهر جليًا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نصلي على عهد رسول الله ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل المغرب، فقيل: أكان رسول الله ﷺ صلاهما؟ قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا"، وفي حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ)) قال في الثالثة: ((لِمَنْ شَاءَ)) وفي ذلك قال عبدالله المزني: ((أتيتُ عُقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنيَّ فقلتُ: ألا أُعَجِّبُك من أبي تَميم، يَركَعُ رَكعتَينِ قبلَ صَلاةِ المغربِ. فقال عُقبةُ: إنّا كنّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللّهِ ﷺ، قلتُ: فما يَمنعُكَ الآنَ؟ قال: الشغلُ))[4]، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها في بيانها لهدي النبي ﷺ في قيام الليل أنها قالت: ((إن النبي ﷺ كان يصلي سَبعٌ وتسعٌ وإحدى عشرةَ، سوى رَكعتيِ الفجرِ))[5]، وقالت: ((كانت صلاةُ النبيِّ ﷺ ثلاثَ عشرة ركعةً يعني بالليل))[6]، قال القاضي عياض: "يحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب، وباقي رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادرًا في بعض الأوقات..، وذلك بحسب ما كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٢٤ - ٦٢٧، ومسلم ٨٣٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٦ - ١٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ١١٨٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ١١٣٨.

يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءته..، أو طول نومه أو لعذر من مرض أو كبر سن، كما قالت: ((فَلَمَّا سَنَّ نَبِيُّ اللَّهِ، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ، أَوْتَرَ بِسَبْعٍ...، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى من النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[1][2].

وعن أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي رضي الله عنه أنه قال: ((آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تأْكُلَ. قال: فأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلَّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ))[3].

وفي ذلك بيان على يسر الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل، "وقد خص الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر، لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعًا، ورسالةٌ هذا شأنها من العموم والخلود، لا بد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور، وشتى البقاع، وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة، وفي العبادات خاصة، فقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[4]"[5].

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب وإقرار النبي ﷺ لذلك

هذا ما أشار إليه الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨١/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩.

(٥) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل السيوري ص ٨٩.

يبتدرون السواري عند المغرب)، وقوله: (كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب، ابتدروا السواري، فركعوا ركعتين.. إلخ)، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "في قوله ﷺ (يبتدرون)، أي: يستبقون. و(السواري)، جمع سارية"[١]، وهي الأسطوانة"[٢].

قال ابن القيم: "وأما الركعتان قبل المغرب، فإنه لم يُنقل عنه ﷺ أنه كان يُصليهما، وصح عنه أنه أَقرَّ أصحابه عليهما، وكان يراهم يصلونهما، فلم يأمرهم ولم ينههم، وفي «الصحيحين» عن عبد الله المُزني، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ)). قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ كَرَاهَةَ أن يتخذها الناسُ سنة))[٣]. وهذا هو الصوابُ في هاتين الركعتين، أنهما مُسْتَحبَّتَانِ مندوبٌ إليهما، وليستا بسنة راتبة كسائر السنن الرواتب"[٤].

قال المروزي: "وقد روي عن جماعة من الصحابة ﷺ أنهم كانوا يصلون قبل المغرب ركعتين وثبت عن النبي ﷺ أنه أذن في ذلك لمن أراد أن يصلي وفعل على عهده بحضرته ﷺ فلم ينه عنه، فعن المختار بن فُلفُل قال: سألت أنس بن مالك ﷺ قلت: هل من صلاة بعد العصر؟ قال: لا، حتى تغيب الشمس. قلت: فإذا غابت قال: ركعتين. قلت: قبل الصلاة؟ قال: نعم. قلت: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قلت: فهل رآكم تصلونهما؟ قال: نعم. قلت: أكان أمركم بهما؟ قال: لا. ولا نهانا عنهما، كان إذا أذن المؤذن قام أحدنا فصلى ركعتين.

وعن ثابت عن أنس ﷺ: كان أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري إذا أذن المؤذن لصلاة المغرب يصلون الركعتين قبل المغرب.

وعن ثابت عن أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يخرج إلينا بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب فيرانا نصلي فلا ينهانا ولا يأمرنا.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٧/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٢/١.

وفي رواية: إن كان المؤذن ليؤذن فيتبادر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ السواري فيصلون ركعتين، فما يعاب ذلك عليهم.

وفي أخرى: ثم إذا صليت العصر فلا تصل حتى تغرب الشمس. فإذا غربت الشمس فصل ركعتين. فإن أصحاب رسول الله ﷺ كذلك كانوا يفعلون.

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كنا نركعهما إذا (زاحمنا)[1] بين الأذان والإقامة في المغرب.

وعن زر: قدمت المدينة فلزمت عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبي بن كعب رضي الله عنه فكانا يصليان ركعتين قبل صلاة المغرب لا يدعان ذلك.

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى: أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يصلون عند كل تأذين.

وعن رغبان مولى حبيب بن سلمة، قال: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يهبون إليهما كما يهبون إلى المكتوبة يعني الركعتين قبل المغرب.

وعن راشد بن يسار: أشهد على خمسة ممن بايع تحت الشجرة أنهم كانوا يصلون ركعتين قبل المغرب.

وعن خالد بن معدان أنه كان يركع ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب لم يدعهما حتى لقي الله. وكان يقول: إن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يركعهما ويقول: لا أدعهما وإن ضربت بالسياط.

وقال عبدالله بن عمرو الثقفي: رأيت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يصلي ركعتين قبل المغرب.

وعن يحيى بن سعيد أنه صحب أنس بن مالك رضي الله عنه إلى الشام فلم يكن يترك ركعتين عند كل أذان.

وسئل سعيد بن المسيب عن الركعتين قبل المغرب. فقال: ما رأيت فقيهًا يصليهما ليس سعد بن مالك.

---

(١) زاحمنا: أي: غالبنا بسبب الاجتماع لصلاة المغرب في المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، جاء ذلك في حاشية كتاب: مختصر قيام الليل، مؤسسة الرسالة ص ٧٣.

وفي رواية: كان المهاجرون لا يركعون الركعتين قبل المغرب وكانت الأنصار يركعونهما. وكان أنس رضي الله عنه يركعهما.

وعن مجاهد قالت الأنصار: لا نسمع أذانًا إلا قمنا فصلينا.

سئل قتادة عن الركعتين قبل المغرب فقال: كان أبو برزة رضي الله عنه يصليهما.

وسأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: من الذين يحافظون على ركعتين الضحى؟ فقال: وأنتم تحافظون على الركعتين قبل المغرب. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نحدث أن أبواب السماء تفتح عند كل أذان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: صلاة الأوابين ما بين الأذان وإقامة المغرب"[1].

وقد ورد قول، إن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يصلون ركعتين قبل صلاة المغرب، وفي بيان ذلك قال المروزي: "قال النخعي: كان بالكوفة من خيار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وأبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وعمار بن ياسر رضي الله عنه، والبراء بن عازب رضي الله عنه فأخبرني من رمقهم كلهم فما رأى أحدًا منهم يصليهما قبل المغرب.

وفي رواية: أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانوا لا يصلون الركعتين قبل المغرب.

وقيل لإبراهيم أن ابن الهذيل كان يصلي قبل المغرب ركعتين. فقال: إن ذاك لا يعلم.

قال محمد بن نصر: ليس في حكاية هذا الذي روى عنه إبراهيم أنه رمقهم. فلم يرهم يصلونهما دليل على كراهتهم لها. إنما تركوهما لأن تركهما كان مباحًا. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لم يرو عنه أنه ركعهما غير أنه رغب فيهما. وكان ترغيبه فيهما أكثر من فعله لو فعلهما من غير أن يرغب فيهما، وقد يجوز أن يكون أولئك الذين حكى عنهم من حكى أنه رمقهم فلم يرهم يصلونهما، قد صلوهما في غير الوقت الذي رمقهم هذا. ويجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد ركعهما في بيته حيث لم يره الناس لأن أكثر تطوعه كان في منزله.

---

(١) انظر: مختصر قيام الليل، محمد نصر المروزي، باختصار على المقريزي ص ٧١ - ٧٥.

وكذلك الذين رمقوا بعد النبي ﷺ يجوز أن يكونوا قد صلوا في بيوتهم ولذلك لم يرهم الذي رمقهم يصلونهما. فإن كثيرًا من العلماء كانوا لا يتطوعون في المسجد.

عن زيد بن وهب قال: لما أذن المؤذن للمغرب قام رجل فصلى ركعتين وجعل يلتفت في صلاته. فعلاه عمر رضي الله عنه بالدرة فلما قضى الصلاة قال: يا أمير المؤمنين نعم ما كسوت. قال: رأيتك تلتفت في صلاتك ولم يعب الركعتين"[1].

وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب.

خامسًا – من آداب المدعو: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في الحرص على صلاة ركعتين قبل المغرب:

هذا ما يستفاد جليًا من الأحاديث في قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب)، وفي الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم متأسّيًا فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، وأقومها هَدْيًا، وأحسنها حالاً؛ اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم)[2].

وقال رضي الله عنه: ((إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالاتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ عَنْ دِينِهِ، فما رَآه المسلمونَ حَسَنًا فهو عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وما رَآهُ المسْلِمونَ سَيِّئًا فهوَ عِنْدَ اللهِ سيِّءٌ))[3].

فالصحابة رضي الله عنهم هم صدر الإسلام وعصابة الإيمان وعسكر القرآن، وجند الرحمن، ألين الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا وأحسنها بيانًا، وأصدقها

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١٠، وقال محققو الجامع: إسناده ضعيف، والأثر لا بأس به.

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/١، رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن. ٨٤/٦

إيمانًا، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة[(١)]، فعلى المدعو أن يقتدي بهم ويستنَّ بسنتهم، وهذا ما أمر به النبي ﷺ فقال: ((فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[(٢)]، وقد بين النووي: "أن في النوافل ارتياضًا للنفس، وتنشيطًا وتفريغًا للقلب لأداء الفرائض"[(٣)]، فعلى المدعو أن يقتدي بأصحاب رسول الله ﷺ في حرصهم على صلاة ركعتين قبل المغرب لما في ذلك من كامل الفضل والثواب.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأذان

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن)، والأذان من أهم أساليب الدعوة إلى الله، وهذا ما بينه القرطبي في قوله: "واعلم أن الأذان على قلة ألفاظه مشتملٌ على مسائل العقيدة؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بدأ بالأكبرية؛ وهي تتضمن وجود الله تعالى ووجوبه وكماله، ثم ثنّى بالتوحيد ثم ثلّث برسالة رسوله، ثم ناداهم لما أراد من طاعته، ثم ضمن ذلك بالفلاح؛ وهو البقاء الدائم، فأشعر بأن ثمّ جزاء، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا"[(٤)]، وبذلك تتحقق الدعوة إلى الله وتنفذ إلى كافة المدعوين (مسلمين وغير مسلمين) وفي ذلك عظيم الفائدة وكمال الأجر.

سابعًا - من ميادين الدعوة: المسجد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري)، ويبتدرون: أي: يستبقون"[(٥)] والسواري: أساطين المسجد[(٦)]، وأيضًا في قوله رضي الله عنه: (حتى إن الرجل ليدخل المسجد...)، ويُعدُّ المسجد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض وذلك لترددهم المستمر عليه، ولقائهم بالبعض

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٤.

(٤) المفهم ١٤/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٧/٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

فيه. وقد عظم الله تعالى مكانته ورفع من شأنه في آيات كثيرة"[١].

فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[٣]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا. وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا))[٤]، "فالمسجد قلعة الإيمان، وحصن الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم؛ فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات، ومحل تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها...، فضلاً عن كونه الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خلقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين، فالمسجد في صورته الاجتماعية، وارتباط المسلمين به، مركز إشعاع وتوجيه وتربية لهم"[٥]، فهو من أهم الميادين الدعوية إلى الله.

---

(١) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان ص ١٢.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٦٧١.

(٥) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، جمع وتحقيق: عبدالله بن جار الله ص ١٩ - ٢٠.

الحديث رقم (١١٢٥)

١١٢٥- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: لَقَدْ رَأيْتُ كِبَارَ أصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يبتدرون: يستبقون ويتسارعون[٢].

السواري: جمع السارية، وهي الأسطوانة، أو العمود[٣].

والمراد بقوله: ((يبتدرون السواري)): التسابق والمسارعة إلى أداء سنة المغرب باتخاذ الأسطوانة ساترًا للصلاة[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في فضل سنة المغرب يحكي فيه أنس رضي الله عنه الخبر عن كبار الصحابة وقوله رأيت يشير إلى قوة الخبر، وصدقه، وذكر لفظ كبار يشير إلى أهل الرأي الذين لا يرد فعلهم، ولا يشك فيه، وإضافة لفظ كبار للصحابة يشير إلى أنه سنة؛ لأنهم أجمعوا على الفعل، ولذلك جمع لفظ كبار، وأصحاب، وكلها أمور توثق الخبر، وتؤكده عند المخاطب، وقوله (يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ) كناية عن شروعهم في صلاة النافلة القبلية للمغرب، ولفظ يبتدرون يوحي بالتسابق، ويشير إلى روح المنافسة في أمور الآخرة التي كانت تشتعل في نفوس القوم.

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) برقم (٥٠٣)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٨٣٧/٣٠٣.

(٢) المعجم الوسيط في (ب د ر).

(٣) المعجم الوسيط في (س ر ي).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي حديث رقم ٨٣٧ – ص ٥٥٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٢٧/٢.

(٥) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

الحديث رقم (١١٢٦)

١١٢٦- وعنه، قَالَ: كُنَّا نصلِّي عَلَى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ[1] المَغْرِبِ، فَقِيلَ: أكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا)يشير إلى أنهم كانوا جماعة، وأن الفعل سابق لزمن الحديث، وأنه ثابت محقق، وقوله (على عهد) العهد الميثاق، والتعبير به يشير إلى قوة الصلة التي جمعتهم فيه، والمقصود زمن النبي ﷺ وهو الزمن المعلم لكل الأزمان، وأحداثه التي فعلها الرسول ﷺ، أو أقرها سنن لبقية العصور في طريق الخير وقوله (رَكْعَتَيْنِ) يحدد عدد هذه النافلة، وقوله (بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ) يحدد زمانها تحديدا دقيقا، والطباق بين الظرفين (بعد - قبل) والجناس بين غروب، والمغرب يجذب السمع، ويزيد المعنى وضوحاً، وقولهم (أكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت وقول الراوي (كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا) يقرر أولا: أنه لم يره يصليها، وثانيا أنه أقرَّهم على فعلها يدل على ذلك الطباق بين الفعلين المنفيين (فلم يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا) وبذلك تصير سنة لأنه أقرهم عليها.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند مسلم زيادة: (صلاة).

(٢) برقم (٣٠٢/٨٣٦).

(٣) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

الحديث رقم (١١٢٧)

١١٢٧- وعنه، قَالَ: كُنَّا بِالمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ المَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ المَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أنَّ الصَّلاَةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ابتدروا السواري: سارعوا إلى أعمدة المسجد لأداء سنة المغرب[2].

الشرح الأدبي

قول أنس رضي الله عنه (كنا بالمدينة) تعريف المدينة بـ(ال) التي للعهد إشارة إلى مدينة الرسول ﷺ، وأسلوب الشرط (فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ المَغْرِبِ) يشير إلى اعتيادهم على الفعل المنصوص عليه في جواب الشرط المتصل بفعل الشرط من ناحية التحقق أو عدمه، وبين قوله أذن، والمؤذن جناس يحقق جرسا يجذب السمع، ويؤكد المعنى، وقوله (ابتدروا السواري) كناية عن التهيؤ والشروع في الصلاة، والتعبير بالابتدار يشير إلى المسارعة، والتسابق الذي يشي بروح المنافسة السائدة بينهم للتنافس في الصالحات، وقوله (فركعوا ركعتين) جناس يؤكد المعنى والتعبير عن صلاة النافلة بالركوع من المجاز بالتعبير بالجزء عن الكل بيانا لشرفه، وإشارة إلى الغاية من الصلاة، وهي تحقيق الخضوع، والذل الذي يتمثل في انحناء القامة، والذي يصوره الركوع، وبين قوله (صُلِّيَتْ)، وبين (يُصَلِّيهِمَا) جناس يؤكد المعنى بتوفر الصحابة على صلاتها الأمر الذي يجعل الغريب يعتقد أنهم أنهوا صلاتهم، وهو مبالغة في كثرة من يصليها.

---

(١) برقم (٣٠٣/٨٣٧).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٥٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٧.

فِيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاةٌ)) متفق عَلَيْهِ. كما سبق (ينظر شرح الحديث: (١١٠١).

فِيهِ حَديث ابن عمر السابق ((٤)) أنه صَلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ.

المضامين الدعوية[1]

(١) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من مهام المربي: الدلالة على فعل الخير:

هذا مستمد من حديثين من أحاديث الباب: الأول: قول عبدالله بن مغفَّل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ». وقال في الثالثة: «لِمَنْ شَاءَ» ولفظ أبي داود: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ»[1]. فقد دل ﷺ أصحابه على صلاة ركعتين قبل المغرب، مع أنه ﷺ لم يصلهما، كما هو ظاهر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا. فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا»، فدل ذلك على أنه ﷺ دلهم على الخير ولو لم يفعله ﷺ لأي سبب من الأسباب.

ولعل في الحديث الذي أخرجه البخاري بإسناده عن مرثد بن عبدالله اليزني قال: «أتيتُ عُقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنيَّ فقلتُ: ألا أُعَجِّبُك من أبي تَميم (تابعي كبير)، يَركَعُ رَكعتَينِ قبلَ صَلاةِ المغربِ. فقال عُقبةَ: إنّا كنّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللّهِ ﷺ، قلتُ: فما يَمنعُكَ الآنَ؟ قال: الشغلُ»[2]. لعل في هذا الحديث ما يوضح المقصود، وهو أن النبي ﷺ دل أصحابه على السنة القبلية لصلاة المغرب مع أنه ﷺ لم يفعلها.

إذن نخلص من هذا إلى أنه يمكن الاستفادة من هذه الأحاديث في مجال التربية والتوجيه في أهمية قيام المربي بالدلالة على الخير وإن لم يفعله لأي سبب من الأسباب، فهذا لا يمنع من دلالة الآخرين على ما ينفعهم، وذلك لما في الفائدة التي تعود عليهم من وراء ذلك، وهذا يعرض كثيرًا لأصحاب الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المربين، فلا يجدون كثيرًا من الوقت لفعل الخير بجميع أنواعه، فلا يكون أمامهم بدٌّ من فعل الأهم فالأهم والأفضل بالأفضل، ودلالة غيرهم على الخير، فإن الناس تختلف قدراتهم واستعدادهم، فما يناسب بعضهم، قد لا يناسب البعض الآخر، فقد يبرع بعضهم فيما لا يبرع فيه الآخر.

---

(١) سنن أبي داود، ١٢٨١.

(٢) أخرجه البخاري، ١١٨٤.

وقد تحدث ابن القيم عن علمين من أعلام صحابة رسول الله ﷺ، وعن براعة أحدهما فيما لم يبرع فيه الآخر، مع أن كليهما أفاد الأمة إفادة عظيمة، قال ابن القيم: "هذا عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. مقدار ما سمعه من النبي ﷺ لا يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت ورأيت» وسمع الكثيرَ من الصحابة، وبورك له في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا، قال أبو محمد بن حزم: وجمعت فتواه في سبعة أسفار كبار، وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمعوا ما سمع، وحفظوا القرآن كما حفظه، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

وأين تقع فتاوى ابن عباس، وتفسيره، واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه؛ بل هو حافظ الأمة على الإطلاق: يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسًا؛ فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه. وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه، والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها واستخراج كنوزها"[2].

ثانيًا: التربية بذكر افعال اهل الفضل والأعلام، وسيرتهم:

وهذا مستمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «رَأَيْت كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ»، فلا شك أن ذكر أنس لكبار الصحابة كان لغرض، وهو بيان أن أعلام الصحابة كانوا يفعلون ذلك، ومن ثمَّ كان أدعى للاقتداء بهم في فعلهم هذا، وعلى ذلك يمكن الاستفادة من هذا الحديث في المجال التربوي بأنه من طرق التربية، ذِكْرُ أفعالِ أهل الفضل من الناس - كالصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٣٢٤/٢، ٣٢٥، مجموعة الحديث المعروف بـ "مجموعة الحديث النجدية".

سار على نهجهم وعلماء المسلمين ممن بزّوا غيرهم في مجالاتهم -لأن الأبصار معلقة بهم، تراقبهم وتلاحظهم وتحسن التربية على منهاجهم حتى يفاد منهم ومن مآثرهم، ولذلك تجد كتب التربية ملأى بقصص الأعلام وكفاحهم وجهادهم في الوصول إلى ما يريدون من مجد وسؤدد، ولذا كان على المربين أن يكثروا من هذا، فإن من الأمور المفيدة جدًا أن يستفيد المربي من كتب التراجم، فإن فيها قدرًا هائلاً من القصص الحقيقية الغنية بكل ما نحتاج إليه في تربية الطفل، وخاصة غزوات الرسول ﷺ وتراجم الصحابة رضي الله عنهم والأبطال القادة، "وقد كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم يجعلون من غزوات الرسول ﷺ وسراياه مادة عظيمة لتربية أطفالهم، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا وسراياه، ويقول يابني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها، وعن علي بن الحسين يقول: "كنا نعلّم مغازى النبي ﷺ وسراياه، كما نعلم السورة من القرآن"[1].

ثالثًا: التربية بالممارسة:

وهذا مستمد من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: « كنَّا بالمدينَة فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسِبُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا »، فقد بيّن الصحابة رضي الله عنهم مدى حرصهم على تأدية ركعتين قبل صلاة المغرب، بالفعل لا بالقول، حتى يظنّ الغريب الداخل أن صلاة المغرب قد أديت، وذلك من كثرة الصحابة الذين يصلُّون السنة القبلية. وهذا قد يستفاد منه أن ينبغي التربية بالممارسة، وأنها قد تكون أدعى إلى أن تكون أشد تأثيرًا وأسرع استجابة، ولعلنا نضرب مثالاً يوضح ذلك، فمن المعلوم تاريخيًا أن أندونيسيا لم يدخلها جيش إسلامي ينقذ أهلها من الضلال، وينقلهم إلى النور، ومع أنها أكبر بلد مسلم من حيث عدد المسلمين، والذي حوّل أهلها إلى الإسلام واعتناقه، هو مما رأوه من نماذج من المسلمين يمارسون الإسلام وما يحمله من قيم وفضائل وآداب معهم، لقد دخل أندونيسيا تجار مسلمون عاملوا أهلها وفق آداب الإسلام وفضائله، فعرفوا أنه الدين الحق، فدخلوا فيه أفواجًا.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، ٤٥، ٤٦ ومصدره.

وهكذا ينبغي أن يكون المربون حريصين على التطبيق والممارسة العملية لأن ذلك أبلغ أثرًا في النفوس، مما يكون باعثًا على الالتزام والإفادة من هذا النمط التربوي، لأن "الدليل بالفعل - كما يقول ابن الجوزي- : أرشد من الدليل بالقول"[1].



(١) صيد الخواطر، ٢١٨.

٢٠٢- باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فِيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ[١].

وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: ((بَيْنَ كُلِّ اَذَانَيْنِ صَلاةٌ)) متفق عَلَيْهِ[٢]. كما سبق.

فقه الباب

قال النووي: (يستحب أن يصلي قبل العشاء الآخرة ركعتين فصاعدًا لحديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة، قال في الثالثة: لمن يشاء" والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة باتفاق العلماء)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) تقدم برقم (١١٠٠).

(٢) تقدم برقم (١١٠١).

(٣) المجموع ٣/٣٤٨ .

(٤) تقدم شرحها مدمجة في الحديث برقم (١٠٩٩).

٢٠٣- باب سنة الجمعة

فِيهِ حَدِيث ابن عمر السابق، أنَّه صلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الحديث رقم (١١٢٨)

١١٢٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أرْبعًا**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول الترغيب في السنة البعدية لصلاة لجمعة جاء في أسلوب شرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، والتعبير بالماضي يشير إلى تمام الفعل، وتحققه واستخدام (إذا) يشير إلى وقوع الشرط، لأن الذي يصلي الجمعة يرجى أن يصلي الأربع بعدها وقوله أحدكم يشمل الجميع بمظلة الحكم، وقوله (الجمعة) فيها إيجاز بحذف المضاف أي: صلاة الجمعة، وقوله (فليصل) الفاء واقعة في جواب الشرط، والفعل (ليصل) أمر للنصح، والإرشاد، والظرف (بعد) يحدد وقت النافلة، والعدد (أربعا) حدد عددها، والحديث ترغيب في أداء سنة الجمعة بعدها بنافلة يتم بها ما انتقص من الفريضة التي تكفر من الخطايا ما بينها، وبين الجمعة السابقة لها.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث[٣] على ما يأتي:

---

(١) تقدم برقم (١١٠٠).

(٢) برقم (٦٧/٨٨١).

(٣) أي أحاديث الباب.

١- استحباب سنة الجمعة بعدها، والحث عليها[1]، وإن كان الفقهاء قد اختلفوا في عددها، تبعًا لاختلاف الروايات الواردة في ذلك، فقيل: ركعتان، وقيل: أربعًا، وقيل: ستًا[2].

والأفضل القول بالتخيير بينا حسب ما يستطيعه الشخص، ويقدر عليه.

٢ - مكان تأدية سنة الجمعة: ذهب جمهور الفقهاء[3] إلى أنها تصلى في المسجد بينما ذهب المالكية[4] إلى أنها تصلى في البيت اقتداءً بفعله ﷺ.

المضامين الدعوية[5]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجمعة وبيان هدي النبي ﷺ في الصلاة بعدها.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الحرص على صلاة سنة الجمعة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

الشرط من الأساليب الدعوية التي يكون بها استحضار أذهان المدعوين، ولفت انتباههم لمعرفة جواب الشرط، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط في قوله ﷺ: (إذا)، وعلى فعل الشرط في قوله: (صلى أحدكم الجمعة)، وعلى جواب الشرط في قوله: (فليصل بعدها أربعا)، أما الأمر فهو من الأساليب الدعوية المهمة التي

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٦/٦.

(٢) منار السبيل ١٤٤/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٢/٢، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٧٠/٢، مغني المحتاج ٢٢٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١٠.

(٣) المبسوط ١٥٧/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، المجموع ٥٠٣/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٤١/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٠٥/٢، المغني، ابن قدامة ١٠٩/٢.

(٤) المنتقى شرح الموطأ ٢٩٧/١، مواهب الجليل ٩٧/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٢٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٩).

يستعين بها الداعية في حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك من خير عظيم وأجر كبير، وقد ورد أسلوب الأمر في الحديث من قوله ﷺ: (فليصل).

وذلك الأمر على سبيل الإرشاد والاستحباب، إذ أن الأمر يأتي مشتملاً على صيغة يطلب بها على وجه التكليف والإلزام كقول الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(1)، وقد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والإباحة، وغير ذلك من المعاني (2)، ومنها ما جاء في الحديث: "إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجمعة وبيان هدي النبي ﷺ في الصلاة بعدها:

هذا ما يستفاد من سياق الحديثين الشريفين الواردين، والجمعة فرض عين على الرجال؛ لقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾(3)، ولقوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَو لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ))(4)، قال النووي: "فيه أن الجمعة فرض عين"(5)، وقال ﷺ: ((الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إلاَّ أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَوْ امْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ أَوْ مَرِيضٌ))(6)"(7).

وقد حثّ النبي ﷺ على أداء صلاة الجمعة ورغّب في ذلك؛ لعظم شأنها وعلو

---

(1) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(2) انظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ص ٢١٣ - ٢١٤.

(3) سورة الجمعة، آية: ٩.

(4) أخرجه النسائي ١٣٧١، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٢٩٩).

(5) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٥.

(6) أخرجه مسلم ٨٥٦.

(7) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء ص ٩٢.

قدرها، فقال: ((مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا))(١).

قال صاحب عون المعبود: "وقوله ﷺ: (ثم بكر): بالتشديد على المشهور، قال النووي: أي راح في أول وقت (وابتكر): أي أدرك أول الخطبة، ورجحه العراقي في شرح الترمذي، وقيل: كرره للتأكيد، وبه جزم ابن العربي في عارضة الأحوذي. قال ابن الأثير(٢): بكر أتى الصلاة في أول وقتها، وكل من أسرع إلى شيء فقد بكر إليه، وأما ابتكر فمعناه أدرك أول الخطبة، وأول كل شيء باكورته، و ابتكر الرجل: إذا أكل باكورة الفواكه، وقيل: معنى اللفظين واحد، فعل وافتعل، وإنما كرر للمبالغة والتوكيد، كما قالوا جادّ مُجِدّ. انتهى. (ومشى ولم يركب): قال الخطابي: معناهما واحد، وإنه للتأكيد وهو قول الأثرم صاحب أحمد. انتهى (ولم يلغ): من لغا يلغو لغوًا معناه: استمع الخطبة ولم يشتغل بغيرها. قال النووي: معناه لم يتكلم، لأن الكلام حال الخطبة لغو (كان له بكل خُطوة): بضم الخاء بعد ما بين القدمين (عمل سنة أجر صيامها وقيامها): أي صيام السنة وقيامها، وهو بدل: من عمل سنة"(٣).

وقال ﷺ: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))(٤).

وقال ﷺ: ((مَنِ اغتَسلَ يومَ الجُمعةِ وتطهَّرَ بما استطاعَ مِن طُهرٍ، ثم ادَّهنَ أو مسَّ من طِيبٍ، ثمَّ راحَ فلم يُفرِّقْ بينَ اثنينِ فصلَّى ما كُتِبَ له، ثمَّ إذا خرجَ الإمامُ أَنْصتَ،

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٣٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ك ر).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

غُفِرَ له ما بَينَهُ وَبينَ الجُمعةِ الأُخرى))[١].

وقال ﷺ: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ))[٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ. غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ. وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ. وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا))[٣].

قال النووي: "قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام، أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها. قال بعض أصحابنا: والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية، حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فيصير عشرة"[٤].

أما هديه ﷺ في الصلاة بعدها فقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل بعدها أربعًا، وأيضًا في قول ابن عمر رضي الله عنهما، إن النبي ﷺ كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته، قال النووي: "وفي هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحث عليها"[٥].

"وليس لصلاة الجمعة سنة قبلها، ولكن من صلى قبلها نافلة مطلقة قبل دخول وقتها فلا بأس به؛ لترغيب النبي ﷺ في ذلك، كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اغتَسلَ يومَ الجُمعةِ ...، ثمَّ راحَ فلم يُفرِّقْ بينَ اثنينِ فصلَّى ما كُتِبَ له))[٦]، "ولفعل الصحابة رضي الله عنهم، ولأفضلية صلاة النافلة، ولا يُنكر عليه إذا ترك؛ لأن السنة الراتبة تكون بعد الجمعة بركعتين أو أربع ركعات"[٧]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري ٩١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ٨٥٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٢.

(٥) المرجع السابق ٥٧٢.

(٦) أخرجه البخاري ٩١٠.

(٧) الفقه الميسر، نخبة من العلماء ص ٩٦.

"والجمع بين الحديثين: أنه إذا صلى في بيته، صلّى ركعتين، وإن صلّى في المسجد صلّى أربع ركعات، ومن شاء صلى ستّ ركعات"[(١)]، لفعل ابن عمر رضي الله عنهما أنه: ((كَانَ إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ فَصَلَّى الْجُمُعَةَ تَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ صَلَّى الْجُمُعَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهُ، فقال: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُ ذَلِكَ))[(٢)].

فتبين من ذلك أن أقل الراتبة بعد الجمعة ركعتان، وأكثرها ست، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن الراتبة إن صليت في المسجد صليت أربعًا، وإن صليت في البيت صليت ركعتين، فتكون صلاتها على أحوال متنوعة"[(٣)].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في الحرص على صلاة سنة الجمعة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وفي أهمية التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٥)]، فعلى المدعوين "أن يترسموا خطاه صلى الله عليه وسلم، ويسيروا على هديه ويقتفوا أثره، ومبعث التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاه الله للهداية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره في صلاة سنة الجمعة البعدية"[(٦)].

---

(١) الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان ٢٥١/١.

(٢) أخرجه أبو داود ١١٣٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٠٠٠).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد صالح ابن عثيمين، ط/١ مؤسسة آسام، الرياض: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١٠٢/٥ - ١٠٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

الحديث رقم (١١٢٩)

١١٢٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لاَ يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في بيان سنة الجمعة، ولكنه ترغيب في صلاتها في البيت، وهو يختلف عن سابقه في أمور منها أنه يرغب فيها بتقرير فعل الرسول ﷺ لها، مع تقرير زمانها في قوله (بَعْدَ الجُمُعَةِ) ومكانها (في بيته) وعددها (ركعتين) وبذلك يكون عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قد بيَّن كل ما يلزم لأداء هذه النافلة من ناحية تقرير الفعل المرغب في إتيانها بنقل فعل الرسول ﷺ، وبيان وقتها ومكانها، وعددها ثم إنه فارق الحديث السابق في أنه جعل مكانها البيت، وعددها ركعتان، والحديث السابق رغب في صلاتها أربعا دون أن يخص المنزل.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٨٨٢/٧١).

(٢) تقدم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث البابين (٢٠٢، ٢٠٣)

أولاً- تنوع أساليب التربية:

من المهم جدًّا أن ينوع المربي في تربيته ولا يظلّ حبيس أسلوب تربوي معيّن أو نمط توجيهي محدد، بل يدفعه حبه إلى أن يرى غرسه التربوي يانعًا مثمرًا يُؤتي أُكله كل حين ويدفعه هذا إلى أن ينوّع في أساليبه التربوية، وتجده يختار من الأساليب ما يناسب الموقف ويلاءم الحال فإن لكل مقام مقالاً، وإن لكل حادثة حديثًا يناسبها ولا يناسب غيره ويلائمها ولا يلائم غيره، ويوافقها ولا يوافق سواه، ولما كانت التربية عملاً مستمرًا لا ينقطع في الليل أو النهار ولا في مختلف الأوقات والأحوال، فهي قائمة في مواطن اللهو والترفيه كما هي قائمة وقت الجد والاجتهاد، وهي قائمة في وقت التنشئة كما هي قائمة وقت الشباب وما بعده، لما كانت التربية عملاً مستمرًا كان من الفطنة أن ينوّع المربي في استخدام الأساليب التربوية تنويعًا ينفي السآمة والملل عمن يقوم بتربيتهم ويبعث فيهم النشاط والجدّ والقبول والامتثال لما يرشدهم إليه ويوجههم نحوه.

والخلاصة أن من المهم جدًّا أن يقوم المربي بالتنويع في أساليبه التربوية، هذا من ناحية التنظير والتقعيد، فماذا عن ناحية الفعل والاستخدام الواقعي؟ إن أحاديث الباب فيها تنوّع تربوي فهي تجمع بين التوجيه بالفعل والتوجيه بالقول، ففعلُ النبي ﷺ نقله ابن عمر رضي الله عنهما في حديثين: أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتين بعد الجمعة، وأن النبي ﷺ كان لا يصلّي بعد الجُمُعة حتى ينصرف، فيصلي ركعتين في بيته. أما التوجيه القولي فنقله أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "إذا صلّى أحدكم الجمعة، فليصلِّ بعدها أربعًا".

أي أنه ﷺ ربى أصحابه بالقول والفعل، فكان ﷺ يستخدم القول فيما يناسبه ويستخدم الفعل فيما يناسبه.

إن هذه الأحاديث الشريفة هدي نبوي شريف للمربين أن ينوعوا في أساليبهم التربوية ولا يقيموا على أسلوب واحد لا يبرحونه ولا يغادرونه، فيؤتى بعكس المقصود

والمأمول منه، إنك تجد بعض المربين يكثر من استخدام أسلوب الترغيب والحضّ والحث ولا يكاد يعرف أسلوبًا سواه، حتى أصبح هذا الأسلوب يفقد تأثيره عند أتباعه ولا يكاد يحركهم نحو فعل شيء يدعوهم إليه، وبالمثل كذلك تجد بعض المربين يقيم على استخدام أسلوب الترهيب والتخويف، فلا تكاد تمر لحظة إلا وملأها ترهيبًا وتخويفًا، حتى ملأ نفوس أتباعه باليأس والقنوط، معاذ الله من ذلك.

وتجد بعض المربين يستسهل أسلوب القصص والحكايات ويبالغ في ذلك مبالغة كبيرة ويطربه أن أتباعه يتأثرون بذلك تأثرًا بليغًا وينفعلون انفعالاً واضحًا، ونسي أنه بإصراره على ذلك غرس في نفوسهم ثقافة الحكي والقص التي لا يصاحبها في الغالب أخذ العظة والعبرة وتفعيل ذلك في أرض الواقع.

وهذا ما نعاني منه في العصر الحديث، فتجد الناس يقبلون إقبالاً شديدًا على سماع علامات الساعة والقراءة عنها ويتعجبون من ذلك أشد التعجب ويفتحون أفواههم دهشة وتعجبًا لما يحدث في آخر الزمان، وتجدهم هم أنفسهم يقصون ذلك على من يتعاملون معهم، لكن ماذا تكون نتيجة تعلقهم هذا واهتمامهم ذلك؟ الواقع لا يحتاج إلى تعليق أو ملاحظة، فقد اهتم الناس بذلك اهتمام من يعرف الشيء لمجرد المعرفة، دون أن يصاحب ذلك العمل والفعل، لاجتناب فتن آخر الزمان وعدم الوقوع فيها، والعمل على إصلاح النفوس وإصلاح العمل واللجوء إلى الله رب العالمين، للوقاية من الفتن وشرورها والتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما. هذا هو المبتغى من معرفة علامات الساعة سواء الصغرى أم الكبرى.

ولعلّ الذي يحقق هذه الغاية هو تنوع الأساليب التربوية التي يستخدمها المربي مع من يربيهم، فتجده يستخدم القصة مرة، والتشبيه مرة، والسؤال مرة، والإخبار مرة والشرط مرة، وهكذا، شرط أن يستخدم هذه الأساليب الاستخدام الملائم والمناسب.

وعلى ذلك ينبغي أن يسير التربويون في رسالتهم النبيلة وغاياتهم السامية.

ثانيًا- من وسائل التربية: التعلق بمتابعة أحوال المربي وأفعاله:

نقل ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف،

فيصلّي ركعتين في بيته، إن ابن عمر رضي الله عنهما كان بصره وقلبه كما يكشف هذا الحديث الشريف معلقين بالرسول ﷺ، يتابع أفعاله وأقواله وتصرفاته، حتى إنه ليستمر في هذه المتابعة إلى داخل بيت النبي ﷺ، فينقل إلينا أنه ﷺ كان يصلّي ركعتين في بيته، وانظر إلى كلمة "ينصرف" وما توحي به، إنه رضي الله عنه يتابع النبي ﷺ لحظة بلحظة وخطوة بخطوة وحركة بحركة منذ صلاة الجمعة إلى أن يدخل بيته، ولا يقف عند هذا الحد، بل يعرف - بطرقه المشروعة[1] - ماذا يفعل النبي ﷺ بعد دخوله بيته.

والغرض من هذه المتابعة الدقيقة هو الاقتداء بالنبي ﷺ سواء من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أم من المنقول إليهم هذا الحديث إلى يوم الدين، فالنبي ﷺ هو قدوة العالمين وأسوة المسلمين، فيحرصون على فعل ما يفعل وأداء ما أدى واجتناب ما اجتنب، وعلى الاهتداء بهديه في الليل والنهار على مدى الأعمار والسنين.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ما الذي جعل الصحابة رضوان الله عليهم حريصين أشد الحرص على متابعة النبي ﷺ في جميع أفعاله بصورة لم تشهد لها البشرية مثيلاً ولن تشهد؟

إن الجواب يكمن - في رأينا - فيما يلي:

أ - إن طاعته من طاعة الله وعصيانه من عصيانه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] وقال عز شأنه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3].

ب - إن إتباعه هو الموصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى واجتناب سخطه والفوز

---

(١) ومن ذلك السؤال، كأن يسأل أخته حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أو يسأل خدمه ومواليه ﷺ، أو يخبره النبي ﷺ بذلك أو أحد ممن رأى النبي ﷺ يفعل ذلك، أو رأى بنفسه بأن دخل مع النبي ﷺ أو نحو ذلك، والله أعلم.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤.

بجنته والبعد عن ناره، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

ج- إن اتباعه هو الموصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فكل طريق سواه أوله وآخره الحسرة والندامة فإنه ﷺ ما أمر إلا بما فيه مصلحة للبشرية جمعاء وما نهى إلا عما فيه مفسدة تضرّ بالناس وبالدنيا كلها، لذا كانت كل الطرق سواه مليئة بالشقاء والعذاب والهلاك.

د- حبهم الخالص له الذي تمكن من قلوبهم ورسخ في أفئدتهم، وجعلهم يضحون بالمال والأهل -وهم سعداء- من أجل طاعته وامتثال أمره واجتناب نواهيه.

هـ- استشعارهم بمسؤوليتهم الحضارية في هذا العالم المضطرب الذي يشيع فيه الظلم والتجبر والتسلط واستخدام القوة في غير محلها، لذا حرصوا على أن يفتحوا البلاد ويزيلوا كل صور الظلم والعدوان والتسلط ويتركوا الناس أحرارًا يختارون ما يشاؤون من أديان، دون وصاية من أحدٍ أو فرض رأي من آخر. ولهذا كان شعارهم وهم يفتحون البلاد "جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن ظلم الناس إلى عدالة الإسلام" فلما فتحوا البلاد نقلوا إلى أهلها أفعاله ﷺ وأحواله وخصاله وشمائله، فأسرع الناس في الدخول إلى الإسلام أفواجًا لأنهم وجدوا رسولاً يحمل إليهم الخير والعدل والصلاح، وقد كان هذا ظاهرًا جدًا في سيرته، فهي خير مثال عملي لمبادئ الإسلام النبيلة وأسسه السامية التي تتطلع البشرية إليها في كل عصر وحين.

والسؤال الثاني الذي يفرض نفسه أيضًا: كيف نجح النبي ﷺ في جعل أصحابه ينقلون أحواله وأفعاله ويحرصون على ذلك أشد الحرص؟

إن الجواب يكمن فيما يلي:

أ - إخلاصه ﷺ الشديد في دعوته ورسالته، فهو ﷺ كان أشد الناس إخلاصًا وأبعدهم عن الرياء والمفاخرة والسمعة، فكل عمل عمله كان لله، وكل

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

عمل اجتنبه كان لله أيضًا، إن إخلاصه ﷺ دَفَعَه إلى أن يقول عن ابنته فاطمة رضي الله عنها أقرب بناته إلى قلبه ((وايمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدَها))[1].

ب - حبه ﷺ لأصحابه وبذله الوسع والطاقة في هدايتهم مع الرفق والشفقة والخوف عليهم، فما ترك ﷺ خيرًا إلا دلهم عليه، وما ترك شرًا إلا حذرهم منه، إنه ﷺ كما قال ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ أُعَلِّمُكُمْ))[2].

ج - صدقه ﷺ في دعوته فلم يجرب عليه كذب قط، وما دعا الناس إليه كان صادقًا فيه منفذًا له فاعلاً إياه وما نهاهم عنه كان صادقًا في نهيه مبتعدًا عنه مجتنبًا إياه، فحياته صورة عملية لدعوته ورسالته، فلا نجد فيها تناقضًا ولا تعارضًا ولا تحايلاً ولا تبريرًا لعمل غير مقبول، إن حياته وسيرته صورة صادقة لدعوته، وكفى، وهذا ما يدفع الناس إلى الامتثال فضلاً على الحرص على نقل ذلك إلى غيرهم حتى يصيبهم من الخير ما أصابهم.

د - ذكاؤه ﷺ في تربيته لأصحابه، فمن المعلوم أن كل واحد من أصحابه له قدرات ومؤهلات تختلف عن غيره من الصحابة الكرام، وقد كان النبي ﷺ يعرف ما يصلح لكل واحد منهم، فمن كان يصلح للإمارة والقيادة جعله قائدًا وأميرًا ولو كان على أفضل منه وأسبق منه إلى الإسلام، ومن لا يصلح منهم منعهم منها ودلهم على ما يصلحهم ويبرزون فيه ويتفوقون، لذا نجد أن أبا هريرة رضي الله عنه هو أكبر راوية للحديث في الإسلام مع أنه رضي الله عنه أسلم في العام السابع للهجرة، لكنه كان مهتمًا أشد الاهتمام بحفظ الحديث والعناية بذلك عناية فائقة، فلازم رسول الله ﷺ ملازمة تامة، حتى حفظ عنه الكثير الذي نقله إلينا فجزاه الله خيرًا، على حين أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قد أسلم في هذا التاريخ أو قريبًا منه لكن كانت روايته للحديث قليلة جدًا، على حين برز في مجال العسكرية بروزًا لافتًا حتى سماه رسول الله ﷺ سيف الله المسلول.

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٨، والنسائي ٤٠، وابن ماجه ٣١٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يعرف ما يصلح أصحابه ويناسبهم، لذا كانوا أعلامًا بارزين كلٌّ في مجاله.

نخلص من هذا كله أن على المربي أن يتصف بالصفات التي تجعل القلوب تألفه وتحبه وتأنس به، فتحرص على الاقتداء به وعلى نقل أخباره لمن سواهم، فالذكر للإنسان عمر ثانٍ.



٢٠٤- باب استحباب جعل النوافل في البيت

سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

الحديث رقم (١١٣٠)

١١٣٠- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إلاَّ المَكْتُوبَةَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن ثابت: هو ابن الضحاك بن زيد بن النجار.

الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفرضيِّين، مفتي المدينة، وكاتب الوحي، وجِلّة الأنصار، ولد بالمدينة ونشأ بمكة، وعندما قَدِم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان ابن إحدى عشرة سنة، استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ولم يشهد أحدًا، وشهد الخندق، والمشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك وكانت أولاً مع عُمارة بن حزم، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم منه، فدفعها لزيد بن ثابت، فقال عمارة يا رسول الله! أبلغك عني شيء؟ قال: لا، ولكنّ القرآن مقدّم وزيدٌ أكثر أخذًا للقرآن منك[2].

وكان يتيمًا عالي الذكاء، أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم لغة اليهود، فعنه رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال: فما مرّ نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١/٢١٣) بنحوه ضمن حديث، واللفظ للنسائي في المجتبى (١٦٠٠).
تنبيه: هذا الحديث بهذا اللفظ أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٣) وعزاه للنسائي، وابن خزيمة، ولما نقله المؤلف إلى هنا عزاه إلى الصحيحين، وهو فيهما بنحوه، إلا الشطر الأخير فإنه عند البخاري بلفظه، وهذا الحديث مما أخذ على المنذري، قال الناجي في عجالة الإملاء: رواه البخاري ومسلم وأحمد في حديث. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي مختصرًا، فلو أن المصنّف اطّلع على هذا لم يُبعد النجعة. قلتُ: انتبه له الإمام النووي فعزاه إلى الصحيحين، لكنه أورد لفظ النسائي في المجتبى، ولم يورد لفظهما.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤٢١/٣، رقم ٥٨٣٣.

كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم)[1]، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ من الأنصار، وعرضه عليه، وهو الذي اعتمد عليه الصدِّيق رضي الله عنه في كتابة القرآن العظيم في صحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرِّقاع واحتفظوا بتلك الصحف مدةً، فكانت عند الصديق رضي الله عنه؛ ثم تسلَّمها الفاروقُ رضي الله عنه، ثم كانت بعدُ عند أمِّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها، إلى أن نَدَب عثمان زيد بن ثابت ونفرًا من قريش رضي الله عنهم إلى كتابة هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيدُ من ألفي ألف نسخة، ولم يبقى بأيدي الأمة قرآن سواه.

وكان عمر يستخلفه إذا حج على المدينة، وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك، وكان عمر وعثمان لا يقدمان على زيد بن ثابت أحدًا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة، وكان ابن عباس رضي الله عنهما -على سعة علمه- يأتيه إلى بيته للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي، وأمسك ابن عباس بركاب ناقته يومًا حتى يركب فقال زيد له: تنحَّ يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس: لا، هكذا نفعلُ بالعلماء والكبراء، وقد حدّث عن النبي ﷺ وله في كتب الحديث ٩٢ حديثًا، ولما توفي رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه، وقال فيه أبو هريرة رضي الله عنه: اليوم مات خيرُ هذا الأمة، وعسى اللهُ أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا.

وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٥هـ[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٧١٥ وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢١٨٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢/٣٥٩ - ٣٦٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٤٥)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٣٤٦ - ٣٤٧)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤٤٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٤٢٦ - ٤٤١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٦٧ - ٦٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٦٥٩ - ٦٦٠)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٥٧)، موسوعة عظماء حول الرسول ٢/٨١٥ - ٨١٩.

الشرح الأدبي

بيت المؤمن يشبه قلبه من ناحية عمرانه بذكر الله تعالى عامر بمختلف ألوان العبادة، وهو ما أراده الرسول ﷺ لبيوت المسلمين أن تكون معمورة بالطاعة والذكر التي تجعله خاليا من الشياطين، تحفُّه الملائكة، وأمر الرسول ﷺ المتصل بواو الجماعة التي تعم المخاطبين جميعا بالحكم في قوله (صلوا) يوجه إلى ذلك ويرغّب في تخصيص البيوت ببعض النوافل، ولذلك علّق الجار، والمجرور بالصلاة إشارة إلى ذلك ثم تبعها بجملة تعليلية مرتبطة بما قبلها بفاء التعليل حملا للمخاطبين على الاقتناع بفضلها، والجناس بين الصَّلاَةِ، وصَلاَةُ يؤكد هذا المعنى؛ لأنه سبقه بأفعل التفضيل التي ارتقت به قمة الصلوات غير المكتوبة ترغيبا في اغتنام هذه الأفضلية حتى تجعل بيوت المسلمين كخلايا النحل بين الذكر، والصلاة تشع بمعاني السكينة، والطمأنينة، والمودة.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم فقهي يتعلق بصلاة النافلة، وهو أن يصلي المرء بعض النوافل في بيته، حتى تكون صلاته مجلبة للبركة ومطردة للشيطان.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن السنن الرواتب والنفل مطلقًا يجوز أداؤه في المسجد وفي البيت، ولكن أداءه في البيت أفضل لهذه الأحاديث الصحيحة.

أما صلاة الفرض فقد اتفق الفقهاء على أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٩٨/١، شرح معاني الآثار ٣٣٩/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٨/١، المجموع ٥٤٢/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣٦/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٩/١، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٤/١، المغني ٤٤٢/١، المحلى ٧٩/٢.

وأنها أعلى شأنًا، كما اتفقوا[1] على أنه إذا ترك أهل بلد صلاة الجماعة قوتلوا عليها لتركهم شعيرة من شعائر الإسلام.

ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم صلاة الجماعة على ثلاثة أقوال سبق ذكرها ولا داعي للتكرار.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية ومكانة الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنداء.

ثالثًا: من ميادين الدعوة: البيت.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة النافلة في البيت وبيان فضلها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية ومكانة الصلاة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: (صلوا أيها الناس...)، "والصلاة عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]، وهي شرط النجاة، وحارسة الإيمان، وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[4]، وقال: ﴿قَدْ

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٥/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٢/١، مواهب الجليل، الحطاب ٨١/٢، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ٣٥١/١، مغني المحتاج، الشربيني ٤٦٥/١، نهاية المحتاج، الرملي ١٣٥/٢، المغني، ابن قدامة ٣/٢، الفروع، ابن مفلح ٥٧٦/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لأحاديث الباب – ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢.

(٣) سورة الروم، آية: ٣١.

(٤) سورة البقرة الآيات: ١ – ٣.

أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾[(١)].

وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾[(٢)]، وقال وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[(٣)]، وقال وهو يحكي عن أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[(٤)]، وقال عن المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[(٥)]، وهي فريضة دائمة مطلقة على كل عبد وحرّ، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة، والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال.

وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤- ١٥.

(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٤) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٥) سورة النساء، آية: ١٤٢.

عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، وقال: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فالصلاة معقل المسلم ومفزعه، فهي أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواءًا، وأسرع نجدة وإسعافًا، وأسخى وأحنى وأعطف عليه من حجر الأم الرؤوم الحنون على الطفل الشريد، اليتيم الضائع، الضعيف العاجز، كلما عُوكس أو هدد، وكلما أصابه الروع أو الفزع، أو مسه الجوع أو العطش، أوى إلى أمه فرمى نفسه في أحضانها، أو تشبث بأذيالها، كذلك الصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوى إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود - بينه وبين ربّه - الذي يتعلق به، وهو غذاء الروح وبلسم الجروح ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا حزّبه أمر فزع إلى الصلاة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى))[4]، وكان هذا شأن الصحابة رضي الله عنهم فكان حنينهم إلى الصلاة، وإيثارهم لها على كل ما حُبب إلى النفس البشرية، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، وقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا. فَلَمَّا

---

(١) سورة النساء الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٤) أخرجه أبو داود ١٣١٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٧١).

صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[1]"[2]. وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الصلاة، ومكانة فضلها كركن من أركان الإسلام الذي لا يقوم الدين إلا به.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر والنداء:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة في إرشاد المدعوين وحملهم على فعل الأمر المدعو إليه، لما فيه من خير عميم وفضل عظيم، وهو ما أشار إليه الحديث من حثه ﷺ على استحباب جعل النوافل في البيت وذلك في قوله ﷺ: (صلوا أيها الناس في بيوتكم...)، وقوله: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم..)، وقوله: (فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته)، أما النداء فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: (أيها الناس)، والنداء من الأساليب الدعوية التي يحصل بها لفت انتباه المدعوين، واستحضار أذهانهم في تبليغ الأمر المدعو إليه.

ثالثًا- من ميادين الدعوة: البيت:

هو ما أشارت إليه الأحاديث في حثه ﷺ على جعل صلاة النوافل في البيت، والبيت من الميادين الدعوية المهمة في نشر الدعوة وتبليغها إلى الأهل والأولاد، "ولقد ثبت قيام النبي الكريم ﷺ بدعوة الناس في منازلهم، وقد كان ذلك بالذهاب إلى منازلهم منزلاً منزلاً، كما كان يجمعهم في بيت أحدهم ثم يقوم بتوجيههم ودعوتهم، وقد اختار النبي ﷺ الدعوة في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه وكان ﷺ يقوم فيه بتعليم المسلمين أمور دينهم، ودعوته غيرهم ممن وفد عليه هناك إلى الإسلام"[3]، فقد روى ابن سعد عن عثمان بن الأرقم رضي الله عنه قال: (أنا ابن سبعة في الإسلام، أسلم أبي

---

(١) أخرجه مسلم ٨٤٠.

(٢) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن على الحسني الندوي، ص ٢٥- ٢٧، ٢٩- ٣٠.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٥٥.

سابع سبعة، وكانت داره بمكة على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها أول الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، وأسلم فيها قوم كثير.. ودُعيت دار الأرقم دار الإسلام)[١]، فعلى الدعاة أن يقتدوا بنبيهم ﷺ في تفعيل دعوة البيوت كميدان رئيس في الدعوة إلى الله تعالى، إذ به مركز الأسرة ونواة المجتمع الإسلامي، التي إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت تهدم المجتمع.

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تأكيد وبيان أهمية الأمر المدعو إليه، فضلاً عن تقوية الكلام في أذهان المدعوين، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على أفضلية صلاة النافلة في البيت. وذلك في قوله ﷺ: (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، وقوله ﷺ: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة النافلة في البيت وبيان فضلها:

هذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك، قال ابن هبيرة: "إن النوافل أفضل ما أتي بها في بيت الإنسان، وذلك به يخلص العبد من مداناة الرياء؛ لأن الفرائض تسلم من ذلك من أجل أنه يؤدي العبد بها حقًا واجبًا، فهو كمن قضى دينًا، وأما النوافل فوضعها على التبرع والاختيار، فإذا أتى بها ظاهرًا، أظهر ما إخفاؤه أفضل له وأحزم"[٢]، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال النووي: "في قوله ﷺ: (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، إنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وأصون من المحبطات، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان، وهو معنى قوله ﷺ في الرواية الأخرى: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)"[٣].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١/٢٤٣ - ٢٤٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٤٧٩.

(٢) الإفصاح ٤/٣٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢٨.

وقال ابن حجر ﷺ: "قال التوربشتي في قوله ﷺ: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا)، أي: من لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر"[١]، وقال القاضي عياض: "هذا من التمثيل البديع حين شبّه البيت الذي لا يُصلى فيه بالقبر الذي لا يتأتى فيه من ساكنه عبادة، وشبه النائم ليله كله بالميت في قبره، وكذلك تمثيله بالحي والميت؛ لأن العمل إنما يتأتى من الحي، وقد يرجع التمثيل إلى صاحب البيت"[٢]، وقال ابن حجر: "ويؤيده ما رواه مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٣]"[٤].

وقال ابن عثيمين: "في قوله ﷺ: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)، يعني: إن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، أي: جعل الله في صلاتك فيه خيرًا، من هذا أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك وألفوا الصلاة وأحبوها ولا سيما الصغار منهم، ومنها: أن الصلاة في البيت أبعد من الرياء فإن الإنسان في المسجد يراه الناس وربما يقع في قلبه شيء من الرياء، أما في البيت فإنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء. ومنها: أن الإنسان إذا صلى في بيته وجد فيه الراحة، راحة قلبية وطمأنينة، وهذا لا شك أنها تزيد في إيمان العبد، فالمهم أن الرسول ﷺ أمرنا أن نصلي في بيوتنا إلا الفرائض، وفي ذلك بيان على أهمية صلاة النوافل في البيت وبيان فضلها"[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣١.

الحديث رقم (١١٣١)

١١٣١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بدأ بالفعل (اجعلوا) ووصله بواو الجماعة ليلفت أسماع المخاطبين، ويعمهم بالحكم، وعبر بالفعل (اجعلوا) الذي يفيد معنى الصيرورة إشارة إلى استعداد البيوت لما يصنع بها تسخيرا للإنسان، وقوله (من صلاتكم) أي: بعض الصلاة في البيت، وهي صلاة النافلة، ولما كانت الصلاة تحرم في المقابر فلا يصلى فيها شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبور، وهي صورة منفرة، وفيها إشارة إلى أن أهل البيت كالأموات فقد شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت فيه من العبادة، وهو بذلك يوحي للنفوس، ويبث في الوجدان بتشبيه البيوت التي لا يصلى فيها بالقبور - مشاعر الانقباض، والخوف، والوجل، وهذا التشبيه المؤكد المجمل يحمل معنى التقبيح، والتنفير من البيوت التي على تلك الصفة ومعنى التوبيخ، والتقصير لمن يسكنها، والغرض الذي يرمي إليه النبي ﷺ من إثارة هذه المشاعر من الانقباض والخوف والوجل للتقبيح والتنفير هو الترغيب في الصلاة وقراءة القرآن في البيوت لتفارق القبور، وتصير كالقصور مليئة بالأنس بذكر الله تحفها، وأهلها الملائكة، والرضوان من الله، وأسلوب الرسول ﷺ وسحر بيانه يجوس في حنايا النفوس لينتقل في مسالكها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٢٠٨/٧٧٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٦١٨)

انتقالا خفيا من شعور إلى شعور - ليقرر - بعد أن يثير مجموعة من المشاعر المتقاربة التي تعمل في اتجاه واحد يقرر ضرورة الصلاة في البيوت، ويثير الرغبة فيها لدفع مشاعر الانقباض التي أثارها بأسلوب النهي (ولا تتخذوها قبورا).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٣٢)

١١٣٢- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ[١] فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في صلاة النوافل في البيوت جاء في أسلوب الشرط ليعطي للحكم اطرادا في الزمان، والمكان يربط قضاء الفريضة في المسجد، بجعل نصيب من النافلة في البيت، والتعبير بالقضاء يشير إلى التمام، والانتهاء، ولفظ أحدكم يعمم الحكم، وقوله (في مسجده) يعين الفريضة لأنها المختصة بالمسجد، وقوله (فليجعل) جواب شرط في صورة الأمر الموجه للغاية، وذكر البيت يوحي بالسكن، والطمأنينة، وإضافته إلى الضمير في قوله (لبيته) تشعره بالخصوصية التي تستلزم مزيد العناية بما يصلح شأن البيت، وقوله (من صلاته) أي بعض صلاته، وهي النافلة،وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْراً) جملة تعليلية تحقق الإقناع، والرغبة في إتيان الفعل المحقق لهذا الغرض، والتعبير باسم الفاعل (جاعل) دون الفعل (جعل) دلالة على ثبات هذا الأجر لأن اسم الفاعل يدل على الحدث دون ارتباط بالزمن مما يوحي باستمراره، ودوامه، وإسناد الجعل لله يحقق الثواب،ويعظمه، وتقديم الجار، والمجرور(في بيته) للتخصيص أي بيته خاصة، وتنكير (خيرا) للتعظيم أي يجعل خيرا عظيماً.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) لفظ مسلم: (الصلاة).

(٢) برقم (٧٧٨/٢١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦١٩).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١١٣٠).

الحديث رقم (١١٣٣)

١١٣٣- وعن عمر بن عطاءٍ: أنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إلَيَّ، فَقَالَ: لاَ تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ. إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإنَّ رسولَ الله ﷺ أمَرَنَا بِذلِكَ، أن لاَ نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، ويقال عائذ بن الأسود الكندي، أو الأسدي، ويقال الكناني أو الليثي أو الهذلي، يُعَرف بابن أخت النمر - خاله النمر بن جبل- وكان السائب حليفاً لقريش.

له ولأبيه نصيب من الصحبة والرواية، فقد لقي النبي ﷺ وهو غلام صغير، وحج به أبوه وهو في السابعة من عمره في حجة الوداع، فمولده في العام الثاني للهجرة، وهو بهذا تِرْبٌ لعبدالله بن الزبير.

ولسعة علمه وسداد فقهه كان من الذين يتصدرون للفتيا، فيروي ابن سعد عن ابن جريج قال: كان الذين يُفتون بالمدينة بعد الصحابة السائب بن يزيد والمسور بن مَخرمة وعبدالرحمن بن حاطب - وآخرون[٢].

ولحكمته في سياسة الأمور وإدارة الأعمال كان من الذين اعتمد عليهم عمر بن الخطاب فاستعمله على سوق المدينة مع سليمان بن أبي خيثمة وعبدالله بن عتبة بن مسعود وكان ممن شهد اليرموك.

حفظ الله عليه وقته وجسمه إلى أن مات ببركة دعاء رسول الله ﷺ له، فعن الجعد بن عبدالرحمن قال: رأيت السائب بن يزيد سنة أربع وستين جلداً معتدلاً، فقال:

---

(١) برقم (٧٣/٨٨٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢/٣٨٣).

قد علمت ما مُتِّعْتُ بسمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ[١].

دعا له رسول الله ﷺ بالبركة. فعن عطاء مولى السائب بن يزيد قال: رأيت مولاي السائب بن يزيد، لحيته بيضاء، ورأسه أسود، فقلت: يا مولاي ما لرأسك لا يَبْيضُّ؟ قال: لا يَبْيضُّ رأسي أبدًا، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلم وأنا معهم، فرددت عليه السلام من بين الغلمان فدعاني وقال: ما اسمك؟ قلت: السائب بن يزيد، ابن أخت النمر فوضع يده على رأسه وقال: ((بارك الله فيك)) فلا يَبْيَضُّ موضع يد رسول الله ﷺ[٢].

وعن السائب قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وَضوئه، ثم قام يصلي فقمت خلفه فرأيت الخاتم بين كتفيه))[٣].

مات سنة اثنتين وثمانين، وقيل ثمان وثمانين، وقيل إحدى وتسعين، وقيل أربع وتسعين، وقيل ست وتسعين.

أمد الله له في عمره وبارك فيه فعاش أربعًا وتسعين سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من صحابة رسول الله ﷺ[٤].

غريب الألفاظ:

المقصورة: مقصورة الإمام: الحجرة في طرف المحراب يصلّي فيها الأمير عادة

---

(١) الرياض المستطابة من أسماء الصحابة، لليمني (١١١، ١١٢).

(٢) مجمع الزوائد، للإمام الهيثمي (٤٠٩/٩) وقال رجال الكبير رجال الصحيح غير عطاء مولى السائب وهو ثقة.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٠٢/٩).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٠١/٢، ٤٠٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٣، ٣١٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠١/٢، ٤٠٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٦٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٥/٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٣/١)، السندي (٤٨٩/٢٤)، موسوعة عظماء حول الرسول (٨٦٦/٢ - ٨٦٨).

خشية اغتياله[1].

الشرح الأدبي

الحديث ورد في أسلوب قصصي متعدد الأطراف عن عمرو بن عطاء قال إن نافع بن جبير أرسله) أي عمرا إلى السائب رضي الله عنه يسأله أي يسأل عمرو السائب (عن شيء رآه) كناية عن فعل السائب رضي الله عنه في سنة الجمعة من صلاتها بعد الفرض مباشرة دون فاصل بكلام، أو غيره، والذي رآه معاوية رضي الله عنه في الصلاة فقال، وقوله: (صليت معه) أي مع معاوية رضي الله عنه، وقوله (الجمعة في المقصورة) فيه إيجاز بالحذف أي صلاة الجمع، والمقصورة موضع معين في الجامع مقصور للسلاطين وقوله: (فلما سلم الإمام قمت في مقامي) فيه جناس بين قمت، ومقامي يؤكد المعني، ويلفت الانتباه إلى موضع الخطأ، وقوله (فصليت) أي سنة الجمعة من غير أن أفصل بينهما بشيء (فلما دخل) أي: معاوية بيته (أرسل إلي) لئلا تكون النصيحة على وجه الفضيحة، وهو من أدب معاوية رضي الله عنه (فقال لا تعد) نهي عن إتيان السنة في مكان فعل الجمعة بلا فصل، وقد تبعه بأسلوب شرط يصحح به الخطأ (إذا صليت الجمعة فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ)، وذكر الجمعة بعد خصوص الواقعة للتأكيد الزائد في حقها، وقوله (فلا تصلها) من الوصل أي لا توصلها بصلاة أي نافلة، أو قضاء،وقوله (فَإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمَرَنَا بذلِكَ، أن لاَ نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ) وقوله (نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ) فيه جناس ناقص بين الكلمة الأولى، والثانية يحدث جرسا في السمع، ويؤكد المعنى، وبين الكلمة الثانية، والثالثة جناس تام يؤكد المعنى، ويقرره.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: استحباب[2] الفصل بين الفرض والنافلة بنحو كلام أو

---

(١) معجم لغة الفقهاء ٤٢٣.

(٢) المغني، ابن قدامة ١٠٩/٢، الكافي، ابن قدامة ٢٢٩/١، المجموع، النووي ٤٥٥/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٦٩/١، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٥٤/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٣٥/٢.

ذكر، أو انتقال للحديث.

ولعل الحكمة من ذلك ألا يتلبس النفل بالفرض[١].

وهذا قدر متفق عليه بين الفقهاء، وقد اختلفوا بعد ذلك:

فقال الحنفية: يستحب ألا يفصل بين الفرض، والنفل إلا بقدر ما في حديث عائشة: (اللهم أنت السلام.. إلخ) أو بقدر ما في حديث المغيرة بن شعبة من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحده لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قَدير. اللّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطِيَ لما مَنعتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ)).

وقال جمهور السلف والخلف: يستحب الفصل بين الفرض والنافلة بالأذكار الواردة عقب الصلوات كالاستغفار، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل.

كما ذكر العلماء أنه يستحب للمرء أن يتحول للنافلة من موضع الفريضة[٢].

والأفضل أن يتحول إلى بيته، فإن أداء النوافل في البيوت أفضل، وإلا فإلى موضع آخر في المسجد أو غيره، وذلك تكثيرًا لمواضع السجود[٣] ومحل استحباب الانتقال والتحول، ما لم تدعُ الحاجة إلى عدمه كضيق المكان[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الجمعة.

ثانيًا: من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على ما صدر من مخالفات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٣٥/٢، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٥٤/٢.

(٢) الدين الخالص، السبكي ٣١٩/٢، الناشر دار المنار، القاهرة.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٥٤/٢، الكافي ٢٢٩/١، المغني ١٠٩/٢، الدين الخالص ٣١٩/٢ - ٣٢٠.

(٤) الدين الخالص ٣٢٠/٢.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الجمعة:

هذا ما يستفاد من قول: السائب ابن أخت نمر "نعم صليت معه الجمعة". وقول معاوية رضي الله عنه عنه له: "إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة...".

(وقد سميت الجمعة بذلك لجمعها الخلق الكثير. ويومها أفضل أيام الأسبوع؛ لقول رسول الله ﷺ: «مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُم يَوْمُ الْجُمُعَةِ»[1]، وقال ﷺ: «نحنُ الآخِرونَ الأوَّلُونَ (وفي رواية: السابقونَ) يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، ثمَّ هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم فاختلَفوا فيهِ، فهدانا اللّهُ له، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ»[2].

وروي مسلم عنه ﷺ أنه قال: «أَضَلَّ الله عَنِ الْجُمُعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا. فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ. وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ. فَجَاءَ الله بِنَا. فَهَدَانَا اللّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ»[3].

وشرع اجتماع المسلمين فيه لتنبيههم على عظم نعمة الله عليهم، وشرعت فيه الخطبة لتذكيرهم بتلك النعمة، وحثهم على شكرها.

وشرعت فيه صلاة الجمعة في وسط النهار؛ ليتم الاجتماع في مسجد واحد. وأمر الله المؤمنين بحضور ذلك الاجتماع واستماع الخطبة وإقامة تلك الصلاة)[4]؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[5]. أي: (اقصدوا واعمدوا واهتموا في مسيركم إليها، وليس المراد بالسعي ها هنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾[6])[7].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٠٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٩٢٥).

(٢) أخرجه البخاري ٨٧٦، ومسلم ١٩٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٧٩.

(٤) الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان، ١/٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١٢٠.

وقد رغب النبي ﷺ في الحرص على صلاة الجمعة فقال: «من غسَّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة، أجر صيامها وقيامها»[١]. وقال ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ، ثُمَّ رَاحَ. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[٢]. وقد رهب وغلظ النبي ﷺ في ترك الجمعة فقال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ. أَوْ لَيَخْتِمَنَّ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[٣].

قال النووي: (وقوله: "ودعهم" أي تركهم. وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم الطبع والتغطية. قالوا في قول الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٤]، أي: طبع، ومثله الرين فقيل الرين اليسير من الطبع، والطبع اليسير من الأقفال، والأقفال أشدها. قال القاضي: اختلف المتكلمون في هذا اختلافًا كثيرًا، فقيل: هو إعدام اللطف وأسباب الخير، وقيل: هو خلق الكفر في صدورهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، قال غيرهم: هو الشهادة عليهم، وقيل: هو علامة جعلها الله تعالى في قلوبهم لتعرف به الملائكة من يمدح ومن يذم)[٥]. وفي ذلك بيان على أهمية صلاة الجمعة وعدم التهاون في أدائها.

ثانيًا - من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على ما صدر من مخالفات:

هذا ما أشار إليه الحديث من تفقد معاوية رضي الله عنه للسائب بن أخت نمر وحثه على

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

(٣) أخرجه مسلم ٨٦٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧ .

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٦٥.

الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك في الحديث من قوله ﷺ: "لاتعد لما فعلت. إذ صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج"، فعلى الداعية أن يتفقد أحوال المدعوين، وأن ينبههم على ما ورد منهم من مخالفات، وفي بيان ذلك: "قال سالم بن عبدالله عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ﷺ، بينا هو يخطب الناس يوم الجمعة، دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه ؟ فقال: إني شغلت اليوم، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت النداء، فلم أزد على أن توضأت، قال عمر: والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل"[(١)]، وفي ذلك قال النووي رحمه الله: في قوله "أية ساعة هذه" قاله توبيخًا له وإنكارًا لتأخره إلى هذا الوقت، وفيه تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة"[(٢)].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النهى:

النهى من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية في إرشاد المدعو، وحمله على تجنب وترك ما فيه مخالفة لأحكام الشرع، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من نهي معاوية ﷺ للسائب بن أخت نمر عن عدم الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك في قوله ﷺ: "لا تعد لما فعلت. إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج؛ فإن رسول الله ﷺ، أمرنا بذلك، أن لا نوصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج".

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على اتباع سنة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من حرص معاوية ﷺ على اتباع سنة النبي ﷺ في الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك من قوله: "إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج"، "والأصل في ذلك أن كل مسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله، فإذا عرض له أمر، أو تنازع مع أخيه المسلم في أى شأن من شئون

(١) أخرجه مسلم، ٨٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٥٦.

الدين أو الدنيا فزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم معه ﷺ في حياته، يفزعون إليه، يسألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه في كل شئونهم، فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلّموا به عن طيب نفس ورضى، وبعد موته عليه الصلاة والسلام، كان الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا في أمر أو خفي عليهم حكمه، تحاكموا إلى من يعلم بالسنة فيما اختلفوا فيه، فإذا ثبتت عندهم السنة لم يتجاوزها إلى غيرها"[١].

"فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول: الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا، حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ كتب إليه: أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته فرجع إليه عمر"[٢]. "وعن طاوس أن عمر قال: أُذَكِّرُ الله أمرءًا سمع من النبي في الجنين شيئًا؟ فقام حَمَلُ بن مالك بن النابغة، فقال: كنت بين جاريتين لي -يعني ضَرَّتينِ- فضربت إحداهما الأخرى بمِسْطَح[٣]، فألقت جنينًا ميتًا، فقضى فيه رسول الله بغُرَّة[٤]. فقال عمر: لو لم أسمع فيه لقضينا بغيره"[٥]. وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي ﷺ.

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الرسالة، لأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٧٩.

(٣) بمسطح: المسطح بالكسر: عود من أعواد الخباء، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ط ح).

(٤) الغُرَّة: دية الجنين إذا أُسقط ميتًا وقدرها: عبد أو أمة أو نصف عشر الدية الكاملة للقتل الخطأ، معجم لغة الفقهاء.

(٥) الرسالة، الشافعي ص ٢٨٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اختلاف قدر الفعل باختلاف الأماكن:

وهذا مستمد من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"، فالمتبادر إلى الأفهام من هذا الحديث أن صلاة النفل في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، مع أنه من ناحية أخرى قد يتبادر إلى الذهن أن الصلاة مطلقًا في المسجد أفضل، لشرف المساجد، وأنها خير بقاع الأرض، وأنها بيوت الله فيها، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلّم أصحابه أن النوافل يختلف حكمها في هذا عن الفرائض، ومن ثم يمكن الاستفادة من هذا الحديث في المجال التربوي وذلك بأن يربي الناشئة وغيرهم على أن الفعل قد يكون واحدًا، لكنه يختلف مقداره وفضله حسب اختلاف الأماكن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وكذلك يقال في أجناس العبادات كالصلاة: جنسها أفضل من جنس القراءة والذكر ثم إنها منهي عنها في أوقات النهي، فالقراءة والذكر والدعاء في ذلك الوقت أفضل من الصلاة، وكذلك الدعاء في مشاعر الحج بعرفة ومزدلفة ومنى والصفا والمروة أفضل من القراءة أيضًا بالنصّ والإجماع، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا وساجدًا)) وهذا في الصحيح من حديث ابن عباس[1] ومن حديث عليٍّ أيضًا أنه نهاه عن ذلك[2]، ولو قرأ هل تبطل صلاته؟ فيه وجهان في مذهب أحمد، فالنهي عن الصلاة والقراءة في المشاعرِ الفضيلةِ [من باب أولى][3])[4].

والمقصود أن التربية على أن الفعل الواحد قد يختلف فضله باختلاف الأماكن يغرس في الناشئة حسن الفهم وجودة الاستنباط وتدبير الأمور على خير ما يرام وينبغي،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٠.

(٣) في المطبوع: بياض في الأصل سواء في الطبعة الأولى أم طبعة العبيكان ٥٦٠/١١، وما أضفناه هنا هو اجتهاد مبني على الفهم والاستنباط، فإن كان صوابًا فلله الحمد والمنة، وإلا فإن نبرأ إلى الله منه.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٤٥/٢٢.

مما يجعلهم يحسنون التصرف في الأماكن المختلفة والأحوال المتنوعة، وهذا يجعل طريق نجاحهم سهلاً ميسورًا بإذن الله، (وهذا باب يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه، فللعين موضع وللرجل موضع، وللماء موضع وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي)[١].

ثانيًا- التربية بالتنفير:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا"، فقد نفّر النبي ﷺ من هجر البيوت بعدم صلاة النوافل فيها، وذلك بجعلها كأنها قبور لا يكون فيها حياة بل يخيم عليها الموات والخراب، وهذا يبعث في النفس البشرية الانقباض، لأنها تنفر من سماع لفظة القبور فضلاً عن مشاهدتها ورؤيتها، ومن ثم يسارع المخاطب إلى النفور من خلوّ بيته من أداء النوافل ويحرص أشد الحرص على أن يجعل في بيته حياة روحية نابضة بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، إذن على المربي أن يفعّل طريقة التربية بالتنفير لما لها من آثار إيجابية في التربية، ولنذكر بعض الآيات والأحاديث التي تقوم على ذلك زيادة في بيان أثر التربية بالتنفير:

١- يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] فقد جاء التنفير عن الغيبة بذكر صورة بشعة لم يشهد مثلها العقل الإنساني، وهي أن يأكل الأخ لحم أخيه وهو ميت[٣].

٢- قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذكرُ ربه مَثلُ الحي والميِّت))[٤] وفي لفظ مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذي لاَ يُذْكَرُ

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٧١ مجموعة الحديث.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها، ص ٤٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[1] فيكفي في التنفير من عدم ذكر الله بأن من يفعل ذلك ميت قلبًا وقالبًا.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: ((العائدُ في هبَتِه كالكلبِ يَقيءُ ثمَّ يَعودُ في قَيئهِ))[2].

قال البسام: (التعبير عن ذلك بهذا المثل الكريه المستقذر الذي هو الغاية في البشاعة والدناءة والخسة، للإقلاع عن هذا الخلق اللئيم)[3].

ثالثًا- التربية على توسيع دائرة الخير:

هذا مستمد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا"، والشاهد في هذا قوله صلى الله عليه وسلم "فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا" قال ابن عثيمين في بيان هذا الخير (يعني أن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، جعل الله في صلاتك فيه خيرًا، من هذا أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك، وأَلِفُوا الصلاة وأحبوها ولاسيما الصغار منهم"[4] وهذا توسيع لدائرة الخير لتمتد إلى البيت بدلاً من كونها مقصورة على المسجد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعدى الخير للأولاد والزوجة بدلاً من اقتصاره على هذا المصلي، وهذا باب عظيم من أبواب الخير. إذن يمكن الاستئناس بهذا الحديث في تربية الناشئة وغيرهم على أن فعل الخير - والصلاة من أفضل أنواع الخير - لا يأتي إلا بخير، ولا يعود على فاعله إلا بالنفع والفائدة، وهذا إن غرس في نفوسهم كان له من الفوائد التربوية الكثير، منها:

أ- المبادرة إلى فعل الخير والمسابقة إليه والمداومة على ذلك قدر الجهد والوسع.

ب- تعويدهم على أن يكونوا مصدرًا للخير ونبعًا له لا أن يكونوا مصدرًا للشر والضرر.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٢٨٩، ومسلم ١٦٢٢.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٦٨/٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٣١/١..

ج- الاستكثار من فعل الخير بكل سبيل ممكن، قال ابن القيم: (النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها)[١].

رابعًا- التربية على التمسك بهدي النبي ﷺ:

وهذا مستمد من قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: "إذا صليت الجمعة فلا تَصِلْها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج، فإن رسول الله ﷺ أمرنا بذلك، أن لا نوصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج" فقد قوّم معاوية رضي الله عنه ما رأى من مخالفة في ضوء ما أمرهم به ﷺ، وفي هذا دعوة للمربين أن تكون تربيتهم على هدي النبي ﷺ والالتزام بسننه وآدابه وأخلاقه وأفعاله ﷺ، فإن هديه أكمل الهدي وأفضله، كما قال ابن القيم، الذي يقول عن هدفه من تأليف كتابه الماتع "زاد المعاد في هدي خير العباد": (وليس مقصودنا إلا ذكر هديه ﷺ الذي كان يفعله هو، فإنه قِبْلة القصد، وإليه التوجه في هذا الكتاب، وعليه مدار التفتيش والطلب، وهذا شيء، والجائز الذي لا ينكر فعله وتركه شيء، فنحن لم نتعرض في هذا الكتاب لما يجوز ولما لا يجوز، وإنما مقصودنا فيه هدي النبي ﷺ الذي كان يختاره لنفسه، فإنه أكمل الهدي وأفضله)[٢].

وهدي النبي ﷺ هو الذي تربى عليه أفضل جيل شهدته البشرية الذي كان مثالاً فريدًا في التاريخ، فهو أفضل الأجيال أخلاقًا وأفعالاً وسلوكًا وإنتاجًا، فرضي الله عنهم، فما أجمل أن يتربى الناشئة على هدي النبي ﷺ.



---

(١) الفوائد ٢٤٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٢٧٥.

٢٠٥- باب الحث عَلَى صلاة الوتر

وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

الحديث رقم (١١٣٤)

١١٣٤- عن عليٍّ ﵁، قَالَ: الوِتْرُ لَيْسَ بحَتْمٍ كَصَلاَةِ المَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَّ رسولُ الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أهْلَ القُرْآنِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

بحتم: الحتم اللازم الواجب الذي لا بد من فعله[٢].

الشرح الأدبي

قول الإمام علي - كرم الله وجهه - (ليس بحتم) أسلوب نفي لكونه مفروضا تبعه استدراك يقرر كونها سنة حتى لا تختلط على الناس مع إطباق الأمة على المواظبة عليها، وقول الرسول ﷺ (إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرآنِ) تصدير الكلام بلفظ الجلالة له موقع خاص في نفوس المؤمنين يضمن الإنصات، والقبول، والخضوع بالإضافة إلى كثافة المؤكدات، والتعبير بلفظ المحبة الذي يقتضي الرضا، والتفضيل، والقبول، ثم إن محبة الله للعمل خصيصة فيه يسعى لتحصيلها كل مؤمن، ثم إن تكرار لفظ الوتر ثلاث مرات في العبارة يلح على هذا المعنى، ويرغب في الفعل بالإخبار بمحبة الله ثم جاء الأمر الصريح المتصل بواو الجماعة إيذانا بشمول جميع

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣) واللفظ له. وصحّحه ابن خزيمة (١٠٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٨٥٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ت م).

المخاطبين (فأوتروا) وقد حثهم على الاستجابة بنداء التكريم تلاه في قوله: (يا أهل القرآن) وإضافة لفظ الأهل للقرآن تشريف ينادي طائفة من أهل تحصيل المراتب العالية بالحرص على أداء هذه النافلة.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث [١] إلى صلاة الوتر وما لها من فضل أكد عليه رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أن الوتر يصلى بعد العشاء وقبل الصبح، فإن أصبح فلا وتر بعدها، وقيل: يقضى بين الفجر والصبح ما لم تشرق الشمس، واختلفوا في حكم صلاة الوتر وعدد ركعاتها، فذهب أبو حنيفة[٣] إلى أن الوتر واجب لثبوته بدليل ظني، وذهب جمهور الفقهاء من المالكية[٤] والشافعية[٥] والحنابلة[٦] وأبو يوسف ومحمد من الحنفية[٧] إلى أن الوتر سنة مؤكدة، لأنه يوتر عدد ركعات النوافل والسنن.

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١، المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢، المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

(٤) المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢.

(٥) المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣.

(٦) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

(٧) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

وكذلك اختلفوا في عدد ركعات الوتر فهو عند الحنفية[1] ثلاث متصلة، وعند المالكية[2] ثلاث بينهما تسليمة، وعند الشافعية [3] والحنابلة[4] أقله ركعة واحدة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: أهل القرآن.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن الله وتر..."، حيث أكد ﷺ على أن الله واحد، ويحب الوتر، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة، التي يؤكد بها الداعية على الحقائق في دعوته، ويدعو إلى فعل الخير ويؤكد عليه، وينهي عن الشر ويؤكد على تركه، وهو من الأساليب التي تشعر المدعو بأهمية الدعوة. وقد ورد استخدام أسلوب التوكيد في القرآن الكريم. ومن المعلوم أنه يؤتي بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها. فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام. وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد. فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة.

إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٧٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٦٨، العناية ١/٤٢٣.

(٢) المنتقى ١/٢١٤، مواهب الجليل ٢/٧٥..

(٣) المجموع ٣/٥٠٨، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣/٧٣.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢/٢٣٩، الفروع، ابن مفلح٥٢٧، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٤١٥ وما بعدها.

في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. وكذلك في اختيار المؤكدات فهو يؤكد هنا بالنون المخففة مثلاً وفي موطن آخر بالنون الثقيلة. وهنا بإن المشددة وفي موطن آخر بإن المخففة، ويستبدل حرفًا بحرف، كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في كل القرآن، فجاء التوكيد كله في القرآن كأنه لوحة فنيه واحدة، فيها من عجائب الفن – وليس فيها إلا العجيب- ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشًا مقرًا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله[1]. فأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية التي تفيد الخطاب الدعوي وتضيف إليه رونقًا وجمالاً، وتجعل المدعو يشعر بأهمية الدعوة للتأكيد عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن). قال الطيبي: قال ابن الأثير في قوله: (إن الله وتر): أي: إن الله تعالى واحدٌ في ذاته، لا يقبل الانقسام والتَّجزِئة، واحدٌ في صفاته، فلا شِبْهَ له ولا مثلَ، وَاحِدٌ في أفعالِهِ، فلا شريكَ له ولا مُعِينَ. و«يُحبُّ الوتر»: أي يُثيب عليه، ويَقْبَلُه من عامله[2]. وقال القاضي ناصر الدين: "وكل ما يناسب الشيء أدنى مناسبة، كان أحب إليه مما لم تكن له المناسبة. قوله: (فأوتروا)" أى صلوا الوتر، "والفاء" جزاء شرط محذوف، كأنه قال: إذا هديتم إلى أن الله يحب الوتر فأوتروا"[3]، وهذا يدل على فضل صلاة الوتر، ومما يؤكد هذا الفضل قول رسول الله ﷺ: (إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ص١٢٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٠/٣.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٣/١٥٠-١٥١.

من حُمْر النِّعَم، الوتر، جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر)[١].

قال الطيبي: قوله: "إن الله أمدكم" وارد على سبيل الامتنان على أمته، مراد به مزيد فضل على فضل، كأنه قيل إن الله فرض عليكم الصلوات الخمس ليؤجركم بها، ويثيبكم عليها، ولم يكتف بذلك، فشرع صلاة التهجد والوتر، ليزيدكم إحسانًا على إحسان وثوابًا على ثواب، وقوله (حُمْر النِّعَم) قال المظهر: هي عند العرب أعز الأموال وأشرفها، فجعلت كناية عن خير الدنيا كله، كأنه قيل: هذه الصلاة خير لكم مما تحبون من عرض الدنيا وزينتها، لأنها ذخيرة الآخرة، والآخرة خير وأبقى[٢].

وقال ابن تيمية: أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وآكد ذلك الوتر وركعتا الفجر، ولا ينبغي لأحد تركه، فمن أصرَّ على تركه فإنه تُرد شهادته. وقال: الوتر أفضل من جميع الصلوات النوافل[٣].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: أهل القرآن:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فأوتروا يا أهل القرآن"، قال الطيبي: قال القاضي ناصر الدين: والمراد بأهل القرآن المؤمنون الذين صدقوا القرآن، وخاصة من يتولى القيام بحفظه، وتلاوته، ومراعاة حدوده وأحكامه. قال الطيبي: أقول - والله أعلم - لعل المناسبة بتخصيص النداء بأهل القرآن في مقام الفردانية، إنما كانت لأجل أن القرآن ما أنزل إلا لتقرير التوحيد، قال تعالى: على سبيل الحصر وتكريره: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٤]، أى مقصور على إفراد الله بالتوحيد كأنه قيل: إن الله واحد يحب الوحدة، فوحدوه يا أهل التوحيد[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٥٢، وقال الألباني: صحيح دون قوله "هى خير لكم من حمر النعم" (صحيح سنن الترمذي، ٣٧٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ، ١٥١/٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٨٨/٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥١/٣.

وأهل القرآن لهم منزلة خاصة في الدين ولهم ثواب عظيم عند الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»[١].

وقال ﷺ: "اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"[٢]، فأهل القرآن من أصناف المدعوين الذين ينبغي أن يكونوا على قدر كبير من المسئولية والالتزام، لأنهم يحملون كتاب الله. ويجب على الجميع احترامهم وتقديرهم إكرامًا لما يحملون.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث الأمر، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فأوتروا يا أهل القرآن"؛ حيث أمر أهل القرآن بالوتر.

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يفيد بها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين ودعوتهم إلى ما ينفعهم، ويجعلهم يشعرون بأهمية الاستجابة لدعوته؛ لأنه يأمرهم بالخير.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

الحديث رقم (١١٣٥)

١١٣٥- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ[1] ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

السَّحَر: آخر الليل قبل طلوع الفجر[3].

الشرح الأدبي

الحديث السابق رغب في صلاة الوتر، وهذا الحديث يشير إلى وقته مما يشير إلى مواظبته عليه، وقد جاء المعنى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في أسلوب خبري خال من المؤكدات اعتمد الإجمال، والتفصيل حيث أجملت أولا ثم فصلت فقولها (مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ) وتقديم الجار، والمجرور (مِنْ كُلِّ) لأنه المعنى الذي يدور حوله الحديث وتريد أن تقرره، وهو أن زمن هذه النافلة على مدار الليل مما يعطي مساحة من الزمن تسمح بأدائها متى تيسر للمسلم، وهو ما يجعل تداركها سهلا على من فاتته، وقولها (وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ) تفصيل لما أجملت يستوعب كل أوقات الليل ثم إنه توكيد للمعنى السابق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عائشة رضي الله عنها لحال رسول الله ﷺ في وتره.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص رسول الله ﷺ على البيان العملي للأمور.

---

(١) لفظ مسلم: (وأوسطه وآخره).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (١٣٧/٧٤٥) واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٦٥.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان عائشة رضي الله عنها لحال رسول الله ﷺ في وتره:

يظهر ذلك في قولها رضي الله عنها: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ، من أوله، ومن أوسطه، ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر؛ حيث بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أوقات أداء رسول الله ﷺ لصلاة الوتر.

قال النووي: "فيه جواز الإيتار في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته"[(١)].

وقال ابن حجر: ويحتمل أن يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الأحوال، فحيث أوتر في أوله لعله كان وجعًا، وحيث أوتر وسطه لعله كان مسافرًا، وأما وتره في آخره فكأنه كان غالب أحواله لما عرف من مواظبته ﷺ على الصلاة في أكثر الليل، والله أعلم[(٢)].

وبيان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لحال النبي ﷺ في وتره إنما هو حرص منها على إبلاغ المسلمين بعبادة رسول الله ﷺ ليقتدوا به فيها، وقد أمر الله تعالى زوجات النبي بتبليغ ما يتلى عليهن من قرآن، وحكمة من رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[(٣)]، قال القرطبي: (فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي ﷺ، ويسمعن من أقواله، حتى يبلغن ذلك إلى الناس، فيعلموا ويقتدوا)[(٤)].

وقال ابن عاشور: (أي: بلغنه للناس بأن يقرأن القرآن ويبلغن أقوال النبي ﷺ وسيرته، ولم يزل أصحاب النبي ﷺ والتابعون بعدهم يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من الأحكام، لا سيما أحكام النساء، وأحكام الرجل مع أهله)[(٥)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/١٤/١٨٤.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٩/٢٢/١٨.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص رسول الله ﷺ على البيان العملي للأمور التعبدية لأمته:

يظهر ذلك في أدائه ﷺ لصلاة الوتر في أول الليل وأوسطه وآخره.

وهذا يدل على حرصه ﷺ على بيان الأمور التعبدية لأمته، وهذا ما أمره الله به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1].

قال السعدي: هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها، وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا، كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشر، ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين[2].

وقد حرص النبي ﷺ على بيان كافة الأمور التعبدية لأمته، وقد تواترت النصوص النبوية في بيانه ﷺ للأمور التعبدية، ومن ذلك في الصلاة قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[3].

قال الطيبي: (أي: صلوا صلاة كصلاة رأيتموني أصليها)[4].

وفي الحج يؤدي ﷺ المناسك ويقول لأصحابه: «لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ، فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ»[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٣١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢١٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

قال النووي: (قوله ﷺ "لتأخذوا مناسككم" أي: ... هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات، هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج.

وقوله ﷺ: "لعلي لا أحج بعد حجتي هذه" فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة في ملازمته وتعلم أمور الدين)[١].

وفي بيان الأمور التعبدية -النوافل- قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ من الليل حتى تَتفطَّرَ قَدَماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذَنْبك وما تأخَّر؟ قال: أَفَلا أحبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا»[٢].

وكذلك صلاته للوتر كما معنا في هذا الحديث، فقد صلاه في أول الليل ووسطه وآخره، ولم يترك ﷺ كبيرة ولا صغيرة إلا بينها لأمته.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٨١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٧.

الحديث رقم (١١٣٦)

١١٣٦- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عن النَّبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جملة واحدة إنشائية تقرر الحكم، وهو قوله (اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْراً) وهو أسلوب أمر للتوجيه والإرشاد بجعل الوتر ختام للصلوات بالليل، والتعبير بالجعل يشير إلى التصيير، والتحويل الذي يقتضي ممن نوى القيام تأخير الوتر، وممن نوى النوم أن يوتر قبل نومه حتى لا يفوته هذا الفضل بتحصيل هذه النافلة.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التعجيل بصلاة الوتر قبل أذان الصبح.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في عموم الأحاديث حيث قال رسول الله ﷺ في الحديث الأول: "اجعلوا آخر صلاتكم..."، والثاني: "أوتروا قبل..."، والثالث: "بادروا الصبح...".

حيث أمر رسول الله ﷺ بالإيتار قبل الفجر، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين، ودعوتهم إلى تحصيل الأعمال الصالحة، وهو من الأساليب التي تجعل المدعو يستجيب للدعوة ويقبلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١/١٥١) ولفظهما سواء.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٣٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٣٧).

ثانيًا – من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

يظهر هذا في حث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكون الوتر آخر صلاتهم قبل النوم، حتى يكون آخر عملهم في يومهم طاعة الله تعالى.

وهذا من حرصه ﷺ على نفع المدعوين، وذلك لأن هدف الداعية هو حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وهذا الحرص هو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّٰهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[(٢)]، "إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم، يجعل القلوب تلتف حوله وتستجيب لدعوته"[(٣)].

إن اهتمام الأب بأمور أبنائه وقضاياهم قد لا يجد المرء فيه غرابة، إذ الدافع لذلك حنان الأبوة ومحبة الأبناء، ومع ذلك فالأب الذي يحنو على أبنائه ويهتم بأحوالهم وقضاياهم، أقرب إلى قلوب الأبناء من الذي لا يهتم بهم ولا يحنو عليهم، وأنه حريٌّ إذا قال أن يُسمع لقوله وإذا أمر أن يُمتثل لأمره. فكم يا ترى سيكون تأثير الرجل الغريب الذي لا تربطه مصلحة ولا منفعة، ولا غير ذلك، كم سيكون تأثير اهتمامه بغيره ومواساته لهم؟"[(٤)].

ويرى محمد قطب: "أن المربي الناجح يجب أن تكون لديه المقدرة على الاهتمام بالآخرين، بأن يعطيهم ما عنده من الخير، والشخص الطيب في ذاته الذي لا يهتم بإعطاء الآخرين –مع مقدرته على العطاء– لا يصلح للتربية، لأن الاهتمام بالآخرين

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩٤.

(٣) انظر: النصيحة، الباز محمد الدميري ص ٦١ – ٦٢.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٧٢.

عنصر ضروري للتربية، من الجانبين، جانب المربي، وجانب المتلقي، أما المربي فإن فقد الاهتمام بالآخرين، فلن يتجه أصلاً إلى التربية، فضلاً عن كونه لا يصلح لها -ولو احترفها احترافًا- أما المتلقي فلا يمكن أن ينشرح صدره للتلقي من شخص يحس في أعماقه أنه لا يهتم به. فالاهتمام والرعاية عنصر ضروري من عناصر التربية، لا بد أن تتوفر في المربي لكي ينجح في مهمته الخطيرة"[١].

"ولا بد للداعية أن يقرن اهتمامه بالمحبة، والمتلقي الذي يشعر أن الداعية يحبه ويعطف عليه، لا شك سيتجاوب معه ويسمع منه، أما الذي لا يشعر بمحبة الداعية وعطفه عليه، لا نستغرب ابتعاده عنه وعدم تجاوبه معه.

ولقد كان رسول الله ﷺ للناس كالأب الحنون، والقريب الشفيق، والصديق الحميم، تشغله همومهم، وتملأ نفسه مشاعرهم، ويعودهم ويزورهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه ووقته الشيء الكثير"[٢].

يقول الشيخ أبو زهرة: "والصفة الثانية من أخلاقه، أنه يأتلف مع أصحابه، ويمزج إحساسه الفاضل بإحساسهم، لينساب إلى نفوسهم، يكرم كريمهم ويرفع خسيسة صغيرهم، حتى يحس بأنه منهم، ويوزع محبته بينهم، ويعطي نفسه لكل واحد منهم، حتى يظن كل واحد منهم أنه موضع الرعاية منه، وإذا رأى أمرًا حسنًا أعلن حسنه، وإن رأى قبيحًا نبه إليه في رفق الهادي الأمين، الذي يُؤلف ولا يُنفر، ويُقرب ولا يُبعد، ولا يسكت عن باطل"[٣]، ويؤيد ما قال أبو زهرة اعتقاد عمرو بن العاص أن النبي ﷺ يحبه أكثر من أصحابه، لما رأى من حفاوته به، وإقباله عليه واهتمامه به، فجاء يسأله وليس لديه أدنى شك فيما اعتقد، فقال له: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة)، قلت: فمن الرجال؟ قال: (أبوها)، قلت، ثم من: قال: (عمر بن الخطاب)، فعدد رجالاً فسكت، مخافة أن يجعلني آخرهم[٤].

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية ٤٦/٢ (بتصرف.

(٢) المصدر السابق ١٨٢/١ - ١٨٣ (بتصرف).

(٣) خاتم النبيين ٢٤٣/١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٦٢.

وهذه بعض الأمثلة على اهتمامه بالناس ومواساته لهم:

١/ روى البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أَتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتقارِبونَ فأقمنا عندَهُ عِشرينَ يومًا وليلةً ، وكان رسولُ الله ﷺ رَحيمًا رَفيقًا، فلمَّا ظَنَّ أَنَّا قدِ اشتهينا أهلَنا - أو قد اشتَقْنا- سألَنا عمَّن تركنا بعدَنا، فأخبرناهُ، قال: ((ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم، ومُروهم... الحديث))[1].

وهذا الحديث فيه دلالة على أنه كان يعيش معهم، ويعيش أحاسيسهم وأشواقهم، ويستشعر حاجاتهم، ويداري مشاعرهم وغريزتهم.

٢/ هجرة أصحابه إلى المدينة قبله، حيث أراد أن يطمئن على نجاتهم ووصولهم[2]، فالداعي لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير والنصح لهم[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر:

يظهر ذلك في حرص رسول الله ﷺ على أمر المسلمين بصلاة الوتر، وحرصه على أن تكون آخر الصلوات، قال ابن علان رحمه الله: "فيسن - جعله الأقل منه والأكمل - بعد صلاة الليل التي يريد فعلها فيه، من راتبة أو تراويح أو تهجد أو نفل مطلق، وكأن حكمة ذلك أن الوتر أفضل من هذه الصلوات الليلية، فندب وقوعه عقبها ليختم عمله بالأفضل، فتعود عليه بركته ويحوز نفعه، وما ورد من صلاته ﷺ أول الليل محمول على الجواز"[4]، وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تحث على صلاة الوتر وترغب فيها منها قوله ﷺ: ((يَا أَهْلَ الْقُرآنِ أَوْتِرُوا فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ))[5].

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٧٤.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٨٩.

(٥) أخرجه ابو داود ١٤١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٦).

صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِترٍ))[١].

وقال أيضًا ﷺ: ((الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كلِّ مُسْلِمٍ، فَمنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِثَلاثٍ فَلْيَفْعَل، وَمَنْ أَحْبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ))[٢].

فصلاة الوتر من الصلوات التي كان النبي ﷺ يحافظ عليها، فقد كان لا يدعها هي وركعتي الفجر في سفر ولا حضر، وأمر عليه الصلاة والسلام بها فقال: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))[٣].

قال ابن القيم: "وكان في السفر يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن، ولم ينقل عنه في السفر أنه صلى سنة راتبة غيرهما"[٤][٥].

ومن هذه الأحاديث يتضح فضل صلاة الوتر والترغيب في القيام بأدائها.

رابعًا – من موضوعات الدعوة: الحث على التعجيل بصلاة الوتر قبل أذان الصبح:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (أوتروا قبل أن تصبحوا)، وقوله ﷺ: (بادروا الصبح بالوتر).

قال الطيبي: "أي: سارعوا، قيل: يقال: بدرت إليه، وبادرته، والبدر قيل: سمي بدرًا لمبادرته الشمس بالطلوع، وأقول: كأن الصبح مسافر، يقدم إليك طالبًا منك الوتر، وأنت تستقبله مسرعًا بمطلوبه، وإيصاله إلى بغيته، ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا وتر بعد الصبح"[٦].

وقال ابن عثيمين: "إن النبي ﷺ قال: (أوتروا قبل أن تصبحوا)، لأن الوتر ينتهي وقته بطلوع الفجر، فإذا طلع الفجر فلا وتر، حتى لو بين أذان الفجر والإقامة لا وتر، ولكن إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر فإنه يصلي في النهار شفعًا، إن كان يوتر بثلاث

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١١٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٢٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٠).

(٣) أخرجه البخاري ٩٩٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٥/١.

(٥) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها الإمام ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ٤١.

(٦) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٧/٣.

صلى أربعًا، وإن كان يوتر بخمسٍ صلى ستًا، وإن كان يوتر بسبع صلى ثماني لقول عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[1]"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٣٣٥/٢.

الحديث رقم (١١٣٧)

١١٣٧- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((أوْتِرُوا قَبْلَ أنْ تُصْبِحُوا)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

قبل أن تصبحوا: أي قبل صلاة الصبح[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه توكيد للأحاديث السابقة من حيث تقريرها وثباتها، ومن حيث الترغيب فيه بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن حيث زمانها وهو على مدار الليل، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوْتِرُوا قَبْلَ أنْ تُصْبِحُوا) أي أدوا صلاة الوتر قبل أن يدرككم الصباح، واتصال الفعلين بواو الجماعة يشير إلى عموم جميع المخاطبين.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (١٦٠/٧٥٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ب ح).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٣٨)

١١٣٨- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلاَتَهُ باللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أيْقَظَهَا فَأوْتَرتْ. رواه مسلم[١].

وفي روايةٍ لَهُ: فَإذَا بَقِيَ الوِتْرُ[٢]، قَالَ: ((قُومِي فَأوتِرِي يَا عائِشَةُ)) [٣].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

معترضة بين يديه: نائمة أمامه من جهة يمينه إلى جهة شماله[٤].

الشرح الأدبي

هذا لحديث يقرر عن طريق البيان العملي تأخير الوتر في آخر الصلوات عن طريق الحوار بين أم المؤمنين عائشة، وبين الرسول ﷺ والجملة التي سبقت الحوار تشير إلى العلاقة الحنونة بين الزوجين، والتقارب الروحي مع البساطة في الحياة، والتعامل، وقوله (يُصَلِّي صَلاَتَهُ) جناس يؤكد المعنى، وقوله (وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ) أي: تنام بالعرض أمامه، وقوله (فَإذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أيْقَظَهَا فَأوْتَرتْ) وهو خبر في صورة أسلوب شرط يربط إيقاظ عائشة رضي الله عنها ببقاء الوتر حتى تصليه معه بعد أن أتم صلاته بالليل، وهو المعنى الذي يقرره الحديث، وقد جاء في الرواية الثانية بأسلوب إنشائي، في قوله (قُومِي فَأوتِرِي يَا عائِشَةُ) والأمر الأول للاستعداد ينفض عنها أثر النوم، ويحملها، والأمر الثاني يبين علة القيام، والنداء بعدهما يستلزمه مقتضى حال النائم لتحقيق مزيد التنبيه.

---

(١) برقم (٧٤٤/١٣٤).

(٢) لفظ مسلم: (فإذا أوتر).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٤/١٣٤).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٥٨٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الليل.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث أهله على الطاعات.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الليل:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان يصلي صلاته بالليل...".

وقد أمره الله تعالى بقيام الليل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]، قال ابن كثير: "يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2]، وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده. كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]، وها هنا بيّن له مقدار ما يقوم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"[4].

قال ابن القيم: "ولم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا وكان إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة"[5].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيَقومُ أو لَيُصلِّي حتى تَرِم قدماه - أو ساقاه فيقالُ له، فيقول: ((أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[6].

---

(١) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٩/٨.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٤/١.

(٦) أخرجه البخاري ١١٣٠.

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه يقول: قام النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى تورَّمَت قدماه، فقيل له: غفَرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذَنْبك وما تأخَّر، قال: ((أَفلا أكونُ عبدًا شَكورًا))[١].

وهذا يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل، فما أحرى بالمسلم أن يقتدي ويتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في عبادته لربه عامة، ولا سيما ذوي الفضائل العظمى كقيام الليل.

إن المسلم إذا واظب على الصلاة ومنها قيام الليل، تيقظت قواه الروحية، وأحس بأن الله يمده بالقوة والعون، وأنه سبحانه معه لا يتخلى عنه؛ فتقوى عزيمته، وتشتد إرادته، ويمضي إلى غايته دون تردد أو ضعف، مهما اعترضته الصعاب أو واجهته العقبات.

إن في الصلاة انتزاعًا للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر والدعاء والضراعة والخضوع لكبريائه وعظمته، وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة، فتتجدد قواها، ويحفزها إلى العمل الجاد والأمل في وجه الله الكريم[٢].

ثانيًا - من آداب الداعية: حث أهله على الطاعات:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: (فإذا بقي الوتر أيقظها فأوتر) وفي الرواية الأخرى: (فإذا بقي الوتر قال: قومي فأوتري يا عائشة)، وهذا يدل على حثه أهل بيته على الطاعة، وهذا ما يجب أن يحرص عليه الداعية، وذلك لأن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرص على هداية أهله وطاعتهم لله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣].

قال د. محمود حجازي: "ثم أمره صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الأقرب فالأقرب من أهله

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٣٦.

(٢) انظر: إسلامنا، السيد سابق ص ١١٦ - ١١٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤ - ٢٢٠.

وعشيرته. يمكن أن نفهم من هذا كله أن المراد نفي الشك والطعن عن الدعوة المحمدية، لأن الإنسان جبل على حب الخير له ولأهله.

وهذه نصائح غالية تنفع الدعاة والمرشدين إلى الحق والخير، حيث تبدأ بدعوتك أقرب الناس إليك. فهم يعرفونك، ويثقون فيك، فإذا أضفت مع هذا لين الجانب وحسن الخلق، وطيب العشرة لمن اتبعك وسار على طريقك، كان لكلامك وقع، ولشخصك مكانة في القلوب، ولسلوكك في الناس تأثير وأي تأثير؟ ولذا يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإن لم تتبعك عشيرتك وقرابتك وعصوك فقل لهم: إني برئ مما تعملون،وتوكل على الله، وسلم أمرك إليه، وفوّض أمرك لربك إنه هو العزيز يعز أولياءه، ويقهر أعداءه، وينصرك عليهم برحمته، فإنه يراك، ويلحظك حين تقوم في أي عمل من الأعمال، وحين تتقلب مع الراكعين الساجدين العابدين القانتين، إنه هو السميع لكل قول، العليم لكل فعل"[١].

وقد أمر الله المؤمنين بطاعة الله، وأن يأمروا أهليهم بطاعة الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢]، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (قوا أنفسكم وأهليكم نارا)، يقول اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار.

وقال مجاهد: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية، زجرتهم عنها.

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٥/١٩/٢ - ٧٦.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه"[١].

ومعنى هذه الآية يتحقق في الحديث الذي ورد عنه ﷺ: ((مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا))[٢].

فإذا كان المسلم مأمورًا بحث أهله على الطاعة وعبادة الله تعالى؛ فالداعية من باب أولى، لأنه هو القدوة والمثال لغيره من المدعوين، ولأنه هو من يدعو إلى الطاعة والأمر بها، وله في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٤، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٥).

الحديث رقم (١١٣٩)

١١٣٩- وعن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بادروا الصبح: سارعوه وسابقوه، واسبقوه[2].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه من حيث موضوعه، وهو الترغيب في الوتر جاء في جملة قصيرة بحيث أن من يسمعها لا تلتبس عليه، ولا ينساها، وقوله (بادروا) أمر بمعنى الحث على المسارعة، والتعبير بالمبادرة يوحي بوشك الفوت لاغتنام فرصة، وبمبادرة طارق، وتصدرها للكلام يجذب الانتباه، وقوله: (الصبح) فيه إيجاز بالحذف أي وقت الصبح، وكذلك قوله (بالوتر) أي بصلاة الوتر حتى لا ينقضي وقتها بانقضاء الليل.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٣٦)، والترمذي (٤٦٧). تنبيه: الحديث بهذا اللفظ أخرجه أيضًا مسلم (١٤٩/٧٥٠).

(٢) اللسان والوسيط في (ب د ر).

(٣) سيأتي ذكرها في شرح الحديث التالي.

الحديث رقم (١١٤٠)

١١٤٠- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ خَافَ أنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ، فَإنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وذَلِكَ أفْضَلُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

طمع: وثق[2].

مشهودة: تحضرها ملائكة الرحمة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط الذي يربط الأمر بالوتر أول الليل، بخوف عدم القيام، ويربط الأمر بالوتر آخر الليل بالطمع في القيام آخره، والطباق بين أول، وآخر يؤكد المعنى، ويقرر اختلاف الظروف التي تستلزم من كل إنسان أن يراعي حاله بين النوم، أو القيام ثم إنه طابق بين الخوف، والطمع الذي هو بمعنى الرجاء الذي يقابله ليراجع حاله بين اعتقاد القيام، أو خوف النوم ليتخذ على أساسه قراره، والتعبير بالطمع يوحي بشدة الرغبة في تحصيل فضل القيام؛ لأن النية المجردة قد لا تحمل صاحبها على الصبر، ومغالبة النوم فتحتاج معها إلى ما يقويها، وهو رجاء ما عند الله، والتعلق به لذلك علل للأمر الأخير بما يحقق الرغبة فيه بقوله (فَإنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ) من الله تعالى أو من الملائكة، وهو ما يؤكد فضل هذه الصلاة في هذا الوقت.

---

(١) برقم (٧٥٥/١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٨٦٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥١٥.

(٣) المرجع السابق ٥١٥.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإرشاد لفضل صلاة الوتر وفضل صلاتها آخر الليل.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة آخر الليل.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والإرشاد لفضل صلاة الوتر وفضل صلاتها آخر الليل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله..." الحديث.

حيث بيّن وأرشد المسلمين إلى صلاة الوتر، وبيّن أن أفضل أوقاتها هو آخر الليل حيث أنه وقت مشهود.

وبيان الدين وإرشاد الأمة هو من اختصاص رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وأما أنت يا رسول الله فقد أنزل الله إليك الذكر والقرآن لتبين للناس ما أنزل إليهم، فأنت أدرى الناس به وأحرص الناس عليه وعلى اتباع الناس له، فأنزله إليك لتبينه للناس ولعلهم يتفكرون[3].

والداعية إلى الله يجب أن يبين ويرشد المدعوين إلى الخير، ويدعوهم إلى الحق وينهاهم عن الباطل، وعليه أن يبين لهم أفضل الأعمال وأفضل أوقات العبادة، كما بيّن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أفضل أوقات الوتر.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فليوتر أوله.. فليوتر آخر الليل"، وقوله ﷺ: "بادروا

---

(١) تم دمج مضامين هذا الحديث (١١٤٠) مع مضامين الحديث السابق.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٤/٤٤.

الصبح بالوتر"، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤكد أهمية الدعوة وبيان الحقائق للمدعوين، وتشعر المدعو بضرورة الاستجابة لدعوته. فالداعية لا يأمر إلا بما أمر به الدين.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة:

يظهر ذلك في تخيير رسول الله ﷺ في صلاة الوتر في أول الليل لمن خاف على نفسه النوم، أما من علم أنه يستيقظ في آخره فليوتر في آخره لأنه أفضل، فلم يلزم الوتر في وقت محدد، ولكنه ترك ذلك حسب مقدرة كل إنسان، ومن ذلك يظهر اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة في الدين الإسلامي. فالتيسير والتسهيل على الناس قد ندب إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وعن عامر بن أبي موسى عن أبيه قال لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال لهما: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا))[3].

فإن التيسير على الناس في معاملتهم، ونهيهم وزجرهم، تيسير على النفس، فلا تكثر عليها من الطاعات حتى تسأمها وتملها، ولا تشق عليها بالعبادات إذا أمكن القيام بها في يسر[4].

"وإن المتتبع لأبواب الشريعة، بل لجزيئات هذه الأبواب، يستطيع في مقام الموازنة أن يثبت أن باب اليسر أكثر من غيره، وذلك أمر طبيعي لا يستدعي من التأمل سوى معرفة أن العبادة صلة محضة بين العبد وربه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت تلك الصلة مبنية على التسامح، وعدم الحرج والمشقة.

ولا أدل على ما نقوله من الأمثلة الحية التي نطبقها في حياتنا اليومية أكثر من مرة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٢٤.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٣.

من ذلك أن الله سبحانه قد سامحنا فيما يصيب الثوب من النجاسات بأن اكتفى منا بغسل محلها، وقد لا يتصور البعض أن في ذلك سماحة إلا إذا عرف الحكم الشرعي في ذلك عند بني إسرائيل، فإنهم كانوا يكلفون بقص ما أصابته النجاسة من الثوب، فجاءت شريعتنا مخففة الحكم في ذلك الإصر الثقيل الذي وضعه الله عليهم"[١].

ومن الأمثلة التي توضح اليسر في العبادات الصلاة في السفر:

السفر يفرض على صاحبه أن يسير في برنامج غير برنامجه الطبيعي، الذي استمرأ سلوكه في حال الإقامة، كما أنه يفرض عليه تجشم المصاعب: من الإدلاج والسهر والتعرض للبرد أو الحر وأعواز الماء وخوف الانقطاع، فهو حينئذ ليس بمطمئن البال ولا بمستريح الجسم، ومن أجل ذلك كان السفر مظنة للمشقة والعناء، فكان جديرًا بأن يحظى بنوع من اليسر والسهولة في التكاليف، كي يستطيع المسافر القيام بها دون إدخال له في الحرج.

ولم تضق شريعة الإسلام ذرعًا بذلك، بل قدمت من ذلك الشيء الكثير، وفي جوانب مختلفة من جوانب العبادات، ففي جانب الصلاة الرباعية - مثلاً - قصرتها إلى ركعتين فقط، بدل أربع ركعات.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((صحبتُ رسولَ الله ﷺ، فكانَ لا يزيدُ في السَّفرِ على ركعتَينِ، وأبا بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ كذلكَ))[٢].

وكما قدم الإسلام هذه التسهيلات في الصلاة الرباعية، رفقًا بالمسافر، وتخفيفًا عنه من العناء الذي تفرضه طبيعة السفر، قدم يسرًا آخر لا يقل عما تقدمه، ذلك هو ما رخص به من الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، إذ إن توقف المسافر عدة مرات لأداء الصلاة في وقتها قد يدخل عليه نوعًا من المشقة، فرفعها الإسلام بالترخيص في الجمع، روى مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ. فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا. وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا))[٣].

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة ص ٤٧.

(٢) اخرجه البخاري ١١٠٢، ومسلم ٦٨٩.

(٣) اخرجه مسلم ٧٠٦.

ولم يكتف الإسلام بتقديم ما ذكرناه من تسهيلات في الصلاة للمسافر، بل نظر إلى حالة المسافر من حيث المواصلة في السير أو التوقف فيه، فشرع تقديم صلاة العصر مع الظهر حينما يكون قد أدركه وقت الظهر وهو متوقف عن السير، وشرع تأخير صلاة الظهر حتى يصليها مع العصر حينما يكون قد أدركه وقت الظهر وهو يواصل السير، وهكذا شرع في صلاتي المغرب والعشاء.

روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن معاذ رضي الله عنه: ((أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان في غزوةِ تَبُوكَ إذا ارتَحَل قَبلَ زَيغ الشَمسِ أخرَ الظهرَ إلى أن يجمَعَها إلى العصْرِ فيُصلِّيهمَا جميعًا وإذا ارتحَل بعدَ زَيغِ الشَّمْسِ عجَّلَ العصْرَ إلى الظُّهرِ وصلى الظُّهرَ والعَصْرَ جميعًا ثم سارَ وكان إذا ارتحل قَبلَ المغْربِ أخرَ المغرِبَ حتى يصليَهَا مع العِشاءِ وإذا ارتحَلَ بعدَ المغرِبِ عجّلَ العِشَاء فَصَلاَّهَا مع المغرِبِ))[1].

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الإسلام لم يكد يترك مرحلة من المراحل التي تمر بها هذه العبادة، إلا وقد حباها بنوع من السهولة والتيسير"[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة آخر الليل:

يظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "... فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل".

قال النووي رحمه الله: "فيه دليل على أن تأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل لمن وثق بالاستيقاظ آخر الليل، وأن من لا يثق بذلك فالتقديم له أفضل وهذا هو الصواب. وقوله صلى الله عليه وسلم: (فإن صلاة آخر الليل مشهودة)، وذلك أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة، وفيه دليلان صريحان على تفضيل صلاة الوتر وغيرها آخر الليل"[3].

قال الطيبي رحمه الله: "قوله: (مشهودة)، يعني يشهدها ملائكة الليل والنهار، ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء، فهو آخر ديوان النهار، أو يشهدها كثير من المصلين في العادة"[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤١/٥، رقم ٢٢٠٩٣، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ٤١٣/٣٦، وأبو داود ١٢٠٨، والترمذي ٥٥٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٤٥٥).

(٢) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٥٠ - ٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٨/٢.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))[١].

وقال ﷺ: ((أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[٢].

وقال ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[٣].

فصلاة آخر الليل من الصلوات المباركة والتي فيها كثير من الثواب والبركات فينبغي أن يحرص عليها المسلم لتحصيل ثوابها.

"إن من يوفقه الله إلى شهود آخر الليل قائمًا ومستغفرًا قد وُفق لشهود عظيم كريم، فرسول الله ﷺ يقول: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ))[٤].

فمن وُفق للقيام بين يدي الله عز وجل في هذا الوقت الشريف، فذاك الشرف، ومن لا يوفق، فلا أقل من أن يكون من المستغفرين في هذا الوقت. فالله تعالى يذكر في عباده الصالحين من وصفهم بقوله: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٥]، فهم يقضون هذه اللحظات في طاعة، مستغفرين، ولكن الاستغفار إذا كان مع طاعة من الطاعات كان أدعى للقبول، والصلاة أحسن الطاعات، ولهذا قال العلماء: كلما كان هذا الاستغفار في صلاة فهو أحسن"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٥١.

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم ٧٥٨.

(٥) سورة آل عمرا، آية: ١٧.

(٦) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها الإمام ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ١٣٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على حب ما يحبه الله:

هذا مستمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سنّه رسول الله ﷺ قال: "إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن" فلا شك أن رسول الله ﷺ قد رغب في صلاة الوتر بذكر أن الله يحب هذه الصلاة، فما أحبه الله سارع العبد بفعله حتى ينال هذه الدرجة الرفيعة التي هي مبتغى وهدف وأمل كل عابد قائم بين يدي الله تعالى، وإذا غُرس في الناشئة هذا الحب سهل عليهم فعل المأمورات التي أمر الله بها، واجتناب المنهيات التي نهى الله عنها، لأنه إن فعل الأولى كان سببه الحب ولا يقتصر هذا على أداء العمل فحسب، إنما يمتد إلى درجة أداء العمل أيضًا، فيجيء به على خير ما يكون من الإتقان والجودة، وإن انتهى عن المنهيات فإن ذلك يكون صادرًا عن بغض لها لا لمجرد امتثال النهي، لذا فإنه يقيم سدًا منيعًا من البغض والكره بينه وبينها، بحيث يكون حذرًا من الاقتراب منها دعك من اقترافها والوقوع فيها، ومن ثم ينشأ الناشئة على العبودية لله رب العالمين، يبين ابن القيم فضل العبودية وكيف تكون، فيقول: (لا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، لا حجاب أغلظ من الدعوى، والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حبّ كامل، وذل تام، ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين وهما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته، وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه، فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وغيره، سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه كبيرهُ وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله

تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه، ولا ينال شيئًا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاءً له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى، وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع، أن من أحب شيئًا سواه عذب به ولا بدّ، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

الأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله عظمة ... وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيرًا كاملاً، والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهي: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه)[2].

ثانيًا - الاهتمام بتربية الأهل والعمل على إصلاحهم:

هذا مستمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلّي صلاته بالليل وهي معترضة بين يديه، فإذا بقي الوتر أيقظها فأوترت، وفي رواية: "قومي فأوتري يا عائشة". فقد أيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها حتى توتر، وتنال ثواب هذه الصلاة الفضيلة، و تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، إنه صلى الله عليه وسلم كان - بهذا - يريد صلاح حال أهله ودفعهم إلى فعل الخير و الصالحات الباقيات والأعمال النافعات،

---

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٥٥-٢٥٨ مجموعة الحديث.

ولذا أيقظها ﷺ في هذا الوقت الذي يكون فيه النوم محببًا إلى النفس جدًا، لأن في ذلك الخيرَ لها والنفعَ، ومن هذا المنطلق يمكن الاستئناس بهذا الحديث الشريف على أنه ينبغي أن يهتم المربي اهتمامًا بالغًا بإصلاح حال أهله وتربيتهم تربية صالحة تدفعهم إلى فعل الخير والمسابقة إليه والمداومة عليه، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - أن الأهل هم المجتمع الصغير الذي يقوم المربي بتربيته، فإذا نجح في ذلك لم يكن من الصعب عليه أن ينجح في إصلاح المجتمع الأكبر الذي يعيش فيه.

ب - صلاح الأهل دعوة صامتة إلى باقي أفراد المجتمع لأن يكونوا مثلهم أدبًا وأخلاقًا وسلوكًا وطريقًا ومنهاجًا، فهم غرس هذا المربي ونبتته التي رعاها ليل نهار وآناء الليل وأطراف النهار حتى صارت صالحة، ومن ثم يدفع المربين لأن يغرسوا كما غرس ويرعوا كما رعى ويتعاهدوا كما تعاهد، حتى تأتي الغرسة طيبة مباركًا فيها.

ج - صلاح الأهل طريق لصلاح المجتمع وسبيل إليه، فالمجتمع مكون من مجموعة من الأسر، فإذا صلحت صلح وإلا انتشر فيه الفساد والخراب والخلل والانحراف، وإذا أردنا معرفة صدق ذلك، فلنا أن نتخيل لو أصلح كل مربٍّ أهله، فماذا تكون النتيجة؟، النتيجة معروفة حتمًا: هو صلاح مجتمع هذه الأسر وخيريته.

وفي ضوء هذا يمكن أن نفسر اهتمام الإسلام بإصلاح الأهل والقيام على ذلك خير القيام، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾(١) والوقاية من النار للنفس وللأهل لا تتأتى إلا عن طريق الصلاح و التزام فعل الخير وبحيث يكون ذلك منهاجًا في الحياة، ولذا نبّه النبي ﷺ على ذلك فقال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ))(٢)، والمسؤولية كلمة جامعة للتعبير عن

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

الرعاية والتربية والتوجيه والمتابعة والمداومة على ذلك كله، وإلا كان الإنسان مفرطًا في مسؤوليته، مستحقًا للعقاب وما ينزل به.

ثالثًا - التربية على مراعاة الأحوال المختلفة:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بأن يبادروا الصُّبح بالوتر: أي يصلُّوا الوتر قبل طلوع الصبح، فلا يبادرهم الصبح بالطلوع وهم لم يوتروا: بل يكونون المبادرين بالإيتار قبل طلوع الصبح، سواء كانت تلك المبادرة قبل نومهم أو قبل صلاة الفجر، وهذا بلا شك يختلف باختلاف الأحوال، فليس كل المسلمين سواء في ذلك، فمنهم من يثق بأنه إن نام سوف يستيقظ قبل الصبح ويوتر في الوقت الأفضل لأداء الوتر، وهناك من يغلبه النوم فلا يمكن أن يستيقظ قبل الصبح، ولذا نصح النبي ﷺ الأول بأن يوتر آخر الليل، على حين أرشد الثاني إلى أن يوتر قبل نومه. وهذا هو عين مراعاة الأحوال، وقد وقع ذلك من النبي ﷺ بالفعل، كما وقع بالقول، وذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل، ومن أوسطه ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر". وهذا كان منه ﷺ بيانًا للأوقات التي يفعل فيها الوتر، ومن ثم يختار المسلم ما يناسبه، وهذا يختلف باختلاف أحوال الشخص نفسه، فمرة قد يوتر أول الليل ومرة يوتر وسطه ومرات قد يوتر آخره.

والخلاصة أنه يمكن أن نستفيد من هذا الحديث في المجال التربوي في أنه ينبغي مراعاة الأحوال المختلفة سواء للأشخاص أنفسهم أم للشخص نفسه؛ مما يحقق عددًا من الفوائد التربوية والتي منها:

أ - فتح المجال واسعًا أمام الناشئة وغيرهم في فعل ما يناسبهم ويلائمهم ويصلح لهم، ومن ثم تكون الرغبةُ في الخير قائمة وإن اختلفت الدرجات والمراتب والثواب.

ب - دفع الناشئة إلى أن يعملوا العمل الأفضل معظم أوقاتهم وأحوالهم، بحيث يكون ذلك عادة لهم، فإن لم يستطيعوا ذلك في بعض الأحيان فلا يفوتون فرصة العمل الأقل فضلاً.

ج - تعويدهم على القيام بواجب الوقت، فلاشك أن العمل الواحد قد تختلف رتبته

نظرًا لاختلاف الأحوال والأوقات، فيكون في بعضها أفضل، على حين أنه يكون في بعضها الآخر مفضولاً، يوضح هذا خير توضيح، الأحاديث التي تنص على أفضل الأعمال، فقد اختلفت الروايات في ذلك، فبعضها جاء فيها الجهاد وبعضها جاء فيها الحج، وغير ذلك[١]. فقد نقل النووي القول بأن: (الصحيح أنه محمول على أن الجهاد في وقت الزحف الملجئ والنفير العام، فإنه حينئذ يجب الجهاد على الجميع، و إن كان هكذا فالجهاد أولى بالتحريض والتقديم من الحج، لما في الجهاد من المصلحة العامة للمسلمين، مع أنه متعين متضيق في هذا الحال، بخلاف الحج. والله أعلم)[٢].



(١) انظر هذه الأحاديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، الأحاديث ٨٣-٨٥، وبعضها قد أخرجه البخاري.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ، ص ١٤٥٣ .

٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى

وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث عَلَى المحافظة عَلَيْهَا

الحديث رقم (١١٤١)

١١٤١- عن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: أوْصَانِي خَلِيلي ﷺ [١] بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أرْقُدَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وَالإيتَارُ قَبْلَ النَّوْمِ إنَّمَا يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لاَ يَثِقُ بالاسْتِيقَاظِ آخِرَ اللَّيْلِ فَإنْ وَثِقَ، فَآخِرُ اللَّيْلِ أفْضَلُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة ﵁ (أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ) التعبير بالوصية يشير إلى خصوصية في العطاء تستلزم مزيد العناية، والمحبة؛ لأن الموصي غالبا يوصي من يحب بما يحب، وقد قال بعده (خليلي) والخلة من أشد أنواع المحبة، ثم إنه أضافه لنفسه لبيان الخصوصية، وهذه العبارة توحي بعلو قيمة الموصى به، وهو (بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) لأن الصيام على هذه الطريقة ليس فيه مشقة كبيرة، والحسنة بعشر أمثالها، فثلاثة أيام تساوي بفضل الله ثلاثين يوما، فهو كصيام الدهر مع قدرة غالب الناس عليه (وَرَكْعَتَي الضُّحَى) ولفظ المثنى يحدد العدد، ولفظ الضحى يحدد وقت النافلة وقوله: (وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أرْقُدَ) أي أصلي الوتر، لكي يضمن عدم فوت الأجر، ووصية الخليل بهذه الأمور تشير إلى أهميتها مع يسرها الذي يوحي بشفقة الخليل على خليله بعدم تكليفه بما يشق عليه كما تجعلها في استطاعة الجميع.

---

(١) عندهما زيادة: (بثلاث)، وبدونه عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١/٨٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحثُ على صلاة الوتر قبل النوم لمن غلب على ظنه عدم القيام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر. ولم يعين وقتها من الشهر، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: ((كانَ رسولُ اللَّهِ يَصُومُ ثلاثةَ أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، قُلْتُ: من أَيِّهِ؟ قالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ أَيَّامِ الشَّهْرِ يَصُومُ))[١].

قال ابن عثيمين: "ولا فرق بين أن تكون متوالية يعني متتابعة أو متفرقة، كلها يحصل بها الأجر"[٢].

ومما يدل على فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثَلاَثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. فَهذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ))[٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ صامَ مِنْ كلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامٍ فَذَلِكَ صيامُ الدَّهْرِ فأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وتعَالى تَصْديقَ ذلك في كِتابه ﴿مَنْ جاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ اليَوْمُ بعَشْرَةِ أيامٍ))[٤]. يتضح من ذلك فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: .. وركعتي الضحى...".

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٠، والترمذي ٧٦٣، وأبو داود ٢٤٥٣ واللفظ له.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٣٧/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٦٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٦٠٩).

فوصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه بركعتي الضحى يدل على فضلها وقد ورد ما يؤكد فضل صلاة الضحى في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((ابنَ آدمَ اركَعْ لي من أولِ النهارِ أربعَ ركْعاتٍ أكفِكَ آخرَهُ))[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ((أَوْصَانِي حَبِيبِي بِثَلاَثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَصَلاَةِ الضُّحَى. وَبِأَنْ لاَ أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ))[2]. قال القرطبي: "وصية النبي ﷺ لأبي الدرداء وأبي هريرة رضي الله عنهما تدل على فضيلة الضحى، وكثرة ثوابه، وتأكده، ولذلك حافظا عليها ولم يتركاه"[3]. وجاء في فضلها عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((يُصبحُ على كلِّ سلامي منْ أحدكم صدقةٌ، فكلُّ تسبيحةٍ صدَقةٌ، وكلُّ تحميدَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرَةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمَعروفِ صدقةٌ، ونهْيٌ عنِ المنكَرِ صدقةٌ، ويجْزِيءُ منْ ذلكَ ركعتَانِ يركعُهما منَ الضُّحى))[4]، قال النووي: "وفيه دليل على عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين"[5]، وهذا يدل على فضل صلاة الضحى وعظيم أجرها.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحثُ على صلاة الوتر قبل النوم لمن غلب على ظنه عدم القيام:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... وأن أوتر قبل أن أرقد..."، قال النووي: "وفي هذا الحديث الحث على الوتر وتقديمه على النوم لمن خاف أن لا يستيقظ آخر الليل"[6].

وقال ابن عثيمين: "وإنما أوصاه بالوتر قبل أن ينام؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يدرس في أول الليل أحاديث رسول الله ﷺ فلا ينام إلا متأخرًا ويُخشى ألا يقوم من آخر

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٧٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٢.

(٣) المفهم ٢/٣٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٠.

(٦) المرجع السابق ص ٥٠٠.

الليل، فلهذا أوصاه أن يوتر قبل أن ينام"[١].

فهذا تنبيه على المسلم إذا خاف على نفسه عدم القيام أن يصلى الوتر، أما إذا غلب على ظنه القيام فليؤخر الوتر إلى آخر الليل لأن آخر الليل وقته أفضل.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧.

الحديث رقم (١١٤٢)

١١٤٢- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((يُصبحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىءُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

من براعة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ذكر لفظا واحدا دل على الحدث، وأعطاه اطرادا عبر الزمان، والمكان دون أن يذكر قيودا تنص على ذلك في قوله (يصبح) فلفظ يصبح معناه يدرك الصباح، وصيغة الماضي تعطي الفعل تجددا، واستمرارا ينسحب على كل صباح فهو حكم مستمر في كل يوم إلى يوم القيامة وقوله: (عَلَى كُلِّ سلامي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) لفظ الشمول كل يحتوي كل عظمة في جسد الإنسان، ولفظ أحدكم يشمل الجميع بالحكم، ومن الملاحظ أنه كرر لفظ الصدقة في الحديث مع كل خصلة ذكرها من خصال الخير تنبيها على الاستقلالية بحكم الصدقة لكل واحدة منهما بالإضافة إلى أنها مركز الحديث الذي يريد أن يقرره تكثيرا لأبواب الخيرات التي يستطيع كل إنسان خلالها أن يتصدق عن جسده، ثم إن الترغيب بتصدق الإنسان عن أعضاء بدنه يجعله أخف إلى هذه الطاعات لعلمه أنه يحفظ لحمه، وعظمه، وقوله (وَيُجْزِىءُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى) أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته، وقوله (رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا) في العبارة جناس يؤكد

---

(١) برقم (٧٢٠/٨٤)، وتقدم برقم (١١٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، ويبين قيمة هذه النافلة.

المضامين الدعوية[(١)]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٨).

الحديث رقم (١١٤٣)

١١٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث القصير يقرر صلاة الضحى بفعل النبي ﷺ لها، ويشير إلى عددها والتعبير بـ(كان) يشير إلى أنها عادة غالبة في الفعل على هذه الهيئة، وقولها (يصلي) تشير إلى التجدد؛ لأنها سنة يومية، والاستمرار الذي يوحي بالمواظبة عليها، ولفظ الضحى يشير إلى وقت النافلة، ولفظ أربع يدل على عددها، وقولها (وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ) تتميم بلاغي ينفي وهم الاقتصار على الأربع، ويفتح الباب للمزيد، وثواب الله تعالى أعظم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى وحرص النبي ﷺ على صلاتها.

ثالثًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في صلاة الضحى.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعًا...)، وقول أم هانئ رضي الله عنها: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح وجدته يغتسل

---

(١) برقم (٧١٩/٧٩).

(٢) تم دمج المضامين لهذا الحديث - ١١٤٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٤٤).

فلما فرغ صلى ثماني ركعات وذلك ضحى)، حيث أخبرتنا عن صلاة النبي ﷺ الضحى، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في الإخبار عن الحقائق وتبليغ المدعوين بأحكام الدين وسنة خاتم المرسلين ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى وحرص النبي ﷺ على صلاتها:

يظهر هذا من عموم الحديثين وقد ورد كثير من الأحاديث التي تدل على حرصه ﷺ على صلاة الضحى منها: عن أم هانئ رضي الله عنها في رواية أخرى: ((أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ. فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ. مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلاَةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ))[١]. وكذلك كان ﷺ يحث على صلاة الضحى وذلك لفضلها.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً فَغَنِمُوا وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُرْبِ مَغْزَاهُمْ، وَكَثْرَةِ غَنِيمَتِهِمْ، وَسُرْعَةِ رَجْعَتِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَقْرَبَ مِنْهُمْ مَغْزًى، وَأَكْثَرَ غَنِيمَةً، وَأَوْشَكَ رَجْعَةً؟ مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِسُبْحَةِ الضُّحَى، فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ مَغْزًى وَأَكْثَرُ غَنِيمَةً وَأَوْشَكُ رَجْعَةً))[٢]، يتضح من ذلك فضل صلاة الضحى، وقد وردت فيها أحاديث صحيحة تؤكد فضلها حتى عدّها ابن الجوزي في منزلة السنن الرواتب[٣]، ولكن الأظهر أنها ليست من الرواتب لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ المحافظة عليها وكذلك لم ينقل عن كبار صحابته المحافظة عليها، ونقل ابن القيم عن جماعة من أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الضحى لسبب من الأسباب، فقد صلاها يوم الفتح ثماني ركعات لأجل الفتح، وصلاها في بيت عتبان بن مالك لما طلب من رسول الله ﷺ أن يصلي في مكان في بيته ليتخذه مسجدًا بعد أن كُف بصره وحيل بينه وبين المسجد، وكان يصليها إذا قدم من مغيبه؛ فإنه ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٦، ١١٠٣، ٤٢٩٢، ومسلم ٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٥/٢، رقم ٦٦٣٨، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢١٣/١١.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٣١.

بالمسجد فصلى فيه ركعتين، وكذلك كان يصلي الضحى إذا أتى مسجد قباء"[١].

"وصلاة الضحى أيضًا تصلى عوضًا وخلفا عن صلاة الليل لمن لم يحافظ عليها. وبعض الأحاديث الواردة في فضلها تُحمل على ذلك. قال ابن القيم: "ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثارَ الصحابة، وجدها لا تدُل إلا على هذا القول، وأما أحاديثُ الترغيب فيها، والوصيةُ بها، فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر، لا يدلُّ على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما وصى أبا هريرة رضي الله عنه بذلك، لأنه قد رُوي أن أبا هريرة كان يختار درسَ الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يُوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة"[٢].

"فالحاصل أن صلاة الضحى من النوافل المستحبة، لا الراتبة، وقد ورد في فضلها عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يُصبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَيُجْزِىءُ مِنْ ذَلِكَ، رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى))[٣]"[٤].

وقال الشيخ عبدالله البسام في توضيح الأحكام: (قال الشيخ محمد بن محمد بن بدير: أحببت أن لا أترك المقام حتى أبين أمرًا عسى الله أن ينفع به من شاء من عباده، لقد ثبتت صلاة الضحى من قوله صلى الله عليه وسلم، وحثه أصحابه، وإقرارهم عليها بما لا يدع مجالاً للشك.

منها أحاديث الباب، ومنها ما ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بها أبا الدرداء رضي الله عنه، كما وصى بها أبا هريرة رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر في حديث التسبيح والتهليل والتحميد لأداء صدقات المفاصل قال: ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما أحدكم من الضحى.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٤ - ٣٥٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٤) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله عدها ابن القيم ص ٤١ - ٤٢.

وفي الصحيحين معًا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لَيدَعُ العملَ وهوَ يُحبُّ أنْ يَعملَ بهِ خشيةَ أنْ يَعملَ به الناسُ فيُفرَضَ عليهم، وما سبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ سُبحةَ الضُّحىٰ قطُّ، وإني لأُسبِّحها))[١] ومعلوم أنه مما لا يَردُ على العقل أن تحافظ أم المؤمنين على صلاة الضحى ولا يطلع عليها ﷺ، كما لا يظن بها أن تداوم على عبادة لم تُشْرَع وهي الراوية عنه ﷺ ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢]، ولكنها اعتذرت عن عدم صلاة الضحى بما ذكرت أنه خشية أن يثقل على أمته، بل قررت أن بعض ما كان يدع للتخفيف كان يحب أن يعمل به، والسياق في مقام صلاة الضحى. والعجب ممن يستدل على عدم سنيتها بأن رسول الله ﷺ لم يفعلها ولا أبو بكر ولا عمر بعد اتفاق أهل العلم أن السنة ما ثبت من قوله ﷺ أو فعله أو تقريره، فبعد ثبوت الأمر بها لا يمتري في سنيتها عالم بالسنة وأقسامها، وإلا فعليه أن ينكر فضيلة صوم داود لأن رسول الله ﷺ لم يعمل به، مع أنه مدحه وأمر به عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لما أراد أن يصوم أفضل الصيام. هذا على أنه ﷺ قد فعلها مرات كثيرة، فالذي أدين الله به أن صلاة الضحى قربة عظيمة لا يجحدها منصف، وقد ورد فيها من الأدلة ما لا مجال معه لذي بصيرة أن يتردد في كونها من هدي رسول الله ﷺ، ولقد أنصف شيخ الإسلام إذ يقول: إن أدلتها التواتر، يعني التواتر المعنوي. وبالله التوفيق)[٣].

ثالثًا – من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في صلاة الضحى:

هذا يستنبط من عموم الحديثين، قال النووي: "الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق، وحاصلها أن الضحى سنة مؤكدة وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات وبينهما أربع أو ست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢٨، ومسلم ٧١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨ واللفظ له.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/ ٢٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٩٧.

وقال ابن عثيمين: "أقلها ركعتان ولا حد لأكثرها، صلّ ما شئت لكن كان النبي ﷺ يصلي أربعًا وربما ثمانية، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت أن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب بها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله بها فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها، فانتهز الفرصة بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والتعلق بالله عز وجل، وتأسَّ بالنبي ﷺ وسنته"[1].

رابعًا - من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في قول أم هانئ رضي الله عنها: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح)، فلقد شهد العام الثامن للهجرة حدثًا هامًا كان بعيد الأثر في حياة الدعوة، ذلك هو فتح مكة الذي كان إيذانًا بانتهاء الوثنية في جزيرة العرب، والقضاء عليها فما كادت مكة تدخل في حوزة الإسلام، ويكسر رسول الله ﷺ الأصنام المنصوبة في جوف الكعبة، وينطلق صوت بلال رضي الله عنه بالأذان من فوق الكعبة حتى سارعت القبائل تعلن ولاءها، وتقدم وفودها إلى المدينة تبايع رسول الله ﷺ حتى عرف العام التاسع بعام الوفود، وهكذا ساد الإسلام أرجاء الجزيرة، وبدأت القبائل تنظم حياتها على ضوء تعاليم الإسلام، بما تتلقاه من توجيهات النبي ﷺ وتعليمه لها، وانطلق ولاته ﷺ إلى مواطن القبائل يقومون بأمور الحكم والقضاء والدعوة[2].

قال د. البوطي في العبر والعظات المستفادة من فتح مكة: إذا تتبعت أحداث الفتح العظيم الذي أكرم الله به نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، تستطيع أن تبصر قيمة الدعوة السابقة وأحداثها وأن تبصر أسرارها وحِكَمها الإلهية مجسدة أمام عينيك.

وتستطيع أن تدرك قيمة الهجرة منها قبل ذلك. تستطيع أن تدرك قيمة التضحية بالأرض والوطن والمال والأهل والعشيرة في سبيل الإسلام. فلن يضيع شيء من ذلك كله إن بقي الإسلام... ولكن ذلك كله لن يغني عن صاحبه شيئًا إن لم يكن قد بقي له الإسلام.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٣٧/٢، ١٣٣٨.

(٢) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٣٨.

فإذا تأملت أحداث هذا الفتح الأكبر تستطيع أن تدرك تمامًا قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن التي تمت من قبله، إن شيئًا من ذلك لم يذهب بددًا، ولم ترق نقطة دم لمسلم هدرًا، ولم يتحمل المسلمون كل ما لاقوه، مما قد رأيت في غزواتهم وأسفارهم، لأن رياح المصادمات فاجأتهم بها. ولكن كل ذلك كان جاريًا وفق حساب... وكل ذلك كان يؤدي أقساطًا من ثمن الفتح والنصر... وتلك هي سنة الله في عباده؛ لا نصر بدون إسلام صحيح، ولا إسلام بدون عبودية له، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وضراعة على بابه وجهاد في سبيله.

والآن وقد رأيت خبر هذا الفتح، تستطيع أن تدرك القيمة الكبرى لصلح الحديبية، وأن تستشف من وراء ظاهرها الذي أدهش عمر وكثيرا من الصحابة، السر الإلهي الرائع، وأن تقف باطمئنان تام على المعنى الذي من أجله أطلق الله على ذلك الصلح اسم الفتح: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1]، وإذا أدركت هذا، أدركت مزيدًا من حقائق النبوة التي كانت تقود حياة النبي ﷺ.

أتذكر يوم خرج النبي ﷺ من وطنه مكة، مستخفيًا في بطون الشعاب والأودية، مهاجرًا إلى يثرب، وقد سبقه من قبله ولحقه من بعده أصحابه القلة المستضعفون يتسللون مهاجرين، وقد تركوا المال والأهل والأرض من أجل أن يبقى لهم الدين؟

ها هم أولاء وقد رجعوا إلى الوطن والأهل والمال، وقد كثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، واستقبلهم أولئك الذي أخرجوهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين..

ودخل أهل مكة في دين الله أفواجًا، وأقبل بلال الحبشي وهو الذي طالما عذب في رمضاء مكة على أيدي المشركين، فصعد على الكعبة المشرفة ينادي بأعلى صوته: الله أكبر.. الله أكبر.

ذلك الصوت الذي كان يهمس يومًا تحت أسواط العذاب: أَحَدٌ، أَحَدٌ، أَحَدٌ، ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والكل خاشع منصت خاضع!

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.

ألا إنها لحقيقة واحدة لا ثانية لها: هي الإسلام، فما أحمق الإنسان وما أجهله، حينما يكافح أو يناضل أو يجاهد في غير سبيل الإسلام، إنما يكافح حينئذ عن وهم لا حقيقة له ولا طائل

وبعد، فإن أحداث هذا الفتح العظيم تنطوي على دلالات وأحكام كثيرة مختلفة، يجب تبصرها والوقوف عليها"[1].

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

الحديث رقم (١١٤٤)

١١٤٤- وعن أُمِّ هَانِىءٍ فاختة بنت أَبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، ... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، ... وَذَلِكَ ضُحىً. متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا مختصرُ لفظِ إحدى روايات مسلم.

ترجمة الراوي:

أم هانئ: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٦٥).

غريب الألفاظ:

عام الفتح: فتح مكة ووقع في ٢٠ رمضان ٨هـ [2].

الشرح الأدبي

قول أم هانيء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَامَ الفَتْحِ) ذكرت الظرف (عام) وأضافته للفتح؛ لأنه تضمَّن حدثاً عظيماً ، وهو فتح مكة ،وقد كانوا يؤرخون بالأحداث العظام، وقولها (فوجدته يغتسل) يشير إلى أنها أتته بعد تمام الفتح، واستتباب الأمر، لأن الاغتسال دليل على الاستراحة من عناء سابق، وقولها (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحىً) التعبير بالفراغ دلالة على الانتهاء من غسله وقولها (صلى) يقرر السنة بالفعل النبوي، وقوله (ثماني) يبين العدد وقولها ، (وذلك ضحي) أي في وقت الضحى، وهو تحديد لزمانها.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ١٣)، بل مختصر من روايتي البخاري ومسلم، وأما المختصر عند مسلم (٣٣٩/٧٠) فلفظه: ((ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب)) فقط.

(٢) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٩٧ ، ١٩٨ ، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٩.

(٣) تم دمجها مع المضامين الدعوية للحديث السابق.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: أن أقل الضحى ركعتان، وأكثرهما ثماني ركعات وقيل: اثنتي عشرة ركعة[1].

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢٢/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٤/١، مواهب الجليل ٧/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧١/٢، المجموع ٤١/٤، إعانة الطالبين ٢٥٣/١، الكافي في فقه الإمام أحمد ١٥٣/١، المبدع ٢٣/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٩٠/٢، الروض المربع ص ٢٢٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالوصية:

هذا مستمد من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد" فالحديث -كما هو واضح- قائم على الوصية، التي تحمل نوعًا من الخصوصية للموصى إليه، بحيث إنه قد يكون ذلك أنفع له من الوصية بالأمر نفسه لغيره، لأن المربي أعلم بحال أتباعه، فيوصيهم ويدلهم على ما ينفعهم، قال ابن القيم عن الوصية بصلاة الضحى: "وقد أوصى بها وندب إليها وحضّ عليها، وكان يستغني عنها بقيام الليل. فإن فيه غنية عنها وهي كالبدل منه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1].

قال ابن عباس والحسن وقتادة: عوضًا وخلفًا يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمل في أحدهما، قضاه في الآخر... ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة، وجدها لا تدلّ إلا على هذا القول، وأما أحاديث الترغيب فيها، والوصية بها فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما أوصى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر ولم يأمر بذلك أبابكر وعمر وسائر الصحابة"[2].

نخلص مما سبق إلى أن التربية بالوصية لها من الفوائد ما يجعل المربين يفعّلونها في عملهم وتربيتهم، ومن هذه الفوائد:

أ - دلالة من يقومون بتربيتهم على ما ينفع كلاً منهم ويلائمه ويكون أنفع له، فمما لا شك فيه أن ما يكون مناسبًا لأحدهم قد لا يكون بالضرورة صالحًا لغيره، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أكثر الناس يعجزون عن أفضل

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٦-٣٥٧.

الأعمال، فلو أمروا بها لفعلوها على وجه لا ينتفعون به أو ينتفعون انتفاعًا مرجوحًا، فيكون في حق أحد هؤلاء العمل الذي يناسبه وينتفع به أفضل له مما ليس كذلك، ولهذا يكون الذكر لكثير من الناس أفضل من قراءة القرآن، لأن الذكر يورثه الإيمان، والقرآن يورثه العلم، والعلم بعد الإيمان قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1] والقرآن يحتاج إلى فهم وتدبر وقد يكون عاجزًا عن ذلك، لكن هؤلاء يغلطون فيعتقد أحدهم أن الذكر أفضل مطلقًا، وليس كذلك بل قراءة القرآن في نفس الأمر أفضل من الذكر بإجماع المسلمين)[2].

ب - العمل على أن يتفوق كل واحد من الناشئة وغيرهم ويبرز، وذلك بتوصيته بما يناسبه ويلائم قدراته وإمكانياته، ومن ثم يكون المجال مفتوحًا لكل مجتهد لأن يتفوق ويجتهد ويحقق البروز والإنجاز، وفي هذا فوائد جمة للمجتمع والأمة، فإن الأمم تقاس حضارتها وتقدمها بعدد البارزين والمبدعين والمبتكرين في شتى المجالات النافعة من أبنائها.

وغير ذلك من الفوائد التي تجعل التربية بالوصية من طرق التربية المثمرة والمجدية إذا أحسن استخدامها.

ثانيًا- التربية على تنوع طرق الخير:

هذا واضحٌ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَيُجْزِىءُ مِنْ ذَٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى».

فالملاحظ على هذا الحديث الشريف ما يلي:

أ - أنه صلى الله عليه وسلم جعل على كل سلامي (وهو المفصل) صدقة، والسلاميات (وهي جمع

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٣٧-٢٣٨، ١٢/٣٦٠.

السلامي)[1] عددها في الإنسان ليس بقليل، ويلزم عن ذلك كثرة الخير المطلوب من الإنسان فعله.

ب - أنه ﷺ ذكر أنواعًا للخير كثيرة، كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المعلوم أن ما ذكر في الحديث هو ذكر لبعض أنواع الخير لا كلها، وعلى هذا فكل خير حث عليه الشرع وأرشد إليه هو صدقة مطلوبة، مثلها مثل الصدقات المذكورات.

ج - أنه ﷺ ذكر أن ما يجزئ عن هذه الصدقات الكثيرة، صلاة ركعتي الضحى، وهذه الصلاة تتضمن الصدقات المذكورات أو معظمها، فهي تتضمن التسبيح والتحميد والتكبير وغير ذلك، فأجزأت عنها، وفي هذا دلالة على فضل صلاة الضحى، قال الشوكاني: (والحديثان يدلان[2] على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، و ما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة، ويدلان أيضًا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفن النخامة وتنحية ما يؤذي المار عن الطريق، وسائر أنواع الطاعات ليسقط بفعل ذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة في كل يوم)[3].

د - أن هذا دَفْعٌ للمخاطب أن يأتي بالأمرين معًا، فإذا كان فيهما الخير العميم، فإن ذلك يدفعه إلى أن يأتي بالأمرين معًا ما أمكنه ذلك حتى يستكثر من الخير والعمل الصالح حتى يستزيد من الزاد النافع ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[4].

---

(١) المعجم الوسيط ٤٤٦ "سلم".

(٢) يقصد حديث أبي ذر رضي الله عنه المذكور في الباب، وحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه مرفوعًا: "في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخامة في المسجد يدفنها أو الشيء ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك" أخرجه أحمد ٣٥٤/٥ وأبو داود ٥٢٤٢. وقال محققو المسند صحيح لغيره ٢٢٩٩٨/٣٨.

(٣) نيل الأوطار ٥٠٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

يقول ابن القيم: (لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر، و له عليه فيه نهي، وله فيه نعمة وله به منفعة ولذة، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره واجتنب فيه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عطل أمر الله ونهيه فيه، عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه في كل وقت من أوقات عبودية تقدمه إليه وتقربه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر، فالعبد لا يزال في تقدم وتأخر، ولا وقوف في الطريق البتة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾[1])[2].

ثالثًا- التربية بالإخبار عن الصالحين:

وهذا واضح من حديثي عائشة وأم هانئ رضي الله عنهما: فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما يشاء، فأفادت بإخبارها أن الأصل في صلاته ﷺ الضحى أربع ركعات ثم يزيد ما شاء الله له أن يزيد، على حين أخبرت أم هانئ رضي الله عنها أنه ﷺ صلى ثماني ركعات يوم فتح مكة وذلك بعد أن اغتسل ﷺ.

والمقصود من إخبارهما رضي الله عنهما ليس مجرد الإخبار، وإنما هو بيان ما كان يفعله النبي ﷺ، وذلك للاقتداء والتأسي به، والعمل مثل ما عمل، وفعل ما فعل، لأنه هو القدوة والأسوة، وهو الموصل إلى رضا الله ودخول جنته، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[3] ويكفي أن نذكر في هذا

---

(١) سورة المدثر، آية: ٣٧.

(٢) الفوائد ٢٧٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

المقام قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ((كان خلقه القرآن))[١]، ففي هذه الجملة البسيطة إخبار عن خلق النبي ﷺ وأنه يتخلق بالقرآن فيحل حلاله ويحرم حرامه، وفي ذلك تربية للناس كلها أن تكون مثل النبي ﷺ في ذلك: (فمعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، سجية له، وخلقًا تطبعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه)[٢].

ويمكن أن يدخل في التربية بالإخبار، الإخبار عن السلف، (فإن في السلف وأخبارهم من العبر والقدوة الشيء الكثير، لذا فالاعتناء بها وإبرازها، وربط الناشئة بهذا الجيل ورجاله يترك أثرًا له أهميته في ميدان التربية)[٣].



(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٨٩/٨.

(٣) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش، ص ٥٣.

٢٠٧- باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تُصلَّى عِنْدَ اشتداد الحر وارتفاع الضحى

الحديث رقم (١١٤٥)

١١٤٥- عن زيد بن أَرْقَم ﵁: أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((صَلَاةُ **الأَوَّابِينَ حِيْنَ تَرْمَضُ الفِصَالُ**)) رواه مسلم[1].

(تَرْمَضُ) بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة، يعني: شدة الحر. وَ(الفِصَالُ) جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ: الصَّغيرُ مِنَ الإبلِ.

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

الأوابين: جمع أواب: المطيع، وقيل: الراجع إلى الطاعة[2].

تَرْمَضُ الفصال: تحمي الرمضاء - وهي الرمل - فتبرك الفصال من شدة حرّها وإحراقها أخفافها[3].

الفصال: جمع فصيل: الصغير من الإبل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتضمن تحديدا دقيقا لأفضل الأوقات لصلاة الضحى وقوله (أنَّهُ رَأَى قَوْماً

---

(١) برقم (٧٤٨/١٤٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر م ض).

(٤) رياض الصالحين ٤٢١.

يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى) يتضمن سبب ذكر الحديث، وهو مخالفة بعض الناس للوقت الفاضل لصلاة الضحى، وقوله (أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ) قوله أما استفتاحية تفيد التنبيه، وقوله (أن الصلاة) أي صلاة الضحى، وقوله (في غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ) أي التي يصلون فيها، وقول الرسول ﷺ (صلاة الأوابين) بالتشديد أي الرجاعين إلى الله بالتوبة، والإخلاص في الطاعة وترك متابعة الهوى، وفيها مبالغة في الأوب أي كثير الأوب (حين ترمض الفصال) كناية عن اشتداد الحر أي حين تصيبها الرمضاء، فتحرق أخفافها لشدة الحر فإن الضحى إذا ارتفع في الصيف يشتد حر الرمضاء فتحرق أخفاف الفصال لماستها، وإنما أضاف الصلاة في هذا الوقت إلى الأوابين، لأن النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة، فصرفها إلى الطاعة، والاشتغال فيه بالصلاة رجوع من مراد النفس إلى مرضاة الرب، وتلك الغاية التي تربه عليها العبادات.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى وقت صلاة الضحى، وأن وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، بأن تعلو الشمس، ويشتد حرها، إلى قبيل الزوال[1].

وهناك قول للشافعي بأن وقتها من طلوع الشمس، ويسن أن تؤخر إلى الارتفاع، وعلى هذا القول فلا يؤثر فيها وقت الكراهة، لأنها صاحبة وقت[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ في الوقت المفضل لصلاة الضحى.

---

(١) المبسوط ١/١٥٩، البدائع ١/٢٩٤، إعانة الطالبين ١/٢٥٣، المجموع ٤/٤١، المبدع ٢/٢٤، الكافي في فقه الإمام أحمد ١/١٥٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢/١٩٠، الروض المربع ١/٢٢٧.

(٢) إعانة الطالبين ١/٢٥٣.

أولاً - من صفات الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم:

يظهر ذلك في قول زيد رضي الله عنه: أنه رأى قوما يصلون من الضحى فقال: (أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال).

وتفقد الداعية لأحوال المدعوين من الأمور المهمة في الدعوة إلى الله تعالى فالداعية فرد من أفراد المجتمع مرتبط ارتباطًا شديدًا به ومن الصعوبة التعايش بدون المجتمع أو بمعزل عنه فالمجتمع مصدر أنسه وأمنه وسعادته ومحل دعوته، وعلى الداعية واجبات ومسؤوليات نحو هذا المجتمع أهمها تفقد أحوال المدعوين وتنبيههم إلى أفضل الأشياء[١].

ومن الأمور التي تعين على تحقيق الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:

١/ الاعتناء بإبراز النصوص والأحكام الشرعية المتعلقة بالجوانب الاجتماعية، وهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلُّ سُلامي منَ النَّاس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ: يَعْدِلُ بينَ الاثنَينِ صدقةٌ، ويُعينُ الرَّجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ علَيها أوْ يَرفعُ عليها مَتاعَه صَدقةٌ، والكلمَةُ الطيِّبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوَةٍ يَخطُوها إلى الصَّلاةِ صَدقةٌ، ويُميطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقةٌ))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((حَقُّ المُسلِمِ عَلَى المُسلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإجابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ))[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))[٤].

---

(١) انظر: دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، عبدالرحمن الغامدي، ص ٣٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٢٠، ومسلم ١٥٥٣.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ. وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ. فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))[١].

وهذه نماذج فقط، وإلا فالنصوص كثيرة في هذا المجال، وإنما استطردت هنا لتأكيد أهمية هذه الجوانب؛ فمن المربين من يهملها، ويرى أن عزل الشباب عن بيئته واشتغاله ببعض الأنشطة التربوية أو العلمية وانهماكه فيها أولى.

٢/ الاعتناء بتأصيل المنهي الشرعي في الخلطة والعزلة، وأن مخالطة الناس ومعايشتهم والصبر على أذاهم خير من اعتزالهم، عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - قال: أظنه ابن عمر - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المُؤْمِنُ الذي يُخالِطُ النّاسَ وَيَصْبِرُ عَلى أَذاهم أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الّذي لا يُخالِطُهُمْ ولا يَصْبِرْ على أَذاهم))[٢].

٣/ الاعتناء ببيان الجوانب الإيجابية والمشرقة في المجتمع، والسعي للحفاظ عليها وتدعيمها، والأمر لا يعني التفاخر والوطنية الضيقة، بقدر ما يعني تعزيز المكتسبات والاعتناء بها.

٤/ تنمية الشعور بالمسؤولية الدعوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإسهام في حماية المجتمع من عوامل الفساد، وهذا الأمر مما يعين الشاب المسلم على العيش في المجتمعات المعاصرة اليوم، التي تعاني ألوانًا من الانحراف، ويبتعد عن الغلو والشطط والموقف السلبي من المجتمع.

٥/ الاعتدال في نقد الأوضاع الاجتماعية، وتوجيه ذلك فيما يحفز على السعي للإصلاح والتغيير؛ إذ الإفراط في النقد المجرد يورث السلبية، ويدعو الفرد للهروب من المجتمع.

٦/ إشراك الشاب في الأنشطة الاجتماعية، كالجمعيات الخيرية التي تعنى بالمحتاجين، والإسهام في تقديم الخدمات العامة للمجتمع"[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧ وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد ٤٣/٢، رقم ٥٠٢٢، وقال محققو المسند: إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٦٤/٩.

(٣) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ١٨٨ - ١٩٠.

فعلى الداعية أن يحرص على تفقد أحوال المدعوين وتنبيههم إلى أخطائهم وتوجيههم التوجيه السليم والسديد.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم:

يظهر ذلك في قول زيد بن أرقم رضي الله عنه: (أما لقد علموا أن الصلاة في هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال).

فبيانه لوقت صلاة الضحى كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكاره على من صلوا في غير وقتها دليل على الحرص على اتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الضحى، والصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء.

فلقد استجاب المسلمون الأوائل إلى قوله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١]، فتفانوا في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وساروا على هديه[٢]، وقد ورد عنهم صور كثيرة تبين حرصهم على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم منها:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((أنَّ رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم اصطَنَعَ خاتمًا من ذهب وكان يَلبَسُهُ، فيَجعلَ فصَّهُ في باطن كفِّه، فصنَع الناس خواتيم. ثم إنه جَلَسَ على المنبرِ فنزَعه فقال: إني كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فصَّهُ من داخل، فرمى به ثم قال: واللّهِ لا ألبَسُه أبدًا؛ فنَبذَ الناسُ خَواتيمهم))[٣].

قال النووي: "فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه صلى الله عليه وسلم والاقتداء بأفعاله"[٤].

وقد ورد في الحديث: كَانَ النَّاسُ إذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً قالَ عَمْرٌو وَكَانَ النَّاسُ إذَا نَزَلَ

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٢٣.

رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالُ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ))[1].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس[2].

ثالثًا – من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ في الوقت المفضل لصلاة الضحى:

ويظهر ذلك في إنكار زيد بن أرقم رضي الله عنه على من صلى الضحى في غير وقتها الذي أمر به رسول الله ﷺ في قوله: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال)..

قال النووي: "والرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي: حين يحترق إخفاف الفصال وهي الصغار من أولاد الإبل جمع فصيل من شدة حر الرمل، والأواب المطيع وقيل: الراجع إلى الطاعة، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت، قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال"[3].

وقال الطيبي: "قال الزمخشري في الفائق: (مدحهم بصلاتهم في الوقت الموصوف، لأنه وقت تركن النفوس فيه إلى الاستراحة، وتتهيأ فيه أسباب الخلوة، فيرد على قلوب الأوابين من الأنس بذكر الله، وصفاء الوقت، ولذاذة المناجاة ما يقطعهم عن كل مطلوب سواه، وهذا الوقت متشابه للساعة المختارة في جوف الليل فيغتنم العبادة حينئذ)[4].

فينبغي على المسلم اغتنام الأوقات التي فضّلها رسول الله ﷺ في صلاة الضحى تأسيًا به واتباعًا لهديه وطلبًا للأجر العظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٢٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٢/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على فعل الأفضل:

هذا مستمد من قول زيد بن أرقم ﷺ عندما رأى قومًا يصلُّون من الضحى: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل" فقد بين أن الأفضل في فعلها وقت اشتداد الحر، وفي هذا إرشاد لهم وتوجيه أن يفعلوا ما هو أفضل ولا يكتفون بما هو مقبول أو أقل فضلاً أو ما هو جائز، وعلى هذا فإن على المربي أن يغرس في نفوس أتباعه ومن يقوم على توجيههم هذه الفضيلة، فلا يقبلون من الأعمال ما هو دون هذه الدرجة وغير هذه الرتبة، وإنما يطمحون دومًا ودائمًا إلى فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، (فالنفوس الشريفة - كما يقول ابن القيم - لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناوات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس الشريفة العلية، لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة، والخيانة، لأنها أكبر من ذلك وأجل، والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك)[1].

ولنذكر مثالاً على كيف يأتي التعوّد على فعل الأفضل بأحسن النتائج على المستوى الاجتماعي:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2] قال الطاهر بن عاشور: (التقدير: ادفع السيئة بالتي هي أحسن "والتي هي أحسن" هي الحسنة، وإنما صيغت بصيغة التفضيل ترغيبًا في دفع السيئة بها، لأن ذلك يشق على النفس، فإن الغضب من سوء المعاملة من طباع النفس وهو يبعث على حب الانتقام من المسيء، فلما أمر الرسول ﷺ بأن يجازي السيئة بالتي هي أحسن أشير إلى فضل ذلك، وقد ورد في صفة رسول الله ﷺ: ((ولا يدفع بالسيئة

---

(١) الفوائد ٢٥٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٤.

السيئة ولكنه يعفو ويصفح))[(١)].

وفرع على هذا الأمر قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ لبيان ما في ذلك الأمر من الصلاح ترويضًا على التخلق بذلك الخلق الكريم، وهو أن تكون النفس مصدرًا للإحسان، ولما كانت الآثار الصالحة تدل على صلاح مثارها، وأمر رسوله ﷺ بالدفع التي هي أحسن أردفه بذكر بعض محاسنه، وهو أن يصير العدو كالصديق وحسن ذلك ظاهر مقبول، فلا جرم أن يدل حسنه على حسن سببه، ولذكر المثل والنتائج عقب الإرشاد شأن ظاهر في تقرير الحقائق، وخاصة التي قد لا تقبلها النفوس، لأنها شاقة عليها، والعداوة مكروهة والصداقة والولاية مرغوبة، فلما كان الإحسان لمن أساء يُدْنيه من الصداقة أو يكسبه إياها كان ذلك من شواهد مصلحة الأمر بالدفع بالتي هي أحسن و(إذا) للمفاجأة. وهي كناية عن سرعة ظهور أثر الدفع بالتي هي أحسن في انقلاب العدو صديقًا... إن الإحسان ناجح في اقتلاع عداوة المحسن إليه للمحسن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفًا وتمكنًا وبعدًا، ويعلم أنه ينبغي أن يكون الإحسان للعدو قويًا بقدر تمكن عداوته ليكون أنجع في اقتلاعها، ومن الأقوال المشهورة: النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها)[(٢)].

والخلاصة أن إتيان الأفضل من الأفعال والأقوال، يؤدي إلى نتائج طيبة جدًا على مستوى الأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة، فما أجدر أن يتربى الناشئة وغيرهم على ذلك!

ثانيًا - التربية على التمسك بالسنة:

وهذا يستمد من قول زيد بن أرقم: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال" فالملاحظ أن الصحابي الجليل احتكم إلى السنة الشريفة ليبين الفعل الأفضل من المفضول، ولم يحتكم إلى شيء آخر من عقل وهوى وقياس فاسد ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٥، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/٩/٢٩٢-٢٩٣.

إن السنة جاءت مبينة وشارحة لكتاب الله إلى غير ذلك مما اختصت به السنة وهذا ليس مجال بيانه، لذا فإن من الأسس التربوية المهمة جدًا - بل الأساس الأول - التربية على التمسك بالسنة في تربية الأجيال والشعوب والأسر والأفراد، فليس هناك تربية صحيحة بدون هذا الأساس، "فإن للسنة في المجال التربوي فائدتين عظيمتين:

١ - إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم.

٢ - استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه، ومعاملته الأولاد وغرسه الإيمان في النفوس"(١).

لذا فإننا نرى أن التربية على التمسك بالسنة تحقق فوائد تربوية جمة، منها:

أ - نشر العلم النافع في المجتمع ومحاربة الجهل والبدع والانحرافات العقدية والخلقية، لأن هذه الأضرار ما انتشرت إلا بسبب غياب العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة، لذا (فإن الإسلام قد وقف من العلم موقفًا مشرفًا لم يسبقه به دين من الأديان، فالاهتمام الكبير به كان من ورائه أهداف مرسومة، إذ الرغبة في إرساء وسيادة القيم والمبادئ الإسلامية لا تتحقق إلا بنشر دين الله والوعي الإسلامي، وهذا الذي يهدف إليه التعليم الإسلامي، فحينما يسود الوعي والفهم الصحيح أوساط المجتمع المسلم تضمحلّ الفرص أمام أعداء هذا الدين من الظهور على مسرح الأحداث، وتهيأ الأجواء المناسبة لأصحاب الفكر السديد لأن يؤدوا دورهم المناط بهم بفاعلية ووضوح)(٢).

ب - حفظ ثوابت الأمة والجماعة فلا تتعرض للتبديل ولا التغيير ولا التحريف ولا التأويل الباطل، لأن الفيصل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما كان فيهما تمسكنا به وأعرضنا عما سواه ولو تغير الزمان والمكان والأهواء

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٦.

(٢) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي، د. فاروق عبدالحميد السامرائي، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٤٢.

والميول.

إن الناظر في عالم اليوم يجد أن المبادئ والقيم والأخلاق أصبحت نسبية، فما كان صوابًا عند قوم لم يكن كذلك عند قوم آخرين، وما كان مرفوضًا من بعضهم كان مقبولاً ومجازًا من غيرهم، و ما كان ذلك إلا بسبب فقد المرجعية الحاكمة الثابتة التي تحكم وتقضي على الأفعال والأقوال[1].

ج - حصر الخلاف بين جموع الأمة في أضيق نطاق ممكن، وذلك لأن مجال الاتفاق والاجتماع يتسع ويزداد كلما كان هناك تمسك بالأصلين: الكتاب والسنة، وإن وقع الخلاف يكون في الفروع لا في الأصول والأسس.

والمقصود مما سبق أن التمسك بالسنة له من الفوائد التربوية الجمة، مما ينبغي على المربين أن ينشؤوا من يقومون بتربيتهم على ذلك دومًا وأبدًا، لأن في ذلك صلاح التربية وقوامها.



(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص ١٦٢، ١٧٨.

٢٠٨- باب الحث علَى صلاة تحية المسجد

وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلَّى ركعتين بنية التَّحِيَّة أَوْ صلاة فريضة أَوْ سنة راتبة أَوْ غيرها

الحديث رقم (١١٤٦)

١١٤٦- عن أَبي قتادة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا دَخَلَ أحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

لم يدع الرسول ﷺ فرصة، ولا مناسبة إلا، وحرص على أن يجعل للمؤمنين منها سبيلا للتقرب إلى الله تعالى حتى تكون حركة المؤمن في ذكر متواصل بمختلف ألوان العبادة متسقة مع الكون المسبح حوله في منظومة المخلوقات كما أراد الله تعالى يوم خلق الإنسان، وسخر له الكون، واختصه بوظيفة محددة قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات٥٦) وهذا الحديث يجري في هذا الإطار الذي يُعبِّد الإنسان لخالقه عن طريق فتح باب الطاعات، وهو يقرر بأسلوب خبري تحية المسجد، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري يربط دخول المسجد بعدم الجلوس إلا بعد صلاة الركعتين، وأسلوب الشرط يعطي هذا الفعل صفعة العادة المتكررة المرتبطة بالدخول فيصلي كلما دخل المسجد، والتعبير بـ(إذا) يفيد التحقق، ولفظ (أحد) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع يفيد عموم المخاطبين، و(ال) في المسجد للجنس فيشمل أي مسجد يدخله المسلم، وقوله (فلا يجلس) نهي عن الجلوس، وهو جواب الشرط المتصل بالمدى، والغاية التي قررتها (حتى) لأنه لا ينهاه عن الجلوس مطلقا، ولكن حتى يؤدي

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٣) واللفظ له، ومسلم (٧١٤/٧٠).

حق المسجد، ويكمن خلف هذا الهدي النبوي بُعد نفسي في التفاعل بين المؤمن، والمسجد يشعره بتميز المكان الذي يحقق في نفسه شعوراً بقدسيته كما أن الركعتين تهيئانه وجدانيا لدخول الفرض الذي تحرك من أجله، ولفظ (ركعتين) يحدد عدد ركعات هذه السنة، وفق ضابط لا يخرج بها عن حدودها كمقدمة مهيأة للفرض قبل الدخول فيه، ومتممة لما قد ينقص منه بعد الانتهاء منه.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى حكم تحية المسجد بالنسبة لمن دخل المسجد وأنها أمر مطلوب لأمر النبي ﷺ به.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن تحية المسجد مأمور بها وإن اختلفوا في قوة الأمر فحمله جمهور الفقهاء على أنه سنة، وحمله بعض المالكية على أنه فضيلة، وحمله أهل الظاهر وبعض الفقهاء على الوجوب.

وكذا اختلفوا فيما لو دخل المسجد في وقت من أوقات النهي عن الصلاة، كما إذا دخل بعد العصر أو الصبح أو وقت الغروب أو الشروق، هل يشرع له أن يصلي تحية المسجد أم لا؟ وذلك على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[2] والمالكية[3]: والإمام أحمد في رواية[4] إلى أنه لا

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٧٣، رد المحتار ٢/١٨ وما بعدها، المنتقى ١/٢٥٨، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١/٢٠٢، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ١/٢٩٧، المجموع ٣/٥٤٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/٢٠٤، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١/٢٨٧، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢/٢٦٦، مطالب أولي النهى ١/٤١٤، المغني ١/٤٣٨، المحلى ٢/٧، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١/٢٣٨.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٧٣، رد المحتار ٢/١٨ وما بعدها.

(٣) المنتقى ١/٢٨٥، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١/٢٠٢، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ١/٢٩٧.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢/٢٦٦، مطالب أولي النهى ١/٤١٤، المغني ١/٤٣٨.

يصليها لكونها في وقت النهي عن الصلاة.

القول الثاني: ذهب الشافعية[١] والإمام أحمد في رواية[٢] إلى أنه يصلي النفل في هذه الحالة أخذًا بظاهر الحديث ولأنه لم يقيدها بوقت معين.

والراجح في رأيي هو الرأي الثاني.

وكذا اختلفوا في تكرار تحية المسجد بتكرر الدخول، فقيل يكفيه مرة واحدة في اليوم وهو ما عليه البعض[٣]، وقال الحنفية والمالكية[٤] يكررها كلما دخل ما دام كان هناك فاصل كبير بينهما وإلا تكفيه مرة، وقال الشافعية في وجه[٥]. تتكرر بتكرر الدخول ولو كان في وقت قريب.

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من ميادين الدعوة المسجد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية تحية المسجد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

رابعًا: من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنفل عند دخول المسجد.

أولاً – من ميادين الدعوة المسجد:

يظهر ذلك في حديث قتادة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل أحدكم المسجد...).

وقول جابر رضي الله عنه: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد...".

وللمسجد مكانة عظيمة في الإسلام، وإن مكانة المسجد تنبع من كونه مكان

---

(١) المجموع ٣/٥٤٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/٢٠٤، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١/٢٨٧.

(٢) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢/٢٦٦، مطالب أولي النهى ١/٤١٤، المغني ١/٤٣٨.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١/٢٣٨.

(٤) المراجع السابقة الخاصة بكل مذهب.

(٥) المراجع السابقة الخاصة بكل مذهب.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٤٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٤٧).

عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح، لأن العبد فيه بين أمرين: إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل، أو علم يستفيد منه في دنياه وآخرته، ومن خلال طلبه العلم يكوّن نفسه كي يقوم بما من أجله خلق، خير قيام، ويحصل الحسنات ورضا رب العباد.

والمسجد بيت الله في الأرض تهفو إليه العباد لأداء الصلاة المكتوبة، وفيه يلتقي المسلمون في اليوم خمس مرات تحصل في هذا اللقاء المتكرر منافع كثيرة لدعوة الإسلام ابتداء من:

(١) الحصول على العلم وطلبه للقيام بالواجب خير قيام.

(٢) التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد وما ينتج عن هذا اللقاء من إخاء وروابط قوية.

(٣) البلاغ عن هذا الدين لمن يأتي إلى المسجد من خلال العلماء المحدثين.

(٤) تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف لمرتاديه.

(٥) إعداد الدعاة الذين يحملون هذه الدعوة للناس كافة، وبهذا تستمر الحلقات تواصلاً إلى رسول الله ﷺ الذي بدأ دعوته وفسر دينه في المسجد، بل أقام دولة الإسلام في جنبات المسجد[١]، فالمسجد أهم ميادين الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية تحية المسجد:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)، وقوله أيضًا: (صلِّ ركعتين).

قال النووي: "فيه استحباب تحية المسجد وهي سنة بإجماع المسلمين، وحكى القاضي عياض عن أبي داود وأصحابه وجوبها، وفيه التصريح بكراهة الجلوس بلا صلاة وهي كراهة تنزيه، وفيه استحباب التحية في أي وقت دخل وهو مذهبنا وبه قال جماعة، وكرهها أبو حنيفة والأوزاعي والليث في وقت النهي.

وأجاب أصحابنا: أن النهي إنما هو عما لا سبب له؛ لأن النبي ﷺ صلى بعد العصر ركعتين، قضاء سنة الظهر، فخص وقت النهي وصلى به ذات السبب ولم يترك

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ١٩٨.

التحية في حال من الأحوال، بل أمر الذي دخل المسجد في حال الخطبة يوم الجمعة أن يركع ركعتين، مع أن هذا ممنوع في حال الخطبة إلا التحية، فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن، لأنه قعد وهي مشروعة قبل القعود، ولأنه كان يجهل حكمها، ولأن النبي ﷺ قطع خطبته وكلمه وأمره أن يصلي التحية فلو لا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه الصلاة والسلام بها هذا الاهتمام"[١].

قال ابن عثيمين: "سنة المسجد سنة مؤكدة إذا دخل المسجد في أي وقت كان، وأنه يكره أن يجلس حتى يصلي ركعتي. وأنه لا فرق بين أن تكون الركعتان في تحية المسجد، أو في الرواتب، أو فريضة أو صلاة استخارة، أو غير ذلك المهم ألا يجلس حتى يصلي ركعتين وسنة دخول المسجد سنة مؤكدة جدًا بل إن بعض العلماء قال: إنها واجبة. ويدل على تأكدها جدًا: أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فجلس، فقال له: أصليت معنا؟ قال: لا، قال: ((قُمْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا))[٢]. يعني: خففهما لأجل أن يستمع للخطبة.

وإذا كان الرسول ﷺ أمره أن يصلي حال الخطبة مع أن استماع الخطبة واجب، فإن هذا يعد إذنًا بأن تحية المسجد واجبة، ولولا نصوص دلت على عدم الوجوب لقلنا واجبة لكنها سنة مؤكدة في أي وقت"[٣]. وهذا يؤكد أهمية صلاة تحية المسجد.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صلِّ ركعتين) حيث أمر رسول الله ﷺ بصلاة ركعتين تحية المسجد، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في الأمر بقواعد الدين وأحكامه وفروعه، والأمر بما فيه خير المدعوين في الدنيا والآخرة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٩٦.

(٢) أخرجه مسلم ٨٧٥، وأبو داود ١١١٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٣٩.

رابعًا - من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنفل عند دخول المسجد:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث حثّ رسول الله ﷺ على تحية المسجد عند دخوله وقبل الجلوس، والداعية لا بد أن يقتدي برسول الله ﷺ؛ لأنه الأسوة والقدوة الحسنة لجميع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، فعلى الداعية أن يحث المدعوين على تحية المسجد اقتداءً برسول الله ﷺ وإكرامًا لبيوت الله تعالى.

وقد أمر رسول الله ﷺ بالتأسي بعمله، والاقتداء بفعله، وأداء العبادات كما كان يؤديها، روى البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبيَّ ﷺ ونحنُ شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عندَه عشرينَ ليلة، فظنَّ أنّا اشتقنا أهلَنا، وسألنا عمَّن تركنا في أهلِنا فأخبرناه، وكان رفيقًا رحيمًا، فقال: ((ارجعوا إلى أهْليكم فعلِّموهم، ومُروهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، وإذا حَضَرَتِ الصلاةُ فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم، ثمَّ ليَؤُمَّكم أكبرُكم))[2].

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ))[3].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنه تَوَضَّأَ. فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ. ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَىٰ حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ. ثُمَّ قَالَ: هكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَتَوَضَّأُ))[4][5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٠٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ١٧٥ - ١٧٦.

الحديث رقم (١١٤٧)

١١٤٧- وعن جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: ((صَلِّ رَكْعَتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

لا شك أن البيان العملي المعتمد على التطبيق أكثر وضوحا في مدلوله، وأكثر إقناعا للمخاطب من البيان النظري، وهذا الحديث يشير إلى بيان عملي طبَّقه الرسول ﷺ مع أحد أصحابه، حين دخل المسجد، ولم يصل، يدل على ذلك عطف الراوي لقول الرسول ﷺ على فعل الإتيان من جابر رضي الله عنه بالفاء التي تقتضي التعقيب دون مهلة، ثم أمر الرسول ﷺ له (صَلِّ رَكْعَتَيْنِ) لأنه لو صلاها لما أمره، ومعلوم من الحديث السابق أنها ركعتان لا أكثر، وفيها إشارة إلى أفضلية بيوت الله.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٧١/٧١٥).

(٢) تم دمجها في مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تعاهد الأفراد والجماعات بالتربية:

هذا مستمد من حديثي الباب: فتعاهد الجماعات واضح من حديث أبي قتادة رضي الله عنه : "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلّي ركعتين" فهذا خطاب عام يتوجه إلى الجماعة بجميع أفرادها، على حين كان حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال: صلِّ ركعتين" - كان هذا الحديث تعاهدًا لفرد من أفراد هذه الجماعة بعينه بالتربية والتوجيه، وهكذا ينبغي أن تكون التربية، فلا تقتصر على أفراد بعينهم أو على بعض الأولاد دون بعض، فيكون في ذلك تمييز لهم وتخصيص، كما أنها من جانب آخر لا تكون تربيةً عامةً فقط تهتم بالمجموع دون الأفراد، فبدون صلاح الأفراد لا يكون هناك صلاح الجماعة، لأن الأخيرة تتكون من مجموع الأفراد.

إذًا الخلاصة أن التربية العادلة الناجحة هي التي تجمع بين التوجيهات العامة مع العناية بالأفراد أنفسهم، ليلاحظ مدى تطبيقهم لهذه التوجيهات والإرشادات، وتفعيلهم لها، إن التربية الإسلامية لا تعرف تربية الصفوة والنخبة وإهمال الرعاع وعامة الناس دون توجيه وإرشاد، بحجة أن الصفوة يعلّمون غيرهم ويقودونهم إلى الصواب والصحة، لا يعرف الإسلام هذا، لأنه جاء للناس جميعًا على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم وأجناسهم ولغاتهم، فجاء بخطاب عام لهم جميعًا يبغى صلاحهم وإصلاحهم وقيادتهم إلى الخير والحق والرشاد، فخاطب الفرد كما خاطب الجماعة، وجاء خطابه التربوي واحدًا لهما حتى يُكمِل الفردُ الجماعة، وتُكْمل الجماعة الفرد، (لقد شمل التوجيه التربوي الإسلامي الفرد والجماعة، وهدف إلى تحقيق مقاصد الإسلام فيهما، إذ لا صلاح للجماعة دون تهيئة صالحة مستقيمة لعناصر تكوينها.

ولم تكن وصية لقمان لابنه حدثًا عابرًا يحكي قصة عابرة، بل إن ورودها في كتاب الله الكريم كان أسمى من ذلك إنها تعبر عن المسلك التربوي الفردي الصادق

داخل الأسرة المسلمة، في إطار التفاعل التربوي بين الآباء والأبناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ثم قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2] فلابد أن تلوح هذه المعالم التربوية القرآنية في حياة كل أسرة مسلمة ترنو إلى عيش كريم وحياة صادقة، يقول أبوبكر الجصاص (وإنما حكى الله تعالى عن عبده لنقتدي به ونتنهي إليه)[3].

وعلى صعيد الجماعة وصف الله الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس بتحقيقها مهمة الدعوة والإصلاح ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾[4]، لذلك فإن التوجه التربوي الإسلامي هو السبيل الأمثل لتحقيق خيرية الأمة، فمن العبث أن يكون هناك أمر ونهي، دون معرفة ماهية المعروف والمنكر، ودراية الأحكام المتعلقة بهما، فقد يُفْسِد الجاهلُ أكثر مما يصلح، وهو في الوقت ذاته يحتاج إلى ردع لارتكابه منكر الجهل بالدعوة، وتضليله للناس.

ولتحقيق مقاصد الإسلام في حياة الأمة ألزمها الله تبارك وتعالى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صيانة لكيانها وحفاظًا لمكانتها، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5] وعدّها عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرط الله في هذه الأمة فقال: (من

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١٧-١٩.

(٣) أحكام القرآن، الجصاص ٢٤٨٦/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها)[1]، وأشار إلى قول الباري عز وجل: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2] إذ لا يكون التبليغ إلا بها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[3] فَجُلُّ محتوى الرسالات الأمر والنهي)[4].



(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٧٢/٥، ٦٧٣ بإسناد فيه انقطاع. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٢٥/٣-٧٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

(٤) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي، د. فاروق عبدالمجيد السامرائي، ص ٤٠-٤١ بتصرف.

٢٠٩- باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

الحديث رقم (١١٤٨)

١١٤٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ: ((يَا بِلاَلُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإسْلاَمِ، فَإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ)) قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أرْجَى عِنْدي (مِنْ) أنِّي لَمْ أتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةِ (مِنْ)[1] لَيْلٍ أوْ نَهَارٍ إلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أنْ أُصَلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بأرجى عمل، أي: بعمل هو أكثر أملاً في حصول الثواب، والمضاعفة عليه[3].

دف نعليك: صوته وحركته على الأرض[4].

طُهورًا: وضوءًا[5].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ لبلال رضي الله عنه نداء تكريم بـ (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه منه إشارة إلى مكانته عند رسول الله ﷺ، وقوله (حدثني بأرجى عمل) أمر للإشادة والتنويه بما بلغ العمل الصالح ببلال من منزلة، لأن الرسول ﷺ يعلم سببه، ولكنه

---

(١) (من) في الموضعين عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٨/٢٤٥٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ج و).

(٤) رياض الصالحين ٤٢٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر)، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٢/٣، ودليل الفاحين ١٢٩٧.

يريد الإشادة به، وتنبيه الناس إلى هذا النموذج من العمل الصالح ليكون قدوة لهم في هذا العمل وقوله (أرجى عمل) أرجى على وزن أفعل التفضيل بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل، وأضيف إلى العمل؛ لأنه الداعي إليه، وهو السبب فيه، وفي قوله (عمل عملته) جناس يؤكد المعنى، ويتخذ منه نموذجا للمسلمين فيما سيذكر من عمل، وقوله (فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ) الفاء للتعليل، والجملة تكشف عن سبب طلبه، وقوله (بين يدي) يوحي بالقرب مع الوضوح؛ لأنه في الجهة التي أمامه، والدف صوت السير الناعم، وهو تعبير مناسب للمقام، وقوله (في الجنة) يوحي بشرف المكان، ويشير أنه رآه في منامه، وقوله (أتطهر طهورا) جناس يوضح المعنى، ويكشف جانبا من سر التفوق، والأفضلية التي استوجبت له هذا الجزاء، وتلك المنزلة، وأكدها الطباق بين الليل، والنهار الذي يشير إلى دوام الطهر، وفي قوله (لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُوراً فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي) أسلوب قصر يقصر صفة التطهر على صلاة ما تيسر له من النوافل، والإشارة في قوله (بذلك الطهور) للتعظيم، وهو إحساس في نفسه دعاه إلى الحرص عليه، والعمل بموجبه فبلغ به ما بلغ، واستحق إشادة الرسول ﷺ، والتنويه به.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سماع النبي ﷺ دف نعلي بلال رضي الله عنه في الجنة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة عقب الوضوء.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة).

قال ابن حجر: "السياق مشعر بإثبات فضيلة بلال لكونه جعل السبب الذي بلغه إلى

ذلك ما ذكره من ملازمة التطهر والصلاة، وإنما ثبتت له الفضيلة بأن يكون رؤى داخل الجنة لا خارجًا عنها...، ولا يلزم من ذلك دخول بلال ﷺ الجنة قبل النبي ﷺ لأنه في مقام التابع، وكأنه أشار ﷺ إلى بقاء بلال على ما كان عليه في حال حياته واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال"[١].

وفضل بلال ﷺ معروف فهو من السابقين في الإسلام ومن الذين تحملوا التعذيب والمشاق في سبيل إسلامهم، قال ابن مسعود ﷺ: أول من أظهر الإسلام رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وأتاهم على ما أرادوه منه إلا بلالاً؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحد، وفي رواية: وجعلوا الحبل في عُنقه، وقال سعيد بن المسيب: كان بلال شحيحًا على دينه، وكان يُعذب على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: الله، الله. فاشتراه أبو بكر بخمس أواق، وقيل: بسبع. وقيل: بتسع، فأعتقه فكان يؤذن لرسول الله ﷺ[٢]،وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: (أبو بكرٍ سيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني بلالاً)[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر ذلك في سؤال رسول الله ﷺ لبلال ﷺ عن أرجى عمل عمله في الإسلام وإجابة بلال ﷺ على سؤاله.

قال ابن حجر: "وفيه سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك، وفيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا وإلا فينهاه"[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢ - ٤٣.

(٢) انظر: المفهم، القرطبي ٦/٣٦٧، وصفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/١٩٢-١٩٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢.

وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الأداء البياني ولهذا الأسلوب قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، وذلك لحصولهم على الإجابة عما يشغلهم من المسائل، فإذا تلقوّا الجواب تلقفوه تلقفًا؛ لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه"[1].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: سماع النبي ﷺ دف نعلي بلال رضي الله عنه في الجنة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دفّ نعليك في الجنة).

قال القرطبي: "وقول النبي ﷺ لبلال: (حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام) هذا السؤال إنما أخرجه من النبي ﷺ ما اطّلع عليه من كرامة بلال رضي الله عنه بكونه أمامه في الجنة، فسأله عن العمل الذي لازمه حتى أوصله إلى ذلك. وقد جاء هذا الحديث في كتاب الترمذي بأوضح من هذا من حديث بريدة بن الخُصيب، قال: (أصْبَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَدَعَا بِلاَلاً فقالَ: ((يَا بِلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إلى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إلاَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، دَخَلْتُ البَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أمَامِي....))، وذكر الحديث. فقال بلال: يا رَسُولَ اللّهِ مَا أذّنْتُ قَطُّ إلاَّ صَلّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَما أصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إلا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا وَرَأَيْتُ أنَّ للّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ، فقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((بِهِما))[2]، فلنبحث في هذا الحديث.

وقوله: (بم سبقتني إلى الجنة؟) لا يفهم من هذا أن بلالاً يدخل الجنة قبل النبي ﷺ؛ فإن ذلك ممنوع بما قد علم من أن النبي ﷺ هو السابق إلى الجنة، وبما ثبت أنه: أول من يستفتح باب الجنة فيقول الخازن: (بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ)[3]، وإنما هذه رؤيا منام أفادت أن بلالاً من أهل الجنة، وأنه يكون فيها مع النبي ﷺ ومن ملازميه،

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة ٢، ٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩١٢).

(٣) أخرجه مسلم ١٩٧.

وهذا كما قال في الغميصاء: ((سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أمَامِي))، وقد لا يبعد أن يُقال في أسبقية بلال أنها أسبقية الخادم بين يدي مخدومه"[١].

وتقدم الخادم تقدم للمخدوم، قال الشاعر:

إن سار عبدك أولاً أو آخرًا ... في ظل مجدك ما تعدى الواجبا

فإذا تأخر كان خلفك خادمًا ... وإذا تقدم كان دونك حاجبًا

فالفتح للمخدوم وإن تقدم خادمه دخولاً كرامة لمخدومه"[٢].

وقال ابن حجر: "قال الكرماني: ظاهر الحديث أن السماع المذكور وقع في النوم، لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعد الموت، ويحتمل أن يكون في اليقظة لأن النبي ﷺ لها ليلة المعراج".

وقال ابن حجر: "ويؤيد كونه وقع في المنام حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: ((رأيتُني دخلتُ الجنةَ، فإذا أنا بالرُّمَيصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعتُ خَشفةً فقلتُ مَن هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصرًا بفنائهِ جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمرَ))[٣].

وبعده حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((بينا أنا نائمٌ رأيُتني في الجنةِ، فإذا امرأةٌ تَتَوضَّأَ إلى جانبِ قَصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القَصرُ؟ فقالوا: لعُمرَ بنِ الخَطّاب))[٤].

فعرف أن ذلك وقع في المنام، وثبتت الفضيلة بذلك لبلال لأن رؤيا الأنبياء وحي، لذلك جزم النبي ﷺ بذلك"[٥].

رابعًا – من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة عقب الوضوء:

يظهر ذلك في قول بلال رضي الله عنه: "ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورًا

---

(١) المفهم ٣٦٨/٦ – ٣٦٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٩٦، والأبيات لصفي الدين الحلي، قافية: الباء، البحر: كامل تام.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٣/٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٣/٣.

في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي".

قال ابن حجر: "قال ابن التين: إنما اعتقد بلال ذلك لأنه علم من النبي ﷺ أن الصلاة أفضل الأعمال وأن عمل السر أفضل من عمل الجهر".

وقال ابن الجوزي: "فيه الحث على الصلاة عقب الوضوء لئلا يبقى الوضوء خاليًا عن مقصوده"(١).

وقال القرطبي: "وفيه ما يدل على أن استدامة بعض النوافل، وملازمتها في أوقات وأحوال، فيه فضل عظيم، وأجر كبير، وإن كان النبي ﷺ لم يدم عليها، ولا لازمها، ولا اشتهر العمل بها عند أصحابه رضي الله عنهم، وأن ذلك لا يُنكر على من لازمه ما لم يعتقد أن ذلك سُنة راتبة له ولغيره، وهذا هو الذي منعه مالك حتى كره اختصاص شيء من الأيام، أو الأوقات بشيء من العبادات، من الصوم، والصلاة، والأذكار، والدعوات، إلا أن يَعَّينه الشارع، ويدوم عليه، فأما لو دام الإنسان على شيء من ذلك في خاصة نفسه،ولم يعتقد شيئًا من ذلك، كما فعله بلال في ملازمة الركعتين عند كل أذان، وفي ملازمة الطهارة دائمًا، لكان ذلك يُفضي بفاعله إلى نعيم مقيم، وثواب عظيم"(٢).

وفضل الصلاة بعد الوضوء عظيم، قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ))(٣).

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَوضَّأَ نَحوَ وُضوئي هذا، ثمَّ صَلَّى رَكعَتَين لا يُحدِّثُ فيهما نَفْسَهُ، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))(٤). وفي ذلك بيان لفضل الصلاة عقب الوضوء.

خامسًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بيّن الحديث أن الذي سبق ببلال إلى الجنة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢.

(٢) المفهم ٦/٣٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٦٤، ومسلم ٢٦٦.

الصلاة عقب الوضوء، وفي ذلك ترغيب بالتطوع بالصلاة عقب الوضوء.. حتى يصل الإنسان إلى الجنة.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1].

"ويكون الترغيب بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره المجتنبين لنهيه والممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين، وفي الآخرة بالرضا منه سبحانه وتعالى وبالقرب من حضرته الإلهية ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"[2].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من أساليب التربية: السؤال عن أفضل العمل:

لقد سأل النبي ﷺ بلالاً رضي الله عنه عن أرجى عمل عمله في الإسلام، حتى يعرفه ليقوّمه فإن كان حسنًا رغبه فيه وشجعه وأثنى عليه وإن كان غير ذلك نهاه وأمره باجتنابه، قال ابن حجر عن هذا الحديث: (فيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا وإلا فينهاه)[1].

وبناءً على ذلك فإن على المربين أن يسألوا أتباعهم عن أفضل أعمالهم وأرجاها ثوابًا عند الله تعالى؛ لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة منها:

١ - تربية الناشئة وغيرهم على فعل الأحسن والأفضل، مما ينمّي فيهم التطلع دائمًا إلى معالي الأمور وأفضلها وأكثرها قبولاً وثوابًا عند الله تعالى، ومن ثم يكون أقرب إلى المداومة على ذلك والاستكثار منه.

٢ - غرس روح التنافس الشريف بين الناشئة ونحوهم فيتنافسون في فعل أفضل الأعمال وأشرفها وأقيمها، وفي هذا دفع لهم لأن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة والشمائل النبيلة، والمهارات الفريدة والرائعة ويعملوا على اكتساب ما ينقصهم من ذلك، والإكثار مما عندهم ويملكونه. قال ابن حجر (فيه [أي في هذا الحديث] سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك)[2].

٣ - تقويم الأفعال التي يظنها الأتباع من الأعمال الحسنة وهي ليست كذلك، ومما لا يخفى أن التقويم من الأساليب التربوية المهمة جدًا في تعديل السلوك والأخلاق والآداب، وهي التي تمكن من محاربة الفاسد والضار من ذلك وإحلال الطيب والنافع مكانه. وإن غياب عملية التقويم بصفة دورية يؤدي إلى إنفاق كثير من

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ ، وقد نقله ابن حجر عن المهلب.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ ، و قد نقله ابن حجر عن المهلب.

الجهود والطاقات والأموال والأنفس في سبيل إصلاح المعوج وسد الخلل.

والخلاصة أن السؤال عن أفضل الأعمال يعوّد الناشئة ومن على شاكلتهم أن يفعلوا الأفضل ويتنافسوا في ذلك أيما تنافس، ويصلح ما قد يكون فيه اعوجاج وخلل، لذا كان على المربين أن يُفعّلوه تفعيلاً في مهمتهم التربوية الجليلة.

ثانيًا - من أساليب التربية: ذِكْر الثواب والمكافأة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: "يا بلال حدِّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة" فقد ذكر النبي ﷺ المكانة التي نالها بلال على هذا العمل، وهو دخول الجنة[1].

وفي ذكر المكافأة والثواب على الفعل حث على إتيانه والإكثار منه، (فالنفس البشرية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، سواء في ذلك الصغير أو الكبير، لذا كان الثواب معلمًا بارزًا في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله تعالى، ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان، قال الغزالي: (مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس)[2] ولا ينبغي أن يتحول الثواب إلى نوع من الشرط على الفعل، بحيث إذا لم يعط الصبي لم يفعل فإن الثواب يظل قائمًا بدوره التربوي ما كان ثوابًا، فإذا تحول إلى شرط أو إملاء من الصبي، بحيث لا يمكن للمربي أن يحمل الصبي على العمل إلا بهذه الطريقة، فقد الثواب قيمته التربوية وأتى بالضدّ منها، فعلى المربي أن يلحظ ذلك في ثوابه على الأفعال والأقوال)[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٦٨ .

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٧٣.

(٣) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص ٩٢. وانظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ص ٢١٨-٢١٩.

ثالثًا - التربية على الاستنباط والاجتهاد:

هذا مستمد من عمل بلال رضي الله عنه وصلاته بعد كل وضوء له ما شاء الله له أن يصلّي، مع أنه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم - وهو الذي يؤخذ عنه الشرع - لم يسمعه ينصّ على ذلك بدليل أنه صلى الله عليه وسلم سأله، لكنه صلى الله عليه وسلم أقرّه على ذلك وصوّبه، فكان إقرارًا منه صلى الله عليه وسلم لاجتهاد بلال واستنباطه، قال ابن حجر: (يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة، لأن بلالاً توصّل إلى ما ذكرنا بالاستنباط فصوّبه النبي صلى الله عليه وسلم)[1]، ولذا كان هذا الحديث الشريف نصًا على تشجيع الاجتهاد والاستنباط، ولذا كان على المربين أن يعوّدُوا الناشئة وغيرهم على هذا لما في ذلك من أهمية كبرى في حياتهم، (فالقدرة على الاستنباط والاستنتاج مهارة مهمة، تمكن الشاب من استخدام المعارف والمعلومات في مواقف جديدة. وثمة مجالات يمكن أن تعود على تقوية هذه المهارة، ومنها:

أ - تعويد الشاب على استنباط الفوائد والعبر من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع مراعاة العمق والبعد عن الفوائد المكررة التي اعتاد الشاب عليها.

ب - الاعتناء باستنباط الدروس والفوائد العملية عند دراسة السيرة النبوية والأحداث التاريخية.

ج - توظيف المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في المدرسة في تنمية القدرة على الاستنباط، كالرياضيات والتاريخ واللغة العربية.

د - الاستفادة من الألعاب التعليمية فكثير منها تنمي المهارات العقلية، ومن بينها مهارة الاستنباط، ويمكن للمربي أن ينظم بعض الألعاب والمسابقات التعليمية التي تجمع بين تحصيل فوائد علمية، وتحقيق التسلية وتنمية المهارات)[2].



(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٦٨/١ .

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، ص ٨٩-٩٠، وانظر: مقال لم لا نفكر؟ دعوة إلى المزيد من المنهجية بعيدًا عن الرتابة والتقليد، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، مجلة البيان، العدد ٨٢، ص ٩٦-١٠٢.

٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لَهَا

والطّيب والتبكير إِلَيهَا والدعاء يوم الجمعة والصلاة عَلَى النبي ﷺ وفِيهِ بيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠].

الحديث رقم (١١٤٩)

١١٤٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

جعل الله في كل مخلوقاته فاضلا، ومفضولا في الأزمنة: في الأيام، والشهور، والسنين، والقرون، وفي الأماكن، وفي الدواب، وفي البشر، ويوم الجمعة يوم فاضل من بين أيام الأسبوع، وقد قرر الرسول ﷺ هذا المعنى في هذا الحديث عن طريق تفضيله في الخيرية على كل الأيام، وقد استهل حديثه بلفظ (خير) وهو لفظ يبشر بمحبوب ثم أضافه إلى اليوم الموصوف بجملة (طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ليعطيه طلاقة في الخيرية تنسحب على مدى الدهر ثم فصل الرسول ﷺ أسباب الخيرية ببيان تلك الأحداث التي اتصلت به فصبغته بها، (فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)، وتقديم الجار، والمجرور في الجمل الثلاث يفيد التخصيص أي فيه ليس في يوم غيره، والطباق بين أدخل، وأخرج يوضح المعنى، ويؤكد الحدثين العظيمين في الدخول،

---

(١) برقم (٨٥٤/١٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٢٩).

والخروج لأنهما تعلقا بالجنة، وفيه إشارة أن الجنة كانت الموطن الأول لبني آدم، وأن المعصية أزالتهم عنها، ومن ثمّ فلن يعيدهم إليها إلا التوبة، والطاعة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى فضل يوم الجمعة على سائر الأيام وأن صلاة الجمعة من أهم شعائر الإسلام ولا يجوز للمرء تركها إلا من عذر قوي وإلا كان من الغافلين الذين يختم على قلوبهم.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذكر حر بالغ عاقل مقيم صحيح فلا تجب على المرأة ولا الصبي ولا العبد ولا المسافر ولا المريض المعذور، ونقل الخطابي قولاً أنها فرض على الكفاية.

وكذا اتفق الفقهاء على أن الجماعة شرط في هذه الصلاة.

واختلفوا بعد ذلك في العدد الذي تصح به الجمعة على أقوال عدة.

القول الأول: ذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة إلا به ثلاثة سوى الإمام.

القول الثاني: ذهب أبو يوسف[2] إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة إلا به اثنان سوى الإمام.

القول الثالث: ذهب المالكية[3] إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة بأقل منه اثنا عشر رجلاً سوى الإمام.

القول الرابع: ذهب الشافعية[4]، والحنابلة في ظاهر المذهب[5] إلى أن العدد الذي لا

---

(١) المبسوط ٢١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، المدونة ٢٣٣/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١١/٤، الأم، الإمام الشافعي ٢١٨/١، نهاية المحتاج ٢٨٣/٢، المجموع ٣٤٨/٤، الفروع، ابن مفلح ٨٧/٢، المغني ٧٠/٢.

(٢) المبسوط ٢٤/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٨/١.

(٣) مواهب الجليل ١٦١/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٢٣/٢.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ٢١٩/١، المجموع ٣٥٤/٤، نهاية المحتاج ٢٨٧/٢.

(٥) الفروع، ابن مفلح ٩٩/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٨٧/٢.

تصح الجمعة إلا به أربعون فأكثر.

ورويت عن الإمام أحمد روايات أخرى في العدد فقيل خمسون وقيل سبعة وقيل خمسة وقيل أربعة[١].

والراجح في رأيي ما ذهب إليه أبو حنيفة لأن الثلاثة أقل الجمع الصحيح والجمعة مشتقة من الجمع، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين إلى فضل بعض الأيام والشهور والأوقات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة:

إن يوم الجمعة من أيام الله المباركة وله فضل عظيم وخصائص كثيرة، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة)، قال النووي: "قال أبو بكر بن العربي: وجميع هذه الأمور من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية، وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وإظهار كرامتهم وشرفهم وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته على سائر الأيام"[٢]، وفي فضل يوم الجمعة جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((نحنُ الآخِرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ أَنهم أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، ثمَّ هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم فاختلَفوا فيهِ، فهدانا اللّهُ له، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليهودُ غدًا، والنصارَى بعدَ غدٍ))[٣].

قال المازري: "إن اليهود عظمت السبت لما كان فيه فراغ الخليقة، وظنّت ذلك

---

(١) الفروع، ابن مفلح٢/٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٨٧٦.

فضيلة توجب تعظيم اليوم، وعظمت النصارى الأحد لما كان فيه ابتداء الخليقة، فاعتقدت أن ذلك تعظيم لذلك اليوم واتبع المسلمون الوحي والشرع الوارد بتعظيم يوم الجمعة فعظّموه"[١].

وقال القرطبي: "إن كون الجمعة أفضل الأيام لا يرجع ذلك إلى عين اليوم، لأن الأيام متساوية في أنفسها، وإنما يفضل بعضها بعضًا بما به من أمر زائد على نفسه، ويوم الجمعة قد خص من جنس العبادات بهذه الصلاة المعهودة التي يجتمع لها الناس وتتفق هممهم ودواعيهم، ودعواتهم فيها، ويكون حالهم فيها كحالهم في يوم عرفة فيستجاب لبعضهم في بعض، ويُغفر لبعضهم ببعض ثم إن الملائكة يشهدونهم، ويكتبون ثوابهم ولذلك سمي هذا اليوم: المشهود. ثم تخطر فيه لقلوب العارفين من الألطاف والزيادات بحسب ما يدركونه من ذلك، ولذلك سمي بيوم المزيد. ثم إن الله تعالى قد خصّه بأن أوقع فيه هذه الأمور العظيمة التي هي: خلق آدم، الذي هو أصل البشر، ومن ولده الأنبياء، والأولياء والصالحون ومنها: إخراجه من الجنة، التي حصل عنده إظهار معرفة الله وعبادته في هذا النوع الآدمي، ومنها: توبة الله عليه التي بها ظهر لطفه تعالى ورحمته لهذا النوع الآدمي مع ارتكابه الذنب ومخالفته. ومنها: موته الذي بعده وفي أجره، ووصل إلى مأمنه، ورجع إلى المستقر الذي خرج منه ومن فهم هذه المعاني فهم فضيلة هذا اليوم وخصوصيته بذلك، فحافظ عليه، وبادر إليه"[٢].

قال ابن القيم: "ولقد كان من هدي النبي ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها دون غيره، ولقد كان النبي ﷺ يقرأ في فجره بسورتي: ألم تنزيل، و: هل أتى على الإنسان، وذلك لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يوم الجمعة، وكأن في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة"[٣].

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٧/١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٩٠/٢ - ٤٩١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٥/١.

ولا شك أن يوم الجمعة من أفضل الأيام، "إن يوم الجمعة حافل بفضائل جمة وخصائص كثيرة تميزه عن غيره من أيام الأسبوع، فهو يوم خصّ الله به أمة محمد ﷺ، وأرشدهم إليه، وصرف الأمم الأخرى فضلوا عنها فهو منحة إلهية نالت به الأمة الإسلامية رحمة الله ورضاه، ويكفي أنه يوم عيد هذه الأمة، وقد جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ هذَا يَوْمُ عِيدٍ. جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ. وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ. وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))[1]، وهو بلا شك يوم عيد متكرر في كل أسبوع"[2].

ثانيًا- من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين إلى فضل بعض الأيام والشهور والأوقات:

إن الداعية دال على الخير في كل أحواله، ومن ثم فهو حريص على أن يبين للمدعوين فضل بعض الأيام والشهور ليغتنموها في العبادة والطاعة، يؤخذ هذا من سياق الحديث، حيث بين النبي ﷺ في الحديث فضل يوم الجمعة وما فيه من خصائص يختص بها عن غيره من أيام الأسبوع وذلك لكي يعطي المسلمون هذا اليوم حقه، وينزلوه منزلته، قال ابن رجب: "ويوم الجمعة هو يوم عيد الأسبوع وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها، وفيه ينتهي أمد الدنيا فتزول وتقوم الساعة وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة"[3]، وإن معرفة المسلم بفضل يوم الجمعة تجعله يستعد له أتم الاستعداد بطاعة الله سبحانه وذكره وشكره.

"إن فضل يوم الجمعة عظيم، وإن فضل أداء صلاة الجمعة فيه لواسع وكبير، فيها تكفر السيئات، وتمحى الخطيئات، وإن الله سبحانه سنّ فيه سننًا، وشرع فيه آدابًا

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ص ٩٠١).

(٢) فضائل الجمعة "أحكامها وخصائصها"، د. محمد ظاهر أسد الله، ط/٢ مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٨٠.

تصقل النفوس وتزكيها وتطهرها من الأدران والأوساخ الحسية، وتهيؤها للنظافة المعنوية، والتطهر الشامل الكامل وتذكرها به. وكما جاءت الشريعة مبينة فضل يوم الجمعة وفضل صلاة الجمعة فقد نهت أشد النهي عن التكاسل عنها، والتهاون بما شرع فيها من آداب فيوم الجمعة ليس منطلقًا للنفوس في الشهوات والملذات، ولكنه منطلق لها في الطاعات والروحانيات، وليس لنزهة الدنيا ولكنه لنزهة الآخرة، وشتان شتان بين ما ينصرف به فيها وافد الرحمن من مغفرة ورفع عمل وقبول دعاء، وبين ما يتبوأه من وفد فيها على الشيطان من خزي وعار ونار"[١]، والداعية الناجح هو الذي ينبه المدعوين إلى فضائل الأيام والشهور.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث ذكر فضل يوم الجمعة وأنه خير يوم طلعت عليه الشمس، وفي ذلك ترغيب ضمني في استغلال هذا اليوم في عمل الطاعات، والاستعداد له بما يضاعف الحسنات، ويكفر السيئات، ولا شك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تجعل المدعوين يقبلون على الطاعة، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٤].

---

(١) أحاديث الجمعة، عبدالله بن حسن القعود، ط/٢ دار طيبة، الرياض: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٢٠.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة يس، الآيات: ٥٥ - ٥٧.

(٤) سورة الإنسان، الآيات: ١٩ - ٢١.

الحديث رقم (١١٥٠)

١١٥٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وانْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغا: تكلم بالمُطْرَح من القول وما لا يعني. أو تكلم بما يتحمل وزره لمخالفته النهي عن الكلام وقت خطبة الجمعة.

وقيل: عدل عن الصواب، وقيل: خاب، وقال النووي: والمراد باللغو هنا: الباطل المذموم المردود[2].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في الجمعة، والاستعداد لها ظاهريا وباطنيا، فالاستعداد الظاهري يدل عليه قوله (تَوَضَّأ - أَحْسَنَ - أتَى) والاستعداد الباطني يدل عليه قوله (استمع - أنصت) والأول يوحي بالاستعداد النفسي بالإصغاء الدال على الرغبة في الاستفادة بما يسمع من الآيات، والمواعظ، والإنصات يوحي بالتدبر واليقظة المهيأة لبلوغ الموعظة، ولإمكان الخشوع، والجمع بينهما للتوكيد، وقوله (غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ) جملة جواب الشرط والتعبير بالماضي دلالة على التحقق، والتعبير بالمبني للمفعول للعلم بالفاعل وقوله (وزيادة ثلاثة أيام) لأن الحسنة بعشر أمثالها فالجمعة سبعة أيام، وثلاثة مما يليها فهذه عشرة، قال الإمام العيني:

---

(١) برقم (٨٥٧/٢٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل غ و)، وشرح صحيح مسلم، النووي ٥٥٩، ٥٦٣.

(فتكفر عنه ذنوب الجمعة المستقبلة، فإن قلت تكفير الذنوب الماضية بالحسنات، وبالتوبة، وبتجاوز الله تعالى فكيف يعقل تكفير الذنب قبل وقوعه قلت المراد عدم المؤاخذة به إذا وقع، ومنه ما ورد في مغفرة ما تقدم من الذنب، وما تأخر، وقوله (وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا) لأنه يناقض الغرض الأساسي للإنصات مما يفسد غرض الجمعة.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله ﷺ: "من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلَّى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ثم يصلِّي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضلُ ثلاثة أيام" [1] وفي الرواية الأخرى: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام".

١ - فيه فضيلة الغسل وأنه ليس بواجب للرواية الثانية.

٢ - وفيه استحباب تحسين الوضوء، ومعنى إحسانه الإتيان به ثلاثًا ثلاثًا، ودلْك الأعضاء وإطالة الغرّة والتحجيل وتقديم الميامن والإتيان بسننه المشهورة.

٣ - وفيه أن التنفّل قبل خروج الإمام يوم الجمعة مستحبٌّ، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور.

٤ - وفيه أن النوافل المطلقة لا حدّ لها، لقوله ﷺ: "فصلَّى ما قدر له".

٥ - وفيه الإنصات للخطبة[2]. وقد قال النووي تعليقًا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((إذا قلت لصاحبك أنْصِتْ يوم الجمعة، و الإمام يخطب، فقد لغوت)) [3].

قال النووي: (ففي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه، لأنّه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمرٌ بمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينه بكلام مختصر. ولا يزيد على أقلّ ممكن. واختلف العلماء

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥٧، ٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٧/٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١.

في الكلام هل هو حرام أم مكروه كراهة تنزيه. وهما قولان للشافعي، قال القاضي[1]: (قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وعامة العلماء: يجب الإنصات للخطبة. وحكى عن النخعي والشعبي وبعض السلف أنه لا يجب إلا إذا تلى فيها القرآن[2]. وقال[3]: واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه الإنصات كما لو سمعه؟ فقال الجمهور: يلزمه. وقال النخعي وأحمد وأحد قولي الشافعي: لا يلزمه)[4].

٦ - وقال النووي عن حديث الباب: (وفيه أن الكلام بعد الخطبة قبل الإحرام بالصلاة لا بأس به)[5].

٧ - قال النووي: (قوله ﷺ: "من مسّ الحصا فقد لغا" فيه النهى عن مسّ الحصا وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة)[6].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب صلاة الجمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الوضوء في المنزل والتبكير إلى الجمعة.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

رابعًا: من آداب المدعو: الخشوع والإنصات وعدم اللغو واستماع الخطبة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب صلاة الجمعة:

إن يوم الجمعة يوم عيد المسلمين، ومن ثم كان لشهود صلاة الجمعة فيه فضل كبير وثواب جزيل، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣.

(٢) وانظر الموسوعة الفقهية ٤/٨٩-٩٠ ومراجعها ومصادرها.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣، وانظر كذلك: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤١٤-٤١٥ .

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢١/٦/٣ .

(٥) المرجع السابق ٢٣/٦/٣ .

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٨/٦/٣-١٢٩ .

قال المازري: "ينقدح في نفسي في هذا الحديث أنه ﷺ إنما حدد الزيادة على الجمعة بثلاثة أيام، لأنه يقدر أن يوم الجمعة لما فُعل فيه هذا الخير وكانت الحسنة بعشر أمثالها بلغ هذا التضعيف إلى ما قال: أيام الجمعة سبعة أيام، وتكمل السبعة بثلاثة، وهذا كما يتأول كون صوم شهر رمضان وستة من شوال كصيام الدهر لما كان هذا المقدار يبلغ تضعيفه بعشرٍ جميع أيام السنة"[1].

قال النووي: "قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام: أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها، قال بعض أصحابنا: والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فتصير عشرة"[2].

وقال صاحب فتح الملهم: "قال الزبيدي: "والمراد بالمغفرة هنا مغفرة الصغائر، وليس المراد أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر، إذ اجتناب الكبائر بمجرده يكفر الصغائر كما نطق به القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[3]، أي: كل ذنب فيه وعيد شديد نكفر عنكم سيئاتكم، أي نمح عنكم صغائركم، فإذا لم يكن له صغائر تكفر رجى له أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر، وإلا أعطي من الثواب بمقدار ذلك. وقوله في الحديث: (وبين الجمعة الأخرى)، قال الزبيدي: ويحتمل أن يكون المراد بها الماضية والمستقبلة لأنها تأنيث الآخر - بفتح الخاء لا بكسرها - والمغفرة تكون للمستقبل كما للماضي، قال الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4]، لكن رواية أنس عن

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/٢٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢.

الخطيب: (إلى الجمعة الأخرى) تعين المستقبلة، ورواية ابن خزيمة: (ما بينه وبين الجمعة التي قبلها) تعين الماضية، وهذا أصرح، وقوله ﷺ في الحديث: (وفضل ثلاثة أيام)، أي: بين يوم الجمعة الذي فعل فيه ما ذكر مع زيادة ثلاثة أيام على السبعة لتكون الحسنة بعشر أمثالها"[١].

ولا شك أن هذا يدل على فضل صلاة الجمعة وثوابها، قال ابن القيم: "وصلاة الجمعة من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا بها طبع الله على قلبه، وقُرب أهل الجنة يوم القيامة، وسبقهم إلى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الوضوء في المنزل والتبكير إلى الجمعة:

إن الرسول ﷺ يحث على التبكير إلى صلاة الجمعة لنيل الأجر كاملاً ويتضح هذا من قوله ﷺ في الحديث: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له...).

قال المازري: "ذكر ﷺ خروج الخطايا مع الوضوء ومعنى هذا: أن الخطايا تغفر عند ذلك، لا أن الخطايا في الحقيقة شيء يحل في الماء، وإنما ذلك على وجه الاستعارة الجارية في لسان العرب"[٣].

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث فضل الاغتسال والتبكير يوم الجمعة ففي الحديث عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ وغَسَّلَ وَبكَّر وابتكَرَ وَدَنا واستمَعَ وأَنْصَتَ كانَ له بكلِّ خُطْوةٍ يَخْطوها أَجرُ سَنَةٍ صيامُها وقيامُها))[٤].

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٣١٠/٥.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ٣٧٦/١.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ١١٤/١.

(٤) أخرجه الترمذي ٤٩٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤١٠).

قال المباركفوري: "قوله: (من اغتسل وغسل)، روي بالتشديد والتخفيف قيل: أراد به غسل رأسه وبقوله: اغتسل: غسل سائر بدنه، وقيل: جامع زوجته فأوجب عليها الغسل فكأنه غسلها واغتسل، وقيل: كرر ذلك للتأكيد ويرجح التفسير الأول ما في رواية أبي داود في هذا الحديث بلفظ: (من غسل رأسه واغتسل)[١]، وما في البخاري عن طاووس: (قلت لابن عباس: ذكروا أن النبي ﷺ قال: اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رءوسكم) [٢]، ومعنى بكر: راح في أول الوقت وابتكر: أي أدرك أول الخطبة ورجحه العراقي وقيل: كرره للتأكيد وبه جزم ابن العربي"[٣].

وقال ابن الأثير: "بكّر: أتى الصلاة في أول وقتها، وكل من أسرع إلى شيء فقد بكّر إليه. وأما ابتكر، فمعناه: أدرك أول الخطبة وأول كل شيء باكورته وابتكر الرجل إذا أكل باكورة الفواكه، وقيل: معنى اللفظتين واحد، فعّل وافتعل، وإنما كرر للمبالغة والتوكيد، كما قالوا: جادّ مجدّ"[٤].

ويستفاد من هذا فضل الوضوء والاغتسال والتبكير إلى المسجد لحضور الجمعة، لما في ذلك من الفضل الكبير والثواب العظيم، الذي ينال المسلم عند تبكيره إلى صلاة الجمعة ملتزمًا آدابها وسننها وفرائضها.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الوسائل الدعوية متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل الخطبة بما لها من خاصية الثبات والاستمرارية، ويستنبط هذا من الحديث من قوله ﷺ: (فاستمع وأنصت)، وهذا يدل على أن الخطبة وسيلة هامة من وسائل الدعوة، "لقد كان تقدير الإسلام للخطبة تقديرًا مبنيًا على الوجوب، وربَأ الإسلام بخطبة الجمعة أن تكون وعظًا معادًا مكرورًا ونغمة رتيبة، فجعلها تدور حول ما يهم الجماعة الإسلامية ويشغل بالها من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٧٧٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٦.

الأمور المستحدثة والمسائل الجارية والقضايا التي تتصل بمصالحهم"[١]، ولأهمية الخطبة في الإسلام جعلها الله من شعائر الإسلام، "إن الخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر في أن نبي الإسلام ﷺ كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة"[٢].

ولقد كانت الخطبة إحدى وسائل نشر الدعوة في عهد النبي ﷺ، "وحين أشرق نور الإسلام وسطع ضوؤه نهضت الخطابة - وبخاصة الخطابة الدينية - وعظم سلطانها، وكان الداعي إلى ذلك نشر الإسلام وتأييد الدعوة الكبرى فكانت الخطابة الدينية وسيلة المصطفى ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية إلى القبائل في مواسم الحج وفي الأسواق، ثم كان سفراء الإسلام ورسل رسول الله ﷺ الموفدون إلى الملوك وإلى سائر الجهات النائية، يعتمدون عليها في شرح مبادئ الإسلام وقواعده، وترغيب الناس فيه وحثهم على اعتناقه والاستمساك به، وكان من يدخل الإسلام يدخله عن اقتناع، ثم بعد ذلك يسير فارسًا من فرسان الدعوة إليه، ويستعين على ذلك بالخطابة"[٣].

رابعًا - من آداب المدعو: الخشوع والإنصات وعدم اللغو واستماع الخطبة:

حيث جاء في الحديث: (فاستمع وأنصت)، (ومن مس الحصا فقد لغا)، والمدعو يجب عليه أن يلتزم بهذه الآداب حتى يأخذ الأجر كاملاً، جاء في الموسوعة الفقهية: "إذا صعد الإمام المنبر للخطبة يجب على الحاضرين أن لا يشتغلوا عندئذ بصلاة ولا كلام إلى أن يفرغ من الخطبة، فإذا بدأ الخطيب بالخطبة تأكد وجوب ذلك أكثر"[٤].

قال القاضي عياض: "ذكر الهروي في قوله: (ومن مسّ الحصى فقد لغا)، معناه:

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٥٦٢.

(٢) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ/ محمد الغزالي ص ٣٠٧.

(٣) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع، د. حسين محمد محمود عبدا لمطلب، ط/١ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دون ذكر دار النشر، ص ٧ - ٨ بتصرف.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧/٢٠٤.

تكلّم، وقيل: لغا عن الصواب، أي: مال عنه، وقال النضر: أي: خاب، ألغيته: خيبته، قال ابن عرفة: اللغو: الشيء السقط الملغي، وقيل: اللغو واللغا: ما لا ينبغي من الكلام ورديئه وباطله وما لا خير فيه. وفي الحديث حجة على وجوب الإنصات لسماع الخطبة، وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي وعامة العلماء، وذكر عن الشعبي والنخعي وبعض السلف: أن الإنصات للخطبة غير واجب إلا عند تلاوته القرآن فيها، واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه من الإنصات ما لزم من سمعه أم لا؟ فجمهورهم على التسوية"[1].

وفي الحث على الإنصات والتحذير من الإنشغال واللغو جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوتَ))[2].

قال النووي: "وفي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه لأنه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمر بمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينهه بكلام مختصر. ولا يزيد على أقل ممكن"[3].

وقال ابن حجر: "وأقوال أهل اللغة في تفسير اللغو متقاربة المعنى، قال العلماء: معناه لا جمعة له كاملة للإجماع على إسقاط فرض الوقت عنه، وحكى ابن التين عن بعض من جوز الكلام في الخطبة أنه تأول قوله (فقد لغوت)، أي: أمرت بالإنصات من لا يجب عليه، وهو جمود شديد، لأن الإنصات لم يختلف في مطلوبيته فكيف يكون من أمر بما طلبه الشرع لاغيًا، بل النهي عن الكلام مأخوذ من الحديث بدلالة الموافقة، لأنه إذا جعل قوله: (أنصت) مع كونه أمرًا بمعروف لغوًا فغيره من الكلام أولى أن يسمى لغوًا، واستدل به على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة، وبه قال الجمهور في حق من سمعها، وكذا الحكم في حق من لا يسمعها عند الأكثر، قالوا: وإذا أراد

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٩٩.

الأمر بالمعروف فليجعله بالإشارة"[١].

وقال القاضي عياض: "وفي قول النبي ﷺ: (ومن مس الحصا فقد لغا) لأنه بتحريكه له وشغله به صار لاغيًا مشغلاً غيره عن سماع الخطبة بصوت حركته"[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٥٣.

الحديث رقم (١١٥١)

١١٥١ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مكفِّرات: ساترات ومطهِّرات للخطايا [2].

الكبائر: جمع كبيرة: الفعلة القبيحة من الذنوب المنهيّ عنها شرعًا، العظيم أمرُها؛ كالقتل والزنا... وغير ذلك[3].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى فضل الصلوات في تكفير ذنوب العبد، وقوله (الصلوات الخمس) (ال) في الصلوات للعهد أي الصلوات المعهودة المفروضة، ووصفها بالخمس ينص على ذلك وقد جعلها الله تعالى محطات تنقية من الذنوب على مدار اليوم في الصلوات الخمس، وعلى مدار الأسبوع في صلاة الجمعة، وعلى مدار العام (من رمضان إلى رمضان)، وقوله (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) فيه إيجاز بالحذف، وصلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة، وقوله:(كفارة لما بينهن) أي ستر للذنوب، وما بينهن إشارة لما بين الوقت، والوقت على مدار اليوم، والليلة تفصيلا يتتبع كل ذنب يقع فلا تتراكم على القلب فيقسوا بل كلما وقع في ذنب كفرته صلاة، فينام نقيا يبدأ يومه بصلاة، وينتهي بصلاة ثم إنها صفاء روحي بالوقوف بين يدي الله في موقف يصقل إيمان العبد بشحنة

---

(١) برقم (٢٣٣/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥). تقدم برقم (١٣٠)، و (١٠٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٣) المرجع السابق في (ك ب ر).

من الخشوع يستكمل بها يومه، ثم إن بقي شيء - ولن يبقى - كفرته الجمعة إجمالاً، وانتقل العبد من نور إلى نور، ثم إن بقي شيء -ولن يبقى- كفره رمضان، ولذلك قال (من رمضان إلى رمضان) ليستوعب العام جملة بعد أن استوعبته الصلوات تفصيلا، وقوله (ما لم تغش الكبائر) لأنها تحتاج إلى توبة يعتزم عندها كف شره عن الناس، لأن كثيرا من الكبائر تتعلق بحقوق الناس، وما يتعلق بالله فمما يمس العقيدة، وهذه النوعية من الذنوب تحتاج إلى وقفة بالتوبة تطهره من دنسها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

أولاً: حكم أداء الصلاة، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الصلاة فرض عين على كل مسلم ومسلمة متى كان بالغًا عاقلاً ولا تسقط إلا بالموت فقط.

ثانيًا: حكم صلاة الجمعة، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مقيم صحيح فلا تجب على المرأة ولا الصبي ولا العبد والمسافر والمريض المعذور.

ثالثًا: حكم صوم رمضان، وقد اتفق الفقهاء[3] أيضًا على أن صوم رمضان لمن

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٨٩/١، البحر الرائق، ابن نجيم ٢٥٦/١، مواهب الجليل، الحطاب ٣٧٨/١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ١٧٧/١، مغني المحتاج، الشربيني ٣١٢/١، نهاية المحتاج، الرملي ٣٧٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٥/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٢١/١.

(٢) المبسوط ٢١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، المدونة ٢٣٣/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١١/٤، الأم، الإمام الشافعي ٢١٨/١، نهاية المحتاج ٢٨٣/٢، المجموع ٣٤٨/٤، الفروع، ابن مفلح ٨٧/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٦٤/٢، المغني ٧٠/٢.

(٣) البحر الرائق، ابن نجيم ٢١٧/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٥/١، شرح منح الجليل ٣/٢، مواهب الجليل ٢٥٥/٢، نهاية المحتاج ٤٣/٣، مغني المحتاج ٦٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٦/٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٣٦٨/١.

استطاع من المسلمين البالغين العاقلين فرض عين، فمن لم يستطع لمرض أو كِبَرٍ قضى في وقت آخر أو أخرج فدية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٠).

الحديث رقم (١١٥٢)

١١٥٢ - وعنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهم: أنهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ، يقولُ عَلَى أعْوَادِ مِنْبَرِهِ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

وَدْعهم: تَرْكهم [٢].

أو ليختمن الله على قلوبهم: ليختمن من الختم ومعناه الطبع والتغطية[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبرق، ويرع بالتهديد، والوعيد بدا ذلك في استهلاله بصيغة الأمر (لينتهين) أمر للتهديد والوعيد ثم إنه أمر عام شامل لجميع المخاطبين قال الطيبي والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد[٤] وتنكير (أقوام) للستر عليهم من جهة، ولكي يشمل الحكم كل من وافق حالهم في كل زمان، ومكان، وقولهم (ودعهم الجمعات) أي تركهم المتكرر لصلاة الجمعة، والتعبير بهذا الفعل الذي هجر استعمال ماضيه لما كان فعلهم بترك الجمع غريبا عبر بفعل غريب قليل الاستعمال كقلة من يتخلف عن الجمعة فهو يوافق هجرهم الجمعة التي لا ينبغي أن يهجرها إلا أصحاب الأعذار، وقوله (أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى

---

(١) برقم (٨٦٥/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٧٤).

(٢) الوسيط في (و د ع).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٦٥.

(٤) التباين في علم المعانى والبديع والبيان، للطيبي ص ٢٩٢.

قُلُوبِهِمْ) كناية عن تمكن المعصية، وقساوة القلب، والْمَعْنَى أَنَّ أَحَد الْأَمْرَيْنِ كَائِن لَا مَحَالَة إِمَّا الِانْتِهَاء عَنْ تَرْك الْجُمُعَات، أَوْ خَتْم اللَّه تَعَالَى عَلَى قُلُوبهمْ فَإِنَّ اِعْتِيَاد تَرْك الْجُمْعَة يُغَلِّب الرَّيْن عَلَى الْقَلْب وَيُزَهِّد النُّفُوس فِي الطَّاعَات (ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ) وثم للتراخي في الرتبة فإن كونهم من جملة الغافلين، والمشهود فيه بالغفلة أدعى لشقاوتهم وأنطق لخسرانهم من مطلق كونهم مختوما عليهم.

فقه الحديث

قال النووي:

(١ - فيه استحباب اتخاذ المنبر وهو سنة مجمع عليها.

٢ - وفيه أن الجمعة فرض عين)[١].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" حجة بينة في وجوب الجمعة وكونها فرضًا، إذ العقاب والوعيد والطبع والختم إنما يكون على الكبائر)[٢].

وقال المازري: (اختلف الناس في صلاة الجمعة: هل هي فرض على الأعيان أو على الكفاية، فالأكثر أنها على الأعيان، وذهب بعض الشافعية إلى أنها على الكفاية، فتعلق الأولون بقول الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣] وهذا خطاب لسائر الناس، فيجب حمله على العموم وبظاهر الخبر الذي قدمناه - وهو حديث الباب - وتعلق الآخرون بقول النبي ﷺ ((صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءًا))[٤].

وصلاة الجمعة تدخل في عموم قوله عليه السلام: "صلاة الجماعة" فقد أثبت فضيلة ما

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٢/٦/٣ ، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٤/٣-٢٦٥..

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٥/٣.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٨، ومسلم ٦٤٩، ٢٤٥.

على ما تقضيه المبالغة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: المنبر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطورة ترك صلاة الجمعة وأثر ذلك على القلوب.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان العواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية.

أولاً – من وسائل الدعوة: المنبر:

حيث جاء في الحديث عن أبي هريرة، وعن ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ: (يقول على أعواد منبره)، قال القاضي عياض: "وقوله: (سمعت رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره) فيه اتخاذ المنبر لخطبة الجمعة، وهو سنة مجمع عليها للخليفة، فأما غيره إن شاء خطب على المنبر، وإن شاء على الأرض. واختلف عمل الناس وأهل الآفاق في ذلك، قال مالك: ومن لا يرقى عندنا – أي على المنبر – يقف يسار المنبر ومنهم من يقف عن يمينه وكلّ واسع"[2]، ويعتبر المنبر من وسائل الدعوة، وعليه تؤدى الخطبة وتوجه الموعظة إلى الحاضرين، ولذا اتخذ رسول الله ﷺ منبرًا يخطب عليه، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أول يوم جلس عليه، وأنه ﷺ أرسل إلى امرأة فقال: ((انظري غُلاَمَكِ النَّجَّارَ. يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا أُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَيْهَا)). فَعَمِلَ هذِهِ الثَّلاَثَ دَرَجَاتٍ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ. فَوُضِعَتْ هذَا الْمَوْضِعَ. فَهِيَ مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ[3].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: ((يا رسولَ اللّهِ، ألا أجعلُ لكَ شيئًا تَقعُدُ عليهِ؟ فإنَّ لي غُلامًا نجّارًا. قال: إن شِئتِ.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٨/١ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وانظر المبسوط ٢١/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، والمدونة ٢٣٣/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢١١/٤، والأم ٢١٨/١، ونهاية المحتاج ٢٨٣/٢، والمجموع ٢٤٤/٤-٢٤، والفروع، ابن مفلح٨٧/٢، والمغني ٢٠٣/٣، ٢٢٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٤/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٩١٧.

فعملتِ المِنبرَ))[١].

"والمنبر هو المكان المرتفع الذي ينطق منه الخطيب بصوته... وتختص المساجد الخاصة بإقامة الجمعة والأعياد بوجود منابر فيها يخطب عليها الإمام، ويجلس بين الخطبتين، ولقد كان ﷺ يقوم على المنبر خطيبًا فَفِعْلُه هذا سُنَّة، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده رضي الله عنهم ولا يزال المسلمون على هذا العمل إلى يومنا هذا، فالمنبر كان يستخدم للخطب في الجمع وغيرها وأن النبي ﷺ كان يعظ الناس بالقرآن وهو على المنبر"[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: "المنبر في اللغة: مرقاة يرتقيها الخطيب أو الواعظ ليخاطب الجمع، مشتق من النبر وهو الارتفاع، وسمي منبرًا لارتفاعه وعلوه ويقال انتبر الخطيب أي ارتقى المنبر، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال العلماء: إن النبي ﷺ اتخذ منبره سنة سبع من الهجرة، وقيل: ثمان من الهجرة. يقول البهوتي: وكان منبره ﷺ ثلاث درج وكان ﷺ يجلس على الدرجة الثالثة التي تلي مكان الاستراحة ثم وقف أبو بكر رضي الله عنه على الثانية، ثم عمر رضي الله عنه على الأولى تأدبًا ثم وقف عثمان رضي الله عنه مكان أبي بكر رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه موقف النبي ﷺ، ثم قلعه مروان بن الحكم أمير المدينة في زمن معاوية رضي الله عنه وزاد فيه ست درج فكان الخلفاء يرتقون ستًا، ويقفون مكان عمر رضي الله عنه، أي: على السابعة ولا يتجاوزون ذلك تأدبًا.

وذهب الفقهاء إلى أن اتخاذ المنبر سنة مجمع عليها كما يسن أن تكون الخطبة على المنبر، وكذلك الجلوس على المنبر قبل الشروع في الخطبة، ويستحب أن يكون المنبر على يمين المحراب بالنسبة للمصلين"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨.

(٢) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم الخضيري، سلسلة الكتاب الإسلامي، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، المملكة العربية السعودية، ، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ٢/٧٣.

(٣) الموسوعة الفقهية ٣٩/٨٤ - ٨٥.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التحذير:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات) حيث حذر رسول الله ﷺ من ترك الجمعات، وأسلوب التحذير من أساليب الدعوة المهمة حيث يبين للمدعو خطورة المحذر منه، وكشف عاقبته، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قول الله تعالى في التحذير من الشرك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[١]، وقوله في التحذير من موالاة الكفار: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٢].

ويعتبر التحذير من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو على حذر من الوقوع في مغبة المحذر منه، "والتحذير هو التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه، أو سببا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك. ومثل ما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي وتوجيهي منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيغ مختلفة كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة، وغيرها ويختلف التحذير عن الموعظة في كونه إنذارًا من خطر قادم، يتضمن وعيدًا وزجرًا ينتج عنه خوف ورهبة بينما الموعظة تذكير بفعل الخير والحق، على الوجه الذي يرق له القلب محفوف بتلطف وتودُّد"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطورة ترك صلاة الجمعة وأثر ذلك على القلوب:

إن صلاة الجمعة فريضة على كل مسلم ومن ثم يأثم تاركها ويكتب من الغافلين ولا أدلّ على ذلك مما جاء في الحديث: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين).

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

قال المازري: "اختلف الناس في صلاة الجمعة هل هي فرض على الأعيان، أو على الكفاية؟ فالأكثر أنها على الأعيان، وذهب بعض الشافعية إلى أنها على الكفاية فتعلق الأولون بقول الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، وهذا خطاب لسائر الناس فيجب حمله على العموم، وبظاهر الخبر الذي قدمناه، وتعلق الآخرون بقول النبي ﷺ: ((صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ))[2]، وصلاة الجمعة تدخل في عموم قوله ﷺ: (صلاة الجماعة) فقد أثبت فضلها على ما تقتضيه المبالغة"[3].

وقال القاضي عياض: "وفي هذا الحديث حجة بينة في وجوب الجمعة وفي كونها فرضًا إذ العقاب والوعيد والطبع والختم إنما يكون على الكبائر وأصله التغطية - أي غطى عليها ومنعها من الهداية به، حتى لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، ولا تعي خيرًا قالوا في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4]، أي: طبع عليها، قالوا: أصل الطبع في اللغة: الوسخ والتدنيس واستعمل فيما يشبهه من الآثام ومثله الرين، وقيل: الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشدها، وقد اختلف المتكلمون في هذا اختلافًا كثيرًا فقيل: هو إعدام اللطف وأسباب الخير، والتمكين من أسباب ضده، وقيل: هو خلق الكفر في قلوبهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، وقال غيرهم: هو الشهادة عليهم، وقيل: هو علم جعله الله في قلوبهم؛ ليعرف به الملائكة الفرق بين من يجب مدحه ومن يجب ذمه"[5].

وقال النووي: "وقوله: (ودعهم) أي: تركهم وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم: الطبع"[6].

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨، ومسلم ٦٤٩.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٨/١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٥/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٥.

وقال الشيخ شبير أحمد العثماني: "وفي الحديث وعيد شديد على ترك الجمعة، قال العراقي: المراد بالطبع على قلبه أنه يصير قلبه قلب منافق. وقوله: (ثم ليكونن من الغافلين) أي: معدودين من جملتهم، وقال الطيبي: إن كونهم من جملة الغافلين المشهود عليهم بالغفلة أدعى لشقائهم، وأنطق لخسرانهم من مطلق كونهم مختومًا عليهم، قال القاضي البيضاوي: والمعنى أن أحد الأمرين كائن لا محالة: إما الانتهاء عن ترك الجمعات، وإما ختم الله على قلوبهم، فإن اعتياد ترك الجمعة يغلب الرين على القلب، ويزهد النفوس في الطاعة، وذلك يؤدي إلى أن يكونوا من الغافلين"[١].

هذا وقد جاء في أهمية صلاة الجمعة نداء الله على المؤمنين أن يسعوا إلى ذكر الله ويتركوا ما بأيديهم من البيع والشراء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٢].

قال القرطبي: "خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفًا لهم وتكريمًا فقال: (يا أيها الذين آمنوا) ثم خصه بالنداء،وإن كان قد دخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٣]، ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه، وقال بعض العلماء: كَوْن صلاة الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ وأما السعي عليها ففيه ثلاثة أقوال، أولها: أنه القصد، قال الحسن: والله ما هو بسعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية، والثاني: أنه العمل والمراد: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهير والتوجه إليه، الثالث: أن المراد به السعي على الأقدام وذلك فضل وليس بشرط. وفي هذا النداء خطاب للمكلفين بإجماع قال علماؤنا: ولا يتخلف أحد عن الجمعة ممن عليه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه معه الإتيان إليها؛ مثل المرض الحابس، أو خوف الزيادة في المرض، أو خوف جور السلطان عليه في

---

(١) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ٣٢٤/٥ - ٣٢٥.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

مال أو بدن دون القضاء عليه بحق، والمطر الوابل مع الوحل عذر إن لم ينقطع. ومن تخلف عنها، مع إمكانه لذلك عاصٍ لله بفعله"[١].

هذا وقد حذر رسول الله ﷺ من ترك صلاة الجمعة والتهاون في أدائها، فعن أبي الجعد الضمري - وكانت له صحبة - قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ ثَلاثَةَ جُمَعٍ تَهاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللهُ تبارك وتعالى عَلَى قَلْبِهِ))[٢]، وعن أبي قتادة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ))[٣].

وأخرج أبو يعلى من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عمه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَلَمْ يَأْتِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ))[٤].

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقَدْ نَبَذَ الإِسْلاَمَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ))[٥].

قال الشيخ محمد علي الصابوني: "إن الصلاة صلة بين العبد بربه، وعبادة تشد القلب، وتقوي الإيمان فيه، وهي إلى جانب هذا تزيد المجتمع ترابطًا وتآلفًا، يلتقي فيها أفراده على الخير ويتعاونون على البر والتقوى، وإذا كانت الصلوات الخمس في كل يوم وليلة مفروضة فقد يُشغل المرء عن بعضها في شغله الدنيوي الذي يبعده عن المسجد أو يتساهل في عدم المجيء إليها، لذلك فقد فرض الله صلاة الجمعة في كل أسبوع مرة واحدة ليسرع إلى الصلاة يستمع إلى كلام الله، وحديث المصطفى ﷺ وموعظة الخطيب فيكون له زادًا إيمانيًا ويجتمع بإخوانه المؤمنين جميعًا فيتفقد الغائب ويعين

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٤٦٣ - ٤٦٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤٢٥، رقم ١٥٤٩٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ص ٢٤/٢٥٥، وأخرجه أبو داود ١٠٥٢، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٩٢٨).

(٣) أخرجه أحمد ٥/٣٠٠، رقم ٢٢٥٥٨، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، ٣٧/٢٥٠.

(٤) أخرجه أبو يعلى ٧١٦٧، وحسنه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٥).

(٥) أخرجه أبو يعلى ٢٧١٢، وصححه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٣).

المحتاج ويعود المريض، ويصالح المتخاصمين ويبذل نصحه للمقصرين، كما يتعلم الآداب الإسلامية في الاجتماع، من السلام والاحترام والبشاشة التي تجعل المجتمع في سلام وأمان لهذا كله فرض الله سبحانه صلاة الجمعة على كل مسلم وأمره أن يسعى إليها وحثه على أدائها"[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان العواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية:

حيث جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: (ليختمن الله على قلوبهم)، ويتضح هذا أن الداعية دائمًا حريص على المدعوين يرشدهم إلى ما ينفعهم ويحذرهم من عواقب الأمور، وهكذا كان رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وقد جاء في أحاديث رسول الله ﷺ ما يبين مدى حرص الرسول ﷺ - وهو إمام الدعاة - على المدعوين، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ...))[٤]، ومما لا شك فيه "أن حرص الداعية على دعوة الناس وهدايتهم واستشعارهم أنه يبذل لأجلهم ويحمل همهم، ويبغى خيرهم، إن ذلك كله عطاء عظيم يكون له أبلغ الأثر عندما لا يكون له تعلق بأي مقابل مادي، أو انتظار لجزاء دنيوي، أو ترقب لمدح بشري، والداعية ينبغي أن يكون للناس كالوالد شفقة بهم وحرصًا عليهم، وبذلاً لهم وتوجيههم وإرشادهم"[٥].

---

(١) تفسير آيات الأحكام ٥٨٦/٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٦).

(٥) انظر: مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٩٣ - ١٩٤.

الحديث رقم (١١٥٣)

١١٥٣ - وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى جانب من جوانب التهيؤ الظاهري المعين على التهيؤ الباطني للجمعة؛ لأن المؤمن يحسب للقاء الله تعالى حسابا يكون فيه في قمة الحرص على ما يرضيه تعالى، والحديث قصير جاء في أسلوب مباشر في ثوب الشرط الذي يربط المجيء للجمعة بالغسل حتى يأخذ حكم التلازم، والتكرار كلما تكرر المجيء، ثم إن التعبير بالمجيء أي أراد المجيء عبر عن الإرادة بالمجيء إشارة إلى العزم الجازم، ولفظ أحدكم يعمم الخطاب، وقوله (الجمعة) أي صلاة الجمعة، وقوله (فليغتسل) أمر وقع في جواب الشرط

فقه الحديث

قد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[2] والمالكية[3] والشافعية[4] والحنابلة[5] إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة، فمن فعله كان له ثوابه ومن توضأ فقط

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٧) واللفظ له، ومسلم (٢/٨٤٤).

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١/٦٥، والعناية، البابرتي ١/٦٥.

(٣) المنتقى ١/٥٠، ١٨٣، وأحكام القرآن، وابن العربي ٤/٢١٦، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢/٥٤٣.

(٤)الأم، الإمام الشافعي ١/٥٣ وما بعدها، والمجموع ٢/٢٣٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣/١٦٠.

(٥) المغني ٢/٩٨، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١/٢٤٧، والفروع، ابن مفلح١/٢٠٢.

أجزأته صلاته، وتأولوا الوجوب في الحديث الثاني على أنه وجوب اختيار لا وجوب فرض، وذهب أهل الظاهر[١] إلى أنه فرض على كل من تلزمه الجمعة وهو ما روي عن الإمام أحمد في رواية[٢]، وذكر قولاً لمالك، وقولاً للشافعي في القديم[٣]، وروي عن بعض الصحابة والتابعين، كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وعمار بن ياسر، والحسن البصري وغيرهم[٤]، وأوجبه ابن تيمية[٥] على من له رائحة كريهة أو عرق يتأذى منه المصلون.

ولكن الراجح ما عليه عامة أهل العلم أن غسل الجمعة سنة لا واجب وقد نقل بعض العلماء كابن عبدالبر وابن المنذر الإجماع عليه[٦].

المضامين الدعوية [٧]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية غسل الجمعة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على الطهارة ونظافة البدن.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: التيسير ورفع الحرج عن المدعوين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الأحكام الشرعية للمدعوين.

---

(١) المحلى ٢٥٥/١.

(٢) المغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) الفتاوى الكبرى ٣٠٧/٥.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، والمغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١، وانظر: المجموع ٢٨٤/٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ١١٤/٦/٣-١١٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٥٧/٢-٣٦٤ .

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٥٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٥٤)، (١١٥٥) (١١٥٦).

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية غسل الجمعة:

إن الإسلام يدعو إلى النظافة والطهر، ومن ثم حبب إلى أتباعه أن يتطهروا قبل مجيئهم إلى صلاة الجمعة، ومما يدل على ذلك ما جاء في الأحاديث الثلاثة: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)، وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم).

قال المازري: "من الفقهاء من أخذ بظاهر هذا ورأى أن غسل الجمعة يجب. وأكثر الفقهاء على أنه لا يجب تعلقًا بقوله ﷺ: ((مَن توضَّأ يومَ الجُمعةِ فَبِهَا وَنِعْمتْ. ومَن اغتسلَ فالغُسْلُ أفضلُ))، يفيد جواز الاقتصار على الوضوء، ولو كان ممنوعًا من الاقتصار عليه لم يقل: (فبها ونعمت) وأيضًا فإنه قال: (ومن اغتسل فالغسل أفضل)، فدلّ على أن في الوضوء فضلاً حتى تصح المبالغة"[١].

"قال النووي: "والغسل يستحب لكل مريد للجمعة، ومتأكد في حق الذكور أكثر من النساء لأنه في حقهن قريب من الطيب، ومتأكد في حق البالغين أكثر من الصبيان ومذهبنا المشهور أنه يستحب لكل مريد لها"[٢].

وقال الطيبي: "ذهب أكثر الفقهاء إلى أن غسل الجمعة غير واجب وتأولوا الحديث على معنى الترغيب فيه حتى يكون كالواجب على معنى التمثيل والتشبيه"[٣].

وقال القرطبي: "وفي قوله ﷺ: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)، وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم)، ظاهر في وجوب غسل الجمعة وبه قال أهل الظاهر، وحكي عن بعض الصحابة وعن الحسن وحكاه الخطابي عن مالك، ومعروف مذهبه وصحيحه أنه سنة وهو مذهب عامة أئمة الفتوى وحملوا تلك الأحاديث على أنه واجب وجوب السنن المؤكدة ودلّهم على ذلك أمور:

أحدها: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَدَنَا وَاستَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ))[٤]، فذكر فيه الوضوء واقتصر

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٥٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٨٥٧.

عليه دون الغسل ورتب الصحة والثواب عليه فدلّ على أن الوضوء كافٍ من غير غسل وأن الغسل ليس بواجب.

ثانيها: قوله ﷺ لهم حين وجد منهم الريح الكريهة: ((لَوِ اغْتَسَلْتُمْ لِيَوْمِكم هذا))[1]، وهذا عرض وتحضيض وإرشاد للنظافة المستحسنة ولا يقال مثل ذلك اللفظ في الواجب.

ثالثها: إقرار عمر والصحابة لعثمان رضي الله عنهم على صلاة الجمعة بالوضوء من غير غسل ولم يأمروه بالخروج، ولم ينكروا عليه فصار ذلك كالإجماع منهم على أن الغسل ليس بشرط في صحة الجمعة ولا واجب.

رابعها: أنه عليه الصلاة والسلام قد قال: ((غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ واجب عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ. وَسِوَاكٌ. وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ))[2]، وظاهر هذا: وجوب السواك والطيب وليس كذلك بالاتفاق يدل على أن قوله: واجب ليس على ظاهره بل المراد به: ندب المؤكد إذ لا يصح تشريك ما ليس بواجب مع الواجب في لفظ الواو والله تعالى أعلم"[3].

وقد اختار ابن القيم وجوب الغسل يوم الجمعة فقال: "ومن خصائص يوم الجمعة الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمر مؤكد جدًا، ووجوبه أقوى من وجوب الوتر، وقراءة البسملة في الصلاة، ووجوب الوضوء من مس النساء، ومس الذكر. وللناس في وجوب غسل الجمعة ثلاثة أقوال: النفي والإثبات، والتفصيل بين من به رائحة يحتاج إلى إزالتها فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه فيستحب له، والثلاثة لأصحاب أحمد"[4].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على الطهارة ونظافة البدن:

يتضح هذا من سياق الأحاديث بمجموعها حيث فيها التوجيه إلى الغسل، ولا شك أن الإسلام دين النظافة والطهارة، قال الطيبي: "ولما كان القوم عمالاً في مهنة، يلبسون الصوف، وكان المسجد ضيقًا ويتأذى بعضهم من بعض من رائحة عرقهم، ندبهم إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٩٠٣، ومسلم ٨٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٠، ومسلم ٨٤٦.

(٣) المفهم لم أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٧٩/٢ - ٤٨٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٧/١.

الاغتسال بلفظ الوجوب؛ ليكون أدعى إلى الإجابة، وقد علم ذلك من جملة الأحاديث الواردة، وقد جاء في بعض الأحاديث تخصيص ذكر غسل الرأس والجسد كالوصف المشعر بالعلية للحكم، لأنهما مكان الوسخ والرائحة الكريهة"[١].

وقال ابن حجر: "والحكمة في الأمر بالغسل يوم الجمعة والتنظيف، رعاية الحاضرين من التأذي بالرائحة الكريهة، فمن خشي أن يصيبه في أثناء النهار ما يزيل تنظيفه استحب له أن يؤخر الغسل لوقت ذهابه ولعلّ هذا هو الذي لحظه مالك فشرط اتصال الذهاب بالغسل ليحصل الأمن مما يغاير التنظيف والله أعلم"[٢].

ولقد كان النبي ﷺ يوجه أصحابه رضي الله عنهم ويرشدهم إلى الطهارة والنظافة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الْجُمُعَةَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ ومِنَ الْعَوَالِي، فَيَأْتُونَ فِي الْعَبَاءِ. وَيُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ، فَتَخْرُجُ مِنْهُمُ الرِّيحُ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هذَا))، وفي رواية عنها قالت: ((كَانَ النَّاسُ أَهْلَ عَمَلٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفَاةٌ. فَكَانُوا يَكُونُ لَهُمْ تَفَلٌ. فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ))[٣].

قال القاضي عياض: "والعباء جمع عباءة وهي أكسية خشان فيها خطوط، والكُفافُ: جمع كافٍ أي عبيد وخدم يكفونهم الخدمة والعمل، وقوله: (لهم تفل) أي: رائحة كريهة، فقوله لهم: (لو اغتسلتم يوم الجمعة)، (لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا)، هذا كله يدل على الحض والترغيب، ودليل على تنزيه المساجد عن الريح الكريهة، ولما لم تكن هذه من الكراهة مثل رائحة البصل والثوم، وإنما كانت مثل ريح الضأن كما ذكر في الحديث لم يمنع أهلها من حضور المساجد لكنهم حضّوا على إزالتها والتنظيف جملة، ولأنها كانت من الغالب والأكثر منهم وكثر إلفها لهم والأنس بها، وأمره بالطيب للجمعة من هذا لقطع تلك الروائح، وإدخال المنفعة والمسرة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٣/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤١٧/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٠٢، ومسلم ٨٤٧، والتفل: الرائحة الكريهة.

بذلك على من يجالسه من المسلمين، وتعظيم لحرمة المسجد لأجل الملائكة الكاتبين فيه"[١].

جاء في فتح الملهم: "يندب لمن أراد المسجد أو مجالسته الناس أن يجتنب الريح الكريهة في بدنه وثوبه وقوله في الطيب (يمس ما قدر عليه) إرادة التأكيد ليفعل ما أمكنه ويحتمل إرادة الكثرة والأول أظهر"[٢].

إن المسلم دائمًا ينبغي أن يكون على حال من الطهارة والنظافة، ويتأكد هذا في يوم الجمعة خاصة لما له من فضل وخصائص ليست لغيره، "ويستحب للإنسان أن يغتسل ويتنظف ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه، بل يستحب أن يتطيب بأطيب الطيب ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الرَّوح والرائحة إلى مشام الحاضرين بجواره في بيت الله، وأحب طيب الرجال ما خفي لونه وظهر ريحه، وأما الكسوة فأحبها البياض كما جاء في السنة، ولبس ما فيه شهرة مكروه ولبس السواد ليس من السنة"[٣].

ثالثًا- من خصائص الدعوة: التيسير ورفع الحرج عن المدعوين:

إن من خصائص الإسلام وخصائص دعوته التيسير على المدعوين ورفع الحرج والمشقة عن الناس ويتضح هذا من الحديث الثالث في قوله ﷺ: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل)، ولا شك أن هذا من مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة. وهي خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية حيث خيرت بين الوضوء والغسل، قال العظيم آبادي: "قال الخطابي: وفيه البيان الواضح أن الوضوء كافٍ للجمعة، وأن الغسل لها فضيلة لا فريضة، وقال الترمذي: دلّ هذا الحديث على أن غسل يوم الجمعة فيه فضل من غير وجوب يجب على المرء"[٤]، ومما لا شك فيه "أن في التخيير بين الغسل والوضوء، والتفضيل بوجوب الغسل لمن به رائحة كريهة،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٥/٢٧٩.

(٣) خطب الجمعة، الشيخ عبدالله محمد الخليفي، ط٣ دار الأصفهاني، جدة: ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٩٦-٩٧.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٣.

والاستحباب لمن ليس له رائحة، نجمع بين دعوة الإسلام إلى النظافة عمومًا وبين روح السماحة التي تحملها الشريعة المحمدية السمحة لأتباعه، لأنه بترك الغسل قطعًا يترك الأخذ بالأصل الداعي إلى النظافة، وفي إيجابه مطلقًا حرج - كما هو معلوم - والحرج مرفوع في الشريعة"[١].

وقد بيّن الله عز وجل في القرآن الكريم أنه يريد لعباده اليسر ورفع الحرج عنهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: "والمراد: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصّكم بأكرم رسول، وأكمل شرع، ولم يكلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا، ويظهر من هذا الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من حرج: أي من ضيق)"[٤].

وللدلالة على التيسير ورفع الحرج قال ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما أميرين إلى اليمن: ((بشّرا ولا تنفّرا ويسّرا ولا تعسّرا))[٥].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الأحكام الشرعية للمدعوين:

يتضح هذا من سياق الأحاديث ولا شك أن مهمة الداعية الأولى البيان، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦]، وبين الله سبحانه أن الرسول الكريم مكلف بالتبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٧].

---

(١) فضائل الجمعة، د. محمد ظاهر أسد الله ص ٣٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

قال السعدي: "هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا: كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشّر ويسّر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دلّ أمته عليه ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"[1].

ومن هنا وجب على الداعية إلى الله أن يقوم بمهمة البيان للأحكام الشرعية حتى لا يقع المدعوون في مخالفة شرعية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

الحديث رقم (١١٥٤)

١١٥٤ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

واجب: والمراد بالواجب: وجوب اختيار، كقول الرجل لصاحبه: حقك واجب عليّ[٢].

المحتلم: البالغ[٣].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يرغب في الغسل لصلاة الجمعة، وهو منهج نبوي راشد في الجمع بين الطهارة الظاهرية بالغسل، وغيره من سنن الجمعة، والطهارة الباطنية بمحو الله خطايا العبد، وتنقيته منها بأدائه للجمعة فيصير ظاهرا أشبه بباطن في صفاء روحي يفتح أمامه آفاق الحياة يعمر دنياه، ويعمر أخراه، والحديث يقرر بأسلوب خبري ضرورة الغسل يوم الجمعة، وقد أعطى الحكم عموما يشمل جميع أفراد الفئة العمرية المستهدفة بالحكم عن طريق لفظ العموم (كل) وإضافته إلى المحتلم تحدد الفئة العمرية المستهدفة بالحكم، وهم من أدركوا الحلم أي سن البلوغ.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦/٧) ولفظهما سواء. تنبيه: الحديث أورده المنذري في ترغيبه (١٠٤٧) مع ذكر الزيادة عند مسلم في آخره: (ويمس من الطيب ما قدر عليه)، وعزاه إلى مسلم فقط. قال الناجي في عجالة الإملاء: وقد رواه هو والبخاري بذكر الغسل وحده من طريق آخر. انتهى. قلتُ: فانتبه لهذه النكتة الإمام النووي، فعدل عن لفظ المنذري، وأورده بهذا اللفظ وعزاه إلى الصحيحين.

(٢) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٣) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى المطلوب فعله لمن يصلي الجمعة من المكلفين، وذلك بأن يغتسل أو يتوضأ لها ثم يأتي المسجد.

وقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[1] والمالكية[2] والشافعية[3] والحنابلة[4] إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة، فمن فعله كان له ثوابه، ومن توضأ فقط أجزأته صلاته، وتأولوا الوجوب في الحديث الثاني على أنه وجوب اختيار لا وجوب فرض، وذهب أهل الظاهر[5] إلى أنه فرض على كل من تلزمه الجمعة، وهو ما روي عن الإمام أحمد في رواية[6]، وذكر قولاً لمالك، وقولاً للشافعي في القديم[7]، وروي عن بعض الصحابة والتابعين، كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وعمار بن ياسر، والحسن البصري وغيرهم[8]، وأوجبه ابن تيمية[9] على من له رائحة كريهة أو عرق يتأذى منه المصلون.

ولكن الراجح وما عليه عامة أهل العلم أن غسل الجمعة سنة لا واجب، وقد نقل بعض العلماء كابن عبدالبر وابن المنذر الإجماع عليه[10].

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، العناية، البابرتي ٦٥/١.

(٢) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٦/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٣)الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، المجموع ٢٣٢/٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) المحلى ٢٥٥/١.

(٦) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٧) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٨) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٩) الفتاوى الكبرى ٣٠٧/٥.

(١٠) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

الحديث رقم (١١٥٥)

١١٥٥ - وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبِهَا وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أفْضَلُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

فبها ونعمت: ونعمت الفَعْلَةُ والخَصْلَةُ هي، المخصوص بالمدح، والباء في قوله: متعلقة بفعل مضمر، أي: فبهذه الخصلة، يعني الوضوء، ينال الفضل.

وقيل: أي: فالبسنة أخذ[2].

الشرح الأدبي

الحديث في بيان فضل التطهر للجمعة جاء في أسلوب خبري خال من المؤكدات لأن الحديث عن أمور من فضائل الأعمال ليس لدى المخاطب علم مسبق يترتب بناءً عليه رد فعل معين تجاه الموضوع، وقوله (مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبِهَا وَنِعْمَتْ) التيسير أي فأهلا بتلك الرخصة، أو الفعلة المحصلة للواجب، ونعمت الخصلة هي وهو أسلوب مدح وقوله (اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ) جناس يجذب السمع ويؤكد المعنى الفاضل، والتعبير بأفعل التفضيل (أفضل) تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ؛ وقد فضل الغسل الوضوء؛ لأن الغسل تطهير لجميع البدن.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧) واللفظ له. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (١٧٥٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ع م).

(٣) تقدم دمجها مع مضامين الحديث رقم ١١٥٣، ١١٥٤.

الحديث رقم (١١٥٦)

١١٥٦- وعن سَلْمَان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول اللهِ ﷺ : ((لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَومَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإمَامُ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

غريب الألفاظ:

يدَّهنُ: يَطلي نفسه [2].

الدُّهْنُ: الزيتُ المُطيَّب بالريحان أو نحوه، يُؤتى بالدهن فيُغلى فيه الطيب، كانوا هكذا يستعملونه [3].

يمسّ: يصيب، أو يأخذ[4].

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب قصر في جملة طويلة استوعبت أعمال المسلم يوم الجمعة حيث قصر صفة الاغتسال، وما عطف عليها من صفات على مغفرة الذنوب، وهو معنى ضروري يسعى إليه كل مؤمن في الحياة حتى يلقى الله طاهرا منها، وتنكير (رجل) يفيد العموم؛ لأنه في سياق النفي، وبين قوله يتطهر، وبين طهر جناس يؤكد المعنى الذي ينبغي أن يلقى عليه المؤمن ربه، وبين قوله يدهن، ودهنه جناس يؤكد المعنى المراد بما يكون به المؤمن حسن المظهر فيتوافق مع حسن الجوهر، ولأنه يوم اجتماع في وقت

---

(١) برقم (٨٨٣)، وتقدم برقم (٨٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٢٣).

(٢) اللسان والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (د هـ ن).

(٣) اللسان والمصباح في (د هـ ن).

(٤) اللسان والوسيط في (م س س).

الظهيرة مع شدة الحر، ومظنة انبعاث روائح العرق التي يمكن أن تشوش على المصلين جاء قوله (يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ) ؛ولأن معنى الجمعة اجتماع المسلمين في محبة، ومودة، وتعاون كيوم عيد لهم كره أي مفرق لهذا الاجتماع، وحذر من كل أشكال لإيذاء في قوله (ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ) لا تفريقا حسيا، ولا معنويا، ثم أشار إلى الغرض الأساسي للخروج، وهو العبادة، ونبه إلى أن ما يبلغه فيها هو من توفيق الله مكتوب مقدر في قوله (ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ) أي ما كتب الله له، ثم أشار إلى الوحدة الصغرى خلف إمام الصلاة في خضوع، وإنصات يمهد للموعظة، والتي توطن المسلم على الوحدة الكبرى في أمة واحدة قوية - نسأل الله تعالى أن يجمعها على مرضاته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم الاغتسال لصلاة الجمعة، وقد سبق القول في الحديث السابق أن جمهور الفقهاء من الحنفية[1] والمالكية[2] والشافعية[3] والحنابلة[4] ذهبوا إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة فمن فعله كان له ثوابه ومن توضأ فقط أجزأته صلاته.

الثاني: حكم التطيب لصلاة الجمعة، وقد اتفق الفقهاء[5] على أنه يسن لمن يذهب

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، العناية، البابرتي ٦٥/١.

(٢) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٦/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٣)الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، المجموع ٢٣٢/٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٩/١، الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٤٩/١، الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر الحوازي اليمني ٩٢/١، المنتقى ٢٠٣/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣٥/٢، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٣/٤، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٢٧/٢، حاشيتا قليوبي وعميرة ٣٣٣/١، مغني المحتاج ٥٦٣/١، الفروع، ابن مفلح١٠٤/٢، المغني ١٠٠/٢.

لصلاة الجمعة أن يلبس ثيابًا حسنة، وأن يكون في هيئة حسنة، وأن يضع بعضًا من الطيب على جسمه وثيابه حتى يكون له ريح طيب لا يؤذي برائحته أحدًا من المسلمين، فإن لم يجد فلا إثم عليه، وخالف في ذلك الظاهرية[1] فحملوا الأمر بالتطيب على ظاهره وقالوا بوجوب التطيب يوم الجمعة، ومن لم يفعل فقد خالف أمرًا واجبًا وعليه إثمه.

الثالث: حكم الإنصات لسماع خطبة الجمعة، وقد سبق ذكره في الحديث رقم (١١٤٨).

المضامين الدعوية[2]

---

(١) المحلى، ابن حزم ٣/٢٨٥ وما بعدها.

(٢) تقدم دمجها مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٥٣.

الحديث رقم (١١٥٧)

١١٥٧ - وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ (فِيْ السَّاعَةِ الأُوْلَى) [1] فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في الساعة الثَّالِثَةِ، فَكَأنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإذَا خَرَجَ الإمَامُ، حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غسل الجنابة: أي غسلاً كغسل الجنابة في الصفَة[3].

البدنة: البعير ذكرًا كان أو أنثى، والمراد بها هنا الناقة بلا خلاف، والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث[4].

الساعة: جزءٌ قليل من الليل أو النهار[5].

أقرن: أي طويل القرنين، وإنما وصف الكبش بأنه أقرن لأنه أكمل وأحسن صورة، ولأن القرن ينتفع به [6].

الذكر: والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها[7].

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وإنما هي عند مالك في الموطأ (١/١٠١، رقم ١)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، حيث عزاه إلى مالك والبخاري ومسلم وغيرهم، وهذا لفظ مالك.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (١٠/٨٥٠) ولفظهما سواء، إلا الزيادة. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٤٩).

(٣) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٤) اللسان في (ب د ن)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٢٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و ع).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٢٧.

(٧) المرجع السابق ٢/٤٢٧.

الشرح الأدبي

الحديث يتحدث عن مقدار ثواب المسلم المصلي للجمعة، وبيان التفاوت في هذا الأجر نظرا للتبكير، أو التأخير في الحضور إليها، وهو أمر غيبي لا يستطيع عقل تصوره لذلك استخدم الرسول ﷺ التشبيه في تقريب حجم الثواب، وبيان مقداره عن طريق التصوير في جمل الحديث في قوله: (مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ) تشبيه لبيان هيئة الغسل بأركانه، وسننه أي كغسل الجنابة بشروطه، وأركانه، كما صوَّر التفاوت بين أجر الذي يحضر الجمعة في أول ساعة عن غيره بالذي تصدق بالبدنة، والتعبير بالبدنة وهي الناقة أو الجمل لعظم بدنها، وقوله، وذكر الساعة ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع، والعشرين التي قسم اليوم، والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات، وفضل السابق على الذي يليه وقوله (وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً) تشبيه لأهل الدرجة الثانية في الحضور بمن تصدق ببقرة، والتعبير بالتقريب لأن فيه دلالة على التصدق، وفيه إشارة إلى الغرض من التصدق، وهو التقرب لله مما يدل على صدقة في إخلاص كما شبَّه الذاهب في الساعة الثالثة بمن قرب كبشا أقرن، ووصف الكبش بالأقرن مبالغة في تمامه، وهو تعظيم للأجر في جانب المشبه كما شبه صاحب الدرجة الرابعة بمن قرب دجاجة، ومن حضر في الخامسة بمن قرب بيضة، فتأمل عظمة التفاوت في الأجر بين رجل تصدق بناقة، ورجل تصدق ببيضة كم مسكين يطعم من لحم الناقة؟! وكم مسكين تطعم البيضة؟! هذا التفاوت بين رجلين صلى كل منهما الجمعة فعاد أحدهما بالبدنة، وعاد الآخر بالبيضة، فهل سألت نفسك بما ستعود من صلاة الجمعة هذا الأسبوع؟

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قوله ﷺ: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة" معناه كغسل الجنابة في الصفات. هذا هو المشهور في تفسيره وقال بعض أصحابنا في كتب الفقه: المراد غسل الجنابة حقيقة. قالوا: ويستحب له مواقعة زوجته ليكون أغض للبصر

وأسكن لنفسه. وهذا ضعيف أو باطل، والصواب ما قدمناه[١].

٢ - التبكير إلى الجمعة: ذكر العلماء أن للسعي إلى الجمعة وقتان، وقت وجوب، ووقت فضيلة:

أما وقت الوجوب: فيكون عند النداء الثاني، إلا لمن بَعُد منزله، فعليه أن يسعى في الوقت الذي يكون به مدركًا للجمعة، لأن ما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا[٢].

وأما وقت الفضيلة والاستحباب: فقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء منهم الثوري[٣]، وأبو حنيفة[٤]، وبعض الشافعية[٥]، ويرون أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة من وقت طلوع الشمس، للحديث.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الشافعي[٦]، ويرى أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة وقت طلوع الفجر للحديث.

قال الشافعي في الأم: (وأُحِبّ لكل من وجبت عليه الجمعة أن يبكر إلى الجمعة جهده، فكلما قدم التبكير كان أفضل)[٧].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام مالك، ويرى أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة قبل الزوال، وهو ما يسمى بالتهجير، لأن الصحابة كانوا يأتون المسجد وقت الهاجرة.

وقد كره مالك السعي للجمعة بعد طلوع الشمس، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولخوف الرياء والسمعة[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٦/٣ .

(٢) المغني، ابن قدامة ١٦٣/٣، ١٦٤ ، والكافي في فقه الإمام أحمد ٢٢٥/١.

(٣) الاستذكار، ابن عبدالبر ٦/٢ دار الكتب العلمية.

(٤) حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ٣٣٥/١.

(٥) المهذب ١١٤/١.

(٦) المهذب، السابق الموضع نفسه، وإعانة الطالبين ٧٤/٢.

(٧) الأم، الإمام الشافعي ص ١٤١ .

(٨) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٦٤/١، وحاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني ٤٧٩/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٨١/١، وبلغة السالكة ٢٢٢/١.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه، هو أن من يستحب له التبكير هو غير الخطيب الذي يخطب الجمعة، أما هو فيستحب له التأخير إلى وقت الخطبة[1] والله أعلم.

٣ - الأفضل في الهَدْي والتضحية:

قال النووي: (وأما البدنة فقال جمهور أهل اللغة وجماعة من الفقهاء يقع على الواحدة من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها. وخصّها جماعة بالإبل. والمراد هنا الإبل بالاتفاق لتصريح الأحاديث بذلك ... وفيه [أي في الحديث] أن التضحية بالإبل أفضل من البقرة، لأن النبي ﷺ قدّم الإبل وجعل البقرة في الدرجة الثانية. وقد أجمع العلماء على أن الإبل أفضل من البقر في الهدايا واختلفوا في الأضحية، فمذهب الشافعي وأبي حنيفة والجمهور أن الإبل أفْضل ثم البقر ثم الغنم كما في الهدايا، ومذهب مالك أن أفضل الأضحية الغنم ثم البقر ثم الإبل. قالوا: لأن النبي ﷺ ضحى بكبشين[2]. وحجة الجمهور ظاهر هذا الحديث والقياس على الهدايا. وأما تضحيته ﷺ فلا يلزم منها ترجيح الغنم، لأنه محمول على أنه ﷺ لم يتمكن ذلك الوقت إلا من الغنم أو فعله لبيان الجواز، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ ضحّى عن نسائه بالبقرة[3])[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الغسل يوم الجمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التبكير يوم الجمعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التمثيل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الغسل يوم الجمعة:

يتضح هذا من الحديث: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)، وهذا يدل على

---

(١) إعانة الطالبين ٢/٦٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٥٥٨، ومسلم ١٩٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٤، ومسلم ١٢١١، ١١٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣/٦/١٢٠ .

أهمية وفضل الاغتسال يوم الجمعة كما سبق بيانه في الأحاديث السابقة، قال النووي: "معناه غسلاً كغسل الجنابة في الصفات، هذا هو المشهور في تفسيره، وقيل: المراد: غسل الجنابة حقيقة، قالوا: ويستحب له مواقعة زوجته ليكون أغض للبصر وأسكن للبصر وهذا ضعيف أو باطل والصحيح ما قدمناه"[١].

وقال القرطبي: "وقوله ﷺ: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)، يعني: في الصفة، والأغسال الشرعية كلها على صفة واحدة وإن اختلفت أسبابها، وهكذا رواية الجمهور ووقع عند ابن ماهان: (غسل الجمعة)، مكان (غسل الجنابة)، وفي كتاب أبي داود من حديث أوس بن أوس مرفوعًا: ((مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا))[٢]، روى مُخفَّف السين، وروايتنا: التشديد واختلف في معناه: فقيل معناه: جامع يقال: غسل وغسّل أي: جامع قالوا: ليكون أغض لبصره في سعيه إلى الجمعة، وقيل في التشديد أوجب الغسل على غيره أو حمله عليه، وقيل: غسّل للجنابة واغتسل للجمعة، وقيل: غسّل رأسه واغتسل في بقية جسده وقيل: غسّل بالغ في النظافة والدلك. واغتسل: صبّ الماء عليه، وأنسب ما في هذه الأقوال: قول من قال: حمل غيره على الغسل بالحث والترغيب والتذكير والله تعالى أعلم"[٣].

وقال الشيخ السيد سابق: "ويستحب لكل من أراد حضور صلاة الجمعة أو مجمع من مجامع الناس سواء كان رجلاً أو امرأة، أو كان كبيرًا أو صغيرًا، مقيمًا أم مسافرًا أن يكون على أحسن حال من النظافة والزينة: فيغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك"[٤].

قال الطيبي: "وأما الاغتسال يوم الجمعة فيكون لذاته ولكرامته، وقد قام الدليل

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٥٥٨.

(٢) أخرجه ابو داود ٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٨٤.

(٤) فقه السنة ١/٢٩٨.

على أنه ﷺ كان يفعله ويأمره استحبابًا"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التبكير يوم الجمعة:

حيث جاء في الحديث: (ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة..)، قال النووي: "وفي الحديث الحث على التبكير إلى صلاة الجمعة، وأن مراتب الناس في الفضيلة فيها وفي غيرها بحسب أعمالهم وهو من باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]، وأما قوله: (حضرت الملائكة يستمعون)، قالوا: هؤلاء الملائكة غير الحفظة وظيفتهم كتابة حاضري الجمعة[٣]، وقال ابن حجر: "وقوله: (فكأنما قرب بدنة)، أي: تصدق بها متقربًا إلى الله، وقيل: المراد إن للمبادرة في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان، لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت على الأمم السابقة وقيل المراد بالحديث: بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة. وفي هذا الحديث من الفوائد: الحض على الاغتسال يوم الجمعة وفضله وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعهما"[٤].

وقال البدر العيني: "قوله: (ثم راح) أي ذهب أول النهار وقوله: (ومن راح في الساعة الثانية) قال مالك: المراد بالساعات هنا لحظات لطيفة بعد زوال الشمس وبه قال القاضي حسين وإمام الحرمين، والرواح عندهم بعد زوال الشمس، وادعوا أن هذا معناه في اللغة، وقال جماهير العلماء باستحباب التبكير إليها أول النهار، وبه قال الشافعي وابن حبيب المالكي، والساعات عندهم من أول النهار والرواح يكون أول النهار وآخره.

وقال الأزهري: "لغة العرب أن الرواح الذهاب سواء كان أول النهار، أو آخره أو في الليل، وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكتب من جاء في الساعة الأولى وهو كالمُهْدي بَدَنَةً ثم جاء في الساعة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٤/٢.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ٥٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٦/٢.

الثانية ثم راح في الثالثة ثم في الرابعة ثم في الخامسة، وفي رواية النسائي السادسة فإذا خرج الإمام طَوَوْا الصحَف ولم يكتبوا بعد ذلك، ومعلوم أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلاً بالزوال وهو بعد انقضاء الساعة السادسة فدلّ على أنه لا شيء من الفضيلة لمن جاء بعد الزوال، ولأن ذكر الساعات إنما كان للحث على التبكير إليها والترغيب في فضيلة السبق وتحصيل الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحو ذلك وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال، ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حينئذ ويحرم التخلف بعد النداء قلت: الحاصل أن الجمهور حملوا الساعات المذكورة في الحديث على الساعات الزمانية كما في سائر الأيام وقد روى النسائي أنه ﷺ قال: ((يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً))(1).

وأما أهل علم الميقات، فيجعلون ساعات النهار وابتداءها من طلوع الشمس، ويجعلون الحصة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من حساب الليل، واستواء الليل والنهار عندهم إذا تساوى ما بين المغرب وطلوع الشمس، وما بين طلوع الشمس وغروبها فإن أريد الساعات على اصطلاحهم فيكون ابتداء الوقت المرغب فيه لذهاب الجمعة من طلوع الشمس وهو أحد الوجهين للشافعية، وقال الماوردي: إنه الأصح ليكون قبل ذلك من طلوع الفجر زمان غسل وتأهب، وقال الروياني: إن ظاهر كلام الشافعي أن التبكير يكون من طلوع الفجر، وصححه الروياني وكذلك صاحب المهذب قبله ثم الرافعي والنووي ولهم وجه ثالث أن التبكير من الزوال كقول مالك حكاه البغوي والروياني وفيه وجه رابع حكاه الصيدلاني أنه من ارتفاع النهار وهو وقت الهجير، وقال الرافعي ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع والعشرين التي قسم اليوم والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات وفضل السابق على الذي يليه قوله: (قرب بدنة) أي تصدق ببدنة متقربًا إلى الله تعالى، وقيل: المراد أن للمبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على

---

(1) أخرجه النسائي ١٣٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١٦).

الكيفية التي كانت عليها الأمم الماضية، وقيل ليس المراد بالحديث إلا بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة وأن نسبة الثاني من الأول نسبة البقرة إلى البدنة في القيمة مثلاً ويدل عليه أن في مرسل طاووس رواه عبدالرزاق كفضل صاحب الجزور على صاحب البقرة، والبدنة تطلق على الإبل والبقر وخصصها مالك بالإبل، ولكن المراد ههنا من البدنة الإبل بالاتفاق لأنها قوبلت بالبقرة، وتقع على الذكر والأنثى، وقال بعضهم: المراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف، قلت: فيه نظر فكان لفظ الهاء فيه غره وحسب أنه للتأنيث، وليس كذلك فإنه للوحدة كقمحة وشعيرة ونحوهما من أفراد الجنس سميت بذلك لعظم بدنها وقال الجوهري البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يَسِمُونها وحكى النووي عن الأزهري أنه قال: البدنة تكون من الإبل والبقر والغنم، قلت: هذا غلط، الظاهر أنه من النساخ لأن المنقول الصحيح عن الأزهري أنه قال: البدنة لا تكون إلا من الإبل، وأما الهدي فمن الإبل والبقر والغنم قوله (بقرة) التاء فيها للوحدة، قال الجوهري: البقر اسم جنس والبقرة تقع على الذكر والأنثى وإنما دخله الهاء على أنه واحد من جنس والبقرات جمع بقرة، والباقر جماعة البقر مع رعاتها والبقور والبقر، قوله: (كبشًا أقرن) الكبش هو الفحل وإنما وصف بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة، ولأن القرن ينتفع به وفيه فضيلة على الأجَمّ، قوله: (دجاجة) بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان وحكى الضم أيضًا، وعن محمد بن حبيب أنها بالفتح من الحيوان وبالكسر من الناس والدجاجة تقع على الذكر والأنثى، وسميت بذلك لإقبالها وإدبارها وجمعها دجاج ودجائج ودجاجات، ذكره ابن سيده وفي المنتهى لأبي المعالي فتح الدال في الدجاج أفصح من كسره، ودخلت الهاء في الدجاجة لأنه واحد من جنس مثل حمامة وبطة ونحوهما، وكما جاءت الدال مثلثة في المفرد فكذلك يقال في الجمع: الدجاج، وقوله: (بيضة) والبيضة واحدة من البيض والجمع بيوض وجاء في الشعر بيضات وقوله: (حضرت الملائكة) بفتح الضد وكسرها والفتح أعلى، وفي الحديث استحباب الغسل يوم الجمعة، وفيه فضيلة التبكير، وقد ذكرنا حَدَّه عن قريب وفيه أن مراتب الناس في الفضيلة على حسب أعمالهم وفيه أن القربان والصدقة

تقع على القليل والكثير"[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التمثيل:

حيث جاء في الحديث: (فكأنما قرب بدنة)، قال القاضي عياض: "هذا ضرب من التمثيل للأجور ومقاديرها لا على تمثيل الأجور وتشبيهها حتى تكون أجرها كأجر هذا، وتكون الدجاجة في التمثيل والتدريج والبيضة بقدر أجريهما من أجر البدنة لو كان هذا مما يهدى، وقوله: (فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)، وفي رواية البخاري: (طَوْوا صحفهم) قالوا: هذا يدل على أنهم غير الحفظة"[٢]، ومما لا شك فيه أن أسلوب التمثيل من أساليب الدعوة التي تقرب الصورة في الأذهان لدى المدعوين، من خلال تمثيل وتشبيه الصورة المعنوية بصورة محسوسة ملموسة مما يثبت المعنى لدى المدعو، "ومن أهم الأهداف التربوية للتشبيه وضرب المثل هو تقريب المعنى إلى الأفهام فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية"[٣].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من الحديث: (من اغتسل.. ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة)، حيث رغب في الاغتسال والتبكير في الذهاب إلى صلاة الجمعة، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الخير، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٤].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٦/١٧١ - ١٧٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٤١.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٣٣١.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٩ – ٥١.

الحديث رقم (١١٥٨)

١١٥٨ - وعنه أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: ((**فِيهَا**[١] **سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْألُ اللهَ شَيْئًا، إلاَّ أعْطَاهُ إيّاهُ**)) وَأشَارَ بيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يوافقها: يصادفها[٣].

يقللها: يزهدها. أي: يبين أنها لحظة لطيفة خفيفة: وهي ساعة خفيفة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث دور حول معنى فضل يوم الجمعة وقد ورد في أسلوب القصر الذي يقصر موافقة الساعة المذكورة على الإجابة لا يتعداها إلى الرد، وقوله (فيها ساعة) تقديم الجار والمجرور يفيد التخصيص أي ليس في غيرها من الأيام على الوجه الذي هي عليه يوم الجمعة، وقوله (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْألُ اللهَ شَيْئًا) يصور حال العبد بين العبادة، والدعاء الذي يشير إلى الخضوع، والذل، والانكسار، وكلما كان العبد أكثر انكسارا، وذلا لله كلما كان أقرب للإجابة، فالذل لله عز بين خلقه، وقوله، (وأشار بيده يقللها) أي أن وقتها قليل مما يستلزم تحريها، والحرص عليها، والاجتهاد في العبادة، والدعاء يوم الجمعة.

---

(١) عندهما بلفظ: (فيه)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، وزاد المنذري: النسائي وابن ماجه، وعند الجميع بلفظ: (فيه).

(٢) أخرجه البخاري ٩٣٥ واللفظ له، ومسلم ٨٥٢/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٠٣٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٠٤.

(٤) المرجع السابق ٢/٤٨٢.

فقه الحديث

قال النووي: (ويستحب الإكثار من الدعاء يوم الجمعة بالإجماع، ودليله حديث أبي هريرة "أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها".

واختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على أحد عشر قولاً:

الأول: أنها ما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس.

الثاني: عند الزوال.

الثالث: من الزوال إلى خروج الإمام.

الرابع: من الزوال إلى أن يصير الظل نحو ذراع.

الخامس: من خروج الإمام إلى فراغ صلاته.

السادس: ما بين خروج الإمام وصلاته.

السابع: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ.

الثامن: ما بين جلوس الإمام على المنبر إلى فراغه من صلاة الجمعة.

التاسع: من العصر إلى غروب الشمس.

العاشر: أنها آخر ساعة من النهار.

الحادي عشر: أنها مخفية من اليوم كليلة القدر.

وقد رجح الإمام النووي الثامن، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الصَّلاَةَ))، فهذا صحيح صريح لا ينبغي العدول عنه[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة والدعاء فيه.

---

(١) المجموع، النووي ٤٦٩/٤، وانظر: في تفصيل الكلام عن هذه الساعة: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤١٦/٢ وما بعدها، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٣٢٣/١ وما بعدها.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٥٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٥٩.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والإشارة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة والدعاء فيه:

إن النبي ﷺ لم يترك خيرًا إلا دلّ أمته عليه، ومن ذلك بيان فضل يوم الجمعة ويتضح هذا من الحديث: (ذكر يوم الجمعة فقال: فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)، وهذا يدل على فضل يوم الجمعة وفضل الدعاء فيه قال ابن القيم: "ومن فضائل يوم الجمعة أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل اللهَ عبدُ مسلمُ فيها شيئًا إلا أعطاه"[1]، هذا وقد جاء في سنن ابن ماجه عن أبي لبابة بن عبدالمنذر، قال: قال النبي ﷺ: ((إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ. فِيهِ خَمْسُ خِلاَلٍ. خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ. وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ. وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيَاحٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ))[2].

قال الطاهر بن عاشور": "جعل الله يوم الجمعة للمسلمين عيد الأسبوع، فشرّع لهم اجتماع أهل البلد في المسجد، وسماع الخطبة ليعلموا ما يهمهم في إقامة شؤون دينهم وإصلاحهم، قال القفال: لما جعل الله الناس أشرف العالم السفلي، لم يخف عظم المنة وجلالة قدر موهبته لهم فأمرهم بالشكر على هذه الكرامة في يوم من الأيام السبعة ليكون في اجتماعهم في ذلك اليوم تنبيه على عظم ما أنعم الله به عليهم، ولكل أهل ملة معروفة يوم من الأسبوع معظّم، فلليهود يوم السبت، وللنصارى الأحد، وللمسلمين يوم الجمعة. ولما جُعل يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم نعمة احتيج فيه إلى الاجتماع الذي تقع به شهرته فجمعت الجماعات لذلك، واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيرًا بالنعمة وحثًا

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٨٧/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٨٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٨٨٨).

على استدامتها ، ولما كان مدار التعظيم إنما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار، ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة إلا في مسجد واحد ليكون أدعى للاجتماع"(١).

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: "إن يوم الجمعة هو اليوم الفاضل الذي فازت به أمة الإسلام وحَرِمَه اليهودُ لعنادهم وحُرِمَه النصارى لجهلهم وضلالهم إذ هو أفضل الأيام، فيه خلق الله آدم، وأدخله الجنة وأخرجه منها ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي ويسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه ، وطلب الله من المؤمنين أن يبادروا بالسعي لأداء صلاة الجمعة ، وهذا السعي والمشي يسبقه أمور منها : الغسل، ولبس الثياب الجديدة أو النظيفة الخاصة بها ، ومنها مس الطيب ومنها السواك، وحضور ذكر الله فيه العون الكبير، والوقاية العظمى من الخيبة والخسران، وفلاح المؤمن لا يقصر على الدنيا بل هو في الدنيا والآخرة، وفلاح الآخرة معناه الفوز بالجنة بعد النجاة من النار"(٢).

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الترغيب والإشارة:

إن الأساليب الدعوية تتنوع تبعًا لاختلاف المدعوين وأحوالهم، والداعية الناجح هو الذي يستخدم من الأساليب ما يتناسب مع حالة المدعوين وفي الحديث الأول جاءت الإشارة إلى أسلوبي الترغيب والإشارة.

١ – الترغيب: حيث جاء في الحديث: (يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تؤثر في المدعوين وتشجعهم على الإقبال على الطاعة ، قال الشيخ علي محفوظ: "ومن الطرق التي ينبغي أن يسلكها الداعي في إرشاد الناس الترغيب وهو يعني حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهو إما ترغيب في جنس الطاعات وإما ترغيب في أنواع الطاعات"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢٢/٢٨/١١.

(٢) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان ص ٢٣١ – ٢٣٣.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ ص ١٩٢.

٢ - **الإشارة**: حيث جاء في الحديث: (وأشار بيده يقللها)، والإشارة من أساليب الدعوة التي تقرب المعنى لدى المدعوين، وتوضح لهم الصورة، ومن ناحية أخرى تلفت انتباه المدعوين إلى ما يقوله الداعية.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث الثاني سؤال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعة الجمعة؟ - جوابه - قال: قلت: نعم)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو وتحقق الارتباط بينهما، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

قال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: "إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فمن طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، وإذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه، ومن عادة السائل أن يكون متلهفًا لمعرفة الحل الأمثل لسؤاله"[(٢)].

ومن هنا وجب على الداعية استخدام هذا الأسلوب مع المدعوين باعتبار أن ذلك أسلوب هام من أساليب الدعوة إلى الله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة:

إن الله عز وجل خص بعض الأوقات بفضائل ليست لغيرها، ورحمته عز وجل واسعة، لكنه سبحانه جعل في بعض الأوقات إجابة الدعاء فيها أرجى، ومن ذلك ساعة الإجابة يوم الجمعة، ومن حكمته سبحانه أن موعدها غير معروف حتى يتحراها المسلم

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٥٨.

في كل وقت، ويشغل وقته كله بالعبادة والطاعة، ومما يدل على ذلك من قوله ﷺ في الحديث الأول عند ذكر يوم الجمعة: "فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي.. إلخ الحديث"، وقوله ﷺ في الحديث الثاني: "هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة"، ولا شك أن من خصائص يوم الجمعة وجود ساعة الإجابة فيه.

قال النووي: "قال القاضي: اختلف السلف في وقت هذه الساعة ومعنى (قائم يصلي)، فقال بعضهم: هي من بعد صلاة العصر إلى الغروب، قالوا: ومعنى يصلي يدعو ومعنى: قائم ملازم ومواظب، وقيل: هي من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة، وقيل: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ والصلاة عندهم على ظاهرها، وقيل: آخر ساعة من يوم الجمعة، قال القاضي: وليس معنى هذه الأقوال أن هذا كله وقت لها، بل معناه أنها تكون في أثناء ذلك الوقت لقوله وأشار بيده يُقَلِّلها"[١].

قال ابن القيم: "واختلف الناس في ساعة الإجابة يوم الجمعة وأرجح هذه الأقوال: قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة. الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنها بعد العصر وهذا أرجح القولين وهو قول أبي هريرة وعبدالله بن سلام والإمام أحمد وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الأحاديث ويليه القول: بأنها ساعة الصلاة وبقية الأقوال لا دليل عليها. وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضًا فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها"[٢].

وقال السيوطي: "وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً، وقد قيل: إنها أخفيت في جميع اليوم كما أخفيت

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٨٨/١ - ٣٩٤، بتصرف.

ليلة القدر في العشر، والحكمة في إخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة"[١].

وقال القرطبي: "وقوله: (إن في الجمعة ساعة)، اختلف في تعيينها: فذهبت طائفة من السلف إلى أنها من بعد العصر إلى الغروب، وقالوا: إن معنى قوله ﷺ: (وهو قائم يصلي) أنه بمعنى ملازم ومواظب على الدعاء. وذهب آخرون إلى أنها فيما بين خروج الإمام إلى أن تقضى الصلاة. وذهب آخرون إلى أنها وقت الصلاة نفسها وقيل: من وقت الزوال إلى نحو الذراع، وقيل: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: هي مخفية في اليوم كله كليلة القدر، قلت: وحديث أبي موسى نص في موضع الخلاف فلا يلتفت إلى غيره وفيه: (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة)، والله أعلم. وقوله: (وهي ساعة خفيفة) أي قصيرة غير طويلة كما قال في الرواية الأخرى: (يُزهِّدها) أي: يقللها وهذا يدل على أنها ليست من بعد العصر إلى غروب الشمس لطول هذا الوقت"[٢].

وقال أبو حامد الغزالي: "واختلف في الساعة الشريفة من يوم الجمعة فقيل: إنها عند طلوع الشمس، وقيل: عند الزوال، وقيل: مع الأذان، وقيل: إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة، وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة، وقيل: آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار، وقيل: قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت، وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس، وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة، وتؤثره عن أبيها ﷺ. وقال بعض العلماء: هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها، وقيل: إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه، فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضًا لها، بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع إلى وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات. وكان كعب الأحبار مائلاً إلى

---

(١) نور اللمعة في خصائص الجمعة، الإمام السيوطي، ط/١ دار ابن القيم، الدمام: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٧٨ -٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٩٣ - ٤٩٤.

أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم، وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة فهذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما"[1].

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/١٤٣ - ١٤٤.

الحديث رقم (١١٥٩)

١١٥٩ - وعن أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله ﷺ، في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمَامُ إِلَى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقرر ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ويزيد عن سابقه أنه يتضمن تحديدا لهذه الساعة من بين ساعات اليوم، وقد جاء المعنى في أسلوب الحوار بين أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، وبين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إثر سؤال عبد الله رضي الله عنه لأبي بردة (أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله ﷺ، في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟) وهو استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت، على اعتبار أنه سمع، ولم يتأكد فأراد أن يستوثق منه، وقد يكون على حقيقته أي أنه لا يعلم أي ساعة هي، ولم يسمعه من أبي موسى فأجابه ابنه بالإثبات نقلا عن رسول الله ﷺ بالسماع المؤكد لصدق الخبر (هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمَامُ إِلَى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ) أي في فترة الخطبة، والصلاة طالت، أو قصرت؛ لأنه ربطها بجلوس الإمام، وحدد بدايتها به، وحدد نهايتها بالفراغ من الصلاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٨٥٣/١٦). وأخرجه أبو داود (١٠٤٩) وقال: يعني: على المنبر. قال المنذري في ترغيبه (٥٥٤/١): وإلى هذا القول ذهب طوائفٌ من أهل العلم. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٣٧).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٦٠)

١١٦٠ - وعن أوس بن أوسٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ؛ فَإنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أَوْس بن أَوْس الثقفي: له صُحبة برسول الله ﷺ، نزل الشام وسكن دمشق، ومات بها، وداره ومسجده بها في درب القِلي.

وقد روى عن النبي ﷺ في فضلِ يوم الجمعة والاغتسال فيه.

وقيل إن أَوْس بن أَوْس الثقفي وأَوْس بن أبي أَوْس واحد. والصواب كما ذكر صاحب الإصابة أنهما اثنان، فأوس بن أبي أوس هو والد حذيفة[2].

غريب الألفاظ:

صلاتكم: الصلاة على النبي قول: اللهم صلِّ على محمد[3].

الشرح الأدبي

من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ "أَفْعَلُ" تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن أيام المؤمنين كلها فاضلة لأنها أيام عامرة بطاعة

---

(١) برقم (١٥٣١). وصحّحه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (الإحسان ٩١٠). وقال الحاكم (٢٧٨/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٣٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٠٩).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣١٢/١-٣١٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٩٧/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٩٣/١).

(٣) معجم لغة الفقهاء ٢٤٦.

الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية يوم الجمعة على هذه الأيام، وقد رتب الرسول ﷺ على هذه الأفضلية الأمر بالإكثار من الصلاة عليه لما هو معلوم من فضل الصلاة على رسول الله ﷺ فالعمل الفاضل في اليوم الفاضل نوع من تقدير الزمان بقدره ثم علل لهذا الأمر، ورغب فيه بقوله (فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيّ) أي على جهة القبول، والجناس بين (الصلاة)، وبين (صلاتكم) يقرر المعنى المراد من العبد، والذي يحقق له تضاعف الأجر، والتعبير بالاسم (معروضة) دون الفعل (تعرض) الدال على التجدد للإشارة إلى الدوام، والثبات المفهوم من الاسمية أي: أنها دائمة العرض عليه، وتختص في الجمعة بمزيد القبول، وصلاة المؤمن على الرسول ﷺ تتضمن ذكر الله، وذكر رسوله ﷺ، والعرفان بفضل الله بالإنعام عليهم بالنبي ﷺ، وعرفان بفضل هذا الرسول ﷺ، وكثرة الصلاة عليه تعود على المؤمن مع أجر الآخرة العظيم بذكر الله للعبد، وصلاته عليه مع ذكره عند الرسول ﷺ بعرض صلاته عليه، ثم إنها للعبد معافاة في بدنه، وسمعه، وبصره، وبصيرته، وذهاب لهمه، وغمه، وحزنه، وسعة في رزقه فعلى كل مؤمن أن يحرص على أن يكون له ورد من الصلاة عليه كل يوم يكون وسيلة تعارف بينه، وبين الرسول ﷺ.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ في يومها وليلتها، ودليل ذلك ظاهر لوهو حديث الباب وقد ساقه أبو إسحاق الشيرازي في المهذب))[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأكيد على فضل يوم الجمعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) المجموع شرح المهذب ٤/٢٩٤-٢٩٥ .

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

جاء في الحديث: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)، حيث أكد على فضل يوم الجمعة، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تساعد على إقناع المدعو من خلال التوكيد على ما يقوله الداعية وهذا يدل أيضًا من جانب آخر على مدى تمكن وثقة الداعية فيما يقوله ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[٣].

قال د. فاضل صالح السامرائي: "من المعلوم أنه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام، وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة. إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قَرُب أو بَعُد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له"[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التأكيد على فضل يوم الجمعة:

يتضح هذا من الحديث: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)، وهذا مزيد بيان

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٧.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٤) التعبير القرآني ص ١٢٥.

للتأكيد على فضل يوم الجمعة فهو من أفضل الأيام، هذا وقد دلت الأحاديث الكثيرة على فضل هذا اليوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَكَتَبُوا مَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَتِ الْمَلَائِكَةُ الصُّحُفَ))(١).

وفي فضل الخُطَا إلى صلاة الجمعة جاء في الحديث عن أوس بن أوس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَّلَ وَغَدَا وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَأَنْصَتَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ صيامها وقيامها))(٢).

ويكفي في فضل يوم الجمعة أن الله عز وجل هدى الأمة الإسلامية إليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا. وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ. ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا. هَدَانَا اللهُ لَهُ. فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ. الْيَهُودُ غَدًا. وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ))(٣).

قال القاضي عياض: "وقوله: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة) قيل: الآخرون في الزمن السابقون بالفضل، وأول من يقضى بينهم يوم القيامة، ويدخل الجنة قبل سائر الأمم فمفهوم الحديث أنه أخبر عن تأخرهم في الزمان والوجود وإعطاء الكتاب، وسبقهم بيوم الجمعة على الأيام بعدها التي هي تبع له، وفضلنا بها لقبول أمره وطاعته.

والظاهر أنه فرض عليهم يوم الجمعة يعظمونه بغير تعيين ووكل إلى اختيارهم تعينه ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلف اجتهادهم ولم يهدهم الله ليوم الجمعة، وذكره لهذه الأمة وبينه لهم ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته"(٤).

وجاء في فتح الملهم: "وقوله: (فهدانا الله له) أي لهذا اليوم بقبوله والقيام بحقوقه، وفيه إشارة إلى سبقنا المعنوي كما أن في قوله: (بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا)

---

(١) أخرجه النسائي ١٣٨٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١٢).

(٢) أخرجه النسائي ١٣٨١، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١١).

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٨، ومسلم ٨٥٥.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٩/٣ - ٢٥٠.

إشعارًا إلى سبقهم الحسي وإيماء إلى قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾[1]، وهذا كله ببركة وجوده ﷺ، وقال الشيخ ولي الله الدهلوي: والحاصل أن أحق الأوقات بأداء الطاعات هو الوقت الذي يتقرب فيه الله إلى عباده، ويستجاب فيه أدعيتهم، لأنه أدنى أن تقبل طاعتهم، وتؤثر في صميم النفس وتنفع نفع عدد كثير من الطاعات، وإن لله وقتًا دائرًا بدوران الأسبوع يتقرب فيه إلى عباده، وهو الذي يتجلى فيه لعباده في جنة الكثيب، وإن قرب مظنة لهذا الوقت هي يوم الجمعة، فإنه وقع فيه أمور عظام، وقد حدث النبي ﷺ بهذه النعمة كما أمره ربه. وبالجملة فتلك فضيلة خصّ الله بها هذه الأمة"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة:

حيث جاء في الحديث: (فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ)، ولا ريب أن الصلاة على النبي ﷺ مطلوبة في كل وقت، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3].

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه عقيب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه، والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسول الله ﷺ فصلوا أنتم - أيضًا - عليه، فأنتم أحق أن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته من خير الدنيا والآخرة، فالصلاة المأمور بها فيها: هي الطلب من الله تعالى ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته وهي ثناء عليه وإظهار لفضله، وشرفه، وإرادة تكريمه، وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب، وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه، لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلى عليه الإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، الشيخ: شبير أحمد العثماني ٣٠٣/٥ - ٣٠٤.

(٣) الأحزاب، الآية: ٥٦.

لذلك من الله تعالى فقد تضمنت الخبر والطلب.

الوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة، لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه، وإرادته لرفع ذكره وتقريبه وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به"[1].

وقال القاسمي: "تدل الآية على وجوب الصلاة على النبي ﷺ مطلقًا لأن الأصل في الأمر للوجوب فذهب قوم إلى وجوبها في المجلس مرة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس، وآخرون إلى وجوبها في العمر مرة واحدة، ثم هي مستحبة في كل حال، وآخرون إلى وجوبها كلما ذكر، وبعضهم إلى أن محل الآية على الندب وعلى كل فتستحب الصلاة على النبي ﷺ ومن آكد ذلك دعاء القنوت ومنه يوم الجمعة وليلتها فيستحب الإكثار منها فيهما، ومنه في خطبة يوم الجمعة يجب على الخطيب في الخطبتين الإتيان بها، وهو مذهب الشافعي وأحمد. ومنه عند زيارة قبره ﷺ. وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتُب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه"[2].

وتتأكد الصلاة عليه يوم الجمعة لمزيد فضل هذا اليوم، قال العظيم آبادي: "والصلاة على النبي ﷺ من أفضل العبادات وهي فيها أفضل من غيرها لاختصاصها بتضاعف الحسنات إلى سبعين على سائر الأوقات، ولكون إشغال الوقت الأفضل بالعمل الأفضل هو الأكمل والأجمل ولكونه سيد الأيام فيصرف في خدمة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام،وقوله: (فإن صلاتكم معروضة عليّ)، يعني على وجه القبول فيه وإلا فهي دائمًا تعرض عليه بواسطة الملائكة إلا عند روضته فيسمعها بحضرته، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة يوم الجمعة وليلتها وفضيلة الإكثار منها على سيد الأبرار ﷺ"[3].

وقال ابن القيم: "ورسول الله ﷺ سيد الأنام، يوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل ١٣/٣٠١ - ٣٠٣.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٠٠.

عليه ﷺ في هذا اليوم مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم، فإنما تحصل يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ أن تكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (فإن صلاتكم معروضة عليّ)، وهذا ترغيب للمسلمين في الإكثار من الصلاة عليه ﷺ، فكل مسلم يرغب في عرض صلاته على النبي ﷺ، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع بالمدعو إلى فعل الخير وترك الشر أملاً في ثواب الله ووعده، وطمعًا في جنة الله ورحمته، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة وحثهم على قبول الحق فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، وذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٦/١.

(٢) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٣.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اغتنام الأوقات الفاضلة:

إن التربية على اغتنام الأوقات الفاضلة من أهم ما يُعنى به القائمون على أمور التربية، لأن هذه التربية تولد في النفوس الحرص على تحصيل الأجر العظيم المترتب على حسن الإفادة من تلك الأوقات العظيمة وهذا ما يجعل المسلم في حالة يقظة واستمرار على طاعة الله، فما أكثر هذه الأوقات على مستوى الليالي والأيام والشهور مما يُعد من أبرز الدوافع لنيل رضوان الله تعالى، وهذا ما يستنبط من عدد من أحاديث باب فضل يوم الجمعة ومما يبين هذا الفضل ما يلي:

أ- وصف يوم الجمعة بأنه خير يوم طلعت عليه الشمس: "خير يوم طلعت عليه الشمس...".

ب- الإخبار عن صلاة الجمعة بأنها من مكفرات الذنوب: "... والجمعة إلى الجمعة.. مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

ج- ذكر الثواب على التبكير إلى صلاة الجمعة، وأنه كلما كان أسبق كان الثواب أعظم: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة...".

د- ذكر أن فيها ساعة يستجيب الله فيها لمن سأله سبحانه: "فيها ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه".

كما أن النبي ﷺ حضّ على أفعال تفعل في هذا اليوم الفاضل منها:

أ- الغسل أو على الأقل الوضوء: "من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل".

ب- الادهان ووضع الطيب: "ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته".

ج- عدم التفرقة بين اثنين من المصلين: "ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين".

د- الإنصات والاستماع للخطبة: "ثم ينصت إذا تكلم الإمام".

هذا فيما يتعلق بصلاة الجمعة، أما فيما يفعل في يوم الجمعة في أي وقت فيه فهو:

هـ- الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ: "فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه".

نخلص من ذلك كله إلى أن هذه الأحاديث فيها حضّ وحث على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة.

وإذا كان هذا يصدق على هذه الأوقات فإنه يصدق على غيرها من الأوقات الفاضلة، فينبغي أن يربي الناشئة وغيرهم على اغتنامها وشغلها بالعمل الصالح المفيد النافع الجالب للخير في الدنيا والآخرة، وذلك لأن الوقت هو عمر الإنسان وهو حياته، فالمرء أيام، كلما مضى يوم مضى بعضه، كما قال الحسن البصري، والمسلمون اليوم يعانون من إهمال الوقت وتضييعه ويديرون أوقاتهم بطريقة سيئة، وللصالحين وطلبة العلم نصيب من ذلك.

إننا قد لا نبالغ إذا قلنا: إن الرجل الجاد في تعامله مع وقته ينتج أضعاف ما ينتج أقرانه، ومن ثمّ فالتربية التي تعنى بغرس احترام الوقت وحسن اغتنامه ستخرج جيلاً يؤدي أضعاف ما يؤديه غيره، ومما يعين على ذلك:

أ - معرفة أحوال السلف في حرصهم على أوقاتهم واغتنامهم لها، ففيها عبر عظيمة، فهي تعلي الهمة وتزيد العزيمة، وتجعل المرء يحتقر نفسه وجهده.

ب - الاستفادة من الأساليب الحديثة في إدارة الوقت والتعامل معه.

ج - التعويد على استغلال أوقات الانتظار، وعدم بقائه في المنزل ينتظر صاحبه وهو فارغ غير مستفيد من وقته.

د - التعويد على القراءة، لتصبح سجية وطبيعة له، فمن لا يقرأ يصعب عليه أن يستفيد من وقته.

هـ - الانضباط قدر الإمكان في المواعيد والأوقات وتعويد الشباب على احترام أوقات غيره.

و - ترك أوقات فراغ للشاب، وعدم إشغاله طيلة الوقت، وتوجيهه إلى أنشطة يمكن أن يستثمر فيها وقته، فمن لم يكن لديه وقت فراغ يتعامل فيه بمفرده فلن يعتد على اغتنام وقته"[1].

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، ص ١٦٤-١٦٥.

ثانيًا- التربية الجمالية:

هذا مستمد من مجموعة من أحاديث الباب التي تحضّ على الاغتسال يوم الجمعة، وإلا فالوضوء، والادهان والتطيب، ولاشك أن ذلك يضفي جمالاً على صاحبه، فبالاغتسال يزول ما به من رائحة كريهة، وبالتطيب يشم منه رائحة طيبة ترتاح لها الأنفس، وهذا وإن كان جمالاً حسيًا، فإنه يجمع إليه جمالاً معنويًا، بأنه لا يفرق بين اثنين، حتى تظلّ نفوس المصلين ناحيته طيبة لا تحمل إلا شعورًا جميلاً له. إذًا يمكن الاستئناس بهذه الأحاديث على التربية الجمالية، التي هي نوع من أنواع التربية، "والتربية الإسلامية تولي عنايتها بتربية الجانب الجمالي من شخصية المسلم، مهتمة في ذلك بحثه على النظافة واحترام النظام والعمل به، وبتوجيهه للإحساس بالجمال وبالنظام الكوني والتمتع به، ويمكن تلخيص هذه العناية في النقاط التالية:

أ - الاهتمام بالنظافة، فيهتم ديننا الحنيف بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة.

وديننا الإسلامي حريص على صحة وسلامة المسلم فلا يقصر النظافة على نظافة البدن فحسب، بل يتعدى ذلك أيضًا إلى نظافة كل ما من شأنه أن يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا، تمشيًا مع القاعدة العامة: لا ضرر ولا ضرار، فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن. ونظافة المكان والبيئة والمجتمع ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كَبُر أو صَغُر. كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه، لما لذلك من انعكاسات إيجابية، صحية وجمالية، على المستوى الفردي والجماعي والإنساني.

ب- احترام النظام والعمل به:

فالإسلام يخدم النظام ويأمر باتباعه، كما يأبى الفوضى ويعاقب عليها، فالصلاة تتم وفق نظام معين، والصلوات الجماعية منها تقوم على انتظام الجماعة في صفوف وانضباطهم خلف الإمام، وللزكاة نظامها وحساباتها الدقيقة وللصيام نظامه وضابطه في الإمساك والإفطار، وكذلك للحج نظامه وقواعده، كل ذلك وغيره

ليربي المسلم على النظام والانضباط، والبعد عن الفوضى والعشوائية... وهكذا فالمسلم مأمور بأن يحترم النظام ويعمل به، في منزله ومع أسرته، وفي عمله ومع زملائه وفي بيئته ومجتمعه، وفي المجتمع الإنساني بأكمله.

ج - توجيه المسلم للإحساس بالجمال وبالنظام الكوني للتبصير والتمتع بهما، فالجمال سمة بارزة من سمات هذا الكون، فالخالق سبحانه وتعالى صنع الكون وأحسن صنعه، وأمرنا سبحانه أن ننظر ونتبصر ونتدبر خلقه، في السموات والأرض وفي عالم البحار وعالم النبات وعالم الحيوان وفي عالم الطيور وعالم الحشرات، وذلك لإدخال السرور والبهجة إلى النفس بجانب تقوية العقيدة في قدرة الخالق المبدع، وليعتبر الإنسان ويتعود النظام والإتقان في العمل والدقة في الصنعة، كما أن المسلم مأمور بأن يكون مهندمًا وجميلاً في مظهره وملبسه بعيدًا عن التبرج والكبر والخيلاء"[1].

ثالثًا- من وسائل التربية: الخطب والمواعظ:

هذا مستمد من بعض أحاديث الباب: "فاستمع وأنصت" "ثم ينصت إذا تكلم الإمام" "أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره" "فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكر".

فهذه الأحاديث نص في الاستماع والإنصات إلى الخطبة التي يلقيها الخطيب والإمام، وما ذلك إلا لأن الخطبة مقصودة من الشرع، لأن فيها تذكيرًا بالله والحض على تقواه والأمر بالمأمورات والنهي عن المنهيات، فكان في الخطبة -بالإضافة إلى الزاد الدعوي التي تحمله- زاد تربوي مهم جدًا، يحسن الاستفادة منه قدر الاستطاعة والجهد، والخطبة من أنواع الوعظ، بل أهم أنواعه[2]، وذلك لأن (الوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل)[3] وللوعظ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٥٤-٥٦ بتصرف.

(٢) قال ابن حجر: والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٤/١ .

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ص ٤٠٣، ط١، ١٣٤٦هـ، نقلاً عن أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٢٦.

نتائج تربوية مهمة، إذ أنه يعتمد على أمور أهمها:

أ- إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك كعاطفة الخضوع لله والخوف من عذابه أو الرغبة في جنته. وكذلك يربي الوعظ هذه العواطف وينميها وقد ينشئها من جديد.

ب- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي الموعوظ قد ربي عليه وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ونعم الله وأنه خلق الكون والموت والحياة.

ج- الاعتماد على الجماعة المؤمنة فالمجتمع الصالح يوجد جوًّا يكون فيه الوعظ أشد تأثيرًا وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1] وكالحديث: ((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَوْعِظَةً ، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا...))[2].

د- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء فلا يبقى أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله، بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3][4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٢، ٤٣ من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٢٩.

رابعًا- من أساليب التربية: التشبيه:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ..."، قال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد الحضّ على الاغتسال يوم الجمعة وفضله وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعهما ... وأن التقرب بالإبل أفضل من التقرب بالبقر وهو بالاتفاق في الهدي)[1].

أي أن الحديث النبوي الشريف قائم على استخدام أسلوب التشبيه، ليبين فضل التبكير إلى الجمعة، والملاحظ على هذا التشبيه ما يلي:

أ - أنه منتزع من بيئة المخاطبين، فكلُّهم يعرفه حق المعرفة، وكلهم يفهم المراد منه لذا كان المعنى واضحًا جدًا غاية في الوضوح.

ب - التشبيه فيه ملمح لطيف فهو قائم على البذل والإعطاء وهذا شيء محبب إلى نفس المخاطبين، فكل واحد منهم يحب أن يكون من الباذلين الفضل المعطين له، وهذا ما يوضحه حديث سمرة بن جندب ﵁ أن رسول الله ﷺ ضرب مثل الجمعة ثم التبكير كناحرِ البدنة كناحرِ البقرة كناحرِ الشاة حتى ذكر الدجاجة[2].

ج- التشبيه قائم على الترتيب من الأعلى إلى الأدنى، وذلك للطيفة وهي الحض والترغيب على فعل الأعلى والأفضل، فالنفس تحبّ أن تنال النصيب الأوفى.

والخلاصة أن الحديث قائم على التشبيه، والتشبيه - كما يذكر علماء التربية - يؤثر تأثيرًا عميقًا في العواطف ويلعب دورًا في سلوك الإنسان في الحياة اليومية فيما لو استعمل بحكمة وفي الظروف المناسبة[3].



---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٤/١ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٣.

(٣) انظر: فلسفة التربية في الحديث الشريف، ص ٣٤٤.

٢١١- باب استحباب سجود الشكر عِنْدَ حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

الحديث رقم (١١٦١)

١١٦١ - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا - فَعَلَهُ ثَلاثًا - وقال: ((إنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا[١]، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي)) رواه أَبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

عَزْوَرَاء: الطريق من المدينة إلى مكة[٣].

شفعت: من الشفاعة وهي السؤال عن التجاوز عن الذنوب والجرائم[٤].

خَرَرْتُ: سقطتُ وهَويتُ[٥]، وذلك تصوير لشدة خضوعه ﷺ لله عز وجل.

الشرح الأدبي

قوله: (نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً، فَمَكَثَ طَويلاً، ثُمَّ قَامَ

---

(١) عند أبي داود: (شكرًا لربي).

(٢) برقم (٢٧٧٥). فيه يحيى بن الحسن بن عثمان، مجهول الحال. وشيخه أشعث بن إسحاق: مقبول.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ز و ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٨٤.

(٤) المرجع السابق في (ش ف ع).

(٥) الوسيط في (خ ر ر).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً - فَعَلَهُ ثَلاثاً) حال الرسول ﷺ في النزول ثم التهيؤ للدعاء برفع اليدين مع طول الزمن المذكور ثم التعبير بالخرور الذي يشير إلى سرعة في قوة في النزول أمر ملفت للنظر محير للعقل الذي يرغب في معرفة سر الدعاء، وسر هذه الحالة في هذا الموقف، وقوله (فعله ثلاثا) يصعِّد الشعور بالرهبة حال رؤية الرسول ﷺ على هذه الحالة، وقول الرسول ﷺ (إنّي سَأَلتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي) وعبارة الرسول ﷺ مؤكدة بعدة مؤكدات لتعظيم الخبر، وإضافة الرب لياء المتكلم تشريف، وتقريب للرسول ﷺ، وإضافة الأمة لضمير الرسول ﷺ تشريف للأمة، والتعبير بالشفاعة يوحي بالخلاص من مكروه، والتعبير بالعطية يوحي بخير ينتظر، وذكر الثلث تأكيد للعطية، وقوله (فَخَرَرْتُ سَاجِداً لِرَبِّي شُكْراً) يدل على فرط التهالك في الشكر كما دلت العبارة سابقا على فرط التهالك في الدعاء ليس لنفسه، بل لأمته ﷺ وقوله (ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي) كناية عن الاستعداد للدعاء إذ السماء قبلة الدعاء ثم كرر ما فعل ﷺ حتى أعطاه الثلث الثاني، والثالث، وهو ما يدل على عظيم فضل الله تعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى يدل على شدة محبة الرسول ﷺ لأمته، وتهالكه على ما يحقق الرحمة، والفلاح له، وتكرار الدعاء، والإلحاح في استغراق الأمة بالمغفرة، والرحمة دليل بيِّن على ذلك.

فقه الحديث

١ - رفع اليدين في الدعاء خارج الصلاة:

يرى الحنفية والمالكية في قول، والشافعية والحنابلة أن من آداب الدعاء خارج الصلاة رفع اليدين بحذا صدره... ويرى المالكية في قول أن الداعي لا يرفع يديه عند الدعاء خارج الصلاة[1].

---

(١) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣١٨/٥، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، والمنتقى ٢٨٩/١، والمدونة ٦٨/١ (عن الموسوعة الفقهية ٤٥/٢٦٦-٢٦٧).

٢ - سجود الشكر:

قال النووي: (في مذاهب العلماء في سجود الشكر: مذهبنا أنه سنة عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة. وبه قال أكثر العلماء وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصديق وعلي وكعب بن مالك رضي الله عنهم وعن إسحاق وأبي ثور، وهو مذهب الليث وأحمد وداود. قال ابن المنذر: وبه أقول. قال أبو حنيفة: يكره وحكاه ابن المنذر عن النخعي وعن مالك روايتان أشهرها: الكراهة ولم يذكر ابن المنذر غيرها. والثانية أنه ليس سنة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخروج مع النبي ﷺ ومرافقته.

ثانيًا: من صفات الداعية: محبة المدعوين والشفقة عليهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته وسؤاله المتكرر لربه سبحانه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: سجود الشكر لله على نعمه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخروج مع النبي ﷺ ومرافقته:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على مجالسة النبي ﷺ ومرافقته وملازمته ليتعلموا منه، ويهتدوا بهديه، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة)، ولا شك أن هذا يدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ والخروج معه ذلك لأنهم يعلمون أنه القدوة والأسوة في كل شيء، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) المجموع ٣/٣٩٠، وانظر: المغني ٢/٣٧١-٣٧٢، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٤٦-٢٤٨ ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل - صلوات الله وسلامه عليه - إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله"[1].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرِ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ((أَبُو هُرَيْرَةَ؟)) فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هَذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» (وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)) فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لاِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟)) قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ. فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لاِسْتِي. قَالَ:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٩١.

ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا عُمَرُ! مَا حَمَلك على ما فَعَلْتَ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَخَلِّهِمْ))[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ، عِشَاءً. وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أُحُدٍ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ. أَمْسَى ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ. إِلاَّ دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ. إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ. هكَذَا حَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَهكَذَا عَنْ شِمَالِهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِلاَّ مَنْ قَالَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا)) مِثْلَ مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى. قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا. قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ كَمَا أَنْتَ حَتَّى آتِيَكَ)) قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي. قَالَ: سَمِعْتُ لَغَطًا وَسَمِعْتُ صَوْتًا. قَالَ فَقُلْتُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عُرِضَ لَهُ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَّبِعَهُ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: «لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ. فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي سَمِعْتُ. قَالَ فَقَالَ: ((ذَاكَ جِبْرِيلُ. أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). قَالَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: ((وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ))[2].

ثانيًا – من صفات الداعية: محبة المدعوين والشفقة عليهم:

إن الداعي لا بدّ أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير والنصح لهم، ومن محبته لهم وشفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى والنجاة من النار، إن الوالد من شفقته على أولاده يحرص

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٨، ومسلم ٩٤.

على إبعادهم عن الهلكة ويتعب نفسه في سبيل ذلك[١]، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعي إلى الله، وله في ذلك الأسوة والقدوة في إمام الدعاة محمد ﷺ الأنموذج المضيء، والقدوة المثلى في محبته لأمته وشفقته عليهم.

وتتجلى هذه المحبة والشفقة في هذا الحديث في دعائه، ﷺ وسجوده، وطلبه الشفاعة لأمته وتكرار الطلب من الله ثلاثًا، حتى أعطاه الشفاعة بجميع أمته، وهذا ما ذكره راوي الحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبًا من عَزْوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة، ثم خرّ ساجدًا، فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة، ثم خرّ ساجدًا - فعله ثلاثًا - وقال: إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثُلُث أمتي.. إلخ الحديث" ويتراءى لنا في هذا الحديث: حب النبي ﷺ لأمته ورفقه بهم وحرصه عليهم[٢]، وقد قال الله فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

قال السعدي: (يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم "عزيز عليه ما عنتم" أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

"حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه "بالمؤمنين رؤوف رحيم" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم من والديهم)[٤].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

ومن محبته وشفقته لأمته ﷺ دلالته لأمته على ما يبعدهم عن النار، وقد مُثل ذلك بمثل بليغ، قال ﷺ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[1].

وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام رحماءَ بمن أرسلوا إليهم، مشفقين عليهم من العذاب، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2].

فقوله عليه السلام: "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" لا يصدر إلا عن قلب رحيم وشفقة ظاهرة عليهم، وكذلك قوله عليه السلام وقد رموه بالضلالة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

فجواب نوح عليه السلام مشحون بالرحمة والشفقة عليهم واللطف في مخاطبتهم، ولم يغضبه كلامهم لأنهم قوم يجهلون، ولأن الداعي لا يغضب لنفسه قط، وهكذا كان خلق رسولنا محمد ﷺ، فما كان يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ثم في جواب نوح عليه السلام أنه ينصح لهم، أي: يخلص في القول النافع المفيد لهم، وبالرغم من قولهم الباطل فيه ويبين لهم أنه رسول من رب العالمين ليعلموا أن ما يخبرهم به هو الحق الصريح الواجب قبوله، وفي قبوله رحمة بهم ودليل على ما كان في قلبه من عظيم الرحمة بقومه[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٦، ومسلم ٢٢٨٤ واللفظ له.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٦١ - ٦٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٧.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته وسؤاله المتكرر لربه سبحانه:

حيث تكرر في الحديث ثلاثًا (ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدًا فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجدًا فعله ثلاثا ، وقال: (إني سألت ربي وشفعت لأمتي) وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته.

قال شرف الحق العظيم آبادي: "وقوله: فأعطاني الثلث الآخر، قال التوربشتي: أي فأعطانيهم فلا يجب عليهم الخلود وتنالهم شفاعتي فلا يكونون كالأمم السالفة فإن من عذب منهم وجب عليهم الخلود ، وكثير منهم لعنوا لعصيانهم أنبيائهم فلم تنلهم الشفاعة والعصاة من هذه الأمة من عوقب منهم نقي وهذب ، ومن مات منهم على الشهادتين يخرج من النار وإن عذب بها وتناله الشفاعة وإن اجترح الكبائر ويتجاوز عنهم ما وسوست به صدورهم ما لم يعملوا أو يتكلموا إلى غير ذلك من الخصائص التي خصّ الله تعالى بها هذه الأمة كرامة لنبيه ﷺ"[1].

قال الإمام السفاريني: "والشفاعات المختصة به ﷺ عِدّة أولها: وهي أعظمها وأعمها شفاعته ﷺ لفصل القضاء بين الورى بعد التردد إلى الأنبياء عليهم السلام وتدافعها بين أخيار الملأ إلى أن تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود ، وقد عمّ العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد ، وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد. ثانيها: يشفع عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فإن هذه خاصة به ﷺ كما قال القاضي عياض والإمام النووي. ثالثها: شفاعته ﷺ في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها. ورابعها: في رفع درجات أناس في الجنة. خامسها: الشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد. ذكره السبكي. وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات"[2].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٨٤.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/٢١١ - ٢١٢.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: سجود الشكر لله على نعمه:

إن نعم الله لا تعد ولا تحصى، ولذا كان من واجب المسلم أن يقابل النعمة بالشكر، ومن صور التعبير عن شكر الله السجود له سبحانه، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (فخررت ساجدًا لربي شكرًا)، وهذا يدل على سجود الشكر عند حدوث النعمة، قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر، أو اندفاع نقمة، وقد سجد ﷺ عندما كتب إليه علي بن أبي طالب بإسلام همدان، وسجد كعب بن مالك لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه، وسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وجد ذا الثُّدَيَّة في قتلى الخوارج وسجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جاءه قتل مسيلمة الكذاب"[١].

قال الشوكاني بعد أن سرد جملة أحاديث في سجود الشكر: "وهذه الأحاديث تدل على مشروعية سجود الشكر وإلى ذلك ذهبت العترة وأحمد والشافعي، ومما يؤيد ثبوت سجدة الشكر قوله ﷺ في حديث سجدة سورة "ص" (هي لنا شكر ولداود توبة) [٢]، وليس في أحاديث الباب ما يدل على اشتراط الوضوء والطهارة للثياب والمكان وليس في أحاديث الباب أيضًا ما يدل على التكبير في سجود الشكر"[٣].

والمسلم مطالب بشكر الله عز وجل على نعمه وآلائه، وأفضاله وخيراته، قال الفيروزآبادي: "الشكر أعلى منازل السائرين، وفوق منزلة الرضا فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره. فمتى فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر"[٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) أخرجه النسائي ٩٥٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ سجد في "ص" وقال: ((سجدها داود توبة، ونسجدها شكرًا))، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٩٧١).

(٣) نيل الأوطار ٢/٣/١٢٩.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/٣٣٤.

وقال الراغب الأصفهاني: "والشكر على ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[1]، معناه: اعملوا ما تعملونه شكرًا لله وقيل: شكرًا مفعول لقوله (اعملوا) وذكر اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقوله سبحانه: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2]، ففيه تنبيه: أن تَوْفِية شكر الله صعب ولذلك لم يُثْن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين قال في إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِ﴾[3]، وقال في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[4]، وإذا وصف الله بالشكر في نحو قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[5]، إنما يعنى به إنعامه على عباده"[6].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣.

(٥) سورة التغابن، الآية: ١٧.

(٦) المفردات ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالدعاء:

وهذا واضح من الحديث: "نزل ثم رفع يديه، فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدًا فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجدًا، فعله ثلاثًا" إن النبي ﷺ فعل أمام أصحابه رضي الله عنهم ما فعل من الدعاء ثم النزول ساجدًا وذلك ثلاث مرات، كل ذلك أمام أصحابه رضي الله عنهم وهم يشاهدونه بقلوب ملأها روعة هذا الموقف وهذا المشهد الجليل: رسول الله يدعو ثم يسجد، ثم يدعو ثم يسجد، ثم يدعو ثم يسجد، لذا فإنهم رضوان الله عليهم ملأهم السكينة والخضوع والتذلل، وانتقل إليهم ما كان عليه النبي ﷺ من الإقبال على رب العالمين، وإظهار العبودية له سبحانه والافتقار إليه، لذا لم يسألوه عما فعل مع أن الموقف كان يستدعي أن يسألوه عن ذلك، لأن جلال الموقف أخذهم وشغلهم وجعلهم يتقلبون في رحاب التوجه إلى الله والخضوع له، فكانت التربية فيه واضحة جدًا، إن النبي ﷺ بفعله هذا ربّى أصحابه رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين على أن يتوجهوا بالدعاء إلى رب العالمين ويطلبوا منه العون والمدد ويظهروا افتقارهم وذلهم بين يديه عز وجل، وفي ذلك تمام الغنى والعز لهم، لأنه سبحانه العزيز فأولياؤه أعزاء، وهو الغني فأحباؤه أغنياء وهو القوي فأحباؤه أقوياء[1].

وكثيرة هي المواقف التربوية التي كانت تقوم على الدعاء، ولكن نكتفي بذكر واحد منها حتى نعطي فكرة بسيطة عن الدعاء وأثره التربوي المهم، فهذا النبي ﷺ في يوم بدر، يوم الفرقان، والمشركون ثلاثة أمثال المسلمين مع كثرة عتادهم وقلة عتاد المسلمين إن لم يكن عدمه، فيلجأ النبي ﷺ إلى الدعاء ويناشد ربه النصر، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا

---

(١) وانظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ٢٢٥.

وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إنْ تَهْلِكْ هَـٰذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[2].

قال النووي: (قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين)[3].

نخلص من هذا كلّه، إلى أن الدعاء وسيلة تربوية ذات فائدة عالية في التأثير على النفوس، لذا يجدر استخدامها من قبل المربين وخاصة أن هناك مواقف كثيرة جدًا تقتضي الدعاء، مع ملاحظة أن ذلك يكون وفق ضوابط الشرع وأسسه.

ثانيًا - التربية على الشكر:

لقد استجاب الله لرسوله ﷺ فسجد ﷺ شكرًا له سبحانه، لأنه سبحانه أنعم عليه بأن قبل دعاءه ورجاءه، وكلما استجاب له سجد، حتى وقع ذلك ثلاث مرات، وقد رأى منه ذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم، الذين نقلوه بدورهم لمن جاء بعدهم، فكان هذا فيه تربية على القيام بواجب الشكر، والملاحظ أن النبي ﷺ عبّر عن شكره لله تعالى بالسجود، وهذا منتهى القيام بالشكر، لأن الإنسان أكرم ما فيه وجهه، فإذا سجد على الأرض أعلن خضوعه وتذلله لله رب العالمين بالإضافة

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١١٣٤ .

إلى شكره سبحانه وتعالى عما أفضل من النعم - ونعمه كثيرة لا تحصى - وما أعطى من المنن، وما منع من البلايا والمصائب والنقم، قال البغوي: (سجود الشكر سنة عند حدوث نعمة طالما كان ينتظرها أو اندفاع بلية ينتظر انكشافها، أو رؤية مبتلىً بعلة أو معصية، ويخفى سجوده عن المعلول حتى لا يحمله ذلك على الكفران، ويظهر للعاصي لعله يتوب)[1].

إذن سجود الشكر لا يقتصر على حصول النعم فقط، بل يكون أيضًا عند اندفاع النقم، وفي فعل سجود الشكر عدة فوائد تربوية منها:

أ - تعويد الناشئة دائمًا ودومًا على شكر المنعم سبحانه الذي أنعم بالنعم وتفضل بها، من غير حول منّا ولا قوّة، وفي ذلك إقرار واعتراف بأنه صاحب المنة والفضل بذلك، إن شاء أعطى وإن شاء منع، وهذا يخرج من الناشئة وغيرهم الكبر والبطر والتعالي على الناس، بخلاف ما إذا نسي الإنسان أن ما يرفل فيه من نعمٍ كان تفضلاً منه سبحانه لم يكن له فيه سبب ولا حيلة.

ب - تكثير الفضائل ومكارم الأخلاق وطيب الشمائل، لأن مقتضى الشكر القيام بواجبه من استعمال النعم في طاعة الله والإذعان له، لا مخالفته ومحاربته بها وبالمعاصي. فمن أعطاه الله مالاً وظفه في الخير والطيبات وقام بحق الفقراء والمساكين فأعطاهم ما يُعين على سد حاجتهم وخلتهم، وفي هذا تكافل اجتماعي مطلوب، ويكون نحو هذا في المجالات الأخرى.

ج - تعويد الناشئة على شكر من أسدى نعمة إليهم من الناس، ومحاولة مكافأته قَدْر الجهد والطاقة والاستطاعة، وبذلك يزداد فعل المعروف والطيّب من الأفعال والأقوال، لأنه كلما ازداد الشكر ازدادت صنائع المعروف.

وغير ذلك من الفوائد التربوية للشكر ولسجود الشكر، مما يجعل القائمين على التوجيه والتربية يركزون على بيان أهمية الشكر بالنسبة للفرد والمجتمع لأن الشكر

---

(١) شرح السنة ٣/٣١٦.

سبب في الزيادة والنماء قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] ولما كان الشكر، والذي من مظاهره سجود الشكر، يغفل عنه الكثيرون كان لزامًا على أهل التربية أن يهتموا بهذا الأمر الاهتمام المتناسب مع أثره في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات.

ثالثًا- التربية على الاستكثار من الخير:

إن المتأمل في هذا الحديث يجد أن النبي ﷺ لحبه لأمته ولشفقته عليهم، دعا ثم سجد ولم يكتف بذلك بل دعا ثم سجد، ولم يقف عند هذا الحد بل طمع فيما عند المولى عز وجل فدعا فلما استجيب له سجد، كل ذلك والنبي ﷺ راغب في الازدياد فيما عند الله، مولاه، مستكثر منه، فلم يكتف بمرة ولا مرتين، بل ظلّ على حاله هذه حتى أناله الله -بفضله وكرمه- ما يتمنى ويرغب، وذلك والنبي يسأل الخير لأمته لا لنفسه، فصلّى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق يمكن أن يستأنس بهذا الحديث بأنه على المربي أن يستكثر من الخير ويعلّم أتباعه ذلك ويغرسه فيهم، وليكن شعارهم في حياتهم قول موسى عليه السلام وهو يستكثر من الخير: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2] قال الطاهر ابن عاشور: (جاء بجملة جامعة للشكر والثناء والدعاء، والفقير: المحتاج، فقوله "إني لما أنزلت إلي من خير" شكرٌ على نِعَم سلفت، وثناء على الله بأنه معطي الخير، والخير ما فيه نفع وملاءمة لمن يتعلق هو به، فمنه خير الدنيا، ومنه خير الآخرة، الذي قد يرى في صورة مشقة فإن العبرة بالعواقب، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[3] وقد أراد النوعين كما يرمز إلى ذلك التعبير عن إتيانه الخير بفعل "أنزلت" المشعر برفعة المعطى: فأول

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية ٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٥.

ذلك إيتاء الحكمة والعلم ومن الخير إنجاؤه من القتل وتربيته الكاملة في بذخة الملك وعزته، وحفظه من أن تتسرب إليه عقائد العائلة التي ربي فيها، فكان منتفعًا بمنافعها مجنبًا رذائلها وأضرارها، ومن الخير أن جعل نصر قومه على يده، وأن أنجاه من القتل الثاني ظلمًا، وأن هداه إلى منجى من الأرض، ويسر له التعريف ببيت نبوءة، وأن آواه إلى ظلّ... فقوله "فقير" أي فقير لذلك النوع من الخير، أي لأمثاله. وأحسن خير للغريب وجود مأوى له يطعم فيه ويبيت، وزوجة يأنس إليها ويسكن، فكان استجابة الله له بأن ألهم شعيبًا أن يرسل وراءه لينزله عنده ويزوجه ابنته كما أشعرت بذلك فاء التعقيب في قوله ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] عرفت أن الفاء تؤذن بأن الله استجاب له فقيض شعيبًا أن يرسل وراء موسى ليضيفه ويزوجه بنته، فلذلك يضمن له أنسًا في دار غربة، ومأوى وعشيرًا صالحًا، وتؤذن الفاء أيضًا بأن شعيبًا لم يتريث في الإرسال وراءه فأرسل إحدى البنتين اللتين سقى لهما فجاءته ولم يزل عن مكانه في الظل)[2].

أي أن موسى عليه السلام ألح على الله في الاستكثار من الخير فأعطاه الله المزيد منه سبحانه، وعلى ذلك ينبغي أن يربى الناشئة حتى يمن الله عليهم بمزيد عطائه وفضله هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنهم يعوَّدون على أن يكثروا من فعل الخير ولا يقفون عن حدٍ يمكن أن يتجاوزوه ويفعلوا أفضل منه.

رابعًا- من مهام المربي: بيان أفعاله وتفسيرها:

هذا مستمد من تفسير النبي ﷺ لدعائه ثم سجوده ثلاث مرات، ففسّر ذلك بقوله: "إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثُلث أمتي فخررت ساجدًا لربي شكرًا ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدًا لربي شكرًا ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدًا" وإنما وضح النبي ﷺ فعله هذا، ليبينه لأصحابه رضي الله عنهم هذا من ناحية، ومن ناحية

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٨/٢١/١٠٢-١٠٣.

أخرى يقتدي به أتباعه في ذلك، وعلى ذلك فإن المربي عليه أن يفسر ويوضح أفعاله لمن يقوم بتربيتهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فيحقق عدة فوائد تربوية منها:

أ - جعل العلاقة بينه وبين أتباعه أكثر حميمية وقربًا وتوددًا، مما يجعلهم أكثر تقبلاً لما يربيهم عليه وأشد إقبالاً على ذلك.

ب - العمل على تثبيت المبادئ التي يربى عليها أتباعه، لأن الفعل إذا وقع وجاء مشفوعًا بالتفسير إن اقتضى المقام ذلك ازداد رسوخًا في الذهن وثباتًا في الأفئدة.

ج - حماية أتباعه من التفسيرات الخاطئة التي قد يفسرون بها بعض أفعاله، وفي ذلك حماية لهم ولأفكارهم من الدخول في مداخل غير حميدة ولا طيبة، وهذا ما يبين قول النبي ﷺ لاثنين من الصحابة عندما رأياه مع امرأة هي أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، فقال لهما: ((عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيّ))[1]. قال النووي: (الحديث فيه فوائد منها بيان كمال شفقته على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2] فخاف ﷺ أن يُلْقِيَ الشيطانُ في قلوبهما فيهلكا، فإن ظَنّ السَوْء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم... وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى، أن يبين حاله ليدفع ظن السوء)[3].



(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ٣٥، ومسلم ٢١٧٥ من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.

(٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٣٦١ .

٢١٢- باب فضل قيام الليل

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]، وقال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة: ١٦] الآية، وقال تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٧].

الحديث رقم (١١٦٢)

١١٦٢- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ قَالَ: ((أفَلاَ أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا!)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بن شُعبة نَحْوُهُ متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

تتفطر: تَتَشقَّق[3].

الشرح الأدبي

رأى الرسول ﷺ الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها، ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كشف له من أهوال القبور، والحشر والنشر[4]، وزوى الله له الأرض؛ فرأى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧) واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٠/٨١). وتقدم برقم (٩٨)، وأورده المنذري في ترغيبه (٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩/٨٠) وتقدم برقم (٩٨). وأورده المنذري في ترغيبه (٩٠٢) لفظه بتمامه.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ط ر).

(٤) قال ﷺ: (إنه عرض على كل شيء تولجونه) أي تدخلونه من جنة ونار وقبر وحشر. قال القاضي عياض: قال العلماء : تحتمل أنه رآهما رؤية عين -كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجب بينه وبينهما-....، وتحتمل أن تكون رؤية علم وعرض وحي بإطلاعه وتعريفه من أمرهما ما لم يعرفه قبل ذلك... والتأويل الأول أولى وأشبه بألفاظ الحديث) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٧/٦. ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

مشارقها ومغاربها[١] واختصه الله بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره[٢] وهو أعظم الخلق قلبا، وأكثرهم لله تعالى شكرا بكل شكل من أشكال الشكر، ومنها الصلاة التي جُعلت قرة عينه فيها، فكان كما يحكي الحديث يقوم حتى تتفطر قدماه واستفهام أم المؤمنين عائشة (: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ اللّه، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟) استفهام يحمل إشفاقا، ورحمة لحاله مع تورم قدميه، وتعجبا لكونه مغفورا له، فجاء قوله (أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟!) تقريراً بالاستفهام لأم المؤمنين بفضل الله عليه ووجوب القيام بشكره اعترافاً بفضله، وافتخاراً في ذل لله، وعز بين خلقه دون غرور، والفاء فيه للسببية، بيانه أن الشكر سبب للمغفرة، والتهجد، والشكر فلا يتركه، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان.

فقه الحديث

١-أَخْذُ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لا يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحقّ النار، انتهى. ومحلّ ذلك ما إذا لم يفضِ إلى الملال لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال، فكان لا يملّ من عبادة ربه وإن أضرّ ذلك ببدنه. بل صحّ أنه قال: "وجعلت قرة عيني في الصلاة" كما أخرجه النسائي من حديث أنس[٣]. فأمّا غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه، وعليه يحمل قوله ﷺ: ((خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا))[٤])[٥].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض فرايت مشارقها ومغاربها ...) ينظر صحيح مسلم ٤/٢٣١٥، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٥٢٧، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

(٣) أخرجه النسائي ٧/٦١، ٣٣٩١، ٣٣٩٢ بلفظ "حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة" وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠، ٣٦٨١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢، ٢١٥ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٥ .

٢- مشروعية الصلاة للشكر: قال ابن حجر: (قيل أخرج البخاري هذا الحديث [حديث المغيرة][1]، لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه، لأنه يجمع بينها بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل، بل كان يقوم وينام كما أخبر عن نفسه[2]، وأخبرت عنه عائشة رضي الله عنها أيضًا[3])[4].

المضامين الدعوية[5]

(١) برقم ١١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤١٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤١، ومسلم ١١٥٨، ١٨٠، وفيه "وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته، وهذا لفظ البخاري أما عند مسلم فمختصر وليس فيه هذه اللفظة.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٦ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٣٣-٣٤ .

(٥) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٨).

الحديث رقم (١١٦٣)

١١٦٣- وعن علي رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلاً، فَقَالَ: ((أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(طَرَقَهُ): أتَاهُ لَيْلاً.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

طرقه: أتاه ليلاً[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب من الرسول صلى الله عليه وسلم لحبيبيه على، وفاطمة -رضي الله عنهما- لقيام الليل، وقوله (طرقه) أي أتاه ليلا قوله (ليلا) أي ليلة من الليالي، وفائدة ذكر ليلة بعد أن عبر بما يدل عليها، وهو الطروق أي: الإتيان بالليل للتأكيد، وقوله (ألا تصليان ؟) استفهام خرج عن حقيقته التي هي طلب الفهم إلى معنى الحث، والتحضيض، والخطاب لعلي، وفاطمة رضي الله عنهما لتشجيعهم على قيام الليل، وهكذا يجب أن يكون حال المؤمن لأهله، وجيرانه، وكل من حوله مفتاح خير يدعوهم إلى ما ينفعهم، وينهاهم عن كل ما يضرهم في معاشهم، ومعادهم.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه الحث على صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم)[3] وقال ابن حجر: (قال الطبري: لولا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٧) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦/٧٧٥).

(٢) رياض الصالحين ٦٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٧/٦/٣ .

ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[1] الآية)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: حث المدعوين على قيام الليل خاصة الأقربين إليه.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على صلاة الليل وتحصيل فضلها.

أولاً - من مهام الداعية: حث المدعوين على قيام الليل خاصة الأقربين إليه:

إنّ مما ينبغي على الداعية حثّ المدعوين على فضائل الأعمال، والتي من أعلاها شأنًا وأعظمها أجرًا قيام الليل، فهي أفضل الصلوات بعد الصلوات المفروضة، ودليل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[3]، قال النووي: "وفيه دليل لما اتفق عليه العلماء من أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار"[4]، لذا كان على الداعية دلالة المدعوين على الخير، ومن ذلك حثّهم على قيام الليل خاصة الأهل والأقربين، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، وكما جاء في الحديث من إيقاظه لابنته وزوجها، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً، فقال: "ألا تصليان؟"

قال ابن حجر: "قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَّعَة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١١ .

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٢٢.

بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[١]"[٢].

وقال القاضي عياض: "وفي الحديث فضل الصلاة بالليل والحض عليها، قال أبو جعفر الطبري: وإيقاظ النبي ﷺ لهما من نومهما في وقت جعله الله سكونًا ودعة لما علم من ثواب الله في ذلك، وفيه أمر قيّم لمن يقوم عليهم بفعل الخيرات ووجوه البر وحضهم على الرغائب وما ليس بواجب"[٣].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث الحث على صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها، وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم"[٤]، فكم كان نبي الهدى ﷺ حريصًا على إيقاظ أهله وأقربائه لصلاة التهجد، فلا ينبغي لمسلم ينصب نفسه للدعوة إلى الله أن ينشغل عن أهله وأولاده والأقربين منه[٥]، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٦].

"أي سببها، وذلك بترك المعاصي، وفعل الطاعات، والقيام على تأديب الأهل وأخذهن بما تأخذون به أنفسكم"[٧]، وقال السعدي في تفسير الآية: "(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، أي: يا من منَّ الله عليهم بالإيمان قوموا بلوازمه وشروطه فـ (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا) موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة ووقاية الأنفس، بإلزامها أمر الله امتثالاً، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه وفيمن تحت ولايته وتصرفه"[٨].

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٧.

(٥) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٤٩.

(٦) سورة التحريم، آية: ٦.

(٧) محاسن التأويل، الإمام القاسمي ٩/١٦/٢٢٧.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، ص ٨٠٩.

ثالثًا – من آداب المدعو: الحرص على صلاة الليل وتحصيل فضلها:

من الآداب والفضائل التي ينبغي للمدعو أن يحرص عليها وألا يحرم نفسه من أجرها وثوابها قيام الليل، فذلك من صفات المؤمنين، كما ذكر ذلك القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، فقوله: (تتجافى جنوبهم)، جيئ فيه بالمضارع (تتجافى) لإفادة تكرر ذلك وتجدده منهم في أجزاء كثيرة من الأوقات المعدة للاضطجاع، وهي الأوقات التي الشأن فيها النوم، والتجافي: التباعد والمتاركة، والمعنى: أن تجافي جنوبهم عن المضاجع يتكرر في الليلة الواحدة أي: يكثرون السهر بقيام الليل والدعاء لله[2]، وامتدح الله عباد الرحمن بوصفه لهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[3]، ولقد امتدح الله تعالى من يحيون ليلهم بالصلاة والذكر والاستغفار وميّزهم على غيرهم من الغافلين عن هذا الفضل بالذكر، ومَنْ هم في غفلة، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقد جعل الله قيام الليل من زاد المسافر إلى ربه في الطريق الشاق الطويل قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[5]، وبيّن أنّ صلاة المؤمنين بالليل أكثر من نومهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ – ١٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٨/٢١/٢٣٠ – ٢٣١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة المزمل الآيات: ١ – ٦.

ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١).

ومن الأحاديث ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))(٢).

ولقد كان سلفنا الصالح حريصين كل الحرص على قيام الليل سواء كان ذلك على مستوى الأسر أم على مستوى الأفراد، روي عن سالم ابن عمر رضي الله عنهما: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا. وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ. فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ. وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ. وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ النَّبِيُّ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)).

قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً(٣).

وعن أبي عثمان قال: تَضَيَّفتُ أبا هريرةَ سَبعًا، فكان هو وامرأتُه وخادمُهُ يَعتقبونَ الليلَ أثلاثًا: يُصلِّي هذا، ثم يُوقِظُ هذا. وسمعتُهُ يقول: ((قسمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابِهِ تمرًا. فأصابَني سبعُ تَمراتٍ إحداهنَّ حَشَفة))(٤).

بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يفوتهم قيام الليل حتى في الجهاد، روي عن جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - يَعْني في غَزْوَةِ ذاتِ الرِّقَاعِ - فأصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم ٢٤٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٤٤١.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أَنْ لاَ أَنْتَهِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِي ﷺ فَنَزَلَ النَّبِي ﷺ مَنْزِلاً، فقال: ((مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا))[1]، فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فقال: كُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ. قال: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ اضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَأَتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَهُ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةٌ لِلْقَوْمِ[2]، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلاَثَةِ أَسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ هَرَبَ: فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ قال: سُبْحَانَ اللهِ ألا أَنْبَهْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَى؟ قال: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا[3].

لهذا كله، أي: لعظيم أجر قيام الليل كان حث النبي ﷺ لأحب الناس إليه فاطمة وزجها علي رضي الله عنهما على قيام الليل، كما في حديث الباب حيث قال علي رضي الله عنه: إن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال: "ألا تصليان؟"، ليحصلا على ثواب وأجر قيام الليل، فينبغي على المسلم أن يحرص على قيام الليل، حتى ينال الأجر والثواب العظيم الذي أعده الله للمؤمنين الذين يحيون الليل بالقيام والقرآن.

---

(١) من رجل يكلؤنا: أي من يحفظنا ويحرسنا، يقال كلأه الله كلاءة بالكسر أي حفظه وحرسه، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٥.

(٢) ربيئة للقوم: الربيئى والربيئة الطليعة والجمع، الربايا، يقال: ربأن القوم ربأ وارتبأتهم أي رقبتهم، وذلك إذا كنت لهم طليعة فوق شرف، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود ١٩٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٨٢).

الحديث رقم (١١٦٤)

١١٦٤- وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﵄، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ)) قَالَ سالِم: فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلاَّ قَليلاً. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بأسلوب المدح (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ) من براعة الاستهلال التي تجذب السمع، وتحقق التشويق، لأن المخاطب يتشوق إلى معرفة سبب المدح لا سيما إن كان المادح رسول الله ﷺ، وتحقيق يقظة المخاطب، وتشويقه لمتابعة الخبر أمر يحرص عليه كل متكلم في خطابه لكي يحقق الغرض منه، وقوله (لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ) أسلوب شرط جوابه محذوف لدلالة السابق عليه أي: لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ فهو نعم الرجل، وترغيب الرسول ﷺ لعبد الله ﵁ بهذا الطريقة من عبقريته ﷺ لأنه مدحه، وأثنى عليه - وما أدراك ما أثر مدح النبي ﷺ؟ - ثم علَّق استحقاق هذا المدح على قيامه الليل حتى يتم جانب النقص في الفضيلة بطول القيام، ويمكنك أن تدرك أثر الأسلوب النبوي على حال عبد الله ﵁ مع القيام من تعبير الراوي في قوله: (فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلاَّ قَلِيلاً).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ ابن عمر ﵄ على قيام الليل، وشدة امتثال ابن عمر لإرشاد النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (١٤٠/٢٤٧٩) واللفظ له.

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، وشدة امتثال ابن عمر رضي الله عنهما لإرشاد النبي ﷺ:

جاء في الحديث حث النبي ﷺ لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما على إحياء الليل وقيامه، فقال ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وسبب ذلك ما جاء في رواية البخاري عن سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنه قال: كانَ الرجلُ في حياةِ النبيِّ ﷺ إذا رأى رُؤيا قصَّها على رسولِ الله ﷺ، فَتمنَّيتُ أن أرى رُؤيا فأقُصَّها على رسولِ الله ﷺ، وكنتُ غُلامًا شابًا، وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ مَلَكينِ أخذاني فذَهَبا بي إلى النار، فإذا هيَ مَطْويَّةٌ كطيِّ البئرِ، وإذا لَها قَرنانِ، وإذا فيها أُناسٌ قد عرفتهم، فجعلتُ أقولُ: أعوذُ باللهِ منَ النار. قال: فلقِينا مَلَكٌ آخَرُ فقالَ لي: لم تُرَعْ فقَصَصتُها على حَفْصةَ، فقصَّتْها حفصة على رسولِ الله ﷺ فقال: ((نعمَ الرجلُ عبدُاللهِ لو كانَ يُصلِّي منَ الليلِ))[1].

قال ابن حجر: "قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبدالله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبدالله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها، وأشار المهلب إلى أن السر في ذلك كون عبدالله كان ينام في المسجد ومن حق المسجد أن يتعبد فيه فنبه على ذلك بالتخويف بالنار"(٢)، واستجاب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لذلك كما قال سالم: فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فلقد ظلت كلمة الصادق الصدوق ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل) شعارَ عبدالله بن عمر المُحبب، فلا يكاد يترك إحياء الليالي إلا وهو قائم بالصلاة ومناجاة العليم الخبير واستغفاره[3].

فلقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يضرب به المثل في اقتدائه برسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢١، ١١٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٠.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٨٦.

واقتفاء أثره، فكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أسوته كاملة بكل أعمال رسول الله ﷺ وأقواله فقد كان يتّبع آثار الحبيب محمد ﷺ.

والآثار في ذلك كثيرة منها ما روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ما أَتَيْتُ على الركن، منذ رأيت رسول الله ﷺ يمسحه - في شدة ولا رخاء - إلاّ مَسَحْتُهُ))[1].

"وشهد لابن عمر رضي الله عنهما بحسن اقتفائه للآثار المحمدية، شاهد من أهل البيت النبوي، هذا الشاهد من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم، ومن علماء الأمة، بل أفقه نساء الأمة على الاطلاق، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قالت: ((ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر رضي الله عنهما))"[2].

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: "كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحفظ ما يسمع من رسول الله ﷺ، وإذا لم يحضر، يسأل من يحضر عما قال رسول الله ﷺ وفعل. وكان يتتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحلته في كل طريق مرّ بها رسول الله ﷺ، فيقال له في ذلك فيقول: أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ"[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل

إن لقيام الليل فضل لا يُدانى، وشرف لا يُضاهى، وقد جاء في الحديث ما يدل على فضله وذلك في قوله ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، قال ابن حجر: "ومقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل"[4]، وإن قيام الليل أفضل النوافل، وفيه يكون العبد أقرب ما يكون من ربه، وفي أوقات التهجد تفتح أبواب السماء وتستجاب الدعوات وتستعرض حوائج السائلين[5]، وقد مدح الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٠، رقم ٤٩٨٦، وقال عنه محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٩/ ٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٤٥/٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٧٢/٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٣.

(٥) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٨.

تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٢]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[٣].

إن قيام الليل والاجتهاد في التقرب إلى الله تعالى من أقوى أسلحة المؤمن، وذلك لأن للطاعات نورًا ينعكس على وجه أصحابها وفيه استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها، ليقف المؤمن بين يدي الله في خشوع وخضوع وركوع وسجود، وصلاة الليل مصدر متجدد للطاقة الروحية والزاد[٤].

وقد رغّب القرآن في الصلاة في جوف الليل، وأن المحافظين على الصلاة في الليل مستحقون لخيره ورحمته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٥].

فوصفهم الله تعالى بالإحسان في قوله: (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) ومن أفضل أنواع الإحسان عبادة الخالق، ومنها صلاة الليل الدالة على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان، ولهذا قال: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) ي كان هجوعهم أي نومهم بالليل قليلاً.

وأما أكثر الليل فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة وقراءة وذكر ودعاء وتضرع (وبالأسحار) التي هي قبيل الفجر (هم يستغفرون) الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٤) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٢٧، ٢٨.

(٥) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

السحر ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[١][٢].

والحكمة في الترغيب بصلاة قيام الليل هي أن النفس تصفو في هذا الوقت وترنو إلى اجتلاء الطبيعة في مجتلاها الرحب، وقد لفّها السكون وتراءت النجوم في سمائها متألقة وضاءة مما يطلق النفس من قيودها التي سببها ضجة العمل وزحمة العيش، ويجعلها تهفو إلى خالقها مقدسة له مسبحة بحمده ممجدة لعظمته وما يستتبع ذلك من إصلاح النفس، وتزكيتها وإسباغ الطمأنينة عليها.

وقد روي أن الرسول ﷺ كان يقوم للصلاة في الليل تارة إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، فكان عندما يستيقظ يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات التي فيها الدلائل على وجود الله تعالى وقدرته والتي تفجر الإحساس الروحي في قلب الإنسان[٣].

روي عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّث رسولُ الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرُ قعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقال: ﴿إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب﴾[٤]، ثم قام فتوضَّأ واستنَّ فصلى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أَذَّنَ بلالٌ فصلى ركعتَين، ثم خرج فصلى الصبحَ))[٥].

وفي رواية عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن ابن عباس أخبره أنه ((باتَ عند مَيمونَةَ زوج النبيِّ ﷺ ـ وهيَ خالتُهُ ـ قال: فاضطجعْتُ فِي عَرضِ الوِسادة واضطَجَعَ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٥١، ٧٥٢.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٣٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٦٩.

رسولُ الله ﷺ وأهلُهُ في طولِها، فنامَ رسول الله ﷺ حتى انتصفَ الليلُ أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظَ رسول الله ﷺ فجعلَ يَمسحُ النومَ عنْ وَجهه بيدَيه، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتمَ من سورةِ آل عمرانَ، ثم قام إلى شَنٍّ مُعلَّقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وُضوءَه ثم قامَ يُصلِّي. فصنَعتُ مثل ما صنَعَ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جَنبِهِ، فوضع رسولُ الله ﷺ يَدَهُ اليمنى على رأسي، وأخذَ بأُذني اليمنى يَفْتِلُها، فصلى ركعتَين، ثم ركعَتين، ثم ركعتين، ثم ركعَتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجَعَ حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعَتين خَفيفتَين، ثم خرجَ فصلى الصُّبح))[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغّب النبي ﷺ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قيام الليل بالنجاة من النار والثناء عليه بقوله: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وأسلوب الترغيب من أرجى الأساليب الدعوية نفعًا وأشدها في نفوس المدعوين أثرًا، وذلك لما جبلت عليه النفوس البشرية وطبعت عليه من حب الخير وفعله، الأمر الذي يجعل أصحابها يتقبلون كل ما يحقق لهم ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان الأجر والثواب على العمل في الدنيا والآخرة، وكلما كان الداعية مجيدًا لعرض أسلوب الترغيب كلما كان التأثير كبيرًا[2]، وقد ورد استعمال الترغيب في القرآن كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

إن القرآن الكريم وهو أساس المنهج الإسلامي يحتوي على كثير من الآيات التي تتخذ أسلوب الترغيب والترهيب - وهو أحد ركني الوعظ - منطلقًا لعلاج أمراض الشخصية وإصلاحها، والمتتبع لآيات القرآن يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة

---

(١) أخرجه البخاري ٤٥٧٢.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

ملموسة فيها، تارة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالحض على النصح، وثالثة باتباع سبيل الرشاد، ورابعة بالإغراء بالترغيب، وخامسة باستعمال أسلوب التهديد. وهذا يدلنا على أن للوعظ في القرآن الكريم أهمية بالغة في تكوين الشخصية الإسلامية وفي إزالة الأمراض التي تعتريها[1].

يقول ابن تيمية عن القرآن الكريم: "... وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والقصص التي فيها عبرة، ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب في ما ينفعه، ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محبًا للرشاد مبغضًا للغي، بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد"[2].

فالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الفضيلة بالترغيب والترهيب من أفضل الوسائل التي تؤثر على الشخصية الإنسانية. فالترغيب والترهيب يجعلان الإنسان يسلك راضيًا مختارًا السلوك الحسن، وينبذ السلوك السيئ. والمنهج الإسلامي قد تضمن مواعظ كثيرة ليثير نفس الإنسان ويدفعها إلى التخلق بأحسن الصفات. فالموعظة من شأنها أن تطرق قلبه وتشد رغائبه، وترتقي به إلى أعلى منزلة، وتهديه إلى الخير، وتبين له مزاياه إلى جانب أنها تنبه مشاعره وتضعه في موقف الخوف والرهبة، وتذكره بما ينتظره يوم القيامة إذا ما اقترف معصية وأصر عليها[3].

وهكذا فالترغيب والترهيب في المنهج الإسلامي يعتمد على ضبط انفعالات الإنسان وعواطفه بحيث لا يطغى التخويف على الأمل والرجاء فيقنط من عفو الله تعالى، ولا ينبغي أن يصل به الرجاء إلى الأمن من مكر الله تعالى، بل يكون بينهما توازن. "لقد استخدم الإسلام الترغيب والترهيب كوسيلة تربوية استخدامًا لا يمكن أن يصل إليه منهج من مناهج البشر، لأنه توجيه ينبني على حاجة النفس الفطرية وما ترغبه النفس وترهبه، وهذا أمر خفي على بني الإنسان"[4].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٦٨٧/٢ - ٦٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٩٥/١٠.

(٣) انظر: منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٤٩.

(٤) معالم في التربية، د. عجيل جاسم النشمي ص ٢٠٧.

فالمنهج الإسلامي لم يَدَعْ فضيلة إلا حثّ الشخصية الإسلامية عليها، وأضاء لها طريق الوصول إليه، ولم يَدَعْ رذيلة إلا حذرها إياها ووضع العقبات في طريقها وبين لها العاقبة الأليمة التي تكون جزاء من يقترفها.

ومع ذلك فهناك طائفة من الناس يشيعون أن طريق المنهج الإسلامي في التخويف من الله تعالى ومن الحساب يوم القيامة يتنافى في تربية الشخصية الحرة. ويُرَدّ على هؤلاء بأن تجريد التربية من عنصر الخوف مطلقًا إنما هو وهم وخيال وإنكار لواقع الإنسان الذي خلق عليه من الخوف والرجاء، وإذا كان الأمر كذلك فليكن الخوف من الله الخالق العادل، وهو مع هذا خوف مشوب بالرجاء في عفوه[1].

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤٩.

الحديث رقم (١١٦٥)

١١٦٥- وعن عبد الله بن عَمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا عَبدَ اللهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيلِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

والحديث كسابقه من باب الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح، وترك قيام الليل جاء فيه نهي الرسول ﷺ لعبد الله (لا تكن) بمعنى الحث على المداومة على قيام الليل، والاتصاف بصفة المتهجدين لينال منزلتهم، وحث الرسول ﷺ بهذا الأسلوب يوحي للمخاطب بأنه على الصواب الذي لا يجب تركه كحال غيره مما يعطيه شعورا بالارتياح يدفعه إلى مزيد من التمسك بصفة قيام الليل التي أوجبت له ذلك وترك الغفلة، والكسل الذي أوجب لغيره هذه الحال فلا يكون مثله، وقوله (مثل فلان) إبهام مثل هذا لقصد الستر عليه. .ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصا معينا وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمر من الصنيع المذكور)[2].

فقه الحديث

بوّب البخاري على هذا الحديث: باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه[3].

ثم قال ابن حجر: (قال ابن العربي: في هذا الحديث دليل على أن قيام الليل ليس بواجب؛ إذ لو كان واجبًا لم يكتف لتاركه بهذا القدر بل كان يذمه أبلغ الذم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩/١٨٥) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (١٥٤)، و (٦٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٣).

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٣/٤٦.

(٣) الحديث رقم ١١٥٢.

وقال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه.

وفيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط.

ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة، وما أحسن ماعقب المصنف [أي البخاري] هذه الترجمة بالتي قبلها[1]، لأن الحاصل منهما الترغيب في ملازمة العبادة والطريق الموصل إلى ذلك الاقتصاد فيها، لأن التشديد فيها قد يؤدي إلى تركها وهو مذموم)[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) وهي: باب ما يكره من التشديد في العبادة، الحديثان ١١٥٠، ١١٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣٨ .

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٥٤.

الحديث رقم (١١٦٦)

١١٦٦- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أصْبَحَ، قَالَ: ((ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ في أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ: في أُذُنِهِ-)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث من باب التحذير من نوم الليل كله وترك قيامه، أو بعضه استخدم فيه الرسول ﷺ التصوير البياني في التنفير من نوم الليل كله في قوله ﷺ (ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ في أُذُنَيْهِ) الإشارة في بداية العبارة للذم، وبول الشيطان في أذن الإنسان قِيلَ هُوَ عَلَى حَقِيقَته قَالَ الْقُرْطُبِيّ، وَغَيْره لا مَانِع مِنْ ذَلِكَ إِذْ لا إِحَالَة فِيهِ لأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الشَّيْطَان يَأْكُل، وَيَشْرَب، وَيَنْكِح فَلا مَانِع مِنْ أَنْ يَبُول وَقِيلَ: هُوَ كِنَايَة عَنْ سَدّ الشَّيْطَان أُذُن الَّذِي يَنَام عَنْ الصَّلاة حَتَّى لا يَسْمَع الذِّكْر وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان مَلأَ سَمْعه بِالأَبَاطِيلِ فَحَجَبَهُ عَنْ الذِّكْر، وَقِيلَ هُوَ كِنَايَة عَنْ اِزْدِرَاء الشَّيْطَان لَهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان اِسْتَوْلَى عَلَيْهِ، وَاسْتَخَفَّ بِهِ حَتَّى اِتَّخَذَهُ كَالْكَنِيفِ الْمُعَدّ لِلْبَوْلِ إِذْ مِنْ عَادَة الْمُسْتَخِفّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَبُول عَلَيْهِ قَالَ الطِّيبِيُّ خَصَّ الأُذُن بِالذِّكْرِ، وَإِنْ كَانَتْ الْعَيْن أَنْسَب بِالنَّوْمِ إِشَارَة إِلَى ثِقَل النَّوْم فَإِنَّ الْمَسَامِع هِيَ مَوَارِد الانْتِبَاه، وَخَصَّ الْبَوْل لأَنَّهُ أَسْهَل مَدْخَلاً فِي التَّجَاوِيف وَأَسْرَع نُفُوذًا فِي الْعُرُوق فَيُورِث الْكَسَل فِي جَمِيع الأَعْضَاء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أحوالهم على رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٢٠٥/٧٧٤) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤١).

(٢) شرح سنن النسائي حديث (١٥٩٠).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ترك قيام الليل والتكاسل.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تقوية الصلة بالله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على عرض أحوالهم على رسول الله ﷺ:

لقد كانت شيمة الصحابة ﷺ والصفة العامة التي كانت تغلب عليهم أنهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه)، وقد انتهج الصحابة ﷺ هذا النهج القويم في رجوعهم إلى النبي ﷺ استجابة منهم لما أمروا به من الرد والعرض للأمور والقضايا على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2].

إن مما يؤكد صدق الاتباع لرسول الله ﷺ تحكيم سنته والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام.

ولقد أمر الله المؤمنين برد قضاياهم وما تنازعوا إليه إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وأعلمهم أن ذلك خير لهم في الدنيا وأحسن عاقبة في الأخرى، وفي الأمر بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله دلالة صريحة على أنهما كافيان لفصل النزاع وتقديم الحل لكل مشكلة تقع بين المسلمين. وإن إيمان المؤمن ليحمله على الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله حينًا بعد حين لمعرفة حكم الشرع في كل ما يجد له من أمور الحياة.

وفائدة هذا الأمر عظيمة جدًا، إذ يظل المسلم على جادة الاتباع لا يحيد عن الصراط المستقيم طالما أحسن الرجوع إلى الكتاب والسنة، وقد أمر الله بتحكيم نبيه

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

-في حياته وسنته بعد مماته- في كافة أنواع النزاع للفصل فيها فقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

فأقسم سبحانه بذاته على أنه لا يثبت للمؤمنين الإيمان، حتى يحكموا رسول الله ﷺ في موارد النزاع في كافة الأمور، وأن هذا التحكيم غير كافٍ حتى يجتمع إليه الرضى بحكمه والتسليم لأمره، مع انشراح صدورهم وطيب نفوسهم بقضائه وحكمه.

وأصل ذلك أن المسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله فإذا عرض له أمر أو تنازع مع أخيه المسلم في أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا فزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كما كان حال الصحابة معه ﷺ في حياته، يفزعون إليه يسألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه في كل شؤونهم، فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلّموا به عن طيب نفس ورضى"[2]. وذلك استجابة منهم لما أمرهم به من الرد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من ترك قيام الليل والتكاسل:

رهبّ النبي ﷺ من ترك قيام الليل وذمّ هذا التكاسل في قوله ﷺ عن الرجل الذي ذكر له بأنه نام ليلة حتى أصبح، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: أذنه).

قال القاضي عياض: "وقول النبي ﷺ للذي نام حتى أصبح: (بال الشيطان في أذنيه) قال المُهلب: هذا على سبيل الإخبار بتحكم الشيطان في العقد على رأسه بالنوم الطويل، وقال ابن قتيبة: يقال بال في كذا إذا أفسده، وتأتي كلمة بال بمعنى استخف به واستحقره واستعلى عليه، كما قال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾[3]، وقد يقال لمن استخف بالإنسان وخدعه: بال في أذنه.

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع بتصرف، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٨.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١٩.

وقال أبو بكر: ويجوز أن يكون معناه: أخذ بسمعه عن نداء الملك ثلث الليل (هل من داع فيستجاب له) وشغله بوسوسته وتزيينه له النوم وبحديثه بذلك في أذنه كالبول فيهما، لأنه قذر نجس خبيث وأفعاله كلها قذرة خبيثة.

وقال الحربي: بال هنا معناه: ظهر عليه وسخر منه.

وقال الطحاوي: هو استعارة لا على الحقيقة، وعبارة عن الطوع وفعل أقبح الفعل بالنوّام ومن يذله ويقهره.

قال القاضي: ولا يبعد أن يكون على وجهه وقصد الشيطان بذلك إذلاله ونهاية طاعته له، وتَأَتِّي ما أراد منه من استغراق في نومه حتى فعل به كذلك، وقد يكون (بال في أذنه) كناية عن ضرب النوم واستغراقه وخص ذلك بالأذن كما خصها في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[1]، ولأن الأذن حاسة المنتبه بكل حال وموقظة النائم بما يطرأ عليه من الأصوات"[2].

وعلى كل حال فترك قيام الليل يمكّن الشيطان من الإنسان، فينبغي على المسلم ألا يمكّن الشيطان منه، بعد ترك الليل.

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تقوية الصلة بالله تعالى:

يستنبط ذلك من عموم الحديث؛ إذ أن من أهداف الدعوة الرئيسة تقوية صلة العبد بربه عز وجل، وتوطيد علاقته به، فإن العبد لا يتأتى أن يصحبه توفيق الله ونصرته ونجاحه، ما لم يكن على صلة وثيقة بربه وعلاقة وطيدة بمولاه ولله در القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده[3]

ومن أهم سبل تقوية العلاقة بالله تعالى قيام الليل وإحياؤه بالصلاة التي هي أعظم

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٧.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٢٩. والبيت في: نفح الطيب قافية الهاء ١٧٧/٦.

النعم، فهي كفارة لذنوبنا ورفع لدرجاتنا عند ربنا، ثم هي علاج عظيم لمآسينا ودواء ناجع لأمراضنا، تسكب في ضمائرنا مقادير زاكية من اليقين وتملأ جوانحنا بالرضا، أما الذين جانبوا المسجد وتركوا الصلاة، فمن نكد إلى نكد، ومن حزن إلى حزن، ومن شقاء إلى شقاء: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[(1)]"[(2)].

إن الصلاة صورة من الصور التي يقوم بها الإنسان لعبادة خالقه، وهي صلة بين العبد وربه، ومنزلتها في الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد، والصلاة مظهر للإسلام وعلامة للإيمان، وقرة العين وراحة الضمير، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ))[(3)].

إن قيام الليل وإعماره بالصلاة وكذلك الصلوات عامة - في أوقاتها - تحقق دوام الذكر لله تعالى ودوام الاتصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام لله والتجرد لله وحده وتربي النفس وتهذب الروح وتنير القلب بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، وتحلي المرء وتجمله بمكارم الأخلاق، فهي عمل من صميم التدين، ولذلك كانت سنة مطردة على تعاقب الرسل عليهم السلام بعد التوحيد، بها تتوثق أسباب الاتصال بالله ويتزود العبد من خلالها بطاقة روحية تعينه على مشقة التكليف.

لقد شرع الله للمسلمين الصلوات للثناء عليه بما يستحقه وليذكرهم بأوامره وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا، فيها يقف الإنسان بين يدي ربه في خشوع وخضوع مستشعرًا بقلبه عظمة المعبود مع الحب والخوف من جمال وجلال المعبود، طامعًا فيما عنده من الخير وراغبًا في كشف الضر، وَجِلاً من عقابه الشديد.

يقف المسلم في الصلاة في رحاب الله ليس بينه وبين الله واسطة، فيشعر بالقرب من الله ويشعر بمعية الله فتمتلئ جوانحه بالأمن والطمأنينة والثقة واليقين فيخشع راكعًا

---

(١) سورة محمد، آية: ٨.

(٢) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ط/٣ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩، ص ٤١.

(٣) أخرجه النسائي ٣٥٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٣٦٨١).

ويخشع ساجدًا ويستمد العون والتأييد[1]، ويكتب له الفوز ويُعدُّ من الفالحين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2].

(١) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ١٨ - ٢٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

الحديث رقم (١١٦٧)

١١٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أحَدِكُمْ، إِذَا هُوَ نَامَ، ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَويلٌ فَارْقُدْ، فَإن اسْتَيقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انحلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإنْ تَوَضّأ، انْحَلّتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّى، انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أصْبحَ خَبيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قافية رأس أحدكم: قافية الرأس: آخره[٢].

يضرب على كل عقدة: تأكيدًا وإحكامًا لها، وقيل: معنى يضرب: يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ومنه قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾[الكهف: ١١] أي حجبنا الحس أن يلج في آذانهم فينتبهوا[٣].

الشرح الأدبي

يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَقْدُ بِمَعْنَى السِّحْرِ لِلإِنْسَانِ وَالْمَنْعِ لَهُ مِنْ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) وَالْقَافِيَةُ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ، وَقَافِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ قَافِيَةُ الْبَيْتِ مِنْ الشِّعْرِ لأَنَّهَا آخِرُهُ وَلَمَّا قَالَ ﷺ: (إِذَا هُوَ نَامَ) كَانَ ظَاهِرُهُ إِنْ عَقَدَهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ النَّوْمِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ (عَلَيْك لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ) إِنَّ ذَلِكَ مَقْصُودُ ذَلِكَ

---

(١) اخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦/٢٠٧). والسياق للمنذري في ترغيبه (٨٩٣، ٩٤٤).

(٢) رياض الصالحين ٦٦٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣١/٣.

الْعَقْدِ وَمُرَادُ الشَّيْطَانِ مِنْهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ تَسْوِيفُهُ بِالْقِيَامِ وَالإِلْبَاسِ عَلَيْهِ لأَنَّ فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلِ مِنَ الطُّولِ مَا لَهُ فِيهِ فُسْحَةٌ، والحديث صور بأسلوب الأمر في عبارة (عليك ليل طويل فارقد) الشيطان، وهو يعقد عقده فجسد صورة الشيطان كساحر كريه ماكر يدبر مؤامرته ليضيع على الإنسان بالنصب على الإغراء.... وقال القرطبي الرفع أولى من جهة المعنى، لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل ثم يخبره بالرقاد بقوله، وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد وَقَوْلُهُ ﷺ: (فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ) يُرِيدُ أَنَّ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْوُضُوءِ، وَبِالصَّلاةِ تَنْحَلُّ عُقَدُ الشَّيْطَانِ كُلُّهَا، وَيَنْجُو الْمُسْلِمُ مِنْ كَيْدِهِ وَمِنْ شَرِّ عُقَدِهِ فَيُصْبِحُ نَشِيطًا قَدْ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقَدُ الشَّيْطَانِ الَّتِي تُكَسِّلُهُ طَيِّبَ النَّفْسِ بِمَا عَمِلَ فِي لَيْلِهِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ(وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ) يُرِيدُ مُتَغَيِّرًا قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَثَبَّتَ عَلَيْهِ عُقَدَهُ وَكَسَّلَهُ عَنْ النَّشَاطِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ[(١)].

فقه الحديث

١-حكم صلاة الليل:

قال ابن حجر: (ادعى ابن العربي أن البخاري أومأ هنا إلى وجوب صلاة الليل، لقوله ﷺ "يعقد الشيطان"، وفيه نظر، فقد صرح البخاري في خامس ترجمة من أبواب التهجد بخلافه حيث قال: "من غير إيجاب"[(٢)] وأيضًا في تقدم تقريره من أنه حمل الصلاة هنا على المكتوبة يدفع ما قاله ابن العربي أيضًا. ولم أر النقل في القول بإيجابه إلا عن بعض التابعين. قال ابن عبدالبر: شذّ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب شاة. والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه)[(٣)].

٢- قال ابن حجر: (إنما خصّ الوضوء بالذكر؛ لأنه الغالب. وإلا فالجنب لا يحلّ عُقْدَته إلا الاغتسال. وهل يقوم التيمم مقام الوضوء أو الغسل لمن ساغ له ذلك محل بحث.

---

(١) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك حديث (٣٨٣).

(٢) هو: باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، الأحاديث ١١٢٦-١١٢٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٢٧ .

والذي يظهر إجزاؤه، ولا شك أن في معاناة الوضوء عونًا كبيرًا على طرد النوم لا يظهر مثله في التيمم)[١].

٣-وقال ابن حجر: (لا يتعين للذكر شيء مخصوص لا يجزئ غيره، بل كل ما صدق عليه ذكر الله أجزأ. ويدخل فيه تلاوة القرآن وقراءة الحديث النبوي والاشتغال بالعلم الشرعي. وأولى ما يذكر به ما سيأتي بعد ثمانية أبواب في "باب فضل من تعارّ من الليل"[٢] ويؤيده ما عند ابن خزيمة من الطريق المذكورة "فإن تعار من الليل فذكر الله")[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتثبيطه عن القيام للصلاة.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الليل والحرص عليها.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على النشاط في العبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتثبيطه عن القيام للصلاة:

جاء في كثير من آيات القرآن التصريح بعداوة الشيطان للإنسان ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٤]، وفي الحديث صورة من صور تجسيد الشيطان لهذه العداوة وذلك بتثبيط الإنسان عن القيام للصلاة، فقال ﷺ: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة)، أي: يضرب بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها، وقيل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨/٣ .

(٢) أخرج البخاري ١١٥٤ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا: "من تَعَارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي -أو دعا- أستجيب، فإن توضأ قبلت صلاته".

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨/٣ .

(٤) سورة فاطر، آية: ٦.

معنى يضرب يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ، قائلاً: عليك ليل طويل فارقد، أي يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه[١].

قال القاضي عياض: "وقوله: (يقول: عليك ليل طويل فارقد)، أن ذلك مقصود العقد، وقيل: هو من عقد القلب وتصميمه، وقد فسّر هذا العقد بقوله: (عليك ليل طويل) كأنه يقولها إذا أراد النائم القيام لحزبه فيؤثر ذلك في نفسه ويعقد صرفه حتى يصبح ويفوته حزبُه، وقيل: هو مجاز كُنّي به عن حبس الشيطان وتثبيطه عن قيام الليل"[٢].

وذلك مظهر من مظاهر عداوة الشيطان لبني آدم، وقد حذرنا الله منه ومن الوقوع في شباكه وبراثنه في كثير من آي القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[٤]، وجاءت آية فاطر مؤكدة لهذه العداوة بكثير من المؤكدات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٥].

وفي ذلك بيان من الله تعالى لعداوة إبليس لابن آدم فقال: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)، أي: هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١/٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٢/٣.

(٣) سورة يس، الآيات: ٦٠ - ٦٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ٥٠.

(٥) سورة فاطر، آية: ٦.

فيما يغركم به (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين[١]، من قديم الأزل فهو الذي أخرج أبانا آدم من الجنة، وأوقعه في الزَّلة، وهو الذي أقسم على إغوائنا وإضلالنا ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[٣][٤]، ولضراوة عداوة الشيطان وضرورة أخذ الإنسان الأهبة والاستعداد التام والحذر الدائم من ذلك العدو اللدود المعلن للعداوة المبارز بها، لذا كان الحذر من الشيطان وإغوائه من مراتب الجهاد، وقد قسم الإمام ابن القيم الجهاد إلى أربع مراتب، جعل المرتبة الثانية منها جهاد الشيطان، فقال: "فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين.. وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٥]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنَال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٤/٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١١٨ - ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٤/٢٢/٣.

(٥) سورة السجدة، آية: ٢٤.

الشكوك والشبهات"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الله تعالى:

جاء في الحديث بيان أن ذكر الله والوضوء والصلاة إنقاذ للإنسان من الشيطان وحل لعقده التي يعقدها على قافية رأس الإنسان وهو نائم، وإخبار رسول الله ﷺ عن ذلك يحمل في نفس الأمر حثًا على ذكر الله تعالى، وحثًا على صلاة الليل، فقال ﷺ: "فإن هو استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

يبين ابن القيم منزلة الذكر وأهميته[٢] فيقول: "وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون والذكر منشور الولاية الذي مَنْ أعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، والذكر هو السبب الواصل والعلاقة التي بين العباد وربهم، به يستدفعون وتهون عليهم به المصيبات"[٣]، وقد أمرنا الله بذكره والإكثار من ذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٤]، ومدح الله عباده أولي الألباب والنهى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٥].

وذكر ابن القيم أكثر من مائة فائدة للذكر منها: "أنه يطرد الشيطان ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط وينور الوجه والقلب ويقوي البدن والقلب ويجلب الرزق"[٦]،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٠/٣.

(٢) موسوعة نضرة النعيم، ١٩٦٢/٥.

(٣) مدارج السالكين ٤٥١/٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٦) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط/١ مكتبة ابن الجوزي، الدمام: ١٩٨٩م، ص ٨٣ - ١٥٣.

وذلك ما يستطيع القارئ أن يلمحه في قوله ﷺ: (فإذا هو استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقده).

والدعوة إلى ذكر الله لا تقتصر عند مجرد الاستيقاظ من النوم بل إن الذكر مطالب به الإنسان في جميع الأحوال والأحايين، لذا جاءت النصوص مرشدة إلى ختم الأعمال بذكر الله تعالى ومصاحبته لها.

يقول ابن القيم مبينًا مشروعية ختم الأعمال الصالحة بالذكر ومصاحبته لها وبيان فضل الذاكرين: "وأما ختم الأعمال الصالحة به، فكما ختم به عمل الصيام بقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2]، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[3]، وختم به الجمعة كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا. وإذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة.

وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[5].

وأما مصاحبته لجميع الأعمال، واقترانه بها، وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

بالصلاة، كقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]، وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه؛ بل هو روح الحج ولبه ومقصوده، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾[2].

وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

والذاكرون هم أهل السبق كما روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَٰذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[4].

(والمفردون) إما الموحدون، وإما الآحاد الفرادى.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((ذِكْرُ اللهِ))[5].

---

(١) سورة طه، آية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٩٨ – ٢٠٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[1].

ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله، كما في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))[2].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الليل والحرص عليها:

يستنبط ذلك من بيانه ﷺ لأثر الصلاة في رفع سيطرة الشيطان على النائم، فقال ﷺ: (فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس)، وذلك لما لصلاة الليل من فضل، ولما فيها من مجاهدة للنفس، قال ابن رجب الحنبلي: "فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة، قال بعضهم: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر فإنه تنقطع الشواغل بالليل، ويحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم"[3]، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾[4].

قال ابن كثير: "والغرض أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٨.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٦.

ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال: (هي أشد وطئا وأقوم قيلا) أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش"[١].

إن قيام الليل شرف المؤمن، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ))[٢].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[٣].

رابعًا – من أهداف الدعوة: الحث على النشاط في العبادة:

يتضح ذلك من حث رسول الله ﷺ في الحديث على أسباب النشاط من ذكر الله تعالى والوضوء والصلاة، فقال ﷺ: (فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)، والنشاط كما جاء في الحديث ضد الكسل والنشاط هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله[٤]، ولقد كان رسول الله ﷺ مضرب المثل في الحيوية والنشاط، روي عن البراء رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَن سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٩٧/٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٣/٣، وحسنه الألباني، (الصحيحة ٨٣١).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ن ش ط).

إِنَّ الأُلَــى قَــد بَغَــوْا عَلَيْنَــا   وإن أَرَادُوا فِتْنَــةً أَبَيْنَــا))[١]

والنشاط دليل اليقين والإيمان، وعلامة من علامات إزهاق الشيطان، وهو دليل رضا الله وعلامة القرب منه كما أنه يكسب المرء حب الله ورضا الناس ويرفع ذكره في العالمين إلى غير ذلك من الفوائد[٢].

ولقد أرشد النبي ﷺ الأمة إلى اغتنام الأوقات التي يتزايد فيها نشاط الإنسان ومنها أوقات الصباح، ودعا النبي ﷺ للأمة بالبركة فيها فقال: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِهَا))[٣]، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل فتطيب أنفسنا وننشط طوال نهارنا خلافًا لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ يومه بصلاة الفجر"[٤].

والفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها، فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج، والثاني نتيجته كسل وفشل، قال د. يوسف القرضاوي معلقًا على هذا الحديث: "وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عُقَد الشيطان كلُّها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة وانطلق إلى معترك الحياة، نشيط الجسم، طيب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عُقَد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان!"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٢.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٤٨٨/٨. [البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩٦/٤]

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٤) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٨ – ٤٠٩.

(٥) الوقت هو حياة المسلم ص ١٣.

الحديث رقم (١١٦٨)

١١٦٨- وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((أيُّهَا النَّاسُ: أفْشُوا السَّلامَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ[1] وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سلام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٤٩).

غريب الألفاظ:

أفشوا: انشروا[3].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بنداء عام (يَا أَيّهَا النَّاس) وهو خطاب للجنس يفيد المبالغة، والتوكيد؛ لأن به أوجهاً من التوكيد :منها التوكيد والتنبيه في (يا) والتنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلي التوضيح في (أي) والاسم المعرف بعدها، وتكرار المذكر، واختيار لفظ البعيد، وتأكيد معناه تناسباً مع المقامات في إفادة المبالغة، والتوكيد؛ لأن كل ما نادي الرسولُ ﷺ به أمته من أمر، ونهي، وعظات وزواجر، ووعد، ووعيد، وغيرذلك أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظواْ لها، فاقتضي الحال أن ينادواْ بالأوكد الأبلغ، ثم تبعها بمجموعة من الأوامر (أفشوا، أطعموا، صلوا) حثاً، وترغيباً في هذه الخصال التي تحقق التواصل بين المسلمين فيما بينهم، والصلة بينهم، وبين ربهم، ثم يكون في الجنة اجتماعهم جزاءً من جنس العمل لمن أطاع نبيه، وقد بدأ بإفشاء السلام؛ لأنه ليس فيه كلفة فهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى عظيم الأثر

---

(١) قوله: (بالليل) لا يوجد عند الترمذي، وإنما عند ابن ماجه (١٣٣٤).

(٢) برقم (٢٤٨٥). إلا قوله: (بالليل). والسياق للمنذري في ترغيبه (٣٩٨٣). وقال الحاكم (١٣/٣): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وتقدم برقم (٨٤٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش و).

المترتب عليه، ثم عقب بالأمر بإطعام الطعام لمن يستطيع ثم قيام الليل ؛لأنه دأب الخواص، وقد أراد الرسول ﷺ أن تكون هذه الخصال ملأ الأسماع، والأبصار يتناقلها الركبان، وتصل إلى كل زمان، ومكان، لذلك صاغها بعبقرية تأخذ بالألباب فقد وردت العبارات مسجوعة دون تكلف مما جعل لها جرساً عذباً في السمع، وقبولا في النفس، وتمكناً في العقل، ثم الجناس اللطيف بين (أطعموا - الطعام) ثم الإرصاد بين السلام الذي أفشوه في أول الحديث، والسلام الذي دخلوا به الجنة في نهاية الحديث، وكأنه يريد أن يجعل منه نشيداً للصالحين في كل زمان، ومكان، محبة بينهم، وقربة لربهم، لذلك صدَّره بالنداء العام، ووصل أفعال الحديث كلها بواو الجماعة لتشملهم في مظلة الحكم يحيطهم السلام، ويفيض بينهم الطعام في صلة بينهم، ورضواناً من ربهم في صورة أقرب ما تكون إلى جنة تنتظرهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨٤٩).

الحديث رقم (١١٦٩)

١١٦٩- وعن أَبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ الُمحَرَّمُ، وَأفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبوهريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور معناه حول الترغيب في التطوع في الصيام، وفي الصلاة جاء في أسلوب خبري دون مؤكدات بدأه بلفظ أفعل التفضيل الذي يحقق التشويق رغبة في معرفة الفاضل، والمفضول، وما يتبعه من بيان سر الأفضلية، ومن المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن العبادات كلها فاضلة، لأنها تقرب من الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية صيام شهر محرم، وقوله (بعد رمضان)احتراس يخرج الفرض من جملة المفضول؛ لأن التطوع لا يفضل الفريضة حتى لا يظن أحد أنه أفضل من صيام شهر رمضان، ثم عاد بصيغة أفعل التفضيل ليقرر أفضلية الصلاة في الليل على كل صلاة في غيره، وقوله (إلا الفريضة) احتراس يخرج الفريضة من جملة المفضول؛ لأنها من الفاضل بحسب رتبتها وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ)[٢].

فقه الحديث

١- الصوم في شهر المحرم:

قال النووي: (قوله ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم" تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم)[٣].

---

(١) برقم (١١٦٣/٢٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٨٩٥، و١٥٠٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٥٤).

(٢) رياض الصالحين جزء من الحديث (٣٩١).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٤/٨/٤ .

وقال النووي كذلك: (وقولها [أي عائشة]: كان يصوم شعبان كله، كان يصومه إلا قليلاً)[1] فكيف أَكْثَر من الصيام في شعبان دون المحرم؟ فالجواب: لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه.

أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما. قال العلماء: وإنما لم يستكمل غير رمضان لئلا يظن وجوبه[2].

٢- صلاة الليل: قال النووي: (قوله ﷺ: "وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار. وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل؛ لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الصيام والصلاة بعد الفريضة.

ثانيًا: من فقه الداعي: بيان أفضل العبادات للمدعوين وحثهم على ذلك.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الصيام والصلاة بعد الفريضة:

جاء في صريح الحديث بيان أفضل الصيام بعد رمضان، وأفضل الصلاة بعد الصلوات المكتوبات، فقال ﷺ: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، وهذا تصريح بأن شهر المحرم أفضل الشهور للصوم بعد رمضان[4]، ودليل لما اتفق عليه العلماء من أن تطوع الليل أفضل من تطوع

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٩، ١٩٧٠، ومسلم ١١٥٦، ١٧٦ وهذا لفظه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٠/٨/٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٥/٨/٤ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٦٥.

النهار[١]، لأنه وقت الخشوع والسكون والخضوع، مع ما فيه من البعد عن الرياء[٢].

قال القرطبي: "وقوله: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم)، هذا إنما كان - والله تعالى أعلم - من أجل أن المحرم أول السنة المستأنفة التي لم يجيء بَعْدُ رمضانُها، فكان استفتاحُها بالصوم الذي هو من أفضل الأعمال، والذي أخبر عنه ﷺ بأنه ضياء، فإذا استفتح سَنَتَه بالضياء مشى فيه بقيتها"[٣].

"وفضل صلاة الليل لما فيها من السكون والخشوع والبعد عن الرياء، وقوة المقاومة وشدتها"[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾[٥].

وفي ذلك بيان من الله تبارك وتعالى لفضل صلاة الليل على صلاة النهار وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب، وقوله: (إن ناشئة الليل) أي: أوقاته وساعاته (أشد وطئا) أي أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات، وقال ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه أي: يواطئ السمع القلب، قال الله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[٦]، أي ليوافقوا، وقيل: المعنى أشد مهادًا للتصرف في التفكر والتدبر، وقيل: أشد وطئًا أي أشد ثباتًا من النهار، فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأنفى لما يلهي ويشغل القلب.

وقوله: (وأقوم قيلا) أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي أشد استقامة واستمرارًا على الصواب، لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه، وقال قتادة ومجاهد: أي: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، وقال أبو علي

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٢٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٣.

(٣) المفهم ٢٣٥/٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٥.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(أقوم قيلا) أي أشد استقامة لفراغ البال بالليل، وقيل: أي أعجل إجابة للدعاء"[١].

وقال القاسمي: "(إن ناشئة الليل) أي نشأته وطبيعة خَلْقِه ومَظْهَره (هي أشد وطئا) أي موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال (وأقوم قيلا) أي أسدّ مقالاً وأصوبه.

ونقل السيوطي عن الجاحظ قال: ناشئة الليل هي المعاني المستنبطة من القرآن بالليل أشد وطأً أي أبين أثرًا وأقوم قيلا، أي أصح مما تخرجه الأفكار بالنهار لخلو السمع والبصر عن الاشتغال"[٢].

ثانيًا - من فقه الداعي: بيان أفضل العبادات للمدعوين وحثهم على ذلك:

ما من شك أن الأعمال تتفاوت في الأجر والفضل، وأن منها الفاضل ومنها ما هو الأفضل، لذا كان من فقه الداعية دلالة مدعويه على الأفضل لتحصيلهم على مزيد الفضل وجزيل الثواب، وليكن قدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان دائمًا يتطلع لأمته دائمًا بالأحسن والأفضل، وكما هو واضح في الحديث من دلالته ﷺ على أفضل النوافل من الصيام والصلاة، فقال: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، فرسول الله ﷺ دائمًا ما يريد أن يغرس في نفوس الأمة التطلع على أعظم الأجر وأفضل الأعمال، والاهتمام بالأهم دائمًا وتقديمه على المهم، وإن ذلك لمن فقه الداعية، فإذا ما نفذه الداعية وسار على نهج رسول الله ﷺ كان من الدعاة المرموقين الذين لهم في مجال الإصلاح أثر، وفي ميدان الدعوة تغيير[٣].

إن مما ينبغي عى الدعاة أن يبينوا لنا ثواب الأعمال وتفاضلها واغتنام الأوقات والأماكن التي تزيد من مزية الأعمال وترفع من درجات صاحبها.

إن الله عز وجل جعل لعباده مواسم تضاعف فيها أجور الأعمال، كرمضان وأيام العشر من ذي الحجة، وأخرى تكون إجابة الدعوة فيها من غيرها، كثلث الليل الآخر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/١٩/٤٠ -٤١.

(٢) محاسن التأويل ٩/١٦/٣٢٠.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٤٦ - ٥٣.

من كل يوم، وعند الفطر بالنسبة للصائم وليلة القدر في رمضان وغير ذلك.

هذا على صعيد الأعمال التعبدية، أما على الصعيد الدنيوي وسعي الإنسان فيها لإصلاح معاشه، فقد جعل الله التبكير في أداء الأعمال من أسباب النجاح والفلاح، فجاء عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِهَا))[1]، فعلى المسلم أن يحرص على التعرض لهذه المواسم والاستزادة منها بما يصلح له دينه ودنياه"[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ظاهرًا بينًا، حيث رغّب النبي ﷺ في صيام المحرم وصلاة الليل ببيانه أنهما أفضل الصيام بعد رمضان، فقال: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب الخير والسعي في الحصول عليه، لذا فإن أسلوب الترغيب فيه بيان الأفضل والتشويق إلى ما عند الله من أجر عظيم تهفو إليه النفس البشرية وتسعد به وتنصت له[3]، ولما كان للترغيب من تأثير بالغ في النفوس، أكثر القرآن من استعماله في حض الناس على العبادة والعمل الصالح، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

إن طبيعة الحياة أن يكون فيها الخير والشر، وطبيعة البشر أن يكون منهم الأخيار والأشرار، وإذا تصارع الخير والشر امتلأت الحياة بالحركة والنشاط والعمل والأمل والسعادة والشقوة والتسابق والتنافس، فتتضح المعالم وتدور عجلة الحياة إما إلى حضارة واثبة وإما إلى تخلف قاعد، وإذا عاش الأخيار بجانب الأشرار تبين الرشد من الغي،

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٢) إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ط/٢ مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

والمصلح من المفسد، وقد وهب الله الإنسان عقلاً يميز به الخبيث من الطيب، فلا عذر له إن اتبع غير الهدى سبيلاً ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾(١)، وصراع الحياة واختلاف الطباع، يوجب أن يكون للخير ثواب وللشر عقاب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٢)، وهذا عدل الله، ولا يظلم ربك أحدًا، والقرآن الكريم يوضح الطريق، ويحكم العقل ويبرز النتيجة، حتى إذا أقدم الإنسان على عمل كان أعلم بعاقبته، وقد أعذر من أنذر، وسبحان من يقول وقوله الحق: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٣).

ومن آيات الترغيب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٤).

فما أكرم هذا الجزاء، وما أعدل هذا الحكم، إيمان سليم وعمل صالح، لا يكلف المؤمن عناءً ولا يقتضيه نصبًا وجنة لا حدود لنعيمها ومن دخلها فهو خالد فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥).

فالتوبة الخالصة تمحو السيئات وتدخل الجنات، يسير موكب الرسول ﷺ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧ - ١١٠.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

والمؤمنون في هالة من نور ووجوههم تشع بالفرحة وإذا تميز وجه المؤمن في الدنيا بنور الإيمان لا تخطئه عين، فكيف به يوم الجزاء الأوفى؟"[1].

---

(١) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ص ١٥٣ - ١٥٥.

الحديث رقم (١١٧٠)

١١٧٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنين اثنين[2].

الشرح الأدبي

الحديث بيان لكيفية صلاة التطوع في الليل، قوله (صلاة الليل مثنى مثنى) أي صلوا في الليل ركعتين ركعتين، وتكرار مَثْنَى للتَأْكِيد وَالْمَقْصُود أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَهَا كَذَلِكَ فَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الأَمْرِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ رَكْعَتَيْنِ مِنْهَا صَلاةً وَلا تَكُونُ صَلاةً إِلاَّ بِأَنْ يَفْصِلُهَا عَمَّا بَعْدَهَا بِالسَّلامِ بأن يصلي ركعتين ثم يسلم ثم يصلي ركعتين حتى يصلي ما شاء على هذه الهيئة، ثم يوتر أي يصلي ركعة منفردة.

فقه الحديث

١- قال النووي: (قوله صلى الله عليه وسلم: "صلاة الليل مثنى مثنى" هكذا هو في صحيح البخاري ومسلم، وروى أبو داود والترمذي بالإسناد الصحيح: ((صلاة الليل والنهار مثنى مثنى))[3] هذا الحديث محمول على بيان التسليم، وهو أن يسلّم من كل ركعتين وسواء نوافل الليل والنهار، يستحبّ أن يسلّم من كل ركعتين، فلو جمع ركعات بتسليمة أو تطوّع بركعة واحدة جاز عندنا)[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٧)، ومسلم (٧٤٩/١٤٧) واللفظ له

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٥٦.

(٣) أخرجه أبو دود ١٢٩٥، والترمذي ٥٩٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦/٣ دار الكتب العلمية، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٧٨-٤٨٠ .

وقال النووي في المجموع: (فرع: في مذاهب العلماء في ذلك: قد ذكرنا أنه يجوز عندنا أن يجمع ركعات كثيرة من النوافل المطلقة بتسليمة، وأن الأفضل في صلاة الليل والنهار أن يسلّم من كل ركعتين، وبهذا قال مالك وأحمد وداود وابن المنذر. وحكى عن الحسن البصري وسعيد بن جبير. وقال أبو حنيفة: التسليم من ركعتين أو أربع في صلاة النهار سواء في الفضيلة، ولا يزيد على ذلك. وصلاة الليل ركعتان وأربع وست وثمان بتسليمة ولا يزيد على ثمان. وكان ابن عمر يصلّي بالنهار أربعًا، واختاره إسحاق)[1].

٢- قال النووي: (قوله ﷺ: "فإذا خشي أحدكم الصبح صلّى ركعات توتر له ما قد صلّى" وفي الحديث الآخر ((أوتروا قبل الصبح))[2] دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل، وعلى أن وقته يخرج بطلوع الفجر وهو المشهور من مذهبنا، وبه قال جمهور العلماء. وقيل يمتد بعد الفجر حتى يصلي الفرض)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من فقه الداعية: الموازنة ومراعاة الأولويات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل والوتر.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

إن من صفات الداعية الملازمة له والممزوجة بشخصيته الإيضاح والتبيين وهذا ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من توضيح الحق وتبيينه[4]، ومن ذلك ما ورد في الحديثين من تبيينه ﷺ لصلاة الليل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، وعنه رضي الله عنه يخبر عن النبي ﷺ:

---

(١) المجموع ٣/٣٧٥ .

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٤، ١٦١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٢٧ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٠-٤٨١ .

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

كان النبي ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة)، قال النووي: "وهذا دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل"(١).

لقد أخذ الله على العلماء تبيين الحق وتوضيحه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٢)، وفي هذه الآية دليل على أنه مأخوذ من العلماء أن يبينوا الحق للناس، وما علموه وأن لا يكتموا منه شيء لغرض فاسد، من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية، مما لا دليل عليه ولا أمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيرهم(٣)، ولقد حذر النبي ﷺ من كتم العلم فقال ﷺ: ((مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عَنْ أَهْلِهِ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَامًا مِنْ نَارٍ))(٤).

وقد ذم الله فعل أهل الكتاب من قبل ناهيًا علماء المسلمين أن يحذوا حذوهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٥)، أي: وإذا أخذ الله الميثاق على علماء اليهود والنصارى، لتظهرن جميع الأحكام والأخبار ونهاهم عن الكتمان بعد الأمر بالبيان مبالغة في إيجاب المأمور به، فطرحوا الميثاق وراء ظهورهم ولم يراعوه، ونبذ الشيء وراء الظهر مثلٌ في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية، كما أن جعله نصب العين عَلَمٌ في كمال العناية به، (واشتروا به ثمنًا قليلاً)، أي: استبدلوا به ثمنًا قليلاً أي شيئًا حقيرًا من طعام الدنيا.

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات، وغير ذلك مما يجب إظهاره - وإن المراد بذلك

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٣.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.
(٣) الكشاف، الزمخشري ص ٢١٠.
(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٥٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٦).
(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

إذا لم يؤد إلى مفسدة - ويدخل في الكتم منع الكتب المنطوية على علم الدين حيث تعذر الأخذ إلا منها"[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: الموازنة ومراعاة الأولويات:

يتضح لنا ذلك في الحديث في بيان سنته ﷺ لكيفية صلاة الوتر من التسليم لكل ركعتين وجعل الوتر آخر الليل وغير ذلك لكن مع بيان فضل صلاة الليل إذا خشي الإنسان طلوع الفجر يقطع صلاة الليل ويختم بالوتر وذلك استعدادًا لأداء الفريضة - صلاة الصبح - فيقول ﷺ: صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، فيحسن بالداعية أن يراعي الموازنة بين الأمور والأحكام وأن يراعي فقه الأولويات بأن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، فينبغي على الداعية أن يعنى بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك متأسيًا برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فقال له: ((إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلهَ إلاّ الله وأَنِّى رَسُولُ الله، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فأَعْلِمْهُم أن الله افترَضَ عَلَيْهِم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، فإن هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فأَعْلِمْهُمْ أنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقَةً في أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وتُرَدُّ على فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فإيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ. واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الله حِجَابٌ))[٢]"[٣].

ولقد بيّن النبي ﷺ ووضح الأولويات في حديثه الذي ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٢/٤/٣١٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١١٩ - ١٢٠.

اللَّه، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ))(١).

إن الداعية الحكيم هو الذي يراعي الأولويات من جهة ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى، روي عن شقيق قال: ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه نَنْتَظِرُهُ. فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ. فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا. فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ. فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ. فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ. مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))(٢).

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة، فإنه كان يركّز في دعوته - وخاصة مع المدعوين الجدد - على العناية بترتيب الأولويات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم عن شَيْءٍ، فكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يأتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ، فَيَسْأَلَهُ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فقال: يا محمدُ، أتانَا رَسُولُك، فَزَعَمَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الله أَرْسَلَكَ، قالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قال: «اللَّهُ»، قال: فمنْ خَلَقَ الأرضَ؟ قال: «اللَّهُ»، قال: فَمَنْ نَصَبَ هذِهِ الجِبَالَ؟ فقال: «اللَّهُ»، قال: فمنْ جَعَلَ فيها هذِهِ المَنَافعَ؟ قال: «اللَّهُ»، قال: فبالّذي خلق السماءَ وَالأرضَ، وَنَصَبَ الجِبَالَ وجعل فيها هذه المَنافِعِ، آللَّهَ أرْسَلَكَ؟ قالَ: «نَعَمْ». قال: زَعَمَ رَسولُكَ أنَّ عَلَيْنا خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قال: «صدَقَ». قال: فَبالّذي أرسَلَكَ، آللَّهَ أَمَرَكَ بِهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: زَعَمَ رسولُكَ أَنْ علينا صدقةً في أموالنا، قال: «صدق». قال: فبالذي أَرْسَلَكَ آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: زعَمَ رسولُكَ أنَّ علينا صومَ شهرٍ في سنتنا. قال: «صَدَقَ»، قال: فبالذي أرسلك، آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: زَعَمَ رسُولُك أنَّ عَلَيْنا حَجَّ البَيْتِ مَن اسْتطَاعَ إِلَيْهِ سبيلا، قال: «صَدَقَ»، قال: فبالذي أرسلَكَ، آللَّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: وَالذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أزيدُ عليهنَّ، ولا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ

---

(١) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٨ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

شَيْئًا. فلما قَفَّى، قال رَسُولُ اللَّهِ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ))[(١)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل والوتر:

شاء الله تعالى أن يجعل محمدًا ﷺ قدوة للمسلمين في كل عمل ولذا بعثه سبحانه معلمًا ومربيًا وقدوة لنا وأمرنا بالاقتداء به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٢)]، ومن ذلك ما ورد في الحديثين من الاقتداء به ﷺ في كيفية صلاة الليل والوتر، فقال ﷺ: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، كما أنه ﷺ كان يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة، كما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث الثاني؛ فيقتدى به ﷺ بالفصل بين كل ركعتين، وتأخير الوتر لمن طمع أن يقوم آخر الليل"[(٣)].

إن القدوة الحسنةَ سبيلُ للانضباط السلوكي والتجافي والبعد عن الوقوع في الزلل، ولقد وجه القرآن المسلمين إلى الاقتداء بأهل التقوى والصلاح، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ...﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾[(٥)].

إن على المرء أن يقتدي برسول الله ﷺ ولا يبالي بما يأتيه من نقد على ذلك، دَافِعُه حبُّ رسول الله ﷺ والرغبة في المثوبة.

روي عن أبي عون قال: سمعت جابر بن سمرة قال عمر لسعد: ((قَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ، وَمَا

(١) أخرجه مسلم ١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٦٤/٢.

(٤) سورة الأنعام، ية: ٩٠.

(٥) سورة الممتحنة، آية: ٤.

آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ذَاكَ ظَنِّي بِكَ))[1].

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ((دَعَا أَخَاهُ عُبَيْدَ اللَّهِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى طَعَامٍ قَالَ إِنِّي صَائِمٌ. قَالَ إِنَّكُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِكُمْ قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا بِحِلاَبٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَشَرِبَ". وَقَالَ يَحْيَى مَرَّةً: "أَهْلُ بَيْتٍ يُقْتَدَى بِكُمْ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٧٠، ومسلم ١٥٩.

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٤٦، رقم ٣٢٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٥/٢٩١.

الحديث رقم (١١٧١)

١١٧١- وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ.متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنين اثنين[٢].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابق، ولفظه مع اختلاف من عدة وجوه أولها أن هذا الحديث جاء في صورة الخبر عن رسول الله ﷺ فيتلقاه المؤمنون من جهة المحبة لرسول الله ﷺ ومتابعته في سنته، وفي الحديث السابق جاء قوله (صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى) يحتمل أن يكون خبرا لفظا، وإنشاء معنى على سبيل الأمر أي: صلوا في الليل، فيتلقاه الناس من جهة الأمر النبوي على اعتباره من هديه ﷺ، وقوله (يصلي) فعل في صيغة المضارع يفيد التجدد، والاستمرار مع كل ليلة، وقوله من الليل أي في بعض الليل، والحديث مع بيانه لكيفية صلاة النبي ﷺ بالليل فيه حث، وترغيب لاتباع سنته عملا بمقتضى المتابعة، والمحبة.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩/١٥٧، كتاب صلاة المسافرين، باب ٢٠) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (١١٠٨).

(٢) الوسيط في (ث ن ي).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٠٨).

الحديث رقم (١١٧٢)

١١٧٢- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّيًا إلاَّ رَأيْتَهُ، وَلاَ نَائِمًا إلاَّ رَأيْتَهُ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول عبادة النبي، واجتهاده في طاعة الله تعالى قام على الطباق مع أسلوب القصر فقد طابق بين قوله يفطر، ويصوم دلالة على العبادة مع الرفق الذي يشير إلى الوسطية، وعدم التكلف في إتيان النوافل، كما طابق بين الفعلين المنفيين (لا يصوم، ولا يفطر) فأكد المعنى السابق، ودل على تقلّبه بين الراحة، والطاعة، وبين متعة العبادة، ومتعة الراحة حتى لا تنقطع النفس عن العمل، أو يصيبها الملل، وتنكير (شيئا) للتقليل مبالغة في بيان تماديه على هذه الحال، وأسلوب القصر، لقصر الرغبة في رؤية النبي مصليا على التحقق لهذه الرؤية، والمقصود بالصلاة النافلة؛ لأن الأمر فيها قائم على الاختيار بعكس الفريضة، ولأنه قابل الصلاة بالنوم مما يدل على أنها من قيام الليل، وقصر معنى الرغبة في رؤيته نائما على تحققها أيضا، وهو يؤكد المعنى السابق في تقلب الرسول ﷺ بين العبادة، والراحة، بين الصيام، والفطر، وبين الصلاة، والنوم مما يشير إلى أخذ النفس بالتطوع وقت إقبالها.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (إن حاله [أي حال النبي ﷺ] في التطوع بالصيام والقيام كان يختلف، فكان تارة يقوم من أول الليل وتارة في وسطه وتارة في آخره، كما كان

---

(١) برقم (١١٤١).

يصوم تارة من أول الشهر وتارة من وسطه وتارة من آخره، فكان من أراد أن يراه في وقت من أوقات الليل قائمًا أو في وقت من أوقات الشهر صائمًا فراقبه المرة بعد المرة فلا بدّ أن يصادفه قام أو صام على وفق ما أراد أن يراه. هذا معنى الخبر. وليس المراد أنه كان يسرد الصوم ولا أنه كان يستوعب الليل قيامًا. ولا يشكل على هذا قول عائشة رضي الله عنها في الباب قبله ((وكان إذا صلّى صلاة داوم عليها))[1] وقولها في الرواية الأخرى الآتية بعد أبواب ((كان عمله ديمَةً))[2] لأن المراد بذلك ما اتخذه راتبًا لا مطلق النافلة، فهذا وجه الجمع بين الحديثين وإلا فظاهرهما التعارض، والله أعلم... وفي حديثي الباب[3] استحباب التنفل بالصوم في كل شهر، وأن صوم النفل المطلق لا يختص بزمان إلا ما نهى عنه. وأنه ﷺ لم يصم الدهر ولا قام الليل كله. وكأنه ترك ذلك؛ لئلا يقتدى به فيشق على الأمة، وإن كان قد أعطى من القوّة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه، لكنه سلك في العبادة الطريقة الوسطى، فصام وأفطر وقام ونام. أشار إلى ذلك المهلب[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صيام التطوع والإكثار من صلاة النافلة.

ثانيًا: من خصائص الإسلام: الوسطية واليسر وعدم الغلو.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة بالمسلمين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على صيام التطوع والإكثار من صلاة النافلة:

جاء في الحديث بيان تطوعه ﷺ وتنفله في الصيام والصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أنه لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أنه لا يفطر منه شيئا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته ولا نائمًا إلا رأيته)، وفعله ﷺ حثٌ على صيام التطوع والإكثار من صلاة الليل لما لهما من فضل،

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٧٠ وهذا لفظه، ومسلم ٧٨٢، ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٨٧، ومسلم ٧٨٣، ٢١٧.

(٣) هما حديث ابن عباس عند البخاري ١٩٧١، وحديث أنس عند البخاري ١٩٧٢، ١٩٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢١٦-٢١٧ .

فقد عدهما الله ممن وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾(٢).

قال مجاهد وغيره: "نزلت في الصُّوام من ترك لله طعامه وشرابه وشهواته عوّضه الله طعامًا وشرابًا لا ينفدُ وأزواجًا لا تموت"(٣)، أما عن القيام فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾(٤)، وجعل من صفات المؤمنين قيام الليل فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾(٥).

يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة(٦)، وذلك من صفات المؤمنين، إنهم يبتعدون عن الفراش الوثير ويهرعون إلى الصلاة يدعون ربهم خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.

إن القيام بالليل والتهجد فيه لون من العبادة عالٍ وتوفيق من الله كبير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد ورد فيه مع هذه الآيات، آيات وأحاديث كثيرة كلها تهدف إلى بيان فضله وجزيل مثوبته، ومن ذلك ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُني

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) الحاقة، الآية: ٢٤.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٦٣.

الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: ((قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[1] حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[2] ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الاسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ. ثمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّه قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: ((كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)). فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ((ثَكِلَتْكَ أمّك يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[3].

إن هؤلاء المؤمنين الذين قاموا الليل، والناس نيام قد أخفوا أعمالهم، وطهروا نفوسهم من الرياء والنفاق لهم جزاء من جنس أعمالهم فلا تعلم نفس عظمة ما أخفي لهم، وأعد في الجنات من النعيم المقيم والثواب الجزيل على سبيل التفضيل، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله ثوابها جزاءا وفاقًا، قال الحسن البصري: "أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر"، روي عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((يقولُ اللّهُ تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطَرَ على قلبِ بشر، ذُخرًا من بَلْهِ ما أُطلِعْتُم عليه. ثم قرأ ﴿فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعينٍ جَزاءً بما كانوا يعلمون﴾))[4][5].

"أولئك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، وهم الذين

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٨٠.

يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، ولا غرابة فالعبد يعمل سرًا أسره إلى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين، ولعل التقييد بقوله: (عن المضاجع) لمزيد مدحهم وبيان قوة إيمانهم، لأن المضجع إذا كان مفروشًا كان النوم فيه ألذ، والنفس إليه أميل، فإذا هجره المؤمن والحالة هذه لأجل الصلاة، ومناجاة ربه كان ذلك أمدح له وأدل على كمال يقينه"[١].

ولقد كان رسول الله ﷺ - كما جاء في الحديث - أحرص ما يكون على قيام الليل مع ما غفر له من ذنب، ورفع له من درجة. قال ابن القيم: "فإن قيام الليل في حقه ﷺ زيادة في درجاته وفي أجره، وفي حق غيره مباح ومكفر للسيئات وأما النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو يعمل في زيادة الدرجات وعلو المراتب وغيره في التكفير، قال مجاهد: فكانت طاعته ﷺ نافلة له أي زيادة في الثواب ولغيره كفارة لذنوبه"[٢].

ثانيًا - من خصائص الإسلام: الوسطية واليسر وعدم الغلو:

يلاحظ ذلك في الحديث في جمعه ﷺ في التطوع بين الصيام والإفطار وبين الصلاة والنوم: (كان ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته)، قال ابن حجر: "أي: أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتًا معينًا بل بحسب ما تيسر له القيام"[٣]، وقال ابن علان: "وهذه الطريقة المشار إليها بحديث أنس رضي الله عنه أعلى طبقات العبادة وأسناها، وهناك طرائق أخر، فمنهم من شدد على نفسه بالمرة فمنعها حقها وحظها، ومنهم من أعطاها كليهما، وخير الأمور أوسطها إعطاؤها حقها وحظها واستعمالها في خدمة ربها"[٤]، فهذا الحديث وأمثاله يرسم لنا

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢١/٦٣ - ٦٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٢/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٢٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

منهج الوسطية في العبادة[١].

وقد جاءت النصوص الكثيرة التي ترشد إلى التوسط في العبادة والتجافي عن التغالي، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[٢]، قال ابن كثير: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن أي: من غير تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة"[٣]، وقال القرطبي في قوله: (فتاب عليكم)، أي: فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم، وأصل التوبة الرجوع، فالمعنى: رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف ومن عسر إلى يسر"[٤].

"فبعد أن كان قيام الليل واجبًا انتقل الأمر من الواجب إلى المباح، فلقد خفف الله عن الأمة الإسلامية حيث اتسع العدد وأصبح فيها المريض وذو الحاجة والمسافر والمقاتل، وهؤلاء بلا شك لا يطيقون القيام فجعله مندوبًا، من شاء فعله فاستحق ثوابه، ومن شاء ترك هذا الفضل الكبير والله هو العالم بكل شيء.

إن ربك يعلم أنك قمت وامتثلت أمر ربك أنت وطائفة من قومك. قمتم أدنى من ثلثي الليل، وقمتم نصفه، وقمتم ثلثه، وكان معك صحبك والمراد بالعلم أن الله سبحانه سيجازيك على ذلك أحسن الجزاء.

والله وحده هو الذي يقدر الليل والنهار، وهو الذي يعلم المصلحة، وقد علم أن المدة السابقة كافية للتربية الإسلامية، وقد جاء معكم أناس لا يستطيعون ذلك العمل، فالله علم أنكم كجماعة لن تطيقوا قيام الليل على سبيل الواجب أما كأفراد فمنكم من يقدر وأكثركم لا يقدر، والأحكام الشرعية تبنى على الأعم الأغلب.

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٦١.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٨١/٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٥/٧/٤.

فالله قد رجع عليكم بالتيسير والتخفيف منذ رجعتم إليه بالشكوى والدعاء، فاقرءوا ما تيسر من القرآن في قيام الليل أو في الصلاة في ساعة من ساعات الليل. علم الله أن الحال والشأن سيكون منكم مرضى ضعاف، لا يستطيعون قيام الليل، وآخرون منكم مسافرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله بالتجارة والسعي على تحصيل الرزق من طريق الحلال وآخرون يقاتلون في سبيل الله، هؤلاء لا يستطيعون قيام الليل، فالله خفف عنكم فاقرءوا ما تيسر منه"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرحمة بالمسلمين:

إن توسط النبي ﷺ في العبادة كما جاء في الحديث يعطينا دلالة قوية على ما ينبغي أن يتصف به الداعية من التزام صفة الرحمة والتيسير على المسلمين، وذلك مما يساعد الدعاة على ترغيب المدعوين وتبشيرهم ومعالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير، وقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

أي: ما جعل عليكم في الدين من حرج ومشقة في جميع أمور الدين من ضيق بتكليف ما يشق القيام به"[٤]، "إن من مميزات التشريع الإسلامي رفع الحرج وهذا ظاهر للمتبع لأحكام الشريعة الإسلامية، فرفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة، ومن مظاهره:

أ/ اعتبار المرض والسفر والإكراه والخطأ والنسيان أعذارًا لتخفيف الأحكام وتشريع الرخص. والقاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) بنيت على أصل رفع الحرج دفعًا للمشاق والضيق عن أصحاب الأعذار والضرورات.

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١٢٢/٢٩/٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٦٨/١٢/٧ بتصرف.

ب/ قلة التكاليف في الشريعة: فالتشريع الإلهي في هذا العصر لم يأت بتكاليف كثيرة ترهق المكلفين لأن في الإرهاق حرجًا وضيقًا، والحرج مرفوع كما قدمنا. كما أن المقصود من التكاليف إيصال المكلف إلى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة فلا يأتي التشريع إلا بالقدر اللازم الذي تطيقه الطبيعة البشرية. ومما يدل على أن رغبة الشارع تقليل التكاليف ما أمكن التقليل ما جاء في السنة من أحاديث"[1] منها:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطَبَنا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا أيُّها النَّاسُ ! قد فُرِضَ عليكم الحَجُّ فحُجُّوا)) فقال رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله ؟ فسكَتَ حتى قالَها ثلاثًا. فقال: ((لو قلتُ: نعم لوَجَبَتْ ولما استَطَعتُم))، ثمَّ قال: ((ذَروني ما تركتُكم، فإنما هَلَكَ منْ كانَ قبلَكم بكثرةِ سؤالهم، واختلافِهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأْتوا منهُ ما استَطَعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدَعُوه))[2].

"إن سماحة الداعية ولينه ورحمته وسهولة معشره ودعوته إلى بيان مقاصد الإسلام من رفع للحرج والتيسير على الناس تفتح مغاليق القلوب وتنفذ به إلى أعماق النفوس يلامسها بالهداية فتقبل ويدعوها إلى الخير فتستجيب"[3].

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان ص ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥ - ٧٦.

الحديث رقم (١١٧٣)

١١٧٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً – (تَعْنِي فِي اللَّيلِ) [(١)]– يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ حَتَّى يَأتِيَهُ المُنَادِي للصَلاَةِ. رواه البخاري[(٢)].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يدور الحديث حول عمل الرسول ﷺ في ليله بدأ بأسلوب خبري دون مؤكدات لأنه يتناول فضائل العمال، وهي لا تقابل بشك أو اعتراض غالبا، وتعبير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بـ(كان) عن صلاة الرسول ﷺ في الليل، وعددها المحدد يشير إلى أنها عادة غالبة في قيامه أن يصلي هذا العدد، وقولها (يصلي) يحدد نوع هذه العبادة، وقولها (إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) يحدد عدد هذه النوافل، وهذا العدد يؤكد أن المقصود صلاة الليل؛ لأنه ليس هناك ركعة منفردة إلا في صلاة الليل، وهي الوتر، وقد نص عليه الراوي بقوله (تعني في الليل) وقولها (يسجد سجدة) جناس يؤكد المعنى المقصود، وقولها (قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ) أي كقدر تشبيه لتقريب المدى الزمني الذي تستغرقه سجدة الرسول ﷺ وهو يشير إلى طول سجوده في صلاة القيام، وقولها (ويركع ركعتين) جناس يؤكد صلاة الركعتين، والتعبير بالركوع عن الصلاة من المجاز بالتعبير عن الكل بجزئه تنبيها على معنى فيه، وهو دلالته على الخضوع، والذل الذي يثني قامة الشامخ المتكبر، والظرف قبل المضاف لصلاة الفجر

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وعند مسلم زيادة: (كانت تلك صلاته).

(٢) برقم (١١٢٣).

يقرر أن المقصود سنة الفجر(ثم يضطجع على شقه الأيمن) وهو ما يسمح لجسمه بقدر من الراحة تعينه على أداء الفريضة.

فقه الحديث

١- بوّب البخاري على هذا الحديث في صحيحه: باب طول السجود في قيام الليل[١]، قال ابن حجر: (أورد فيه حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: "كان يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية" وهو دالٌّ على ما ترجم له)[٢].

٢- استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن. وقد تقدم في الباب ١٩٨، الأحاديث ١١١٢-١١١٤[٣].

٣- قولها: "حتى يأتيه المنادي للصلاة" دليل على استحباب اتخاذ مؤذن راتب للمسجد، وفيه جواز إعلام المؤذن الإمام بحضور الصلاة، وإقامتها واستدعائه لها)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإطالة في السجود والدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الإطالة في السجود والدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

جاء في الحديث بيان مدى إحسان رسول الله ﷺ للصلاة وإطالة السجود والقراءة في قيام الليل، فعن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة - يعني في الليل - يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسهُ.."، وقد أرشد النبي ﷺ إلى إطالة السجود والإكثار فيه من الدعاء[٥]،

---

(١) الحديث ١١٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٨ .

(٣) وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٧-١٨ .

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٨ .

(٥) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي القحطاني ص ١٠٠٩.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))[1]، فالصلاة روضة من رياض العبادات، فيها من كل زوج بهيج، قرآن وذكر ودعاء وتسبيح وتكبير، ولهذا كانت أفضل العبادات بعد التوحيد[2].

كما ينبغي ألا تقف الصلاة عند مجرد الحركات والأقوال وإطالتها، بل لا بد من تزيينها وتجميلها وإتمامها بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، فإن الخشوع من أعظم المؤهلات وأكبر المسببات في فلاح العبد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3]، ولنصغي آذاننا لتلك النصائح الغالية من ابن الجوزي وهو يرشدنا إلى خطوات عملية لكيفية تحصيل الخشوع والخضوع لله رب العالمين فيقول: "ينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن، فليمثل النداء للقيامة، ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر؟ وإذا ستر عورته، فيعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه، وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق، وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم والحياء والخوف. وإذا استقبل القبلة، فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

إذا كبّرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبُك لسانَك، لأنه لو كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر، بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٦٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي ملجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامُك لغوًا. وتفهم معنى ما تتلو، وأحضر التفهم بقلبك عند قولك: (الحمد لله رب العالمين)، واستحضر لطفه عند قولك: (الرحمن الرحيم)، وعظمته عند قولك: (مالك يوم الدين)، وكذلك في جميع ما تتلو. واستشعر في ركوعك التواضع... وفي سجودك الذل. لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه. وتفهم معنى الأذكار بالذوق. واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط، سبب لجلاء القلب من الصدأ وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره، وما يعقلها إلا العالمون. فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها فإنه لا يطلع على شيء من ذلك، بل ينكر وجوده"[(١)].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

نرى ذلك واضحًا في مدى تواضع رسول الله ﷺ وتذلله لربه وذلك في تطوعه لله بالليل وإطالته السجود تواضعًا وتقربًا إلى الله تعالى وانشغالاً بدعائه: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه)، وذلك من الأخلاق التي ينبغي أن تغرس في نفوس الدعاة، فإذا رزق الداعية الإخلاص في دعوته كان متواضعًا لله تعالى ولعباد الله المؤمنين، وللتواضع دور بارز في الدعوة فبقدر ما يلين الداعية جانبه يألفه الناس ويحبون دعوته، أما إن تعالى الداعية وتكبر على مَنْ حوله فإذا الناس تنفر منه وتنفض الجموع من حوله[(٢)]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[(٣)]، والتواضع بهذا المعنى ينافي الذلة والمهانة، فإن الله سبحانه وتعالى يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة[(٤)].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٢٤٥.

إن التواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وبيّن أن ذلك من أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]"[3].

والتواضع في الحقيقة هو إلانة الجانب مع عزة في النفس وإباء للضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء.

والتواضع يمكّن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع من جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والغني والفقير، والضعيف والقوي، ومع العالم والجاهل وكل أصناف المجتمع.

فمن التواضع: طيب الحديث، والتبسّم في وجه الناس، والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم، وتهدئة روعهم إذا فزعوا"[4].

"ولقد كان نبي الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة قمة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبه وحسبنا أن الله تعالى خيّره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا"[5].

وكان ﷺ كثيرًا ما يعظ قومه ويقول: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[6].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

(٤) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ص ٨١ – ٨٢.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ٣٠١/٣.

(٦) أخرجه مسلم ٩١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل:

لقد أرشدنا الحق سبحانه وتعالى إلى الاقتداء برسول الله ﷺ واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه[١]، يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٣]، ومن ذلك ما ورد في الحديث عن حاله ﷺ في قيام الليل: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه)، وذلك بيان لكيفية قيامه بها ولاستحباب إطالتها ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر - أي سنته القبلية[٤]، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة، قال ابن القيم: "وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر، وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر فإذا نام الرجل على الجنب الأيسر استثقل نومًا لأنه يكون في دعة واستراحة، فيثقل نومه، فإذا نام على شقه الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلب القلب وطلبه مستقره وميله إليه، ولذا فإن صاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل"[٥].

"إن من تمام الإيمان وكمال الإحسان أن يقتدي المسلم ويتأسى برسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا بحيث يجرد العبد متابعته لرسول الله ﷺ ويكتفي بالتلقي والأخذ عنه والعمل بما جاء عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٦]، فلا اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي أو سياسي.. إلخ إلا عن طريقه، وعلى وفق ما جاء به من

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢١/١ - ٣٢٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

أحكام وتعاليم في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، بحيث تكون شريعته هي المهيمنة والرائدة"[1].

قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2]: "وهو دليل على أن من لم يكن الرسول ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمورًا منها أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له على نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها"[3].

---

(١) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، بحث في كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ١١٦.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٣) بدائع التفسير ٤٢٢/٣.

الحديث رقم (١١٧٤)

١١٧٤- وعنها، قالت: مَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَزيدُ - فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ- عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْألْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْألْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ[١]، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فَقُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، أتَنَامُ قَبْلَ أنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةَ، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث ينص على المعنى الذي أشار إليه سابقه، وهو أنه ﷺ كان يصلي في نافلة الليل أحد عشر ركعة، وقد نصت على ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن طريق أسلوب النفي الذي ينفي الزيادة عن هذا العدد (مَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزيدُ - فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ - عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) ثم وصفتها بما يسهل على المؤمنين الحريصين متابعتها (يُصَلِّي أرْبَعاً فَلاَ تَسْألْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ) النهي للتعظيم، والتفخيم معناه أنهن في نهاية من كمال الحسن، والطول مستغنيات بظهور حسنهن، وطولهن عن السؤال عنه، ووصفهن بالحسن يشير إلى تمام الأداء، والخشوع وقولها (ثم يُصَلِّي أرْبَعاً فَلاَ تَسْألْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ) الربط ب(ثم) بين الجملتين يشير إلى فاصل بين الأربع الأولى، والأربع الثانية، والاستفهام كسابقه للتعظيم، والتفخيم الذي يشير إلى حسن الأداء، والاجتهاد في الطاعة، وقوله (يَا عَائِشَةَ، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي) يشير إلى خصيصة للنبي ﷺ والجناس بين تنامان، وبين، ولا ينام يؤكد المعنى، وفيهما طباق سلب ينفي الغفلة المؤدية لانقطاع الذكر الذي يمثل شعاع النور الذي يربطه بخالقه.

---

(١) عندهما زيادة: (ثمَّ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهنّ، ثمَّ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ).

(٢) اخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨/١٢٥) ولفظهما سواء.

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١- في الحديث دلالة على أن صلاته كانت متساوية في جميع السنة.

٢- وفيه كراهة النوم قبل الوتر، لاستفهام عائشة رضي الله عنها عن ذلك، كأنه تقرّر عندها منع ذلك فأجابها بأنه صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك كغيره)[1].

٣- وقال النووي: (قولها: "كان يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن" وفي هذا الحديث مع الأحاديث المذكورة بعده في تطويل القراءة والقيام، دليل لمذهب الشافعي وغيره ممن قال: تطويل القيام أفضل من تكثير الركوع والسجود، وقال طائفة: تكثير الركوع والسجود أفضل. وقال طائفة: تطويل القيام في الليل أفضل وتكثير الركوع والسجود في النهار أفضل)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان صلاة الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل ووتره.

ثالثًا: من خصائصه صلى الله عليه وسلم: نوم عينيه ويقظة قلبه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان صلاة الليل:

لقد أرشد الله سبحانه عباده إلى الإحسان، وذلك في كل شيء، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..))[3]، وأداء العبادة أولى الأمور بالإحسان، وفي الحديث ما يدلّ صراحة على إحسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبادته ربه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٨ .

(٣) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن) قال النووي: "معناه: هن في نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف"[١]، وذلك لكمال اشتمالهن على الآداب المطلوبة فيها وطولهن، وإن ظهور ذلك يغني عن السؤال[٢].

إن حرص المسلم على إحسانه العبادات - فرائض ونوافل - يؤدي به إلى كون الإحسان ملازمًا له في حياته ويمتد ليشمل كافة أحواله.

إن الله سبحانه وتعالى عندما نشر أبناء آدم فوق الثرى وناط بهم رسالة الحياة كلفهم - كي يكونوا ربانيين - أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات، ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع[٣].

إن الإحسان ليس من نوافل الأعمال وإنما هو فريضة افترضها الله على الناس وأولاهم بها المؤمنون، كما في الحديث الذي روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[٤].

"إن الإحسان يقتضي من المسلم اتقان العمل المنوط به، اتقان من يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على عمله، وبهذا الاتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات"[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل ووتره:

إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست لمجرد النقل

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

(٣) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي ص ١٩١.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٥) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي ص ١٩٢.

والإخبار وإنما زيادة على ذلك الاقتداء والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١)، ومن ذلك ما جاء في الحديث من إحسان رسول الله ﷺ وتطويله القيام في رمضان، فتقول عائشة رضي الله عنها: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا)، إذ أنه من لوازم الاقتداء والمحبة لرسول الله ﷺ الوقوف على هديه ﷺ وتدبر سنته والاقتداء به في كل أمر من أمور الدين حتى يكون المسلم على بصيرة ويقين من أنه على جادة الاتباع(٢).

إن اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء به دليل على محبة المسلم لرسول الله ﷺ واستحقاق المسلم لثمرة هذه المحبة من محبة الله للعبد ومغفرته له، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

قال ابن تيمية: "ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ...) قال طائفة من السلف: ادَّعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ....). فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوي والاشتباه"(٤).

وقال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) مجموع الفتاوى ٨١/١٠.

الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله"[١].

وقال ابن القيم: "(يحببكم الله) إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية"[٢].

ويقول: " وثباتها إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها وبحسب نقصانه يكون نقصانها"[٣].

ثالثًا - من خصائصه ﷺ: نوم عينيه ويقظة قلبه :

إن للحبيب ﷺ خصائص اختصه الله تعالى بها، لكماله الذاتي والروحي ولم تكن لغيره من أفراد أمته، والتي منها نوم العينين دون القلب، فهذه خصوصية من خصوصياته ﷺ[٤]، وقد جاء التصريح بذلك في الحديث: (فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟) وذلك استفهام لبيان حكمة النوم قبله مع أن النوم ربما يغلب على النائم فيؤدي النوم قبله إلى فواته فقال ﷺ مرشدًا للفرق بينه وبين باقي الأمة: (يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي)، وهذا من خصائص الأنبياء عليهم السلام ولذا لا ينتقض وضوؤهم بالنوم[٥].

قال البغوي: "ونومه ﷺ، وقيامه إلى الصلاة من خصائصه ﷺ، لأن عينه كانت تنام ولا ينام قلبه، فيقظة قلبه تمنعه من الحدث، وإنما منع النوم قلبه ليعي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٨/١.

(٢) مدارج السالكين ٢٢/٣.

(٣) المرجع السابق ٣٧/٣.

(٤) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري ص ٣٨٧.

(٥) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٨٥/٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٦.

الوحي إذا أوحي إليه في منامه، قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾[١]"[٢].

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٢) شرح السنة ٤/٦.

الحديث رقم (١١٧٥)

١١٧٥- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أوّلَ اللَّيلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تشير أم المؤمنين رضي الله عنها عن عادة الرسول ﷺ في تقسيم ليله بين حق الجسم في الراحة التي تعينه على طاعة الله، ومواصلة الدعوة، وأعباء الحياة، وبين العبادة التي يجد فيها قرة عينه، ويتقرب فيها إلى ربه، وتقوي روحه، وقد دلت على العادة في عبادته بالليل عن طريق فعل الكينونة الماضي (كان) ثم أشارت عن طريق الطباق بين أول، وآخر إلى بداية كل عمل، ونهايته كما أشارت بالطباق بين ينام، ويقوم إلى تقلبه بين العبادة، والراحة بما يضمن الاستمرار في العبادة، وعدم هلاك الجسم الذي هو الوسيلة لأداء تلك العبادة.

فقه الحديث

فيه تفضيل تأخير الوتر، لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه[٢]، فإذا خاف غلبة النوم استحب له أن يصلي قبل أن ينام ليكون عاملاً بالسنة "ونوم على وتر".

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: اليسر وعدم المشقة وإرهاق النفس والبدن.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: الوسطية.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٦) واللفظ له، ومسلم (٧٣٩/١٢٩).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣١/٢، وانظر كذلك: شرح صحيح مسلم، النووي ٢٢/٦/٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٧٥ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٧٩).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيامه الليل ونومه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اليسر وعدم المشقة وإرهاق النفس والبدن:

إن اليسر مطلب من مطالب الشريعة الإسلامية، ولذلك كان رسول الله ﷺ بلسان مقاله وحاله يدعو إلى الوسطية والموازنة بين العبادة وحق الجسد، والحديث ينقل لنا صورة من صور دعوته ﷺ العملية إلى اليسر ومجانبة المشقة، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي) وذلك أداء لكلٍ من العين والنفس حقها، وذلك أن الجسد يصيبه الكلال من مزاولة الأعمال[١]، ثم إن ذلك أدعى إلى الإقبال على العبادة بهمة ونشاط[٢]، والمداومة على الأمر والقدرة على الاستمرار وعدم الانقطاع[٣].

ومن الشواهد على أهمية اليسر في العبادة وعدم إرهاق النفس قول النبي ﷺ: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً"[٤].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[٥]، صدق رسول الله ﷺ، ومعنى هذا الحديث أن العبادة ميسرة والمبالغة فيها لا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ هذَا الدينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ))[٦].

وبهذا يتميز الإسلام عن غيره من التشريعات بأنه دين الحنيفية السمحة، وقال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٤١٩/٤.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩.

(٦) أخرجه أحمد ٩٩/٣، رقم ١٣٠٥٣، وقال عنه محققو المسند: حسن بشواهده٣٤٦/٢٠.

رسول الله ﷺ: ((إنّي أُرْسِلْتُ بحَنِيفيَةٍ سَمْحَةٍ))[١]، فلو ثبت وجود الحرج في الشرع لم تكن الشريعة حنيفية سمحة بل كانت حرجية عسرة، وهذا باطل لتكذيبه خبر الرسول ﷺ، فبطل ما أدى إليه وثبت أنه لا حرج في الشرع.

وللشرع مقاصد، منها المقاصد العامة وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، ويدخل في المقاصد العامة أوصاف الشريعة (مثل الفطرة، والسماح واليسر)، وغايتها العامة (درء المفاسد وجلب المصالح).

فالشريعة حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، لأن مبناها على عبادة الله وحده لا شريك له، ومن المبادئ التي راعاها الإسلام في أمر العبادة هو اليسر ورفع الحرج ووضع الآصار، الآصار التي عرفت في بعض الديانات كاليهودية وغيرها. وذلك أن التشديد قد يصلح علاجًا في ظروف خاصة لجماعة معينة ولمرحلة مؤقتة، وقد خصّ الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر، لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعًا ورسالة هذا شأنها من العموم والخلود لا بد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور، وشتى البقاع، وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة، وفي العبادات خاصة[٢].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: الوسطية:

إن ما جاء في الحديث من بيان حاله ﷺ في العبادة من التوسط وإعطاء البدن حقه، إشارة إلى ما اختصت به الدعوة من التوسط في العبادة، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي)، وقوله ﷺ: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوما"، وذلك مظهر من مظاهر الوسطية والسماحة في الإسلام، يقول ابن القيم: "جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية

---

(١) أخرجه أحمد ١١٦/٦، رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي وإسناده حسن ٣٤٩/٤١.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ٨٩.

وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل"[١]، وأمرنا الله بالعمل قدر استطاعتنا، فقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أي: جهدكم وطاقتكم، وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٣]، لأنه لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفًا للمسلمين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٤][٥]، ودلالة الوسطية على هذا القول واضحة جلية[٦]، والوسطية في الإسلام دليل الخيرية ومظهر الفضل والتمييز، فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور وسط في التعبد والتنسك، وسط في الأخلاق الآداب، وسط في التشريع والنظام[٧].

"وقد وردت نماذج عملية في السنة النبوية تبين دعوة الإسلام إلى الوسطية في الأمور كلها، وفي مقدمتها العبادات، منها ما روي عن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوتِ أزواج النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأينَ نحنُ منَ النبيِّ ﷺ؟ قد غَفرَ اللهُ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّر. قال أحدُهم: أما أنا فأنا أصلِّي الليلَ أبدًا. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوَّجُ أبدًا. فجاء رسولُ الله ﷺ فقال: ((أنتُم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر، وأصلِّي وأرقُد،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٨/١.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٨/٨.

(٦) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٦٧.

(٧) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٣٣ – ١٣٥.

وأتزوجُ النساء، فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[١].

فما بدر من بعض الصحابة رضي الله عنهم في الحديث موقف من مواقف الغلو، يجلي لنا سبب هذه النزعة، وهو الرغبة الصادقة في التزود من الخير، التي دفعتهم للسؤال عن أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في عبادته، فلما علموا رأوا أن ذلك قليل فقالوا ما قالوا.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقر هذا الاتجاه فبادر بعلاجه، وصحح نظرتهم لتحصيل خشية الله وتقواه؛ فبيّن أنها ليست بالتضلع من أعمال والتفريط في أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة بين جميع مطالب الله، وهذا هو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال والعدل"[٢].

وما سبق على مستوى النهج الجماعي أو العددي، كذلك أنكر النبي صلى الله عليه وسلم الغلو على مستوى الأفراد، فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكُلَ. قال: فأكَلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلَّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((صَدَقَ سَلمانُ))[٣].

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ. وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ: «مَا هذَا؟» قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي. فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ. فَقَالَ: ((حُلُّوهُ. لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ. فَإِذَا كَسَلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٣٦.

(٢) الوسطية في القرآن، د. علي الصلابي ص ٤٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ١١٥٠، ومسلم ٧٨٤.

فهذا الحديث يدل على أن النساء لم يكنَّ أقل حرصًا من الرجال على التزود من الخير، والتنافس في أعمال البر، وقد تجلى ذلك في هذه النزعة الجامحة نحو العبادة، ولكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الجموح الضار، فعمد إلى الزجر عنه، وأمر بالوسط النافع.

ولنستمع الآن إلى تعليق الإمام النووي حيث يقول: "فيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر... وفي الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحًا، فتتم العبادة ..."[١].

ويلاحظ في النماذج السابقة التحذير من الغلو والإفراط، وأنه قد ينتهي بصاحبه إلى الانقطاع والتوقف، أو الزيادة على ما لم يشرعه الله عز وجل، وبالتالي يصبح مردودًا على صاحبه[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيامه الليل ونومه:

إن المسلم مطالب بالتأسي بالنبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ومنها ما جاء في الحديث من بيان حاله ﷺ في قيامه الليل ونومه، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره)، وقد أمر الله تعالى بالاقتداء به ﷺ في شؤونه عامة إلا ما كان خاصًا به فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣]، وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته، وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي ﷺ، وأن متابعته ﷺ أقوى مظهرٍ وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ وبدونه

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٢١.

(٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطًا، عبدالعزيز بن ناصر الجُليل ص ١٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

تصبح المحبة دعوى مجردة عن الدليل وقولاً لا يصدقه عمل[١]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

---

(١) محبة الرسول ﷺ الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

الحديث رقم (١١٧٦)

١١٧٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ! قيل: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أنْ أجْلِسَ وَأدَعَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ أعظم الخلق شكرا لله تعالى وأكثرهم اجتهادا في العبادة، وهذا أمر بيِّن لصاحب خير القلوب، وأعظمها، وأتقاها عن ابن مسعود ﷺ قال: [إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء][٢]، وهذا الحديث يشير إلى التفاوت بين النبي ﷺ وبين أفراد أمته، وإن كانوا من المجتهدين في العبادة، فالفارق كبير بين القلبين الحاملين للجسدين على الطاعة، ولذلك وجدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يخبر بهذا الإحساس بالضعف مع تطاول فترة الوقوف عليه عن الحد الذي يعتاده مثله، والذي عبَّر عنه بقوله (فَلَمْ يَزَلْ قائِماً) والفعل الدال على الاستمرار يحكي تمطي الزمان على ابن مسعود، ويؤكده اسم الفاعل الدال على الاستمرار في القيام حتى تعب، وكلٌّ، دل على ذلك بيان الغاية التي وصل إليها في قوله (حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ !) كناية عن عزمه على ترك الصلاة خلف النبي ﷺ، والذي فسره في رده على سؤال السائل (قيلَ: مَا هَمَمْتَ؟

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣/٢٠٤) الشطر الأول بلفظ البخاري، والشطر الثاني بلفظ مسلم، وتقدم برقم (١٠٣).

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٧٩/١، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن مسعود، حديث: ٣٦٠٠، مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة قرطبة – القاهرة.

قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ) والتعبير بالهم يوحي بالفكرة التي جالت في ذهنه في أثناء الصلاة من طول القيام وهو ما يدل على عزيمة الرسول ﷺ واجتهاده في الطاعة، والعبادة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم القراءة في صلاة الليل والتطويل فيها كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٧١) أنه قد اتفق الفقهاء[١] على أنه يستحب لمن قام صلاة الليل أن يفتتح التهجد بركعتين خفيفتين ثم يطول في القراءة بعد ذلك كيف يشاء، وأن التطويل في القراءة والقيام أفضل من كثرة الركوع والسجود في هذه الصلاة لفعله ﷺ في هذا الحديث حتى هم ابن مسعود رضي الله عنه بأن يجلس ويدعه من طول القراءة.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٥/١، أحكام القرآن، الجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، شرح معاني الآثار ٢٨٣/١، المجموع ٥٣٦/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٦/١.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٣).

الحديث رقم (١١٧٧)

١١٧٧- وعن حذيفة ﵁، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فقلتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقرَأَهَا، يَقرأُ مُتَرَسِّلاً: إذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ)) فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، (رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ) [١])) ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)) فَكَانَ سجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على قيام الرسول ﷺ ومع غيره في مجاراته، وهو يطيل إذا صلى لنفسه ما شاء غير أن الراوي، وصاحب القصة في هذا الحديث هو حذيفة ﵁، وقد رواه بشيء من التفصيل الذي يفصح عن إحساسه بالتعب شيئا فشيئا مع تطاول القيام عليه، وقوله (فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المئَةِ، ثُمَّ مَضَى) فقوله يركع عند المائة يحكي خاطره، ويوضح رغبته، وقوله ثم مضى يشير إلى طول انتظاره ليركع، وتكرار ثم في الربط بين جمل يشير إلى طول الوقت وتمطيه في إحساسه مع تجاوز الرسول ﷺ لسورة البقرة ثم النساء ثم آل عمران وقوله (يَقرأُ مُتَرَسِّلاً: إذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) مما يدل على طول الصلاة الذي فاق قدرة حذيفة ﵁ على التحمل لاسيما أن ركوعه، وسجوده كان قريبا من قيامه، قال الشيخ ابن العثيمين (فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة، وبين

---

(١) هذه الزيادة في رواية جرير عند مسلم.

(٢) برقم (٧٧٢/٢٠٣)، وتقدم برقم (١٠٢).

الذكر، وبين الدعاء، وبين التفكر؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عن التعوذ، ويسبح عن التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر؛ قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً، والنبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا كله لم يركع. فهذه السور الثلاث: البقرة والنساء، وآل عمران أكثر من خمسة أجزاء، وربع، إذا كان الإنسان يقرؤها بترسل، ويستعين عند فتح الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة، ويسبح عند آية التسبيح، كم تكون المدة؟ لا شك أنها تكون طويلة، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر)[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم التطويل في قيام الليل، وقد جاء بيانه في الحديث رقم (١١٧١).

الثاني: حكم فرائض الصلاة وكيفية إتمامها بركوعها وسجودها وما فيها من قراءة وأنه ﷺ يطيل ما كان هناك داع ويقصر ما كان هناك داع له.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن فرائض الصلاة التي لا تصح إلا بها النية وتكبيرة الإحرام والقيام والقراءة والركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والتشهد والسلام عن اليمين وعن اليسار، وقد اختلفوا في عددها فمنهم قال هي ستة كالحنفية، ومنهم من جعلها ثلاثة عشر أو أربعة عشر وهم جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين حديث (١٠٢).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٦/١ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٦/١ وما بعدها، مواهب الجليل ٥١٤/١ وما بعدها، شرح منح الجليل ٢٤١/١ وما بعدها، مغني المحتاج ٣٤٠/١ وما بعدها، نهاية المحتاج ٤٤٩/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ١٨٣/١ وما بعدها.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٢).

الحديث رقم (١١٧٨)

١١٧٨- وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ أيُّ الصَّلاَةِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((طُولُ القُنُوتِ)) رواه مسلم[1].

المراد بـ (القنوتِ): القِيام.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

القنوت: صلاة القيام[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يتناول بالبيان أفضلية أجزاء الصلاة، والسؤال الذي وُجِّه للرسول ﷺ (أيُّ الصَّلاَةِ أفْضَلُ ؟) أي الصلاة استفهام عن أفضل أركانها أي: أي أركانها أو كيفياتها أفضل أي أكثر ثوابا، وفضلا قال (طول القنوت) أي: القيام، أو القراءة، أو الخشوع، وأفعل التفضيل تقتضي الاتفاق في الأصل، والتفاوت في الصفة بمعنى أنها تدل أولا على أن جميع أجزاء الصلاة فاضلة، وثانيا :أن أفضلها، وأكثرها ثوابا طول القيام.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله: إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود)[3].

وقد اختلف الفقهاء فيما إذ كان التطويل في القراءة أفضل أم كثرة الركوع والسجود عل خمسة آراء:

---

(١) برقم (٧٥٦/١٦٥). تنبيه: هذا الحديث أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٢٩) بلفظ أطول عن عمير بن قتادة، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨١٢٣)، ولكن المؤلف عدل عن ذلك بإيراده عن مسلم مختصرًا.

(٢) رياض الصالحين ٤٢٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١/٦/٣ .

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة[١]، والمالكية[٢] في قول عندهم، والشافعية[٣]، وأحمد في رواية[٤]، ويرون أن طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، وفيه أن "أفضل الصلاة طول القنوت" والمراد بالقنوت في الحديث: القيام[٥].

ولأن فيه جمعًا بين فرضين: القيام، والقراءة، وكل واحد منهما فرض[٦].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية[٧]، وأحمد في رواية[٨]، ويرون أن كثرة الركوع، والسجود أفضل من طول القيام.

لقول رسول الله ﷺ: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))[٩].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه إسحاق بن راهوية[١٠]، ويرى أنه إذا كان في النهار فكثرة الركوع والسجود أفضل، وإذا كان في الليل فطول القيام أفضل.

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو يوسف من الحنفية[١١]، ويرى أنه إذا كان له ورد يقرؤه، فكثرة السجود أفضل، لأنه يقرأ ورده لا محالة وإن لم يكن فطول القيام أفضل.

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، البدائع ٢٩٥/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١.

(٢) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢، ومواهب الجليل ٨١/٢، والشرح الكبير، الدردير ٢١٩/١.

(٣) المجموع ٢٣٠/٣.

(٤) المغني، ابن قدامة ٤٤٢/١، ومنار السبيل ١١٢/١.

(٥) المجموع ٢٣٠/٣.

(٦) المبسوط ١٥٨/١.

(٧) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢.

(٨) المغني، ابن قدامة ٤٤٢/١.

(٩) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(١٠) المجموع ٢٣٠/٣، ٢٣١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢.

(١١) المبسوط ١٥٨/١.

الرأي الخامس: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية[١]، ويرى أنهما سواء نظرًا لتعارض الأخبار الواردة في ذلك. وقال ابن حجر: (والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على طول القيام والقراءة في الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات المدعو: الحرص على السؤال عما يحتاج إليه في أمور الصلاة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على طول القيام والقراءة في الصلاة:

جاء حث النبي ﷺ على طول القيام في صريح الحديث، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، قال القاضي عياض: "للقنوت سبعة معان: الصلاة والقيام والخشوع والعبادة والسكوت والدعاء والطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾[٣]، أي: اعبديه. وقيل: صَلّي، وقيل في قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾[٤]، وفي قوله: ﴿قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾[٥]، أي: قيّمات بحقوق أزواجهن وقيل: مُصلّيات، وقيل: يقع على الإقرار والعبودية وعلى الإخلاص، والمراد بقوله في الحديث: (طول القنوت): القيام"[٦].

وقال النووي: "المراد بالقنوت هنا: القيام باتفاق العلماء"[٧]، وفيه دليل لمن فضل تطويل القيام على تطويل السجود والركوع، وهو مذهب الشافعي وجماعة لهذا

---

(١) المغني، ابن قدامة، ٤٤٢/١، ومنار السبيل ١١٢/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٩/٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الاحزاب، الآية: ٣١.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٠٧/٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

الحديث، ولأن ذكر القيام القراءة، وذكر السجود التسبيح، والقرآن أفضل، ولأن المنقول عن النبي ﷺ أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود، وفي المسألة مذاهب أخر[١].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في صريح الحديث، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية ومن وسائل الأداء البياني النافعة ولهذه الوسيلة قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة عنه، إضافة إلى ما يعيشون من حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٢].

ولقد استخدم رسول الله ﷺ السؤال بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[٣]، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريرًا فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٨.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

(٣) فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٣٣.

الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[١].

ومن أمثلة استخدام النبي ﷺ، ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يار سولَ الله. قال: هيَ النَّخْلَة))[٢].

"إن رسول الله ﷺ أراد من خلال شحذ الأذهان، وتطلعهم إلى الجواب الصحيح، أن يُرسخ في نفوسهم أن المسلم عطاء دائم وربيع مستمر، وأنه لا يصدر منه إلا الخير، كالنخلة التي لا يسقط ورقها، وفائدتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعًا، ثم بعد ذلك يُنتفع حتى من النوى كعلف للدواب والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى وكذلك بركة المسلم وفائدته عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"[٣].

ثالثًا من صفات المدعو: الحرص على السؤال عما يحتاج إليه في أمور الصلاة:

جاء في الحديث ما يدل ويدعو إلى حرص المدعو على السؤال والاستيضاح عما أشكل عليه ومن ذلك ما يتعلق بالصلاة، كما جاء في الحديث فعن جابر رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، وذلك من توفيق الله للمدعو إلى الحق والخير، حتى يكون على بينة من أمر دينه، وقد أمرنا الله بالسؤال والرجوع إلى أهل العلم والرأي، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين[٥]، وذلك لما علموه من

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٧ - ١٨.

رسول الله ﷺ أن في السؤال شفاء للجهل وجلاءٌ للإلباس، قال ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[١].

أي: أن شفاء الجهل السؤال[٢]، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعلم والتفقه في الدين حتى تكون العبادة لله تعالى على أساس من الصحة واليقين، "ومن لوازم التثبت في العلوم الشرعية حتى يكون علم الإنسان على تحقيق ويقين فإن السؤال والتثبت والتفقه هو الطريق اللائق للعلم"[٣]، وقد أمرنا الإسلام بالعلم في الدين والتفقه في الدين، وذلك فيما لا تصح العبادة إلا به، أما ما زاد على ذلك من استخراج الأحكام واستنباطها فقد أوجب الله على الأمة أن تخصص جماعة منها لتقوم بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٤].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم مثلاً عظيمًا يُحتذى به في التفقه والسؤال والرجوع إلى أهل الذكر، فروي عن ابن أبي مليكة أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ كانتْ لاتَسمَعُ شيئًا لاتَعرِفُهُ إلاّ راجَعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا﴾[٥] قالت: فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))[٦].

فإن بالسؤال والعلم يكون الإنسان على بصيرة من أمره وتصحح الأفكار الخاطئة وتُقوّم المفاهيم المعوجة.

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٦.

(٣) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة ٢٣٦/٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ٨.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٢٨٧٦.

روي عن أسلم أبي عمران قال: (كُنَّا بِمَدِينَةِ الرومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًا عَظِيمًا مِنَ الرومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بنُ عَامِرٍ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ المسلمِينَ عَلَى صَفِّ الرومِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا سُبْحَانَ الله يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأنصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُأَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَة هَذَا التَّأْوِيلُ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة فِينَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ الله الإسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ الله ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ الله قَدْ أَعَزَّ الإسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فأَصْلَحْنَا مَا ضَاع مِنْهَا، فَأَنْزَلَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾[1] فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الإقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحَهَا وَتَرْكَنَا الغَزْوَ. فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ الله حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ)[2].

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٣).

الحديث رقم (١١٧٩)

١١٧٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أحَبُّ الصَّلاةِ إلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأحَبُّ الصِّيَامِ إلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يومًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

البداية بأفعل التفضيل من البدايات التي تحقق براعة الاستهلال، وتحقق التشويق للخبر، والرغبة في متابعته للوقوف على الفاضل، والمفضول، وسر الأفضلية لاسيما إذا كان هذا الفعل (أحب) الذي يداعب النفس بمرغوبها، ويمنيها بمطلوبها بوجه من الوجوه، كما أنه من المعلوم أنَّ لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، ومعناه أن الصلوات جميعا تشترك في صفة المحبة، وتفوقها صلاة داود عليه السلام، وكذلك في الصيام، ثم أشار إلى سر التفضيل بقوله (كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يوماً وَيُفْطِرُ يَوْماً) التعبير بكان يشير إلى أن تلك الطريقة هي عادته في الصلاة في الليل الذي قسمه قسمة صائبة بين النوم الذي يحقق متطلبات الجسد، وبين الصلاة التي تحقق متطلبات الروح، والقلب باتصالها بالله في الصلاة، كما يقسم في الصيام فيصوم يوما فيقوي قلبه، ويفطر يوما فيقوي جسده، ويستمر بين القوتين في موازنة تحفظ القلب، والعقل؛ ولذلك كان صيامه أفضل الصيام، وصلاته في النافلة أفضل الصلاة.

فقه الحديث

الوقت الأفضل لقيام الليل:

لا خلاف بين الفقهاء في أن قيام الليل لا يكون إلا بعد صلاة العشاء، سواء سبقه نوم أو لم يسبقه، وأن كونه بعد النوم أفضل.

واختلفوا بعد ذلك في أفضل الأوقات لقيام الليل على أقوال: فذهب الجمهور إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣١ واللفظ له، ومسلم ١١٥٩/١٨٩. أورده المنذري في ترغيبه ٩٠٥.

الأفضل مطلقًا، السدس الرابع والخامس من الليل، لحديث الباب.

وأما لو أراد أن يجعل الليل نصفين: أحدهما للنوم والآخر للقيام، فالنصف الأخير أفضل، لقلة المعاصي فيه غالبًا. ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))[1].

ولو أراد أن يجعله أثلاثًا فيقوم ثلثه، وينام ثلثيه، فالثلث الأوسط أفضل من طرفيه، لأن الغفلة فيه أتمّ، والعبادة فيه أثقل، والمصلين فيه أقلّ.

ويرى المالكية أن الأفضل قيام ثلث الليل الآخر لمن تكون عادته الانتباه آخر الليل، أما من كان غالب حاله أن لا ينتبه آخره، فالأفضل أن يجعله أول الليل احتياطًا[2].

استحباب صوم يوم وإفطار يوم:

من صيام التطوع صوم يوم وإفطار يوم، وهو أفضل صيام التطوع[3]، لحديث الباب، ولقول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((صُمْ يومًا وأفْطر يومًا، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام. فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي ﷺ: لا أفضل من ذلك))[4].

قال البهوتي: (لكنه مشروع بأن لا يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل من الصيام، كالقيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده اللازمة، وإلا فتركه أفضل)[5].

المضامين الدعوية[6]

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٦٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٣٤/١ دار المعرفة، وحاشية الجمل ٤٩٥/١، ونهاية المحتاج للرملي ١٦٢/٢، والمغني لابن قدامة ١٣٦/٢، ونيل المآرب ١٦٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ١١٩/٣٤).

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ٣٥١، ومغني المحتاج ٤٤٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٧/٢ (عن الموسوعة الفقهية ٨٩/٢٨).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١١٥٩، ١٨١.

(٥) الروض المربع ١٤٥/١.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١١٧٥).

الحديث رقم (١١٨٠)

١١٨٠- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قيام الليل بجعله ظرفا لساعة الإجابة التي يرى فيها الإنسان تحقيق ما يتمنى بين الدنيا، والآخرة (إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً) فهو ترغيب يشبه الترغيب في البحث عن الكنز المفقود في مكان محدود غير أن البحث عن ساعة الإجابة ليس في المكان، بل في الزمان والبحث في الزمان أيسر غير أن فيه خطر الفوت؛ لأنه ليس له ثبات بعكس المكان فإنه ثابت، وقوله (لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللّه تَعَالَى خَيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ) أسلوب قصر يقصر موافقة المسلم لساعة الإجابة على إعطائه ما سأل، وهو يعطي الأسلوب توكيدا يحقق الإقناع مع كثافة المؤكدات التي بدأت بها العبارة (إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً) من التوكيد ب(إن) ثم تقديم الجار، والمجرور المفيد للاختصاص، أو الاهتمام، ثم اللام ثم أسلوب القصر لكي يحقق الإقناع الوجداني لمن يستعظم أمنياته، ويراها لشدة تعلقه بها بعيدة التحقق فيجعل له الرسول ﷺ وسيلة لتحقيقها مدعومة بجملة من المؤكدات تزيل أي تردد، أو شك مهما بلغت أمنيات الداعي، والمقابلة بين الدنيا، والآخرة في قوله (يَسْأَلُ اللّه تَعَالَى خَيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) تستوعب أمنيات العبد في الدنيا، والآخرة، ثم أعطى الحكم اطرادا على المدى في قوله (وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ).

---

(١) برقم (٧٥٧/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٦).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل الدعاء والتضرع لله سبحانه ليلاً حتى جعلت فيه ساعة استجابة متى وافقت دعوة مسلم استجيب له فيها.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يندب لمن قام في الليل أن يذكر الله تعالى ثم يدعو بالخير لنفسه ولغيره من المسلمين، فقد يصادف ساعة الإجابة فيكتب من الفائزين، وخير ما يدعو به لنفسه أن يقول: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، فخير ما يفوز به المرء من الدنيا عفو الله سبحانه وغفرانه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى أوقات الإجابة وحثهم على اغتنام ذلك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة والتضرع إلى الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل والدعاء فيه.

أولاً – من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن في الليل لساعة)، في هذا الحديث استخدم النبي ﷺ أسلوب التوكيد لبيان أهمية قيام الليل وبيان ثوابه وما يفيض الله على عباده المؤمنين من إجابة لسؤلهم وتلبية لرجائهم، جزاء وفاقًا لتجافيهم عن المضاجع والفرش وتوجههم إليه تبارك وتعالى، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) انظر في ذلك: المجموع، النووي ٥٣٨/٣، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٤٣٥/٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٦٩/٢.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

إن أسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المجدية، لما يوحي هذا الأسلوب من ثقة الداعي من دعوته وحمل المدعو على قبولها، إضافة إلى ما فيه من "الصدق في التعبير عن الحقيقة أو عن المشاعر والأحاسيس أو عن الآمال والرغائب"[١]، وذلك من الأسباب التي تجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا، حيث رغّب النبي ﷺ في تحري أوقات الإجابة بإجابة الله وإعطاء الداعي سؤاله فقال: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لأن الإنسان مجبول على حب ما ينفعه وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها[٢]، وقد حفل القرآن والسنة المطهرة بالعديد من المرغبات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وذلك أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه[٤].

إن الترغيب من أبرز الأساليب الدعوية وأجداها، وذلك لموافقته لطبيعة الإنسان التي فطر عليها من محبته الخير لنفسه وسعيه الحثيث في جلبه إليها.

إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه

---

(١) انظر: مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٩٦.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن، د. عبدالوهاب الديلمي ص ٥٤٣.

الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[١]، وقال ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ...))[٢]، وقال: ((...وإنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بالاً، يَهْوَى بها في جَهَنَّمَ..))[٣]، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب، لأنه فعل إيجابي، ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]، فقدم التبشير على الإنذار.

وللترغيب أدوات كثيرة منها بيان فضل قول: لا إله إلا الله، وبيان فضل ذكر الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار المندوبة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٥]، وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦]، كما إننا مدعوون لبيان فضل المحافظة على الصلاة في وقتها وجماعاتها، وبيان فضل المشي إلى المساجد، وبيان فضل الخشوع،وبيان فضل صلاة الضحى وبقية النوافل، وصلاة الليل وصلاة الحاجة والاستخارة واتباع الجنائز والصلاة عليها، والإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم والجيران وغير ذلك كثير[٧].

ثالثًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى أوقات الإجابة وحثهم على اغتنام ذلك:

إن من أهم صفات الداعية الحرص على تبليغ هذا الدين، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٨]، وكفى بهذه الآية دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٨، ومسلم ١١٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦، ٨٧.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيره[١].

إن تعليم الناس وتفقيههم لأمور دينهم ودنياهم وترغيبهم في عمل الطاعات والأعمال الصالحات[٢]، وتحري أفضل أزمانها وأماكنها من أهم أولويات الدعوة ومن ذلك ما جاء في الحديث من تحري ساعة الإجابة في الليل، فقال ﷺ: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)، قال النووي: "ويتضمن الحديث الحثّ على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها"[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة والتضرع إلى الله تعالى:

إن من فقه المسلم في دعائه أن يغتنم الفرص في دعائه وذلك بتحري أوقات الإجابة والمبادرة لاغتنام الأحوال والأوضاع والأماكن التي هي مظان إجابة الدعاء[٤]، وقد جاء في الحديث اشتمال الليل على ساعة إجابة لا يرد الله فيها دعوة لمسلم، فقال ﷺ: (إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة)، وفي ذلك حث على الدعاء في الليل وحضٌّ عليه، وأبهم الساعة في جميعه، طلبًا لعمارته بالتوجه للمولى وعدم الغفلة فيه بالنوم وإراحة الجسم عنه، ويمكن أن تكون الساعة المطلقة في هذا الخبر محمولة على ما جاء من التقييد في رواية بأنها بعد مضي الثلث من الليل، وفي أخرى أنها النصف الأخير، وفي أخرى أنها في الثلث الأخير[٥]، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ في

---

(١) الكشاف، الإمام الزمخشري ص ٢١٠.

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٥ - ٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٤) الدعاء، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٨٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٩.

تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِر لَهُ))[٢].

إن الدعاء في أوقات الليل خاصة في السحر منه من أرجى الأدعية في الإجابة لازدياد الإخلاص فيه وإخفاء الدعاء والبعد عن الرياء ونحوه، فإن في إخفاء الدعاء الفوائد الجمة وقد أشار ابن القيم إلى بعض الفوائد لإخفاء الدعاء فذكر منها:

أ/ أن إخفاء الدعاء أعظم إيمانًا لعلم صاحبه أن الله يسمع الدعاء الخفي.

ب/ أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

ج/ أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

د/ أنه أبلغ في الإخلاص.

هـ/ أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء.

و/ أنه دليل على قرب الداعي من مولاه القريب منه، وليس من مسألة البعيد للبعيد. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى بعينه في الحديث الصحيح عندما رفع الصحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر بخفض أصواتهم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في سفرٍ، فكنّا إذا علونا كبّرنا، فقال: ((أربعوا على أنفسِكم، فإنكم لا تَدْعون أصمَّ ولا غائبًا تدْعون سميعًا بصيرًا قَريبًا. ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، فقال لي: يا عبدَ الله ابن قيسٍ، قل: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة؛ أو قال: ألا أدُلكَ به))[٣].

وذلك ما يوافقه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٤]، وهذا القرب إنما هو قرب خاص وليس قربًا عامًا من كل أحد، فهو سبحانه

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٢١، ومسلم ٧٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٣٨٦ واللفظ له، ومسلم ٢٧٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

قريب من داعيه، وقريبٌ من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

ز/ أنه - أي إخفاء الدعاء - أدعى إلى دوام الطلب والسؤال.

ح/ أنه أبعد للداعي من القواطع والمشوشات.

ط/ أن فيه إخفاء للنعمة -أي نعمة الإقبال والتعبد- عن أعين الحاسدين.

ي/ أن الدعاء نوع من الذكر متضمن للطلب منه، والثناء عليه بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى فهو ذكر وزيادة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1]. فأمر الله نبيه في هذه الآية أن يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكر في الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح"[2].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل والدعاء فيه:

إن من آداب الدعاء التي ينبغي على المسلم مراعاتها أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة[3]، والتي منها ما جاء بيانه في الحديث: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)، وذلك بيان لفضل الدعاء في الليل، قال النووي: "فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها"[4]، قال ابن بطال: "وعد الله على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه لَهِجًا لسانُه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه، يحمده عليها وينزهه عما لا يليق به، بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته"[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٢) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٢٤٦ - ٢٥٠.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٩٠٤/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١١/١٤٥.

ولله در الشافعي حين قال:

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ

سِهَامُ اللَّيلِ لا تُخْطِي ولكن لَهَا أَمَدٌ وَلِلأَمَدِ انْقِضَاءُ

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نفد القضاء [1]

---

(١) ديوان الشافعي، تقديم ومراجعة: د. إحسان عباس، ط/١ دار صادر، بيروت: ١٩٩٦م، ص ١١. قافية الهمزة، بحر: وافر تام.

الحديث رقم (١١٨١)

١١٨١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إِذَا قَامَ أحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلاَةَ بركْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يدور المعنى في هذا الحديث، وسابقه حول تهيئة النفس للقيام بأخذها بالسهل الميسور الذي يجعلها تقبل على القيام شيئا، فشيئا حتى تستغرق في العبادة فيمضي الليل ما يمضي، والعبد في روضة الرحمن لا يبالي للعناء بالا بل يصير في متعة من القرب يصطبغ بها كل أعضاء بدنه فيخف للقيام، وقد قام الأسلوب في الحديثين على الشرط، فالأول ربط قيام المسلم للصلاة بالليل بالأمر النبوي بالافتتاح بركعتين خفيفتين، والتعبير بالخفة يوافق طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الراحة، وتنفر من الثقل، والحديث الثاني يربط فيه أسلوب الشرط قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بافتتاح الصلاة بركعتين خفيفتين، فالشرط في الحديث الأول يشير إلى العادة التي يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم إلي التزامها في قيامه من خلال التوجيه القولي، وهو بذلك سنة قولية، وأسلوب الشرط في الحديث الثاني يشير إلى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في البداية في القيام بركعتين خفيفتين، فهو بذلك سنة فعلية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث والذي سبقه إلى حكم التطويل في قيام الليل، وأن المستحب في هذه الصلاة أن يبدأها بركعتين خفيفتين ثم ليطول بعد ذلك ما شاء كما كان يفعل

---

(١) برقم (١٩٨/٧٦٨).

النبي ﷺ في هذا الحديث[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية افتتاح النبي ﷺ لصلاة الليل.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: التيسير والتخفيف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة حال النشاط في العبادة والتماس أسبابها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية افتتاح النبي ﷺ لصلاة الليل:

جاء في الحديث الإرشاد إلى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، وذلك قولاً وفعلاً من رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين)، وحكت عائشة رضي الله عنها ذلك من فعله ﷺ فقالت: (كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين)، قال النووي: "هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما"[٣]، وذلك لإذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم فتشتد الأعصاب وتقوى الأعضاء من فتورها، فتتوجه بكمال النشاط لصلاة الليل[٤].

وفي ذلك نصيحة غالية من رسول الله ﷺ لمن يقومون الليل أو يريدون قيامه والتمتع بذلك، وهي أن يبدؤوا عبادتهم الشاقة بركعتين خفيفتين لإذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم، فتشد الأعصاب وتقوى الأعضاء من فتورها فتتوجه للعبادة

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٥/١، أحكام القرآن، الجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، شرح معاني الآثار ٢٨٣/١، المجموع ٥٣٦/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٦/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٨١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

بكمال النشاط، أو ليكمل التنبيه إذا كان مستيقظًا من النوم[١]، فإن اتباع ذلك من الأسباب الميسرة لقيام الليل والمداومة عليه.

وقد ذكر العلماء كثيرًا من الأسباب الميسرة والمعينة على قيام الليل، منها ما ذكره ابن قدامة، فقال: "اعلم أن قيام الليل صعب إلا على مَنْ وفق للقيام بشروطه الميسرة له. فمن الأسباب ظاهر، وباطن:

فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا فتخسروا كثيرًا.

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل.

ومنها: أن يجتنب الأوزار. قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة:

فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا"[٢].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: التيسير والتخفيف:

إن الدعوة قائمة على التيسير ورفع الحرج وإزالة المشقة، وتلك هي إرادة الله، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، قال قتادة: "تفسير هذه الآية:

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٩.

(٢) مختصر منهاج الصالحين ص ٧٠، ٧١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم"[١]، وفي الحديث صورة من صور هذا التيسير وذلك بإرشاده ﷺ إلى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين تيسيرًا على النفس وإدخالاً للنشاط عليها، فقال ﷺ: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين)، وذلك من مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية التي بعث بها رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير: "إن النبي ﷺ جاء بالتيسير والسماحة، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضُيِّقَ عليهم فوسّع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم"[٢].

لقد كانت حياة رسول الله ﷺ وعباداته ودعوته نماذج حية للتيسير والتخفيف والتجافي عن التعسير والمشقة، وفي ذلك المثل المحتذى للأمة جميعًا والدعاة خاصة، فقد كان من هديه ﷺ ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا))[٣].

أراد النبي ﷺ تعليم أمته الالتزام باليسر في حياتهم وكان ﷺ يلاحظ الحالة النفسية لأتباعه، ومدى استعدادهم لتقبل الوعظ، ويقلل من أوقات ذلك خشية الملل وكراهية التشريع[٤]، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كَانَ النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ. كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))[٥].

وقد تضافرت الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، الدالة على شفقته بأمته ودعوته - قوليًا وعمليًا - إلى التيسير ورفع الحرج والمشقة، منها:

ما روي عن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ. ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ. فَكَثُرَ النَّاسُ. ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ. فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ

---

(١) تفسير ابن جرير ٧٦/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٤/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١٣.

(٤) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٢١.

الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلاَّ أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ)) وفي رواية: ((فَتَعْجِزُوا عَنْهَا))(١).

بل كان ﷺ يخفف الصلاة ويتجوز فيها وهي قرة عينه، وفيها الراحة التي ينشدها، رفقًا بحال المأمومين ومراعاة لضعفائهم وانشغال بالهم، ودفعًا لكل ما يدخل المشقة عليهم.

قال ﷺ: ((إني لأقومُ إلى الصلاةِ وأنا أُريدُ أن أُطوِّلَ فيها، فأسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّه))(٢).

وقال ﷺ: ((لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ))(٣).

والأحاديث في هذا الشأن من باب المثال لا من باب الحصر.

بل كان النبي ﷺ يأمر أصحابه رضي الله عنهم بالتخفيف، وينهاهم عن سلوك سبيل التعمق والغلو والتشدد، ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، وهذه مجموعة من الأحاديث التي توضح هذا وتبينه:

كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ، فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ. فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلاَنُ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ! وَلآتِيَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَلأُخْبِرَنَّهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ. نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِكَذَا)) وفي الرواية الأخرى: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالضُّحَى))(٤).

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي

(١) أخرجه مسلم ٧٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٥٥٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٦٥.

مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ))[١].

بل لقد بلغ الحال ببعض الصحابة ﷺ أن أرادوا الأخذ بعزائم الأمور ومخالفة الرسول ﷺ في بعض ما كان يترخص فيه ظنًا منهم أنه طريق التقوى والخشية، وأن ترخصات النبي ﷺ خاصة به لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكأن هؤلاء القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[٢].

ويوضح ذلك: ما روته عائشة ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأعمالِ بما يُطيقونَ. قالوا: إنّا لَسْنا كَهَيْئَتِكَ يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ قد غَفَرَ لكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّر. فَيَغْضَبُ حتى يُعْرَفَ الغَضَبُ في وَجْهِهِ ثمَّ يقول: ((إنَّ أَتْقاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ باللّهِ أنا))[٣].

فها هو ﷺ الجامع للقوتين العلمية والعملية، وعمله ومنهجه هو المنهج المستقيم، وفي هذا الحديث بيانُ أن الطريقَ الصحيح والمنهجَ السليم هو الوقوف عندما حدده الشارع من عزيمة أو رخصة، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له، كما أعلمهم ﷺ أنه وإن كان الله قد غفر له، لكنه مع ذلك أخشى الناس لله وأتقاهم فما فعله ﷺ من عزيمة أو رخصة فهو في غاية التقوى والخشية، ومن هنا ندرك غضبه ﷺ على هؤلاء الذين حاولوا سلوك منهج التعمق والتشدد ظنًا منهم أن ذلك طريق النجاة، وإذًا فلا غرابة أن رأيناه ﷺ يتعقب الذين يلتزمون التشديد والأخذ بالأشق[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٦.

(٢) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ٨٢، ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠.

(٤) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ٨٣.

فقد روي عن أنس رضي الله عنه: دَخَلَ نبيُّ اللهِ ﷺ المسجدَ فإذَا حَبْلٌ ممدودٌ بينَ ساريتينِ، فقال: «ما هَذَا»، فقالوا: هَذَا الحَبْلُ لزَيْنَبَ تُصلِّي، فإذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ، فَقَالَ النبيُّ: ((حُلُّوْهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نشاطه، فإذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ))[1].

وفي السنن عن عقبة بن عامر أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت فقال النبي ﷺ: ((إنَّ اللهَ لا يَصنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شيئًا فلْتَرْكَبْ))، وفي رواية: ((اللهُ لَغَنيٌّ عن مَشْيِهَا، مُرُوهَا فَلْتَرْكَبْ))[2].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الوسط واتباع اليسر، فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر ومراعاة الأحوال ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل وعلى السماحة التامة والبعد عن التكلف[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مراعاة حال النشاط والتماس أسبابها:

جاء في الحديث ما يدل على أهمية النشاط في أداء العبادات وتسهيله العبادة على النفس، وذلك في إرشاده ﷺ إلى افتتاح الصلاة في الليل بركعتين خفيفتين: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتي) قال ابن الأثير: "النشاط هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله، ومن ثمَّ يكون النشاط هو أن يخف الإنسان إلى الأمر ويؤثر فعله[4]"، ومن ثم دعا النبي ﷺ إلى التماس أسباب النشاط في صلاة الليل وذلك بافتتاحها بركعتين خفيفتين لما للنشاط من أثر إيجابي ودافع إلى الاجتهاد في الطاعات، وبلوغ أعلى المقامات إضافة إلى ما في النشاط من دليل على رضا الله وعلامة القرب منه[5]، وقد قيل: إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على الحق[6].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٣١٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٦٤).

(٣) انظر: اليسر في القرآن، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٦٧٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٤٨٦/٨.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ط/١ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٥م، ص ٣٨٣.

إن مما يعين على قيام الليل تحيّن الإنسان أوقات نشاطه وتقوية هذا النشاط باتباع منهج رسول الله ﷺ فيه بافتتاحه بركعتين خفيفتين.

ومما يعين على قيام الليل البعد عن مواطن النوم والراحة، وعلو همة المسلم، فمما لا شك فيه أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا، قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم وهو الجنة ونعيمها[1].

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٧.

الحديث رقم (١١٨٢)

١١٨٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ[١] افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يدور المعنى في هذا الحديث، وسابقه حول تهيئة النفس للقيام بأخذها بالسهل الميسور الذي يجعلها تقبل على القيام شيئا، فشيئا حتى تستغرق في العبادة فيمضي الليل ما يمضي، والعبد في روضة الرحمن لا يبالي للعناء بالا بل يصير في متعة من القرب يصطبغ بها كل أعضاء بدنه فيخف للقيام، وقد قام الأسلوب في الحديثين على الشرط، فالأول ربط قيام المسلم للصلاة بالليل بالأمر النبوي بالافتتاح بركعتين خفيفتين، والتعبير بالخفة يوافق طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الراحة، وتتفر من الثقل، والحديث الثاني يربط فيه أسلوب الشرط قيام الرسول ﷺ بافتتاح الصلاة بركعتين خفيفتين، فالشرط في الحديث الأول يشير إلى العادة التي يوجه الرسول ﷺ المسلم إلي التزامها في قيامه من خلال التوجيه القولي، وهو بذلك سنة قولية، وأسلوب الشرط في الحديث الثاني يشير إلى عادة الرسول ﷺ في البداية في القيام بركعتين خفيفتين، فهو بذلك سنة فعلية.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) عند مسلم زيادة: (ليصلي).

(٢) برقم (٧٦٧/١٩٧).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٨٣)

١١٨٣- وعنها رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِن اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ ركْعَةً. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق تناولت فضل قيام الليل، وبيان عدد الركعات، وكيفياتها بما يجعلها في تمام الوضوح للمقتدين برسول الله ﷺ من أمته إلى يوم القيامة، وهذا الحديث يتمم الفائدة ببيان كيفية تدارك الفائتة حتى يتدارك ثوابها، وبذلك يغلق باب ضياعها، وهذا الاهتمام ببيان كل ما يتعلق بقيام الليل يشير من قريب إلى فضله، وأثره على درجات العبد عند الله، وقربه منه، وقد جاء المعنى في الحديث في ثوب الشرط الذي يدل على الاعتياد، والتلازم بين فعل الشرط وجزائه، وقد سبقته أم المؤمنين عائشة بما يدل على ذلك، وهو التعبير بـ(كان) التي تشير إلى الاعتياد في الغالب وفعل الشرط (فاتته) يدل على خروج وقتها، وقولها من (وجع أو غيره) يشير إلى العلة التي تسببت في ضياعها؛ لأن الرسول الله ﷺ لا يتركها اختيارا أبدا، وقوله (صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ ركْعَةً) جملة جواب الشرط التي تضع الحل لمشكلة فوات السنة بالليل بتداركها بسنة القضاء في النهار، والطباق بين الليل، والنهار يقرر عدم خلو أحدهما عن صلاة هذه النافلة الجليلة، وفاءً، أو قضاءً.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: مشروعية اتخاذ وِرْد في الليل، وعلى مشروعية قضائه إذا فات لنوم، أو مرض، أو غير ذلك من الأعذار[2].

---

(١) برقم (٧٤٦/١٤٠)، وتقدم برقم (١٥٥).

(٢) نيل الأوطار ٤٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٠/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قضاء ركعات صلاة الليل إذا فاتته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على قضاء صلاة قيام الليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قضاء ركعات صلاة الليل إذا فاتته:

جاء في الحديث ما يدل على حرص النبي ﷺ على قضاء صلاة الليل الفائتة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة) إذ أنه ﷺ لم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا، وكان - كما جاء في الحديث- إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[1]، بمعنى إذا فاتته من مرض أو غيره كاشتغاله بأهم منه قضاها بالنهار[2].

قال ابن عثيمين: "وهذا يدل على أن الإنسان إذا فاته قيام الليل فإنه يقضيه من النهار، ولكنه لا يوتر، لأن الوتر تختم به صلاة الليل، وقد انتهت، كما دل على ذلك في الحديث: (صلى ثنتي عشرة ركعة)، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يواظب في أكثر أحيانه على إحدى عشرة ركعة، فكان يقضي ما هو الأكمل والأكثر، يقضي ثنتي عشرة ركعة"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على قضاء صلاة قيام الليل:

إن من سمات المسلم التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، اقتداؤه برسول الله ﷺ، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4]، ومن صور هذا الاقتداء ما جاء في الحديث من قضائه ﷺ لصلاة الليل إذا فاتته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من

---

(١) جامع الفقه، ابن القيم ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٦٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)، قال النووي: "هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد، وأنها إذا فاتت تقضى"(١)، واستحباب تدارك النفل المؤقت وأن ما ترك لعذر وقضي كتب بمحض الفضل كثواب المؤدى(٢)، وذلك في صلاة الليل وغيرها، كقراءة القرآن وغيرها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))(٣).

قال القاضي عياض: "وقوله: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه) وهذا تفضلٌ من الله عليه به، ودليلٌ على أن صلاة الليل والذكر فيها أفضل من صلاة النهار وعمله، إذا لم يُجعل له هذه الفضيلة إلا لغلبة نومه عليه، وقد ذكر مالك في مُوَطّئه عنه عليه السلام: ((مَا مِن أمرئٍ تَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بِلَيْلٍ يَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلاَتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً))(٤)، وهذا أتم في التفضل ومجازاته بنيته، وهذا لمن كانت عادته كذلك"(٥).

وقال ابن عبدالبر: "وفي هذا الحديث ما يدل على أن المرء يجازى على ما نوى من الخير وإن لم يعمله كما لو أنه عمله، وإن النية يُعْطَى عليها كالذي يُعْطَى على العمل إذا حيل بينه وبين ذلك العمل، وكانت نيته أن يعمله ولم تتصرف نيته حتى غلب عليه بنوم أو نسيان أو غير ذلك من وجوه الموانع، فإذا كان ذلك كتب له أجر ذلك العمل وإن لم يعمله، فضلاً من الله ورحمة جازى على العمل، ثم على النية أن حال دون العمل حائل"(٦).

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٧.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٥، وأحمد فس مسنده ٦/١٨٠، رقم ٢٥٤٦، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢٩٣/٣٢.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٩٨/٣.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٧١/٥، ٧٢.

الحديث رقم (١١٨٤)

١١٨٤- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلاَةِ الفَجْرِ وصلاة الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

الحِزْبُ: ما يجعله الرجل على نفسه من صلاة أو قراءةٍ كالوِرد[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق جاء بيانا عمليا لكيفية قضاء النافلة التي خرج وقتها، عن طريق السنة الفعلية المنقولة عن تصرف النبي ﷺ وعادته في قضاء فائت السنن لأنه كان يعمل بما يقول، ويرونه يطبقه عمليا ثم يوجههم إليه، وهذا الحديث فيه توجيه نبوي إلى ذلك جاء في ثوب الشرط المرغب في تدارك الفائت والذي يربط قراءة الفائت من حزب الليل، فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر بكتابة أجره كمن صلاه بليل، واستخدام أداة التشبيه (كأن) يشير إلى التقارب إلى حد التماثل في الأجر، وقوله (مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ) يشير إلى أن المؤمن لا يتعمد تضييع حزبه، وإنما غلبه النوم عليه، وقوله (أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) يشير إلى عدم التفريط في قليل من أو كثير، والتعبير بالكتابة يوحي بثبات الأجر، وتوثيقه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٤٧/١٤٢)، وتقدم برقم (١٥٣).أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ز ب).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٣).

الحديث رقم (١١٨٥)

١١٨٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإنْ أبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإن أبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

نضح في وجهها الماء: أي رشّ وجهها بالماء[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في صلاة القيام ورد في صورة دعاء حنون من الرسول ﷺ عن طريق الخبر اللفظي في قوله (رحم الله رجلاً) بمعنى اللهم ارحم، ويحتمل أن يكون خبرا لفظا، ومعنى، والغرض منه الإشادة به، وترغيب السامعين في مثل العمل بمثل عمله الذي استحق به إشادة الرسول ﷺ، وإن كان خبراً، فهو خبر صدق، وإن كان دعاءً فهو مقبول؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي للإنسان أن يتعرض لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله (فَصَلَّى وَأيْقَظَ امْرَأتَهُ) يشير إلى المشاركة الفاعلة في دروب الخير التي تدعم المحبة بين الأهل، وقوله (فَإنْ أبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ) الأسلوب شرطي يشير استخدام (إن) فيه إلى عدم توقع الحدوث إي :عدم رفض المرأة القيام للصلاة مع زوجها، وقوله (في وجهه) يشير إلى تمكن نضح الماء حتى يحقق الغرض ويطرد شبح النوم مما يشير إلى الجدية في الفعل، كما تشير العبارة إلى روح التعاون على التقوى التي يجب أن تسود بين أفراد الأُسر المؤمنة، ثم إنه بث هذه الروح الخيرة في القطب الثاني للأسرة

---

(١) برقم (١٣٠٨). وصحّحه ابن خُزيمة (١١٤٨)، وابن حبان (الإحسان٢٥٦٧)، وقال الحاكم (١/٣٠٩): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط في (ن ض ر).

وهي المرأة كشريك معين على طاعة الله في البيت المسلم فخصَّها بما خص به زوجها، ودعا لها كما دعا له، وانتدبها لتكون داعية لزوجها إلى معالي الأمور، وفضائل الأعمال حتى يتحقق التكامل في الأسرة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى أحد الأمور المستحبة في صلاة الليل، حيث يندب لمن قام لصلاة الليل أن يوقظ من يرجى قيامه للتهجد من زوجة أو غيرها.

ونص الشافعية[1] على أنه يستحب للرجل متى قام لصلاة الليل أن يوقظ زوجته للصلاة معه وكذا المرأة أن توقظ زوجها لتلك الصلاة فإن أبى الرجل أو المرأة القيام كان للآخر أن ينضح في وجهه الماء ليوقظه، على سبيل الندب لا الوجوب ويراعي الإيذاء، وطبيعة العمل نهارًا، ووقت النوم وحال القائم، مع العلم برضاه حتى لا يكون سبيلاً للفتنة.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل إعانة الرجل زوجته وإعانة المرأة زوجها على طاعة الله تعالى.

ثالثا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تعليم وتعميق الالتزام بقيام الليل في الأسرة المسلمة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى:

إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع بأسره، لذا ينبغي على أفرادها العمل على تطبيق شرع الله واقتفاء هدي رسوله ﷺ والعمل على تماسك الأسرة وقوة روابطها وإغلاق منافذها عن الشيطان، وقد جاء في الحديث حث النبي ﷺ على غرس روح

---

(١) المجموع، النووي ٥٣٧/٣، نيل الأوطار ٦٣/٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٨٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٨٦.

التعاون على البر والتقوى بين الأزواج، ومن صور هذا التعاون ما جاء في الحديث من تعاونهما على الاستيقاظ لصلاة الليل، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت الماء في وجهه)، وذلك تعاونًا على البر والتقوى وإيثارًا لاتباع الأمر الإلهي على الهوى النفسي[1]، والمراد من الحديث تلطف كل من الزوجين مع الآخر والسعي في قيامه لطاعة ربه مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2]، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة[3]. وذلك سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الأزواج[4].

ولإيجاد الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة والمحبة بين الأزواج وحصول خير الدنيا والآخرة لهما، شرع الإسلام كثيرًا من الحقوق المشتركة بينهما وأرشد إلى ربط الأسرة وحمايتها بسياج من التناصح والتعاون على البر والتقوى، ومن ذلك:

التناصح بينهما في كل ما فيه خيرهما وسعادتهما في الدنيا والآخرة، فدين الإسلام دين الخير والحق والفضيلة، ودين يسعى بأهله إلى أن يسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ودين يحث على التعاون على البر والتقوى، ودين يرشد أهله إلى أن يتمتعوا بالخيرية المطلقة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة، هذا هو دين الإسلام، وهذه صفة المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو الزوج أو الزوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من هذه المحبة والمودة التي تُورث حب النصيحة في الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح.

ومن صور التعاون على ذلك: التعاون على طاعة الله وما يقرب إلى مرضاته كما

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦١٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١٠٢٧/٣.

جاء في الحديث: (رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)

فهذه صورة من صور التناصح والتعاون، التي تَجُرّ هذا البيت إلى السعادة والراحة، والأجر والثواب العظيم عند الله تعالى.

ومن صور التناصح أيضًا: التعاون بينهما على تربية الأولاد وتنشئتهم النشأة الصالحة الحقة، فهما القدوة لمن في البيت، فلا يسمع الأبناء والبنات إلا قولاً طيبًا، ولا يرون إلا عملاً صالحًا، ولا ينظرون إلا إلى سلوك حسن.

ومن صور التعاون والتناصح: تشجيع كل منهما للآخر على ما فيه خير وهدى، كتشجيع الزوجة زوجها على بر والديه والقيام بحقوقهما وعدم عقوقهما، ورعاية شؤونهما، وتفقد أحوالهما، والاهتمام بهما، وعدم الغفلة عنهما، والسعي في مصالحهما، وكذا صلة أرحامه وأقاربه، وحثه على ذلك، وكذا تشجيعه على القيام بوظيفته ومهنته التي يقوم بها، وتهيئة السبل والوسائل لإنجاحه في عمله ووظيفته، فإن نجاحه في ذلك نجاح لها، وأجر وخير في الدنيا والآخرة، ومردود ذلك لها ولأولادها.

ومن صور التناصح والتعاون بينهما: إرشاد الزوج لزوجته في كل ما هو خير لها، وعدم الوقوف أمام رغباتها إذا لم تخالف شرع الله عز وجل، وتشجيعها على صلة والديها وأقاربها بالمعروف.

هذه بعض الصور التي تدل على ضرورة التناصح والتعاون، والبيت الذي يسوده هذا الجو بيت سعيد - بإذن الله تعالى- في دنياه وآخرته.

إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع كله، وهيهات أن يصلح مجتمع وَهَت فيه حبال الأسرة، وانقطعت أو ضعفت، وإن الشيطان حين يفلح في فك روابط الأسرة فهو لا يهدم بيتًا واحدًا، ولا يحدث شرًا محدودًا، وإنما يوقع المجتمع بأسره في أذى مستعر وشر مستطير[1].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير ص ١٣١ - ١٣٣.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل إعانة الرجل زوجته وإعانة المرأة زوجها على طاعة الله تعالى:

جاء في صريح الحديث ما يدل على فضل إعانة الزوجين كل منهما للآخر على عبادة الله، وأن ذلك سبب من أسباب رحمة الله والاندراج في طائفة الذاكرين والذاكرات، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته... ورحم الله امرأة قامت...)، قال العظيم آبادي: "رحم الله أي: وفق للسبق والخير"[١]، وقال ابن علان: "(رحم الله) جملة خبرية لفظًا دعائية مَعْنى عدل عنها إلى الخبرية تفاؤلاً بالإجابة كأنها حصلت وأخبر عنها بما يخبر به عن الحاصل"[٢]، كما بين الحديث أن تعاون الزوجين على طاعة الله دخولهما في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال ﷺ: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا، كتب في الذاكرين والذاكرات)، أي من المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[٣]، وهؤلاء من الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤]، قال ابن كثير: "أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة"[٥].

وقد أرشد الله عباده المؤمنين أن يُولُوا أهليهم العناية والرعاية وحثهم على التمسك بالدين والأخلاق ووقايتهم من النيران، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٦].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ٦١٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٢١/٦.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٦.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (يقول: أدبوهم وعلموهم).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار).

وقال قتادة: (يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصية الله وأن يقوم عليهم بأمر الله ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية نهيتهم وزجرتهم عنها)[١].

"وفي الآية تنبيه للمؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم وموعظة أهليهم وأن لا يصدهم استبقاء الود بينهم عن إسداء النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى.

وعبر الله عن الموعظة والتحذير بالوقاية من النار على سبيل المجاز، لأن الموعظة سبب في تجنب ما يفضي إلى عذاب النار، أو على سبيل الاستعارة بتشبيه الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة"[٢].

وقد أمر الله رسوله بقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٣]، وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[٤].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد في الحديث أسلوب الترغيب واضحًا جليًا، حيث رغّب النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج بالتعاون على طاعة الله تعالى بأن ذلك سبب من أسباب رحمة الله عز وجل، والكتابة في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ أهله..)، وقال: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا كتب في الذاكرين والذاكرات) وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٦٥/٢٨/١١.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٥.

نفعًا وذلك لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وأسلوب الترغيب يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى، فهو أسلوب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان"[١].

إن الترغيب والترهيب دافعان قويان إلى عبادة الله وطاعته والعمل والاجتهاد الدءوب على القرب من الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل والنأي عن النار وما يقرب إليها من قول وعمل، وقد وصف الله عباده المؤمنين وفي مقدمتهم الأنبياء بتوجيههم إلى الله ولجوئهم إليه طمعًا في رحمته وثوابه ورهبًا من نقمته وعقابه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

رابعًا- من أهداف الدعوة: تعليم وتعميق الالتزام بقيام الليل في الأسرة المسلمة:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة، تعميق الالتزام وتعاون أفراد الأسرة على طاعة الله عز وجل، ومن صور ذلك التعاون على الاستيقاظ لصلاة الليل، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)، وذلك أن التعاون وتعميق الالتزام في الأسرة سبيل لسعادة أفرادها في الدنيا والآخرة، فإن من صفة المسلم حبه لأخيه ما يحبه لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو الزوج أو الزوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من المحبة والمودة التي تورث حب النصيحة في

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢٠٤/٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، الآيات: ١٥ - ١٧.

الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح[١]، مع حسن المعاملة والثقة المتبادلة وأن تكون هذه العلاقة من أجل المضي في طريق الإسلام والدعوة[٢]، وحتى يجد كل طرف في الأسرة ما تقر به عينه، وتلك بغية الصالحين من عباد الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣]، "أي: هب لنا أولادًا وحفدة تقرّ بهم العيون، وتسر بمكانهم الأنفس لحيازهم الفضائل واتصافهم بأحسن الشمائل"[٤].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٣١.

(٢) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار: لجنة البحث في مكتبة دار الدعوة، بإشراف: أحمد بن عبدالعزيز القطان، وجاسم بن محمد بن مهلهل، ط١ دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٦٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٧/١٢/٢٨٣.

الحديث رقم (١١٨٦)

١١٨٦- وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما ، قالا : قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : ((إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا - أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في التعاون على الطاعة في القيام مع الأهل، وقد جاء في أسلوب خبري خلى من المؤكدات في صورة الشرط الذي يربط بين إيقاظ الرجل أهله، والصلاة بهم، بكتابهما في الذاكرين، واستخدام أداة الشرط (إذا) يشير إلى تحقق الوقوع؛ لأن المؤمن سبَّاق للخير، والتعبير بالأهل يشير إلى معنى أوسع من الزوجة، فيدخل فيه جميع الأهل ثم إن إضافتهم إلى الضمير العائد على الرجل، يوحي إليه بمسئوليته تجاههم، و(ال) في الرجل للجنس فيشمل كل من أتى الفعل، وتثنية الفعل (فصليا) يشير إلى قوة الاتصال، وإلى أنه صلى بها، والتعبير بالكتابة يشير التوكيد، والثبات، والتعبير بالذكر يشير إلى اليقظة، والحضور، والمعية التي تجعلهم في رفقة الله تعالى.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٣٠٩)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٥٦٨)، وقال الحاكم (٣١٦/١): حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٩١١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٨٧)

١١٨٧- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**إِذَا نَعَسَ أحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإنَّ أحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

ينقل غريبه من حديث رقم ١٥١.

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط الذي يعطي الحكم اطرادا مع الزمان، والمكان ويدور حول التنسيق بين العبادة، والراحة، وأخذ النفس في وقت إقبالها، ونشاطها حيث ربط بين حدوث النعاس في الصلاة، وبين الأمر بالرقاد، وقد علل الأمر الذي جاء في جواب الشرط بقوله (فَإنَّ أحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ) قوله (لعله يستغفر) رجاء الاستغفار أي يريد الاستغفار فيسب يعني يدعو على نفسه، وفيه الحث على الخشوع، وحضور القلب في العبادة، وذلك؛ لأن الناعس لا يحضر قلبه، والخشوع إنما يكون بحضور القلب.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى ما ينبغي فعله في صلاة الليل، وأن الإنسان مكلف على قدر طاقته ، فإن قام إلى صلاة الليل فليقم طاقته، فإن أحس بالنوم فليرقد، ثم ليكمل

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢)، ومسلم (٢٢٢/٧٨٦) واللفظ له، وتقدم برقم (١٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٩٣٨).

بعد أن يسترد نشاطه، فلعله يريد أن يستغفر فيسب نفسه ويدعو عليها من فرط نعاسه[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) انظر في ذلك: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل ٣٣٩/١ وما بعدها، نهاية المحتاج ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٧).

الحديث رقم (١١٨٨)

١١٨٨- وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا قَامَ أحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ القُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فاستعجم القرآن على لسانه: استغلق ولم ينطلق به لسانه لغلبه النعاس فلم يقدر أن يقرأ كأنه صار به عجمة[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى ضرورة أن يأخذ المؤمن نفسه وقت نشاطها، وأن يتجنب غلبة النعاس، وشدة التعب حتى لا يثقل القلب فيصرفه عن غرض العبادة، وقد ساقه في أسلوب الشرط ليعطيه اطرادا مع الزمان، والمكان ثم إن الشرط يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه فقد ربط القيام للصلاة على حال استعجام القرآن أي استغلاقه، وعدم انطلاق اللسان به لغلبة النعاس بالأمر بالاضطجاع، والتعبير بالقيام عن الصلاة يوحي بالتقويم والإصلاح، وهو إصلاح العبد للصلاة بتحسين طهورها، وقيامها، وركوعها، وسجودها، من جهة، وإصلاح الصلاة للعبد بتقويم أخطائه، ومغفرة ذنوبه، وتقريبه من ربه من جهة أخرى، وقوله (من الليل) يشير إلى نافلة الليل، والتعبير بالاستعجام كناية عن عدم الفهم، ويشير إلى انطماس المعاني، وتداخل الألفاظ، واضطرابه في القراءة، ويدل على ذلك تفسيره له بقوله (فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ) والحديث يشير إلى بعد نفسي يكمن في الحفاظ على المحبة التي يجب أن يقبل بها

---

(١) برقم (٧٨٧/٢٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ج م)، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٣٢.

العبد على ربه في العبادة، والتعب إذا ما حل بالعبد أورثه الاستكراه، والملل، وهو ما يخرج العبادة عن غرضها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التيسير والتخفيف في العبادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على النشاط وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية التيسير والتخفيف في العبادة:

وردت الإشارة في الحديث إلى أهمية التيسير والتخفيف والابتعاد عن المشقة والحرج، فقال ﷺ: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع" وذلك من مظاهر التيسير الإسلامي في أداء العبادات، وذلك مما تميزت به الشريعة الإسلامية، وإن المتتبع لما شرعه الله علينا من العبادات ليرى أن مظاهر رفع الحرج فيها واضحة جلية لا غموض فيها ولا خفاء[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من دلالة على أن صلاة الليل تكون في نشاط ويقظة، فإذا كان النوم غالبًا كان النوم أفضل، وذلك من مظاهر الدين، فقد قال ﷺ: وإن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه"[2]، ومعنى هذا الحديث أن العبادة ميسرة، والمبالغة فيها لا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال[3].

إن التيسير والتسهيل ورفع الحرج ميزة أصيلة للشريعة الإسلامية، فالمتتبع للتشريع الإسلامي يلمس معاني التيسير ورفع الحرج في الأحكام الشرعية، فاليسر ظاهر والحرج منفي فلا مشقة تعجز المكلفين عن أداء ما طلب منهم ولا حرج يلحقهم مما كلفوه[4].

---

(١) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص١١٩.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم ٣٩.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ص ٨٩.

(٤) المدخل في التعريف بالفقه وقواعد الملكية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص٨٥.

وهناك نصوص صريحة في القرآن والسنة النبوية تدل على أن الشارع الحكيم ما يريد بعباده إلا التيسير والتخفيف، ولا يريد بأحكامه التضييق والتشديد، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(١)]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(٣)]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(٤)].

وفي السنة النبوية -أيضًا- الشيء الكثير من النصوص التي تدل على هذا المعنى، ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقاربوا، وأبْشِروا»[(٥)]. وقال ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا»[(٦)].

فرفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة، ومن مظاهره ما يأتي:

اعتبار المرض، والسفر، والإكراه، والخطأ، والنسيان، أعذارًا لتخفيف الأحكام الشرعية وتشريع الرخص، والقاعدة الشرعية "الضرورات تبيح المحظورات" بنيت على أصل رفع الحرج دفعًا للمشاق والضيق عن أصحاب الأعذار والضرورات.

ومن الأمثلة على التيسير ورفع الحرج قوله الله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[(٧)]، ومن الإصر الذي رفعه الله عنا بالنسبة إلى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٨ .
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .
(٥) أخرجه البخاري ٩٣.
(٦) أخرجه البخاري ٥٢٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

الشرائع السابقة، التوبة، فقد كانت توبة بني إسرائيل بقتل النفس، ومن رفع الإصر إخراج ربع العشر في الزكاة، وقد كانوا يخرجون ربع المال،ومن رفع الإصر غسل موضع النجاسة، وقد كانوا يقرضون موضع النجاسة[1].

وفي الصلاة شرع للعاجز عن القيام أن يصلي حسب حاله، وله أن يجمع بين الصلوات في الخوف والمطر، وكذلك رفع الحرج في الصيام فأسقط الفريضة عن المريض الذي لا يرجى سلامته، وعن العاجز لكبر سنه مع إخراج إطعام مسكين عن كل يوم، وغير ذلك من التيسيرات في العبادات[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: النشاط وحضور القلب في الصلاة:

جاء في الحديث الدلالة على أداء الصلاة في حال النشاط وحضور القلب وإقباله على الصلاة، فقال ﷺ: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه"، قال النووي: أى استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس[3]" فلم يدر ما يقول فليضطجع"، وقد جاءت النصوص الجمة التي ترشد إلى أداء العبادات وقت النشاط، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل النبي ﷺ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل زينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: لا، حُلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد"[4]، أى ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر وكسل عن القيام فليرقد، وفي ذلك حث وأمر بالإقبال على العبادة بنشاط[5].

فإذا لم يستطع المسلم في قيامه الليل تدبر القرآن وتفهمه لما أصابه من التعب أو حل به من النوم فليضطجع قليلاً ويعاود العبادة بنفس نشيطة وشعور صافٍ[6].

---

(١) تفسير الجلالين ٤٢.

(٢) تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، د. أحمد العليان، ص ٦٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٣٢.

(٤) أخرجه البخاري، ١١٥٠

(٥) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ج٣/٤٤-٤٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، د/الحسيني هاشم، ص٦٠١.

وجاءت النصوص الكثيرة الداعية إلى دخول الإنسان في العبادة وهو مستيقظ العقل والذهن، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ. فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»[١].

قال القاضي عياض: (في ذلك دليل على أنه لا يجب أن يقرب الصلاة من لا يعقلها ويؤديها على حقها، وأن يتفرغ من كل ما يشغل عن الخشوع فيها، وأن يكون حاضر العقل، وإلا "لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه" لأنه إذا ذهب يستغفر ويدعو لنفسه وهو لا يعقل، ربما قلب الدعاء، فدعا على نفسه)[٢].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين:

إن من أهداف الدعوة: حث الناس على الاجتهاد في العبادة، لكن مع مراعاة طاقات وقدرات المدعوين، وعدم المشقة عليهم، وفي الحديث صورة من صور مراعاة أحوال المدعوين، فقال ﷺ إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضجع" وذلك رفعًا للمشقة والحرج، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: "أي ما كلفكم مالا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا"[٤].

وقد بَلَغ النبيَّ ﷺ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يطول بالمأمومين في الصلاة فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا. فقد روى الإمام البخاري عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: «يا رسولَ الله لا أكادُ أُدْرِكُ الصلاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بنا فلانٌ، فما رأيتُ النبي ﷺ في مَوْعِظَةٍ كانَ أشدَّ غضبًا منهُ يومَئِذٍ، فقالَ: «أيُّهَا الناسُ إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فمَنْ

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٨٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم، ج٣/١٥٠، ١٥١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٢٨/٦.

صَلَّى بالناسِ فَلْيُخَفِّفْ، فإنَّ فِيهِمُ المريضَ، والضعيفَ، وذَا الْحَاجَةِ»[١].

وفي رواية: فقال النبي ﷺ: «يا مُعاذُ، أفتّانٌ أنت ـ أو أفاتنٌ ـ (ثلاثَ مِرارٍ)، فلولا صليتَ بـ﴿سبِّحِ اسمَ ربِّكَ﴾ ﴿والشمسِ وَضُحاها﴾ ﴿والليلِ إذا يغشى﴾، فإنه يُصلِّي وَراءَكَ الكبيرُ والضعيفُ وَذو الحاجة»[٢].

ولم يقتصر – عليه الصلاة والسلام – على أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ونهيهم عن إطالتها بل كان ﷺ مهتمًا بفعل ما أمر به غيره، وحريصًا على اجتناب ما نهى عنه الآخرين. فقد روي الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَخَفِّ النَّاسِ صَلاَةً، فِي تَمَامٍ»[٣].

ولربما صلى بالناس فسمع بكاء الصبي فتجوز في صلاته وقرأ سورة قصيرة كراهية أن يشق على أمه. فقد روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مَعَ أُمِّهِ ، وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ، فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ»[٤].

وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام: «إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ»[٥].

الله أكبر! صلوات ربي وسلامه عليه. ما أرحمه! وما أشفقه على الأمة! وصدق الله إذا يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

فإذا كان اهتمام إمام الدعاة ﷺ بمراعاة أحوال المأمومين بهذه الصورة فلم لا

---

(١) أخرجه البخاري، ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، جزء من حديث رقم ٧٠٤.

(٣) أخرجه مسلم، ١٨٩.

(٤) أخرجه مسلم، ١٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

يهتم الدعاة بمراعاة أحوال المدعوين أثناء دعوتهم إلى الله تعالى. يقول الإمام النووي تعليقًا على تخفيف النبي ﷺ الصلاة عند سماع بكاء الصبي: (وفيه دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع ومراعاة مصلحتهم، وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم، وإن كان يسيرًا من غير ضرورة)[1][2].

ونرى في حياة رسول الله ﷺ ودعوته الأنموذج الحي في مراعاة أحوال المخاطبين، ومن صور ذلك اهتمام رسول الله ﷺ بمراعاة أحوال الناس، ما ثبت من عنايته العظيمة بأحوال المأمومين من خلال عدة نصوص ووقائع منها:

أ- أمره ﷺ الأئمة بتخفيف الصلاة مراعاة لأصحاب الأعذار من المأمومين:

أمر النبي الكريم ﷺ كل من صلى بالناس بتخفيف الصلاة مراعاة للضعيف والسقيم والكبير من المأمومين. فقط روي الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ»[3].

ب- أمره ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بتخفيف الصلاة مراعاة للمأمومين:

عين النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه إمامًا لقومه، فأمره بتخفيف الصلاة مراعاة للكبير والمريض والضعيف وذي الحاجة. فقد روي الإمام مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «أُمَّ قَوْمَكَ، فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ. وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٥٦ .

(٢) انظر: مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي، ٨١-٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٣.

(٤) أخرجه مسلم، جزء من حديث رقم ١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالقدوة:

هذ واضح من معظم أحاديث الباب، ولعل أوضحها في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا)، ومثله حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فالملاحظ على هذا الحديث ما يلي:

(أ) أنه ﷺ بدأ بنفسه بالقيام بواجب الشكر، أي أنه ﷺ كان أول القائمين بالشكر لله رب العالمين، وذلك بقيامه الليل طويلاً حتى تتشقق قدماه، فإذا كان ﷺ أمر أصحابه رضوان الله عليهم بالقيام بواجب شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فإنه كان أولهم وأسبقهم إلى ذلك.

(ب) أنه ﷺ قام بواجب الشكر بعيدًا عن الناس وفي وقتٍ هم فيه مخلدون إلى الراحة والنوم، وفي هذا استجماع للقوى الذهنية والبدنية والنفسية للقيام بهذا الواجب، فاختار ﷺ أفضل الأوقات وأهدأ الساعات وأسكن اللحظات.

(ج) لم يتحدث ﷺ عن قيامه بواجب شكر رب العالمين، بل كانت أفعاله ﷺ التي تتحدث عن ذلك، وهذا ما جعل زوجه عائشة رضي الله عنها تسأله عن قيامه الليل حتى يصيبه ما يصيبه مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فحينئذٍ أعلنها وأخبرها أنه يفعل ذلك شكرًا لله رب العالمين.

والسؤال الذي يخطر بالبال هنا: أليس في ذلك تربية بالقدوة: تربية النبي ﷺ لأصحابه بالفعل والممارسة؟ أليس هذا الموقف يدعو المخاطبين أن يقتدوا به ﷺ ويتأسوا به؟ أليس هذا الفعل منه ﷺ أفضل من ألف قول من غيره؟

إن للقدوة تأثيرً عميقًا في النفوس يبعث على الجد والاجتهاد في الطاعة وفي قيام الليل طمعًا في رضوان الله تعالى، فما أشد تأثر المؤمن بأسوته ﷺ واجتهاده في قيام الليل حتى مع الإجهاد الشديد إلا أنه أراد أن يُعمق في النفوس المؤمنة قيمة الشكر لله تعالى باجتهاده ﷺ في قيام الليل.

ومن هذا المنطلق فإن على المربين إن أرادوا أن ينجحوا في مهمتهم الجليلة ووظيفتهم النبيلة أن تكون تربيتهم من خلال القدوة فهذه أنجع طرق التربية وأنجحها على مر التاريخ والقرون، "ففي كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة، وكذلك تعفى من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي، لأن المثال الحي المرتقى في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة، فيحصل التأثر والاقتداء وتكون الاستجابة قوية وهي في الوقت نفسه سهلة وتلقائية، وحتى إذا أحببت الاقتداء به من غير سؤال أغناك عن السؤال في كثير من الأعمال، وبهذا تتكامل عناصر التأثير فإذا اجتمع مع محبة الفعل اقتناع العقل بثمرته وفائدته وأضيف إليهما قدوة يتمثل فيهما الفعل فإن التأثير يكون قد بلغ مبلغه" (١).

ثانيًا – من أساليب التربية: التشجيع:

لقد شجع النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، فقال: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وقد أتى هذا التشجيع بثماره الطيبة فكان عبدالله بن عمر لا ينام من الليل إلا قليلاً، أليس في هذا فوائد تربوية للتشجيع؟ أليس هذا دعوة للمربين أن يستخدموا هذا الأسلوب في مهمتهم؟ أليست النفس البشرية تحب التشجيع وتستجيب له؟ ألا يستخدم هذا في حياتنا اليومية كثيرًا؟ ألم يكن هناك مواقف تاريخية كان للتشجيع فيه دور كبير في تسطيرها بحروف من نور؟

"إن التشجيع بمعناه العام لا يختص بالنوابغ فحسب ولا يقتصر على المربين والمعلمين وحدهم، بل هو عام للنوابغ وغيرهم كذلك، في العلم أو في أي مجال آخر.

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٣٣ – ٣٥ مع مراجعه ومصادره.

وهو كذلك ليس مسؤولية المربين والمعلمين وحدهم، بل هو يقع أيضًا على عاتق كل أحد يستطيع ذلك، سواء من المعلمين أو المربين أو الوالدين أو الرؤساء أو غيرهم. بل هو مسؤولية عامة الناس، فبإمكانهم أن يحرِّضوا على الخير ويعينوا على البر، فيجدر بمن يستطيع القيام بذلك أن يقوم به، من خلال الكلمة الطيبة أو المبادرة بالهدية أو من خلال رسالة الشكر والتقدير أو غير ذلك، فلذلك الصنيع أثره البالغ في رفع الهمم وتنمية المهارة، والشعور بالثقة، ذلك أن الناس مجبولون على محبة التشجيع والدعم والشكر.

ولهذا لو تتبعنا سِيَر العلماء والمصلحين والمجاهدين ثم بحثنا عن سر نبوغهم وألمعيتهم - لوجدنا أن كثيرًا منهم قد نال ذلك بسبب كلمة سمعها فغيّرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته وصبره واستشعاره للمسؤولية أو نحو ذلك.

وقد يصدر ذلك من بعض العامة فيكون له وقعه وأثره.

عن حسين الكرابيسي قال: سمعت الشافعي يقول: كنت امرءًا أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلمًا ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلمًا، تَفَقَّهْ يُعْلِك اللهُ. قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي ورجعت إلى مكة وكتبت عن سفيان ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدمت على مالك في المدينة، فكتبت موطأه.

وهذا أحمد لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس، بل لص طرار[1] قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم. فقلت: يا أبه من أبو الهيثم؟ فقال: لما أخرجت للسياط ومدّت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي

---

(١) الطرّار: النشال الذي يشق الجيوب والهمايين ويستل ما فيهما. معجم لغة الفقهاء ص ٢٦٠.

ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العيّار، اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان، لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن، لأجل الدين"[١].

ثالثًا - من أساليب التربية: التعريض:

لقد أراد النبي ﷺ أن يرغب عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في قيام الليل، فعرّض له بذكر من كان كذلك ثم فرط في قيام الليل وتركه، فقال له: "يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، قال ابن حجر: (قوله: "مثل فلان" لم أقف على تسميته في شيء من الطرق، وكأن إيهام مثل هذا لقصد الستره عليه كالذي تقدّم قريبًا في الذي نام حتى أصبح، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصًا معينًا، وإنما أراد تنفير عبدالله بن عمرو من الصنيع المذكور)[٢].

وعلى احتمال أن الحديث فيه تعريض بفلان فإنه يستفاد بذلك في المجال التربوي بأن يستخدمه المربون والموجهون والواعظون والمرشدون في تعاملهم مع من يقومون على تربيتهم وتوجيههم، أليس في هذا التعريض علاج للخلل والفعل غير المرغوب فيه دون تشهير بصاحبه والإعلان به بين الناس فيحفظ عليه ماء وجهه مع لفت نظره إلى ترك ما فعل واجتناب ما ارتكب؟

أليس في التعريض تنبيه للجماعة أن يحذروا هذه الأفعال فيقيموا بينها وبينهم سدًا منيعًا؟ أليس في التعريض حفظ لهيبة المربي بين أتباعه، وحماية لها من كونها قد تتعرض للاهتزاز إذا استخدم الأسلوب المباشر مع من قد لا يقدرونه حق قدره وينزلونه منزلته؟ أليس في التعريض تطبيقٌ لمبدأ تربوي مهم جدًا، وهو الستر قدر الإمكان على أهل الزلات الذين لم يعتادوها ولم يفعلوها على وجه القصد والإصرار؟

والخلاصة: أن التعريض إذا استخدم في محله ووقته لاستطاع عن طريقه المربي أن يحقق الغاية التي يرمي إليها والهدف الذي يريد تحقيقه[٣].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٤٣ - ١٤٥ ومراجعه ومصادره.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/ ٧٧٠ .

(٣) وانظر: نحو تربية إسلامية راشدة ص ٢٤٤.

رابعًا -التربية على النشاط وعدم الكسل:

هذا مستمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكِر عند النبي ﷺ رجلٌ نام ليلة حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال: في أذنه.

قال ابن حجر: (... وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه وأفسد حسه، والعرب تكنى عن الفساد بالبول... ووقع في رواية الحسن عن أبي هريرة في هذا الحديث عند أحمد. قال الحسن: إن بوله والله لثقيل. وروى محمد بن نصر من طريق قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود: حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه. وهو موقوف صحيح الإسناد. وقال الطيبي: خصّ الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم، إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه)[1]، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يؤكد ذلك: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذ هو نام، ثلاث عقد: يضرب على كل عقدة: عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلّت عُقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

قال الشيخ القرضاوي: (وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة، وانطلق إلى معترك الحياة نشيط الجسم طيب النفس منشرح الصدر وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان)[2].

"إن التكاسل في أداء العبادات مظهر من مظاهر دنو الهمة، فتجد من الناس من يؤدي الصلاة بتثاقل وتباطؤ وقلة رغبة، وهذا وصف المنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، بخلاف المؤمنين الصادقين، فإنهم يقومون إلى الصلاة بهمة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٦ .

(٢) الوقت في حياة المسلم ص ٢٢٦.

ونشاط ورغبة، ولذلك وصفهم الله عز وجل بأنهم يقومون إلى التهجد في الليل أو إلى صلاة الفجر تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وهذا آية على مصارعة همتهم لحاجة أجسادهم إلى الراحة والنوم، ويدخل في هذا المظهر التكاسل عن قيام الليل، وصلاة الوتر وأداء السنن والرواتب وبخاصة إذا فاتت فقلّ من يقضيها.

ومن ذلك الغفلة عن قراءة القرآن، وعن ذكر الله عز وجل وعن التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله تبارك وتعالى.

ومن ذلك الغفلة عن أعمال القلوب من حب وإخبات وتوكل ونحو ذلك... ومن ذلك - أيضًا - التواني عن الإنفاق في سبيل الله، فمن الناس من يدفع في سبيل الفساد والإفساد ولا يبالي، وإذا طلب منه الإنفاق في سبيل الله قدم رجلاً وأخر رجلاً، وأخذ يضرب أخماسًا لأسداس، وبدأ يقدم الأعذار تلو الأعذار"[1].

خامسًا - التربية على تحري الأوقات الفاضلة:

هذا واضحٌ في جميع أحايث الباب، وخاصة الأحاديث التي تحتوي على أفعل التفضيل: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل "وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود...".

فهذه الأحاديث تحث على تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة والعمل الصالح، وإذا ربى الناشئة على ذلك كان له الأثر الطيب عليهم وعلى أدائهم في الحياة ونجاحهم فيها. وقد تقدم معالجة هذا المضمون قريبًا[2] كما سيأتي أيضًا في الباب التالي[3]، فكان الأنسب هنا الاختصار والإيجاز.

سادسًا - التربية على استدراك ما فات من الخير:

وهذا مستمد من الحديثين: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة. فهذا النبي ﷺ قد

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٦ - ٣٧ ومراجعه.

(٢) انظر: الباب رقم ٢١٠: باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها.

(٣) وهو الباب رقم ٢١٣، باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح.

استدرك ما فاته من فضل قيام الليل بالصلاة في النهار ولم يجعل النبي ﷺ هذا قاصرًا عليه بل نصح أصحابه رضي الله عنهم بذلك فقال - كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه - (من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل)، فأرشدهم ﷺ إلى استدراك ما فات من الفضل، وعيّن لهم الوقت الذي يمكنهم الاستدراك فيه وهو الوقت ما بين الفجر إلى صلاة الظهر، ولعل الحكمة في ذلك أنه وقت طويل، كما أنه وقت لم تتكاثر فيه المشاغل بعد، بخلاف غيره من بعد الظهر ونحوه حيث تتزاحم الأعمال وتكثر.

والخلاصة أن الحديثين نص في الحث على استدراك ما يفوت الإنسان من الخير، وعلى ذلك ينبغي أن يربي المربي الناشئة وغيرهم على ذلك، بحيث يحرصون على عدم تفويت الخير في وقته، فإن حدث لأي سبب من الأسباب كان هناك المجال للاستدراك والحصول على الثواب والفضل.

ولا شك أن التربية على ذلك فيها فوائد تربوية منها:

(أ) تعويد الناشئة على أن يكون فعل الخير سجية لهم في جميع الأوقات والأحوال والمتغيرات.

(ب) تعويد الناشئة على أن يعطوا كل وقت عمله الذي هو مطلوب فيه بحيث يكون ذلك عادة، فإن حدث وتأخر ذلك فإن فرصة الاستدراك ما زالت قائمة، وهذا مفيد جدًا في غرس عادة عدم تأجيل العمل إلى الغد.

(ج) التقدير الشديد لقيمة الوقت والحرص على عدم تضييعه فيما لا يفيد ولا ينفع، وشغله بما يفيد وينفع[1].

سابعًا - التربية على التعاون المشروع على العبادة:

هذا مستمد من الحديثين: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء...)، و(إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا - أو صلى ركعتين جميعًا، كتبا في الذاكرين الله والذاكرات).

---

(١) انظر: قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة ص ٨٠ - ٨٤.

قال الأستاذ محمد بن عبدالله الدويش: (النفس تضعف ويصيبها الفتور والتقصير لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه الصالحون، يزداد همة ونشاطًا للعمل والاجتهاد فيه، لذا فقد كان النبي ﷺ وهو أتقى الناس وأقربهم لله تبارك وتعالى، يزداد طاعة وهمة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ الناسِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رَمَضانَ حِينَ يلْقاهُ جبريلُ، وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فيُدارِسُه القُرآنَ. فلَرَسولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَة))[1].

قال النووي عند ذكره لفوائد هذا الحديث: (ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم)[2]، ومن صور التعاون المشروع على أداء العبادة:

(أ) الأمر بها والحث عليها، وقد كان ﷺ يفعل ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: «قُومِي، فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ))[3].

بل يخرج من بيته ذات ليلة لابنته وصهره آمرًا إياهما بالصلاة والتهجد، فعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ((أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم طرَقَهُ وفاطمةَ بنتَ النبيِّ عليهِ السلامُ ليلةً فقال: ألا تُصلِّيانِ؟ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أنفُسنا بيدِ اللهِ، فإذا شاءَ أن يَبْعَثَنا بَعَثَنا. فانصرَفَ حينَ قلتُ ذلك ولم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، ثمَّ سمعتُهُ وهوَ مُوَلٍّ يضرِبُ فخذَهُ وهوَ يقول: ﴿وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً﴾[4]))[5].

ويوصي بهذا التعاون بين الرجل وزوجته مثنيًا على من يفعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٢٢٠، ومسلم ٢٣٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٤.

(٤) سورة الكهف، آية: ٥٤.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري ١١٢٧، ومسلم ٧٧٥.

(ب) الاجتماع المشروع على العبادة، كالاجتماع على الذكر، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يفعلون ذلك، فعن معاذ رضي الله عنه أنه قال: ((اجلسوا بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله))[١].

وعن الأسود بن هلال قال: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه[٢].

وعن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيمانًا[٣].

ومن ذلك الاجتماع أحيانًا على أداء النافلة وصلاة الليل، على ألا يكون راتبًا ودائمًا.

وقد صلى النبي ﷺ التطوع في جماعة فصلّى معه ابن عباس، وصلّى معه حذيفة، وصلّى معه ابن مسعود، وصلّى بأصحابه جماعة في بيت رجل من الأنصار، وبوّب البخاري على هذا الحديث، باب صلاة النوافل جماعة [٤]، قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: (وفيه ما ترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة وروى ابن وهب عن مالك أنه لا بأس بأن يؤم النفر في النافلة، فأما أن يكون مشتهرًا ويجمع له الناس فلا، وهذا بناه على قاعدته، سدّ الذرائع. لما يخشى من أن يَظُن من لا علم له أن ذلك فريضة)[٥].

وقيدنا الاجتماع بأن يكون مشروعًا حذرًا من الاجتماع غير المشروع، أو اتخاذ صلاة النافلة جماعة هديًا راتبًا وجمع الناس لها"[٦].

ثامنًا: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

هذا مستمد من حديث عائشة مرفوعًا: (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٧.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٤.

(٤) الباب رقم ٣٦ من كتاب التهجد، وتحته الحديثان ١١٨٥ - ١١٨٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/ ٧٨٠

(٦) تربية الشباب ص ٤٦ - ٤٨.

وحديث أبي هريرة مرفوعًا: (إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضطجع)، فإذا كان المصلي يرغب في تحصيل الفضل والثواب، فإن ذلك لا يكون سبيله إجهاد النفس إجهادًا لا يَعْقِل معه ما يقول، أو لا يستطيع الأداء على الوجه المطلوب، وفي هذا -فيما نرى- توازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تطغى إحداهما على الأخرى، بل يكون التوازن قائمًا بين الاثنتين حتى يستطيع الإنسان أن يؤدي ما هو مطلوب منه على وجه الإتقان والإجادة، لا صورة الأداء فقط، "ويقصد بالتوازن: الاعتدال والتوسط في الأمور، وهذا التوازن بهذا المفهوم هو من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي لا توجد في تربية سواها، حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على أساس من الاعتدال والاستقامة، وتقيم مجالاً واسعًا متوازنًا للاختيارات والبدائل المباحة تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها بعيدة عن التطرف والإغراب.

اقرأ قول الله جل وعز في منهج الإنفاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1]، وفي مجال التربية الأخروية والاهتمام بالجانب الروحي قال عز وجل: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾[2]، ولكن لا يكون ذلك على حساب الدنيا أو إهمالها والاستهتار بها، وقد بيّن الحق عز وجل في نفس الآية آنفة الذكر أن ابتغاء الدار الآخرة لا يجوز أن يكون بنسيان نصيبك من الدنيا، ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[3]"[4].



(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، امين ابولاوي ص ٣٨ - ٣٩.

٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

الحديث رقم (١١٨٩)

١١٨٩- عن أَبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إيمانًا: تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته[2].

احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث، وسابقه يدوران حول معنى واحد، وهو الترغيب في قيام رمضان لما فيه من فضائل يصعب حصرها، فهو شهر تنقية للعام كله، واسترداد لما سلبه الشيطان من الإنسان طوال العام، وعودة إلى ربه بعد طول بُعد، وغربة فيتقلب بين الصيام، والقيام في ندم على الذنب، وحرقة قلب على التقصير تسلمانه إلى طهارة نفس، وصفاء قلب يتقوى بها على نفسه، وشيطانه بقية العام، وقد رغب الرسول ﷺ في القيام عن طريق ربطه بالمغفرة لما تقدم من ذنبه عن طريق أسلوب الشرط، وقوله (إيمانا، واحتسابا) تتميم بلاغي يضيف شرطا إلى القيام يخلصه لله - تعالى- أي إيمَانًا بِصِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَرْغِيبِهِ فِيهِ، وَعِلْمًا بِأَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ مَنْ قَامَهُ عَلَى مَا وَعَدَهُ بِهِ، وَاحْتِسَابًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يَقُومُهُ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ تعالى لا رِيَاءً، وَلا سُمْعَةً، وَلا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩/١٧٣)، ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٣) المرجع السابق ٥١٧.

يُفْسِدُ الْعَمَلَ، وعبارة الرسول ﷺ (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) تسدل ستارا كثيفا على ماض أسود قطعه العبد في شهوات تغضب الله، ومحرمات يرتجف قلبه لفكرة افتضاحها، فيقبل على ربه في القيام إقبال المتهم على من ستر على جنايته، يسوقه الشكر، ويقيده الحياء، فيتولد بينهما ذل، وانكسار هو محض العبادة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى حكم قيام الليل في رمضان أو صلاة التراويح وقد سبقت الإشارة إليها في الحديث رقم (١١٧٢).

وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن صلاة التراويح أو قيام الليل في رمضان سنة عن النبي ﷺ، فقد فعلها ﷺ ثم تركها خشية أن تفرض على الناس، وقال البعض إنها فضيلة لا سنة لعدم مواظبته ﷺ، ويجوز صلاتها في المسجد أو البيت، ويجوز صلاتها جمعًا وفرادى والجمع أفضل، واختلفوا في عددها فجمهور الفقهاء[٢] يرون أنها عشرون ركعة عدا الوتر، والمالكية[٣] يرونها ستًا وثلاثين ركعة عدا الشفع والوتر، والراجح كما يقول ابن تيمية[٤] جواز صلاتها ثلاثًا وعشرين ركعة وثلاث عشرة ركعة وإحدى عشرة ركعة كما روي عن النبي ﷺ في هذا الحديث.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٩/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١.

(٣) المنتقى ٢٠٩/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢.

(٤) الفتاوى الكبرى ٣٤٣/٥.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام رمضان.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل قيام رمضان:

هذا واضح من الحديثين، قال ابن حجر: "قوله: (إيمانًا)، أي: تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه (واحتسابًا)، أي: طلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه"[2]، قال النووي: "ومعنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص. والمراد بقيام رمضان: صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها، قوله ﷺ: (غفر له ما تقدم من ذنبه)، المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة"[3]، وقال الطيبي: "قال البيضاوي: من قام رمضان، أي: أتى بقيام رمضان إيمانًا بالله وتصديقًا بأنه يقرب إليه وطلبًا لوجه الله تعالى، غفر له سوابق الذنوب"[4].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ رَمَضَانَ. فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْهُ. حَتَّى بَقِيَ سَبْعُ لَيَالٍ. فَقَامَ بِنَا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ. ثُمَّ كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا. فَلَمْ يَقُمْهَا. حَتَّى كَانَتِ الْخَامِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ قَامَ بِنَا حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هذِهِ. فَقَالَ: ((إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ)) ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمْ يَقُمْهَا. حَتَّى كَانَتِ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَلِيهَا. قَالَ، فَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ . قَالَ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ. قِيلَ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ. قَالَ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٨٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٤١، ٤٢، وانظر: نيل الأوطار ص ٤٩٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/١٦٣.

بَقِيَّةِ الشَّهْرِ[١].

قال الشيخ عبدالله البسام: "معنى قيام رمضان هو إحياء ليله بالعبادة والصلاة، ففيه مشروعية صلاة الليل في رمضان، وثبتت صلاتها جماعة في المسجد عن النبي ﷺ، ثم أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عمل بها المسلمون بعد ذلك قاطبة فقاموا بصلاة التراويح.

وجزاء القيام في شهر رمضان هو غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لكن هذا مقيد بتكفير الذنوب الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، وإطلاق الذنب يشمل الكبائر والصغائر، لكن جزم إمام الحرمين بأنه يختص بالصغائر، ونسبه القاضي عياض لأهل السنة، قال النووي: "إن لم يوجد صغائر يرجى أن تخفف الكبائر اهـ.

وقبول صلاة الليل وترتب تكفير السيئات بها مشروط به أمران:

أحدهما: أن الذي حمل القائم على القيام هو الإيمان والتصديق بثواب الله تعالى.

الثاني: احتساب العمل عند الله تعالى، والإخلاص فيه لوجه الله تعالى.

فإن فقد العمل هذين الشرطين الهامين، ودخله الرياء والمباهاة فإنه باطل مردود على صاحبه، ونال به صاحبه الملامة والعذاب.

وحكى الكرماني الاتفاق على أن المراد بقيام الليل صلاة التراويح، ويحصل هذا الفضل بما يصدق عليه القيام.

الحديث دليل على فضيلة قيام رمضان، وتأكد استحبابه، وتأكد صلاة التراويح جماعة في المسجد.

قال شيخ الإسلام وغيره: كان الصحابة يفعلونها في المسجد أوزاعًا - أي جماعات - في جماعات متفرقة في عهد النبي ﷺ، وعلى علم منه بذلك، وإقراره لهم، فقد دلت الأخبار على أن فعل التراويح جماعة أفضل من الانفراد، وذلك بإجماع الصحابة وأهل الأمصار، وهو قول جمهور العلماء.

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٧٥، والترمذي ١٣٢٧، والنسائي ١٦٠٥، وابن ماجه ١٣٢٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٠٩٢).

قال شيخ الإسلام: "الصلاة التي لا تسن لها الجماعة الراتبة كقيام الليل والسنن الرواتب وصلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك، فتجوز جماعة أحيانًا، وأما اتخاذ ذلك سنة راتبة فهو بدعة مكروهة"(١).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ترغيب النبي ﷺ في قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا بأن أخبر بأن جزاء من فعل ذلك أنه يغفر له ما تقدم من ذنبه، ولا شك أن هذا ترغيب ما بعده ترغيب للمدعوين في أن يحرصوا على هذه الدعوة التي دعاهم إليها رسول الله ﷺ، فكل ابن آدم خطاء، ومن طبيعة البشر اقتراف الذنوب وملابستها فكان المدعو بحاجة ماسة إلى أن تغفر له الذنوب، فكان قيام رمضان من أسباب ذلك، كما أخبر النبي ﷺ.

وليس أدّل على أثر هذا الترغيب والتزام المدعوين به من أن ما نشاهده من حرص جمهرة المسلمين على قيام رمضان والاجتهاد فيه والمبادرة إليه.

وهكذا حال الداعية مع المدعوين، فإنه يرغبهم إلى العمل الصالح وأن يذكر لهم ثوابه وجزاءه عند الله تعالى، فإن النفس البشرية دائمًا تطمع إلى المكافأة التي تنالها من جراء عملها والتزامها الفعل.

وهذا ما نجده واقعًا في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وهذا ما يفسر كثرة ذكر الجنة ووصف نعيمها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ثالثًا - من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

هذا واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة)، قال النووي: "معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم، بل أمر ندب وترغيب، ثم فسره بقوله: (من قام رمضان ...)، وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب دون الإيجاب، واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب"(٢).

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٦/٣.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ))[١].

قال النووي: "فيه بيان كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته، وفيه أنه إذا تعارضت مصالح قدم أهمها"[٢].

وقال ابن حجر: "وفيه بيان ما كان النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والاكتفاء بما قلّ منها والشفقة على أمته والرأفة بهم، وفيه ترك بعض المصالح لخوف المفسدة وتقديم أهم المصلحتين"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢٨، ومسلم ٧١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣٥/٥/٣ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٤/٣ بتصرف.

الحديث رقم (١١٩٠)

١١٩٠- وعنه رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فيقولُ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة: معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم بل أمر ندب وترغيب[٢].

احتسابًا: طلبًا للثواب المرجُوّ من الله تعالى[٣].

الشرح الأدبي[٤]

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) برقم (٧٥٩/١٧٤). عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، وأخرجه البخاري (٢٠٠٨) عن عقيل، عن ابن شهاب، عن الزهري، عن أبي سلمة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرمضان: ((من قامه إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه)) فقط. والحديث أورده الحميدي في جمعه (١٧٤/٣، رقم ٢٢٥٥) في المتفق عليه، وهذا ما جعل المنذري في ترغيبه (١٤٥٢) يعزوه إلى الصحيحين، ولأجل الزيادة التي في أول الحديث عزاه المؤلف إلى مسلم فقط، وهذا مما جعل الناجي في عجالة الإملاء، أن يقول: قوله: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان) رواه البخاري، هذا ليس بجيد، إذ ليس عند البخاري، إنما عنده: (من قامه) إلى آخره. وكلاهما على الصواب، ولا يجوز تخطئة أحدهما. فمن أراد أصل الحديث فهو متفق عليه، ومن أراد الزيادة، فليست هذه الزيادة عند البخاري، علمًا بأنه لم يشر أحدهما إلى هذه النكتة.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٤) تم دمج الشرح الأدبي لهذا الحديث من الشرح الأدبي للحديث (١١٨٩).

(٥) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- اغتنام الأوقات الفاضلة:

إن النبي ﷺ أرشد إلى قيام رمضان، لما فيه من فضل وثواب عظيم، فهو ﷺ يحثّ على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة، وعدم تضييعها والتفريط فيها، لأنها مواسم الغفران والقبول عند رب العالمين، فإذا ضيّع الإنسان ذلك فقد ضيّع على نفسه خيرًا كثيرًا ونفعًا عميمًا، وفي هذا إرشاد لأهل التربية والتوجيه والتعليم أن يربوا المتعلمين والناشئة على ذلك، ومن الأقوال الشائعة: "من تعب صغيرًا ارتاح كبيرًا ومن ارتاح صغيرًا تعب كبيرًا"، لذا (فإنه ينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها، ... وقد فضل الله من الشهور شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان: فرض فيه الصيام، وسن فيه القيام، واستحب فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين، وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة قائلين: مرحبًا بالمطهر؛ يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ... ورمضان كله شهر مهمّ ولكن أهم أجزائه: الثلث الأخير منه، أو العشر الأواخر منه. وأهميتها لأمرين:

أولاً: أنها ختام الشهر، وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: "اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك".

ثانيًا: أنها مظنة ليلة القدر، وهي الليلة التي جعلها الله خيرًا من ألف شهر، وأنزل في فضلها سورة من كتابه ... وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنص القرآن، إنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه.

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر، شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله[1]

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤.

وكان يخصها بالاعتكاف[(١)])[(٢)].

ثانيًا - التربية على إخلاص العمل لله تعالى:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه" فقد قيّد النبي ﷺ قيام رمضان بقيدين حتى يكون سببًا للغفران، هما "قام إيمانًا واحتسابًا" قال النووي: (معنى إيمانًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص)[(٣)] وقال ابن حجر: (إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، واحتسابًا أي طلبًا للأجر من الله وحده لا لقصد آخر من رياء أو نحوه)[(٤)]، أي أن العمل المطلوب - وقيام رمضان نوع من العمل - لابد أن يتوافر فيه التصديق بالثواب الذي أعده الله عليه، بالإضافة إلى إخلاصه لله تعالى.

(إن العمل الذي يدعو إليه المنهج الإسلامي هو العمل القائم في ظل من الإيمان بالله، فهو لا يريد العمل العشوائي الذي يصدر عن الإنسان وهو لا يدرك غايته، ولا يفهم مقاصده، فعمل كهذا ليس له أثر في بناء الشخصية الإسلامية ولا يرجع على الإنسان بفائدة تدفع عنه غوائل الحياة، فلابد في العمل الصالح لكي يكون له أثر في بناء الشخصية الإسلامية، أن يكون موافقًا لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[(٥)] فالعمل يجب أن يقوم على أساس من الإيمان بالله، وتصحبه النية الصالحة الصادقة، فالنية هي ميزان العمل، فإذا كانت النية خالصة لوجه الله، كان العمل الصادر منها صالحًا مقبولاً عند الله، ذا أثر فعال في تكوين الشخصية الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ومسلم ١١٧٢.

(٢) الوقت في حياة المسلم، ص ٢٢-٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧ .

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١١٢ .

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(١).

والإسلام يهدر أي عمل مهما كانت قيمته، ما لم يكن على أساس من الإيمان بالله تعالى، وهو صريح في هذا كل الصراحة، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٢) وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(٣).

وهذه الآيات صريحة وواضحة في عدم قبول أي عمل: صغيرًا كان أو كبيرًا ما لم يكن مستندًا على أساس من الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

فالذي يبني عمله على غير أساس سليم فإنه ينهار حينما يكون في أمس الحاجة إليه في يوم الموقف حين الجزاء والحساب.

فالكافر مهما عمل في الدنيا من أعمال الخير، فهي لا قيمة لها ولا وزن عند الله سبحانه وتعالى، وليس لها تأثير كبير على شخصيته، وسبب ذلك لأنها لم ترتكز على الإيمان بالله "فكل عمل لا يكون خالصًا على الشريعة المرضية، فهو باطل".

فالإيمان هو حلقة الوصل التي تصل الإنسان بربه، وتجعل لعمله قيمة ووزنًا عند خالقه، وتجعل للقائم به شخصية إسلامية ومكانة في هذا الوجود، "فليس المعول عليه هو العمل، ولكن باعث العمل، فالعمل حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والغاية".

والعمل الذي يريده الإسلام، هو العمل الصالح الذي تزكو به نفس الإنسان وتتقوم به أخلاقه، ويتعمق به وعي الإنسان بإنسانيته، ومتى كان العمل صادرًا عن

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٣) سورة النور، آية: ٣٩.

العلم الصحيح السليم، فإنه يكون العمل الصالح الذي يؤدي إلى السعادة والكمال الإنساني، ومنه تتكون الشخصية الإسلامية)[1].

رابعًا - التربية بالترغيب:

هذا مستمد من قول أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". قال النووي: (قوله "من غير أن يأمرهم بعزيمة" معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم بل أمر ندب وترغيب، ثم فسّره بقوله: "فيقول: من قام رمضان..." وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب دون الإيجاب، واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب"[2] أي أن الصحابي رضي الله عنه - فيما يبدو- قد فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» - فهم منه أنه ترغيب إلى مندوب وليس ترغيبًا إلى واجب، ويترتب على ذلك -فيما نرى- أن هناك درجات للترغيب تختلف باختلاف درجات الأعمال. وقد تختلف كذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، وفي هذا يمكن أن يستفيد أهل التربية من ذلك في مهمتهم السامية في تربية الأجيال الناشئة ونحوهم، يتضح ذلك فيما يلي:

أ- مراعاة الأحوال المختلفة للناشئة وغيرهم في حال النشاط وحال الراحة، فيكون أمام الناشئ ما يفعله وقت نشاطه واجتهاده، ويكون كذلك أمامه ما يفعله وقت فتوره وراحته، وفي هذا واقعية في التربية فالإنسان نفسه ليس على حالة واحدة فتارة ينشط وتارة يفتر، وفي هذا مراعاة لحاله واختلافها.

ب- تعويد الناشئة على استحضار درجات الأعمال المختلفة ومراتبها، فإذا كان عندهم الرغبة في فعل الأفعال والأعمال المطلوبة والمرغب فيها، فإنهم في كثير من الأحيان قد لا يستطيعون أداءها كلها مرة واحدة وفي وقت واحد إذ قد تتعارض أو تتزاحم، بحيث لا يتسع الوقت أو القدرة إلا لأداء بعضها أو واحد منها، فينبغي أن

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص ١٦٤-١٦٦ ومراجعه ومصادره.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧ .

يكونوا على معرفة بما يقدم وبما يترك ولا يُفعل، وهذا لا يكون إلا بمعرفة مراتب الأعمال، فلا يَفْعَلون مرغبًا فيه على سبيل الندب ويَدَعُون مرغبًا فيه على سبيل الوجوب، وهكذا.

ج- فتح المجال واسعًا للتنافس في فعل الخيرات والصالحات، فإذا اتضح أمام الناشئة الواجبات فإنهم يلتزمونها ويفعلونها ويبقى المجال مفتوحًا أمامهم لفعل ما استطاعوا من مندوبات وفضائل ومكارم، فإذا تكاسل بعضهم فإنه برؤية بعض المجتهدين يعمل على اللحاق بهم والسير في ركابهم، إن لم يعزم على التفوق عليهم.

وهكذا يأتي الترغيب باختلاف درجاته بفوائده التربوية التي تنفع الناشئة في حياتهم وسلوكهم وأعمالهم.



٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: ١] إِلَى آخرِ السورة، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[الدخان: ٣] الآياتِ.

الحديث رقم (١١٩١)

١١٩١ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا للثواب والأجر من الله تعالى[٢].

الشرح الأدبي

الله - تبارك -وتعالى- خلق الناس متفاوتين في عزائمهم كما خلقهم متفاوتين في عقولهم، وقدراتهم، وقد جعل الله -عز وجل- من قيام رمضان فرصة للعبد الذي لم يستطع قيام العام كله كما جعل قيام العشر الأواخر لمن لم يستطع قيام كل رمضان، وجعل قيام الليالي الفردية لمن لم يستطع قيام العشر الأواخر كلها، وجعل قيام ليلة القدر لمن لم يستطع قيام بقية الليالي الفردية، ولما كانت الليلة غير محددة في ليلة لزم الحريص على الثواب صيام الليالي الفردية كلها، وقد جاء المعنى في أسلوب الشرط الذي يربط قيام ليلة القدر بالشرط المذكور بمغفرة ما تقدم من الذنوب، وشرط الإيمان ليحقق الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لنبيه، والاحتساب هو التصديق بالجزاء، والرغبة فيه، والقيام على هذا الشرط.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (١٧٥/٧٦٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨١). وأورده في (١٤٥١) مع زيادة في آخره عندهما، ولم يوردها المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى فضل ليلة القدر وما فيها من خير عميم وثواب عند الله عظيم، وأن أفضل شيء يتقرب به إلى الله قيام هذه الليلة وتحري وقتها.

وقد اختلف العلماء في تحرير ليلة القدر على أقوال كثيرة عددها البعض[1] ثلاثة عشر قولاً، وغالى البعض فجعلها في العام كله، وذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أن ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان كما أشارت هذه الأحاديث وإن اختلفوا في هذا الوقت، فذهب جمع منهم إلى أن ليلة السابع والعشرين، ومنهم من قال ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من قال ليلة الثالث والعشرين، ومنهم من قال ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من قال ليلة التاسع والعشرين، كما اتفقوا[3] على أنه يندب لكل مسلم أن يطلب ليلة القدر وأن يقومها ويكثر فيها من الدعاء والاستغفار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام ليلة القدر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الإخلاص في العمل والتصديق بالثواب عليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل قيام ليلة القدر:

لقد قال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) و"ليلة القدر تتركب من لفظين: أولهما: ليلة وهي في اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع

---

(١) المبسوط ١٢٧/٣، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٧١٤/٣،

(٢) المبسوط ١٢٧/٣، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٧١٤/٣، المدونة ٣٠١/١، المنتقى ٨٧/٢ وما بعدها، أحكام القرآن، ابن العربي ٢٧٣/٤، المجموع ٤٨٨/٦، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٨/٢، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٤٧٥/٢، المغني ٥٩/٣ وما بعدها، الفروع، ابن مفلح١٤٠/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٤/٣ وما بعدها، المحلى ٤٥٧/٤.

(٣) المراجع السابقة الصفحات نفسها وما بعدها.

الفجر ويقابلها النهار. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي له عن المعنى اللغوي.

وثانيهما: القدر، ومن معاني القدر في اللغة: الشرف والوقار، ومن معانيه: الحكم والقضاء والتضييق. واختلف الفقهاء في المراد من القدر الذي أضيفت إليه ليلة، فقيل: المراد به التعظيم والتشريف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[(١)]، والمعنى: أنها ليلة ذات قدر وشرف لنزول القرآن فيها. ولما يقع فيها من تنزل الملائكة أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها ذا قدر وشرف.

وقيل: معنى القدر هنا التضييق كمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[(٢)]، ومعنى التضييق فيها إخفاؤها عن العلم بتعيينها أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة. وقيل: القَدْر هنا بمعنى القَدَر -بفتح الدال- وهو مؤاخى القضاء. أي: بمعنى الحكم والفصل والقضاء، قال العلماء: سميت ليلةُ القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأرزاق والآجال وغير ذلك مما سيقع في هذه السنة بأمر من الله سبحانه لهم بذلك. وذلك ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[(٣)]، حيث ذهب جمهور العلماء إلى أن الليلة المباركة الواردة في هذه الآية هي ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه بعض المفسرين"[(٤)].

قال ابن قدامة: "وهي ليلة شريفة مباركة معظمة مفضلّة ثم قال: وقيل إنما سميت ليلة القدر، لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من خير ومصيبة ورزق وبركة"[(٥)].

قال النووي: "قوله ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) سورة الدخان، الآيات ٣ - ٥.

(٤) الموسوعة الفقهية ٣٦٠/٣٥ - ٣٦١ ومصادرها.

(٥) المغني، ٤٤٧/٤ - ٤٤٨.

ذنبه، هذا مع الحديث المتقدم (من قام رمضان..)[1]، قد يقال: إن أحدهما يغني عن الآخر، وجوابه: أن يقال: قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ومعرفتها سبب لغفران الذنوب، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران، وإن لم يقم غيرها"[2].

وقد جمع عبدالله البسام كل ما سبق فقال: "هي ليلة عظيمة شريفة جليلة عند الله تعالى، لها مزايا عظيمة، نلخص فيما يلي بعضها:

أولاً: يُنزل الله تعالى فيها الملائكة من السماء إلى الأرض، وينزلون ومعهم الخير والبركة والرحمة والأمان، ويتقدمهم الروح الأمين جبريل عليه السلام.

ثانيًا: ابتدأ في هذا الليلة الشريفة نزول أول القرآن الذي هو أعظم منة ورحمة على المسلمين.

ثالثًا: يحل فيها السلام والأمان من أول تلك الليلة المباركة حتى الصباح، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[3].

رابعًا: تُقدر فيها الأمور للعام القابل، فتُفْصَل تلك الأمور من الآجال والأرزاق والحوادث وغير ذلك، تُفْصل من اللوح المحفوظ وتتلقاها الملائكة الكتبة ليجري تنفيذها بأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾[4].

خامسًا: العبادة فيها خير من ألف شهر فيما سواها من الأوقات، قال تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[5].

سادسًا: جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه))[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٦/٣ .

(٣) سورة القدر، الآية: ٥.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٥) سورة القدر، الآية: ٣.

(٦) أخرجه البخاري ٣٥، ومسلم ٧٦٠.

سابعًا: الدعاء فيها مستجاب، فقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةِ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: ((قُولِي اللّهُمَّ إِنّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي))[1][2].

وقال ابن عبدالبر: "وجملة القول في ليلة القدر أنها ليلة عظيم شأنها وبركتها، وجليل قدرها. هي خير من ألف شهر، تدرك فيها هذه الأمة ما فاتهم من طول أعمار من سلف قبلهم من الأمم في العمل، والمحروم من حُرِم خيرها. نسأل الله برحمته أن يوفقنا لها وأن لا يحرمنا خيرها آمين. وقال سعيد بن المسيّب: (من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها)[3]. فسبحان المتفضل على عباده بما شاء لا شريك له"[4].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ذكر النبي ﷺ جزاء من يقوم ليلة القدر، وهو غفران ما تقدم من ذنبه. والترغيب له أثر كبير على النفس البشرية كما هو شأن الترهيب أيضًا، فالترغيب يدفعُ النفس البشرية إلى العمل والجدّ فيه والإخلاص، وملازمة العمل والإعداد له، وتفريغ البال له.

من الأمثلة على ذلك: ففي غزوة بدر سمع عمير بن الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو يرغب أصحابه في قتال المشركين، وهو يقول: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟)) قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥١٣، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٩١).

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٣-٢٣٤.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٧١٥، بلاغًا عن سعيد بن المسيب، الموطأ المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ ٩/٤٩٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٩/٤٩٠.

أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[١]. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الإخلاص في العمل والتصديق بالثواب عليه:

هذا واضح من تقييد قيام ليلة القدر بالإيمان والاحتساب حتى يتحصل ثوابها العظيم.

قال النووي: "معنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص"[٣]، وقال ابن حجر: (قوله: إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه "احتسابًا" أي طلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء ونحوه)[٤].

وقال كذلك ابن حجر: (قد عرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتب إلا على النية، فلا بد من قيد الاحتساب)[٥].

وقال العز بن عبدالسلام: "الإخلاص أن لا تعمل إلا لله خوفًا أو رجاءً أو محبة أو حياءً أو إجلالاً ومهابة على قدر منازل العاملين"[٦].

وقال د. عمر سليمان الأشقر عن الإخلاص: "والإخلاص لا يراد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلّها إلى الله وحده، دون سواه، فلا يقصد بعبادته مَلَكًا ولا مَلِكًا، ولا يعبد شجرًا ولا حجرًا ولا شمسًا ولا قمرًا. الإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة. والإخلاص هو الدّين الذي بعث الله به الرسل جميعًا، فكان محور دعوتهم

---

(١) قرنه: جعبة النشاب والنبل. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٥١/١٣/٧ .

(٢) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤١/٦/٣ - ٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٥١/٤ .

(٥) المرجع السابق ١١٩/٣.

(٦) شجرة الأحوال والمعارف ص ٦٤.

ولبّها، وهو الدّين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

وكل رسول لله كان يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[2]، وقد قرر الله هذه الحقيقة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

وتعريفات العلماء للإخلاص متقاربة، مدارها على قصد الله بالعبادة دون سواه، يقول الراغب في مفرداته: "الإخلاص: التعري عما دون الله".

وعرّفه أبو القاسم القشيري بأنه: "إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعات بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنّع لمخلوق، واكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى".

وقال في موضع آخر: "يصح أن يُقال: الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين".

وعرفه العز بن عبدالسلام قائلاً: "الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيمًا من الناس ولا توقيرًا، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضرر دنيوي".

وقال الحارث المحاسبي: "الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب".

وقال سهل بن عبدالله: "الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة".

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٣٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٣٦.

قال الغزالي بعد ذكره لهذا التعريف: "وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض".

ومدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفاء والتميز عن الأوشاب التي تخالط الشيء، يقال: هذا الشيء خالص لك: أي لا يشاركك فيه غيرك.

و(الخلاص) في لغة العرب: ما أخلصته النار من الذهب والفضة.

والخالص من الألوان عندهم ما صفا ونصع.

ويقولون خالصه في العشرة: صافاه.

وجاءت هذه المعاني في الكتاب الكريم: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾[1]، أي لا يخالطه دم ولا روث.

والمراد بقوله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾[2]، في إخوة يوسف: أي انفردوا، وتميزوا عمن سواهم.

والمراد بقوله: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[3]، فيما حكاه الله عن المشركين: أي لا يشركهم الإناث.

وقال تعالى في الزينة والطيبات: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4]، أي لا يشركهم فيها الكفار.

ومن هنا نرى أن بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تناسبًا وتوافقًا، فالإخلاص يهدف إلى تخليص القصد المتوجه إلى الله تعالى من الأوشاب والأخلاط والفساد الذي يزاحمه ويخالطه، بحيث يتصفى القصد لله عز وجل دون سواه في جميع العبادات"[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٦٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٣٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٥) الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، ط/٥ دار النفائس، الأردن: ١٤١٩هـ - ١٩٩٠م، ص ١٥ - ١٨.

الحديث رقم (١١٩٢)

١١٩٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رِجالاً مِنْ أصْحَابِ النبيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأتْ فِي السَّبْعِ الأوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تواطأت: توافقت[2].

متحريها: قاصدها ومتعمدها، ومجتهدًا في تحصيلها[3].

والمعنى: من كان يريد ويجتهد في طلبها وموافقتها.

الشرح الأدبي

ساق ابن عمر رضي الله عنه الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد لخصوصية الخبر، وقوله (أنَّ رِجالاً مِنْ أصْحَابِ النبيِّ ﷺ) يشير جمع (رجل) إلى أنهم كانوا جماعة، وهو ما يعطي الخبر توكيدا؛ لأنه خبر جماعة لا فرد، وقوله من أصحاب رسول الله ﷺ يزيد الخبر توثيقا، وإضافتهم للرسول ﷺ تشريف لهم، وقوله (أروا ليلة القدر) أي رؤية منامية، وأنهم أخبروا عن طريق الرؤية لا السماع، وقول الرسول ﷺ (أرى رؤياكم) جناس يؤكد معنى اتحاد الرؤى، والتواطؤ معناه: التوافق، والتطابق، ويوحي باليسر، واللين، وقوله (فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ) أسلوب شرط يربط العزم على تحريها بتحريها في الليالي السبع الأواخر، والتحري الاجتهاد في البحث،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥/٢٠٥) ولفظهما سواء.

(٢) اللسان والوسيط في (و ط أ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس في (و ط أ).

والحديث يشير إلى أن رؤيا المؤمنين له اعتبار، وأنهم لا يتفقون على باطل، ويشير إلى فضيلة السبع الأواخر التي اشتملت على ليلة هي خير من ألف شهر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ليلة القدر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إقرار النبي ﷺ لرؤيا أصحابه ﷺ ليلة القدر في السبع الأواخر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحري ليلة القدر وقيامها.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والشرط.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ليلة القدر:

هذا واضح من أمر رسول الله ﷺ صحابته ﷺ بتحريها، والتحري طلب باجتهاد وعزم، قال ابن الأثير عن معنى تحروا: "أي: تعهدوا طلبها فيها، والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول"، بل إن النبي ﷺ كان يعتكف من أجل طلبها وموافقتها، عن أبي سلمة قال: انطَلَقتُ إلى أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ فقلتُ ألا تَخرُجُ بنا إلى النَّخلِ نَتحدَّث؟ فخرجَ. فقال: قلتُ حدِّثني ما سَمعتَ مِنَ النبيِّ ﷺ في ليلةِ القَدْرِ؟ قال: اعتَكفَ رسولُ اللهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ من رَمضانَ واعتَكَفْنا معَهُ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أَمامَكَ. فاعتَكَفَ العَشرَ الأوسَطَ فاعتَكفنا معَهُ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أمامَك. قام النبيُّ ﷺ خطيبًا صَبيحةَ عِشرينَ مِن رمضانَ فقال: ((مَن كان اعتكَف معَ النبيِّ ﷺ فليَرجِعْ فإنِّي أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ، وإني نُسِّيتُها، وإنها في العَشْرِ الأواخِرِ في وِترٍ، وإني رأَيتُ كأنِّي أسجُدُ في طينٍ وماء. وكان سَقفُ المسجدِ جَرِيدَ النَّخلِ وما نَرَى في السماءِ شيئًا، فجاءَتْ قَزْعةٌ[1] فأُمطِرْنا، فصلَّى بنا النبيُّ ﷺ حتى رأَيتُ أثَرَ الطينِ والماءِ على جَبهةِ

---

(١) قطعة من الغيم، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٥٠.

رسولِ اللهِ ﷺ وَأَرنَبَتِهِ[١] تَصديقَ رُؤياهُ))[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "ذهب الفقهاء إلى أن ليلة القدر أفضل الليالي، وأن العمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]، وأنها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤]، وورد في فضلها أيضًا بالإضافة إلى ما سبق قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[٥]، قال القرطبي: "أي: تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى، فينزلون إلى الأرض، ويؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر. وتنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى وبكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل"[٦].

وفي فضل ليلة القدر أيضًا قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٧]، أي: أن ليلة القدر سلامةٌ وخيرٌ كلُّها، لا شرّ فيها إلي طلوع الفجر. قال الضحاك: "لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة، وقال مجاهد: هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا أذى"[٨].

وقال ابن العربي بعد أن حكى ثلاثة أقوال في سبب هبة ليلة القدر لهذه الأمة والمنة

---

(١) مقدمة الأنف.

(٢) أخرجه البخاري ٨١٣، ومسلم ١١٦٧، واللفظ للبخاري.

(٣) سورة القدر، آية: ٣.

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٣ - ٤.

(٥) سورة القدر، آية: ٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٣ بتصرف.

(٧) سورة القدر، آية: ٥.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٤ بتصرف. وانظر: الموسوعة الفقهية ٣٥/٣٦١ - ٣٦٢، ومصادرها ومراجعها.

عليهم بها، قال: "والصحيح هو الأول، أن ذلك فضل من الله، وقد أعطيت أمة محمد من الفضل ما لم تعطه أمة في طول عمرها، فأولها أن كتب لها خمسون صلاة بخمس صلوات. وكتب لها صوم سنة بشهر رمضان. وطُهر مالها بربع العشر، وأعطيت خواتيم سورة البقرة من قرأها في ليلة كفتاه - يعني عن قيام الليل - وكتب لها أن من صلى الصبح في جماعة فكأنما قام ليلةً،س ومن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة، فهذه ليلة ونصف في كل ليلة. إلى غير ذلك مما يطول تعداده. ومن أفضل ما أعطوا ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. وهذا فضل لا يوازيه فضل. ومنة لا يقابلها شكر"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إقرار النبي ﷺ لرؤيا أصحابه رضي الله عنهم ليلة القدر في السبع الأواخر:

هذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر. فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، قال ابن حجر: "قوله: تواطأت، بالهمزة، أي: توافقت وزنًا ومعنى. وقال ابن التين: روي بغير همز، والصواب بالهمز. وأصله أن يطأ الرجل برجله مكان وطء صاحبه. وفي هذا الحديث دلالة على عظم قدر الرؤيا وجواز الاستناد إليها في الاستدلال على الأمور الوجودية بشرط أن لا يخالف القواعد الشرعية"[2].

قال عبدالله البسام: "كان الصحابة رضي الله عنهم من حرصهم على الخير ورغبتهم فيما عند الله يتحرون ليلة القدر، ويلحون بالسؤال عنها لما في هذه الليلة من المزايا العظيمة، وما يتنزل فيها من الخيرات والبركات، وما يحل فيها من الرحمة والنعمة والأمن والأمان والسلام.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي: محمد بن عبدالله ٥٤٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، طبعة مصورة، ١٩٦٣/٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٣ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٧٥.

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يرون ليلة القدر إما بعلاماتها وأماراتها، وإما برؤيتها منامًا، قال الشيخ تقي الدين: وقد يكشف الله لبعض الناس في المنام أو اليقظة فيرى أنوارها أو يرى من يقول له: هذه ليلة القدر، فقد رآها بعض الصحابة فجاءوا وأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بما رأوا، فقال صلى الله عليه وسلم: (أرى) بفتح الهمزة بمعنى - أعلم - (رؤياكم تواطأت) أي توافقت على وقت متقارب، وهو (في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر).

والسبع الأواخر من شهر رمضان هي أرجى ما تكون تلك الليلة.

وفضل ليلة القدر وشرفها وما جعل الله تعالى من الخير والبركة، حتى صارت العبادة فيها خيرًا من ألف شهر مما سواها من الأيام والليالي.

وإن الله تعالى من رحمته بخلقه وحكمته بأمره أخفى هذه الليلة ليجدّ المسلمون في العبادة في تلك الليالي، فيكثر ثوابهم، ولو علموا بها في ليلة معينة لقصروا اجتهادهم عليها إلا من شاء الله تعالى.

ويستحب طلبها والتعرض فيها لنفحات الله تعالى، فهي ليلة مباركة تضاعف فيها الأعمال، ويستجاب فيها الدعاء، ويسمع فيها النداء، وتقال فيها العثرات، فالمحروم من حُرم خيرها وحرم التماس خيرها والله الموفق"[1].

و"من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول قولاً أو يفعل فعلاً فهل يكون قوله أو فعله حجة يترتب عليها الحكم أو لا؟ ذكر الشوكاني في ذلك ثلاثة أقوال: الأول: أنه يكون حجة ويلزم العمل به. وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منها الأستاذ أبو إسحاق؛ لأن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حق والشيطان لا يتمثل به. الثاني: أنه لا يكون حجة ولا يثبت به حكم شرعي؛ لأن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وإن كانت رؤيا حق وأن الشيطان لا يتمثل به لكن النائم ليس من أهل التحمل للرؤية؛ لعدم حفظه. الثالث: أنه يعمل بذلك ما لم يخالف شرعًا ثابتًا.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٥ - ٢٣٦.

قال الشوكاني: ولا يخفاك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا ﷺ قد كمّله الله عز وجل وقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[١]، ولم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ إذا قال فيها بقول أو فعل فيها فعلاً يكون دليلاً وحجة، بل قبضه الله إليه بعد أن أكمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع وتبيينها بالموت، وبهذا تعلم أنا لو قدرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ﷺ أو فعله حجة عليه ولا على غيره من الأمة" أ. هـ كلام الشوكاني بتصرف.

وذكر صاحب تهذيب الفروق أنه لا يلزم من صحة الرؤيا التعويل عليها في حكم شرعي لاحتمال الخطأ في التحمل وعدم ضبط الرائي، ثم ذكر بعد ذلك ما يدل على أن ما يثبت في اليقظة مقدم على ما ثبت بالنوم عند التعارض، قال العز بن عبدالسلام لرجل رأى النبي ﷺ في المنام يقول له: إن في المحل الفلاني ركازًا اذهب فخذه ولا خمس عليك، فذهب ووجده واستفتى ذلك الرجل العلماء فقال له العز: اخرج الخُمس فإنه ثبت بالتواتر وقصارى رؤيتك الآحاد"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تحري ليلة القدر وقيامها:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: (تحروا..)، و(من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وقد بوّب البخاري على بعض أحاديث الباب: باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر[٣]، وقال النووي: "قوله ﷺ: (تحروا ليلة القدر)، أي: احرصوا على طلبها واجتهدوا فيه... قوله ﷺ: ((تَحَيَّنُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ))[٤]، أي: "اطلبوا حينها وهو زمانها"[٥].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ١١/٢٢ ومصادرها ومراجعها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: فضل ليلة القدر، وهو برقم ٣٢، أما الباب فبرقم ٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢١١ - ١١٦٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣/٨/٤.

وقال النووي في المجموع: "ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة، ويستحب طلبها والاجتهاد في إدراكها"[١].

وقد اختلف في تحديد ليلة القدر على أقوال كثيرة[٢]. منها:

أنها متنقلة في ليالي العشر الأواخر تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها، وذلك جمعًا بين الأحاديث التي وردت في تحديدها في ليالي مختلفة من شهر رمضان عامة ومن العشر الأواخر خاصة، لأنه لا طريق إلى الجمع بين تلك الأحاديث إلا بالقول بأنها متنقلة. وأن النبي ﷺ كان يجيب على نحو ما يُسْأَل. فعلى هذا كانت في السنة التي رأى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه النبي يسجد في الماء والطين ليلة إحدى وعشرين [٣]، وفي السنة التي أمر عبدالله بن أنيس رضي الله عنه بأن ينزل من البادية ليصلي في المسجد ليلة ثلاث وعشرين [٤]، وقد ترى علامتها في غير هذه الليالي، وهذا قول مالك وأحمد والثوري وإسحاق وأبي ثور وأبي قلابة والمزنى وصاحبه ابن خزيمة والماوردي وابن حجر العسقلاني من الشافعية. وقال النووي[٥]: "وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك.. ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها"[٦].

وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري أربعين قولاً في تحديد ليلة القدر[٧]، ويمكن تصنيف هذه الأقوال إلى أربع فئات:

الأولى: مرفوضة كالقول بإنكارها في أصلها أو رفعها.

الثانية: ضعيفة كالقول بأنها ليلة النصف من شعبان.

الثالثة: مرجوحة كالقول بأنها في رمضان في غير العشر الأخير منه.

---

(١) المجموع شرح المهذب ٣١٥/٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٢ - ٢٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠١٨، ومسلم ٢١٥ - ١١٦٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٨ - ١١٦٨.

(٥) المجموع شرح المهذب ٣١٦/٦.

(٦) الموسوعة الفقهية ٣٦٦/٣٥.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٢ - ٢٦٧.

الرابعة: هي الراجحة وهي كونها في العشر الأخير من شهر رمضان وأرجاها أوتارها، وأرجح الأوتار ليلة سبع وعشرين.

وهذه الأدلة تؤيدها:

أولاً: ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كانَ مُتَحَرِّيها فَلْيَتَحَرَّها ليلةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ))[1].

ثانيًا: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (المحدَّث المُلْهَم) وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أمين السر النبوي) وغيرهما من الصحابة لا يَشُكُّون أنها ليلة سبع وعشرين[2].

ثالثًا: ما رواه مسلم عن شيخ القراء أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يحلف أنها ليلة سبع وعشرين[3].

رابعًا: كونها ليلة سبع عشرين هو مذهب واختيار إمام أهل السنة الإمام أحمد وأصحابه من فقهاء المحدثين كإسحاق بن راهويه.

خامسًا: قال ابن رجب [4]: "ومما استدل به من رجَّح أنها ليلة سبع وعشرين الآيات والعلامات التي رؤيت فيها قديمًا وحديثًا".

سادسًا: هذا الشعور العام الجماعي عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وعبر قرونها الطويلة أنها هذه الليلة، وإقبالهم على العبادة والاجتهاد فيها، ولا تجتمع أمة محمد ﷺ على ضلالة[5].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر والشرط:

أما الأمر فواضح من قوله ﷺ: (تحروا ليلة القدر)، والشرط في قوله: (فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وهو شرط بمعنى الأمر. فإن من أراد أن يتحرى

---

(١) أخرجه أحمد ٧/٢٧، رقم ٤٨٠٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٨/٤٢٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/٥١٢، ٣/٧٤.

(٣) أخرجه مسلم ٧٦٢.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٦٦.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٧ - ٢٣٨.

ليلة القدر فقد أمره رسول الله ﷺ بتحريها في السبع الأواخر.

والأمرُ أسلوب دعوي مباشر لطلب الامتثال والانقياد ، وهذا على سبيل الاستحباب؛ لأن الأمر هنا ليس للوجوب لوجود الصارف.

الحديث رقم (١١٩٣)

١١٩٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ويقول: ((تَحرَّوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأواخرِ منْ رَمَضانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يجاور: يعتكف[٢].

تحرَّوا: اقصدوا واجتهدوا في تحصيلها[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث، وسابقه يتناولان البحث عن الكنز المفقود في الزمان المحدود تيسيرا على الباحث، وترغيبا في البحث، والتحري، وهذا الكنز العظيم هو ليلة القدر التي تعدل ألف شهر في ميزان العمل، وقد روت الحديثين أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ثم إنها استخدمت فعل الكينونة الماضي (كان) الذي يشير إلى العادة في الحديث الأول، لتشير إلى عادة الرسول ﷺ في الاعتكاف كل عام، وقولها (يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) أي يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والتعبير بالمجاورة يشير إلى الملازمة، كما يوحي بحقوق الجيرة من حسن الأخذ، والرد، وإعانة الناس عند الحاجة من إجابة السائل، وهداية المسترشد، وإعانة الملهوف وقول الرسول ﷺ (تحروا ليلة القدر) التحري القصد، والاجتهاد في الطلب، والأمر للنصح، والإرشاد، واتصاله بواو الجماعة إيذان بأن المأمور به من الأهمية بحيث لا يخُاطب به فرد بل يخاطب به الجماعة، وقوله في الحديث الثاني: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩/٢١٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٣٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ى).

الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) أي احرصوا عليها، ودققوا في البحث عنها فِي كُلِّ وِتْرٍ، أي فرد، وفي الكلام إيجاز بالحذف أي: في كل ليلة وتر، والمقصود الليالي الفردية في العدد، وهذا تَحْدِيدٌ لَهَا بِمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَحُدَّهَا بِهَا فَحَضَّ عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ تَحَرِّيًا لَهَا، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْوِتْرِ مِنْهُ وَبَيَّنَ ذَلِكَ لِيَتَحَرَّاهَا فِي الْوِتْرِ مَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ جَمِيعِ الْعَشْرِ كَمَا بَيَّنَهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ رَمَضَانَ وَحَضَّ عَلَى قِيَامِ جَمِيعِ رَمَضَانَ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ جَمِيعِ الْعَامِ حتى يشارك إخوانه الثواب، ولا يكون من المحرومين.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى فضل العشر الأواخر من شهر رمضان، وأنها من أفضل أيام العبادة، ولذا كان يعتكف فيها رسول الله ﷺ ويجتهد في العبادة فيقوم الليل ويوقظ أهله ليتهجدوا، ويكفي أن في هذه العشر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

والاعتكاف المقصود هنا: يعني الانقطاع للعبادة في العشر الأواخر من رمضان سواء كان فيها كلها أو في يوم أو أيام منها حسب استطاعة كل واحد.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الاعتكاف سنة عن النبي ﷺ وأنه لا يجب إلا بإيجاب الشخص الاعتكاف على نفسه، ويكون الاعتكاف للرجل في المسجد، ومتى اعتكف الإنسان في المسجد لم يكن له الخروج إلا للضرورة وإلا عد قاطعًا لاعتكافه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٤٧/١ وما بعدها، المبسوط، السرخسي ١١٤/٣ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٢ وما بعدها، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢ وما بعدها، أحكام القرآن، الجصاص ٣٣٣/١ وما بعدها، المدونة، الإمام مالك ٢٩٥/١ وما بعدها، ، المنتقى، الباجي ٧٧/٢ وما بعدها، مواهب الجليل، الحطاب ٤٥٤/٢ وما بعدها، المجموع، النووي ٥٠٠/٦ وما بعدها، أسنى المطالب، الأنصاري ٤٣٣/١ وما بعدها، الأم، الشافعي ١١٥/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٨/٣ وما بعدها، المغني، ابن قدامة ٦٣/٣ وما بعدها، ، الفروع، ابن مفلح ١٤٧/٣ وما بعدها.

(٢) سيرد ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٩٥.

الحديث رقم (١١٩٤)

١١٩٤ - وعنها رضي الله عنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الوتر: الوتر من العدد: ما ليس يشفع نحو الواحد والثلاثة والخمسة[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) برقم (٢٠١٧) من حديث مالك بن أبي عامر. وليست عند مسلم زيادة: (في الوتر).

(٢) المعجم الوسيط في (و ت ر).

(٣) سيرد ذكرها في شرح الحديث ١١٩٥.

الحديث رقم (١١٩٥)

١١٩٥-وعنها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ (الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ)[(١)]، أحْيَا اللَّيْلَ، وَأيْقَظَ أهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

من المعلوم لكل مؤمن أن الرسول ﷺ أكثر الناس وفاءً، وأكثرهم عطاءً، وأكثرهم شكراً على النعمة فإذا أضفنا إلى ذلك أنه أكثر الناس إدراكاً، وإحساساً بنعم الله عليه وهو يعلم منزلته عند الله تعالى، وما أعد له؛ فحمله الوفاء، والشكر إلى عبادة لا تنقطع، وقلب لا يغفل، وعين لا تنام إلا للضرورة التي يستلزمها استمرار الجسم في الحياة، وهذا الحديث يشير إلى جانب من جوانب اجتهاد النبي ﷺ في الطاعة في شهر فاضل، وفي ليالي فاضلة، وهو، وإن كان مجتهدا طوال الوقت، إلا أنه في هذه الليالي أشد اجتهادا لتحصيل الثواب العظيم الذي احتوته تلك الليالي فأخفته حتى لا يدركه إلا من جد، واجتهد، وقصد، وتحرى، وقول أم المؤمنين عائشة (كَانَ رسول الله ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ) يشير إلى أنذلك من عادته في كل رمضان من وجهين، الأول استخدام فعل الكينونة الماضي الذي يشير إلى العادة - غالبا-، والثاني استخدام أسلوب الشرط الذي يعطي الحكم اطرادا ينسحب مع الزمان، والمكان، والأفراد لكي يقتدي به كل أحبابه في كل مكان، وزمان، ويربط دخول رمضان بشد الرسول ﷺ المئزر، وإيقاظ الأهل للصلاة، وقوله (وَشَدَّ المِئزَرَ) كناية عن الاستعداد للعبادة، وترك الجماع، وما يشغل عن الله، والتعبير بقوله (أحيا ليله) يشير إلى أن

---

(١) قوله: (الأواخر من رمضان) لا يوجد عندهما. ولم يورد المؤلف هذه الزيادة في الموضع الأول

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧) واللفظ له، بدون الزيادة، وتقدم برقم (٩٩).

العبادة بالنسبة للأوقات كالروح بالنسبة للحي، والحديث يعطي هذه الليالي وضعا خاصا يرجع إلى قيمتها لاشتمالها على ليلة هي خير من ألف شيء.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في العبادة في رمضان.

ثالثًا: من مهام الداعية: ترغيب أهله في اغتنام الأوقات الفاضلة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان:

هذا واضح من الحديثين: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر).

وقد بوّب البخاري على هذا الحديث: العمل في العشر الأواخر من رمضان، قال ابن حجر: "قوله: (شد مئزره)، أي اعتزل النساء.. وقال الخطابي: يحتمل أن يريد به الجدّ في العبادة كما يقال شددت لهذا الأمر مئزري أي: تشمرت له. ويحتمل أن يراد التشمير والاعتزال معًا. ويحتمل أن يراد الحقيقة والمجاز كمن يقول: طويل النجاد، لطويل القامة وهو طويل النجاد حقيقة[2]. فيكون شد مئزره حقيقة فلم يَحُلّه واعتزل النساء وشمر للعبادة.. قوله: (وأحيا ليله)، أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت وأضافه إلى الليل اتساعا، لأن القائم إذا حَيِيَ باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله: ((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا))[3]، أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور، قوله: (وأيقظ أهله)، أي: للصلاة وروى الترمذي ومحمد بن نصر[4] من حديث زينب بنت أم سلمة: لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٩٣، ١١٩٤، مع المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٩٥و ١١٩٦.

(٢) النّجاد: حمائل السيف. مختار الصحاح ص ٦٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٧.

(٤) مختصر قيام الليل، محمد بن نصر المروزي ص ٢٤٧.

رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه"[١].

وقال النووي: "وقولها (أحيا الليل)، أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها. وقولها: (وأيقظ أهله) أي: أيقظهم للصلاة في الليل وجدّ في العبادة زيادة على العادة، ففي هذا الحديث أنه يستحب أن يزاد من العبادات في العشر الأواخر من رمضان واستحباب إحياء لياليه بالعبادات"[٢].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث الحرصُ على مداومة القيام في العشر الأخير؛ إشارة إلى الحث على تجويد الخاتمة"[٣].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وقد قال طائفة من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٤]، إنه طلب ليلة القدر، والمعنى: في ذلك أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر. لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح، فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل، خصوصًا في الليالي المرجو فيها ليلة القدر، فمن ههنا كان النبي ﷺ يصيب من أهله في العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في العبادة في رمضان:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهده في غيره)، قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ في شهر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٧٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٥) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

رمضان الإكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان[١]، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون: إنك تواصل، فيقول لست كهيئتكم إني أبيت - وفي رواية: إني أظل - عند ربي يطعمني ويسقيني"[٢])[٣].

وقال ابن رجب الحنبلي: "واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحَرَم، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ))[٤]، ومنها: شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وفي حديث سلمان الفارسي في فضل شهر رمضان: (من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه...)[٥].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ((عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي))[٦].

وذكر أبو بكر بن مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره، وقال النخعي: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٠٢، ومسلم ٢٣٠٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٦٥، ومسلم ١١٠٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤.

(٥) أخرجه ابن خزيمة ١٨٨٧، وقال: إن صح الخبر أ هـ، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب لابن حجر.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٨٢، ١٨٦٣، ومسلم ١١٥٦.

فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه أفضل من ألف ركعة، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام لشرف زمانه وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها. وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر منها: شرف العامل عند الله وقربه منه، وكثرة تقواه كما ضوعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر"[1].

وقال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه:

١ - الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان هي أفضل ليالي العام كله، لما خصت به من المزايا العظيمة والفضائل الجسيمة التي أهمها ليلة القدر.

قال شيخ الإسلام: "الليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة"[2]، فهي الليالي التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة القدر خير من ألف شهر.

٢ - كان النبي ﷺ من شدة اهتمامه بهذه الليالي المباركة، يعتكف في المسجد ويعتزل الناس، ويعتزل نساءه، تفرغًا للعبادة وإقبالاً على الله.

٣ - الحديث دليل على شدة الإقبال على الطاعة في تلك العشر، والانصراف عن كل ما يقطع العلاقة بالله تعالى.

٤ - قولها: (إذا دخل العشر شد مئزره) دليل على الاهتمام والإقبال على العبادة.

٥ - العشر الأخيرة هي خاتمة الشهر، والأعمال إنما تكون بالخواتيم، ولعلّ هذا من أسرار الجد والاجتهاد فيها.

ونلخص خصائص هذه العشرة المباركات بهذه الفقرات بدون أدلتها فهي معروفة وقريبة والحمد لله:

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٤/١٣ .

أولاً: كان ﷺ يجتهد فيها بالعمل أكثر من غيرها، والاجتهاد فيها لا يختص بعبادة خاصة، بل يشمل الاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وتلاوة وذكر وصدقة وغيرها.

ثانيًا: كان ﷺ يوقظ أهله للصلاة والذكر، حرصًا على اغتنام هذه المواسم الطيبات، فإنها غنيمة لا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوتها ويهملها فتذهب عليه سدى.

ثالثًا: كان يعتكف في هذه العشر، ليتمتع بهذه الخلوة بالله تعالى، ويسعد بلذيذ مناجاته، ويبتعد عن كل ما يشغله ويقطعه عن هذه الخلوة بربه تعالى.

رابعًا: أرجى ما تكون ليلة القدر في هذه العشر المباركات، لذا كان ليلها أفضل ليالي العام، فينبغي تلمسها في هذه الليالي عسى أن يوفّق لها المؤمن، فيحصل له الخير الوفير، فهي (ليلة مباركة) وهي (خير من ألف شهر).

والقصد أن هذه الليالي المباركات التي هي الختام المسكي لصوم الشهر ليال عظيمة، وفوائدها وعوائدها جسيمة، ولا يفرط فيها إلا المحروم من الخير، ممن سفه نفسه، وأكبر من ذلك أن يقضيها بالمجالس المحرمة والاجتماعات الآثمة، نسأل الله تعالى السلامة" [1].

ثالثًا - من مهام الداعية: ترغيب أهله في اغتنام الأوقات الفاضلة:

لقد كان ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، وقالت زينب بنت أم سلمة رضي الله عنها: ((لَمْ يَكُنْ النبي ﷺ إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلاَّ أَقَامَهُ))[2]، قال أبو العباس القرطبي: "قولها: (أيقظ أهله) فيه حث الأهل على القيام للنوافل وحملهم على تحصيل الخير والثواب، ويفهم منه تأكيد القيام في هذه العشر على غيره"[3].

وقال الشيخ عبدالله البسام: "قولها: (وأيقظ أهله) أي للصلاة والعبادة لئلا تفوتهم

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٢٠ - ٢٢٢.

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل ص ٢٤٧، مختصر قيام الليل للمقريزي.

(٣) المفهم ٣/٢٤٩.

فضيلة هذه المواسم المباركات، وهذا من كمال نصحه لهم، فينبغي لقيّم البيت أن ينشط أهله ويرغبهم في العبادة، لا سيما في المواسم الفاضلة"[١].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: ((قُومِي، فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ))[٢]، وقالت أم سلمة رضي الله عنها: استيْقَظَ النبيُّ ﷺ ذاتَ لَيلةٍ فقال: ((سُبحانَ اللهِ ماذا أُنزِلَ الليلةَ مِنَ الفِتَنِ، وماذا فُتِحَ مِن الخَزَائنِ. أيقِظوا صَواحِباتِ الحُجَرِ، فرُبَّ كاسيَةٍ في الدُّنْيا عارِيَةٍ في الآخرة))[٣].

قال ابن حجر: "أشار ﷺ بذلك إلى موجب إيقاظ أزواجه، أي ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة ويعتمدن على كونهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث جواز قول: (سبحان الله) عند التعجب، وندبية ذكر الله بعد الاستيقاظ، وإيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة لا سيما عند آية تحدث، ...، وفي الحديث استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشر كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤]"[٥].

وكان عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلاَةِ يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلاَةَ الصَّلاةَ، ثُمَّ يَتْلُو هذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٦])[٧].

قال ابن عبدالبر: "فيه ما كان عليه عمر من قيام الليل، وأنه لم تشغله أمور المسلمين، وما كان إليهم منهم عن الصلاة بالليل، وذلك لفضل صلاة الليل. ويحتمل أن

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٥، (وصواحبات الحجر: هي منازل أزواج النبي ﷺ. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٢٥٤).

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٢٥٥ .

(٦) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٩، المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ ٥/١١٣.

يكون إيقاظه أهله ليدركوا شيئًا من صلاة الأسحار والاستغفار فيها، ويحتمل أن يكون إيقاظه لهم للصلاة المفروضة صلاة الصبح. وأيها كان فإنه امتثل في ذلك الآية التي ذكر مالك، وامتثل أيضًا - والله أعلم - قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1]، قال أهل العلم بتأويل القرآن ومعانيه: أدبوهم وعلموهم"[2].

ومن ثم فإنه (واجب على كل مسلم - كما يقول ابن عبدالبر أيضًا -: أن يعلم أهله ما يهم الحاجة إليه من أمر دينهم ويأمرهم به، وواجب عليه أن ينهاهم عن كل ما لا يحل، ويوقفهم عليه، ويمنعهم منهن ويعلمهم ذلك كله لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾)[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من استخدام لفظ (كان) فإنه يخبر عن فعل من أفعال النبي ﷺ أو عدة أفعال له ﷺ في رمضان، وذلك ليقتدي به المدعوون في صيام نهاره وقيام ليله والإكثار من الطاعة والاجتهاد من العبادة فيه.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) الاستذكار ١١٣/٥ - ١١٤.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٦/٨، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٢/٢١ - ٩٤.

الحديث رقم (١١٩٦)

١١٩٦ - وعنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في بيان حال الرسول ﷺ واجتهاده في العبادة في شهور السنة عامة، وفي شهر رمضان خاصة لاسيما العشر الأواخر، وقلنا سابقا أن التعبير بكان يشير إلى العادة الغالبة في الفعل، وتعبير أم المؤمنين بقولها (يجتهد) أي يبذل جهده، وفيه إشارة إلى الاستغراق في الطاعة، والعبادة التي تستنفذ الجهد، وجملة النفي بعده (مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) تشير إلى أنه في رمضان يجتهد أكثر من غيره لأنه موسم خير تتضاعف فيه الحسنات، وهو قدوة لأمته فأراد أن يعلمهم كيف يتعاملون مع مواسم الخير الفاضلة بما يكون فيه صلاح آخرتهم، ودنياهم ، والحديث يشير إلى ثلاث مراتب في الاجتهاد المرتبة الاجتهاد طوال العام، وهو طبيعة نفسه الزكية التي تأوي إلى مرضاة الله - تعالى - في كل عمل خير، والمرتبة الثانية في شهر رمضان حيث يجتمع الصيام مع القيام في موسم له خصوصية في الطاعة، والعبادة، والمرتبة الثالثة الاجتهاد في العشر الأواخر، وتتميز عن سابقتيها بمزيد الجهد مع ترك المباحات تركيزا على العبادة الصرفة، وترك حظوظ النفس من المباحات، والاقتصار على ما تتم به العبادة، وهو ما يدل عليه قولها (وَفِي العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) وفيه

---

(١) لا يوجد عند مسلم ولا عند غيره بهذا اللفظ، وأما لفظ مسلم (١١٧٥/٨) فهو: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ما لايجتهد في غيره). وكذا أورده الحميدي في جمعه (١٦٨/٤، رقم ٣٢٩٧) بهذا اللفظ.

إيجاز بالحذف إي ويجتهد في الليالي العشر، فقمة الجهد في العبادة تكون في هذا الليالي الفاضلة لما تحويه من فضل لا يحويه بقية العام، فاستحقت مزيد الجهد لما فيها من مزيد الفضل، وهو درس للأمة في اغتنام مواسم الخيرات.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل العمل والاجتهاد في رمضان خاصة لما فيه من الخير العميم بمضاعفة الثواب والمن من الله بالإعتاق من النار.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب للمسلم أن يقوم الليل في رمضان وأن يجتهد في العبادة، وخاصة في العشر الأواخر منه لما فيها من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والاجتهاد في رمضان لما فيه من مضاعفة الثواب وتعظيم لهذا الشهر الكريم الذي جعله الله منحة لهذه الأمة وفرصة للفوز بالتوبة والنعيم المقيم والعتق من النار.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٧/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح ٥٤٦/١، المحلى ١٩/٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٩٧)

١١٩٧ - وعنها، قالت: قُلْتُ: يَا رسول الله، أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ لَيلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: ((قُولِي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تقدم الحديث فيما سبق عن فضل ليلة القدر، وعمل الرسول ﷺ فيها وحثه على قيامها، وهذا الحديث يدخل بالمعنى لعمق المراد فيمن حرص على قيام رمضان، وأحيا عشره الأواخر حتى أدرك ليلة القدر فالحديث عن سعيد سعى، وأفلح ثم سأل كيف أفعل، وماذا أقول ؟،والسعيدة التي روت الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسؤالها (أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيُّ لَيلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا ؟) وهو استفهام بمعنى أخبرني، وقولها (إن عَلِمْتُ أيُّ لَيلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ) أسلوب شرط يفترض احتمالا، ويبحث له عن حل، وقولها (ما أقول فيها ؟) استفهام على حقيقته، وقول الرسول ﷺ (قولي) أمر توجيه، وإرشاد لأحب الناس إليه عائشة رضي الله عنها فهي أحب الناس إليه بعد أبي بكر، فأتاها بأحب النصح، يعني: أن جوابه لها هو نهاية النصح، والمحبة، ولو أن هناك خيراً من ذلك لقاله لها،وقوله (اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) النداء بصيغة اللهم له طبيعة خاصة يجد فيها القلب صوتا يهدهد حيرته، ويشفي غلته، ويزيده خضوعا، وخشوعا، ويقول علماء اللغة: الميم في (اللهم) بدل (يا) النداء في (يا الله) فتحذف ياء النداء في الأول، ويعوض عنها بميم في الأخير. قوله: (اللهم! إنك عفو) هذا وصف للمولى سبحانه أنه

---

(١) برقم (٣٥١٣). وقال الحاكم (١/٥٣٠): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٩).

عفو، وكم من عفو لله على الخلق! وكم من ذنب يرتكبه الإنسان في خفاء، أو علن والله يعفو عنه! إذاً: يمتدح الله بصفته أولاً؛ لقوله تعالى: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:٣٥] أي: عند الدعاء قدم وسيلة لاستجابة دعائك، وهذا مبدئياً، فإذا قلت:(اللهم! إنك عفو) فقد أثنيت على الله، ومدحت الله بالصفة التي تتناسب مع حاجتك وسؤالك، ولو كنت تريد الرزق: فتسأله بصفة الرزاق، وهنا تريد أن تسأله العفو، فتمتدحه سبحانه بصفة العفو. وقوله: (إنك عفو تحب العفو) قال تعالى: أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ [النور:٢٢] في قضية مسطح وغيره، وقوله: (إنك عفو تحب) أي: وأنا أسألك لأن من صفتك العفو وأنت تحبه أن تعفو عني. وإذا تأمل الإنسان في قوله: (فاعف عني) العفو -كما يقولون- : هو الإزالة، نحو: عفت الريح شرح الأثر، إذا مرت قافلة في الصحراء ورسمت أخفافها وأقدامها في الطريق، فإذا جاءت ريح شديدة وحركت الرمل عفت أثر المسير في الصحراء ولم يبق للمسير أثر، فكذلك العفو عن الزلة يمحو أثرها من الصحيفة، فلا يَبْقَىَ لها أثر مكتوب على الإنسان[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل ليلة القدر وما فيها من خير عميم، وثواب عند الله عظيم، وأن أفضل شيء يتقرب به إلى الله قيام هذه الليلة وتحرير وقتها والدعاء بالخير.

وقد ذكر الفقهاء أنه يندب لكل مسلم أن يطلب ليلة القدر، وأن يقومها ويكثر فيها من الدعاء والاستغفار، وخير ما يدعو به ما تعلمناه من رسول الله ﷺ بأن يقول: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء ليلة القدر.

---

(١) ينظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم - (ج ٣ / ص ٢).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من إخفاء ليلة القدر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم:

هذا واضحٌ من قول السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها؟ فهذا سؤال منها يدل على حرصها على تعلم ما تقوله في ليلة القدر، وهي ليلة ذات فضل عظيم فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]، قال ابن عثيمين: "فإذا كان الإنسان له عشرون سنة [أي يقوم ليلة القدر] صار له عشرون ألف سنة في ليلة القدر"[2].

وقال كذلك: "وذكر المؤلف - أي النووي - أحاديث عن عائشة رضي الله عنها مما يدل على فضل هذه المرأة وأنها حفظت لأمة محمد ﷺ من سنته ما لم تحفظه امرأة أخرى من النساء، فهي رضي الله عنها أكثر النساء حديثًا عن رسول الله ﷺ حفظت من شريعة الله وسنة رسوله ما لم تحفظه امرأة سواها، فجزاها الله عن أمة محمدًا خيرًا"[3].

وهناك أمثلة كثيرة جدًا تنص صراحة على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قالتِ النساءُ للنبيِّ ﷺ: غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأمَرهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: ((ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النارِ)) فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: واثنين))[4].

قال ابن حجر: "وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين"[5].

وقال أبو العباس القرطبي: "في هذا الحديث ما يدل على فضل نساء ذلك الوقت،

---

(١) سورة القدر، آية: ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٧١/٢.

(٣) المرجع السابق ١٣٧٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٠١، ومسلم ٢٦٣٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٧/١ .

وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله ﷺ، وكما قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ))[١]"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء ليلة القدر:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها: "قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني"، قال الطيبي: "فيه دليل على أن طلب العفو رأس كل خير، وفتح باب كل فلاح ونجاة؛ لأنه يستعد به للزلفى إلى الجناب الأقدس"[٣]، وقال ابن علان: فيه إيماء إلى أن أهم المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب، وطهارته من دنس العيوب، فإن بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله، وحزب الله هم المفلحون"[٤].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وأما العمل في ليلة القدر فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحتِسَابًا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبِه))[٥]، وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة رضي الله عنها بالدعاء فيها أيضًا.

قال سفيان الثوري: "الدعاء في تلك الليلة أحب إليّ من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق"، ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء. وإن قرأ ودعا كان حسنًا وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ[٦]، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر. وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٢، ٦١.

(٢) المفهم ٦/٦٤٠ - ٦٤١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/٢٠٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٩١٠، ومسلم ٧٦٠.

(٦) أخرجه مسلم ٧٧٢.

قال الشعبي في ليلة القدر: "ليلها كنهارها"، وقال الشافعي: "أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها" وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر، ليله ونهاره"[1].

وقال ابن رجب كذلك: "العفو من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها، وفي ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا، ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو. كحال المذنب المقصر. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو"[2].

وقال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١ - أم المؤمنين رضي الله عنها من حرصها على أفضل الدعاء في تلك الليلة التي علمت أن الدعاء مستجاب فيها، وأن النداء مسموع فيها، تسترشد من النبي ﷺ عن أفضل دعاء تقوله في ليلة القدر إن علمتها، فأخبر ﷺ بأحسن وأفضل ما تقول.

٢ - هذا الدعاء سأل الرسولَ ﷺ عنه أحبُ الناس إليه، وأرشدها الرسول إليه بطريق إعطاء النصح في المشورة. والذي اختاره هو أعلم الناس بمعناه، فيكون لهذا الدعاء مزايا القبول كلها.

٣ - الدعاء المذكور هو أفضل مسؤول من الله تعالى، فعفو الله عن عباده معناه الصفح عن الذنوب، ومحو السيئات، وترك المجازاة عن الهفوات الكبيرة والصغيرة، وليس بعد هذا إلا الرضا عن المعفو عنه، وإحلاله دار كرامته، وهذا هو غاية المطلوب.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٦٧ - ٣٦٨. وانظر: المجموع شرح المهذب ٣١٦/٦.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٧٠ - ٣٧١.

٤ - هذا الدعاء جَمَع آداب الدعاء فقد ابتدئ بلفظ (اللهم) وهي عوض عن (يا الله)، فالميم بدل من حرف النداء (يا).

وأصح الأقوال: إن لفظ (الله) هو الاسم الأعظم إذا دعي الله به أجاب لتضمنه معنى الإلهية والعبادة.

ثم إن جملة (إنك عفو) فيها تأكيدات لإثبات صفة العفو لله تعالى.

(تحب العفو) فيه إثبات محبته اللائقة بجلال الله تعالى للعفو عن المستعين[1].

(فاعف عني) فيه إثبات حكم العفو ومقتضاه لله تعالى.

ففي هذه الجمل التوسل إلى الله بصفته المناسبة للمطلوب، ومحبته للعفو وقربه منه[2] بأن يعفو عن الداعي. فإذا صادف هذا الاسترحام والتذلل من قلب خاشع، وفي ليلة مباركة، ومن عبد مخلص منيب فهو حري أن لا يُرد، وأن يستجاب لصاحبه، لأن قبول الدعاء له أسباب وآداب هذه من أهمها.

٥ - من فقه عائشة رضي الله عنها أنها اختارت لهذا الوقت الفاضل الدعاء بأفضل مطلوب، حتى إذا حصلت الإجابة، كانت الهبة والعطية جزلة.

٦ - وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فإنه ما أوتي عبد بعد يقين خيرًا من معافاة))[3].

قال في الروض وحاشيته: "فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية، فهذا من أجمع الدعاء"[4].

وينبغي الإكثار في ليلة القدر من الدعاء والاستغفار، لأن الدعاء فيها مستجاب،

---

(١) هكذا في المطبوع، ونظن أن الصواب: المستعفي.

(٢) هكذا في المطبوع.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١، ٦، ١٧، ٣٤، ٤٤، والنسائي في الكبرى ١٠٦٥١/٩ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه واللفظ للنسائي، قال محققو المسند: إسناده صحيح، ولمزيد من تخريجه انظر: مسند أحمد ٥/١.

(٤) الروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح (١٠٥١هـ)، والحاشية للشيخ: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (١٣٩٢هـ)، عناية: عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، ط٨، ١٤١٩هـ، ٤٧١/٣.

ويذكر حاجته في دعائه الذي يدعو به تلك الليلة"(١).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة من إخفاء ليلة القدر:

وهذا واضحٌ من سؤال عائشة رضي الله عنها: أرأيتَ إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ فهذا يفهم منه أن ليلة القدر غير معينة ومحددة وهذا ما يوضحه حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خَرَجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليُخْبِرَنا بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى رجُلانِ منَ المسلمينَ فقال: ((خَرجتُ لأخبِرَكم بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى فُلانٌ وفلان فَرُفِعَتْ، وعسى أن يكونَ خيرًا لكم، فالتَمِسوها في التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ))(٢).

قال ابن حجر: "قوله: (لأخبركم بليلة القدر)، أي: بتعيين ليلة القدر. قوله (فَرُفِعَت)، أي: من قلبي فنسيت تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين"(٣).

قال ابن قدامة الحنبلي: "قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها ويجدوا في العبادة في الشهر كله طمعًا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ليكثروا من الدعاء في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ورضاه في الطاعات ليجتهدوا في جميعها وأخفى الأجل وقيام الساعة ليجدّ الناس في العمل حذرًا منهما"(٤).

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٨ .

(٤) المغني ٤/٤٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على الاشتغال بالخير والعمل على تحصيله:

هذا مستمد من مجموع أحاديث الباب، وذلك على النحو التالي:

أ - النبي ﷺ يحث أصحابه على قيام ليلة القدر "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه".

ب - وهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم ينشغلون بذلك ويعتنون به في أحوالهم المختلفة ليس في يقظتهم فحسب، بل أيضًا في منامهم، فيخبرون النبي الكريم ﷺ أنهم قد أُرُوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فيرشدهم إلى ما يفعلونه: "أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرّها في السبع الأواخر".

ج - وهذا النبي الكريم ﷺ يعتكف في العشر الأواخر ويشتد في الاجتهاد في العبادة، رجاء أن ينال ثواب قيام ليلة القدر، فضرب القدوة لأصحابه.

د - وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسأل عن الدعاء في هذه الليلة الفاضلة التي هي خير من ألف شهر، فيدلّها ﷺ على أن تطلب العفو والعافية والسلامة، "قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني".

أي الملاحظ: أن المجتمع الإسلامي كله منشغل بالخير والعمل على تحصيله وجعله واقعًا حيًّا، لا فرق في ذلك بين القدوة والمثل الأعلى محمد ﷺ وبين أتباعه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولا فرق في ذلك أيضًا بين الرجال والنساء. وعلى ذلك ينبغي أن تكون مهمة المربين والمرشدين وأهل التوجيه والوعظ، فيحاولون أن يشغلوا أتباعهم بالخير بحيث يكون ذلك عادتهم، وديدنهم في حياتهم كلها، وفي مختلف أحوالهم وشؤونهم، وذلك لأنهم إن لم ينشغلوا بالحق شغلوا بالباطل.

إن الناظر في دنيا الناس، يجد أن جمهورهم مشغولون بأمور لا تسمن ولا تغني من جوع، من تشجيع للكرة، ومن متابعة للقنوات الفضائية غير الهادفة، ونحو ذلك، وليت الأمر يقف عند حدٍّ معين، بل يظل الأمر يزداد حتى يشغل ذلك معظم الوقت والجهد والطاقة والأعمار كلها، وليس هذا إلا دليلاً على حدوث خلل في التربية والتنشئة. فعلى

المجتمع كله بوجه عام - والمربين بوجه خاص - أن يعالجوا هذا الخلل، إن أرادوا الصلاح والخير.

ثانيًا - التربية على الإخبار عن الخير وعن الصالحين:

هذا الباب في مجمله - كغيره من الأبواب - قائم على الإخبار عن الخير وعن الصالحين، فأحببنا أن نعالجه هنا بشيء من الإيجاز والاختصار، رغبة في تحصيل الخير والنفع للمربين ومن يقومون بتربيتهم.

فهذه عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تخبر عنه ﷺ:

أ - أنه كان يجاور في العشر الأواخر من رمضان.

ب - وأنه كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشد المئزر.

ج - وأنه كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره.

د - وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يخبر عن خير جيل بعد الأنبياء: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام.

والمقصود بهذا الإخبار هدفان: الأول: إنزال أهل الخير منزلتهم و تقديرهم بما يستحقون من تقدير، وذكر محاسنهم ومآثرهم، والآخر: الاقتداء والتأسي بهم، وكلا الهدفين يكمل أحدهما الآخر، فإن الاقتداء لا يكون إلا بالأعلام الصالحين النبلاء، وبالاقتداء تحتفظ الذاكرة الإنسانية بنماذج طيبة مشرفة تحفظ عليها فطرتها في حب الخير والوصول إليه وتحقيقه "إن خير وسيلة لإشعال العزائم وإثارة الروح الوثابة وقدح المواهب وإذكاء الهمم وتقويم الأخلاق، والتسامي إلى معالي الأمور والترفع عن سفاسفها والائتساء بالأسلاف الأجلاء هو قراءة سير النبلاء الصلحاء والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين"[1].

---

(١) صفحات من صبر العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ص ١٨.

ومطالعة سير العلماء والصالحين متمم لكمال الانتفاع بعلومهم بالاطلاع على أحوالهم وقد قال ابن الجوزي: (رأينا الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف والصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال فليس له كبير عمل في رقة القلب، وإنما ترق القلوب بذكر الأحاديث وأخبار السلف الصالحين)[١]. ومن المفيد جدًا للمربي أن يطالع على الأقل تاريخ الخلفاء الراشدين وكلما استزاد من مطالعة كتب التاريخ استفاد، وهذا ينعكس على من يربيهم ويقوم بتوجيههم"[٢].

ثالثًا- التربية على التدرج في الاجتهاد في العبادة:

هذا مستمد من حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره. فأفاد هذا الحديث أن النبي ﷺ كان اجتهاده في العشر الأواخر أكثر من اجتهاده في أول رمضان، ومعنى ذلك أنه ﷺ لم يشتد في الاجتهاد في رمضان مرّة واحدة ولا كان اجتهاده على درجة واحدة فيه، بل كان ﷺ يتدرج من الأدنى إلى الأعلى، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك في الفعل الواحد الذي يقع في وقت واحد ممتد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّيَ، افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ))[٣]. قال النووي: (هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما)[٤] فما لا يحتاج إلى برهان أن (الشيء إذا كان ابتداؤه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته الازدياد بخلاف ضده)[٥]، لذا فإن للتدرج بوجه عام فوائد تربوية لا تخفى، "فإن للجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعل تحصيلها في وقت وجهد واحد أمر عسير متعذر. لذا فإن التدرج كان معلمًا

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٩٧.

(٢) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ٧٢-٧٣ بتصرف. وانظر مراجعه ومصادره.

(٣) أخرجه مسلم ٧٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٦٣، وانظر: مقومات الداعية الناجح ٧٤.

من معالم التربية النبوية، فخوطب الناس ابتداءً بالاعتقاد والتوحيد، ثم أمروا بالفرائض ثم سائر الأوامر. وفي الجهاد أمروا بكف اليد ثم بقتال من قاتلهم، ثم بقتال من يلونهم من الكفار، ثم بقتال الناس كافة، ومثل ذلك التدرج في تحريم الخمر وإباحة نكاح المتعة ثم تحريمها، وهكذا، لكن يبقى جانب مهم مع الإيمان بمبدأ التدرج، ألا وهو أن ما نص الشرع على تحريمه لا يجوز أن نبيحه للناس، وما نصّ على وجوبه لا يجوز أن نسقطه عن الناس"[1].

رابعًا- التربية الأدبية:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر".

والذي يستوقفنا في هذا الحديث قولها: "أحيا الليل" وقولها "شد المئزر" وذلك لما فيهما من دلالات أدبية تخاطب الوجدان والشعور، إنها رضي الله عنها عبرت عن قيام الليل بقولها "أحيا الليل" وفي رواية البخاري "وأحيا ليله" فاستخدمت لفظ "أحيا" لتدل على أثر قيام الليل، من كونه حياة للقلوب وإنقاذًا للأرواح من أسر المادة وزادًا يستعان به على مواصلة المسير إلى الله سبحانه. قال ابن حجر: (قولها "وأحيا ليله" أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت، وأضافه إلى الليل اتساعًا، لأن القائم إذا حيي باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله ((لا تجعلوا بيوتكم قبورًا))[2] أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور)[3].

أما قولها رضي الله عنها: "وشد المئزر" فكناية اختلف في المراد بها: أهي للتشمير في العبادة

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢، محرم ١٤١٩هـ/مايو ١٩٩٨م، ص ٣٦. وانظر: مقومات الداعية الناجح، ٧٤-٧٥، ١١٧-١٤٦.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري ١١٨٧، ومسلم ٧٧٧ مرفوعًا: "صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا" وهذا لفظ مسلم، وأخرجه مسلم ٧٨٠ عن أبي هريرة مرفوعًا: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١٢٠ .

والجد فيها أم اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات[١]. وبغض النظر عن هذا الاختلاف، فإن المقصود هو تفرغ النبي ﷺ للعبادة وجده فيها، سواء اعتزل النساء أم لم يعتزلهن، وهذا هو المراد، فضلاً عن أن هناك احتمال أنه يراد الأمران معًا كما أشار إلى ذلك ابن حجر[٢].

والخلاصة أن عائشة رضي الله عنها - وهي الأديبة البليغة الفصيحة - قد أجادت في التعبير عن المراد أيما إجادة باستخدام أسلوب أدبي رائع، وفي ذلك لفت نظر المربين أن يهتموا بهذا الجانب المهم، فيربوا الناشئة تربية أدبية تجعلهم يتذوقون فصيح الكلام وبليغه، ويقبلون على ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجعلهم قادرين على التعبير عن المعاني تعبيرًا جيدًا واضحًا مفهومًا مزودًا بالجماليات الأدبية والبلاغية قدر المستطاع.

ومن المجالات التي يمكن أن تستعمل في تنمية هذه التربية الأدبية:

أ - استثمار حصص الإنشاء والتعبير التي أصبحت لا تؤدي الدور المنتظر منها، ويتأكد على المعلم الذي يتولى تدريسها الاعتناء باكتشاف القدرات وتوجيهها وتدريب الطلاب على التعبير المؤثر.

ب - استثمار الأنشطة الصحفية المدرسية وتفعيلها في تدريب الشباب واكتشاف مواهبهم.

ج - إقامة برامج تدريبية تستهدف التدريب على أسلوب الكتابة ومهاراتها.

د - تنمية القدرات اللغوية والارتقاء بها.

هـ - توجيه أصحاب القدرات المتميزة في الجانب الأدبي إلى المشاركة في صفحات القراء في المجلات والصحف الإسلامية ومواقع الانترنت.

مع ملاحظة الاعتناء بالتعويد على الكتابة العلمية الموضوعية دون التركيز على الجوانب اللفظية وحدها[٣].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٧٢٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١١٢٠/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١١٢٠/١.

(٣) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، ص ١٣٢-١٣٣.

خامسًا: من مهام المربي الأول: إصلاح أهله:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل وأيقظ أهله، وجدّ وشد المئزر. فالشاهد في ذلك "وأيقظ أهله" فالنبي ﷺ اعتنى بإصلاح أهله فأيقظهم للصلاة وقيام الليل، وفي ذلك إرشاد للمربين وغيرهم أن تكون مهمتهم الأولى: إصلاح الأهل وتربيتهم تربية صالحة، لأن ذلك الميدان الأول لنجاح المربي، فإن نجح في ذلك كان نجاحه فيما بعده أيسر وأسهل. وقد تقدم معالجة هذا المضمون قريبًا، فيكتفي بهذه الإشارات مع الإحالة عليه[1].



(١) انظر: الباب رقم ٢١٢، باب فضل قيام الليل.

٢١٥- باب فضل السواك وخصال الفطرة

الحديث رقم (١١٩٨)

١١٩٨ - عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

والحديث من باب الترغيب في السواك وما جاء في فضله يشير فيه الرسول ﷺ إلى فضل السواك عند كل صلاه، ورغبته في التزام أمته به لولا وجود المشقة عَلَى مَا عُلِمَ مِنْ إشْفَاقِهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أُمَّتِهِ وَرِفْقِهِ بِهِمْ وَحِرْصِهِ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْمُرَاعَاةِ لِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، والسِّرّ فِي إسْتِحْبَاب السِّوَاك عِنْد الْقِيَام إِلَى الصَّلَاة أَنَّا مَأْمُورُونَ فِي كُلّ حَالَة مِنْ أَحْوَال التَّقَرُّب إِلَى اللَّه تَعَالَى أَنْ نَكُون فِي حَالَة كَمَالٍ وَنَظَافَة إظْهَارًا لِشَرَفِ الْعِبَادَة، وقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ يَتَعَلَّق بِالْمَلَكِ، وَهُوَ أَنْ يَضَع فَاهُ عَلَى فِي الْقَارِئ فَيَتَأَذَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَة فَسُنَّ السِّوَاك لِأَجْلِ ذَلِكَ، وقوله (لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ- لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ) ولَوْلَا كَلِمَة تَدُلّ عَلَى إنْتِفَاء الشَّيْء لِثُبُوتِ غَيْره، وَهِي مُرَكَّبَة مِنْ لَوْ الدَّالَّة عَلَى إنْتِفَاء الشَّيْء لِانْتِفَاءِ غَيْره، وَلَا النَّافِيَة فَدَلَّ الْحَدِيث عَلَى إنْتِفَاء الْأَمْر لِثُبُوتِ الْمَشَقَّة؛ لِأَنَّ إنْتِفَاء النَّفْي ثُبُوت فَيَكُون الْأَمْر مَنْفِيًّا لِثُبُوتِ الْمَشَقَّة، ومدلول هذا التركيب يشير إلى أن الرسول ﷺ يرغب في أن تلتزم أمته بالسواك، وأن استعمال صحابته السواك صار أمرا محبوبا إلى نفسه ﷺ حتى تمنى أن يأمرهم به لولا خوف المشقة وهو -الرحيم-، وقد عبر عن رغبته بـ لولا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩).

التي هي حرف امتناع لوجود ليبث في وجداننا الرغبة الباعثة على الحرص عليه بتمنيه لإلزامنا به لولا خوفه المشقة علينا، وهو الرحمة المهداة، وإضافة الأمة إليه (أمتي) تشريف للأمة، يشير إلى حرصه عليهم، ومحبته لهم التي تقتضي أن يرشدهم إلى ما فيه خيرهم في معاشهم، ومعادهم.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم السواك، ومدى ذكر النبي ﷺ له، واهتمامه به، لأنه مرضاة للرب، ونظافة وطهارة للفم والأسنان.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في كل وقت، وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء، حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ولا يكره السواك إلا للصائم في آخر النهار فقط، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالوا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب السواك عند كل صلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الإسلام على النظافة والتجمل.

أولاً - من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة).

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/١، بدائع الصنائع، المنتقى ١٣٠/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٧٩/٢، المجموع، النووي ٣٢٤/١، إحكام الإحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المغني ٦٩/١، الفروع، ابن مفلح ١٢٥/١.

قال النووي: "وفيه دليل على جواز الاجتهاد للنبي ﷺ فيما لم يرد فيه نصٌ من الله تعالى، وهذا مذهب أكثر الفقهاء وأصحابه، وهو الصحيح المختار. وفيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرفق بأمته"[١].

وقال ابن حجر: "قال القاضي البيضاوي: لولا كلمة تدل على انتفاء الشيء لثبوت غيره. والحق أنها مركبة من (لو)، الدالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره و(لا) النافية، فدلّ الحديث على انتفاء الأمر لثبوت المشقة، لأن انتفاء النفي ثبوت فيكون الأمر منفيًا لثبوت المشقة، وقال الشافعي: فيه دليل على أن السواك ليس بواجب لأنه لو كان واجبًا لأمرهم به شق عليهم أو لم يشق.... وقال المهلب: فيه أن المندوبات ترتفع إذا خشي منها الحرج وفيه ما كان النبي ﷺ من الشفقة على أمته"[٢].

وقال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث أدلُّ الدلائل على فضل السواك والرغبة فيه، وفيه أيضًا دليل على فضل التيسير في أمور الديانة، وأن ما يشق منها مكروه. قال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، الا ترى أن رسول الله ﷺ لم يخير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه"[٤].

والحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسهِ إلاّ أن تُنْتَهَكَ حُرمةُ اللهِ فيَنْتَقِمَ للّه بها))[٥].

قال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث دليل على ان المرء ينبغي له ترك ما عسر عليه من أمور الدنيا والآخرة، وترك الإلحاح فيه، إذا لم يضطر إليه، والميل إلى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٤/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٧٥ – ٣٧٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٦٣٠/٣ – ٦٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

اليسر أبدًا، فإن اليسر في الأمور كلها أحب إلى الله وإلى رسوله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وفي معنى هذا، الأخذ برخص الله تعالى، ورخص رسوله ﷺ، والأخذ برخص العلماء، ما لم يكن القول خطأً بينًا.

روينا عن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه قال: ينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم.

وأخبرنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا سعيد بن أحمد بن عبد ربه وأحمد بن مطرف قالا: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن معمر، قال: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد"[١].

ومثال آخر لشفقته ﷺ حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما عزم أن يصوم النهار ويقوم الليل فأتاه النبي ﷺ وأمره بأن يرفق بنفسه وقال له: ((لا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ... الحديث))[٢].

قال النووي: "وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها"[٣].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: استحباب السواك عند كل صلاة:

قال ابن دقيق العيد: "السواك مستحب في حالات متعددة: منها ما دلّ عليه هذا الحديث وهو القيام إلى الصلاة، والسر فيه: أنا مأمورون في كل حالة من أحوال التقرب إلى الله عز وجل أن نكون في حالة كمال ونظافة، إظهارًا لشرف العبادة. وقد قيل: إن ذلك لأمر يتعلق بالملك وهو أنه يضع فاه على في القارئ. ويتأذى بالرائحة

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١/٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٨/٤.

الكريهة، فسن السواك لأجل ذلك"[١]، قال ابن حجر: "وقد ورد من حديث عليٍّ عند البزار[٢] ما يدل على أنه أمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه، لكنه لا ينافي ما تقدم"[٣]، وقال ابن دقيق العيد: "الحديث بعمومه يدل على استحباب السواك لكل صلاة، فيدخل فيه استحباب ذلك في الصلاتين الواقعتين بعد الزوال للصائم - أي الظهر والعصر - ويستدل به من يرى ذلك، ومن يخالف ذلك يحتاج إلى دليل خاص بهذا الوقت"[٤].

وقال ابن عبدالبر: "وفضل السواك مجتمع عليه لا خلاف فيه، والصلاة عند الجميع بعد السواك أفضل منها قبله.

وقال الأوزاعي: أدركت أهل العلم يحافظون على السواك مع وضوء الصبح والظهر، وكانوا يستحبونه مع كل وضوء وكانوا أشد محافظة عليه هاتين الصلاتين. قال الأوزاعي: السواك شطر الوضوء وقال: وركعة على أثر سواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك"[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص الإسلام على النظافة والتجمل:

هذا واضحٌ من استحباب السواك عند كل صلاة، والسواك يطهر الفم وينظفه، قال النووي: "والسواك مستحب في جميع الأوقات لكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا: أحدها: عند الصلاة سواء كان متطهرًا بماء أو تراب أو غير متطهر، كمن لا يجد ماء أو ترابًا. الثاني: عند الوضوء. الثالث: عند قراءة القرآن. الرابع: عند الاستيقاظ من النوم.

---

(١) إحكام الأحكام في شرح عمدة الاحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ص ٥٠.

(٢) أخرج البزار عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله ﷺ: ((إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه يسمع القرآن فلا يزال عجبه بالقرآن يدنيه حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من شيء من القرآن إلا صار في جوف ذلك الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن))، أخرجه البزار ٤٩٦ كشف الأستار، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨/١، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢١٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٧٦.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥٠.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٦٣١/٣.

الخامس: عند تغير الفم"[1].

قال الدكتور يوسف القرضاوي: "ومن الوسائل التي حرص عليها الإسلام في حفظ الصحة العناية بالنظافة، والحقيقة أن موقف الإسلام من النظافة موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقربة بل فريضة من فرائضه. إن كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه: (الطهارة)، أي: النظافة فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة من فقه الإسلام"[2].

(١) المجموع شرح المهذب ١/١٥٠، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٤٣ ، وانظر: نيل الأوطار ص ٧٨.
(٢) السنة مصدر للمعرفة والحضارة ص ١٥٠.

الحديث رقم (١١٩٩)

١١٩٩- وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ مِن (النَّومِ)[1] يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(الشَّوْصُ): الدَّلْكُ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

يشوص: يَدْلُك[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر استخدام الرسول ﷺ للسواك بالليل كما أن تركيب العبارة في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير إلى أنها عادته في الفعل حيث استخدم فعل الكينونة الماضي الذي يشير غالبا إلى العادة في الفعل، ثم استخدام أسلوب الشرط الدال على التلازم بين الشرط، والجزاء، وبما أن قيامه يتكرر فدل ذلك على أن السواك يتكرر، والشوص: التنظيف، والغسل، والتنقية والدلك، وهو الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق، وعكسه وقيل: هو دلك الأسنان بالسواك، والأصابع عرضا، وهو ما يدل على عنايته بطهارة فمه الذي هو مخرج القرآن، وسبيل خطاب الرحمن، والإسلام دين طهر باطن، وظاهر.

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

---

(١) عندهما بلفظ: (الليل) بدل: (النوم)، ودرج الفقهاء بذكر هذا اللفظ بدل: (الليل) كما في الشرح الكبير للرافعي (١/١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٢٥٥/٤٧).

(٣) رياض الصالحين ٤٣٣.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٠٠.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استعمال السواك عند القيام من النوم.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأهب للعبادة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

هو واضحٌ من قول حذيفة ﵁: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك.

ومن قول عائشة ﵂: كنا نُعِدُّ لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي.

ولا شك أن هذا الإخبار من الصحابة ﵃ عن فعل النبي ﷺ إنما هو دعوة للمدعوين للاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأحواله كلها. لأنه القدوة والأسوة لهم، فكان الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة في إنجاح الدعوة. وما زال الناس - ولا يزالون - يسألون عن أحوال الرجل العظيم فيهم، فيخبرهم القريبون منه والمرافقون له عن أحواله، ومحمد ﷺ أعظم الخلق وأفضلهم، والناس في كل عصر - ماض كان أو حاضر أو مستقبلٍ - متشوقون لمعرفة أحواله وسيرته وسننه، فكان الإخبار أسلوبًا من الأساليب المبلغة لهذه الغاية الشريفة والغرض الأسنى والمقصد النبيل.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استعمال السواك عند القيام من النوم:

هذا واضحٌ من الحديثين، قال ابن دقيق العيد عن حديث حذيفة ﵁: (فيه دليل على استحباب السواك في هذه الحالة الأخرى، وهي القيام من النوم، وعلّته: أن النوم مقتض لتغير الفم، والسواك هو آلة التنظيف للفم، فيسن عند مقتضى التغير. وقوله: "إذا قام من الليل" ظاهره يقتضي تعليق الحكم بمجرد القيام، ويحتمل أن يراد: إذا قام من الليل للصلاة فيعود إلى معنى الحديث الأول)[1].

وقال ابن حجر: (قلت: ويدل عليه رواية المصنف [أي البخاري] في الصلاة بلفظ: إذا

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥١. والحديث الأول هو قوله ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" أخرجه البخاري ٨٨٧، ومسلم ٢٥٢ من حديث أبي هريرة ﵁.

قام للتهجد[١]، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما يشهد له)[٢].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما هو: أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فَنَظَرَ إِلىٰ السَّمَاءِ. ثُمَّ تَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، حَتَّى بَلَغَ، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى. ثُمَّ اضْطَجَعَ. ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ. ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى))[٣].

وقال النووي عن حديث عائشة رضي الله عنها: "فيه استحباب السواك عند القيام من الليل"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين: (وللسواك مواضع يتأكد فيها وإلا فهو مسنون كل وقت، لكن يتأكد في مواضع معينة منها: إذا قام من النوم، فإنه يسن له أن يستاك لحديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك، يعني: يتسوك. وكذلك يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يعدون له سواكه ووضوءه فإذا قام تسوّك وتوضأ وصلّى ما شاء الله. ويسن عند القيام من النوم بالليل أو بالنهار، لأن الفم يتغير فيسن أن يتسوك)[٥].

قال ابن هبيرة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهج بالسواك ويأمر به، ولا سيما عند القيام إلى الصلاة، وقيامه من الليل، فإنه في هذين الوقتين آكد، وهذا لأن الآدمي في منامه ينطبق فمه فيكون ما يجتمع في الفم من الأبخرة المتراقية غير المنفذة والبلاغم المضرة للأسنان أكثر. فإذا قام من الليل كان إلى ذلك أحوج"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٦، ومسلم ٢٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٤٢٤ - ٤٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٩٩٢، ومسلم ٢٥٦، كتاب: الطهارة، واللفظ لمسلم.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦//٢٩.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٣ - ١٣٧٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢٠٨.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأهب للعبادة:

وهذا واضحٌ من قول عائشة رضي الله عنها: كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي، قال النووي: "فيه استحباب ذلك والتأهب بأسباب العبادة قبل وقتها والاعتناء بها"[1].

ولعل من هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهلُ اليَمنِ يَحُجُّونَ ولا يَتزوَّدونَ، ويقولون: نحنُ المتوَكلون، فإذا قِدموا مكةَ سألوا الناسَ. فأنزلَ اللّهُ تعالى: ﴿وتزوَّدوا فانَّ خيرَ الزادِ التَّقوى﴾[2][3].

قال ابن حجر: "قال المهلب: في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى ويؤيده أن الله مدح من لم يسأل الناس إلحافًا، فإن قوله: (فإن خير الزاد التقوى)، أي: تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك، وقال: وفيه أن التوكل لا يكون مع السؤال، وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء"[4].

وقال الطاهر بن عاشور: "والتزود: إعداد الزاد وهو الطعام الذي يحمله المسافر، فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعدادًا ليوم الجزاء، شبه بإعداد المسافر الزاد لسفره، بناء على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت... ويجوز أن يستعمل التزود مع ذلك في معناه الحقيقي على وجه استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، فيكون أمرًا بإعداد الزاد لسفر الحج، تعريضًا بقوم من أهل اليمن كانوا يجيئون إلى الحج دون أي زاد ويقولون: نحن متوكلون على الله، فيكونون كلاً على الناس بالإلحاف فقوله: (فإن خير الزاد... إلخ)، إشارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيهًا بالتفريع على أنه من التقوى، لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض"[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٩/٦/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٥٢٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٤/٣.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣٦/٢.

وقال الشيخ عبدالله البسام: "ينبغي لمن يريد عبادة من العبادات، ومنها الوضوء والطهارة أن يستعد لها بأدواتها، لئلا يحتاج إلى ذلك أثناء أدائها"[1].

ولعلّ الناظر في العبادات في الإسلام يجد أنه قد شرع قبلها ما ينبه المدعو لأن يتأهب للعبادة ويستعد لها، فمثلاً شرع للصلاة الأذان للإعلام بدخول الوقت، كما شرع الوضوء لينبه المدعوين إلى أنهم مقبلون على مناجاة ربهم، فيأخذون أهبتهم واستعدادهم لذلك، وكذلك الأمر في الصيام فقد شرع السحور وذلك ليتقوى الصائم على الصيام فيؤديه كما طلب الشرع من إحسان في العبادة وإقبال عليها بعكس من لم يتسحر فإن الغالب عليه أن يصيبه الكسل والخمول فلا يقبل على الصيام إقبال من تسحر.

والمقصود أن المدعو ينبغي عليه أن يتأهب للعبادة حتى يؤديها بإحسان وإتمام ومن ثم يجني الثمار الطيبة المترتبة عليها.

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/١٦١.

الحديث رقم (١٢٠٠)

١٢٠٠- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّا نُعِدُّ لِرسولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوضَّأُ وَيُصَلِّي. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

طهوره: أي الماء الذي يتطهر به[٢].

يبعثه: يوقظه من نومه[٣].

يتسوك: ينظف فمه وأسنانه بالسِّواك[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يقرر استخدام الرسول ﷺ للسواك بالليل، وهذا التقرير يترتب عليه التشريع بدخولها في جملة أفعاله التي هي السنن لأمته، وهي من السنن الفعلية عن الرسول ﷺ، والحديث ورد في أسلوب خبري دون مؤكدات لأنه على ما يبدو من كلام الراوي أنه خبر مشهود مشهور يدل على ذلك قوله (كنا، نعد) بضمير الجماعة، وتقديم السواك على الطهور يشير إلى العناية به، وكثرة فعله، وبين قوله (فيبعثه، ويبعثه) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى أن استعماله للسواك ليس مرتبطا بوقت معين بل إنه يستاك كلما استيقظ، وأراد أن يتوضأ.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (والحديثان[٥] يدلان على مشروعية المحافظة على السنن التي قبل

---

(١) برقم (١٣٩/٧٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر).

(٣) المرجع السابق في (ب ع ث).

(٤) الوسيط في (س و ك).

(٥) هو حديث الباب الذي رواه الترمذي ٤٢٦، والحديث الذي رواه ابن ماجه ١١٥٨ عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر".

الفرائض وعلى امتداد وقتها إلى آخر وقت الفريضة، وذلك لأنها لو كانت أوقاتها تخرج بفعل الفرائض، لكان فعلها بعدها قضاءً، وكانت مقدمة على فعل سنة الظهر، وقد ثبت في حديث الباب أنها تفعل بعد ركعتي الظهر، وقد ثبت في حديث الباب أنها تفعل بعد ركعتي الظهر، ذكر معنى ذلك العراقي قال: وهو الصحيح عند الشافعية، وقال: وقد يعكس هذا فيقال: لو كان وقت الأداء باقيًا لقدمت على ركعتي الظهر، وذكر أن الأوّل أولى)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) نيل الأوطار ٤٨٣، وانظر الموسوعة الفقهية ٢٥/٢٨٤.

(٢) تم دمجها في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٠١)

١٢٠١- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

الشرح الأدبي

الخبر الذي يرويه أنس رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير أهمية السواك مع غفلة الناس عنه، الأمر الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإكثار من ترغيبهم في السواك كلما وجد مناسبة لذلك، لأن كثيرا من الناس لا يدرك الحكم الكامنة، وراء استخدام السواك، ولا يدركون الضرر المترتب على تركه فيستهينون بالحرص على استخدامه، ودلالة الفعل (أكثرت) بمعناه على الكثرة، وبصيغته في الماضي على التحقق ترغيب عن طريق الخبر، وتنبيه إلى الفضل الداعي إلى مزيد العناية، والاهتمام ثم إن ضمير الجمع المتصل بحرف الاستعلاء (عليكم) يؤكد ذلك لأنه لم يخص بالترغيب، وإنما عمم دلالة على أن الأمر من الأهمية بحيث لا يختص به أحد دون أحد، وقوله (في السواك) استخدام حرف الجر (في) يدل على التمكن في تقرير الأفضلية، والكلام فيه إيجاز بالحذف أي: أكثرت عليكم في الكلام عن فضائل السواك، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: غرس النظافة بين المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك:

هذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أكثرت عليكم في السواك)، فدل هذا على

---

(١) برقم (٨٨٨).

كثرة حث النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم على الاستياك، وذلك لفضله الكبير، ولعل من قبيل كثرة الإيصاء بالشيء لأهميته وفضله ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما زال جِبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه))[١]. قال ابن حجر: "إن الحديث يشعر بأنه بالغ في تأكيد حق الجار"[٢].

وقال ابن الملقن بعد ذكره أحاديث كثيرة في السواك: "هذا آخر ما قصدته وإبراز ما أردته، فيما يتعلق بالسواك، هو مهم جدًا، وقد اجتمع بحمد الله وعونه من الأحاديث من حين شرع المصنف [أي: الرافعي في كتابه الشرح الكبير في فقه الشافعية] في ذكر السواك إلى هذا المكان زيادة على مائة حديث كلها في السواك ومتعلقاته، وهذا عظيم جسيم، فواعجبًا سُنَّةٌ واحدة تأتي فيها هذه الأحاديث يهملها كثير من الناس بل كثير من الفقهاء المشتغلين، وهي - أي ترك السنة - خيبة عظيمة نسأل الله المعافاة منها"[٣].

وقد بلغ من فضل الاستياك أن النبي ﷺ لم يتركه وهو في مرض وفاته، قالت عائشة رضي الله عنها: ((دخلَ عبد الرحمنِ بن أبي بكر على النبيِّ ﷺ وأنا مُسنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبدِ الرحمن سِواكٌ رَطبٌ يَستَنُّ به، فأَبَدَّهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بصرَهُ، فأخذت السواكَ فقضِمتُهُ ونفضتهُ وطيَّبته، ثم دفعتُهُ إلى النبي ﷺ فاستنَّ به، فما رأيت رسولَ اللَّهِ ﷺ استنَّ استِنانًا قطُّ أحسنَ منه، فما عَدا أن فرغَ رسولُ الله ﷺ رفعَ يدَهُ أو إصبَعَهُ ثم قال: في الرفيق الأعلى. ثلاثًا. ثم قَضى))[٤].

قال ابن حجر: "وفيه دلالة على تأكد أمر السواك لكونه ﷺ لم يُخِلّ به مع ما هو فيه من شاغل المرض"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٥، ومسلم ٢٦٢٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٢/١٠.

(٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، تحقيق: مصطفى أبي الغيط عبدالحي وآخرين ٦٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٠، ٤٤٣٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٧/٢.

وإذا كان النبي ﷺ قد بيّن فضل السواك وحثّ أصحابه رضي الله عنهم عليهم، فإنه ﷺ أشفق عليهم أن يكثروا من استعماله إلى الدرجة التي تتضرر بها الأسنان، ولهذا قال ابن هبيرة عن حديث الباب: "أكثرت عليكم في السواك": في هذا الحديث من الفقه أنه ﷺ لما أمر بالسواك وحضّ عليه، وتابع ذلك خاف أن يكون أمره بذلك يبعث بعض الناس على الإلحاح عليه إلى الحد الذي يزعزع الأسنان، فقد قال أبو زكريا الرازي[١] في كتابه المعروف (الحاوي في الطب) في باب: حفظ الأسنان: (ولا تلح على الأسنان بالسواك) ويريد بذلك أن خير الأمور أوسطها كما أن هجر السواك وإطراحه يعفن الأسنان ويفسدها، وأن الإلحاح المتجاوز حده يزعزعها ويضعف أصول منابتها"[٢].

وقال ابن القيم: "وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه، ولا ينبغي أن يُؤخذ من شجرة مجهولة، فربما كانت سمًا، وينبغي القصدُ في استعماله، فإن بالغ فيه، فربما أذهب طَلاوة الأسنان وصقالتها، وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ، ومتى استعمل باعتدال، جلا الأسنان وقوى العمود، وأطلق اللسان، ومنع الحَفَر، وطيب النكهة، ونقى الدماغ، وشهى الطعام. وأجودُ ما استعمل مبلولاً بماء الورد"[٣].

ثانيًا – من أهداف الدعوة: غرس النظافة بين المدعوين:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "أكثرت عليكم في السواك"، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الأمر بالمواظبة على السواك إذ استعماله من الفطرة"[٤]، والحث على السواك مظهر من مظاهر عناية الإسلام بالنظافة.

قال ابن هبيرة عن حديث حذيفة رضي الله عنه: ((كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليلِ يشَوصُ

---

(١) هو محمد بن زكريا الرازي، من الأئمة في صناعة الطب، له كتاب (الحاوي) في صناعة الطب، وهو أجلّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية وطبع فيها، توفي ٣١٣هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي ١٣٠/٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٦/٥.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٢/٤ - ٣٢٣.

(٤) صحيح ابن حبان ٣٤٧/٣ رقم ١٠٦٦.

فاهُ بالسِّواكِ))[١].

قال: "وفي هذا الحديث من الفقه أن السواك تطهر به الأسنان ما لا يبلغ الماء في تطهيره مبلغ السواك، لأن الأسنان على ما خلقها الله تعالى عليه من الرتل في تدوير انتظم بتعددها ما يتخلف من الأغذية إذا لحج[٢] فيما بين السِّنَّيْن أو فيما بين الثلاثة، والأسنان على ما يتراقى إليها من الأبخرة المتصاعدة من البطن على وهجه وحره فيجففه بسرعة فتلحج لحجًا لا يزيله الماء ولا الأصبع، حتى يشوص الرجل فاه بعود من أراك أو خرقة فتبلغ في تطهيره ذلك المبلغ المطلوب، وإنما تطهير الفم من ذلك سنة مستحبة، فإن صلى مصلٍ من غير تسوك أجزأته صلاته إلا أنه تفوته الفضيلة. والسر فيه أن تطييب طريق القرآن؛ فإن الخلوف قد يجتمع منه ما يؤذي ريحه، والملائكة يدنون من الآدمي وقت تلاوة القرآن زيادة دنو حتى جاء في الحديث: ((إذا قرأ القرآن من كان قد بدأ بالسواك جعل الملك فمه على فم القارئ فلا يخرج من فيه كلمة إلا التقمها الملك، فإذا قرأ القرآن بغير سواك تباعد عنه))[٣]، وذلك أن الريح التي يتنفس بها الإنسان هي حاملة القرآن في خروجه، فإذا ترك في الفم ما يفسد الريح تأذى الملك، وتأذى القارئ، وتأذى من يقربه من الآدميين، وإذا استاك فقد نجا من ذلك كله"[٤].

قال د. القرضاوي: "كانت عناية السنة النبوية - كالقرآن - بالنظافة نابعة من عدة اعتبارات، أولاً: إن النظافة من الخصال التي يحبها الله تعالى. فقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[٥]، وأثنى على أهل مسجد قباء وحبهم للطهارة. فقال:

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٥ ومسلم ٢٥٥.

(٢) جاء في القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ٢٠٤: لحج السيف: نشب في الغمد. ومكان لحج: ضيق.

(٣) أخرجه البزار ٤٩٦، كشف الاستار، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨/١ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه امر بالسواك، وقال: قال رسول الله ﷺ: ((إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فتسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن))، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢١٣).

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٧/٢ - ٢٠٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1]، ولهذا اعتبرت الطهارة أو النظافة من خصال الإيمان، حتى شاع بين المسلمين هذا القول: (النظافة من الإيمان)، وظنه بعضهم حديثًا، وما هو بحديث، ولكن هناك حديثًا صحيحًا يقول: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))[2]، أي: نصف الإيمان، والطهور - بمعنى الطهارة - يشمل الطهارة المعنوية، أي: الطهارة من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق، والطهارة الحسية بمعنى النظافة الخاصة والعامة.

وثانيًا: إن النظافة سبيل إلى الصحة والقوة، والإسلام يحرص على صحة الأبدان وقوة الأجسام فهو عدة للفرد وذخيرة للجماعة، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والبدن أمانة لدى المسلم لا يجوز له أن يفرط فيه ويهمل أمره، فيغدو فريسة للأمراض والرسول ﷺ يقول: ((إنَّ لِبدنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))[3].

ثالثًا: إن النظافة شرط للتجمل أو للظهور بمظهر الجمال الذي يحبه الله تعالى ورسوله، ففي الحديث الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال)، وقد قال النبي ﷺ ذلك بعد قوله: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)) قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: ((إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[4].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[5].

وكان الحسن إذا أراد الذهاب إلى المسجد تزين وتطيب ورجل شعره، فلما سئل في

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩ بلفظ: ((إن لجسدك عليك حقًا)).

(٤) أخرجه مسلم ١٤٧ - ٩١.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

ذلك قال: أتجمل لربي، وتلا الآية: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.

رابعًا: إن النظافة والمظهر الحسن من أسباب تقوية الروابط بين الناس، فالإنسان السوي بفطرته ينفر من القذارة ويتجنب أهلها، وهذا سر الحث على الاغتسال قبل الجمعة، كما أنه سر النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث ونحوها لمن يريد الذهاب إلى المسجد حتى لا يؤذي الآخرين بسوء رائحته، فإن صمّم على أكلها، فليعلم أنه محروم من المسجد ومن فضل الجماعة"[1].

(١) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

الحديث رقم (١٢٠٢)

١٢٠٢- وعن شريح بن هانئ، قَالَ: قلت لعائشة رضي الله عنها: بأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدأُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: بِالسِّوَاكِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا المعنى الذي يدور حوله الحديث الذي جاء في صورة السؤال، والجواب عن مبتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم عند دخول بيته، والبداية في كل شيء يوليها الإنسان عنايته، والبداية بالسواك تشير إلى أهميته لدى النبي صلى الله عليه وسلم وتستحب منه إلى أصحابه، ومتابعيه، واختصاص البداية بالسواك عند دخول المنزل يشير إلى طبيعة القرب، والألفة، والمحبة التي تستلزم الاستعداد؛ لأنه يقترب من أهل فيجدون منه ما يجد منه، وهو تعليم للأمة فن طيب العشرة، وإن كان لا يحتاج إلى ذلك الاستعداد كغيره؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أطيب الناس ريحا، ولكنه يعلمنا كيف نتجنب إيذاء الناس لاسيما الأهل، وقولها (بالسوك) فيه إيجاز بالحذف أي كان يبدأ بالسواك) وهو ما يدل على أنها من عادته.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم السواك، ومدى ذِكْر النبي صلى الله عليه وسلم له، واهتمامه به، لأنه مرضاة للرب، ونظافة وطهارة للفم والأسنان.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن السواك سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يستحب التسوك في

---

(١) برقم (٤٣/٢٥٣).

(٢) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/١، بدائع الصنائع، المنتقى ١٣٠/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٧٩/٢، المجموع، النووي ٣٢٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المغني ٦٩/١، الفروع، ابن مفلح ١٢٥/١.

كل وقت، وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ولا يكره السواك إلا للصائم في آخر النهار فقط، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك في جميع الأوقات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﭫ على معرفة أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من اساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك في جميع الأوقات:

هذا واضحٌ من حديث عائشة ﭫ: (إن النبي ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ)[1]، قال النووي: "فيه بيان فضيلة السواك في جميع الأوقات وشدة الاهتمام به وتكراره"[2].

أما حديث أبي موسى فلفظه عند البخاري: ((أتيتُ النبيَّ ﷺ فوجَدْتُه يَسْتَن بسِواكٍ بيدِه يقولُ: «أُعْ، أُعْ» والسواكُ في فِيهِ كأنَّه يَتهوَّعُ))[3].

قال ابن حجر: "قوله: (أُعْ، أُعْ)، واختلاف الروايات في ذلك: وإنما اختلف الرواة لتقارب مخارج هذه الأحرف. وكلها ترجع إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه كما عند مسلم، والمراد طرفه الداخل كما عند أحمد[4]: (يستن على فوق) ولهذا قال هنا: (كأنه يتهوع)، والتهوع التقيؤ، أي له صوت كصوت المتقيئ على سبيل المبالغة. ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان دخولاً، أما الأسنان فالأحب أن تكون عرضًا[5]، وفيه تأكيد السواك وأنه لا يختص بالأسنان، وأنه من باب التنظيف

---

(١) هذه رواية عند مسلم ٤٤ - ٢٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٤٤ - ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٩٧٣٨/٣٢.

(٥) هذا رأي ابن القيم والأطباء يقولون: بالأعلى والأسفل حفظاً للثة من القطع وزيادة في التخليل بين الأسنان.

والتطيب لا من باب إزالة القاذورات، لكونه ﷺ لم يختف به، وبوّبوا عليه: استياك الإمام بحضرة رعيته"[١].

والحديث أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلَانِ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ. أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِي. فَكِلاَهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ. وَالنَّبِيُّ يَسْتَاكُ. فَقَالَ: ((مَا تَقُولُ؟ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ قَيْسٍ)) قَالَ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَىٰ مَا فِي أَنْفُسِهِمَا. وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ. قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ، وَقَدْ قَلَصَتْ. فَقَالَ: ((لَنْ، أَوْ لاَ نَسْتَعْمِلُ عَلَىٰ عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ. وَلَٰكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ، يَا أَبَا مُوسَىٰ أَوْ يَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ قَيْسٍ)) فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ. ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ... الحديث))[٢].

وقد بوّب النسائي على هذا الحديث باب: هل يستاك الإمام بحضرة رعيته، وكذلك بوب ابن حبان عليه: ذكر الإباحة للإمام أن يستاك بحضرة رعيته إذا لم يكن يحتشمهم فيه..

وقال ابن دقيق العيد: "وأما حديث أبي موسى ففيه أمران: أحدهما: الاستياك على اللسان واللفظ الذي أورده صاحب الكتاب[٣]. وإن كان ليس بصريح في الاستياك على اللسان، فقد ورد ذلك مصرحًا به في بعض الروايات، والعلة التي تقتضي الاستياك على الأسنان موجودة في اللسان، بل هي أبلغ وأقوى، لما يرتقي إليه من أبخرة المعدة[٤]، وقد ذكر الفقهاء أنه يستحب الاستياك عرضًا، وذلك في الأسنان،وأما اللسان فقد ورد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٤٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٢٣، ومسلم ١٥ - ١٨٢٤.

(٣) هو: الحافظ عبدالغني المقدسي مؤلف عمدة الأحكام وقد جمع فيه أحاديث الأحكام المتفق عليها بين البخاري ومسلم. انظر ترجمته في: مقدمة تحقيق إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ومصادره ومراجعه.

(٤) يقول د. محمد علي البار: "وقد اهتم الأطباء في الآونة الأخيرة - بعد زمن طويل من الإهمال - بأهمية تنظيف اللسان وإمرار السواك أو الفرشاة عليه، وذلك لإزالة ما يتراكم عليه من الإفرازات وبقايا الطعام مما يؤدي إلى تجميع الميكروبات، ولذا فإن أهمية تنظيف اللسان تكاد تعدل أهمية تنظيف الأسنان. السواك، د. محمد علي البار، ط/ دار المنار، جدة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٣ - ٣٤ بتصرف.

منصوصًا عليه في بعض الروايات الاستياك طولاً"[١].

الثاني: ترجم البخاري على هذا الحديث باستياك الإمام بحضرة رعيته فقال: باب: استياك الإمام بحضرة رعيته[٢]... إن الاستياك من أفعال البذلة والمهنة، ويلازمه أيضًا من إخراج البصاق وغيره، ما لعل بعض الناس يتوهم أن ذلك يقتضي إخفاءه وتركه بحضرة الرعية، وقد اعتبر الفقهاء في مواضع كثيرة هذا المعنى، وهو الذي يسمونه بحفظ المروءة، فأورد هذا الحديث لبيان أن الاستياك ليس من قبيل ما يطلب إخفاؤه، ويتركه الإمام بحضرة الرعايا، إدخالاً له في باب العبادات والقربات"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم:

هذا واضحٌ من سؤال شُرَيْح بن هانئ عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ وذلك ليعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ليقتدي به، ومن ذلك أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله فقدم المدينة فأراد أن يبيع عقارًا بها فيجعله في السلاح والكراع[٤]، ويجاهد الروم حتى يموت، فلما قدم المدينة لقي أناسًا من أهل المدينة فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال: ((أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟)) فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ. وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا. وَأَشْهَدَ عَلَى رِجْعَتِهَا. فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا ... فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ٤/١٤٢ - ١٤٣. لكن الطب الحديث يرى أن سواك الأسنان طولًا أفضل وأبلغ في التنظيف، لأنه يطال ما يكون بين فُرج الأسنان من بقايا الطعام والصفرة ونحوها، وليس الأمر كذلك في السواك عرضًا، ولعل الأنسب أن يستاك الإنسان بحسب ما يراه مناسبًا وداعيًا للتطهير من غير أذىً، فالمطلوب أن يستاك فكيفما استاك حصلت السنة. أحكام الطهارة (سنن الفطرة) أبو عمر دبيان الدبيان، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠/ بدون مطبعة، ٢/٧٢٠ بتصرف.

(٢) الحديث لم يترجم عليه البخاري هذا الباب، وإنما ترجم عليه باب: السواك، الحديث رقم ٢٤٤، وترجم عليه بنحو هذه الترجمة النسائي وابن حبان.

(٣) إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥٢ - ٥٣.

(٤) الكراع: الخيل والبغال والحمير. معجم لغة الفقهاء ص ٣٤٧.

عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عن شيء حَتَّى أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هذهِ السُّورَةِ ... الحديث))[1].

قال النووي: "فيه أنه يستحب للعالم إذا سئل عن شيء ويعرف أن غيره أعلم منه به أن يرشد السائل إليه، فإن الدين النصيحة ويتضمن مع ذلك الإنصاف والاعتراف بالفضل والتواضع"[2].

ومن هذا القبيل حديث أنس بن مالك ﷺ: ((جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ...))[3].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضحٌ من حديث عائشة ﷺ فقد أخبرت عن حال من أحوال النبي ﷺ عن طريق السؤال، فكان جوابها بيانًا لذلك.

رابعًا – من اساليب الدعوة: الإخبار:

وهذا واضحٌ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: دخلت على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه، فأخبر عن بعض أحوال النبي ﷺ بهذا القول.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١ واللفظ للبخاري.

الحديث رقم (١٢٠٣)

١٢٠٣ - وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: دَخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري ، الذي رواه " أبو موسى رضي الله عنه " والذي يحكي مشهداً لخاتم الرسل - ﷺ فيقول: " دخلت على النبي ﷺ، وطرف السواك على لسانه " واختار لفظ " النبي " لأنه أنبأ بأهمية السواك، وفوائده، للنفس، والجسد، وللناس أجمعين، ولان الحريص على السواك حريص على التطهر وطيب الفم، حتى لا ينفر منه أحد. والجملة الحالية: "وطرف السواك على لسانه" تبين مدى حرص الرسول الكريم على جمال السمت، وراحة فمه الذكية بطبيعتها ، ولكنه يحرص على ذلك ليعمل أمته المواظبة على النظافة ، والنظام ، وصيانة الجسد ، والمحافظة على نعمة الصحة ، والفعل الماضي "دخلت" يدل على تحقق هذه المعاني، وصدورها من النبي ﷺ التي يعطيها خصوصية التشريع، وصفته.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤)، ومسلم (٤٥/٢٥٤) واللفظ له.

(٢) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٢٠٤)

١٢٠٤ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ)) رواه النسائي وابنُ خُزَيْمَةَ[1] في صحيحهِ بأسانيدَ صحيحةٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مطهرة: المطهرة بفتح الميم وكسرها لغتان ذكرهما ابن السكيت وآخرون، وهي كل آلة يتطهر بها، شبّه السواك بها؛ لأنه ينظف الفم والطهارة: النظافة[2].

مرضاة: سبب للرضا أو مرضية للرب[3].

الشرح الأدبي

صدر هذا الحديث أيضاً في الأسلوب الخبري وفيه يبين المصطفى ﷺ شيئاً من فوائد السواك فيقول: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" وقدم " الفم " على " الرب "، لأن الإنسان إذا طيب فمه بالسواك، أو ما في حكمه من وسائل التنظيف، فلا شك – قطعاً – أنه سيرضى ربه، لأنه أبعد الأذى عن نفسه، وعن المخاطبين له – فتطيب نفسه ويسعد المحيطون به، وهذا في حد ذاته يرضى " الرب " – جل في علاه، وجاء لفظ " الرب " ولم يأت بلفظ الجلالة " الله " لأن اللفظ الأول يدل على أنه مربي العالمين – المؤمنين، وحافظهم، وراعيهم العليم بما يصلح معاشهم، ومعادهم فيجب عليهم أن يلتزموا توجيه نبيه، والتعبير بقوله (مطهرة – مرضاة) فيه مبالغة في كثرة الطهر،

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٥)، وفي الكبرى (٤)، وابن خزيمة (١٣٥). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٠٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٣).

(٢) المجموع شرح المهذب ١٤٨/١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٣١.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٣١.

وكثرة الرضا مع بساطة العمل الذي التي تجعل كثيرا من الناس لا يدركون قيمته، وحسبه أنه مرضاة للرب، وقوله (مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ) يشير إلى النظافة الظاهرية، وقوله (مَرْضَاةٌ للرَّبِّ) يشير إلى الطهارة الباطنية التي تشير إلى الإخلاص في العمل الذي سبب الرضا، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)، قال ابن عثيمين: "والسواك ذكَر النبيُ ﷺ فيه فائدتين عظيمتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها: مطهرة للفم يعني: يطهر الفم من الأوساخ، وغير ذلك مما يضر، وقوله: (للفم)، يشمل كل الفم: الأسنان واللثة واللسان كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه[2].

الفائدة الثانية: مرضاة للرب، أي: أنه من أسباب رضا الله عن العبد أن يتسوك"[3].

قال ابن القيم: "ويستحب - أي السواك - كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة الفم، ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه، ولحاجة الصائم إليه، ولأنه مرضاة للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر، ولأنه مطهرة للفم، والطهور للصائم من أفضل أعماله"[4].

وقد أثبت الطب الحديث فوائد كثيرة للسواك: "ولا تخفى هذه الفوائد فإنه ينظف

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤، ومسلم ٢٥٤، واللفظ لمسلم.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣٧٣/٢.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٣/٤.

الأسنان وينقيها، ويقي من أمراض اللثة ويحمي من التهابها، ويجعل الأسنان منيعة على النخر لأنه يوجد به مادة (الفلورايد) التي تجعل الأسنان منيعة على النخر، والآن يصنع من عود الأراك (السواك)، معاجين أسنان، وفي البلاد الغربية الأوروبية يستفيدون كثيرًا من السواك حين يطحن عود الأراك وتصنع منه المنظفات السنِّية التي يستعملها أطباء الأسنان في تنظيف أسنان مرضاهم فصلى الله على محمد"، ويقول د. عبدالغني السروجي نقيب أطباء الأسنان في سوريا: "فلو نظرنا إلى تحليل السواك لوجدناه فرشاة طبيعية قد زودت بأملاح معدنية، ومواد عطرة تساعد على تنظيف الأسنان أو بمعنى آخر كأنها فرشاة طبيعية ومعها مسحوق مطهر لتنظيف الأسنان".

ويقول د. فارس علوان: "وللمسواك فوائد عديدة وميزات كثيرة تجعله يفضل على الفرشاة والمعجون ويتفوق عليهما وذلك للأسباب التالية:

(١) يحوي السواك مواد قاتلة للعوامل.

أ - فقد أثبت الدكتور الباحث عبدالحميد القضاة: أنه يقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم التي توجد في الفم وتكون سببًا في أمراضه.

ب - يقول العالم "رودات" (مدير معهد علم الجراثيم في ألمانيا): إن فيه مادة مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين.

ج - أثبتت أبحاث جامعة الملك سعود أنه يحوي مادة السنجرين ذات التاثير المطهر الشديد الفعالية، والتي تقضي على الجراثيم.

(٢) فيه مادة السيليس التي تجرف الفضلات وتزيل القلح وتساعد على تلميع الأسنان وتبييضها بتأثيرها الآلي الحات.

(٣) غني بحمض العفص الذي يمنع النزف ويشفي جروح اللثة ويطهر الفم.

(٤) يحوي نسبة عالية من مادة الكلورايد الذي يساعد على حل ملح الطرطير والتصبغات الأخرى على الأسنان وإزالتها علمًا أن ترسبات ملح الطرطير هي الأساس في تولد القلح.

(٥) يتضمن راتينجات متعددة تشكل غلافًا أو طلاء فوق طبقة الميناء لتحميها من التشقق والتصدع حيث يكون هذا التشقق كثغرة يبدأ فيها التنخر والتسوس.

(٦) مواده العطرية الخاصة تطيب الفم وتجعل له رائحة زكية.

(٧) فيه كمية من فيتامين (ث) الذي له أثر كبير في مكافحة النزوف عمومًا.

(٨) يحتوي على (٢٢) مادة فعالة منها أملاح الحديد والكلس.

(٩) إن تأثيره المحصن للفم والمطهر للأسنان أطول من تأثير معجون الأسنان حيث إن تأثير المعجون لا يتعدى أكثر من عشرين دقيقة.

(١٠) سهولة استعماله ويسر تناوله لا سيما وأنه يغني عن معجون الأسنان حتى إنه قد لا يحتاج إلى استعمال الماء، لأن لعاب الفم كاف ويمكنه من أن يقوم بوظيفته على أحسن وجه.

يبدو أنه يجب تجديده بطرح القسم المستعمل منه وتشذيب قسم جديد كلما سنحت الفرصة لذلك، وبهذا يبقى عطاؤه مستمرًا وتتضح خواصه ومواده الفعالة مع كل استعمال، ويفضل أن يكون ذلك يوميًا. لقد عرف الغرب حديثًا أثر السواك على الفم والأسنان فشرعوا بمزج مسحوقه مع معاجين الأسنان"[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

فقد رغّب النبي ﷺ في التسوك بأن أخبر أن ذلك يطهر الفم ويرضي الرب، وهذا لا شك يدفع المدعوين إلى الاستياك والتزامه. كما أثبت الطب الحديث فوائد السواك الطبية كما مرّ قريبًا، يقول د. أكرم بن أحمد رضا: "عندما نجد أن رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ يقرر هذه الحقيقة العلمية، فيقول: (السواك مطهرة للفم)، نعلم علم اليقين أنه رسول الله رب العالمين، وقال ذلك بتعليم الله خالق الكون، ومنشئه، فقد علّمه ما لم يعلم، وما لا يستطيع أن يعلمه في ذلك العصر أحد، فهذا الإخبار التقريري الجازم الواضح، يحمل أسرارًا من العلم لا يطلع عليها أحد من الناس إلا في عصر تقدمت فيه أدوات البحث والتنقيب، حتى وصل العلم فيه إلى أسرار لم يكن لأهل العصور السابقة معرفتها أو الوصول إليها أو القرب منها، إنه الرسول المصطفى والنبي المجتبى ﷺ"[٢].

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٥١١/١ - ٥١٤، ومصادره ومراجعه.

(٢) المرجع السابق ٥٠٨/١. وانظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ١١٢/٢ - ١١٦.

الحديث رقم (١٢٠٥)

١٢٠٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأظْفَارِ، وَنَتْفُ الإبطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الفطرة: قال النووي: اختلف في المراد بها هنا: فقال أبو سليمان الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة. وكذلك ذكره جماعة غير الخطابي قالوا: ومعناه: أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل: هي الدين[2].

الختان: قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج[3].

الاستحداد: حلق العانة، وهي الشعر الذي حول الفرج[4].

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعتني بالجسد كما يعتني بتربية النفس وتهذيبها، فيقول: " الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب". وقوله: " الفطرة خمس " يوحي بأن أمور الفطرة محصورة في خمسة أشياء أما قوله: " خمس من الفطرة " فيوحى بان أمور الفطرة واسعة وهذه خمسة منها لان " من " للتبعيض. وهو أسلوب تشويق بالإجمال ثم التفصيل الذي يفيد مع

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧/٤٩) ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٦٩.

(٣) المرجع السابق ٢٦٩.

(٤) رياض الصالحين ٤٣٤.

التشويق للمعنى يفيد التوكيد؛ لأنه يذكر المعنى مرتين: مرة مجملا، والأخرى مفصلا، وبدأ " بالختان " لأنه أهم ما في هذه الأشياء الخمسة، ولم يحدد الذكور، أو الإناث مما يشير إلى عمومه لما يحققه للمرأة من تهذيب للشهوة، وتهدئة لثورة النفس التي تحفظ عليها حياءها، ولما فيه من كمال الشهوة للرجال، وفي الكلام إيجاز بالحذف أي هي: الختان، أو أولها، وعبر عن حلق شعر العانة بـ(الاستحداد) وهو الإزالة بآلة حادة مبالغة في النظافة كما حث على " تقليم الأظافر " و" نتف الإبط " حتى لا يشم المحيطون به رائحة ثوبه، ولا عرقه، وفي الحديث تناسب بين المعاني، والألفاظ حيث عبر بالتَقْلِيم مع الأظْفَارِ، وبالنَتْف مع الإبطِ، وَبالقَص مع الشَّارِبِ. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان على أمور تعد من سنن الفطرة وآدابها، ولعل أهمها ما يأتي:

١ - الختان: وقد اختلف الفقهاء فيه على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والإمام أحمد في رواية[٣]، ويرون أن الختان سنة في حق الرجل، مكرمة في حق المرأة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه سحنون من المالكية[٤]، والشافعية في وجه[٥]، والحنابلة في المذهب [٦]، ويرون أن الختان واجب في حق الرجل مكرمة في حق المرأة.

والراجح الأول.

٢ - الاستحداد: وهو كناية عن حلق العنان، وهو متفق[٧] على أنه سنة والسنة في

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٧/٦.

(٢) المنتقى ٢٣٢/٧، مواهب الجليل ١٥٨/٣..

(٣) الفروع، ابن مفلح١٣٣/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١.

(٤) المنتقى ٢٣٢/٧، مواهب الجليل ٢٥٨/٣.

(٥) المجموع ٣٤٩/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٥/٢.

(٦) المغني ٦٣/١، الفروع، ابن مفلح١٣٣/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١.

(٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢١١/٣، رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٥٨/٢، الوسيط، الغزالي ٢٢٥/٥، حاشية البجيرمي ٤٠٨/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/١، المغني ٦٣/١، المبدع ١٩٦/٧.

العانة الحلق، فلو نتفها، أو قصها أو أزالتها جاز، وكان تاركًا للأفضل.

ويحلق عانته بنفسه، ويحرم عليه أن يجعل غيره يحلقها له إلا زوجته التي تستبيح النظر إلى عورته ومسها فيجوز مع الكراهة.

وأما التوقيت في حلق العانة، فيختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال فمتى طالت قصرا، على ألا تزيد في جميع الأحوال على أربعين يومًا[١].

٣ - السواك: وقد سبق بيان حكمه في الحديث رقم (١١٩٦)

٤ - قص الشارب: وأما قص الشارب فمتفق على سنتيه[٢]، دليله أحاديث الباب.

وروى البيهقي عن مالك أنه ذكر إحفاء بعض الناس شواربهم، فقال مالك: ينبغي أن يضرب من صنع ذلك، فليس حديث النبي ﷺ كذلك، ولكن يبدي حرف الشفة والفم.

ويستحب في قص الشارب أن يبدأ بالجانب الأيمن، لأن النبي ﷺ يحب التيامن في كل شيء.

والرجل مخير بين أن يقص شاربه بنفسه، أو يقص له غيره لأن المقصود يحصل بغير هتك المروءة[٣].

٥ - حكم إعفاء اللحى: اتفق الفقهاء على أن إعفاء اللحي من الأشياء التي أمر بها النبي ﷺ إلا إنهم اختلفوا في قوة هذا الأمر على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٤]، والشافعية[٥] في المذهب، ويرون أن إعفاء

---

(١) المجموع ٣٥٦/١.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٩/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٦٩/٢، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٥/٢، روضة الطالبين ، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، نهاية المحتاج ٣٣٢/٢، المغني، ابن قدامة ١٢٧/١، شرح العمدة ٢٤١/١، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ٣٠٦/٢١.

(٣) المجموع شرح المهذب ٢٥٣/١.

(٤) البدائع ١٤١/٢، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٢/٢.

(٥) فتاوى الرملي ٦٩/٤، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٨٤/٢.

اللحية، أو تركها سنة عن النبي ﷺ وليست واجبة، فحلق اللحية مكروه، لا حرام.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه المالكية[١]، والحنابلة[٢]، والشافعي[٣] في قول إلى أن إطلاق اللحية واجب، وحلقها حرام، ومن حلقها يعزر ويؤدب لكونه فعل بدعة محرمة، وإن اختلفوا في حكم أخذ شيء منها، فقيل: يجوز، وقيل: يكره.

٦ - نتف الإبط: وهو سنة أيضًا[٤]، والسنة فيه النتف، ولكن لو حلقه جاز.

ولو أزاله بالتورة، ونحوها فلا بأس، ويستحب أن يبدأ بالإبط الأيمن والتوقيت فيه كالأظافر، فإنه يختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال[٥].

٧ - تقليم الأظافر: وهو مجمع على أنه سنة، وسواء فيه الرجل والمرأة واليدان والرجلان.

ويستحب أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى، ثم الرجل اليمنى، ثم اليسرى، وأما التوقيت في تقليم الأظافر، فهو يعتبر بطولها، فمتى طالت قلمها ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأقوال[٦].

غسل البراجم: البراجم: جمع بُرجمة، وهي العقد المتشنجة الجلد في ظهور الأصابع، وهي مفاصلها التي وسطها بين الرواجب والأشاجع والرواجب هي المفاصل التي تلي رؤوس الأصابع، والأشاجع هي المفاصل التي تلي ظهر الكف، وقال أبو عبيد: الرواجب والبراجم جميعًا هي مفاصل الأصابع كلها، وهذا مراد الحديث فإنها كلها تجمع الوسخ[٧].

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢١/١.

(٢) المنتقى شرح الموطأ ٢٦٦/٧، مواهب الجليل ٢١٦/١.

(٣) تحفة المحتاج ٣٧٦/٩.

(٤) كتب ورسائل شيخ الإسلام ٨٣/٢١، المبدع ٢٣١/٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٢٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/٣.

(٥) المجموع، النووي ٣٥٥/١.

(٦) المجموع، النووي ٣٥٢/١.

(٧) المجموع، النووي ٣٥١/١.

وغسل البراجم سنة[1] مستقلة غير مختصة بالوضوء، ويلحق به ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن، وكذلك ما يجتمع داخل الأنف، وغير ذلك[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصال الفطرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة:

وردت أحاديث الفطرة بألفاظ مختلفة فجاءت بلفظ "عشرة من الفطرة" وبلفظ "خمس من الفطرة" ونحو ذلك. وهذا لا يراد به الحصر، وإنما يشار إلى ما هو الظاهر البين المحسوس منها، والذي يدركه كل إنسان بطبعه. وهذا ما أشار إليه النووي[4]، وبين أن الخصال غير منحصرة في العشرة، والمراد أن معظمها عشرة فهو كقول الرسول ﷺ: ((الحج عرفة))[5] وعضد قوله برواية مسلم "عشر من الفطرة".

وذكر ابن حجر أن ابن العربي قال: خصال الفطرة تبلغ ثلاثين خصلة وقد عقب على هذا القول فقال: فإن أراد خصوص ما ورد بلفظ الفطرة فليس كذلك، وإن أراد أعمّ من ذلك فلا ينحصر في الثلاثين بل يزيد كثيرًا[6].

فخصال الفطرة إذن كثيرة، منها: أمهات الأخلاق، وكل برّ كبرّ الوالدين وصلة الرحم وأداء حقوق الجار ومعاونة المحتاج ماديًا ومعنويًا وإكرام الضيف والصدق في

---

(١) روضة الطالبين ، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، المغني ٦٤/١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٨/١٠، شرح صحيح مسلم، النووي ، ١٥٠/٣.

(٢) المجموع، النووي ٢٥٥/١.

(٣) هذه المضامين الدعوية خاصة بالأحاديث رقم ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧.

(٤) المجموع شرح المهذب ١٥٧/١.

(٥) أخرجه أبوداود ١٩٤٩، والترمذي ٨٨٩، ٨٩٠، ٢٩٧٥، والنسائي ٣٠١٦، وابن ماجه ٣٠١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٧/١٠ .

القول والعمل والوفاء بالوعد وبالعهد وغيرها من الخصال الحميدة)[١].

وأما معنى الفطرة الواردة في الحديث فقد قال ابن حجر: (قال الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالفطرة هنا السنة. وكذا قاله غيره. قالوا: والمعنى: أنها من سنن الأنبياء، وقالت طائفة: المعنى بالفطرة الدين وبه جزم أبو نعيم في المستخرج. وقال النووي في "شرح المهذب"[٢] جزم الماوردي والشيخ أبو إسحاق[٣] بأن المراد بالفطرة في هذا الحديث: الدين.

واستشكل ابن الصلاح ما ذكره الخطابي وقال: معنى الفطرة بعيد من معنى السنة، لكن لعل المراد أنه على حذف مضاف: أي سنة الفطرة. وتعقبه النووي: بأن الذي نقله الخطابي هو الصواب. فإن في صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: "من السنة قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار" قال: وأصح ما فسر الحديث بما جاء في رواية أخرى لاسيما في البخاري اهـ. وقد تبعه شيخنا ابن الملقن على هذا، ولم أر الذي قاله في شيء من نسخ البخاري. بل الذي فيه من حديث ابن عمر بلفظ: "الفِطْرة"[٤] وكذا من حديث أبي هريرة. نعم وقع التعبير بالسنة موضع الفطرة في حديث عائشة عند أبي عوانة في رواية، وفي أخرى بلفظ "الفطرة" كما في رواية مسلم والنسائي وغيرهما. وقال الراغب[٥]: (أصل الفَطرة بفتح الفاء الشقُّ طولاً ويطلق على الوهْي[٦] وعلى الاختراع وعلى الإيجاد، والفِطرة الإيجاد على غير مثال وقال أبو شامة: أصل الفطرة الخلقة المبتدأة ومنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٧] أي المبتدئ خلقهن. وقوله ﷺ "كل

---

(١) الموسوعة الفقهية ١٨٤/٣٢.

(٢) المجموع شرح المهذب ١٥٧/١.

(٣) أبو إسحاق الشيرازي صاحب المهذب في فقه الشافعية.

(٤) صحيح البخاري ٥٨٨٨، ٥٨٩٠.

(٥) المفردات ٣٨٢.

(٦) الاختلال ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ لسورة الملك، الآية: ٣].

(٧) سورة فاطر، الآية: ١.

مولود يولد على الفطرة" أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾[1] والمعنى: أن كل أحد لو ترك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره، لأداه إلى الدين الحق وهو التوحيد. ويؤيده قوله تعالى قبلها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾[2] وإليه يشير في بقية الحديث عقبه بقوله: ((فأبَوَاهُ يُهوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِه))[3]. والمراد بالفطرة في حديث الباب أن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها وحثهم عليها واستحبها لهم ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة اهـ. وقد ردّ القاضي البيضاوي الفطرة في حديث الباب إلى مجموع ما ورد في معناها وهو الاختراع والجبلة والدين والسنة فقال هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمر جبلي فطروا عليها انتهى)[4].

وذكر الدكتور القرضاوي مزايا العقيدة الإسلامية فذكر منها: أنها عقيدة الفطرة، فقال: (وهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدَّد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]. وصريح الحديث النبوي: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ -أي الإسلام- وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))[6] فدلَّ على أنَّ الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين. أما الأديان الأخرى من يهودية

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٩/١٠.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم قريبًا.

ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خصال الفطرة:

وهي كما وردت في الأحاديث:

١ - الختان: قال الشوكاني: (الختان قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة[٢] وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج)[٣].

وقال ابن عثيمين: (أما الرجال فختانهم واجب، وأما النساء فختانهن سنة. وليس بواجب، وذلك أن الرجل إذا لم يختن وبقيت الجلدة فوق الحشفة فإنه يحتقن بها البول، وتكون سببًا في النجاسة لأنه إذا احتقن بها البول ثم حصل ضغط عليها خرج البول الذي صار بين الحشفة فتلوثت الثياب وتنجست. ثم هي أيضًا عند الكبر وعندما يصل الإنسان إلى حد الزواج يكون هناك مشقة شديدة عند الجماع، فلذلك كان من الفطرة أن تقص هذه الجلدة ولهذا نجد كثيرًا من غير المسلمين - أهل الكتاب - الآن يختتنون لا أجل الطهارة والنظافة؛ إنما من أجل التلذذ عند الجماع وعدم المشقة)[٤].

وقال الدكتور زغلول النجار: (ويقصد بالختان قطع الزائد من أعضاء التزاوج مثل الجلدة التي تغطي الحشفة في الذكر، والبروز الزائد من البظر في الأنثى، حتى يتمكن كل منهما من الاستبراء من البول.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بالختان في هذا الحديث الشريف، وفي غيره من مثل قوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ((الخِتَانُ سُنَّةٌ للرجالِ، مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ))[٥].

والختان بذلك من سنن المسلمين التي يرى وجوبها جمهور العلماء ويرى الشافعية استحبابها في اليوم السابع من عمر الوليد، خاصة وقد عق رسول الله ﷺ عن الحسن

---

(١) الإيمان والحياة ٣٨، ٣٩.

(٢) الحشفة: ما يكشف عنه الختان في عضو التذكير، الوسيط ١٧٦.

(٣) نيل الأوطار، ص ٨٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٧٦/٢.

(٥) أخرجه أحمد ٧٥/٥، رقم ٢٠٧١٩ من حديث أسامة الهذلي، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٣١٩/٣٤.

والحسين وختنهما لسبعة أيام كما رواه البيهقي[1]. وقد ثبتت جدوى الختان الطبية بعد دراسات مستفيضة أوضحت أن عدم الاختتان في الذكور قد يؤدي إلى العديد من الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان وإلى "سرطان الحشفة" وهو من أشد أنواع السرطانات إيلامًا.

وينتج أغلب هذه الأمراض عن تجمع القاذورات والبكتريا والجراثيم والفطريات بين الحشفة والجلدة التي تغطيها "والتي تعرف باسم القلفة" والتي أمرنا المصطفى ﷺ بإزالتها بعملية الختان في مراحل الطفولة الأولى، وذلك لأن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون مستنقعًا للقاذورات والنجاسات من العرق ومن إفرازات الغدد الدهنية وبقايا البول التي يصعب التطهر منها والتي تشكل مرتعًا خصبًا لمسببات الأمراض على اختلاف أنواعها وأشكالها، فضلاً عن الروائح الكريهة التي يمكن أن تنبعث منها.

وتنتقل مسببات الأمراض تلك من كل من القلفة والحشفة إلى الإحليل ومنه إلى المثانة ثم إلى الكليتين، أو تتابع طريقها من الموثة "المعروفة باسم البروستات" إلى كل من الخصيتين والبربخ فتدمرهما تدميرًا كاملاً مما قد يؤدي إلى العقم، فضلاً عما تسببه من أمراض وآلام مبرحة. وإذا تزوج هذا المصاب فإن من المحتمل أن تنتقل أمراضه بسهولة شديدة إلى زوجته مما يسبب لها التهابات في كل من المهبل وعنق الرحم، وغدة برتولين بمرض يعرف باسم التهاب غدة برتولين "Bartolinitis"، وقد يصل ذلك إلى الرحم مما قد يصيبه بالسرطان، وقد يؤدي بالمرأة إلى العقم الكامل فضلاً عن آلام هذه الالتهابات المزمنة والحادة وتقيحاتها في أكثر أجزاء الجسد حساسية.

أما ختان الأنثى ويسمى في الشرع "الخفض" فهو انصياع لأمر المصطفى ﷺ، لأن هذا الجزء من جسمها هو أكثر الأجزاء حساسية وإذا كان بارزًا بروزًا واضحًا فقد يؤدي إلى إثارتها جنسيًا بشكل مرهق خاصة قبل الزواج، كما قد يكون مدعاة لنفور واشمئزاز الزوج بعد الزواج لصعوبة إتمام عملية التزاوج.

---

(١) من حديث جابر كما في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٤.

أما إذا لم يكن هذا الجزء بارزًا بروزًا واضحًا فقد لا يكون هناك مبرر للختان والله تعالى أعلم، ولذلك كان الختان سنة للرجال، ومكرمة للنساء كما جاء في حديث رسول الله ﷺ وقد أوصى ﷺ بذلك إحدى السيدات المسلمات وكان اسمها "أم عطية"، وكانت ختانة للإناث بالمدينة المنورة حيث قال لها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ((إِذَا خَفَضْتِ فَأَشِمِي وَلاَ تَنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ))[1])[2].

٢ - حلق العانة: وهو الاستحداد قال ابن عثيمين: "والعانة هي الشعر الذي ينبت حول القبل، وهو من علامات البلوغ. فمن الفطرة أن يحلق الإنسان هذا الشعر؛ لأنه إذا طال فربما يحصل في ذلك وسخ وقذر، ولأنه مضرّ وإن كان بعض الناس مثل البهائم يبقي العانة ويجعلها تزداد وتطول، نسأل الله السلامة[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية "حلق شعر العانة متفق على سنيته، وفي وجوبه على الزوجة إذا أمرها الزوج بالحلق عند الشافعية قولان: أصحهما الوجوب، هذا إذا لم يفحش بحيث ينفر الزوج ويؤثر على الرغبة في المخالطة ويقلل التوقان، أما إذا نفر الزوج فيجب عليها الحلق قطعًا.

وعلى المرء أن يحلق عانته بنفسه ويحرم إسناد القيام به إلى غيره، لأنه إظهار للعورة الغليظة وهو لا يجوز، ولكن يجوز أن تتولى الحلق زوجته التي يباح لها النظر إلى عورته مع الكراهة)[4].

وقال د. زغلول النجار: (الاستحداد: هو حلق شعر العانة، وقد أمر به رسول الله ﷺ واعتبره من أمور الفطرة، وتحدد الأحاديث النبوية الشريفة حدًا أقصى لا يجوز للمؤمن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٥٢٥، وهو حديث ضعيف. انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٤/٨٣.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٢٨ - ١٣١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٦ بتصرف.

(٤) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٨٦ - ١٨٧ وانظر المجموع شرح المهذب ١/١٦٠.

أن يتعداه دون استحداد وهو أربعون يومًا[1]، وذلك لأن هذا الموضع من جسم الإنسان "ذكرًا كان أم أنثى" هو من أكثر أجزاء الجسم عرضة للتلوث بمختلف الأوساخ لقربها من السبيلين وكثيرًا ما يهملها الناس ويتناسونها لأنها من العورات التي تبقى مستورة مخبأة، وفوق ذلك هي منطقة كثيرة الإفرازات الدهنية، وغزيرة العرق مما يجعلها مرتعًا لعديد من مسببات الأمراض من الفطريات والفيروسات والجراثيم التي قد تؤدي إلى التهابها ونتنها وتصاعد الروائح الكريهة منها، وإلى إصابتها بالعديد من الالتهابات والأمراض الجلدية، وأمراض الجهازين البولي والتناسلي مما قد يتعدى الأفراد إلى أزواجهم وأسرهم ومجتمعاتهم عن طريق الاستخدامات المشتركة من مثل حمامات السباحة، والمناشف وغيرها.

وتراكم الأوساخ ومسببات الأمراض فوق العانة وحولها يستمر في الانتشار حتى يصل إلى الإحليل[2] فيصيبه بالالتهاب الذي قد يواصل انتشاره حتى يصل إلى المثانة ثم الحالبين، ومنهما إلى الكليتين ويؤدي إلى تدميرهما وفشلهما في القيام بدورهما مما ينتج عنه التسمم البولي[3]".

٣ - تقليم الأظفار: وفي الرواية الأخرى: قص الأظفار وهو (سنة إجماعًا سواء فيه الرجل والمرأة وسواء فيه اليدان والرجلان، ويستحب أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم اليسرى. أما التوقيت في التلقيم فالاعتبار بالطول، فمتى طالت الأظفار يتم تقليمها ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما هو الضابط في قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة)[4].

وقال ابن عثيمين: (ولا ينبغي أن نقص حتى يصل إلى اللحم، لأن هذا يضر الإنسان،

---

(١) هو حديث أخرجه مسلم ٢٥٨ عن أنس بن مالك ﷺ قال: "وقت لنا في قصّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة"

(٢) الإحليل: مخرج البول. معجم لغة الفقهاء ٢٦.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٣١ - ١٣٢.

(٤) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٨٦ وهو منقول بنحوه من المجموع شرح المهذب للنووي ١/١٥٨.

وربما يحصل فيه خراج أو ما أشبه ذلك، لكن نقصهما قصًا معتدلاً)[١].

هذا بالإضافة إلى إمكانية تقصف الأظافر عند إطالتها، أو إصابتها بالرضوض نتيجة اصطدامها مما قد يؤدي إلى خلخلتها الجزئية أو الكاملة، أو إلى تورمها مما يؤدي إلى إنتانها ونزيفها وتضخمها، أو لانتشار الفطريات فيها. ويظهر ذلك في الإناث اللائي انبهرت بتقليد الغربيات فتسابقن في إطالة أظفار اليدين والرجلين، وفي صبغهما بالعديد من المركبات الكيميائية المدمر للاظافر مثل الطلاء، واستخدام المصلدات، أو زرع الأظافر الصناعية وتثبيتها بمختلف المواد الكيميائية مما قد يؤدي في النهاية إلى هشاشة الأظافر وتقصفها أو تشققها أو التهابها ونزيفها وتخلخلها خاصة مع تكرار الطلاء وإزالته بالمذيبات العضوية، فضلاً عما تسببه تلك الطلاءات من إفساد للوضوء والغسل والطهارة، واستنشاق للعديد من المواد الكيميائية الضارة بالصحة العامة خاصة بالجهاز التنفسي والعينين.

ومن هناك كانت وصية رسول الله ﷺ أن تقليم الأظافر من الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وأمر أنبياءه ورسله بها، ووصاهم بتوجيه الناس إليها.

وانطلاقًا من ذلك حرصت تعليمات رسول الله ﷺ على أن يكون تقليم الأظافر عملاً دوريًا مستمرًا على فترات متقاربة، مرة كل أسبوع[٢] استكمالاً للطهارة والنظافة، واسترواحًا للنفس، وقد رخص في ذلك بمدة أقصاها أربعون يومًا، ولا عذر لتركه بعد ذلك لحديث أنس[٣] رضي الله عنه الذي قال فيه: ((رَخَّصَ لَنَا النبي ﷺ فِي قَصِّ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٥.

(٢) هذا القول فيه نظر، ولا أدري من أين جاء الدكتور زغلول النجار بهذا التحديد، والذي أعلمه أنه ورد النص بأكثر المدة لا أقلها، كما سيذكره من حديث أنس ﷺ. قال النووي: معناه: لا يترك تركًا يتجاوز به أربعين، لا أنه وقت لهم الترك أربعين. والمختار أنه يضبط بالحاجة والطول فإذا طال حلَق. شرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٤٩. لكن الشوكاني تعقبه فقال: بل المختار أنه يضبط بالأربعين التي ضبط بها رسول الله ﷺ فلا يجوز تجاوزها، ولا يعد مخالفًا للسنة من ترك القص ونحوه بعد الطول إلى انتهاء تلك الغاية. نيل الأوطار ٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨ بنحوه.

الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبْطِ، وَحَلْقِ العَانَةِ أَنْ لاَ يُتْرَك أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً))[1].

٤ - نتف الإبط: أي نتف شعر الإبط، متفق على سنيته، والتوقيت فيه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، والسنة نتفه، فلو حلقه جاز، قال الغزالي: المستحب نتفه وذلك سهل على من تعوده، فإن حلقه جاز، لأن المقصود النظافة وعدم اجتماع الوساخة فيه، إذ يحصل بسببه رائحة كريهة[2].

وقال ابن قدامة: النتف سنة، لأنه من الفطرة، ويفحش تركه ويجوز إزالته بالحلق والنورة[3] غير أن نتفه أفضل لموافقته الخبر[4]. وأفضلية النتف هي ما صرح به الحنفية أيضًا)[5].

قال د. زغلول النجار: (إن منطقة الإبط –مثل منطقة العانة - يكثر فيها العرق كما تكثر الإفرازات الدهنية، فأنبت الله تعالى فيها الشعر كما أنبته فوق العانة ليضطر كل إنسان قريب للفطرة من حلقه على فترات متقاربة، وبصورة دورية حتى لا يصبح مبعثًا للروائح الكريهة، ومرتعًا للفطريات والفيروسات والجراثيم وهي من المسببات الرئيسية للأمراض، وصاحب الشأن لاهٍ لأنه من المناطق المخفية في جسمه ويجزئ في شعر الإبط النتف، والحلق، والقص)[6].

٥ - قص الشارب: قال النووي: (وأما قص الشارب فمتفق على أنه سنةٌ، ودليله الحديثان السابقان [أي حديثا الباب] وحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ، فَلَيْسَ مِنَّا))[7] ... والتوقيت في قص الشارب كما سبق في

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ١٣٣ - ١٣٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٥٠/١، وانظر المجموع ١٥٩/١.

(٣) حجر كلسي يطحن ويخلط بالماء ويطلى به الشعر فيسقط، معجم لغة الفقهاء ص ٤٦٠.

(٤) المغني ١١٨/١.

(٥) الموسوعة الفقهية ١٨٦/٣٢.

(٦) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٣٢/٢.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٧٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢١٧).

تقليم الأظفار وهو مخير بين أن يقص شاربه بنفسه أو يقصه له غيره؛ لأن المقصود يحصل من غير هتك مروءة)[١].

وقال د. زغلول النجار: (إن طول الشارب وهو في أسفل الأنف، وفوق الفم يعرضه لمفروزاتهما من اللعاب والنخام مما قد يلوثه بتلك الإفرازات وببقايا الطعام والشراب، ويصعب تنظيفه وتنظيفهما مما يجعله ويجعلهما مرتعًا للأوساخ والفطريات والجراثيم ومنبعًا للروائح الكريهة التي تؤذي صاحب الشارب نفسه وتسبب له الأمراض، كما تؤذي كل من يقترب منه لتعرضه للروائح الكريهة ولسيل من مسببات الأمراض كلما تثاءب صاحب الشارب الطويل أو عطس، أو حتى فتح فمه بكلام ما. ومن هنا كان من وصايا رسول الله ﷺ قص الشارب أو إحفاؤه، استكمالاً للنظافة والطهارة، واسترواحًا للنفس، فإن قذارة الجسم تولد ضيقًا وكآبة)[٢].

٦ - إعفاء اللحية: وفي حديث ابن عمر "وأعفو اللحى" قال الشوكاني: (قد حصل من مجموع الأحاديث خمس روايات: أعفوا وأوفوا وأرخوا وأرْجوا ووفروا ومعناها: كلها تركها على حالها)[٣].

وقال ابن عثيمين: (وإعفاء اللحية يعني إرخاءها وإطلاقها وتركها على ما هي عليه. هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها)[٤].

٧ - السواك: وقد قال رسول الله ﷺ: ((السِّواكُ مطهرَةٌ للفمِ مرضاةٌ للرَّبّ))[٥] قال الشوكاني (والحديث يدل على مشروعية السواك لأنه سبب لتطهير الفم وموجب لرضا الله على فاعله وقد أطلق فيه السواك ولم يخصّه بوقت معين ولا بحالة مخصوصة فأشعر بمطلق شرعيته وهو من السنن المؤكدة وليس بواجب في حال من الأحوال)[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب ١٥٨/١ - ١٥٩.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٣٥/٢ - ١٣٦.

(٣) نيل الأوطار ص ٨٧، وقد نقله عن النووي في شرح صحيح مسلم، النووي ١٥١/٣/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٧٧/٢.

(٥) أخرجه النسائي ٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٥).

(٦) نيل الأوطار ص ٧٨.

٨ - غسل البراجم: (والبراجم هي رؤوس السلاميات في ظهر الكف، وغسل البراجم متفق على استحبابه، وهو سنة مستقلة غير مخصصة بالوضوء، وألحق الغزالي بها إزالة ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وقعر الصماخ فيزيله بالمسح[1]، وقال الغزالي[2]: (كانت العرب لا تغسل اليد عقب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمر بغسلها)[3]، وقال النووي: (قال العلماء ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح، لأنه ربما أضرَّت كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع في داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أي موضع كان من البدن بالعرق والغبار ونحوهما)[4].

٩ - انتضاح الماء: قال ابن حجر: (وأما الانتضاح فقال أبو عبيد الهروي: هو أن يأخذ قليلاً من الماء فينضح به مذاكيره بعد الوضوء لينفي عنه الوسواس. وقال الخطابي: انتضاح الماء الاستنجاء به. وأصله من النضح وهو الماء القليل، فعلى هذا هو والاستنجاء خصلة واحدة، وعلى الأول فهو غيره، ويشهد له ما أخرجه أصحاب السنن من رواية الحكم بن سفيان الثقفي أو سفيان بن الحكم عن أبيه أنه رأى رسول الله ﷺ توضأ ثم أخذ حفنة من ماء فانتضح بها[5]، وأخرج البيهقي[6] من طريق سعيد بن جبير أن رجلاً أتى ابن عباس فقال إني أجد بللاً إذا قمت أصلي، فقال له ابن عباس: انضح بماء، فإذا وجدت من ذلك شيئًا فقل هو منه)[7].

وقال النووي: (قال الجمهور: الانتضاح نضح الفرج بماء قليل، لينفي عنه الوسواس،

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب ١/١٥٩.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٢٤٥.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢/١٨٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٥٠.

(٥) أخرجه أحمد ٢٤/١٥٣٨٤، وأبو داود ١٦٧، والنسائي ١٣٤، وابن ماجه ٤٦١، وغيرهم وقال محققو المسند: حديث ضعيف لاضطرابه.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ١/١٦٢.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٨.

وقيل: هو الاستنجاء بالماء)[١].

١٠ - المضمضة والاستنشاق: قال الشيخ ابن عثيمين: (الاستنشاق من الفطرة لأنه تنظيف وإزالة لما في الأنف فهو طهارة، والاستنشاق يكون في الوضوء ويكون في غير الوضوء، كلما احتجت إلى تنظيف الأنف فاستنشق الماء ونظف أنفك، وهذا يختلف باختلاف الناس، من الناس من لا يحتاج إلى هذا إلا في الوضوء، ومن الناس من يحتاج إليه كثيرًا، ومن ذلك أيضًا أن من سنن الفطرة المضمضة، فإنها من الفطرة، لأن فيها تنظيف الفم، والفم يحتاج إلى تنظيف لأنه يمر به الأكل والدهن وما أشبه ذلك، فيحتاج إلى تنظيف فكانت المضمضة من خصال الفطرة)[٢].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: نشر النظافة وحسن الهيئة في المجتمع:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة وقال ابن تيمية: (وهذه الخصال عامتها إنما هي للنظافة من الدرن، فإن الشارب إذا طال يعلق به الوسخ من الطعام والشراب، وغير ذلك، وكذلك الفم إذا تغير ينظفه السواك، والمضمضة والاستنشاق ينظفان الفم والأنف وقصّ الأظفار ينظفها مما يجتمع تحتها من الوسخ، وبهذا روي: "يدخل أحدكم علي ورَفَغُه تحت أظفاره"[٣] يعني الوسخ الذي يحكه بأظفاره من أرفاغه[٤]. وغسل البراجم وهي عقد الأصابع، فإن الوسخ يجتمع عليها ما لا يجتمع بين العقد، وكذلك الإبط فإنه يخرج من الشعر عرق الإبط وكذلك العانة إذا طالت، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك، قال: ((وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ ،وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لاَ نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا))[٥] فهذا غاية ما يترك الشعر والظفر المأمور بإزالته.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠/٣/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٧٧/٢.

(٣) قال الهيثمي في المجمع ١٧١/٥: رواه الطبراني والبزار باختصار عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، ورجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني.

(٤) الرفغ - بالضم والفتح - واحد الأرفاغ: وهو أصول المغابن كالآباط والحوالب وغيرها من مطاوي الأعضاء وما يجتمع فيه من الوسخ والعرق. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ف غ).

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ((حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ))[1]، وهذا في أحد قولي العلماء، هو غسل راتب مسنون للنظافة في كل أسبوع وإن لم يشهد الجمعة، بحيث يفعله من لا جمعة عليه.

وأما الأحاديث في الغسل يوم الجمعة فمتعددة وذاك يعلل باجتماع الناس بدخول المسجد وشهود الملائكة ومع العبد ملائكة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ))[2][3].

وقال الدكتور زغلول النجار: (إن رسول الله ﷺ قد وضع أسس الطهارة البدنية الكاملة، فلم يترك مكانًا في الجسد إلا أمر بنظافته وتطهيره؛ خاصة تلك الأماكن التي يمكن أن تكون مجمعًا للأوساخ والقاذورات، أو للجراثيم والفطريات أو لغيرهما من مسببات الأمراض أو بواعث الروائح الكريهة، فإذا أضفنا إلى تلك السلوكيات الوضوء في اليوم والليلة خمس مرات، والغسل من الجنابات اتضح معنى الطهارة التي يرتضيها ربنا تبارك وتعالى من عباده الصالحين، واتضح سبق المصطفى ﷺ لكل المعارف الطبية والوقائية الحديثة في الإشارة إلى تلك الضوابط الصحية والوقائية الخمس بمئات السنين)[4].

وقال ابن حجر: (يتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة. ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩٧، ومسلم ٨٤٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/١٧٥ - ١٧٦، و٢١/٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٣٦.

إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[١]، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل: قد حسّنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها أو حافظوا على ما يستمر به حسنها، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب. لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس)[٢].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٩.

الحديث رقم (١٢٠٦)

١٢٠٦- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ : ((عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتفُ الإبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ)) قَالَ الرَّاوِي: وَنَسِيْتُ العَاشِرَةَ إلاَّ أنْ تَكُونَ المَضمَضَةُ. قَالَ وَكِيعٌ -وَهُوَ أحَدُ رُوَاتِهِ- انْتِقَاصُ المَاءِ: يَعْنِي الاسْتِنْجَاءِ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

إعفاء اللحية: تركها لا يُقَصَّ منها شيء[٢].

البراجم: جمع بُرجُمَة[٣].

العانة: الشعر النابت أسفل البطن حول الفرج[٤].

انتقاص الماء: انتقاص البول بسبب استعمال الماء في غسل مذاكيره[٥].

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم يخبر عن أشياء مركوزة في الفطرة البشرية فيقول: " عشر من الفطرة " وفى هذا التعبير إيجاز بالحذف تقديره " عشر خصال. . أو عشرة أشياء من الفطرة " " ومن " للتبعيض أى: أن هذه الأشياء العشرة من الفطرة التي فطر الناس عليها؛ لأن هناك أشياء كثيرة أخرى من الفطرة مثل حسن الظن، وحب الدين، وحب الحياة، والأمل. .. الخ –، وقوله(عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ) من أنواع الإطناب بالإجمال ثم التفصيل الذي

---

(١) برقم (٥٦/٢٦١).

(٢) رياض الصالحين ٤٣٤.

(٣) رياض الصالحين ٤٣٤، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢٧١.

(٤) معجم لغة الفقهاء ٢٧٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ق ص).

يحقق التشوق الذي يضمن إنصات المخاطب، ويقظته، وفيه توكيد بذكر المعنى مرتين إجمالا، وتفصيلا، وبدأ التفصيل " بقص الشارب، وإعفاء اللحية " لأنهما يتصلان بظاهر الإنسان، ويجعلان للمسلم سمة خاصة تطبعه بسمت الوقار، والهيبة التي تميز دينه، مع حسن حسن سمته، وكذلك " قص الأظافر " – " وغسيل البراجم " ثم انتقل إلى الاعتناء بالباطن كالتسوك، واستنشاق الماء، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاض الماء (الاستنجاء) والمضمضة " وهذه الأمور الفطرية أكبر دليل على أن الإسلام بعيد عن الرهبنة، والانعزال، والتقوقع، وأنه يحث اتباعية على سلوك كل سبيل يؤدى إلى الجمال، والتجمل في الظاهر، والباطن وفي الحديث تناسب بين الألفاظ، والمعاني، كما أن فيه مراعاة نظير، وهي الجمع بين شيء، وما يناسبه لأن جميع هذه الخصال من الفطرة، وتتعلق بحسن المظهر. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٠٧)

١٢٠٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((احْفُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أحفوا الشوارب: قصوا ما طال على الشفتين[٢].

أعفوا اللحى: لا تقصُّوا منها شيئًا[٣].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث أمران وصيغتان للجمع. الأمران هما: "احفوا" و" اعفوا " وصيغتا الجمع هنا: " الشوارب " و " اللحى " وقد أسند الفعلين الطلبيين إلى واو الجماعة لضرورة أن يهتم الجميع بهاتين الناحيتين اللتين تميزان المسلم عن أهل الكتاب. وبين الفعلين (احفوا – واعفوا) جناس ناقص وسجع غير متكلف وهذا يدل على حسن اختيار المصطفى صلى الله عليه وسلم للكلمات المتناسقة المعبرة، والأمر – في الفعلين السابقين – يجب تنفيذه، ولأنة من الأعلى إلى الأدنى، ويريد النبي الكريم من ورائهما توجيه الأمة لما فيه إصلاحها الظاهري، والباطني، وتميُّزها عما سواها من سائر الأمم، والتزام هذا التوجيه النبوي يفرد المسلم بمظهر الوقار، والهيبة، ويميزه عن غيره من أهل الفساد، والكفر من غير المسلمين كما ميَّزه في الباطن بمنهج رباني، ودين خاتم لكل الديانات، فكأنه جعل له هذا المظهر المميز كدعوة لدينه ينبه غير المسلمين ممن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩/٥٢) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٦٩.

(٣) رياض الصالحين ٤٣٤.

يرونهم أن هناك دينا يجب أن يتبع يعلم البشرية معالم الجلال، والجمال، والكمال في الظاهر بإتباع هذا التوجيه النبوي، وفي الباطن بإتباع المنهج الرباني، وهو ما أدى إلى انتشار الإسلام في كثير من بقاع العالم التي لم يصلها المسلمون بجيوشهم، وإنما وصلوا إليها بالمنهج المتكامل في الظاهر، والباطن. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم قص الشارب، وإعفاء اللحى، وقد سبق الكلام عنهما في الحديث (١٢٠٤).

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث ١٢٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من صفات المربي: الشفقة على المربين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي -أو على الناس- لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" وقوله ﷺ "أكثرت عليكم في السواك" فإن النبي ﷺ دفعته شفقته على أمته إلى عدم إيجاب السواك مع كل صلاة، مع أن في ذلك الخير لهم، كما دفعته شفقته ﷺ إلى أن يقول لأصحابه "أكثرت عليكم في السواك" مع أنه ﷺ ما أمرهم إلا بأمر فيه مصلحتهم وخيرهم ونفعهم، فدلهم على كل خير، وأرشدهم إلى كل نفع، لكن شفقته ﷺ تجعله يرغب في الأمر ويحث عليه لكن لا يجعله واجبًا أو فرضًا، وفي ذلك توجيه نبوي كريم إلى المربين أن يكونوا شفقاء على من يربونهم رُؤفاء عليهم، وهذه من الصفات الرئيسة للمربين إن أرادوا لأنفسهم نجاحًا ولعملهم فلاحًا ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

ولعل من فوائد الشفقة من المربي على أتباعه من الناحية التربوية ما يلي:

١ - عدم إرهاق الناشئة وغيرهم بما قد يشق عليهم ولا يستطيعون تحقيقه ولا إنجازه ولا تفعيله في أرض الواقع.

٢ - التدرج بالناشئة من مرحلة إلى مرحلة فلا يكلفهم بما لا يناسب قدراتهم ومستطاعتهم المرحلية، فمما لا شك فيه أن مرحلة الصبا يناسبها ما لا يناسب مرحلة الرجولة والشباب وهكذا.

٣ - جعل العلاقة بين المربي وأتباعه علاقة مودة ورحمة وتفاهم لا علاقة أوامر ونواهٍ جافة فاقدة لقيمتها قبل خروجها من المربي، بل إن الشفقة تبعث فيما يربي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

المربي أتباعه عليه، تبعث فيه الروح والفاعلية والتفاعل.

٤- العمل على سرعة استجابة الناشئة وغيرهم لما يرشدهم إليه المربي، "فإن المربي ينظر إليهم نظر الطبيب إلى مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم لعلمه بدائهم وخطورته، ويتلطف في علاجهم، وإن رأى منهم عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر واحتال لكل الطرق لتوصيل الدواء، وإقناعهم بضرورة تناوله، ولا يمكن أن يتركهم وشأنهم بحجة أنهم المفرطون)"[1].

ثانيًا: التربية على معاونة المربي في مهامه:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلّي.

فقد عاونت زوج النبي ﷺ عائشةُ، زوجَها نبيَّ الله ﷺ -وهو المربي الأول- في تجهيز ما ييسر له لأن يقوم ﷺ الليل، وهو ﷺ لم يطلب منها ذلك كما هو ظاهر الحديث، بل قامت بذلك من تلقاء نفسها رضي الله عنها. وفي ذلك إرشاد للناشئة وغيرهم إلى أن يعاونوا مربيهم ومعلميهم في أداء مهمتهم، ويساعدوهم على تحقيق أهدافهم التربوية السامية، وقد تأخذ هذه المعاونة عدة صور وأشكال حسب القدرة والطاقة، من ذلك:

أ- معاونة المربي على إتمام وإنجاز شؤونه الخاصة، كالمساعدة في تجهيز الطعام والشراب ونحو ذلك، من الثياب والسكن حسب مقتضيات الأحوال والظروف، وفي ذلك تخفيف للعبء عن كاهل المربي، وتوفير عليه وقته الثمين لينفقه في مهامه التربوية الجليلة. ومن هذا القبيل قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا ألا صنعت))[2].

ب - معاونة المربي على إنجاز بعض مهامه التربوية ومسؤلياته التوجيهية، وهذا لا يستطيع أن يقوم به كل الناشئة بل يقوم به من يصطفيهم المربي ويختارهم ويربيهم

---

(١) مقومات الداعية الناجح، ص ١٠٤ بتصرف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩.

تربية خاصة، يقول الأستاذ محمد عبدالله الدويش: (إن التربية كما أنها موجهة لكل أفراد الأمة أجمع مهما كان شأنهم والدين خطاب للجميع صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً، إلا أن الدعوة تحتاج لمن يحملها وأن يقوم بأعبائها، إنها تحتاج لفئة خاصة تُختار بعناية وتُرَبّي برعاية، لذا كان هذا الأمر بارزًا في سيرة النبي ﷺ وتربيته لأصحابه، فثمة مواقف عدة في السيرة يتكرر فيها ذكر كبار أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم: أبوبكر وعمر، مما يوحي أن هؤلاء كانوا يتلقون إعدادًا وتربية أخص من غيرهم)[١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنّي لواقفٌ في قومٍ، فدعَوُا الله لعمر بن الخطاب، وقد وُضِعَ على سريره، إذا رجلٌ مِنْ خلْفِي قد وضع مِرْفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إنْ كنتُ لأرجو أنْ يجْعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرًا ممّا كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنتُ وأبو بكر وعمرُ، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر، فإن كنتُ لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُّ، فإذا هو عليُّ ابن أبي طالب))[٢].

ج - العمل على استمرار أفكاره ومبادئه والعمل على نشرها وإذاعتها بين الناس، وهذا ما وقع من "سلف هذه الأمة وخلفها، فقد كان فيها رجال عظماء وعلماء كبراء حرصوا على أن يكون لهم تلاميذ يقتفون أثرهم من بعدهم، وينسجون على منوالهم فعلموهم ودربوهم، وهذا مأثور معروف، فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى أصحاب يتعلمون منه ويتدربون. وكذلك كان للإمام مالك والشافعي وأحمد، وكثير غيرهم من أئمة الهدى ورؤوس الرشاد، وعلى هذا درج السلف والخلف وظهر ما يسمى بالمعيد، وهو الذي تدرب على إعادة الدرس بعد الشيخ للطلبة، وبرزت المدارس الفقهية: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي على الحقيقة حلقات علم وتدريب على أصول المذاهب وكيفية الاستنباط بموجب تلك الأصول، وكان المشايخ

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٦٧٧، ومسلم ٢٣٨٩.

يدربون طلابهم على الاستنباط والتصنيف، وكانوا يشجعونهم على مناقشة الآراء الفقهية بجرأة وقوة، حتى تتكون عند أولئك الطلاب الملكات الفقهية المهمة)[1].

ثالثًا: التربية على المسارعة إلى مرضاة الله:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، أولها قوله ﷺ: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" فقد وصف النبي ﷺ أن التسوك سبيل لرضا المولى عز وجل، وهذه غاية يسعى إلى أن ينالها كل مسلم، لذا ضرب النبي ﷺ القدوة في ذلك وهذا ما نقله أصحابه الكرام رضي الله عنهم:

أ - فهذا حذيفة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك.

ب - وهذه عائشة رضي الله عنها تخبر أن النبي ﷺ كان يتسوك إذا قام من النوم لقيام الليل، كما تخبر رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يبدأ بالسواك إذا دخل بيته.

ج - وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يخبر أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه.

فهؤلاء ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم نقلوا حرص النبي ﷺ على التسوك، الذي هو طريق من الطرق الموصلة إلى رضا الله تعالى، فيمكن أن يستأنس بهذه الأحاديث على أنه على المربي أن يسارع إلى العمل الذي يوصل إلى رضا الله عز وجل، ولا يقتصر على هذا فحسب، بل يحاول أيضًا أن يغرس هذا في نفوس أتباعه بكل طريق ممكن وبكل سبيل مستطاع، سواء عن طريق الفعل أو القول وغير ذلك، ولاشك أن هناك فوائد تربوية جمة للتربية على المسارعة إلى مرضاة الله تعالى منها:

١ - تعويد الناشئة على صدق الإيمان، فمن علامة صدق الإيمان المسارعة إلى الخيرات وأهم هذه الخيرات فعل ما يوصل إلى رضا الله عز وجل، ولا يكون هذا إلا باجتناب ما نهى الله عنه وإتيان ما أمر به، ولا يقف الأمر عند هذا، بل يتعدى إلى

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٩٥.

المسارعة والمبادرة في ذلك.

٢ - تحسين خلق الناشئة وإكسابهم الأخلاق الفاضلة، فمن كان مقصوده رضا الله، حسن أخلاقه مع الخلق والناس فعفا عن مسيئهم وتجاوز عن مخطئهم وكافأ محسنهم وشكر خيّرهم، لأن ذلك يحبه الله تعالى ويرضى عن صاحبه.

٣ - الثبات على المبادئ والقيم الفاضلة، ما دامت الغاية رضا الله لا رضا الناس، ولا يكون هذا إلا بالثبات على ما يوصل إلى رضا الله عز وجل، فلا يفعل ما يغضب الله ويرضي الناس، بل يكون همه الأول فعل ما يرضي الله سواء سخط الناس أم رضوا.

ثانيًا: من خصائص التربية الإسلامية: مخاطبة الفطرة:

وهذا مستمد من حديث "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة" وحديث "عشر من الفطرة..." فقد بيّن النبي ﷺ أن هذه الخصال من الفطرة، ودعا إلى إتيانها لكونها من الفطرة، فذلك أدعى إلى الامتثال والفعل، وفي ذلك توجيه للمربين أن يخاطبوا الفطرة في الناشئة الذين يربونهم، لأن التربية الإسلامية تربية الفطرة.

"فليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] قال القرطبي: وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقةٍ يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة[2]، وصريح الحديث النبوي يدل على ذلك ((كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ [أي الإسلام]، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانِه))[3] فدل على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين، أما الأديان الأخرى من يهودية

(١) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦/٤٢٥ .

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري ١٣٥٩، ومسلم ٢٦٥٨.

ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء"[١]. "فقد أودع الله سبحانه وتعالى كل واحد من البشر عند خلقه وولادته فطرة سليمة يمكن أن توجهه إلى طريق الهداية، وتصل به إلى سبيل الرشاد، وذلك إن لم تشبها الشوائب"[٢].

خامسًا: التربية الجمالية:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة: "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة..." وحديث عائشة رضي الله عنها: "عشر من الفطرة ..." وحديث ابن عمر رضي الله عنهما "أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"، فهذه تربية جمالية، والإسلام حريص عليها وعلى تحقيقها وتفعيلها في أرض الواقع "والمقصود بالجمال هنا الجمال في الصورة واللباس والهيئة، وهي على ثلاثة أنواع: فمنه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فالمحمود منه: وهو ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود.

المذموم منه: هو ما كان للدينار والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هذا غاية العبد وأقصى مطالبه، فإن كثيرًا من النفوس ليس لها همة سوى ذلك.

وأما ما لا يحمد ولا يذم؛ هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوضعين.

والجمال له شخصيته المستقلة في التصور الإسلامي، وهذا لا ينفي لقاءه مع الحق والخير، وبناء على خاصية الشمول ... فإن الحق والخير من الميادين التي للجمال فيها كلمة ورأي، فالخير خير، ولكنه إذا زين بالجمال كان أقرب إلى الكمال، والحق حق ولكنه إذا زين بالجمال كان أدق في تحقيق العدل.

فالأمر بالمعروف خير ولكنه إذا كان بأسلوب مهذب، بعيدًا عن الفظاظة والغلظة، أي كان بالمعروف، كان أقرب إلى تحقيق الجدوى لأنه في هذه الحالة أجمل.

(١) انظر: الإيمان والحياة، ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٨٤/٣٢.

والصدقة على الفقير والمحتاج خير، ولكنها إذا كانت على طريقة علي زين العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ كانت خيرًا وجمالاً[1].

وفوائد الجمال:

أ- إظهار المسلم بالصورة اللائقة نظيفًا طاهرًا جميلاً.

ب- كل ما في الكون من جمال يتدبره المسلم دليلاً على جمال الخالق سبحانه وتعالى.

ج- وجوب التحلي بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل لأنها من القيم التي ينبغي للمسلم التحلي بها ليزداد جمالاً فوق الجمال الذي وهبه الله إياه، فالمسلم يتجمل في ملبسه ومظهره دون غرور أو كبر، فلباسه ونعله حسن ورائحته طيبة يتطهر ويتوضأ خمس مرات استعدادًا وتجملاً للقاء ربه مستجيبًا لأمر ربه يأخذ الزينة عند كل مسجد، لهذا فالقيم الحضارية في الإسلام تعد المسلم الذي يحمل القيم الجمالية في باطنه وظاهره، ليظهر بالصورة اللائقة به"[2].



---

(١) جاء في حاشية الكتاب، كتاب: القيَم بين الإسلام والغرب: يروى عنه أنه كان كثير التصدق والنفقة على الفقراء والمساكين، وأنه كان يكرم السائل، ولا ينهره، ويقول له: أهلًا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة.

(٢) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص ٤٠ - ٤٢.

٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وَمَا يتعلق بِهَا

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة: ٤٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥]، وقال تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

الحديث رقم (١٢٠٨)

١٢٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[٢]. وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١) واللفظ له، وتقدم برقم (١٠٧٧)، وسيكرره المؤلف برقم (١٢٧٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢).

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د/ عبد الفتاح عاشور /ص١٩٠.

بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوي بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و(ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - أن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي الأحاديث هي: الصلوات الخمس، وأنها كل يوم وليلة على كل مكلف[1].

٢ - حكم صلاة الليل: اتفق الفقهاء على مشروعية قيام الليل، وهو سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحب عند الشافعية[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١٦٧، المغني ١/٢٢٥.

(٢) حاشية رد المختار ١/٤٦٠، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٣٦٠ - ٣٦١، المجموع ٤/٤٧، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٤٣٥.

٣ - حكم وجوب صوم عاشوراء وغيره سوى رمضان: أجمع الفقهاء على أنه لا يجب صوم عاشوراء ولا غيره سوى شهر رمضان [١].

٤ - حكم من شرع في تطوع من صيام أو صلاة أو غيرهما هل يجب عليه إتمامه أم لا؟ ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والحنابلة في رواية إلى أن من شرع في تطوع وجب عليه إتمامه [٢]، واستدلوا على ذلك بأن المؤدى عبادة وإبطال العبادة حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [٣]، فيجب صيانتها عن الإبطال وذلك يكون بلزوم المضي فيها [٤].

وذهب الشافعية، والحنابلة في المذهب إلى أنه يستحب الإتمام ولا يجب [٥]، واستدلوا على ذلك بالنسبة للصيام بقوله ﷺ: ((الصَّائِمُ المتطوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ))، وأما الصلاة فقياسًا على الصوم [٦].

والراجح ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة لئلا يغير الشرع المشروع فيه [٧].

٥ - حكم صلاة الوتر: ذهب جمهور الفقهاء -المالكية، والشافعية، والحنابلة،

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩/١، ٧٧/٢، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٥/١، مواهب الجليل ٩٠/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٤/٣.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١.

(٥) مغني المحتاج ٨٦/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٣/٣، مطالب أولي النهى ٢٢٢/٢.

(٦) مغني المحتاج ١٨٦/٢.

(٧) مغني المحتاج ١٨٦/٢.

وأبو يوسف ومحمد- إلى أن صلاة الوتر سنة مؤكدة[١]، واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم (١٢٠٩)، وقوله ﷺ: (ثلاث كتب عليّ ولم تكتب عليكم الوتر، والضحى، والأضحى).

وذهب أبو حنيفة في رواية إلى أنه واجب، وذهب في رواية ثانية إلى أنه فرض[٢]، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: ((إن الله تَعالى زَادَكُمْ صلاةً ألا وهي الوتر فصلّوها مَا بينَ العشاءِ إلى طلوعِ الفَجْرِ))، حيث أمر النبي ﷺ بها ومطلق الأمر للوجوب[٣].

ويناقش هذا بأن الأمر هنا محمول على التأكيد لحديث الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ قال: إلا أن تطوع [٤].

والراجح: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لقوة دليله ورده على دليل المخالف.

٦ - حكم صلاة العيد: ذهب الحنفية إلى أن صلاة العيد واجبة[٥]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[٦]، ومطلق الأمر للوجوب

وذهب المالكية في المشهور، والشافعية في الراجح إلى أنها سنة[٧]. واستدلوا بحديث

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١ - ١٦٩، مواهب الجليل ٧٥/٢، مغني المحتاج ٤٣٥/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢٢/١، مطالب أولي النهى ٥٥١/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١ - ١٦٩.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧١/١.

(٤) مغني المحتاج ٤٥١/١.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٤/١ - ٢٧٥، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٣/١.

(٦) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٧) مواهب الجليل ١٨٩/١، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٤١١/١، مغني المحتاج ٥٨٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٥٢٤/١.

الباب رقم (١٢٠٩).

وذهب المالكية في غير المشهور، والشافعية في قول ضعيف، والحنابلة إلى أنه فرض كفاية[١]، واستدلوا على ذلك بأنها من شعائر الإسلام، ويتوالى فيها التكبير فأشبهت صلاة الجنازة، ولأنها من أعلام الدين الظاهرة فكانت واجبة[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) مواهب الجليل ١٨٩/١، مغني المحتاج ٥٨٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٥٢٤/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠/٢، المغني ١١٠/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٥/١، شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/١.

(٢) مغني المحتاج ٥٨٨/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠/٢.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٧٧.

الحديث رقم (١٢٠٩)

١٢٠٩ - وعن طَلْحَةَ بن عبيد الله ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رسولِ الله ﷺ، فَإِذا هُوَ يَسأَلُ عَنِ الإسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**)) قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: ((**لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ**)) فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**وَصِيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**)) قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: ((**لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ**)) قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رسول الله ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: ((**لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ**)) فَأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لاَ أُزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**أفْلَحَ إنْ صَدَقَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

طلحة بن عبيدالله التيمي: وهو طلحة بن عبدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، القرشي، المكي، التيميُّ، يكنى أبا محمد، ويُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، كان من دهاة العرب وعلمائهم، صحابي شجاع من الأجواد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يدي أبي بكر الصديق، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، من خطباء الصحابة، ومثريهم وأجوادهم، وأخباره في الجود والسماحة كثيرة، ومناقبه جمة، من حلماء العلم، لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جبانًا في حرب، ولا شابًا في جارية، روى عن رسول الله ﷺ وله في كتب الحديث (٣٨) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة ولما قدم طلحة بن عبيدالله إلى المدينة مهاجرًا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب خالد بن زيد.

لم يشهد بدرًا، حيث كان بالشام في تجارة، أو أن النبي ﷺ بعثه هو وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، فضرب له رسول الله ﷺ، وعُدَّ من الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦) واللفظ له، ومسلم (١١/٨).

البدريين، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وأبلى يوم أحد بلاءً حسنًا، وقى بنفسه رسول الله واتقى النبل عنه بيده حتى شلّت، فعن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: ((رأيت يد طلحة شلاَّء، وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد))[1].

وكان قد ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فعن الزبير بن العوام قال: كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم أحد، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته فصعد النبي عليه حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((أوجبَ طلحة))[2].

أما عن صفاته الخُلقية فكان في الخير لا يُجَارى، فكان كريمًا معطاءً مغدقًا على ذوي أرحامه، فيذكر أنه كانت له تجارة وافرة مع العراق ولم يكن يدع أحدًا من بني تيم - قومه - عائلاً إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، وَوَفَّى دينه، وعن صفاته الخَلْقية: فكان رجلاً آدمَ حسن الوجه، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين، كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط، وكان لا يغير شعره، إذا مشى أسرع، وإذا التفت التفت جميعًا.

شهد طلحة بن عبيدالله يوم الجمل محاربًا لعليّ، فزعم بعض أهل العلم أن عليًا دعاه فذكّره أشياءَ من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرماه مروان بن الحكم بسهم في ثغرة نحره أو في رجله فقطع عرق النّسا فلم يزل دمه ينزف حتى مات، يوم الجمل، وكانت وقعة الجمل يوم جمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦)، مات وهو ابن (٦٠) أو (٦٢) أو (٦٣) أو (٦٤) سنة[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا" ص (٦٨٧) حديث رقم (٤٠٦٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الدرع، ص (٣٩٥)، حديث رقم (١٦٩٢)، وصححه للشيخ الألباني في المشكاة (٦١١٢)، وفي صحيح أبي داود (٢٣٣٢).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٢١٤-٢٢٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٥٩-٣٦١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٨٤-٨٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٤٢)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/٢٣-٤٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٥٠٨، ٥٠٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٢٤٠، ٢٤١)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٢٢٩)، موسوعة عظماء حول الرسول (١/٣٣٥-٣٤٤).

غريب الألفاظ:

نجد: منطقة واسعة من الأرض المرتفعة ليس ارتفاعها بالشديد، تمتد من الحجاز شرقًا إلى اليمامة غربيًا [١].

ثائر الرأس: متفرق الشعر من ترك الرفاهية، ففيه إشارة إلى قرب عهده بالوفادة[٢].

دويٌّ صوته: صوته المرتفع[٣].

أدبر: تولى وانصرف[٤].

الشرح الأدبي

يعلمنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث حسن التعامل مع الآخرين – الذين يتطلعون إلى معرفة أمور الدين، ويبين لنا أن نتدرج في الحديث معهم، وأن نبدأ بتقديم الأهم، فالمهم، وهذا مثال تطبيقي يتمثل في حواره مع ذلك الرجل من نجد، حينما سأله على الإسلام فقال النبي الكريم: " خمس صلوات في اليوم والليلة " وقد بنى عبارته على الإيجاز؛ لأنه يخاطب بدويا مفطورا على الفصاحة، والتقدير تصلي خمس صلوات، أو عليك خمس صلوات، وبدأ بالصلوات لمنزلتها العظيمة في الدين، وإصلاح الفرد، والجماعة، وذكر " اليوم والليلة " ليشعر المتلقي بالعلاقة بين الوقت، والصلاة المرتبطة به حتى يؤديها في أوقاتها، وأن هذه الصلوات الخمس على مدار اليوم، والليلة تعد قليلة من ناحية القيام بها، ولكنها عظيمة الأجر، والاستفهام في قول الرجل: " هل علي غيرها " يدل على قابليته للتعلم، والتوجيه، ورد الرسول ﷺ عليه بقوله: " لا. إلا أن تطوع " يدل على حكمته في الرد، وبلاغته في الأسلوب، وفيه إيجاز يقتضيه المقام أي: لا شيء عليك، وفي ترغيبه في الخير فلم يقل له: عليك صلاة الليل، والتهجد، والسنن

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٥٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٣١.

(٣) الوسيط في (د و ي).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ب ر).

الراتبة، وقدرها كذا. . وكذا. .. كما فعل في الفرائض في بقية الحوار الخاص بالصيام، والزكاة، وقسم الرجل :" والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه. . " يدل على عزيمته في العمل، والتزامه لتوجيهات النبي ﷺ، كما يدل على تحقيق الأسلوب البلاغي النبوي لغرضه حيث راعى طبيعة البدوي الذي لم يعتد في صحرائه أن يؤمر، أو ينهى فلم يوجه له الأمر الصريح الظاهر لما في الأمر من دلالة على الاستعلاء قد تأنف منها نفسه كما أنه أشعره بحرية الاختيار في غير الفريضة بقوله (لاَ، إلاَّ أنْ تَطَّوَّعَ) التي تكررت بعد كل فرض لكي يشعره بأنه طرف حر الاختيار في غير الفريضة التي أوجبها الله على الجميع، وجملة الشرط التي تربط الفلاح بالصدق في نهاية الحديث " أفلح إن صدق " تدل على تحقق الفلاح للرجل إن صدق في عبادته، وتقديم الفلاح يبشر بها، والتعبير بالفلاح يداعب النفس بحصول المرجو، وحسن العاقبة، وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن صدق أفلح.

فقه الحديث

١ - وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة:

هذا الحديث من الأدلة على وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة. ولذا قال النووي: (في هذا الحديث أن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي الأحاديث، هي الصلوات الخمس، وأنها في كل يوم وليلة وعلى كل مكلف بها. وقولنا "بها" احتراز من الحائض والنفساء فإنها مكلفة بأحكام الشرع إلا الصلاة وما ألحق بها مما هو مقرر في كتب الفقه. وفيه أن وجوب صلاة الليل منسوخ في حق الأمة. وهذا مجمع عليه، واختلف قول الشافعي في نَسْخه في حق رسول الله ﷺ، والأصح نَسْخُه)[1].

وفيه أن صلاة الوتر ليست بواجبة، وأن صلاة العيد أيضًا ليست بواجبة، وهذا مذهب الجماهير. وذهب أبو حنيفة وطائفة إلى وجوب الوتر. وذهب أبو سعيد

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/١٥٠ ، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/١٠٣ .

الإصطخري من أصحاب الشافعي إلى أن صلاة العيد فرض كفاية، وفيه أنه لا يجب صوم عاشوراء ولا غيره سوى رمضان، وهذا مجمع عليه. وفيه أنه ليس في المال حق سوى الزكاة على من ملك نصابًا وفيه غير ذلك، والله أعلم)[1].

وقال النووي عن وجوب الزكاة - وهو ما يتعلق بهذا الباب - : الزكاة فرض وركن بإجماع المسلمين، وتظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك[2].

٢ - قال النووي: (قوله: "هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوّع" قال أصحابنا وغيرهم من العلماء قوله ﷺ "إلا أن تطوع" استثناء منقطع ومعناه: لكن يستحبّ لك أن تطوع، وجعله بعض العلماء استثناء متصلاً، واستدلوا به أن من شرع في صلاة نفل أو صوم وجب عليه إتمامه. ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب، والله أعلم)[3].

٣ - تارك النوافل:

قال ابن حجر: (فإن قيل: كيف أقرّه على حلفه، وقد ورد النكير على من حَلَف أن لا يفعل خيرًا؟ أجيب: بأن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. وهذا جارٍ على الأصل بأنه لا إثم على غير تارك الفرائض، فهو مفلح وإن كان غيره أكثر فلاحًا منه)[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه ومعرفتها.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإجابة الواضحة على أسئلة المدعو.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/ ١٥١ .

(٢) المجموع ٢١٢/٥ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/١/١ ، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٢/١ ، وانظر خلاف الفقهاء في ذلك في: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١، ٧٧/٢، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٥/١، ومواهب الجليل ٩٠/٢، ومغني المحتاج ١٨٦/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٣/٣، ومطالب أولي النهى ٢٢٢/٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٢/١ .

رابعًا: من حكمة وفقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات وبيان أركان الإسلام.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وقصده في إجابة السائل.

سادسًا: من آداب الداعية: الاهتمام بالمدعو ومراعاة أحواله.

سابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على العمل بأركان الإسلام وفضل ذلك.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه ومعرفتها:

إن من أهم واجبات المدعو أن يسأل عن أمور دينه ويعرفها حتى تكون عبادته لله على بينة وعلم، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث: (فإذا هو يسأل عن الإسلام)، والسؤال عن أمور الدين ومعرفتها والتفقه فيها مما يجب على المدعو لكي يقوم بتنفيذ الأحكام الشرعية وقد أمر الله بالسؤال عند الجهل فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2]، واستنكر الرسول ﷺ على من لم يسأل في أمر دينه، ففي قصة المجروح الذي اغتسل بالماء فمات فلما أخبر النبي ﷺ قال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3].

قال العظيم آبادي: (أسند القتل إليهم، لأنهم تسببوا له بتكليفهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه ليكون أدل على الإنكار عليهم وقوله: "قتلهم الله" إنما قاله زجرًا وتهديدًا. والعِيّ هو التحير في الكلام وعدم الضبط، وفي النهاية العي: الجهل، والمعنى: أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[4].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال ورود لفظة يسألونك في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٥.

هُوَ أَذًى ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[2]، ومن هذا يتبين أن من واجبات المدعو السؤال عن أمور الدين ومعرفتها والتفقه فيها.

ثانيًا - من واجبات الداعية: الإجابة الواضحة عن أسئلة المدعو:

يتضح هذا من الحديث من جواب النبي ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة، قال الرجل: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع)، قال ابن حجر: "وقوله: يسأل عن الإسلام)، أي عن شرائع الإسلام ولم يذكر له الشهادة؛ لأنه علم أنه يعلمها أو علم أنه إنما يسأل عن الشرائع الفعلية، وبهذا يتبين مطابقة الجواب للسؤال، خاصة وأنه قد جاء في رواية أنه قال في سؤاله: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس"[3]، ولقد كان هذا هدي النبي ﷺ في إجابته عن أسئلة المدعوين بأن تكون إجابته واضحة وبيانه كاملاً تامًا، (فعلى حامل رسالة الدعوة إلى الله أن يكون حريصًا على التأثير النافع في نفس وفكر من يوجه له رسالته، فلا يختار من البيان ما يعسر عليه فهمه، ولا يستطيع استيعاب معناه، ولا يختار من أساليب البيان ما ينفره ويبعده عن دين الله وصراطه المستقيم، بل يختار من أساليب البيان ما يجذبه ويملك قلبه ونفسه ويمتع فكره ويحلو لديه ويراعي معه كرامة المخاطب)[4].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

إن وسيلة التعليم لها أثرها الفاعل في إرشاد المدعوين وتعريفهم حقائق الإسلام، وتعليمهم ما يجهلون، ويتضح هذا من سياق الحديث حيث علّمه الرسول الكريم ﷺ شرائع الإسلام واحدة تلو الأخرى، ومما لا شك فيه أن وسيلة التعليم من أهم وسائل الدعوة، ولقد جعل الله سبحانه التعليم من وظيفة إمام الدعاة الأول، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٣٢.

(٤) فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/ ٢٤٠.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الإمام بدر الدين محمد بن الغزي: "واعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يُؤْمن انمحاق العلم، فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وآكد فروض الكفايات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]، ولذا فينبغي على المرء أن يقصد بتعليمه وجه الله والتقرب إليه، وأن لا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي، وينبغي أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فربما عسر في كثير من المبتدين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنفسهم بموجبات تصحيحها، فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم، مع أنه يرجى ببركة تصحيحها إذا أنس بالعلم"[3].

قال الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا فإن فتك الجهل بالناس ذريع وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج ولذا فإن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولا بد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق.."[4].

رابعًا - من حكمة وفقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات وبيان أركان الإسلام:

إن الداعية الحصيف هو الذي يراعي ترتيب الأولويات في عرض دعوته، ويظهر هذا من الحديث حيث بدأ النبي ﷺ في تعليمه أركان الإسلام، من صلاة وزكاة وصوم. وهذا من حكمة الداعية وفقهه أن يراعي الأولويات في الدعوة، قال ابن علان: "قال ابن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) انظر: الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٠٤ - ١٠٧.

(٤) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

العربي: إنما قال له النبي ﷺ ذلك؛ لأنه أول ما أسلم فأراد أن يطمئن فؤاده، وبعد ذلك يفعل ما سواها بما يظهر له من ترغيب الإسلام، وأثبت له الفلاح لأنه أتى بما عليه ومن أتى بما عليه كان مفلحا"[1]، وإذا كان الأمر كذلك، "فإنه ينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور متأسيًا برسوله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة، وبعض العبادات لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي فحكمة الداعية وفقهه تقتضي مراعاة الأولويات من جهة، ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى"[2].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وقصده في إجابة السؤال:

إن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومنحه الله من الفصاحة والبلاغة في القول ما لا يجاريه فيه أحد ومما يدل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة - إلى آخر إجاباته ﷺ)، وهذا يدل على بلاغته حيث اقتصر في إجابة السائل على ما يفيده، قال ابن علان: "قال ابن المنير: ولقد أجاب ﷺ بما يقتضيه الحال وبالأهم فالأهم إذ لا يمكن بيان الشريعة دفعة واحدة لا سيما لحديث عهد بالإسلام"[3]، ولا شك أن هذا يعتبر من جوامع الكلم، "ولقد فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بما أعطاه من مفاتيح الكلام وهي ما يسره له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت، قال العز بن عبدالسلام: ومن خصائصه ﷺ أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"[4].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٣٧.

(٢) صفات الدعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٣٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٤٥٩/١.

سادسًا - من آداب الداعية: الاهتمام بالمدعو ومراعاة أحواله:

حيث جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام...)، ورغم هيئة هذا الرجل القادم ومظهره الذي يدل على حاله إلا أن النبي ﷺ اهتم به وأشعره بكرامته، حيث أقبل عليه وأجاب عن سؤاله، "والإنسان مهما كان شأنه ومهما كانت ظروف مهنته يحس بكرامته ويتوق إلى من يشعره بأنه كريم، وبأن له ذاتًا محترمة، ومن ثم فإن صيغة الخطاب الموجه إليه ينبغي أن تشعره بأنه مؤهل للصلاح مستحق للتقدير، ومن إشعارنا له بالكرامة أن يكون لدينا الاستعداد لرؤية كثير من الأشياء من وجهة نظره أو إشعاره على الأقل بأن له وجهة نظر يمكن أن تكون صائبة"[1].

ومما لا شك فيه أن هذا الاهتمام بالمدعو إنما هو حق من حقوقه على الداعية، "إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام، ويرفعه إلى أن يستمع له ويتجاوب معه، وهذا الاهتمام ينبثق من شفقة الداعي بالمدعو وحبه له وحرصه الشديد على هدايته، وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية وبذلك يصل الداعي إلى هدفه الذي يسعى لتحقيقه"[2].

سابعًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو بما يقول الداعية، إذ هي صورة من صور التأكيد، وهو أسلوب مستعمل بكثرة في القرآن الكريم "وأسلوب القسم موعظة حسنة لأنه يقصد به دائمًا الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به بما فيه من مزية في نظر المستمع تجعله لهذه المزية يسلم بالمقسم عليه وهو الدعوة المرجوة، وأسلوب القسم يناسب طبيعة البشر وينطلق من بين فكرهم، والقسم يأتي مكررًا ومعجزًا ومشتملاً على الترغيب

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٦٧.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤١٤.

والترهيب من أجل تحقيق أثره"[١]، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[٣].

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على العمل بأركان الإسلام وفضل ذلك:

ويتضح هذا من الحديث في قوله: (أفلح إن صدق)، قال المازري: "أما فلاحه بألا ينقص فَبَيِّنٌ، وأما بألا يزيد فكيف يصح هذا؟ وكيف يقره عليه؟ والتمادي على ترك سائر السنن مذموم يوجب الأدب عند بعض أهل العلم، فلعله قال هذا، ولم تسن السنن حينئذٍ أو يكون فهم عنه: أنه لا يغير الفروض التي ذكرها بزيادة ولا نقصان، وأن ذلك مراده بهذا القول"[٤].

وقال النووي: " إذا أفلح بالواجب فلأن يفلح بالواجب والمندوب أولى، فإن قيل: كيف؟ قال: لا أزيد على هذا، وليس في هذا الحديث جميع الواجبات، ولا المنهيات الشرعية، ولا السنن المندوبات، فالجواب أنه جاء في رواية البخاري في آخر هذا الحديث زيادة توضح المقصود، قال: (فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله تعالى علي شيئًا)، فعلى عموم قوله بشرائع الإسلام، وقوله "مما فرض الله عليّ" يزول الإشكال في الفرائض. وأما النوافل فقيل: يحتمل أن هذا كان قبل شرعها، وقيل: يحتمل أنه أراد لا أزيد في الفرض بتغيير صفته كأنه يقول: لا أصلي الظهر خمسًا وهذا تأويل ضعيف، ويحتمل أنه أراد لا يصلي النافلة مع أنه لا يخل بشيء من الفرائض وهذا مفلح بلا شك، وإن كانت مواظبته على ترك السنن مذمومة وترد بها الشهادة إلا أنه ليس بعاص بل هو مفلح ناج والله أعلم"[٥].

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح المرشد ص ١٦٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٤٧/١.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥.

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا اقتصر على الواجب في الشرع؛ فإنه مفلح، ولكن لا يعني هذا أنه لا يسن أن يأتي بالتطوع، لأن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة وكم من إنسان أدّى الفريضة وفيها خلل وفيها خروق، وفيها خدوش تحتاج إلى تكميل إلى رتق الصدع"[١]، وقد تكرر في القرآن الكريم فضل العمل بأركان الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[٣]، وما من شك في أهمية العبادات في الإسلام وفلاح الإنسان مرتبط بمدى التزامه بها وإقامته لها، "ومع أن المسلم يتعبد إلى الله بكل أعماله فقد فرض الله عليه ضروبًا من العبادات المنتظمة الموقوتة: طهارة هي مجلبة للنشاط والنقاء، وصلاة هي مدرأة للمنكر والفحشاء، وزكاة هي مطهرة للمال وطعمة للمساكين، وصومًا هو مصحة للبدن وجُنّةً من الشياطين وحَجًا وعمرة هما سياحة في سبيل الله ومؤتمر للمسلمين"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ط٣ مكتبة الفلاح، الكويت: دون تاريخ، ص ٢٧.

الحديث رقم (١٢١٠)

١٢١٠ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث مُعاذًا رضي الله عنه إلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((ادْعُهُمْ إلَى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَأنِّي رسول اللهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أن اللهَ تَعَالَى، افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ، وتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

افترض: أوجب[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث ﷺ بجملة النصائح الموجهة لرسول رسول الله ﷺ يتصدرها أسلوب الأمر الحقيقي في قوله (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وهو تنقية للعقيدة لما حصل من خلط فيها عندهم، وبناء لها على أساس صحيح بالإيمان بالله، ورسوله، وجملة الشرط التي تكررت بعد كل مرحلة من مراحل التعليم تشير إلى ترتب كل نتيجة على سابقتها كما تشير إلى التدرج في التعليم حتى لا يمل المتعلم، ثُمَّ إن الْحَدِيث لَيْسَ مَسُوقًا لِتَفَاصِيل الشَّرَائِع بَلْ لِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَة إِلَى الشَّرَائِع إِجْمَالًا وَأَمَّا تَفَاصِيلهَا فَذَاكَ أَمْر مُفَوَّض إِلَى مَعْرِفَة مُعَاذ رضي الله عنه فَتَرْك ذِكْر الصَّوْم، وَالْحَجّ لَا يَضُرّ كَمَا لَا يَضُرّ تَفَاصِيل الصَّلَاة، وَالزَّكَاة، والطباق بين الأغنياء، والفقراء (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٩/٣٠)، وتقدم برقم ٢٠٨ و١٠٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ض).

بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق الحبة، والتكافل بين الناس، وتنكير كلمة "صدقة" يدل على الترغيب لأنها تعم القليل، الكثير، فإن أعطوه صدقة قليلة، أو كثيرة قبلها وردها على فقراء أهل اليمن ليتحقق التضامن الاجتماعي بين الأغنياء بين الفقراء و يشعرون جميعا بروح الدين الجديد السامية في تعاليمها، الشاملة في رعايتها.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم دفع الزكاة إلى الكافر والغني: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة)، إلى أن الزكاة لا تدفع إلى كافر[١]، ولا تدفع أيضًا إلى غني من نصيب الفقراء[٢].

واستدلوا على عدم جواز دفعها للغني بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣]، حيث جعل الله الصدقات للأصناف المذكورين بحرف اللام، وأنه للاختصاص فيقتضي اختصاصهم باستحقاقها فلو جاز صرفها إلى لبطل الاختصاص[٤].

واستدلوا على عدم جواز دفعها إلى الكافر بحديث الباب حيث أمر النبي ﷺ بوضع الزكاة في فقراء من يؤخذ من أغنيائهم وهم المسلمون فلا يجوز وضعها في

---

(١) بل لقد نقل ابن المنذر إجماع الفقهاء على ذلك، يراجع الإجماع، ابن المنذر ٤٦/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٣/٢، ٤٩، حاشية الدسوقي ٤٩٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣٩٣/١، مطالب أولي النهى ١٣٣/٢، شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٧/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٤/٢.

غيرهم [١].

وذهب الإمام زفر من الحنفية إلى جواز دفعها إلى الكافر، واستدل على ذلك بأن المقصود إغناء الفقير المحتاج على طريق التقرب وقد حصل [٢].

٢ - حكم نقل الزكاة من البلد الذي وجبت فيه إلى غيره: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأظهر، والحنابلة) إلى كراهة نقل الزكاة من البلد الذي وجبت فيه إلى غيره[٣].

واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: (صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)، ولأن فيه رعاية حق الجوار فكان أولى، ولامتداد أطماع أصناف كل بلد إلى زكاة ما فيه من المال والنقل يوحشهم [٤].

وذهب الشافعية في مقابل الأظهر إلى جواز ذلك[٥]، مستدلين بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾[٦].

والراجح: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأن الحديث خصص عموم الآية.

٣ - حكم من وجبت عليه الزكاة فامتنع عن دفعها: إذا امتنع من وجبت عليه الزكاة من دفعها أخذها الإمام قهرًا بغير اختياره وهذا الحكم لا خلاف عليه [٧].

لكن اختلف الفقهاء في هل تبرأ ذمته ويجزيه ذلك في الباطن أم لا؟

ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأصح) إلى براءة ذمته

---

(١) المرجع السابق ٤٩/٢.

(٢) المبسوط ٢٠٢/٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٤/١، حاشية رد المختار ٣٥٣/٢، مواهب الجليل ٣٥٨/٢، حاشية الصاوي ٦٦٧/١، مغني المحتاج ١٩١/٤، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٠٤/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٣/٢.

(٤) حاشية رد المحتار ٣٥٤/٢، مغني المحتاج ٢٩١/٤.

(٥) مغني المحتاج ١٩١/٤، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٠٤/١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٠٠/١، نيل الأوطار ١١٥/٤.

ويجزيه ذلك ظاهرًا وباطنًا واستدلوا على ذلك بأن للإمام ولاية أخذ الصدقات فقام مقامه في النية[١].

وذهب الشافعية في مقابل الأصح، والحنابلة إلى براءة ذمته ظاهرًا ولا يجزيه ذلك باطنًا لعدم النية[٢].

٤ - حكم دفع الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، وبعض الشافعية، والحنابلة) إلى جواز دفع الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية [٣] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤]، بعد قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[٥]، وقد تناول جنس الصدقات وبين أن إيتاءها إلى الفقراء لا غير خير[٦].

وذهب الشافعية في ظاهر المذهب إلى عدم جواز دفعها لصنف واحد ووجوب استيعاب الأصناف الثمانية[٧]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾[٨]، حيث أضاف تعالى جميع الصدقات إليهم، فاللام للتمليك، وأشرك بينهم بواو التشريك فدل على أن ذلك مملوكًا لهم فيشترك بينهم [٩].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٨/٢، حاشية الدسوقي ٥٠٣/١، مغني المحتاج ١٣٢/٢.

(٢) مغني المحتاج ١٣٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦١/٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١، حاشية الصاوي ٦٦٤/١ - ٦٦٥، مغني المحتاج ١٨٩/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٧/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٤٩/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٩/١.

(٧) ومحل وجوب الاستيعاب إذا لم يقل المال، فإن قل بأن كان قدرا لو وزعه عليهم لم يسد لم يلزمه الاستيعاب للضرورة بل يقدم الأحوج فالأحوج، يراجع مغني المحتاج ١٨٩/٤ - ١٩٠.

(٨) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٩) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١.

ويناقش هذا بأن اللام قد تكون للعاقبة، وقد تكون للاختصاص وهو أصلها واستعمالها في الملك لما فيه من الاختصاص، وجعلها للتمليك غير ممكن هنا لأنهم غير مُعيّنين ولا يعرف غيرُ معين في الشرع[1].

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لقولة دليله، ومناقشته لدليل المخالف.

٥ - حكم زكاة مال من عليه دين يستغرقه أو ينقصه عن النصاب: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، وبعض المالكية، وقول للشافعية، والحنابلة) إلى عدم وجوب الزكاة عليه وسقوطها عنه[2] واستدلوا على ذلك بما رواه أبو عبيد في الأموال عن السائب بن يزيد قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: (هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فيلؤده حتى تخرجوا زكاة أموالكم) وفي لفظ: (من كان عليه دين فليقض دينه وليُزَكِّ بقية دينه)، وقد قاله بمحضر من الصحابة فدل ذلك على اتفاقهم عليه حيث لم ينكره عليه[3].

ولأنه مشغول بحاجته الأصلية فاعتبر معدومًا كالماء المستحق بالعطش لنفسه أو دابته وثياب البذلة والمهنة[4].

وذهب المالكية في المشهور، والشافعية في قول إلى أن الدين يمنع وجوب الزكاة في الأموال الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة.

ولا يمنع الزكاة في الأموال الظاهرة كالزروع والثمار والمواشي والمعادن[5]، واستدلوا على ذلك بأن الأموال الظاهرة نامية بنفسها، ولتعلق الزكاة بعينها.

وذهب الشافعية في قول ثالث وهو الأصح نص عليه الشافعي في الجديد إلى وجوب الزكاة عليه[6] واستدلوا على ذلك بأن الزكاة تتعلق بالعَيْن، والدَيْن يتعلق بالذمة، فلا

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١ - ٣٠٠.

(٢) العناية شرح الهداية ١٦٠/٢، حاشية الصاوي ٦٤٧/١، المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥، مطالب أولي النهى ١٧/٢.

(٣) مطالب أولي النهى ١٧/٢.

(٤) العناية شرح الهداية ١٦٠/٢.

(٥) حاشية الصاوي ٦٤٧/١، المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

(٦) المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

يمنع أحدهما الآخر كأرش الجناية[١].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بعدم وجوب الزكاة عليه، لأن حاجة المدين كحاجة الفقير أو أشد، وليس من الحكمة تعطيلُ حاجة النفس لدفع حاجة الغير[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: التدرج في عرض القضايا الدعوية.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التركيز على العقيدة في دعوة غير المسلمين.

سادسًا: من أصناف المدعوين: غير المسلمين.

سابعًا: من أهداف الدعوة: ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين وبيان الأمور الشرعية.

أولاً - من تاريخ الدعوة: بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن:

إن النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام وتبليغ الدعوة كان يرسل مبعوثيه وسفرائه إلى الأماكن والبلدان المجاورة، ومن ذلك بعثه ﷺ معاذًا إلى اليمن، حيث جاء في الحديث: (إن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن) ولا شك أن هذا يمثل جزءًا هامًا من تاريخ الدعوة الإسلامية حيث كان بعث معاذ رضي الله عنه في السنة العاشرة من الهجرة النبوية وعُرف ذلك ببعث النبي ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع يدعونهم إلى الله عز وجل، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده أن معاذًا رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: ((يا معاذُ إنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذا، فَتَمُرَّ بِقَبْرِي ومَسْجِدِي)) فبَكى مُعاذُ جَشَعًا

---

(١) المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

(٢) مطالب أولي النهي ١٨/٢ بتصرف.

لِفِرَاقِ رسولِ الله ﷺ، فقال: ((لا تَبْكِ - يا معاذُ - فإنَّ البُكاءَ مِنَ الشَّيْطانِ))[١].

قال ابن كثير: "وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذًا رضي الله عنه لن يجتمع بالنبي ﷺ بعد ذلك، وكذلك وقع فإنه أقام باليمن حتى كان حجة الوداع ثم كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد أحد وثمانين يومًا من يوم الحج الأكبر"[٢].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن)، ولا شك أن في اختيار معاذ رضي الله عنه لإرساله إلى اليمن دليل على فضله ومكانته عند رسول الله ﷺ، قال ابن حجر: "هو الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، قال أبو إدريس الخولاني: كان معاذ رضي الله عنه أبيضًا وضئ الوجه براق الثنايا أكحل العينين، وقال كعب بن مالك: كان شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه. قال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر. قال الواقدي: كان من أجمل الرجال وشهد المشاهد كلها. وقال أبو نعيم في الحلية: إمام الفقهاء وكنز العلماء شهد العقبة وبدرًا والمشاهد وكان من أفضل شباب الأنصار حلمًا وحياء وسخاء وكان جميلاً وسيما"[٣].

قال ابن عبدالبر: "ومعاذ رضي الله عنه هو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله ﷺ قاضيًا إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن، ولقد كان معاذ رضي الله عنه معلمًا للخير مطيعًا لله ورسوله"[٤].

قال الذهبي: "استشهد معاذ رضي الله عنه في طاعون عمواس الذي أصاب الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقول: اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر، فماتت ابنتاه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٥/٥، حديث رقم ٢٢٠٥٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٧٨/٣٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٣٨٢/٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٢.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٦٥٠.

فدفنهما في قبر واحد، وطعن ابنه عبدالرحمن فقال: يعني لابنه لما سأله: كيف تجدك؟ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، قال: وطعن معاذ في كفه فجعل يقلبها ويقول: هي أحب إليّ من حُمر النَّعَم، فإذا سرى عنه قال: رب! غُمَّ غَمَّك فإنك تعلم أني أحبك، وكان استشهاده رضي الله عنه سنة سبع أو ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل غير ذلك"[2].

ثالثًا - من خصائص الدعوة: التدرج في عرض القضايا الدعوية:

يتضح هذا من الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...)، وهذا يبين التدرج في عرض قضايا الدعوة الذي يعتبر من خصائص الدعوة الإسلامية، قال النووي مبينًا أهمية التدرج والترتيب في الدعوة والمهمات: "وفي الحديث من السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال، وفيه أنه لا يحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنة، وفيه أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة، وفيه أن الزكاة لا تدفع إلى كافر، ولقد رتب ﷺ الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم"[3].

ومما لا شك فيه أن هذا يبرز أهمية التدرج في الدعوة، "ويجب أن يعلم كل داعية أهمية التدرج في الدعوة والبدء بأهم الأمور إلى المهم، وأن يفقه الداعية هذا الأمر الهام، وذلك لأن أعظم ما يكون في البيت أساسه، وأهم ما تستند عليه الشجرة جذرها وأصلها، فإذا كان الأساس صحيحًا قويًا صلبًا كان ما فوقه صحيحًا قويًا، وإن كان الأساس هشًا ضعيفًا فلا يستبعد أن يسقط المنزل أو تعصف بالشجرة الرياح"[4].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٥٨/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٧.

(٤) منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٣٠.

رابعًا – من فقه الداعية: مراعاة أحول المدعوين:

إن الداعية الناجح هو الذي يراعي في تبليغ دعوته أحوال المدعوين وظروفهم، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث: (فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم)، وهذا بلا شك يرسخ أن من فقه الداعية مراعاة أحوال المدعوين وذلك لاختلاف الناس، واختلاف أفهامهم وبيئاتهم، "إن الناس يختلف بعضهم عن بعض في علمهم وفهمهم وطبائعهم الشخصية وعوائدهم الاجتماعية وكل ذلك يحتاج الداعية إلى مراعاته فمن الناس الراغب في الخير ولكنه غافل عنه ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره ومنهم من له شبهة قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له وكل واحد من هؤلاء له مدخل إلى نفسه وخطاب يتناسب مع عقله، وأسلوب يؤثر في سلوكه ومراعاة ذلك لها أثرها الذي لا ينكر في نجاح الداعية"[1].

خامسًا – من موضوعات الدعوة: أهمية التركيز على العقيدة في دعوة غير المسلمين:

حيث جاء في الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)، ففي هذا الحديث جاء التركيز على العقيدة أولاً وتقرير التوحيد ومن ثم "فلقد كان التوحيد هو المعركة الكبرى التي خاض القرآن غمارها لإزالة الشرك والوثنية من نفوس الناس، وتعليمهم كيف يعبدون إلهًا واحدًا لا شريك له، له ملك السموات والأرض وبيده مقاليد كل شيء، ومنهج القرآن في ذلك هو الرجوع إلى فطرة الإنسان واستثارتها، والتساؤل معها عن مظاهر الخلق والتدبير والملك فخاطب الفطرة وفتح أمام العقل منافذها، وطاف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، وسعى القرآن إلى تقرير أن الفطرة عند تذكيرها لا تملك إلا الاعتراف بالربوبية لله سبحانه، وما دامت قد اعترفت بالله ربًا، فما الذي يمنعها أن توحده في ذاته وصفاته وتفرد له العبادة وحده"[2].

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٨ – ١٢٩.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ٨٢.

ولا شك في أن العقيدة تقف على رأس أهم الأمور في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. والتوحيد هو أساس دعوة الرسل، وما من نبي ولا رسول إلا دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ونبذ الشركاء عنه ولذا: "فشهادة التوحيد هي أول ما يدعى بها أهل الكتاب والملل الأخرى، بل والناس أجمعون إلى الإسلام، وهي أصل الإسلام وقاعدة الإيمان ولب الإخلاص، والعلامة الفارقة بين المسلم وغيره، فمن قالها وآمن بها واعتقدها فقد أسلم لله تعالى، ودخل في دينه، وعصم دمه وماله وعرضه، وحياته كلها ولذلك فهي أول ما يبدأ به الداعية دعوته، ويركز عليه في مسيرته، ويوليه جل عنايته وأهميته ورعايته ذلك أن التوحيد هو أساس الدين وأصل العقيدة"(١).

سادسًا - من أصناف المدعوين: غير المسلمين:

حيث جاء في الحديث: (بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن)، وقد فسر ذلك في رواية أخرى في الصحيحين أيضًا: (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب)، وهذا يبين أن من أصناف المدعوين، غير المسلمين وهذا تطبيق عملي لعالمية الدعوة الإسلامية وشمولها، وأنها عامة وليس خاصة، "ومن الأساليب التي وجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب الدعوة إلى كلمة عادلة مستقيمة، يقف أمامها الجميع على مستوى واحد لا يعلو بعضهم على بعض ولا يتعبد بعضهم بعضًا، فكلهم أمام خالقهم سواء ليس هناك فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح"(٢).

قال ابن حجر: "وقد استجمع النبي ﷺ همة معاذ رضي الله عنه بقوله: (ستأتي قومًا أهل كتاب)، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان وليس فيه أن جميع من يَقْدُمُ عليهم من أهل الكتاب بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم، وكان أول ما يدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"(٣).

---

(١) منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٤١٩.

وفي العصر الحديث ينبغي على الدعاة إلى الله الاهتمام بتوجيه الخطاب الدعوي إلى غير المسلمين، وإذا كان في هذا الحديث جاءت الدعوة إلى غير المسلمين فإن القرآن الكريم في كثير من آياته دعا غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام، ووجه الخطاب إليهم فاتحًا الآفاق أمام فطرتهم لترى نور الإسلام.

"إن من معالم الخطاب القرآني لغير المسلمين أنه ركز على الفطرة السليمة التي خلقها الله صافية، لتهتدي إلى معرفة الخالق سبحانه، والتوجه له بالعبادة وحده، كما ركز الخطاب القرآني لغير المسلمين على الأمور المحسوسة الموجودة في هذا الكون، من أرض وسماء وبحار وأنهار ونبات وحيوان وإنسان وغير ذلك من مخلوقات الله للتأمل والنظر إليها والاعتبار بخلقها، كما وجه الخطاب القرآني لغير المسلمين دعوته العقول إلى التفكير والتدبر في الآيات الكونية، والآيات الإنسانية ونبذ التقليد، وإعمال العقل للتأمل في هذا الكون.

أما من ناحية الأسلوب فقد كان خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قائمًا على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والترغيب والترهيب، واحترام الآخرين، واللين والرفق وغير ذلك مما يبعث على الهداية والاستجابة وعدم النفور.

أما من ناحية الوسائل التي استعملها الخطاب القرآني فمن أهمها القصة القرآنية، والأمثال والقسم وغير ذلك، مما كان له أثر واضح بالنسبة لخطاب القرآن الكريم لغير المسلمين في سهولته ووضوحه ومراعاته لأولوية موضوعات الخطاب، ومراعاته لأحوال المدعوين، ومعتقداتهم، وتاريخهم، وعدم تجريحهم، وعدم استثارة حساسيتهم، والتركيز على الأمور المشتركة وغير ذلك، مما جعل خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين الأصل الذي ينبغي أن يتبع ويُتوخّى في هذا المجال، والمعيار الذي يجب أن نعاير على أساسه الخطاب الدعوي المعاصر لغير المسلمين"[١].

سابعًا - من أهداف الدعوة: ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين وبيان الأمور الشرعية:

حيث جاء في الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ١١١ - ١١٢ بتصرف.

أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة)، وهذا يبين أهمية ترسيخ العقيدة الصحيحة أولاً ثم بيان الأمور الشرعية ثانيًا، "والدعوة إلى التوحيد هي غاية بعثة الرسل عليهم السلام لذا كان كل واحد منهم يستفتح دعوته بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1]، إن ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الناس يعد من أهم الركائز التي يجب أن تقوم عليها الدعوة، ولا أدلّ على ذلك من تلك الفترة المكية من عمر الدعوة الإسلامية، التي ركّز القرآن الكريم فيها على ترسيخ العقيدة، والتي استغرقت زهاء ثلاثة عشر عامًا مما يؤكد أهمية هذا الأمر العظيم.

قال ابن حجر: "ووقعت البداءة بالشهادتين لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما في الإسلام إلا بهما فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدًا فالمطالبة بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة، وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول ببنوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم، ثم كانت دعوتهم إلى الأمور الشرعية من صلاة وزكاة وقد قدمت إحداهما على الأخرى في هذا الحديث ورتبت الأخرى عليها بالفاء، ولا يلزم من عدم الإتيان بالصلاة إسقاط الزكاة وقد بدأ ﷺ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة"[2].

وقال د. صالح الفوزان: "وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد، لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه وهذا هو توحيد الألوهية، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع وهذا من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢٠ - ٤٢١.

حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده، وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي: (لا إله إلا الله)، فإنها تتضمن نفيًا وإثباتًا. نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده كما تتضمن ولاء وبراء، ولاء لله وبراء مما سواه، ودين التوحيد قائم على هذين الأساسين"[1].

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ص ١٥.

الحديث رقم (١٢١١)

١٢١١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِني دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ، إلاَّ بحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُم عَلَى الله)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

عصموا: منعوا وحَموا[٢].

الشرح الأدبي

بناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، وفيه تنبيه على أن هذه الأوامر ليست من عنده، وإنما فرضت عليه من عند الله، وقوله: (أن أقاتل الناس) أي بقتال الناس، وقد عبر بأن المصدرية، والفعل المضارع دون المصدر الصريح، لأن المصدر حدث ليس محدد الزمن، ويفيد الدوام، وهولا يريد الدوام، ولا يقاتل إلا لضرورة في ظروف محددة، والفعل المضارع أدل على هذا المعنى، لأنه يفيد التجدد، و(ال) في قوله: (الناس) للجنس، وفيها دلالة على عموم رسالته ؛لأنه لم يحدد طائفة معينة كاليهود، أو النصارى، أو غيرهم بل كل من تصدَّى للدعوة مأمور بقتاله، وقوله (حتى يشهدوا) لبيان الغاية، وأنه لا يقاتل الناس طلباً لجاه، أو سلطان، وإنما ليُعبِّدهم لربهم فيوحدوه، ويؤمنوا بأنه رسول الله حتى يرتب على هذا الإيمان عملهم بالشرع الذي أرسل به، وقد قدم الشهادة بالله، لأنها مدخل الدين، فإذا آمنوا به آمنوا برسوله، فإذا آمنوا برسوله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦) ولفظهما سواء. تقدم برقم (٣٩٠)، و (١٠٧٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م).

عملوا بما جاء به، وقدم إقامة الصلاة للاهتمام، وتلاها الزكاة لحاجة المسلمين يومئذ للأموال التي تستكمل بها عدة القتال، وتستمر الدعوة، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث يقرر نقاء العقيدة، ونبل المقصد؛ لأنهم إن آمنوا أمنوا على أرواحهم، وأموالهم إلا بالحق، وقوله (عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) كناية عن عدم القتل، والتعبير بالكناية يصور مشهد الدماء، وتطاير الأشلاء فيسارع إلى حفظها بالإسلام، وقولهم (وحسابهم على الله) تتميم بلاغي أفاد نكتة دقيقة، وهي أنه لا يعلم ما في القلوب، وأنه يعصمهم بظاهر الأعمال.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم قتال ما نعي الزكاة، وفيه الجواز وقيل: الوجوب لأن أبا بكر رضي الله عنه قاتلهم[١].

٢ - حكم قتال أهل البغي: اتفق الفقهاء على وجوب قتال أهل البغي[٢]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٣]، فالآية عامة أو تقتضيه، لأنه إذا طلب القتال لبغي طائفة على طائفة فللبغي على الإمام أولى[٤].

٣ - حكم مراجعة الحاكم في أمر يهم المسلمين: في الحديث دليل جواز مراجعة الحكام والأكابر ومناظرتهم لإظهار الحق في أمر يهم المسلمين[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ١٢٣/٣، حاشية الدسوقي ٥٠٣/١، المجموع شرح المهذب ٣٠٦/٥، المغني ٢٢٩/٢، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٤٠/٧، حاشية الصاوي ٤٢٨/٤، مغني المحتاج ٣٩٩/٥، مطالب أولي النهى ٢٦٢/٦، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٤) مغني المحتاج ٣٩٩/٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٩٠).

الحديث رقم (١٢١٢)

١٢١٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم -وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه - وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقال عُمَرُ رضي الله عنه : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((**أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إلهَ إلاَّ الله، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله**)) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَينَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ. وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤدُّونَهُ إلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَأيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ لِلقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ الحَقُّ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقالاً: الحبل الذي يعقل به البعير[٢].

رأيت الله: معنى رأيت: علمت وأيقنت[٣].

قد شرح صدر أبي بكر للقتال: ومعنى شرح فتح ووسع وليَّن، ومعناه: علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه من الطمأنينة لذلك واستصوابه ذلك[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى صورة ناصعة في جبين الزمان لمراجعة الحاكم في قراره للوقوف على الصواب في قول عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه (كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .. ؟) وهو استفهام إنكار، وتعجب لظنه أن أبا بكر خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٣٢/٢٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠١.

(٣) المرجع السابق ١٠١.

(٤) المرجع السابق ١٠١.

كما يدل الحديث على قيمة الحوار الهادف البناء المبني على الإقناع بالحجة بدا ذلك في قول أبى بكر رضي الله عنه : " والله لأ قاتلن من فرق بين الصلاة، والزكاة) ثم ذكره للعلة التي بنى عليها الحكم ليحقق الإقناع لأهل الشورى الذي يراجعونه في أمور الأمة دون تسلط، ولا مصادرة لرأي قال: (فإن الزكاة حق المال) وهو دليل عل حسن الفهم من أبي بكر رضي الله عنه ؛ لأن مانعي الزكاة يردون على الله تعالى بعض أركان الدين، وكأنها لا تروق لهم وهم – بذلك يؤمنون ببعض الكتاب – ويتركون بعضة، وهذه جريمة كبرى تفتح بابا مهلكا لضعاف النفوس لكي يترك كل منهم ما لا يوافق هواه، ومصالحه من الشرائع، ولا يلبثون أن يخرجوا من دينهم كليا، واللام ونون التوكيد فى الفعل المضارع: " لا قاتلن " يدلان على العزيمة الصارمة، وقوة العقيدة في شخصية " أبى بكر " التي حمى الله بها الإسلام في هذه المرحلة الخطرة في تاريخ الأمة كما توحي هذه العبارة بالاستمرارية من جهة خليفة المسلمين حتى يتحقق الأمن وتترسخ قواعد الإسلام بعد زعزعتها في نفوس البعض بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صعَّد أبو بكر رضي الله عنه هذا الإحساس في نفوس المترددين، بتأكيد التصدي لهؤلاء باليمين ثم بالفرض الدال على المبالغة في تحقيق الأمر في قوله: (وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ) ولذا أقسم (عمر) رضي الله عنه عنه قائلاً: " فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، وحبه لهذا الدين فعرفت أنه الحق) وهو ما يوحي بخضوعهم لنظرة الحاكم الثاقبة بعد وضوح الصورة ثم إنه يشير إلى تقدير عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه كما يشير إلى الروح السائدة في هذا الجيل الراشد التي تشع حرصا على هذا الدين. والله أعلم

فقه الحديث

قال النووي: (١ - فيه جواز مراجعة الأئمة والأكابر ومناظرتهم؛ لإظهار الحق. ودليله قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟".

٢ - وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ. وقد جمع ذلك بقوله ﷺ: ((أمرت أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به))[1].

٣ - وفيه وجوب الجهاد.

٤ - وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف.

٥ - وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر والله تعالى يتولّى السرائر.

٦ - وفيه جواز الحلف وإن كان في غير مجلس الحاكم، وأنه ليس مكروهًا إذا كان لحاجة من تفخيم أمر ونحوه، ودليله قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة".

٧ - وفيه جواز القياس والعمل به.

٨ - وفيه وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيرًا؛ لقول أبي بكر رضي الله عنه "لو منعوني عِقَالاً أو عَنَاقًا".

٩ - وفيه جواز التمسك بالعموم لقوله رضي الله عنه: "فإن الزكاة حق المال".

١٠ - وفيه وجوب قتال أهل البغي.

١١ - وفيه وجوب الزكاة في السخال[2] تبعًا لأمهاتها.

١٢ - وفيه اجتهاد الأئمة في النوازل وردّها إلى الأصول ومناظرة أهل العلم فيها ورجوع من ظهر له الحق إلى قول صاحبه.

١٣ - وفيه ترك تخطئة المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم بعضًا.

١٤ - وفيه أن الإجماع لا ينعقد إذا خالف من أهل الحَلّ والعقد واحد. وهذا هو الصحيح المشهور. وخالف فيه بعض أصحاب الأصول.

١٥ - وفيه قبول توبة الزنديق وهو الذي ينكر الشرع جملة. وقد ذهب مالك إلى أن

---

(١) أخرجه صحيح مسلم ٢١، ٣٤.

(٢) السَّخلة: الذكر والأنثى من ولد الضان والمعز ساعة يولد، والجمع سخل وسخال وسُخلان. الوسيط ٤٢٢، ومعجم لغة الفقهاء ٢١٦.

توبة الزنديق لا تقبل. وقد اختلف أصحابنا [الشافعية] في قبول توبة الزنديق، فذكروا فيه خمسة أوجه، أصحها والأصوب منها قبولها مطلقًا للأحاديث الصحيحة المطلقة)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: وفاة رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: قوة وعزيمة أبي بكر رضي الله عنه في قتال المرتدين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

خامسًا: من آداب الداعية: الرجوع إلى الحق.

سادسًا: من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بأركان الإسلام.

أولاً: من تاريخ الدعوة: وفاة رسول الله ﷺ

حيث جاء في الحديث: (لما توفي رسول الله ﷺ)، ومما لا شك فيه أن وفاة النبي ﷺ حدث هام في تاريخ الدعوة الإسلامية، قال ابن كثير: "استهلت سنة إحدى عشرة من الهجرة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة المنورة مرجعه من حجة الوداع، وقد وقعت في هذه السنة أمور عظام من أعظمها خَطْبًا وفاة رسول الله ﷺ، ولكنه عليه الصلاة والسلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدي في محلة عالية رفيعة، ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أسنى، وذلك بعدما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها ونصح أمته ودلّ على خير ما يعلمه لهم وحذرهم ونهاهم عما فيه مضرة عليهم في دنياهم وأخراهم"[٢].

وقال الشيخ محمد الخضري: "ولم تأت ضحوة يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة حتى فارق رسول الله ﷺ دنياه ولحق بمولاه، وكان أبو

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/١٨٤-١٨٩ بتصرف يسير، ، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٢/٢٢٦-٢٣٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥/٨.

بكر رضي الله عنه غائبًا بالسُنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج، فسل عمر سيفه وتوعد من يقول: مات رسول الله حتى أقبل أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي، وخرج على الناس يقول: (ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وتلا قول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]، قال عمر: والله لكأني لم أتل هذه الآية قط. وتوفي رسول الله ﷺ وترك للمسلمين ما إن اتبعوه لم يضرهم شيء: كتاب الله وسنته"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: قوة وعزيمة أبي بكر رضي الله عنه في قتال المرتدين:

يتبين هذا من الحديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه)، قال القاضي عياض: "وكان أهل الردة ثلاثة أصناف: صنف كفر بعد إسلامه ولم يلتزم شيئًا وعاد لجاهليته أو اتبع مسيلمة الكذاب أو العنسي وصدّق بهما، وصنف أقر بالإسلام إلا بالزكاة، فجحدها وأقر بالإيمان والصلاة، وتأول بعضهم أن ذلك كان خاصًا للنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وصنف اعترف بوجوبها ولكن امتنع من دفعها إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: إنما كان قبضها للنبي ﷺ خاصة لا لغيره ممن يقوم مقامه بعده، وفرقوا صدقاتهم بأيديهم فرأى أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم قتال جميعهم، الصنفان الأولان لكفرهم والثالث لامتناعه بزكاته، شَمِل جميعَهم اسمُ الردة، إذ كانوا الأكثر حتى لم يكن يصلي لله إلا في المدينة ومكة وسمجد عبدالقيس بالبحرين"[4]، وقال النووي: "وفي هذا الحديث دليل

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٦٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٣/١ - ٢٤٤.

على شجاعة أبي بكر رضي الله عنه وتقدمه في العلم على غيره، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم الذي هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستنبط رضي الله عنه من العلم بدقيق نظره ورصانة فكره ما لم يشاركه في الابتداء به غيره، فلهذا وغيره مما أكرمه الله تعالى به أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

وقال ابن عبدالبر: " ومكث أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلاّ خمس ليالٍ، ولقد قام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك، وشدّته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه، وقتل على يديه، ببركته كل من ارتد عن دين الله، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون"[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

حيث جاء في الحديث فقال عمر رضي الله عنه: (كيف تقاتل الناس...)، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث ترك تخطئة المتناظرين المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم لبعض، أو إنكار بعضهم لبعض ذلك، إذ كل واحد منهم مجتهد، فإن عمر لم يُخَطِّئ أولاً أبا بكر، وإنما احتج عليه، ثم إن أبا بكر لم يُخَطِّئ عمر ولا أنكر خلافه إذ خالفه، لكنه احتج عليه حتى بان له الحق ورجع إلى قوله. وفيه الحجة لمن ذهب أن فعل الإمام إذا لم يُعرف له مخالف إجماع، لشهرة فعله، وأنهم كانوا ممن لا يُقرون على باطل، ويقومون بما عندهم من حق، ولا يكتمون ما عندهم من علم، ولا يداهنون في دين الله، فإذا ظهر فعل إمام بحضرتهم، ولم يُسمع من أحد منهم له نكير، دلّ على موافقتهم له، وإجماعهم على صواب فعله"[3].

وأسلوب الحوار من أساليب الدعوة الهامة وبه يصل الطرفان إلى نتيجة، ويقلب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٧٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٧/١.

الرأي على جميع وجوهه المحتملة، ومن هنا وجب على الداعية الناجح أن يجعل من أسلوب الحوار طريقًا موصلاً لتبليغ دعوته إلى المدعوين، وتعريفهم بحقائق الإسلام ومن أبرز محاورات القرآن الكريم ما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[١].

"والحوار في القرآن قد يتكرر، وقد يتخيل البعض أن هذا تشابه ولكن هذا التكرار المتنوع فيه فائدة عظيمة ألا وهي زيادة الإقناع، وغاية كل حوار قرآني هداية الناس، والحرص على إصلاحهم، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق ولا يتجه الحوار القرآني إلى مجرد الإفحام والإلزام"[٢]، ومن هذا يتضح أهمية الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة.

رابعًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والله لأقاتلن...)، و(والله لو منعوني عقالاً)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة النافعة في إقناع المدعوين، "وأسلوب القسم موعظة حسنة لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به، يقول الرازي: من الناس من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم، وذلك كالعربي الذي جاء إلى الرسول ﷺ وسأله عن نبوته ورسالته واكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم"[٣]، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾[٥].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٤٩ - ٥٢.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغامسي ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح المرشد ص ١٦٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٣.

خامسًا – من آداب الداعية: الرجوع إلى الحق:

يتضح هذا من قول عمر رضي الله عنه: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث من الفقه اجتهاد الأئمة في النوازل، وردها إلى الأصول والمناظرة فيها، ورجوع من ظهر له الحق وتركه رأيه الأول كما فعل عمر وغيره.."[1]، وقال النووي: "والمعنى: علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه من الطمأنينة لذلك واستصوابه ذلك، ومعنى قوله: عرفت أنه الحق، أي: بما أظهر من الدليل وأقامه من الحجة فعرفت بذلك أن ما ذهب إليه هو الحق لا أن عمر رضي الله عنه قلد أبا بكر رضي الله عنه فإن المجتهد يقلد المجتهد"[2]، وقال القرطبي: "وبَاحَثَ عمر أبا بكر حتى ظهر له الحق الذي كان ظاهرًا لأبي بكر فوافقه على ذلك، ولذلك قال: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر رضي الله عنه للقتال، فعرفت أنه الحق)، أي: ظهر له من الدليل، وحصل له من ثلج الصدر وانشراحه لذلك مثل الذي حصل لأبي بكر؛ لأنه قلّده واتبعه بعد ظهور الدليل، لأن التقليد لا ينشرح به الصدر، ولا يعرف به الحق؛ ولأنه لا يجوز لمجتهد أن يقلد مجتهدًا عند تمكنه من الاجتهاد ويستفاد من فعل عمر رضي الله عنه وحكمه أن الإمام المجتهد العدل إذا أمر بأمر، أو حكم بحُكم وجبت موافقته على الجميع، وإن كان فيهم من يرى خلاف رأيه بل يجب عليه ترك العمل والفتيا بما عنده"[3]، ومن هذا يتبين أن من آداب الداعية الرجوع إلى الحق إذا ظهر له فيما بعد.

سادسًا – من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بأركان الإسلام:

حيث جاء في الحديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال)، ولا شك أن من أهم أهداف الدعوة الالتزام بأركان الإسلام ذلك أن الله تعالى خلق العباد والخلق لعبادته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٢٤٦ – ٢٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/١٨٥ – ١٨٦.

لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، ولذا "فالعبادة والدعوة إليها من الأمور الهامة، والتي يجب أن يتنبه لها الداعية في دعوته، إذ هي المقصد من الخلق، والحكمة من إيجادهم، ولا شك أن للعبادة أنواعًا كثيرة وأعظمها وأهمها بعد الشهادتين: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ومن هنا كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه بالدعوة إلى عبادة الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر العبادات الأخرى"[٢].

ولقد جعل الرسول ﷺ هذه العبادات أركان الإسلام، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، وَإِقامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[٣].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

الحديث رقم (١٢١٣)

١٢١٣ - وعن أَبي أيُوب رضي الله عنه: أنّ رَجُلاً قَالَ للنبيِّ ﷺ: أخْبِرْني بعمل يُدْخِلُنِي الجَنَّة[1]، ... قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ، لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

الشرح الأدبي

وأمر الرسول ﷺ (تعبد، وتقيم وتؤتي وتصل) جاء في صورة الخبر وذلك ليوافق أسلوبه قول الأعرابي (أخبرني) فجاء أمره في صورة الخبر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رعاية لنفسية الأعرابي الذي يأنف أن يأمر، أو ينهى، وهو الذي يحيا في صحرائه بلا قيود، أو أوامر أو قوانين فأسلوب النبي بذلك راعي نفسية الأعرابي وشاكل كلامه، والعدول عن الأسلوب الإنشائي (أعبد) إلى الخبري في قوله "تعبد الله" لفائدتين: أحدهما: أن المأمور كأنه سارع إلى الامتثال، وهو يخبر عنه إظهارا للحرص بوقوعه ثانيهما: أن لا ينسب إلى عدم الامتثال لأمره إن قصر المأمور، أو لئلا يكون المأمور مسخوطاً عليه إن لم يمتثل' واتباعه النهي في قوله (لا تشرك) للأمر في قوله (تعبد) تأكيداً له لإخلاص العبودية لله من الشرك العالق في نفوس القوم من آثار الجاهلية' والحديث الشريف بجملته نموذج يقتدي به في التعليم، والتربية، ومخاطبة

---

(١) عند البخاري زيادة: (قال: ما له ما له، وقال النبي ﷺ: أربٌ ما له). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، حيث لم يورد هذه الزيادة.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٢/١٣)، وتقدم برقم (٣٣١). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٨).

الناس بأساليبهم، ورعاية الجانب النفسي عندهم. مع الحرص على عموم المنفعة، وبلوغ الموعظة، ولذلك نرى أن النبي ﷺ في ترهيبه، وترغيبه كثيراً ما يدعم الأمر بالنهي، أو يسبقه بالنداء، وغيره من الأساليب القوية التي تعضد الأمر، وتحض على الامتثال له.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه في دنياه وأخراه.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإجابة على أسئلة المدعوين وبيان الحقائق واضحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد الخالص.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل بأركان الإسلام وصلة الرحم.

خامسًا: من أصناف المدعوين: الأعراب.

سادسًا: من حكمة الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات.

سابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين.

ثامنًا: من اساليب الدعوة: القسم.

تاسعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه في دنياه وأخراه:

إن المسلم مطالب أن يستفسر ويسأل عن الأمور التي تقوده إلى الجنة، وتكون سببًا في وقايته من النار، يتضح هذا من الحديث: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة)، وفي الحديث أيضًا: (دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة)، إن من أهم واجبات المدعو السؤال عما ينفعه، قال النووي: "والمهم أن يكون السائل عارفًا بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب"[2]، هذا وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢١٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢١٤، ١٢١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.

وأوصى النبي ﷺ أن يسأل الإنسان إذا جهل، فقال في الحديث مستنكرًا على من لم يسأل: ((أَلاَ سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[1].

ثانيًا - من واجبات الداعية: الإجابة على أسئلة المدعوين وبيان الحقائق واضحة:

حيث جاء في الحديث: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث جواز التحليف والتأكيد للأمور المهمة والأخبار الهائلة وجواز الحلف في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[2]، وفيه صبر العالم على جفاء السائل الجاهل وبيان ما يلزمه للمتعلم المسترشد، وإجابته لما يرى أنه ينفعه ويحتاج إليه في دينه، وفيه جواز قول ما تدعو إليه الضرورة من خشن الكلام، وجواز الاعتذار منه"[3]، وبإجابة النبي ﷺ على سؤال الأعرابي يتضح أن من أهم واجبات الداعية الإجابة على أسئلة المدعوين وتبيين الحقائق لهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[5].

ومما لا شك فيه أن السبيل الموصل لقدرة الداعي على الإجابة على أسئلة المدعوين هو العلم، "والعلم عنصر أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة التساؤلات وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك، فإنه العدة التي بها يعلم الداعية الناس أحكام الشرع ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه ومن خلاله يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ويفهم مقاصد الشريعة ومحاسنها ويحسن عرضها

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٢٢٣ - ٢٢٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

ونشرها"[١].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد الخالص:

إن التوحيد من أعظم مطلوبات الإسلام من أجله خلق الإنسان، وبه قامت دعوة الرسل وعلى أساسه يكون الحساب والجزاء، ومما يدل على أهميته ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا)، قال النووي: "والعبادة هي الطاعة مع خضوع فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله والإقرار بوحدانيته، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها وقوله: (لا تشرك به)، ذكره بعد العبادة لأن الكفار كانوا يعبدونه سبحانه وتعالى في الصورة ويعبدون معه أوثانًا يزعمون أنهم شركاء فنفى هذا"[٢]، وقد دلت آيات القرآن الكريم على فضل التوحيد الخالص، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٤]، "إن التوحيد في الإسلام الخالص من الشوائب الصادر من القلب تتبعه حتمًا جميع الفضائل المتعارف عليها، فكلمة التوحيد ترسخ في قائلها: بأن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا نافع إلا الله، ويستفيد المؤمن من عقيدة التوحيد الاستقلال والحرية، فليس لأحد عليه سلطان ويستفيد الأنفة والعفة من اعتقاده أن لا رازق إلا الله ويستفيد المؤمن كذلك من التوحيد، الشجاعة وعدم هيبة الموت؛ لأن الذي يملكه هو الله وحده"[٥].

قال ابن القيم: "ومن أعظم نعمه علينا وما استوجب حمد عباده له، أن يجعلنا عبيدًا

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٩٣ – ٩٤.

له خاصة، ولم يجعلنا ربُّنا منقسمين بين شركاءَ متشاكسين، ولم يجعلنا عبيدًا لإله نحتته الأَفكار، لا يسمع أَصواتنا ولا يبصر أَفعالنا ولا يعلم أَحوالنا فلله الحمد والمنة إذ لم يجعلنا عبيدًا لمن هذا شأنه فنكون مضيعين ليس لنا رب نقصده، ولا صمد نتوجه إليه ونعبده، ولله الحمد على ما منّ به من معرفته وتوحيده والإقرار بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وإقرار قلوبنا بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة رب العالمين"[1].

قال البدر العيني: "وقوله في الحديث: (تعبد الله) أي: توحده، وفسره بقوله: (ولا تشرك به شيئًا) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. أي: ليوحدوني، والتحقيق هنا أن العبادة الطاعة مع خضوع، فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وعطف ما بعدها عليها لإدخالها في الإسلام، وأنها لم تكن دخلت في العبادة، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا، فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها. فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من باب عطف الخاص على العام، تنبيها على شرفه ومزيته"[3].

رابعًا – من موضوعات الدعوة: فضل العمل بأركان الإسلام وصلة الرحم:

حيث جاء في الحديث: (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)، وفي الحديث الثاني زيادة: (وتصوم رمضان)، جاء في فتح الملهم: "قال العارفون: التعبد إما لنيل الثواب أو التخلص من العقاب، وهي أنزل الدرجات، وتسمى عبادة، أو للتشرف بخدمته تعالى والانتساب إليه، وتسمى عبودية وهي أرفع من الأولى، أو لوجهه تعالى من غير ملاحظة شيء آخر وتسمى إحسانًا وهي أعلى المقامات وأرفع الحالات"[4]، والعمل بأركان الإسلام له أجر عظيم وفضل كبير وأجر كريم ففي الصلاة والزكاة قال الله تعالى:

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٢٣ – ١٢٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٤٠/٨.

(٤) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٤٥٧/١ بتصرف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وفي شأن الصيام قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

وهذه الأركان تمثل نظام العبادة في الإسلام بالإضافة إلى الحج، "إن من الأهداف التي تحققها العبادات الإسلامية تقوية الإنسان في معارك الحياة؛ فالحياة في نظر الإسلام صراع بين الحق والباطل، في النفس والمجتمع، وعلى هذا بنيت الحياة الإسلامية منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض والعبادة هي التي تجعل الإنسان قوي في هذه المعركة، ولهذا كانت العبادة في الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل ملازمة لها ومصلِحةً وموجهة لها في وجهتها الصحيحة، ومن هنا كان للإسلام فضل عظيم في أن أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بها وجه الله ومرضاته"[3].

وأركان الإسلام مما يسهل العمل بها وتنفيذها "فالعبادات قليلة سهلة ليس فيها مشقة بليغة، وليس فيها حرج من صلاة وصيام وزكاة وحج وإذا ما التزم المسلم هذه العبادات فإن ثمرة الإيمان لا تظهر منه، ولا يحس بحلاوته حتى يخلص العمل لله كما علم الله نبيه أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وبهذا ينال خيري الدنيا والآخرة[5]، وأما صلة الرحم فقد حذر الله من قطيعتها فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾[6]، وبين الرسول الكريم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) نظام الإسلام "العقيدة والعبادة"، د. محمد المبارك ص ١٦٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٥) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ط١ دار المنارة، جدة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٨.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٢.

فضل صلة الرحم وجزاء واصلها فقد قال ﷺ: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقهِ أو يُنسَأَ لهُ في أثرِهِ فلْيَصِلِ رحِمَه))[١].

خامسًا - من أصناف المدعوين: الأعراب:

حيث جاء في الحديث: (أن إعرابيًا أتى النبي ﷺ)، والأعراب صنف من أصناف المدعوين،وإن من صفات الأعراب: الجفاء والغلظة والقسوة مما يتطلب في دعوتهم اللين والرفق في دعوتهم، "ومن خلال استقراء مواقف الرسول ﷺ مع الأعراب ومقارنة معاملته لهم بأسلوب اللين مع ما جبلوا عليه من الغلظة والقسوة والجفاء نستنتج أن ظروفهم البيئية وما فرضته عليهم من طباع هي أبرز ما دعا الرسول ﷺ إلى المبالغة في ملاينتهم والصبر على غلظتهم فظروف البيئة وحياة المعيشة لها تأثيرها على الناس وطباعهم وسلوكهم وأخلاقهم"[٢].

ومما يدل على معاملة الرسول ﷺ للأعراب باللين والرفق ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ)) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: ((إِنَّ هـٰذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هـٰذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[٣].

وفي رواية ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ، بَعْدَ أَنْ فَقِهَ، فَقَامَ: إِلَيَّ بِأَبِي وَأُمِّي. فَلَمْ يُؤَنِّبْ وَلَمْ يَسُبَّ. فَقَالَ: «إِنَّ هـٰذَا الْمَسْجِدَ لاَ يُبَالُ فِيهِ. وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللّهِ وَلِلصَّلاَةِ))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٨٥.

(٢) دعوة النبي ﷺ الأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ط١ دار المسلم: ١٤١٦هـ/١٩٩٨م، ص ٢٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٥٢٩، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٨).

ومما يدل أيضًا على حسن معاملة الرسول ﷺ للأعراب ما جاء عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يُهْدِي إلى النبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ)).

وكان النبيُّ ﷺ يحبه، وكان (رجلاً) دميمًا، فأتى النبيُّ ﷺ يومًا، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، وهو لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبيُّ ﷺ يقول: ((مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟)) فقال يا رسول الله، إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: ((لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ))، أو قال: (لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ))[1].

سادسًا - من حكمة الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات:

إن الداعية الحصيف هو الذي يراعي ترتيب الأولويات في دعوته فيبدأ بالفروض والواجبات قبل السنن والمستحبات، والضروريات والحاجيات قبل التحسينيات والكماليات، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان)، قال ابن حجر: "كان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنه رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها من العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أَمَسّ"[2]، فمراعاة وترتيب الأولويات والتدرج كان سمة بارزة من سمات الدعوة وهي تبرز فقه الداعية في معالجة قضايا الدعوة، "وعند النظر في سيرة الرسول ﷺ نجد أنه عند عرض دعوته يبدأ بالأهم فالمهم، فبعد قبول دعوة التوحيد من قبل المدعو يعرض بقية أركان الإسلام مراعيًا فيها التدرج حسب الأهمية، الصلاة، فالزكاة فالصوم فالحج لأنه يصعب على البعض أن ينخلع عن فكره وعادته في طرفة عين"[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٦١/٣، رقم ١٢٦٤٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٩٠/٢٠ - ٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٧/٢.

(٣) دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي ص ١٠٥.

ومما يدل على مراعاة ترتيب الأولويات أن النبي ﷺ لم يذكر لهما السنن والتطوعات مراعاة لأحوالهما، قال القرطبي: "ولم يذكر لهما في هذين الحديثين شيئًا من فعل التطوعات، فدلّ على جواز ترك التطوعات على الجملة، لكن من تركها ولم يعمل شيئًا منها، فقد فوّت على نفسه ربحًا عظيمًا، وثوابًا جسيما، ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصًا في دينه، وقدحًا في عدالته، فإن كان تركه تهاونًا به ورغبة عنها، كان ذلك فسقًا يستحق به ذما. وقال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواصلوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا. ولقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض، ولم يكونوا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج أئمة الفقهاء إلى ذكر الفرق بينهما لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، وخوف العقاب على الترك، ونفيه إن حصل ترك ما بوجه ما، وإنما سكت النبي ﷺ لهؤلاء السائلين عن ذكر التطوعات، ولم يذكرها لهم كما ذكرها في حديث طلحة بن عبيد الله؛ لأن هؤلاء - والله أعلم - كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال، لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، أو لئلا يعتقدوا أن تلك السنن والتطوعات واجبة، فتركهم إلى أن تتشرح صدورهم بالفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب تلك المندوبات، فتسهل عليهم. ومن المعلوم أن هؤلاء ما سُوّغ لهم ترك الوتر ولا صلاة العيدين، ولا غير ذلك مما فعله النبي ﷺ في جماعة المسمين، ولا يجترئون على ترك ذلك للذي يُعلم من حرصهم على الاقتداء بالنبي ﷺ وعلى تحصيل الثواب، والله تعالى أعلم"[1].

سابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين:

وذلك حيث جاء في الحديث: (تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان)، وجاء أيضًا: (وتصل الرحم)، وفي الاقتصار على هذه الأركان مراعاة لأحوال المدعوين وأيضًا في ذكر صلة الرحم وتخصيصها من بين خصال الخير ما يدل على مراعاة حالة المدعو

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/١٦٦ - ١٦٧.

ولعله يحتاج إلى تذكير بهذه الخصلة، ولا شك أن مراعاة حال المخاطب من فقه الداعية، قال ابن حجر: "ولعل هؤلاء السائلين كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في ترك الحال لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم عنه والحرص على تحصيل المندوبات سهلت عليهم. وأما تخصيص صلة الرحم من بين خلال الخير نظرًا إلى حال السائل، كأنه لا يصل رحمه فأمره بها؛ لأنه المهم بالنسبة إليه ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحض عليها بحسب حال المخاطب وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها إما لمشقتها عليه، وإما لتسهيله في أمرها"[1].

والداعية الناجح يراعي نفسية المدعوين وحالتهم، "ومن الأمور التي ينبغي أن يأخذ بها الداعي ويحقق بها، مراعاة أحوال المدعوين ومراعاة طبيعة المدعو وبيئته وديانته ونوع الخلل الذي لديه واختيار الأسلوب المناسب لذلك، ومراعاة استعداد المدعو نفسيًا للتلقي ورغبته في القبول ومقدار أهليته للإساغة والفهم ومن ذلك تجنب إثارة الحمية الجاهلية في نفسية المخاطب لأن التعرض للمعتقدات الباطلة لدى المخاطب قد يؤدي إلى نتائج وخيمة"[2].

ثامنًا – من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة النافعة في إقناع المدعو وأهم ما يبرز في أسلوب القسم هو تعظيم المقسم به مما يدل على أهمية المقسم عليه ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3].

تاسعًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١١ – ٣١٢.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، نور عالم الندوي، دار نشر الكتاب الإسلامي، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ص ٨٧ – ٨٨.

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

قال النووي: "والظاهر أن النبي ﷺ علم أنه يوفي بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة"[١]، "وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو وتجعله يقبل على الطاعة، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٨.

(٢) أصول الدعوة: د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٢١٤)

١٢١٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ أعْرَابيًا أتَى النبيَّ ﷺ ، فقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجنَّةَ. قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاَةَ[١]، وتُؤتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ)) قَالَ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أزيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النبيُّ ﷺ : ((مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ولَّى: ذهب وانصرف[٣].

الشرح الأدبي

قول الأعرابي لرسول الله ﷺ : " دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. ... " يدل على فطنة هذا الأعرابي؛ لأنه هون على نفسه فقال: (عمل) ولم يقل (أعمالاً) واستخدام " إذا " والفعل الماضي " عملته " و "دخلت الجنة " من باب الاستبشار بالتعبير بالماضي المحقق، ويدل هذان الفعلان على تواجد العزيمة في قلب ذلك الأعرابي فقال الرسول ﷺ للأعرابي: " تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " وحدد الزكاة ووصفها بأنها " المفروضة " ولم يتطرق إلى صدقة التطوع حتى لا تثقل التكاليف على الرجل، ولأن المال محبب إلى النفوس، ولا تسمح نفوس الكثيرين بالتفريط فيه بسهوله، وعندئذ أقسم الرجل قائلاً: " والذي نفسي بيده لا

---

(١) عندهما زيادة: (المكتوبة).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٤/١٥). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

أزيد على هذا)، ومع ذلك بشرة الرسول ﷺ بأنه من أهل الجنة فقال للمحيطين به على سبيل الإشادة به، والترغيب في روح الحرص، والغيرة على الدين التي تحلى بها: " من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا "وفعل الأمر فلينظر جاء تنبيها له، وتنويها بذكره، ومدحا له، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢١٥)

١٢١٥- وعن جرير بن عبد الله ﵁ ، قَالَ: بايَعْتُ النبيَ ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

بايَعتُ: عاقدتُ وعاهدتُ [2].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري – حيث بدأه بالفعل الماضي: " بايعت " الذي يدل على المفاعلة من البيعة، وهي تعاهد بين طرفين توحي بالتزامه بما بايع عليه النبي وهذا بمثابة العهد الذي يجب الوفاء به ثم بين بنود تلك المبايعة فبدأ بالصلاة فقال: ". .. على إقام الصلاة " ولفظ " إقام " يشير إلى أن المعتد به في الصلاة: إقامتها الإصلاح، والاستقامة في جميع أجزائها بداية بالوضوء، وانتهاءً بأركانها ومرورا بما يلزمها من حضور، وخشوع ووفاء بما يتطلبه الموقف بين يدي الله تعالى كأنها بنيان له قواعده الراسخة، ولم يقل: أداء الصلاة، لأنه قد يؤديها على سبيل العادة بحركات الجسد بخلاف الإقامة الشاملة لكل ما يتعلق بها، والتأمل الخاص بها والدعاء الذي حث علية النبي ﷺ في سجودها، فالإقامة: تعنى العناية والاهتمام والتهيؤ، والخشوع، وختم الحديث " بالنصح لكل مسلم " وأتى بلفظ " كل " ليفيد الشمول، والاستغراق. وقال " مسلم " ولم يقل " مؤمن " لأن العبرة في الإنسان بظاهره، والنصيحة هي حب الخير

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦/٩٧) ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٨٢. أورده المنذري في ترغيبه (١١١٢).

(٢) الوسيط في (ب ي ع).

للمنصوح له كائناً من كان وهو ما يجعل المجتمع وحدة واحدة في التصدي للمخالفة بالتنبه إليها، والتحذير منها، والنهي عنها، والإرشاد لكل خير عاجل، وآجل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢١٣).

الحديث رقم (١٢١٦)

١٢١٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إلاَّ إذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبيلَهُ، إمَّا إلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إلَى النَّارِ)) قيل: يَا رسولَ الله ، فالإبلُ؟ قَالَ: ((وَلاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أوْفَرَ مَا كَانَتْ، لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إمَّا إلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إلَى النَّارِ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالبَقَرُ وَالغَنَمُ؟ قَالَ: ((وَلاَ صَاحِبِ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إلاَّ إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بقَاعٍ قَرْقَرٍ، لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلاَ جَلْحَاءُ، وَلاَ عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بقُرُونها، وَتَطَؤُهُ بِأظْلاَفِهَا، كُلَّمَا مرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سَنَة حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرى سَبيلَهُ، إمَّا إلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إلَى النَّارِ)) قيل: يَا رسول الله فالخَيْلُ؟ قَالَ: ((الخَيلُ ثَلاَثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أجْرٌ. فَأمَّا الَّتي هي لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ ربطها رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أهْلِ الإسْلاَمِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأمَّا الَّتي هي لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبيلِ الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا، وَلاَ رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأمَّا الَّتي هي لَهُ أجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبيلِ الله لأهْلِ الإسْلاَمِ فِي مَرْجٍ، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ المَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أكَلَتْ حَسَنَات وكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أرْوَاثِهَا وَأبْوَالِهَا حَسَنَات، وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا، وَأرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلاَ يُرِيدُ أنْ يَسْقِيَهَا إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ)) قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ فَالحُمُرُ؟ قَالَ: ((مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الحُمُرِ شَيْءٌ إلاَّ هذِهِ الآيَة الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صفحت له صفائح من نار: صُهرت وسُبكت على هيئة الألواح وأوقد عليها النار وعذب بها صاحبها[٢].

وردها: ورودها الماء بأن تحلب حينئذ ويسقى من ألبانها للمارة والواردين الماء[٣].

بُطح: طُرح على وجهه[٤].

القاع: المستوى الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه[٥].

أوفر: أسمن[٦].

القرقر: المستوى أيضًا من الأرض الواسع[٧].

فصيلاً: هو ما فصل عن اللبن والإرضاع، وأكثر ما يطلق في الإبل وقد يقال في البقر[٨].

بأخفافها: جمع خف، والخف للبعير كالحافر للفرس[٩].

عقصاء: ملتوية القرنين[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٢٤/٩٨٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١١١٥).

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ص ف ح).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ص ل).

(٩) المرجع السابق في (خ ف ف).

(١٠) المرجع السابق في (ع ق ص).

جلحاء: لا قرن لها[١].

عضباء: انكسر قرنها الداخل[٢].

بأظلافها: الظلف للبقر والغنم والظباء، وهو المنشق من القوائم[٣].

الوزر: الحمل والثقل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم[٤].

ستر: أي للحالة التي هو فيها من الفقر أو الضيق[٥].

نواءً: بكسر النون وبالمد أي مناوأة ومعاداة[٦].

ربطها في سبيل الله: أعدها للجهاد، وأصله من الربط، ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه في الثغر، وإعداده الأهبة لذلك[٧].

مَرْجُ: أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب[٨].

روضة: الأرض ذات الخضرة[٩].

أرواثها: جمع رَوَث وهو: رجيع ذوات الحافر[١٠].

طِوَلها: الحبل الذي تربط فيه[١١].

فاستنت: جرت[١٢].

شرفًا: عاليًا من الأرض[١٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٢) المرجع السابق ٦٣١.

(٣) المرجع السابق ٦٣١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ز ر).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٧) المرجع السابق ٦٣١.

(٨) المعجم الوسيط في (م ر ج).

(٩) المعجم الوسيط في (ر و ض).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ث).

(١١) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(١٢) المرجع السابق ٦٣١.

(١٣) المرجع السابق ٦٣١.

آثارها: جمع أثر، وأصله من أثر المشي على الأرض[١].

الفاذة: القليلة النظير[٢].

الجامعة: العامة المتناولة لكل خير ومعروف[٣].

مثقال ذرة: وزن ذرة، والذرة: ما يُرى في الضوء إذ دخل نافذة الحجرة المظلمة[٤].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث يصور الرسول ﷺ بأساليبه البلاغية مشهداً من مشاهد الهول يوم القيامة لعذاب مانع الزكاة بالحركة، والصوت، واللون، والشعور المصاحب للأحداث ترهيباً من التلبس بهذا الخطأ، وتقويماً له، وحضاً على المسارعة بإخراج الزكاة قبل أن يحل العقاب الجاثم بصاحب الفعل الآثم جزاءً من جنس عمله.

وقد استخدم الرسول ﷺ في تكوين هذا المشهد، ونقله بكل أبعاده عدة أساليب بلاغية منها: أسلوب القصر، وقد استخدمه الرسول ﷺ في إطار الترهيب من منع صاحب الذهب، والفضة، والإبل، والبقر، والغنم للزكاة بغرض تقويم هذا الخطأ، وحث أصحاب هذه الأموال على المسارعة بأداء الزكاة، وذلك في قوله (مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلاَ فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ) حيث قصر أصحاب هذه الأموال بقيد منع زكاتها على كونها على هذه الهيئة الموصوفة من العذاب لا تتعداه إلى غيره، قُصرت أمواله على كونها أداة لتعذيبه، وقوله (صفحت صفائح) جناس يؤكد تهيئتها للعذاب، ويصور

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث ر).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٣) المرجع السابق ٦٣١.

(٤) والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل) و (ذ ر ر).

الفعل المضارع تحولها من صورة المال المعروف من الدنانير، والجنيهات الذهبية والفضية إلى كتل من معدن مشتعل يتشكل ليصير مكواة لجسده، وذكر الجنب، والجبين، والظهر توكيد لألم يحيط بجسده، وجملة الشرط التي تقرر اتصال العذاب بمدد لا ينقطع (كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَه) وقوله في (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يصعّد الرهبة من جمع مال يتمتع به في الدنيا سنوات قليلة، ويصير يوم القيامة أداة لتعذيبه أمدا طويلا بهذا المقدار وقوله (ما من صاحب إبل وَلاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ. .) حيث قصر أصحاب هذه الأموال بقيد منع زكاتها على الإقعاد لها يوم القيامة بهذه الهيئة المخصوصة التي تصور شدة العذاب وهول الموقف مما يجسد في نفس المخاطب هيئة إبله إن كان صاحب إبل وبقره إن كان صاحب بقر، وغنمه إن كان صاحب غنم، وقد صارت أداة لتعذيبه - إن منع زكاتها - فيبادر بإخراج زكاتها.

وهذا الأسلوب من الرسول ﷺ يعالج في النفس الشغوفة بحب المال الرغبة في الإبقاء عليه وعدم إخراج زكاته بأن يجعله في كثرته وزيادته زيادة في التعذيب حتى إذا ما حدثته نفسه بالإبقاء على ناقته أو بعيره تذكرها هي بعينها وقد ثارت عليه توجه له اللكمات والكدمات في شتى أنحاء جسده وهو يتقلب في العذاب لا يجد مخرجاً، وكذا صاحب البقر، وقد تحولت أبقاره إلى أدوات تعذيب هي بعينها التي سمَّنها، وكبرها ورباها، وبخل بها فلم يؤد زكاتها، وكذا صاحب الغنم يراها كذلك فتنفى من نفسه الرغبة في الإبقاء عليها دون إخراج الزكاة، ويسارع في إخراجها هرباً في نفسه من هول قطيعة الذي يتقاذفه بأظلافه، وأخفافه، وقرونه كلما أنهى بدأ، وأسلوب القصر يزيد الموقف هولاً لأنه يفرد صاحب المال المانع لزكاته في العذاب الجسدي في هذا الوضع المهين، وهذا الإفراد عذاب نفسي فوق ما هو فيه، ولذلك ذكر كل نموذج على انفراد معطوفاً على غيره بالواو، مما يقتضى المغايرة، وكذا تكراره لـ(لا) إشارة إلى استقلالية كل منهم بنوع خاص به من العذاب واستخدامه ﷺ (من) في قوله: (ما من صاحب إبل. ..) لإفادة الاستغراق، والمبالغة في عدم استثناء أحد لا

يؤدى زكاة ماله من هؤلاء من العذاب، والحديث يتميز بالطول في تتبع تفاصيل عذاب أصحاب الأموال الذين لا يؤدون زكاته وهذا يرجع إلى أثر المال على النفوس والتي جبلت على حبه فلزم تصويره بهذا التصوير البالغ الدقة في علاج الشح[1].

فقه الحديث

١ - قال النووي: (هذا الحديث صريح في وجوب الزكاة في الذهب والفضة ولا خلاف فيه. وكذا باقي المذكورات من الإبل والبقر والغنم)[2].

٢ - قال النووي: (قوله ﷺ في الخيل: "ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا في رقابها" استدل به أبو حنيفة على وجوب الزكاة في الخيل، ومذهبه أنه إن كانت الخيل كلها ذكورًا فلا زكاة فيها، وإن كانت إناثًا أو ذكورًا وإناثًا وجبت الزكاة، وهو بالخيارين: إن شاء أخرج عن كل فرس دينارًا، وإن شاء قوّمها وأخرج ربع عشر القيام. وقال مالك والشافعي وجماهير العلماء: لا زكاة في الخيل بحالٍ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة))[3]. وتأولوا هذا الحديث على أن المراد أنه يجهد بها. وقد يجب الجهاد بها إذا تعيّن. وقيل: يحتمل أن المراد بالحق في رقابها: الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها. والمراد بظهورها: إطراق فحلها إذا طلبت عاريته. وهذا على الندب. وقيل: المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها، وهو خُمْس الغنيمة)[4].

٣ - زكاة سائر أصناف الحيوان [من غير الإبل والبقر والغنم والخيل].

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٥/٧/٤، وانظر: الإجماع لابن المنذر ص ١٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦٣، ومسلم ٩٨٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٧/٤ ، وانظر في كتب المذاهب الفقهية: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٥٠٢/١، ٥٠٣، والدسوقي على الشرح الكبير ٤٣٥/١، وشرح المنهاج ٣/٢، والمغني ٦٦/٤ ، والموسوعة الفقهية ٢٦١/٢٣-٢٦٢.

ذهب عامة الفقهاء إلى أنه لا زكاة في سائر الحيوان غير ما تقدم ما لم تكن للتجارة، فليس في البغال والحمير وغيرها زكاة[1] واحتجوا لذلك بما في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الخيل فقال: "هي لرجل أجر..." الحديث - وهو حديث الباب - ثم سئل عن الحمير، فقال: لم ينزل عليّ فيها إلا هذه الآية الفاذة: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وجوب إخراج الزكاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مشاهد تعذيب مانعي الزكاة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أحوال الناس في اقتناء الخيل.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده بتضعيف الأجر.

سادسًا: من واجبات الداعية: الأمانة في البيان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وجوب إخراج الزكاة:

حيث جاء في الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاته)، قال المازري: "أصل الزكاة في اللغة: النماء فإن قيل: كيف يستقيم هذا الاشتقاق ومعلوم انتقاص المال بالإنفاق؟ قيل: وإن كان نقصًا في الحال فقد يفيد النمو في المآل يزيد في صلاح الأموال. وقد أفهم الشرع أنها شرعت للمواساة، وأن المواساة إنما تكون فيما له بَالٌ من الأموال، فلهذا حدّ النُّصب وكأنه لم ير فيما دونها محملاً لذلك، ثم وضعها في الأموال النامية العين والحرث والماشية فمن ذلك من ينمى بنفسه كالماشية والحرث، ومنها ما يَنْمى بتغير عينه وتقليبه كالعين، والإجماع على تعلق الزكاة بأعيان هذه المسميات. وأما تعلق الزكاة بما سواها من العروض فللفقهاء فيه اختلاف. وحدد الشرع نصاب كل جنس بما يحتمل المواساة"[2].

---

(١) المغني ٦٦/٤ ، والمجموع ٣٣٩/٥، والموسوعة الفقهية ٢٦٢/٢٣.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢٦٤/١ - ٢٦٥.

والزكاة ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[2]، وقد أكد الشرع الحنيف على ضرورة إخراج الزكاة وتوعد من لا يخرجها فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: "وأما الكنز فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة، وقال أيضًا: ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز.."[4]، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تركَ بعدَهُ كنزًا مُثِّلَ لَهُ شجاعًا أَقْرَعَ يَوْمَ القيامَةِ له زبيبتان يَتْبَعُهُ فيَقولُ: مَنْ أنتَ؟ فيقولُ: أنا كنزكَ الذي خلفتَ بعدكَ، فلا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حتى يُلْقِمَهُ يدَهُ فَيَقْضَمُها ثم يتبعهُ سائر جسده))[5].

وعن حكمة فريضة الزكاة يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ولما بلغ المجتمع الإسلامي غايته من رسوخ العقيدة والتربية الخلقية، والطاعة والانقياد، والسخاء والإيثار، والتجرد من الأنانية الفردية والجماعية، وقوي الإسلام بأهله وإيثار أتباعه، وتوّسع هذا المجتمع، وتنوعت فيه الأنماط البشرية والمستويات الخلقية، والروحية ففيه

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٦٥٩.

الغني والفقير والمتوسط بينهما، وفيه السخي الأريحي، الذي هوايته في الإنفاق والإيثار، وفيه الشحيح وفيه المقتصد والمتوسط، وكان ما يشرع في هذا المجتمع من أحكام، وما يطالب به من أعمال، هي الشريعة الخالدة العامة العالمية التي يمتثلها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وفي أوائل العصور وأواخرها، وفي بداية المدنية وبساطتها، وفي أوجها وتعقدها ومع القوة الإيمانية التي تحمل أكبر مغامرة، وتهون أعظم تضحية وتسيغ أكبر مشكلة، ومع ضعف الإيمان الذي قد يوجد في أطراف العالم الإسلامي البعيدة، وفي الأجيال المسلمة المتأخرة اقتضت حكمة الله ولطفه بعباده أن يُشرع للزكاة نظامًا مبين الحدود واضح المعالم معين النصاب، معلوم المقادير والأعداد، ويكون وسطًا بين الكثير والقليل، لا يستهين به الأغنياء الأسخياء أولو الهمم، ولا يقصر عنه المتوسطون أو دون المتوسطين ممن استوفى شروطها.

وأن لا يوكل ذلك إلى الرأي، ولا إلى همة الأفراد وطموحهم، ولا إلى الانفعالات الوجدانية العاطفية التي تكون في مد وجزر، وقوة وضعف، ولا إلى تشريع المشرعين، وحكمة العلماء والحكام، فلا ثقة بها في كل زمان ومكان، ولا يؤمن عليها من اتباع الهوى والأغراض ففرضت الزكاة، وحددت نصبها، ومقاديرها"[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار...)، قال القرطبي: "وقوله في الحديث: (فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره) قيل: إنما خصت هذه المواضع بالكي دون غيرها من أعضائه لتقطيبه وجهه في وجه السائل وازوراره عنه بجانبه، وانصرافه عنه بظهره. وقوله: (كلّما بردت أعيدت) كذا رواية السجزي، ولكافة الرواة: كلها ردت. والأول هو الصواب فتأمله، فإنه هو المناسب للمعنى"[2]، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تنأى بالمدعو عن مقارفة الآثام والوقوع في معصية الله، "والنفس البشرية بقدر ميلها

---

(١) الأركان الأربعة ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٥/٣.

لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي الآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعصى"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مشاهد تعذيب مانعي الزكاة:

يتضح هذا من الحديث: (صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره...)، وقوله: (تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أُولَاها رُدّ عليه أُخْراها...)، وقوله: (تنطحه قرونها تطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها...)، وفي كل ذلك يقول في الحديث: (... في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)، وفي هذا كله بيان لمشاهد تعذيب مانعي الزكاة يوم القيامة، سواء كان صاحب ذهب وفضة أو صاحب إبل أو صاحب بقر وغنم، قال النووي: "وقوله ﷺ: (أوفر ما كانت لا يفقد فصيلاً واحدًا) وفي الرواية الأخرى: (أعظم ما كانت) هذا للزيادة في عقوبته بكثرتها وقوتها وكمال خلقها فتكون أثقل في وطئها كما أن ذوات القرون تكون بقرونها ليكون أنكى وأصوب لطعنها ونطحها"[٤]، قال ابن علان: "وقوله في الحديث: فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، خصت هذه الثلاثة لأن إمساك المال عن أداء الواجب لأجل الوجاهة وملء البطن من الأطعمة وستر الظهر باللباس، أو لأنه أعرض بوجهه عن

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١٥.

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٤٠ - ٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣٠.

الفقير وازورَّ عنه بجانبه وولاّه ظهره، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة الدماغ والقلب والكبد، أو المراد منها جهات البدن الأربع أمامه ووراءه ويمينه ويساره، كلما بردت عن الحمو ردت إلى النار لزيادة حموها وشدتها أعيدت له أحر وأشد مما كانت"(١).

وقال ابن حجر: "وفي الحديث تعظيم إثم مانع الزكاة والتنصيص على عظيم عقوبته في الدار الآخرة وتبري نبيه منه، وذلك مؤذن بانقطاع رجائه، وإنما تتفاوت الواجبات بتفاوت المثوبات والعقوبات، فما شددت عقوبته كان إيجابه آكد مما جاء فيه مطلق العقوبة، وقد جاء في الحديث: (إن الله يحي البهائم ليعاقب بها مانع الزكاة)، وفي ذلك معاملة له بنقيض قصده، لأنه قصد منع حق الله منها وهو الارتفاق والانتفاع بما يمنعه منها فكان ما قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه، والحكمة في كونها تعاد كلها مع أن حق الله فيها إنما هو في بعضها لأن الحق في جميع المال غير متميز، ولأن المال لما لم تخرج زكاته غير مطهر، وفيه أن في المال حقًا سوى الزكاة"(٢).

رابعًا - موضوعات الدعوة: أحوال الناس في اقتناء الخيل:

إن الناس يتفاوتون فيما بينهم في الأجر حسب نياتهم، وفي اقتناء الخيل بيّن النبي ﷺ أحوال الناس فيها، وفي نيتهم لاقتنائها ويتضح هذا من الحديث لمَّا سئل رسول الله ﷺ عن الخيل قال: (الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر، وهي لرجل ستر، وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً على أهل الإسلام، فهي له وزر، وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها، ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مَرْج أو رَوْضة ...).

وفي الحديث جعل النبي ﷺ أحوال الناس في اقتناء الخيل على ثلاث:

أولاً: هي لرجل وزر: حيث قال ﷺ: (فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء وفخرًا ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر) قال القاضي عياض: "وقوله: (نواء على أهل

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١٥ - ٣١٦.

الإسلام) أي معاداة لهم، يقال: ناوأته نواء ومناواة إذا عاديته"[١]، وقال النووي: "وقد جاء في رواية: (وأما التي هي عليه وزر فالذي يتخذها أَشَرًا أو بطرًا وبذخًا ورياء الناس قال أهل اللغة: الأشَرَ بفتح الهمزة والشين وهو المرح واللجاج، وأما البَطَر فالطغيان عند الحق وأما البَذَخ فبفتح الباء والذال المعجمة وهو بمعنى الأشر والبطر"[٢].

ثانيًا: هي لرجل ستر: حيث قال ﷺ: (وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر)، قال القرطبي: "وقوله: (فهي له ستر) أي حجاب من سؤال الغير عند حاجته لركوب فرس"[٣].

وقال القاضي عياض: "وقوله: (ربطها في سبيل الله) أي أعدها وأصله من الربط ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه وإعداده الأهبة والعدة في الثغور وتجاه العدو وحق الله في رقابها وظهورها الصدقة مما يكسب عليها، وخص الرقاب لأنه موضع وضع اليد من الماسك والراكب"[٤].

وقال النووي: "والمراد بقوله: (ربطها في سبيل الله) أي أعدها للجهاد وأصله من الربط ومنه الرباط. والمراد بالحق في رقابها الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها، والمراد بظهورها إطراق فحلها إذا طلبت عاريته وهذا على الندب، وقيل: المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها وهو خمس الغنيمة"[٥].

ثالثًا: هي لرجل أجر: حيث قال ﷺ: (وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات...) وفي هذا حث على اقتناء الخيل للغزو وفي سبيل الله ورباطها لذلك، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤٩٣/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٨/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٣/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣١.

عن النبي ﷺ قال: ((الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمن، فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَلَفُهُ، وَرَوْثُهُ، وَبَوْلُهُ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ، فَالَّذِي يُقَامَرُ، أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الإِنْسَانِ، فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الإِنْسَانُ، يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ))[1].

جاء في الموسوعة الفقهية: "الخيل جماعة الأفراس. والخيل مؤنثة ولا واحد لها من لفظها، أو واحدها خائل والجمع خيول وأخيال وسميت خيلاً لاختيالها أي إعجابها بنفسها مرحًا، وقد حث الشارع على اقتناء الخيل للجهاد وارتباطها في سبيل الله"[2].

قال ابن عبدالبر: "وقوله: (ربطها في سبيل الله)، فإنه يعني: ارتبطها من الرباط، قال الخليل: الرباط ملازمة الثغور ومواظبة الصلاة. أيضًا قال: والرباط الشيء الذي يُربط به. وقال أبو حاتم عن أبي زيد: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها، وقال الشاعر:

أمر الإله بربطها لعدوه ... في الحرب إن الله خير موفق[3]

وينشد لابن عباس من قوله:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها ... فإن العزَّ فيها والجمالا

إذا ما الخيل ضيَّعها أُناسٌ ... ربطناها فأشركت العيالا

نُقاسمها المعيشة كلَّ يوم ... ونكسوها البراقعَ والجلالا[4]

ومن آيات القرآن التي تبين أهمية وفضل رباط الخيل في سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٥/١، رقم ٣٧٥٦، وقال محققو المسند: صحيح ٢٩٨/٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩١/٢٠.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٣٥/٤ من قصيدة لكعب بن مالك.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١٧/١٢-١١٨. والأبيات، الكستظرف في كل فن مستطرف ٢٤٠/٢.

وَعَدُوَّكُمْ﴾[١]، قال القاسمي: "الرباط في الأصل مصدر ربط، أي شد، ويطلق بمعنى المربوط وكثر استعماله في الخيل التي تربط في سبيل الله فالإضافة إما باعتبار عموم المفهوم الأصلي، أو بملاحظة كون الرباط مشتركًا بين معان أخرى، كانتظار الصلاة، وملازمة ثغر العدو، والمواظبة على الأمر، فإضافته لأحد معانيه للبيان، كعين الشمس ومنه يعلم أنه يجوز إضافة الشيء لنفسه إذا كان مشتركًا"[٢].

ومن الاحاديث التي تبين فضل رباط الخيل في سبيل الله قوله ﷺ في الحديث عن جرير بن عبدالله قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ))[٣].

قال النووي: "وقد جاء في رواية (الخير معقوص بنواصي الخيل) وفي رواية: (البركة في نواصي الخيل) والمعقود والمعقوص بمعنى ومعناه: ملوي مضفور فيها والمراد بالناصية هنا: الشعر المسترسل على الجبهة، قال الخطابي وغيره: قالوا: وكني بالناصية عن جميع ذات الفرس، وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة"[٤].

ومن الأحاديث أيضًا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَنِ احتبسَ فَرَسًا في سَبِيلِ اللهِ، إيمانًا باللهِ، وتَصْديقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وروْثَهُ وبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ))[٥].

قال الطيبي: "قال التوربشتي: "حبسته وأحبسته واحتبس أيضًا بنفسه يتعدى ولا يتعدى، والمعنى أنه يحبسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور من ثلمة، وقوله: (إيمانًا) مفعول له أي ربطه خالصًا لله تعالى امتثالاً لأمره. وقوله: (تصديقًا بوعده) عبارة

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) محاسن التأويل ٨/٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٩، ومسلم ١٨٧٢ واللفظ له.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٥ - ١٢٠٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٥٣.

عن الثواب المترتب على الاحتباس، تلخيصه أنه احتبس امتثالاً واحتسابًا وذلك أن الله تعالى وعد الثواب على الاحتباس، فمن احتبس فكأنه قال: صدقت فيما وعدتني"[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أحوال الناس في اقتناء الخيل حسب نياتهم.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده بتضعيف الأجر:

يتضح هذا من الحديث: (فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولانقطع طولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مرّ بها صاحبها على نهر فشربت منه، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)، قال ابن عبدالبر: "وفي هذا الحديث من الفقه أن الأعيان لا يؤجر المرء في اكتسابها، إنما يؤجر في استعمال ما ورد الشرع بعمله مع النية التي تزكو بها الأعمال، إذا نوى بها صاحبها وجه الله والدار الآخرة، وما يقربه من ربه إذا كان ذلك على سنة، ألا ترى أن الخيل أجر لمن اكتسبها، ووزر على من اكتسبها، - على ما جاء به الحديث وهي جنس واحد. قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] وقال عز وجل: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4].

وفيه أن الحسنات تكتب للمرء إذا كان له فيها سبب ، وإن لم يقصد قصدها ، تفضلاً من الله تعالى على عباده المؤمنين، ورحمة منه بهم وليس هذا حكم اكتساب السيئات - إن شاء الله - يدلك على ذلك أنه لم يذكر في هذا الحديث، حركات الخيل وتقلبها في سيئات المفتخر بها ، كما ذكر ذلك في حسنات

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

(٢) سورة محمد ، الآية: ٣١.

(٣) سورة هود ، الآية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

المحسنين المريدين بها البر، ألا ترى أنها لو قطعت حبلها نهارًا فأفسدت زرعًا أو رمحت، فقتلت أو جنت، إن صاحبها بريء من الضمان عند جميع أهل العلم. ويبين ذلك أيضًا قوله في هذا الحديث: ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات. وفي هذا دليل على أن المسلم إذا صنع شيئًا يريد به الله عز وجل، فكل ما كان بسبب منه وإليه، كان له حكمه في الأجر، والله أعلم.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «من كان منتظرًا الصلاة فهو في صلاة»[1]. وقال ﷺ: «انتظار الصلاة بعد الصلاة ذلكم الرباط، ذلكم الرباط»[2]، لأن انتظار الصلاة سبب شهودها. وكذلك انتظار العدو في الموضع المخوف فيه إرصاد للعدو وقوة لأهل الموضع وعدة للقاء العدو، وسبب لذلك كله. ومنه قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: واحتسب في نومتي، مثل ما احتسب في قومتي[3]، وكان ينام بعض الليل ويقوم بعضه، وبالنوم كان يقوى على القيام وكذلك يقوى برعي الخيل وأكلها وشربها، على ملاقاة العدو إذا احتيج إليها وهذا كله في تعظيم فضل الرباط، لأنه جلوس وانتظار واستعداد للعدو، مع ما فيه من الخوف والروعات أحيانًا. وقد يكتب للرجل عمله الذي كان يعمله إذا حبسه عنه عذر من مرض أو غيره وفي ذلك المعنى شعبة من هذا المبنى"[4].

وقال الطيبي: "وفي كتابة عدد أرواثها وأبوالها حسنات مبالغة في اعتداد الثواب، لأنه إذا اعتبر ما يستقذره النفوس، وينفر عنه الطباع، فكيف بغيرها، وكذا إذا احتسب ما لا نية له فيه، وقد ورد: (وإنما لكل امرئ ما نوى)، من شربها فما بال ما إذا قصد الاحتساب فيه"[5]، وما من شك أن هذا من فضل الله عز وجل، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[6]،

---

(١) أخرجه أبو داود ١٠٤٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٩٢٤).

(٢) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٢٣.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١٥/١٢ - ١١٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١١/٤ - ١٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً))[1].

سادسًا – من واجبات الداعية: الأمانة في البيان:

حيث جاء في الحديث: (ما أنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة)، وهذا يعد من الأمانة في البيان، حيث لا يتقول ﷺ على الله ولا يفتي بغير علم ولا يبين أحكام الشرع بدون دليل، قال النووي: "ومعنى الحديث: لم ينزل علي فيها نص بعينها لكن نزلت هذه الآية العامة، وقد يحتج به من قال لا يجوز الاجتهاد للنبي ﷺ وإنما كان يحكم بالوحي، ويجاب للجمهور القائلين بجواز الاجتهاد بأنه لم يظهر فيها شيء"[2]، وبناء على هذا كان من أهم واجبات الداعية الأمانة في البيان كما علم الله نبيه ﷺ أن يقول عندما سئل عن الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[3].

وليحذر الداعي إلى الله من الفتوى بغير علم فإنها أمانة، قال ابن مفلح: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله. وقال مالك: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء. وقال الشعبي: لا أدري نصف العلم وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري. وقال أحمد في رواية المروزي: ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه، وكان النبي ﷺ يُسأل فيقول: لا أدري حتى أسأل جبريل، وقال سفيان: لقد كان الرجل يستفتى فيفتي وهو يرعد. وقال سفيان أيضًا: من فتنة الرجل إذا كان فقيهًا أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٦١/٢ – ٦٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً– من مهام المربي الأولى: بيان أسس التربية الإسلامية:

لقد بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام فقال: (بني الإسلام على خمس...) ولما سأله الرجل النجدي عن أركان الإسلام العملية أخبره فقال: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، ثم قال له: (وصيام شهر رمضان)، ثم ذكر له الزكاة، كما أنه ﷺ لما بعث معاذاً إلى قوم من أهل الكتاب أمره أن يبيّن لهم أركان الإسلام، كما أن النبي ﷺ أخبر أنه أُمر بقتال الناس حتى يأتوا بأركان الإسلام من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

لقد بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام في هذه الأحاديث، وفي ذلك إرشاد للمربين أن يبينوا للناشئة وغيرهم أسس التربية الإسلامية، وذلك لأن التربية الإسلامية تنبع وتصدر عن معين الإسلام، فأسس الإسلام هي أسس التربية، وأركانه هي أركانها. ليس هناك فرق بينهما ولا اختلاف، وعلى ذلك كان على المربين أن يبينوا الأسس التي تقوم عليها التربية، ويوضحوها لأتباعهم خير توضيح وخير بيان حتى تستقر في أذهانهم وتغرس في أفئدتهم، وينشؤوا على أن هذه الأسس هي التي تستخدم في بيان ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وفي توضيح ما هو حق وما هو باطل، وفي التفريق بين الصواب والخطأ. وأسس التربية الإسلامية ما يلي:

(أ) الأساس العقدي: ويكون بإفراد الله بالوحدانية والعبادة وإخلاص العمل لوجهه، والإيمان بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، ووجوب اتباعه فيما جاء به، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر.

(ب) الأساس التعبدي: ويشمل الصلاة والزكاة والصوم والحج.

(ج) الأساس التشريعي: ويشمل القواعد والضوابط التي نقيم عليها سلوكنا وننظم بها علاقاتنا التي ترسم لنا خطة حياتنا وسلوكنا[١].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٨ وما بعدها، وطرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى الشمري ص ٣٦ – ٣٨.

ثانيًا- التدرج في التعليم:

مبدأ التدرج في التعليم يتضح في حديثين من أحاديث الباب هما:

(أ) حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، عندما جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام، أي إنه يريد أن يسأله عن كيف يكون مسلمًا، هذا هو الظاهر لنا من الحديث، فلم يعلّمه النبي ﷺ أركان الإسلام دفعة واحدة، بل علّمه - كما يتضح من الحديث - ركنًا بعد ركن حتى إذا عرف ركنًا علّمه الركن الذي بعده، وفي هذا زيادة عناية بتعليمه وتفهيمه.

(ب) عندما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن وبعثه إلى أهل كتاب، أمره بأن يسلك معهم سبيل التدريج في تعليمهم أركان الإسلام، ولا ينتقل من ركن إلى آخر إلا إذا آمنوا وصدّقوا بالأول.

وبناء على ذلك فإن المعلم عليه أن يراعي التدريج في تعليمه، إذا كان المقام يقتضي ذلك، وخاصة مع الطلبة الجدد، أو مع الدروس الطويلة المتشعبة، فلا ينتقل من نقطة إلى أخرى إلا بعد أن يتأكد أن طلابه أتقنوها وأجادوها، "إن على رجال التعليم والتربية الإسلامية، واجب تحبيب العلم لهم باتباع التدرج في تعليمهم وتربيتهم، "لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد بخلاف ضده"[1].

وقد صور ابن خلدون في مقدمته هذا المعنى أفضل تصوير حين دعا إلى التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين فقال: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشيئًا)، وهذا التدرج يمر بثلاث مراحل: تبدأ الأولى بعرض أصول الفن المراد تعليمه وتشرح له بإجمال، مراعيًا في ذلك قوة عقل طالب العلم واستعداده لتقبل تلك المعارف، ثم ينتقل المربي في المرحلة الثانية من الإجمال في الشرح إلى البسط والتوسع، ويصل في النهاية في المرحلة الثالثة إلى عرض دقائق ذلك العلم وبيان ما اعتورته

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٧٣.

من خلافات وما تفرعت عنه من مسائل وبذلك (تجود ملكته) فيفتح له المربي مبهمات ذلك الفن ويطرق معه كل أسراره فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته)[1]، ذلك أن الطالب حينما يواجه منذ البداية بتلك المنغلقات (وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له، كلّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم)[2].

وإذا كان التدرُج مطلوبًا في التعليم، فإنه من ناحية أخرى قد يكون من الأنسب أن يعلّم الطالب دفعة واحدة، وذلك إذا كان عند الطلبة استعداد لذلك، وهذا يستمد من حديثين في الباب:

(أ) عن أبي أيوب ﷺ: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة.

(ب) حديث أبي هريرة ﷺ: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة.

فالملاحظ أن النبي ﷺ ذكر لهما الأعمال التي تدخلهما الجنة جملة واحدة، ولم يسلك معهم سبيل التدرُج، وذلك لأن المقام يقتضي ذلك، فالرجل جاء يسأل عن الجنة، وهذا ينبئ عن شغفه بالعلم واستعداده الطيب لأن يعمل كل ما يوصل إلى الجنة، سواء كان قليلاً أو كثيرًا، كما أنه يسأل عن الجنة وهي أغلى مقصود للمسلم، فيناسبها بذل السائل كل ما في طاقته لأن يفهم ويتعلم ويستوعب حتى يعمل ما يوصله إليها، فلم يكن التدرج هنا مناسبًا.

نخلص من ذلك كله أن التدرج في التعليم يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فقد يكون مناسبًا في موقف على حين لا يكون مناسبًا في غيره، وهذا يحتاج إلى فقه وفهم من المعلم والمربي، وكان النبي ﷺ أفقه الناس وأفهمهم.

ثالثًا- من مهام المعلم: التقويم:

لقد كان التقويم من النبي ﷺ واضحًا في حديثين من أحاديث الباب:

---

(١) مقدمة ابن خلدون ط/ دار الكتب العلمية ط/٤، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م وهي طبعة مصورة، ص ٥٣٣.

(٢) السابق ص ٥٣٤، وانظر: التربية في السنة النبوية ص ٦٩ - ٧٠.

(أ) قوله ﷺ: أفلح إن صدق، عندما أعلن الأعرابي النجدي أنه يلتزم بالصلاة والصيام والزكاة ولا يزيد على ذلك ولا ينقص، فقوم النبي ﷺ قوله ووصفه بالفلاح إن التزم ما عزم عليه.

(ب) قوله ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، عندما أقسم الأعرابي على أنه لا يزيد على ما أخبره النبي ﷺ أنه يدخله الجنة، فقوّم ﷺ فعله وأثنى عليه وأخبر أنه من أهل الجنة.

أي إننا أمام موقفين قوّمهما النبي ﷺ، وأثنى على صاحبيهما، كذلك فإن السنة النبوية مليئة بالمواقف التي قومها النبي ﷺ ولام أصحابها وحذر من إتيان أفعالهم، من ذلك عندما أُخبر ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح عاب على صاحبه وحطّ من فعله فقال: ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال في أذنه[1].

وحذّر ﷺ من فعل تارك قيام الليل فقال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل[2].

إن النبي ﷺ كان يقوّم باستمرار بتقويم أفعال أصحابه وأتباعه، وذلك بغية إصلاحهم، فيثني على الفعل الطيب ليستمر صاحبه عليه ويقتدي به غيره، ويذم الفعل القبيح ليقلع عنه صاحبه ويجتنبه غيره.

وهكذا تأتي عملية التقويم بثمارها التربوية الحيوية، وعلى ذلك فينبغي أن يقوم المربون والمعلمون بالتقويم المستمر، "وحتى يكون للتقويم أثره الصحيح لا بد من المصارحة بالأخطاء ونقدها بقوة -لا تخلو من أدب- فإن المجاملة والمواربة لا تصلحان في هذا المقام، الخطير الشأن، والقسوة في هذا المقام تشبه قَسْوة الجَرّاح على المريض حين يسرّح مشرطه في جسده، لكنه يقدر أن هذا التسريح سيكون له أجمل العواقب وأحسنها، فلا يصح إذًا أن يغضب المرء من القوة والمصارحة حال التقويم، بل يبادر بالاعتذار المتلو بالتصحيح، وعلى المقوّم أن يحزم حينًا ويلين أخرى بحسب الحال

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري ١١٤٤، ومسلم ٧٧٤.

(٢) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩.

والموقف حتى لا يسير بمن معه على وتيرة واحدة من الحزم واللين فيفسد العمل وينبغي أن يكون التقويم شاملاً لكل مناحي العمل فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولا شاردة إلا قيدها ولا واردة إلا قومها وأعدّ لها العدة اللازمة، وبغير ذلك قد ينفذ الخلل في أثناء الصغائر ليقلبها كبائر، وقد يهدم البنيان الشامخ زوال لبنة منه أو اختلالها"[1].

رابعًا- التربية على الانصياع للحق:

لقد ناقش عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهما في شأن الذين منعوا الزكاة والتسوية بينهم وبين من كفروا وخرجوا عن الإسلام، فبين له أبو بكر أنه يجب أن يقاتل الاثنين جميعًا، فإذا كان يقاتل من خرجوا عن الإسلام بسبب ردتهم، فإنه يقاتل أيضًا مانعي الزكاة مع بقائهم على الإسلام، لأنهم منعوا ركنًا من أركان الإسلام.

فلما بيّن أبو بكر ما عزم عليه عرف عمر بن الخطاب أنه الحق وانصاع وسلّم، ووقف معه يحارب المرتدين جميعًا حتى قيض الله النصر الباهر للمسلمين.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة على الانصياع للحق والتسليم له، لأن في ذلك فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) العمل على جمع كلمة المسلمين وجعلهم يدًا واحدة، لا تذهب بقوتها وهيبتها الأهواء والمنازعات والاختلافات ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[2].

(ب) توفير الوقت والجهد الثمينين اللذين يضيعان في المجادلة بدون وجه من الحق، أو التي تستمر لعدم التسليم بالحق والاعتراف به والاستنكاف من ذلك.

(ج) نشر خلق التواضع واللين والرفق بين جموع الناس، لأن من عرف الحق تواضع ولان وكان رفيقًا، بخلاف من جهله أو استكبر عليه.

(د) نشر العلم الشرعي الصحيح، لأنه طريق معرفة الحق، والوصول إليه. وغير ذلك

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف ص ٨٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

من الفوائد التي تنتج عن الانصياع للحق والتسليم به، فعلى المربين أن يسعوا جاهدين لغرس هذه القيمة النبيلة في نفوس الناشئة وغيرهم.

خامسًا- التربية على الأفعال التي توصل إلى الجنة:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الأعمال التي توصل إلى الجنة، يتضح ذلك جليًا في حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فأجابهما النبي صلى الله عليه وسلم ودلهما على الأعمال التي توصل إلى هذه الغاية النبيلة، فكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم إرشادًا للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم ممن يربونهم على عمل الأعمال التي توصل إلى الجنة وتبعد عن النار ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1]، يقول ابن القيم عن صفات طالب الجنة: (طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأسًا في ذلك، مقتدى به فيه - يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب)[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) الفوائد ص ٢٧١ - ٢٧٢.

إن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أن يكون مطلوبهم الجنة، فهي "الدار التي هيأها الله لمثوبة الصالحين من عباده، وأعد فيها من النعيم الروحي والمادي ما عبّر الله عنه في الحديث القدسي: ((أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر. فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]))[2].

إن الحياة في هذه الدار هي الحياة الحقة، وإن نعيمها هو النعيم الذي يقصر الخيال البشري عن وصفه، إنه ليس نعيمًا روحيًا خالصًا، ولا نعيمًا ماديًا صرفًا، وإنما هو مزيج من الأمرين معًا، ذلك أن الإنسان نفسه ليس روحًا مجردة ولا مادة بحتًا، إنما هو مركب منهما، والإنسان في الآخرة امتداد لإنسان الدنيا، وإن اختلف الكيف والتفصيل فلا عجب أن يكون في الجنة فاكهة ولحم طير وحور عين ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[3]"[4].

سادسًا- من أساليب التربية: البيعة:

لقد بايع الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، والبيعة من الأساليب التربوية الخاصة التي لا تكون إلا لمن يتوافر فيه شروط خاصة ومواصفات معينة، إذ أن البيعة تعني: "المعاقدة والمعاهدة والتولية وبذل العهد على الطاعة والنصرة، ومنه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[5]"[6].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) الإيمان والحياة ص ٤٥ - ٤٦.

(٥) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٦) معجم لغة الفقهاء ص ٩٥.

والمبايعة أصلها مشتقة من البيع فهي مفاعلة لأن كلا المتعاقدين بائع، ونقلت إلى معنى العهد على الطاعة والنصرة[١].

أي أن البيعة من أساليب التربية الخاصة التي هي أقرب إلى الاصطفاء والاختيار، لذلك ظهرت فيما يلي من مواقف:

أ/ استخدمت في بداية الدعوة إلى الإسلام كما هو واضح في بيعتي العقبة الأولى والثانية، فقد بايع الأنصار النبي ﷺ على أن يحموه مما يحمون منه أولادهم فكان عقدًا خاصًا مع الأنصار نظرًا لأنهم يسكنون موطنًا غير موطن الرسول ﷺ فكان من الاحتمال القوي أن يهاجر النبي ﷺ، وقد حدث هذا بالفعل، فكان الأنسب هنا البيعة ولا شيء غيرها.

ب/ استخدمت البيعة في غزوة الحديبية نظرًا لخطورة أمر مكة، والحاجة الشديدة لفتحها وتطهيرها من الرجس والأوثان، لأن بها بيت الله الحرام وموطن ظهور الإسلام، صحيح أن البيعة كانت على القتال، لكن يلزم عن ذلك عدم الانهزام أمام مشركي مكة مهما كانت الظروف والأحوال، مما يلزم عنه هزيمتهم ودخول مكة فاتحين ظافرين.

ج/ بايع النبي ﷺ النساء، نظرًا لدورهن الكبير في بناء المجتمع الإسلامي الذي يحتاج إلى الجهود الداخلية والخارجية معًا لجعل الكيان الإسلامي حقيقة واقعة للعيان، كما أن النساء يقع عليهن عبء كبير في تربية الأولاد وتوجيههم فاحتاج الأمر أن يبايعن النبي ﷺ على مكارم الأخلاق وفضائلها حتى يكن نموذجًا طيبًا لأولادهن وبناتهن، ومن ثم تكوين الأسرة الصالحة، وما المجتمع إلا عدد من الأسر فإذا صلحت الأسر صلح المجتمع.

د/ لم ينقل أن النبي ﷺ بايع جميع أصحابه بل كان يبايع بعضهم نظرًا لوجود ما يقتضي ذلك من ظروف ومهمات أو صفات تتوافر فيمن يبايعه النبي ﷺ.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٥٩/٢٦/١٠.

والخلاصة أن البيعة أسلوب تربوي يلجأ إليه المربي مع الصفوة والنخبة من أتباعه إذا اقتضى الأمر ذلك حتى يخرج القادة والكبار والمبدعين والمبتكرين الحاملين لقيم المربي الناشرين لها المدافعين عنها.

سابعًا- التربية بالترهيب:

وهذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الزكاة، حيث رهّب النبي ﷺ من منع الزكاة وذكر صورًا لعقاب بعض مانعي الزكاة، مثل:

(أ) صاحب الذهب والفضة الذي منع الزكاة فيهما بخلاً بهما وتكثيرًا لهما، ومباهاة بهما وتمتعًا ببريقهما ورونقهما الجذاب، من منعهما لذلك فإن الذهب والفضة يكونان عليه وبالاً يوم القيامة، إنه يعذب بهما بعد أن كان يعتقد أنهما يحميانه من السوء والضرر، وأنه يهان بهما بعد أن كان يعتقد أنهما سبب العزة والكرامة، وأنهما يكونان سبب قض مضجعه فجبينه وجنبه وظهره تكوى بهما، بعد أن كان يعتقد أنه ينام عليهما قرير العين مطمئنًا. والخلاصة أنه منع الزكاة في ذهبه وفضته ليحمياه من العذاب والهوان، فإذا بهما يكونان سبب عذابه وهوانه وذلته.

(ب) مانع زكاة الإبل خوفًا من نقصانها، إنه يكون سعيدًا في الدنيا عندما يراها أمام عينه وهي تروح وتجيء لا ينقص منها شيء، بل يعمل على زيادتها، إنها يوم القيامة تطؤه بأخفافها لا يخطئه فصيل واحد منها، فإذا بها مصدر لهوانه وذلّه بعد أن كانت مصدر عزه وافتخاره في الدنيا.

(ج) وكذلك الحال مع صاحب البقر والغنم المانع الزكاة فيهما.

إن هذا الحديث يشتمل على الترهيب من منع الزكاة وعدم إعطائها لمستحقيها وفيه إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أنهم لا يفرحون بمنع شيء واجب عليهم، ولا يسعدون بذلك أبدًا لأن ذلك وبال عليهم بدلاً من أن يكون مصدر تمتعهم وسعادتهم كما يعتقدون ويظنون. إن من منع العلم - مثلاً - بخلاً به وضنًا به ومباهاة به فإنه يعاقب على ذلك يوم القيامة حيث لن ينفعه علمه في الجدال والمناقشة ودفع ما هو ثابت عليه، فقد غاب عنه ما حبسه عن الخلق وقت الاحتياج له، ولا شك أن التربية على

هذا المبدأ المهمّ يحقق فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) المسارعة إلى تأدية الواجبات والالتزامات وعدم تأخيرها لأي سبب من الأسباب والدوافع.

(ب) إشاعة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ونشر روح التعاون على البرّ والتقوى، وتوفير احتياجات أصحاب الحاجات.

ثامنًا- التربية على الاستنباط:

لقد سئل النبي ﷺ عن الحمُرُ فقال ﷺ: ما أنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1]، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه تعليم الاستنباط والقياس، لأنه شبه ما لم يذكر الله حكمه في كتابه وهو الحمر بما ذكره من عمل مثقال ذرة من خير أو شر إذ كان معناهما واحدًا)[2].

يقول محمد عبدالله الدويش: (ثمة سؤال يفرض نفسه ويقفز إلى أذهاننا: هل نحن نعنى بتعليم الناس وتهيئتهم ليكونوا أهل علم يستنبطون ويبدعون ويبتكرون أم إننا نربيهم على تلقي أقوال أساتذتهم بالتسليم دون مراجعة، وربما دون فهم لمضمون القول؟

هل نرى أهدافنا في التعليم أن نربي ملكة التفكير والإبداع لدى طلابنا وأن نعودّهم على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص وعلى الجمع بين ما يبدو متعارضًا؟

وهل من أهدافنا تربيتهم على تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع التي يرونها؟

إن المتأمل في واقع التعليم الذي نقدمه لأبنائنا ليلحظ أننا كثيرًا ما نستطرد في السرد العلمي المجرد ونشعر بارتياح أكثر حين نقدم للطالب كمًا هائلاً من المعلومات، وهو الآخر، لما غرسنا لديه، يقيس مدى النجاح والإنجاز بقدر ما يسطره مما يسمعه من

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤١٠/٢ .

أستاذه، والتقويم والامتحان إنما هو أساس ما حفظه الطالب من معلومات واستطاع استدعاء ذلك وتذكره.

وشيء من ذلك حق ولا شك، لكن توجيه الجهد لهذا النوع وهذا النمط من التعليم لا يعدو أن يخرّج جيلاً يحفظ المسائل والمعارف ثم ينساها بعد ذلك، أو يكون ظلاً لأستاذه وشيخه. ولأن تعلّم الجائع صيد السمك خير من أن تعطيه ألف سمكة.

وقل مثل ذلك في الأعمال الدعوية التي نقوم بها، فهل نربي الناس على أن يكونوا عاملين مشاركين مبدعين، أم نربيهم على مجرد الاتباع والتقليد لما عليه كبراؤهم؟

أما النبي ﷺ فكانت تربيته لأصحابه ﷺ لونًا آخر، ففي تربيته العلمية لهم خرّج علماء وفقهاء ولم يكن يقتصر على مجرد إعطاء معلومات مجردة.

وكشف الواقع آثار هذه التربية النبوية، ففي ميدان العلم واجهت أصحابه قضايا طارئة مستجدة، لكنهم لم يقفوا أمامها حيارى، فاستثمروا نتاج المادة العلمية التي تلقوها، ولذا اجتهدوا في جمع القرآن وجلد الشارب والخراج واتخاذ السجون وغيرها، وفي ميدان الجهاد وإدارة الدولة والدعوة قضوا في شهور على المرتدين بعد أن حسموا الموقف الشرعي من قضية الردة، ثم اتسعت الدولة ووطئت أقدام أصحاب النبي ﷺ بلاد المشرق حتى وصلوا أذربيجان وما وراء النهر، وبلاد المغرب حتى وصلوا غرب أفريقيا، ودفن منهم من دفن تحت أسوار القسطنطينية، ولو تربى أولئك على غير هذه التربية لما صنعوا ما صنعوا، فأين المربون اليوم الذين يترك أحدهم الفراغ حين يمضي؟ أين هم من هذه التربية النبوية؟)[1].



(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان ١٢٥، ص ٣٦- ٣٨.

٢١٧- باب وجوب صوم رمضان
وبيان فضل الصيام وَمَا يتعلق بِهِ

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ﴾[البقرة: ١٨٣-١٨٥].

وَأما الأحاديث فقد تقدمت في الباب الَّذي قبله.

الحديث رقم (١٢١٧)

١٢١٧- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصِّيَام، فَإنَّهُ لِي وَأنَا أجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي[1] صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ روايةِ البُخَارِي.

وفي روايةٍ لَهُ[3]: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أجْلِي، الصِّيَامُ لي وَأنَا أجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا)).

وفي رواية لمسلم[4]: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِئَةِ

---

(١) عندهما زيادة: ((امرؤ)). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، وهي لا توجد عنده.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١/١٦٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٢٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٤٨).

(٣) أخرجها البخاري (١٨٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٤٢٨).

(٤) برقم (١١٥١/١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢/١٤٢٨).

ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: إلاّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجُنَّة: الوقاية والستر[١].

يرفث: من الرفث: وهو الكلام الفاحش، يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقًا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها[٢].

يصخب: من الصخب: وهو الخصام والصياح[٣].

سابَّه: شاتمه[٤].

الخُلوف: تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام[٥].

المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[٦].

الشرح الأدبي

الصوم من الأركان التي فرضها الله لتهذيب النفس البشرية، وتحقيق الصفاء الروحي وخلاص الروح من سيطرة الجسد مع إشعار الغني بغيره من الفقراء والمساكين، ولتحقيق هذه الأهداف كان الرسول ﷺ حريصاً على تقويم كل خطأ من شأنه أن ينقصها ويؤثر على الصائم سلباً، وفي هذا الحديث نجد الرسول ﷺ يبين

---

(١) فتح الباري ١٢٥/٤.

(٢) فتح الباري ١٢٦/٤، والمعجم الوجيز مادة (خ ل ف).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص خ ب).

(٤) المرجع السابق في (س ب ب).

(٥) فتح الباري ١٢٧/٤.

(٦) المعجم الوسيط في (م س ك).

فضل الصيام عند الله وعلى صاحبه وعلى المجتمع ويبين جزاء الصائم في الدنيا ويصف خلجات نفسه ومشاعره عند تمامه، ولتحقيق كل هذه الأغراض استخدم الرسول ﷺ كثيراً من الأساليب البلاغية اتسمت بالدقة والرقة والتناسق منها: بداية الأسلوب بالخبر الخالي من المؤكدات، وهو ما يقابل به خالي الذهن غير المنكر أو المتردد مما يوحي بأن الأمر ليس فيه شك، وأن الأمر واضح لا ينكر، وهو نقل الرسول ﷺ عن ربه، وقول الرسول ﷺ (قال الله) ارتقاء بمستوى الحوار البشري بين الرسول ﷺ والمخاطبين من أمته إلى مستوى الحوار الإلهي للبشر، وذلك أدعى للإصغاء مع توفير مشاعر الهيبة والخشوع لقدسية الحديث الأمر الذي يجعل المخاطبين أسرع فهماً وأكثر استيعاباً، وأسرع إذعاناً لمضمون الخبر.

وبداية القول المحكي عن الله توحي بسيطرة الألوهية في تحديد قيمة العمل، وقبوله من عدمه، ومقدار ثوابه مع ما توحي به من رعاية الربوبية من إكرام للصائم وتلقى عمله بالثواب الجزيل الذي جعل الله جزاءه منه مباشرة مبالغة في تكريمه للصائم، وبداية الخبر الإلهي بلفظ العموم (كل) مع إضافته إلى لفظ (عمل) النكرة أيضاً يفيد استقصاءً لكل الأعمال يقتضى خصوصية للصوم دون جميع الأعمال يكون لله، لعدم وقوع الرياء فيه كما يقع في غيره؛ لأنه لا يظهر من ابن آدم بفعله؛ وإنما هو شيء في القلب لا يطلع عليه إلا الله، وأسلوب المبالغة، في قوله (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام..) حيث جعل الصيام يفوق كل الأعمال خصوصية، وفضلاً بأن اختص الله نفسه بجزائه مباشرة دون سائر الأعمال، وهذا التركيب عند ابن السبكي يفيد القصر وعلى قول ابن السبكي يكون في قوله:(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام) قصر عدم نسبة عمل ابن آدم له على الصيام قصر صفة على موصوف وهذا القصر في إطار تقويم الخطأ وبيان فضل الصوم يؤكد خصوصية الصوم ومنزلته عند الله ورضاه به أكثر من غيره من الأعمال"، وأساليب التوكيد من الوسائل المستخدمة في تقرير أفضلية الصوم، وتقويم ما يتعلق به من أخطاء حتى يأتي في أتم صورة تحقق أهدافه وقد تعددت أشكال التوكيد وصوره خدمة للغرض ووفاءً بالمعنى منها: أولاً: في قوله ﷺ

(فإنه لى) أكد الجملة بإن مع اسمية الجملة عناية بالخبر واهتماماً بشأنه أو لغرابة الخبر لما هو معلوم أن العبادات كلها له – تعالى – وإنما خص الصوم إشارة لفضله وتنويهاً يعظم جزائه وتنبيهاً للعبد إلى أدائه في أتم صورة لعلمه بتلقي الله للصوم بهذه الحفاوة وإفراده بهذه الخصوصية مما يدفعه إلى المبالغة في كمال أدائه والحرص على حسن تمامه، ثانياً: قوله (وأنا أجزي به) تقديم الضمير (أنا) يحتمل أن يكون للتخصيص فيفيد القصر لجزاء الصوم على الله وحده ونفيه بالمفهوم عمن سواه ويحتمل أن يكون للتأكيد، أو للتقوية والغرض بيان كثرة الثواب إذ عظمة المعطى والمجازى دليل على عظمة المعطى، ثالثاً: قوله (إني امرؤ صائم) تأكيد هذه الجملة لتنزيل المخاطب منزلة المنكر، لأن الشاتم والساب يكون في حالة غضب وانفعال فاحتاج إلى تأكيد على خطورة ما يفعل من سبٍّ صائم ولتأكيد أن الواجب على الصائم أن لا يبادله السب طهارة لنفسه وصوناً لعمله ولعله يستحى ويقصر.

رابعاً: التأكيد بالقسم في قوله:(والذي نفس محمد بيده) وهذا القسم بهذه الكيفية يحقق عدة فوائد: الرهبة والهيبة التي توحي بها ألفاظ القسم التي تصور روحاً هي أطهر روح في قبضة هي أقوى قبضة، روح رسول في قبضة مرسل فلا يتصور أن يكذب الرسول –فيما أخبر به عن المرسل والحالة ثمْ بالإضافة إلى أن الحالف لم تؤخذ– عليه قط كذبة – ثم التشويق الذي ينشأ عن سماع القسم من صادق لا يكذب ولم يُكذَّب ولا يعلم داعيه قبل مما يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً إلى معرفة المقسم عليه بالإضافة إلى ما يحدثه بألفاظه من مردود نفسي يزكى جذوة الاستشراف والتطلع، والتنبيه على شرف المقسم عليه، وخطره إذ لا يصدر القسم ابتداءً إلا على أمر ذي بال، كما وفَّر القسم الإصغاء والترقب وضمن للمقسم عليه الثبات في أذهان المخاطبين من جهة وذيوعه من جهة أخرى إذ لا يخلو المقسم عليه من طرافة أو خطر ثم إن التأكيد باللام في قوله (لخلوف فم الصائم) تصعيد للتأكيد الذي أحدثه القسم، وضمان لاستمرارية الأثر الناتج عنه في وجدان المخاطبين، ثم جاء التشبيه وهو من الوسائل البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ لبيان أثر الصوم، وقيمته وفضله ترغيباً

فيه وتقويماً لخطأ تركه أو الانتقاص من أركانه، وذلك في قوله (الصيام جنة) وهو تشبيه بليغ حيث شبه الصيام في حفظه للإنسان من الأخطار بالجُنة وهي الترس الذي يحتمي به الإنسان والوجه منع وصول الأذى في كل، ومعناه: أن الصيام يقي صاحبه شر الذنوب التي تؤدي به إلى عذاب النار.

والمتأمل لوجازة جملة التشبيه واتساع معانيها يجد أن كل ما يتعلق بلفظ: (جنة) من الحفظ والستر والمنع، وما يتعلق بصاحبها من تجنب للمخاطر وبُعد عن أسبابها وما يرتبط بذلك من نتاج، وغايات وآثار شعورية اجتمعت كلها في إطار واحد لدى هذا اللفظ المقترن بلفظ الصيام، والموضح لطبيعته، وفوائده، وغاياته، وآثاره.[1] كما استخدم أسلوب الشرط، وهو من وسائل التشويق، وبعث النشاط، وإثارة الترقب لارتباط المقدمة فيه بالنتيجة وتبشيرها بها، وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الشرط في هذا الحديث مرتين لتحقيق ذلك، ولوضع الحلول المناسبة للمواقف المناسبة حتى لا يقع الصائم في خطأ يترتب عليه نقص ثوابه، وقد استخدم ﷺ أداة الشرط (إذا) مرة، و(إن) مرة ولكل موقعها وأسرارها في التعبير من ذلك: قوله ﷺ (وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب) وشرط الرسول يبين ما يجب أن يكون عليه الصائم من صفاء نفس وصلاح حال، ولا يجب عليه أن ينساق وراء أي قاطع له عن اتصاله بربه ولا يرد السوء بالسوء ولا يخرج عن سكونه، فقد ربط الرسول ﷺ بأسلوب الشرط بين الكون في يوم الصيام، وهو الشرط وبين ترك الرفث والصخب الذي هو الجزاء حتى لا يخرج الصائم عن حاله فيضيع هدف الصوم، وتهذيب النفس واستخدام الرسول ﷺ لأداة الشرط (إذا) التي توحي بتوقع الحدوث إشارة إلى أن المؤمن كثير الصوم كثير التقرب إلى الله، والشرط الثاني الذي وضعه الرسول ﷺ علاجاً لموقف معين ومنعاً من التردي في الخطأ الذي ينقص أجر الصائم قوله ﷺ (فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني امروء صائم) وجملة الشرط هي (سابه أحد أو شاتمه) وجملة الجواب (فليقل إني امروء صائم) ويتبين من هذا الشرط ما يجب أن يكون عليه الصائم من مقابلة

---

(١) انظر: كتاب من الخصائص البلاغية واللغوية لأسلوب الحديث النبوي ص ٣٥٧.

الإساءة بكظم الغيظ، والرد الحسن، وتذكير نفسه بانقطاعه بالصيام إلى الله وتذكير لشاتمه بأنه في حال وصال مع الله، وفي هذا إظهار لقبح فعله بوضعه إزاء فعل الصائم إذ من المعروف أن الضد يظهر حسنه الضد، وهو درس من دروس الصوم التي يهدف إلى غرسها في المؤمنين في التحكم في الشهوة الغضبية والسيطرة على النفس وكبح جماحها فلا يحملهم جهل جاهل على الخطأ، واستخدام أداة الشرط (إن) دون غيرها توحي باستبعاد حصول فعل الشرط وهو الشتم والسباب، وفيه إشارة إلى وجوب نقاء المجتمعات المسلمة من صور السباب والشتم واستخدام إن ينادى باستبعاد وقوع فعل الشرط بين المؤمنين ولذلك ناسب استخدام (إن) للمقام التي توحي ببعد حصول الشرط.

كما استخدم أسلوب النهي في تقويم أخطاء الصائمين في إطار منع ما يمكن أن يخدش الصيام أو يفسده، وقد ورد النهي فيما يخالف أخلاق الصائم، ويؤثر على تحقيق الهدف من الصوم في قوله (فلا يرفث ولا يصخب) والرفث: الفحش والصخب: الخصام والصياح وهو ينافى السكون والخشوع الذي يجب أن يتحلى به الصائم، ولا يفهم من النهي هنا أن غير الصائم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم. ثم تبعه بأسلوب الأمر: وقد ورد أسلوب الأمر في إطار تقويم أخطاء الصائمين في تحديد الرد الصائب الذي يجنبه الخطأ في جواب الشاتم، أو الساب وذلك في جواب الشرط في قوله (فليقل إني صائم) إرشاداً وتنبيهاً وتوجيهاً للصائم إلى ما يجب على الصائم في هذا الموقف[1].

فقه الحديث

١- قال النووي عن وجوب صوم رمضان:

(ورد هذا الحكم وهو كون صوم رمضان ركنًا وفرضًا - مجمع عليه، ودلائل الكتاب والسنة والإجماع متظاهرة عليه، وأجمعوا على أنه لا يجب غيره)[2].

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٩٠، ط١ دار البصائر – القاهرة.

(٢) المجموع ٦/١٦٤ .

٢- السواك للصائم بعد الزوال:

ذهب الشافعية إلى كراهة السواك للصائم بعد الزوال، احتجاجًا بهذا الحديث[١].
وفي ذلك يقول أبو إسحاق الشيرازي: (ولا يكره [أي السواك] إلا في حالة واحدة وهو للصائم بعد الزوال، لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" والسواك يقطع ذلك، فوجب أن يكره، ولأنه أثر عبادة مشهود له بالطيب، فكره إزالته كدم الشهداء)[٢].

وقال النووي في شرح ذلك: (لا يكره السواك في حالٍ من الأحوال لأحدٍ إلا للصائم بعد الزوال فإنه يكره، نصّ عليه الشافعي في الأم، وفي كتاب الصيام من مختصر المزني وغيرهما، وأطبق عليه أصحابنا. وحكى أبو عيسى الترمذي في جامعه في كتاب الصيام[٣] عن الشافعي أنه لم ير بالسواك للصائم بأسًا أول النهار وآخره، وهذا النقل غريب وإن كان قويًا من حيث الدليل، وبه قال المزني وأكثر العلماء وهو المختار)[٤].

٣- قال النووي: (يستحب صون نفسه في رمضان عن الشهوات فهو سرّ الصوم، ومقصوده الأعظم، وأن يحترز عن الغيبة والكلام القبيح والمشاتمة والمسافهة وكل ما لا خير فيه من الكلام)[٥].

٤- قال النووي: (السنة إذا شتمه غيره أو تسافه عليه في حال صومه أن يقول: إني صائم إني صائم مرتين أو أكثر؛ روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيام جنّة فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم مرتين))[٦].

قلت [القائل النووي]: (قيل إنه يقول بلسانه ويسمع الذي شاتمه لعله ينزجر، وقيل:

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ٢٦/٨/٤ .

(٢) المهذب، المطبوع مع شرحه المجموع ١٥١/٦ .

(٣) سنن الترمذي ص ١٨٤، بعد الحديث ٧٢٥.

(٤) المجموع ١٥١/٦-١٥٢ .

(٥) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٦) أخرجه البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١، ١٦٠.

يقوله بقلبه؛ لينكف عن المسافهة ويحافظ على صيانة صومه، والأول أظهر، ومعنى شاتمه: شتمه متعرضًا لمشاتمته، والله أعلم)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الصوم بين العبادات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: آداب الصوم.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تهذيب وتربية المدعوين من خلال الصوم.

أولاً - من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل...)، والأحاديث القدسية هي التي يحكيها النبي ﷺ عن الله عز وجل بأسلوب غير القرآن الكريم، وتحمل نوعًا من الموعظة التي تدور على تبيان عظمة الخالق، وسعة رحمته بعباده، ودعوتهم إلى أن يكون عملهم على توافق مع العقيدة، وهذه المواعظ وإن كانت على غير ما نعهد من أسلوب القرآن الكريم، ولكن الصحيح منها تبدو عليه سيما الجلال وتلفُّه نفحات التقديس والتنزيه مما يشعر المرء بعظمة وجلال المنسوب إليه سبحانه، كما في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ: أعدَدتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[٢].

فالحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ من كلام الله تعالى، ولا يبدو في الأحاديث القدسية لون من ألوان الأحكام التكليفية، أو جواب على سؤال معين، أو معالجة لواقعة معينة، وإنما الملاحظ أنها تؤدي نوعًا من التوجيه الرباني العظيم، مما يتعلق بصحة العقيدة بالله عز وجل وكمال قدرته وعظمته وسعة رحمته، وبسلامة

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١٩، وانظر: فتح الباري ٤/١٥٠ .

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٩٨، ومسلم ٢٨٢٤.

السلوك وصحة العمل الذي ينسجم مع تلك العقيدة"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الصوم بين العبادات:

يظهر ذلك في قول الله تعالى: (كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ، إلاّ الصِّيامَ فإنهُ لي وأنا أجْزي به).

قال المازري: "تخصيصه الصوم هاهنا بقوله: (لي) وإن كانت أعمال البر المخلصة كلها له تعالى، لأجل أن الصوم لا يمكن فيه الرياء، كما يمكن في غيره من الأعمال، لأنه كف وإمساك، وحال الممسك شبعًا أو لفاقةٍ كحال الممسك تقربًا، وإنما القصد ما يبطنه القلب هو المؤثر في ذلك، والصلوات والحج والزكوات أعمال بدنية ظاهرة يمكن فيها الرياء والسمعة، فلذلك خصّ الصوم بما ذكره دونها"[2].

وقال القاضي: "وقال أبو عبيد معناه: أنا أتولى جزاءه، إذ لا يظهر فتكتبه الحفظة، إذ ليس من أعمال الجوارح الظاهرة، وإنما هو نية وإمساك، فأنا أجازي به من التضعيف على ما أحب. وفي قوله: (الصوم لي)، وتخصيصه بيان عظيم فضله، وكثرة ثوابه، ويدل عليه قوله: (أنا أجزي به)، وقال الخطابي: قوله: (لي) أي ليس للصائم فيه حظ، قال: وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى، فكأنه يتقرب إلى الله بما يتعلق بشبه صفة من صفاته، وإن كان تعالى لا شبه له في صفاته"[3]، وقيل: فيه تخصيص الصوم وتشريفه بإضافته إليه تعالى، فقال كما قال: بيت الله، والكل لله تعالى، وقيل: (لي): أي المنفرد (بعلم) مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، كما قال: (وأنا أجزي به)، قال: وغيره من الحسنات اطلعت على مقادير أجورها، كما قال: (كل حسنة بعشر أمثالها) الحديث، والصوم موكّل إلى سعة جوده وغيب علمه، كما قال

---

(١) انظر: لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح، ط٣ المكتب الإسلامي: ١٣٩٩هـ، ص ٤٥-٥١.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٣١٨/١.

(٣) انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، باب: هل يقول: إني صائم إذا شتم، حيث قال: أي خالص لي لا يطلع عليه أحد فيكون لنفس صاحبه منه حظ فيه ٩٤٦/٢.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)(٢)].

قال النووي: "وقوله تعالى: (وأنا أجزي به)، بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء"[(٣)].

وقال ابن عثيمين: "والمعنى: أن الصيام يختصه الله سبحانه وتعالى من بين سائر الأعمال لأنه - أي الصيام - أعظم العبادات إطلاقًا، فإنه سر بين الإنسان وربه؛ لأن الإنسان لا يُعلم إذا كان صائمًا أو مفطرًا، هو مع الناس ولا يعلم به، نيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصًا فاختصه الله من بين سائر الأعمال.

ومما يدل على فضل ومنزلة الصوم بين العبادات: أن عمل ابن آدم يزاد من حسنة إلى عشرة أمثالها، إلا الصوم فإنه يُعطى أجره بغير حساب، يعني: أنه يضاعف أضعافًا كثيرة، قال أهل العلم: ولأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة، ففيه: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله"[(٤)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: آداب الصوم:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: (... فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ. فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ).

قال القرطبي وقوله: "فإذا كان يوم صوم أحد كم فلا يرفث ولا يصخب" لا يفهم من هذا الشرط أن غير يوم الصوم يباح فيه الرفث والصخب، فإنهما ممنوعان على الإطلاق، وإنما تأكد منعهما بالنسبة إلى الصوم)[(٥)].

قال ابن عثيمين: "يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقورًا مطمئنًا متأنيًا فإن سابه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول:

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١١/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ٧١٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٩٣/٢.

(٥) المفهم ٦١٤/٣.

إني صائم، يقول ذلك لئلا يتعالى عليه الذي سابّه، كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عن أن اقابلك بما سببتني ولكني صائم، يمنعني صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهرًا"[١].

فآداب الصوم تجعل الصائم حريصًا على التخلق بالأخلاق الحسنة حتى لا يفسد صومه، فيحبس لسانه عن اللغو. والسباب الانطلاق في أعراض الناس، والسعي بينهم بالغيبة والنميمة المفسدة. كما يردعه الصيام عن الغش والخداع والتطفيف والمكر وارتكاب الفواحش، وأخذ الربا أو الرشا، وأكل أموال الناس بالباطل بأي نوع من الاحتيال. ويجعل المسلم يسارع في فعل الخيرات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة على وجهها الصحيح وجهاتها المشروعة، ويجتهد في بذل الصدقات وفعل المشاريع النافعة،ويحرص على تحصيل لقمة العيش من الوجه الحلال، ويحذر من اقتراف الإثم والفواحش فضلاً عن الاسترسال بها. وإذا نسي أو غلبته نفسه على فعل معصية، ذكر الله سريعًا فأناب إليه واستغفر وتاب مما أصاب، لما غرس فيه صوم هذا الشهر المبارك من مراقبة الله وخشيته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٢].

ولذا وجب على الصائم أن يتحفظ أكثر مما ينبغي أن يتحفظ، فقد قال رسول الله ﷺ: ((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابَه))[٣]، فالصيام تهذيب لا تعذيب، فإذا لم يؤت ثمرته النافعة فليس النقص منه، وإنما النقص من سوء تصرف الصائم، وعدم صحة قلبه وطهارة ضميره، وعدم حسن تفكيره"[٤].

رابعًا - من أهداف الدعوة: تهذيب وتربية المدعوين من خلال الصوم:

يظهر ذلك في قوله تعالى: (والصيام جُنة)، قال النووي: "ومعناه: سترة ومانع من

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٩٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٣.

(٤) انظر: الصوم، الشيخ عبدالرحمن الدوسري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥- ١٦.

الرفث والآثام ومانع أيضًا من النار ومنه المجن وهو الترس ومنه الجن لاستتارهم"[١].

والصوم من الأشياء التي تهذب نفس المسلم وتعوده على الإخلاص، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: "لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان"[٣]، ولهذا ثبت في الصحيحين: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))[٤].

والصوم يعود النفس على الصبر والتقوى ويعود على الإخلاص، ويهذب الغرائز والشهوات.

فإن كثيرًا ما تتغلب مادية الإنسان على روحانيته؛ لالتصاقه بالأرض واشتغاله بمطالب بدنه، فكان لا بد من إتاحة فرصة للروح تتلذذ فيها بمشارفة العالم العلوي، وتتخلص من قيود المادة وأدرانها.

ولما كانت أبرز مظاهر البهيمية هي الأكل والشرب والشهوة، شرع الصيام عن هذه الأشياء، فكان موسمًا روحيًا يتشبه فيه الإنسان بعالم الملائكة، ويتجرد لعبادة ربه فيحظى بإقباله وغفرانه، وينعم بثوابه ورضوانه، وصدق الله العظيم: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أجْزِي به، والحسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها))[٥].

والصوم مدرسة للنفس ومستشفى للبدن، يتلقى الصائم فيه دروسًا عملية في تحمّل الصبر وتحمل المشاق، وقوة الإرادة بينما يدع أجهزته الهضمية تستريح من عنائها الطويل.

وإذا كانت حكمة الصوم هي التهذيب والتأديب والتربية فإنه لا صوم لمن يدع

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٧١٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٧/١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٩٤.

الطعام والشراب ولا يدع قول الزور والفحش والسباب، وصدق رسول الله ﷺ: ((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاَّ الْجُوعُ))[1][2].

(١) أخرجه ابن ماجة ١٦٩٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجة ١٣٧١).

(٢) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

الحديث رقم (١٢١٨)

١٢١٨- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ أنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أبْوَابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: بِأبي أنْتَ وَأُمِّي يَا رسولَ اللهِ! مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرورةٍ، فهل يُدْعى أحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، وَأرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أنفق زوجين: أنفق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد[٢].

الريان: اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه[٣].

ضرورة: أي نقص ولا خسارة[٤].

الشرح الأدبي

يدل - هذا الحديث - على سعة أبواب الخير، وكثرتها، وتنوعها، ويرغب في الاجتهاد فيها، ولذا بنى على الشرط وجوابه - وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧/٨٥) ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري ١٣٤/٤.

(٣) المرجع السابق ١٣٤/٤.

(٤) المرجع السابق ١٣٥٢.

العاقبة، وقوله (نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ) بناء الفعل للمفعول يجعل العقل يذهب في تخيله كيف يشاء، وجمع الأبواب للتكثير الذي يصعِّد الترغيب في العمل، وإضافتها للجنة تزيد الرغبة فيها، والنداء المحكي في قوله (يَا عَبْدَ اللَّهِ هَـذَا خَيرٌ) يدل على مدى الحفاوة به، وفيه إشادة وتنويه بأصحاب هذه الأعمال كما أنها ترغب السامعين في الاجتهاد – ثم ذكر نماذج السعداء الذين ينادون من هذه الأبواب ليفكر كل سامع، في حاله من أي باب أدعى؟ (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة – ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة " ونلمح أن الرسول صلى الله علية وسلم بدأ بأهل الصلاة: لأهميتها في حياة الفرد والجماعة بل في حياة الدول لأنها تصلح الصلة بين الإنسان، وخالقه من ناحية، وبينة، وبين المحيطين به من ناحية أخرى، وأتى بعد " أهل الصلاة " بأهل الجهاد " و" الصيام " و" الصدقة "، لأن الصلاة تغرس فيهم حب الجهاد، والتضحية، والزكاة عن أعضاء الجسد بالصيام، والزكاة عن الأموال، والنعم بالصدقة، والاستفهام في قول أبى بكر ﵁: " فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها " الاستفهام هنا على حقيقته يدفعه رجاء وثّاب إلى معالي الدرجات في نفس الصديق أكثر الناس خوفا، ورجاء بعد رسول الله، وقد وافقت إجابة الرسول ﷺ، خفي رجائه فبشره الرسول الكريم ﷺ بقوله: " نعم وأرجوا أن تكون منهم " وهذه الإجابة من المصطفى تدل على حسن ظنه في الله تعالى وحسن ظنه بصاحبه، وحسن أدبة مع ربه، لأنه ترجى ربه أن يكون أبو بكر من هؤلاء، وهذا يوحى بأن دخول الناس الجنة يكون برحمة الله قبل كل شيء. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله ﷺ لأبي بكر ﵁: "إني لأرجو أن تكون منهم" فيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب وغيره، والله أعلم)[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٠٤/٧/٤ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الصلاة والجهاد والصيام والصدقة.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تبشير أهل الطاعة والفضل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الثناء على أهل الفضل.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الإنفاق في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة).

قال القاضي عياض: "وقيل درهم ودينار، ودرهم..، وثوب، والزوج: الفرد، قال الله تعالى: ﴿كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[1]، ويقع الزوج على الاثنين أيضًا، وقيل: إنما يقال للفرد: زوج، إذا كان معه آخر، والزوج الصنف، وقيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾[2]، قيل: وقد يحتمل أن يكون هذا في جميع أعمال البر من صلى صلاتين، أو صام يومين. والمقصود من هذا كله -والله أعلم- تشفيع صدقته بأخرى مثلها، والتنبيه على فضل الصدقة والنفقة في سبيل الله، والاستكثار منها[3].

وفضل ثواب الإنفاق في سبيل الله عظيم وهذا ما بيّنه المولى عز وجل في كتابه

---

(١) سورة هود، آية: ٤٠.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٥٥٥.

الكريم فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف"(٢).

وقال ﷺ: ((من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مئة ، ومن أنفق على نفسه أو على أهله أو عاد مريضًا أو ماز أذى عن طريق فهي حسنة بعشر أمثالها، والصوم جنة ما لم يخرقها، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حِطّة))(٣).

ففضل الإنفاق في سبيل الله عظيم وثوابه جزيل والله لا يضيع أجر المحسنين.

وإن الإنفاق في سبيل الله ينبغي أن يكون من المال الطيب الذي يحبه الإنسان بالفطرة، ولولا إيمانه ورجاؤه ثواب الله تعالى، فإنه يحرص عليه ولا ينفقه إلا في مصالحه الخاصة، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(٤)، فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا، وهذه النفقة من المال الطيب هي التي يتقبلها الله تعالى من عباده، ويثيبهم عليها الجنة بمنه وكرمه، وذلك أن المنفق آثر الله تعالى بالمال طلبًا لمرضاته على نفسه وأهله كما فعل الأنصار مع المهاجرين فخلّد القرآن ذكرهم، فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٥)، وقد ألمحت آيات أخرى إلى أن إنفاق الإنسان ما يحبه أفضل الطاعات.

وقد يتوهم بعض الناس أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله عندما يتخلصون من بقايا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١، وماز الأذى أي: نحاه وأبعده.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٥/١ – ١٩٦، رقم ١٦٩٠ – ١٧٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٢٠١٣، ٢٢٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

الطعام وبالي الثياب وعتيق الأثاث، فيلقونه بكبرياء إلى المستضعفين، فإن هذه ليست النفقة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[1]، بل ليس من الأدب مع الله تعالى أن يقرضه الإنسان أردأ ما عنده، ويبقي لنفسه المال الحسن الطيب فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾[2]، فالله هو الذي يأخذ الصدقات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

والإنفاق في سبيل الله من الأمور المندوبة والواجبة من أموال الأفراد الخاصة أساس في بنية المجتمع الإسلامي، وهو يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، والانتعاش الاقتصادي بدوران المال بين عدد كبير من الناس مما يثمر حركة نشيطة في البيع والشراء نتيجة ارتفاع القدرة الشرائية عند الأفراد، لذلك سعى الإسلام إلى توزيع الثروات وتفتيتها وتأكيد الحقوق العامة فيها، فنهى عن السرف وتبديد المال وحجر على السفهاء، وشرع نظام الميراث الذي يفضي إلى عدم حصر الثروة بابن العائلة الكبير أو بالذكور مستهدفًا أن تعم الفائدة على أكبر عدد من الناس، وكذلك تشريع الزكاة يهدف إلى الارتفاع بمستوى الفئات الفقيرة من أبناء المجتمع، وتحقيق مشاركتهم في التملك والاستثمار والاستهلاك مما يعود بالخير على تماسك المجتمع وتحقيق المودة بين المسلمين إضافة إلى تنشيط الحركة الاقتصادية[4].

والإنفاق له أثر على أخلاق الناس فهو يخلصهم من الشح وهو: عدم الإجمال في الطلب والتكالب على الجمع ومن البخل وهو: التقتير خوفًا من الفقر أو حبًا للمال ورغبة في عدم التفريط فيه، حتى أن البخيل قد يكتفي بالجمع للمال دون أن يظهر أثر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٤) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٠٧ - ٣١١.

نعمة الله عليه في ملبسه ومأكله ومسكنه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1][2].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الصلاة والجهاد والصيام والصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة).

قال القرطبي: "وقوله: (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة)، أي: من المكثرين لصلاة التطوع، وكذلك غيرها من أعمال البر المذكورة في هذا الحديث، لأن الواجبات لا بد منها لجميع المسلمين. ومن ترك شيئًا من الواجبات إنما يخاف عليه أن ينادى من أبواب جهنم فيستوي في القيام بها المسلمون كلهم، وإنما يتفاضلون بكثرة التطوعات التي بها تحصل تلك الأهلية التي بها يُنَادَوْن من تلك الأبواب"[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة)، وذكر مثله في الصدقة والجهاد والصيام، قال العلماء: معناه من كان الغالب عليه في عمله وطاعته ذلك"[4].

فمن كان غالب عمله وطاعته في الدنيا عمل من هذه الأربعة نودي من باب الجنة الخاص بها يوم القيامة، ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنَ مِنْهُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ))[5]. فأبواب الجنة تنادي أهل الأعمال الصالحة بأعمالهم.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٨.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣١٢.

(٣) المفهم ٧١/٣ – ٧٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٦٥١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٨/٢، رقم ٩٨٠٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٩٦/١٥.

فمؤدي الفرائض كاملة محب لله ومؤديها وبعدها النوافل محبوب من الله؛ يدل على ذلك الحديث الذي يرويه رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى وفيه: ((.... وما تقرَّبَ إليَّ عَبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضْتُ عليه، وما يَزالُ عبْدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أُحبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعَه الذي يسمَعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يَبطشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، وإنْ سألني لأُعطِيَنَّه، ولَئنِ اسْتَعاذَني لأُعيذَنَّه))(١).

فللمتقرب بالنوافل إذن خصوصية وميزة، تجعله أعلى مرتبة من مؤدي الفرائض فقط ذلك؛ لأن الفرائض مطلوبة من العبد أصلاً وهو مكلف بها وآثم بتركها والتفريط فيها. وقد مثّل ابن حجر لذلك بمثل يقرب الفكرة ويجلي الصورة، قال: "جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرِّب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين" ثم أضاف بيان فائدة أخرى للنوافل فقال: "وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث: ((أنظروا هل لعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ ...))(٢)، فتبين أن المراد بالتقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض، لا من أخل بها"(٣).

فهما صنفان من الناجين الفائزين، الصنف الأول المحب لله: مؤد لفرائض الله، وقّاف عند حدوده، والصنف الثاني المحبوب من الله: متقرب بعد الفرائض بالنوافل، وهذا مقصود ابن القيم بقوله: "... فإنها موصلة إلى درجة المحبوبية بعد المحبة، فالمحبون المتقربون بالفرائض والمحبوبون المتقربون بالنوافل بعد الفرائض هم أولياء الله وأصفياؤه، وخيرته من الخلق، وفي هؤلاء وأولئك تنزلت الآيات ووردت الأحاديث"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

(٣) فتح الباري ٣٥١/١١.

(٤) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها الإمام ابن القيم، إعداد: د. عبدالعزيز مصطفى، ص ٣٨ - ٣٩.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تبشير أهل الطاعة والفضل:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بشّر رسول الله ﷺ أهل الأعمال الصالحة في الدنيا من إنفاق في سبيل الله وصلاة وجهاد وصوم وصدقة بمناداة أبواب الجنة لهم، كل باب ينادي صاحب العمل الذي يخصه، وفي ذلك تبشير لأهل الطاعة والفضل بمنزلتهم الرفيعة يوم القيامة ودخولهم الجنة.

فعلى الداعية أن يبشر المؤمنين بما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويبين لهم سهولة الدين وأن شرائعه لا تثقل النفس، وأن أبواب الجنة مفتوحة للصالحين المتقين[(١)].

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)].

قال الشيخ السعدي: "في قوله تعالى: (لتبشر به المتقين)، بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للباشرة"[(٣)].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة:

يظهر ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه: (فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها... فقال رسول الله ﷺ: نعم وأرجو أن تكون منهم).

قال ابن حجر: "قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه ﷺ واقع، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر رضي الله عنه"، ووقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن حبان في نحو هذا الحديث، التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه: ((أَجَلْ، وَأَنْتَ هُوَ يَا أَبَا بَكْرٍ))[(٤)]"[(٥)].

---

(١) انظر: الأدب النبوي، د. محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٠٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٥٠.

(٤) أخرجه ابن حبان ٦٨٦٨، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: ... وأورده الهيثمي في المجمع ٤٦/٩ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن أبي بكر السالمي، وهو ثقة.

(٥) فتح الباري ٣٥/٧.

وفي ذلك بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة.

وفضل أبي بكر رضي الله عنه معروف فهو رفيق وصاحب رسول الله ﷺ في دعوته من أولها إلى نهايتها وخليفته من بعده وأحد المبشرين بالجنة، وقد قال رسول الله ﷺ عنه: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي))[1].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، فأتَيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً))[2].

وفضائل أبي بكر رضي الله عنه لا تحصى فهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجّهم في حياة رسول الله ﷺ وبعده، صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان، فكان أول القوم إسلامًا وأكملهم إيمانًا وأعظمهم عناءً وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلاً، وهو أبو عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وقد رافق النبي ﷺ في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها.

وكان رجلاً مألوفًا لقومه محببًا سهلاً وكان تاجرًا، ذا خُلق، وكان رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، أسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وغيرهم كثير، وأعتق بلالاً ولُقب بالعتيق والصديق لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء.

قال فيه النبي ﷺ: ((إنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خَليلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أَبا بكر، ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلامِ ومَوَدَّتُهُ. لا يَبقينَّ في

(١) أخرجه البخاري ٣٦٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦٢، ومسلم ٢٣٨٤.

المسجدِ بابٌ إلاّ سُدَّ، إلاّ بابُ أَبي بكرٍ))[1].

وصلى بالمسلمين في حياة النبي ﷺ عندما اشتد المرض برسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))[2].

وكان ثابت العقل، وشديد البأس، وله رصانة عقل في أشد المواطن وأحكها، فشهد الحروب واحتمل الشدائد وبذل الأموال، وبويع للخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، فحارب المرتدين والممتنعين عن الزكاة، وافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ)[3].

فلم يعين رسول الله ﷺ فردًا، ولا نص بالوصية على أحد، في خلافته ﷺ بعد وفاته ولكن كان من فعله ﷺ مفصحًا أن الحق هو أن يبايع المسلمون رجلاً من قريش إذ قد سبق قوله ﷺ: ((الأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْش))[4]، وإشارته الخفية بتوليته أبا بكر أمر الصلاة بعد قوله ﷺ: ((يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ... الحديث))[5]، شهادة منه أنه اختار الأقرأ والأفقه والأشرف والأقدم هجرة إلا أنه لم ينص عليه نصًا ظاهرًا من أجل أنه كان يتخذ ذلك شرعة لا تسع غيرها.

وانعقد إجماع المسلمين على خلافة أبي بكر وعرف من ذلك الحكمة في إمساك رسول الله ﷺ عن الوصية، وبعد تولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة قام في وقته بغرض كفى فيه وأبلغ، فأبو بكر رضي الله عنه قام في قتال أهل الردة المقام الذي شهد له أنه لم

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٦، ٣٦٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٤١٨.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٥٤/٣، ١٧٠، ٣٤٣، ١٨٧/٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣١٥/١-٣٢٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٨٠٤-٨٠٥، وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ ٢٦٥/١-٢٨٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٨٣/٣، رقم ١٢٩٠٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده ٢٤٩/٢٠.

(٥) أخرجه مسلم ٦٧٢.

يكن على الحق فيه غيره"[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الثناء على أهل الفضل:

يظهر ذلك في ثناء رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه، وثناء الداعية على المدعو صاحب الخلق الحسن فيه من إشارات الاستحسان وحث الهمم إلى جلائل الأعمال والإشادة بذكر المجد العامل وحفز العزائم على الدأب والسعي لتحصيل المحامد وإبتناء المكارم، كما أن السكوت عنه غمط من شأن أولي الهمم وتثبيط لهم، وفتٌ في عضدهم، وإماتة لما عساه يكون عندهم من غرائز يدفعها التنشيط، ويعبرها الغمص والزراية كل هذا خير ما دام القصد ما ذكر[٢]. فالداعية إذا علم عدم غرور المدعو بمدحه له فعليه مدحه ولا إثم في ذلك.

سادسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغّب رسول الله ﷺ فيما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة ما يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فَقلّ من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد، ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه"[٣].

وفي ذلك ترغيب في التطوع بفضائل الأعمال، وأسلوب الترغيب من الأساليب التي تجعل المدعو يقبل على الدعوة ويحرص عليها.

---

(١) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٦٥/١، ٢٦٦.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٢.

(٣) انظر: فتح الباري ٣٥/٧.

الحديث رقم (١٢١٩)

١٢١٩- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((إنَّ في الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ احدٌ غَيْرُهُمْ، يقال: ايْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

الريان: اسم علم على باب من أبواب الجنة، يختص بدخول الصائمين[2].

الشرح الأدبي

يقوم الحديث على أسلوب التشويق بالخبر الطريف (إن في الجنة باباً يقال له: " الريان) واسم هذا الباب يناسب أعمال الصائمين الذين يتشوقون إلى الري وإذهاب ظمأ الصوم. وصيغة الجمع في قوله: " يدخل منه الصائمون " يدل على أن هؤلاء الصائمين كثر في هذه الأمة الخيرية فلم يقل: " صائماً واحداً ، أو صائمين اثنين " وأكد هذا المضمون بميم الجمع في قوله: " غيرهم " وكرر هذا المعنى للتأكيد على كثرتهم في قوله: " أين الصائمون ؟ " والاستفهام هنا حقيقي إذا كان من الملائكة، ويكون بقصد الإشادة والتنويه بهم وتنبيه إلى منزلتهم إن كان من الله وقد اسند الفعل " يقومون " إلى واو الجماعة أيضا للإيحاء بكثرتهم واستخدام " إذا " الشرطية والفعل الماضي في قوله: " فإذا دخلوا أغلق.. " للتدليل على أن دخولهم من باب الريان متحقق بإذن الله، ومشيئة، وأن الدخول من هذا الباب مقصور عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦) واللفظ له، ومسلم (١١٥٢/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٣٠).

(٢) فتح الباري ١٣٤/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله للصائمين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان..)، حيث أكد على وجود باب الريان في الجنة، خاص بالصائمين، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدم في التأكيد على الدعوة.

إن التوكيد من أهم أساليب الدعوة في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به... ولا شك في أن التوكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع، وما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد لديه[1].

"والقرآن الكريم سبق السنة النبوية في استخدام التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علمًا منه بما لذلك من أثر في النفس"[2].

وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد كأسلوب دعوي يجعل الأمر المؤكد عند المرء حقيقة راسخة في أعماق قلبه ونفسه[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تكريم الله للصائمين باب الريان:

يظهر ذلك من قوله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم.. إلخ الحديث).

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد ص ٣٤، وروح الجماعات، لجوستاف ليبون ص ١١٥.

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١ - ٣٠٢.

قال القرطبي: "وقوله: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان) وزن الرَّيَّان: فَعْلان، وهو الكثير الرَّيِّ، الذي هو نقيض العطش. وسمي هذا الباب بهذا الاسم لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم، واكتفي بذكر الرَّيِّ عن الشّبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه"[١].

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة الصيام وكرامة الصائمين"[٢].

وفضائل رمضان على المسلمين كثيرة، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٣]، في يوم الاثنين الثاني من شعبان من السنة الثانية للهجرة، فرض الله صوم شهر رمضان على المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤]، وقال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الْاسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوم رمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ))[٥].

وقد بين النبي ﷺ فضل هذا الشهر وبركته، فقال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[٦]، وقال: ((الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا، إِذَا اجْتُنِبَ الكبائرُ))[٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما حضر شهر رمضان: ((قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالى عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ

---

(١) المفهم ٣/٢١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧١٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦، والترمذي ٢٦٠٩، واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٦٠.

(٧) أخرجه مسلم ٢٣٣.

الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ))[١].

هذه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة تدل على مكانة هذا الشهر المبارك عند الله تعالى، حيث أنزل فيه قرآنه على نبيه المصطفى في ليلة القدر العظيمة، فكان نزوله أعظم نِعَم الله تعالى على عباده، ففي القرآن هدايتهم إلى الله، ومعرفتهم به، وتفقههم بأحكامه، وإطلاعهم على مشيئته وإرادته، وبذلك عرف العباد ما يرضي الرب فعملوه، وما يسخطه فاجْتَنَبُوه، فيا لها من نعمة أن لا يضع المرء خطوة إلا عن معرفة ووثوق، وأن لا يرفعها إلا عن أجر ومثوبة، فرمضان شهر الطاعة والإحسان، والدعاء والغفران، هو شهر القرآن ومدارسته، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ الله ﷺ أجْوَدَ الناسِ بالخيرِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبْرَيلُ عليه السلام، وكان جبْرَيلُ يلقاهُ كُلَّ ليلةٍ في رَمَضَانَ حتَّى يَنْسَلِخَ، يعْرِضُ عليهِ النبيُّ ﷺ القرآنَ، فَإذا لقيهُ جبْرَيلُ كان رسولُ الله ﷺ أجودَ بالخيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ))[٢]، أي يعم جوده ويسرع خيره مثل الريح المرسلة بالمطر.

وقد استقر نص القرآن الكريم في العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام وكانت في آخر رمضان عاشه النبي ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَر، فكان يجتهد في العبادة خلالها ما لا يجتهد في غيره[٣]، وكان فيما يبدو يجتهد في طلب ليلة القدر التي نزل فيها القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٤]، فأجر العبادة فيها يتضاعف أضعافًا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٣٠، رقم ٧١٤٨، وقال محققو المسند: صحيح وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٦، ٣٥٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٧٤، ١١٧٥.

(٤) سورة القدر، الآيات: ١ - ٣.

كثيرة لعظم فضلها وجليل قدرها، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه))[1][2].

وإكرام الله للصائمين ورد فيه الكثير من النصوص ويكفي في ذلك أنه متميز من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ: ((كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ))[3].

قال القرطبي: "معناه: أن الأعمال كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. قال الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، أي: أجازي عليه جزاء كثيرًا من غير تعيين لمقداره، هذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]. "والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال"[5].

ثالثا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون..).

قال ابن حجر: "قوله: (إن في الجنة بابًا)، قال الزين بن المنير: إنما قال في الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة في الجنة - ما لا يعلمه - فيكون أبلغ في التشوق إليه"[6]، وفي ذلك ترغيب في الصوم وثوابه عند الله تعالى، وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٥٩.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣١ - ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ١١٥١.

(٤) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٥) المفهم ٣/٢١٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٤/١٣٤ بتصرف.

(٧) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٢٢٠)

١٢٢٠- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

خريفًا: عامًا[2].

الشرح الأدبي

يتكون الحديث من جمله خبرية واحدة يطلع النبي الكريم ﷺ - من خلالها - أمته على خير عظيم ينتظر المتطوعين بالصوم منهم، حتى ولو صام " يوماً " واحداً بشرط أن يكون " فى سبيل الله " ولن يفعل ذلك إلا العابد لله وحده، ومن هنا قدم كلمه " عبد " على " الصوم " و " اليوم "، وهى كلمات تشير بأن الله يبارك في العمل بالإخلاص، ويجزي على العمل القليل الأجر العظيم كثرته النية الصالحة القائمة على إخلاص العمل لله وحده، ولذلك أجر هذا العبد بالفعل الماضي الدال على المباعدة بينة، وبين النار - والعياذ بالله تعالى - حيث يقول النبي: " إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار.) و لا ننسى أن فاعل " باعد " هو لفظ الجلالة الذي إذا وعد أوفى، والباء فى قوله: " بذلك اليوم " للسببية وذكر " الوجه " لشرفة على الإنسان، وفى الحديث قصر بلاغي، حيث قصر " العبد " المتطوع بالصيام " على صفة الإبعاد عن نار جهنم نسأل الله أن يحفظ الجميع من شرها اللهم آمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣/١٦٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٤١).

(٢) فتح الباري ٦/٥٧.

فقه الحديث

الصوم في الجهاد: قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: قوله "في سبيل الله" العرف الأكثر فيه: استعماله في الجهاد، فإذا حمل عليه، كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين. - أعني عبادة الصوم والجهاد - وقال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله: طاعته كيف كانت. والأول أقرب إلى العرف[1] أ. هـ ولا يعارض ذلك أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء، لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا، ولا سيما من اعتاد به، فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل، ليجمع بين الفضيلتين)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يباعد بينهم وبين النار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)، قال القاضي عياض: "وقوله في فضل الصوم في سبيل الله: (باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا)، مبالغة في الإخبار عن البعد عنها والمعافاة منها. والخريف يعبر به عن السَنَةِ، والمراد مسيرة سبعين خريفًا، وكثيرًا ما جاءت السبعون عبارة عن التكثير واستعارة للنهاية في العدد، قال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[3]"[4].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٩ .

(٢) فتح الباري ٤٨/٦ .

(٣) سورة التوبة، آية: ٨٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١٥/٤.

قال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد. وقال القرطبي: سبيل الله طاعة الله، فالمراد من صام قاصدًا وجه الله. قلت: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك"[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السماءِ والأَرْضِ))[٢]، ففضل الصيام في سبيل الله يكون ثوابه من الله البعد عن النار.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بيّن رسول الله ﷺ فَضْلَ صوم يوم في سبيل الله بأنه يباعد الله به صاحبه عن النار سبعين خريفًا.

وهذا يدل على أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار، وإن كان قليلات وهذا من فضل الله على عباده، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٣]، قال ابن كثير رحمه الله: "يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة"[٤].

هذا في سائر الأعمال، والصوم جزاؤه عند الله أكثر ثوابًا وحسنات، لأنه تعالى خصّ نفسه بالمجازاة عليه.

فينبغي على المسلم أن يحرص على عمل الصالحات حتى يباعد نفسه عن النار، وقال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري ٥٦/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ١٦٢٤، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن الترمذي ١٣٢٥).

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٤/٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

ثالثًا – من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يباعد بينهم وبين النار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)، حيث دلّ رسول الله ﷺ المسلمين على ما يباعد بينهم وبين النار. وهو الصوم في سبيل الله.

فعلى الداعية أن يدل المدعوين على فضل الصيام والتطوع به لوجه الله تعالى، فإذا عُلِمَ هذا فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقلل، ففضل الله عظيم وخيره على العباد كثير وأسباب مغفرته لا تعد، رحمة منه بعباده، وإحسانًا منه إليهم، وبالتالي فإن صوم التطوع من جملة النوافل التي من حافظ عليها ظفر بمحبة الله له ورعايته ومن أحبه الله أحبته ملائكته ووضع له القبول في الأرض"[1].

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:.... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[2].

فحري بالداعية أن يدعو المدعوين إلى ما يقوي صلتهم بالله، وذلك بحفظ فرائضه والحرص على النوافل التي تعتبر من أقوى أسباب محبة الله ونيل رضاه، وأن يدعو إلى ما يبعد عن النار وعذابها، وإن رسول الله ﷺ وهو الأسوة والقدوة الحسنة كان يدعو إلى ما يقرب إلى الجنة ويبعد عن النار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال القاسمي: "قوله تعالى: (عزيز عليه ما عنتم) أي: شديد عليه شاق، لكونه

---

(١) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ٢١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

بعضًا منكم، عَنَتُكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب (حريص عليكم) أي: على هدايتكم، كي لا يخرج أحد عن اتباعه، والتمتع بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين رؤوف) إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته (رحيم) إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب فيها برحمته"[(١)].

وروى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلا وَهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا بَقِي شَيءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ))[(٢)].

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً، إِلاَّ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَطَّلِعُهَا مِنْكُمْ مُطَّلِعٌ، أَلاَ وَإِنِّي آخذ بِحُجَزِكُمْ، أَنْ تَهَافَتُوا فِي النَّارِ، كَتَهَافُتِ الْفَرَاشِ وَالذُّبَابِ))[(٣)].

رابعًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث رغّب رسول الله ﷺ في التطوع بالصوم في سبيل الله، وبيّن أن ذلك يكون سببًا في البعد عن النار سبعين خريفًا. ومن منا لا يرغب أن يباعده الله عن النار؟ فأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الفعالة في تحقيق الهدف منها وقبولها من المدعوين والحرص على إجابتها.

وذلك؛ لأن الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[(٤)].

ويكون الترغيب بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، المطيعين لأمره، المجتنبين لنهيه، والممتثلين شرعه في الحياة الدنيا، من النصر والعزة والتمكين، وفي

---

(١) محاسن التأويل ٣٦٥/٨/٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٤/٨، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٠/١٥، رقم ٣٧٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) اصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الآخرة بالرضا منه سبحانه وتعالى والقرب من حضرته الإلهية ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين[1].

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩١.

الحديث رقم (١٢٢١)

١٢٢١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على جمله شرطية تحمل في طياتها بشريات سارة لكل صائم لله تعالى عن إيمان به، واحتساب للأجر عنده، ويتمثل فعل الشرط في قوله: " من صام رمضان إيمان واحتساباً " وجاء فيه بفعل ماض: " صام ليدل به على أن المؤمن قد صام فعلاً وتحقق صيامه ثم جاء بالتمييز في قوله :" إيمانا واحتساباً " ليوضح أن الذي دفعه إلى هذا الصوم هو إيمانه بالله الذي شرع ذلك، وهو يحتسب الأجر عنده لأن ذلك الاحتساب يتطلب نية متجددة، وجوارح صابرة على مشقة الصوم ثم جاء جواب الشرط في قوله " غفر له ما تقدم من ذنبه " ليزف البشرى، والقبول لذلك المؤمن الصائم، ولذا أتى بالفعل الماضي: " غفر " وهو يدل على تحقق وقوع الغفران واللام في " له " للملكية، وجاء بالفعل الماضي: "تقدم" الذي يتعلق بالذنوب السابقة، وأنها قد محيت، و"من" في قوله: "من ذنبه" للتبعيض، وتدل على أنه سيذنب.

فقه الحديث

قال النووي: (يقال رمضان وشهر رمضان، هذا هو الصحيح الذي ذهب إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (١٧٥/ ٧٦٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب)

البخاري والمحققون قالوا: ولا كراهة في قول رمضان. وقال أصحاب مالك: يكره أن يقال رمضان، بل لا يقال إلا شهر رمضان سواء إن كان هناك قرينة أم لا ... والصواب أنه لا كراهة في قول رمضان مطلقًا. وقد ثبتت أحاديث كثيرة في الصحيحين في تسميته رمضان من غير شهر في كلام رسول الله ﷺ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ. وفي رواية لهما ((إذا دخل رمضان))[1] وفي رواية لمسلم ((إذا كان رمضان))[2] وأشباه هذا غير منحصرة، والله تعالى أعلم)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام رمضان.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً – من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

حيث أخبر ﷺ عن ثواب من صام رمضان إيمانًا بالله، و احتسابًا بثواب الله، فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه. وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة، وذلك لأن الداعية يخبر به المدعوين عن دعوته ثم يتحول المدعو إلى داعية فبعد أن يعرف الحق ويهتدي إليه يخبر به غيره من المدعوين حتى تعم الدعوة الجميع ويعم النفع المسلمين.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: فضل صيام رمضان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

وقد أفرد البخاري بابًا بعنوان: (باب: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٧٧، ومسلم بعد الحديث ١٠٧٩، ١.

(٢) أخرجه مسلم بعد الحديث ١٠٧٩، ١.

(٣) المجموع ٦/١٦١-١٦٢ ، و انظر: شرح صحيح مسلم ٤/٨/١٦٤ ، وفتح الباري ٤/١١٣ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب رقم ٦.

قال ابن حجر: قوله (باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية) قال الزين بن المنير: حذف الجواب إيجازًا واعتمادًا على ما في الحديث، وعطف قوله نية على قوله احتسابًا لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة. قال: والأولى منصوبًا على الحال. وقال غيره: انتصب على أنه مفعول به أو تمييز أو حال بأن يكون المصدر في معنى اسم الفاعل أي: مؤمنًا محتسبًا، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى وقال الخطابي: احتسابًا أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه [(١)].

وقال النووي: (معنى إيمانًا: تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص.

وقوله ﷺ "غفر له ما تقدم من ذنبه" المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة[(٢)].

وقال الطيبي: (قوله: "إيمانًا واحتسابًا" قال مظهر: يعني بالإيمان الاعتقاد بحقية فرضية صوم هذا الشهر، لا الخوف والاستحياء من الناس من غير اعتقاد بتعظيم هذا الشهر، والاحتساب طلب الثواب من الله الكريم)[(٣)].

وقال ابن هبيرة: (والمراد من صامه تصديقًا بالأمر به، عالمًا بوجوبه، خائفًا من عقاب تركه، محتسبًا جزيل الأجر في صومه، وهذه صفة المؤمن)[(٤)].

وقال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل صيام رمضان خالصًا لله تعالى، وأنه سبيل لغفران الذنوب الصغائر فضلاً عن تحصيل الثواب العظيم)[(٥)]. فالصيام ركن عظيم من

---

(١) فتح الباري ١٣٨/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥١٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٣٧/٤.

(٤) الإفصاح ١٨٧/٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، ص ٦١٣.

أركان هذا الدين الحنيف فلا يستقيم بناء الإسلام إلا به، ولا يثبت إيمان امرئ حتى يقر بفرضيته. قال النبي ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَحَجِّ الْبَيْتِ. وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[١].

فالصيام في رمضان وقيام ليله – وبخاصة ليلة القدر-إيمانًا واحتسابًا، دال ولا شك على صدق إيمان فاعله، وإخلاصه في عمله لذا فهو مبشر بمغفرة سابق ذنبه.

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قامَ رَمَضانَ، إيمانًا واحْتِسابًا ، غُفِرَ له ما تَقدَّم مِنْ ذَنْبِه))[٢].

فالصيام لا يعدل أجرُهُ أجرَ شيء من عمل ابن آدم، ففيه استكن سر الإخلاص، فبزَّ أجره بذلك جميع الأعمال كما سبق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ . الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))[٣].[٤]

فالصوم فضله عظيم منّ الله به على المسلمين، فجعله سببًا في زيادة الحسنات وغفران السيئات، فينبغي على المسلمين الحرص على إخلاص صيامه لله والتقرب به إلى رب العباد والفوز برضاه، ودخول جناته.

ثالثًا – من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث أرشد رسول الله ﷺ المسلمين إلى ثواب احتساب الصيام وإخلاصه لله عز وجل، وبيّن أن ذلك يكون سببًا في غفران ما تقدم من الذنوب.

وهذا يدل على حرصه ﷺ على إرشاد المسلمين إلى ما ينفعهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه جميع الدعاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٩٢، ٧٥٣٨، ومسلم ١١٥١ واللفظ له.

(٤) الصوم جنة، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ص ٢٩-٣١.

إن الداعية المسلم متبع للنبي الكريم ﷺ هو وارثه في مهمته الإرشادية، وعليه أن يتصف بما اتصف به -عليه الصلاة والسلام- كي يتمكن من أداء مهمته على الوجه المطلوب.

ومن صفاته الكريمة أنه كان شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم. وقد وردت آيات كريمة تصوّر لنا صفته هذه. ومن تلك الآيات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وقوله عز من قائل: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2].

وليس هذا فحسب بل كان يتضايق من عدم استجابة الناس للحق حتى كاد يهلك نفسه غمًا وأسفًا عليهم. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[3].

ويقوله سبحانه أيضًا: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[4].

ويقول عز من قائل أيضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[5].

هذا، وقد بيّن رسول الله ﷺ أيضًا حرصه الشديد على إبعاد أمته عن كل ما يضرّهم بأمثلة رائعة جدًا. ومنها ما رواه الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا.

(١) سورة يوسف، آية: ١٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦.

وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[١].

وحينما ننظر إلى سيرته المطهرة - عليه الصلاة والسلام - نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، ودعا جميع أصناف الناس، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له.

نجده - عليه الصلاة والسلام - يدعو فوق الجبل، وفي المسجد، والطريق، والسوق، وفي منازل الناس في المواسم، وحتى في المقبرة. كما نراه يقوم بالدعوة في الحضر والسفر، وفي الأمن والقتال، وفي صحته ومرضه، وحينما كان يزور أو يُزار.

وكان يوجّه دعوته إلى من أحبوه، ومن أبغضوه، وآذوه، ومن استمعوا إلى دعوته، ومن أعرضوا.

وبعث - عليه الصلاة والسلام - الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ممن لم يتمكّن من الذهاب إليهم بنفسه.

واستمرّ - عليه الصلاة والسلام - في أداء هذه المهمة الجليلة مشمّرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى، صلوات ربي وسلامه عليه. وما أكثر المواقف في سيرته المطهرة التي يتجلّى فيها حرصه الشديد على إخراج البشرية من الظلمات إلى النور وإبعادهم عن كل ما يعرّضهم لغضب الرب وعذابه[٢].

فينبغي على الداعية أن يحرص على هداية الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٢) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي، ص ١٧-١٩.

الحديث رقم (١٢٢٢)

١٢٢٢-وعنه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَاب الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وصُفِّدت: شُدَّتْ بالأصفاد، وهي الأغلال، وهو بمعنى سُلْسِلَت[2].

الشرح الأدبي

شهر "رمضان" شهر الخير الذي ينتظره المسلمون كل عام ببالغ الشوق، والله سبحانه وتعالى الذي خلق الشهور وجعلها اثني عشر شهراً، وفضل بعضها على بعض وخص رمضان من بينها بهذه الخصائص فكان أعظمها خيرا، وبركة على المسلمين. . ونسبة المجيء إلى الشهر مجاز عقلي بنسبة الفعل إلى زمانه مبالغة فيه، كأنه من شدة شوق المسلمين إليه وسعيهم فيه كأنه هو يسعى إليهم بالإضافة إلى أن نسبة الأفعال إلى الأماكن، والأزمان تبث الحياة في الموجودات، وتحقق تجاوب الإنسان مع الكون؛ لأنها ستأتي يوم القيامة شاهدة بما جرى فيها، وقد ربط النبي الكريم ﷺ بمجيء ذلك الشهر حدثين عظيمين وهما فتح أبواب الجنة الذي يشير إلى كثرة من الأعمال الصالحة التي استحقوا بها الجنة، وغلقت أبواب النار لكثرة مغفرة الذنوب بـ " إذا " والفعل الماضي في قوله: " إذا جاء رمضان " فيتجلى الله على المؤمنين بأمره أبواب الجنة فتفتح، وأبواب النار فتغلق، والشياطين فتصفد، وصيغة الماضي وتشديد التاء في " فتحت " واللام في " غلقت " تؤكد المضمون وتدفع المؤمنين دفعاً إلى حب الصيام، والعمل بمقتضى أدابة، وأخلاقياته في الشهر الكريم الذي فتح أعظم باب على النعيم

---

(١) اخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١/١٠٧٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٦٤).

(٢) فتح الباري ٤/١٣٧.

المقيم، وأغلق أعظم باب على الشر المستطير. وصيغ الجمع في "أبواب" و"الشياطين" تشير إلى أن الله – تعالى - يريد بعباده الخير كل الخير، وبقى عليهم أن يسارعوا للدخول من هذه الأبواب المفتحة، والإعراض عن الأبواب المغلقة، وبين لفظي: "الجنة" و"النار" طباق يوضح المعنى ويبرزه وبين الأفعال "فتحت – غلقت – صفدت" ما يشبه السجع الجميل غير المكلف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إكرام الله لعباده المؤمنين في رمضان بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل رمضان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)، قال القرطبي: "وقوله: (فتحت أبوابُ الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين)، فُتِّحت: بتخفيف التاء، وتشديدها. ويصحُ حمله على الحقيقة، ويكون معناه: أن الجنة قد فتحت وزخرفت لمن مات في شهر رمضان؛ لفضيلة هذه العبادة الواقعة فيه، وغلقت عنهم أبواب النار؛ فلا يدخلها منهم أحدٌ مات فيه. وصُفدت الشياطين: غُلّت وقُيِّدت. والصَفْد: الغَلّ، وذلك لئلا تفسد الشياطين على الصائمين. فإن قيل: فنرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرًا؛ فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شر. فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تُغَلّ عن الصائمين الصوم الذي حُوفظ على شروطه، ورُوعيت آدابه، أما ما لم يُحافظ عليه فلا يُغل عن فاعله الشيطان.

والثاني: أنا لو سلّمنا أنها صُفدت عن كلّ صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين ألا يقع شرٌ، لأن لوقوع الشر أسبابًا أخرى غير الشياطين، وهي: النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبارُ عن غالب الشياطين والمردة منهم، وأما من ليس من المردة فقد لا يُصفد، والمقصود: تقليلُ الشرور. وهذا موجود في شهر رمضان؛ لأن وقوع الشرور والفواحش فيه قليلٌ بالنسبة إلى غيره من الشهور.

وقيل: إن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار علامة على دخول هذا الشهر العظيم للملائكة وأهل الجنة؛ حتى يستشعروا عظمة هذا الشهر وجلالته. ويحتمل أن يقال: إن هذه الأبواب المفتحة في هذا الشهر هي: ما شرع الله فيه من العبادات، والأذكار، والصلوات، والتلاوة؛ إذ هي كلها تؤدي إلى فتح أبواب الجنة للعاملين فيه، وغلق أبواب النار عنهم. وتصفيد الشياطين: عبارة عن كسر شهوات النفوس التي بسببها تتوصل الشياطين إلى الإغواء والإضلال، ويشهد لها قوله ﷺ: ((الصَّوْمُ جُنَّةٌ))[1]، وقوله ﷺ: ((إنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مجاريه بالجوع والعطش))[2]"[3].

فمن فضائل شهر رمضان التي أنعم الله بها على أمة محمد ﷺ فتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب الجحيم وتصفيد الشياطين، قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ومَرَدَةُ الجِنِّ وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النيران فلم يُفْتَحْ منها بابٌ وفُتِّحَتْ أبوابُ الجَنَّةِ فلم يُغْلَقْ منها بابٌ ويُنَادِي مُنَادٍ يا بَاغِيَ الخَيْرِ أقْبِل ويَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّار وذلك كُلَّ لَيْلَةٍ))[4].

قال ابن رجب: "أبشروا يا معاشر المسلمين، فهذه أبواب الجنة في هذا الشهر لأجلكم فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين نَفَحت، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٦٢/٢، رقم ٩٩٤٩، وقال محققو المسند: إسناد صحيح على شرط الشيخين ٣٤/١٦، والنسائي ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢١٠١، ٢١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١، ومسلم ١١٧٤، ١١٧٥ دون قوله: فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش.

(٣) المفهم ١٣٦/٣ - ١٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٦٨٢، وابن ماجة ١٦٤٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٩٤).

مغلقة، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة، ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار. كانوا أفراخه قد غذاهم بالشهوات في أوكاره، فهجروا اليوم تلك الأوكار. نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار. خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان، فأمنوا من عذاب النار، قصموا ظهره بكلمة التوحيد، فهو يشكو ألم الإنكسار في كل موسم من مواسم الفضل يحزن، ففي هذا الشهر يدعو بالويل، لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار. غلب الرحمنُ، وهرب حزبُ الشيطان فما بقي له سلطان، إلا على الكفار، عُزِل سلطان الهوى، وصارت الدولُة لسلطان التقوى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[1]"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إكرام الله لعباده المؤمنين بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)، قال القاضي عياض: "يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة على كثرة الثواب والعفو. وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين، قال: ويؤيد ذلك رواية يونس عن ابن شهاب عند مسلم: ((فُتِّحَتْ أَبْوابُ الرَّحْمَةِ))[3]، قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلْق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات"[4].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧٩.

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤.

قال ابن حجر: "قال التوربشتي: فَتْح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، تارة ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول. وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش، والتخلص من البواعث عن المعاصي بقمع الشهوات"(١).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث أخبر رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين).

قال الطيبي: "يمكن أن يكون فائدة الفتح توفيق الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وإن ذلك من الله تعالى بمنزلة عظيمة، وأيضًا إذا علم المكلّف المعتقد ذلك بإخبار الصادق يزيد في نشاطه، ويتلقاه بأريحيته"(٢).

وفي ذلك ترغيب في استغلال فرصة شهر رمضان في التقرب إلى الله، فأسلوب الترغيب يقصد به تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة(٣)، وحثهم على اغتنام فرصة شهر رمضان.

---

(١) انظر: فتح الباري ٤/١٣٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٤/١٣٧.

(٣) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

الحديث رقم (١٢٢٣)

١٢٢٣- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَافْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأكمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ)) متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: ((فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاَثِينَ يَوْمًا)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غَبِيَ: خفي[٣].

غُمَّ: حال بينكم وبينه غيم[٤].

عدة شعبان: عدد أيامه[٥].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الانشائى القائم على أسلوب الأمر، وأسلوب الشرط، وجوابه، ويتمثل الأمر في قوله: " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته. . " والأمران هنا يناسبان المقام لأن هذا تشريع من الرسول الكريم ﷺ، ويحمل في طياته تحديدا دقيقا لفريضة من فرائض الإسلام لا تتم إلا به، والطباق بين صوموا، وأفطروا يشير إلى أن أداء العبادة مقيد بالوقت الذي لا يجوز التقدم عنه، ولا التأخر، ويجب على المتلقي الإصغاء، والتنفيذ، لأن الصيام قبل رؤية هلال رمضان لا يجوز، والإفطار قبل رؤية هلال شوال لا يجوز أيضا، واللام في قوله: " لرؤيته " للسببية، وكررت المادة اللغوية

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٨١/١٩).

(٢) برقم (١٠٨١/١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ب ي)، فتح الباري ١٤٨/٤

(٤) المرجع السابق في (غ م م)، فتح الباري ١٤٨/٤.

(٥) انظر: فتح الباري ١٤٥/٤.

الدالة على الرؤية، لأهميتها في القيام بتلك الفريضة المهمة ثم تأتي الجملة الشرطية ليضع النبي ﷺ من خلالها ضابطاً آخر للصيام فيقول: " فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً " أي فإن حال بينكم، وبين رؤية الهلال حائل كالغيم، ونحوه فأتموا عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكذلك الأمر في هلال شوال: " فصوموا ثلاثين يوماً ".

فقه الحديث

١- طلب رؤية الهلال:

رؤية الهلال أمر يقتضيه ارتباط توقيت بعض العبادات بها، فينشرح للمسلمين أن يجدُّوا في طلبها ويتأكد ذلك في ليلة الثلاثين من شعبان؛ لمعرفة دخول رمضان، وليلة الثلاثين من رمضان لمعرفة نهايته ودخول شوال، وليلة الثلاثين من ذي القعدة؛ لمعرفة ابتداء ذي الحجة. فهذه الأشهر الثلاثة يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام، هما الصيام والحج، ولتحديد عيد الفطر وعيد الأضحى[١].

وقد حثّ النبي ﷺ على طلب الرؤية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)) وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين))[٢].

أوجب الحديث الأول صيام شهر رمضان برؤية هلاله، أو إكمال شعبان ثلاثين، وأمر بالإفطار لرؤية هلال شوّال، أو بإتمام رمضان ثلاثين.

ونهى الحديث الثاني عن صوم رمضان قبل رؤية هلاله، أو قبل إتمام شعبان في حالة الصحْو[٣].

وقد أوجب الحنفية كفاية التماس رؤية هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان، فإن رأوه صاموا، وإلا أكملوا العدة ثم صاموا[٤]؛ لأن ما لا يحصل الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٨٠.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٣.

(٤) مراقي الفلاح ص ١٠٧، المطبعة العلمية ١٣١٥، ورسائل ابن عابدين ٢٢٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٤).

وقال الحنابلة: يستحبّ ترائي الهلال احتياطًا للصوم وحذارًا من الاختلاف[١].

٢-إثبات الأهلة بالحساب الفلكي:

وقع الخوض في هذه المسألة منذ أواخر القرن الهجري الأول، فقد أشار إليها أحد التابعين وبُحِثَت بعد ذلك من لدن فقهائنا السابقين بالقدر الذي تستحقه.

وكان من أسباب بحثها وجود لفظه مشكلة في حديث ثابت عن رسول الله ﷺ، اختلف الشراح في المراد منها، واستدلّ بها القائلون بالحساب على ما ذهبوا إليه، ويتضح ذلك من إيراد الحديث بلفظه، وإتباعه بتفسير الذين استدلوا به على جواز اعتماد الحساب في إثبات الهلال، ثم آراء الذين فهموا منه خلاف فهمهم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: ((لا تصوموا حتى تَرَوْا الهلال، ولا تفطروا حتى تَرَوْه، فإن غمّ عليكم فاقدروا له))[٢].

علّق الحديث بداية صيام رمضان والشروع في الإفطار على رؤية الهلال، وأمر عندتعذرها في حالة الغيم بالتقدير، فقال ﷺ: "فإن غمّ عليكم فاقدروا له"، وقد اختلف في المراد من هذه العبارة[٣].

رأي القائلين بالحساب:

نسب هذا الرأي إلى مطرف بن عبدالله بن الشخر من التابعين وأبي العباس بن سريج من الشافعية وابن قتيبة من المحدثين وغيرهم ويرون تقدير الهلال بالحساب الفلكي[٤].

آراء القائلين بعدم إثبات الأهلة بالحساب وأدلتهم:

يمنع جمهور الفقهاء إثبات الهلال بالحساب الفلكي، ويرون إثباته بالرؤية[٥]. وقد

---

(١) كشاف القناع ٢/٢٧٠، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م (عن الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٦، ومسلم ١٠٨٠، ٣.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٢/٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ ، والمجموع شرح المهذب ١٧٩/٦ ، وعمدة القاري ٢٧١/١٠، وانظر الموسوعة الفقهية ٢٢/٣٢-٣٣.

(٥) انظر: المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤، والموسوعة الفقهية ٢٢/٣٣-٣٤.

استدلوا بالحديث نفسه الذي استدلّ به المثبوت، ففسروه بغير المراد منه.

وقد فسّر الأئمة الأجلة قوله ﷺ "فاقدروا له" بتفسيرين ينقضان مفهوم التقدير الذي ذهب إليه القائلون بالحساب، وهذان التفسيران هما:

الأول: حمل التقدير على إتمام الشهر ثلاثين، وإلى هذا المعنى ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي وجمهور السلف والخلف فحملوا عبارة: "فاقدروا له" على تمام العدد ثلاثين يومًا[1].

التفسير الثاني: بمعنى تضييق عدد أيام الشهر، فسّر القائلون به "اقدروا له" بمعنى ضيقوا له العدد من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[2] والتضييق له أن يجعل شعبان تسعة وعشرين يومًا[3]، وممن قال بهذا الرأي أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوّز صوم يوم الشك إن كانت السماء مغيمة[4].

وفي العصر الحديث قد حدث تطور كبير في علم الفلك وتخلّص مما علق به في الماضي من تنجيم وحدس وتخمين، وأصبح قائمًا على الحسابات الدقيقة مما جعل بعض الفقهاء والمعاصرين يعتمده في إثبات الهلال، وقد انقسموا فريقين: فريق يرى اعتماده مطلقًا وفريق يرى اعتماده في النفي دون الإثبات، بمعنى أن الحسابات الفلكية إذا أفادت أن الهلال لا يمكن ولادته هذه الليلة، فلا يلتفت إلى من يدعي رؤياه بالعين المجردة. وإن كان جمهور العلماء المعاصرين على الأخذ بالرؤية دون الحساب الفلكي.

---

(١) المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ .

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) المغني ٣٣٢/٤ .

(٤) المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ ، وانظر: فتح الباري ١٢٧/٤، والموسوعة الفقهية ٣٥/٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبداية صيام رمضان ولبداية الإفطار.

ثالثًا: من مهام الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الصيام قبل رمضان.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في الحديثين في قوله ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، و(فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)، أو (فأكملوا ثلاثين يومًا)، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية التي تفيد الداعية في بيان الحقائق للمدعوين مما يجعلهم يستجيبون لما يؤمرون به.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبداية صيام رمضان ولبداية الإفطار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، قوله: (صوموا لرؤيته) الضمير للهلال [١].

وقال الطيبي: "قوله: (صوموا لرؤيته)، اللام فيه للوقت كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [٢]، أي: وقت دلوكها" [٣].

قال النووي: "قوله: (صوموا لرؤيته وأفطروا)، المراد: رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عَدْلَيْن، وكذا عدل على الأصح، هذا في الصوم، أما في الفطر فلا يُجّوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوّزه بعدل" [٤].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩١١/١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤٤/٤ - ١٤٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٦٨١.

فأخبر ﷺ، ببداية رمضان، وتكون برؤية الهلال "وكان ﷺ إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُمّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره"[١].

قال ﷺ: ((الشهرُ تِسعٌ وعشرونَ ليلةً، فلا تصومُوا حتّى تَرَوهُ، فإنْ غُمَّ عليكم فأكمِلوا العِدَّةَ))[٢].

فبيّن رسول الله ﷺ أن بداية صيام رمضان برؤية الهلال وبداية الإفطار برؤية هلال شوال، فإن غمّ أكمل ثلاثين، فقال ﷺ: ((لا تَصوموا حتّى تَرَوُا الهلالَ، ولا تُفْطِرُوا حتّى تَرَوْه، فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له))[٣].

قال القرطبي: "وهذا الحديث حجة على من حمل: (فاقدروا له) على معنى: تقدير المنازل القمرية، واعتبار حسابها، وإليه صار ابن قتيبة من اللغويين، ومطرف بن عبدالله بن الشخير من كبراء التابعين. ومن الحجة أيضًا قوله ﷺ: ((إنّا أُمّةٌ أُمّيّةٌ. لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ. الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا)) وعقد الإبهام في الثالثة ((والشهر هكذا وهكذا وهكذا)) يَعْنِي تَمَامَ ثَلاَثِينَ"[٤]، فألغى الحساب، ولم يجعله طريقًا لذلك، وقوله ﷺ: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)، أي: لم نكلف في تعرف مواقيت صومنا ولا عبادتنا ما نحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة، وإنما ربطت عبادتنا بأعلام واضحة، وأمور ظاهرة، يستوي في معرفة ذلك الحساب وغيره، ثم تمم هذا المعنى وكمله حيث بينه بإشارته بيديه، ولم يتلفظ بعبارة عنه نزولاً إلى ما يفهمه الخرص[٥]. والعجم، وحصل من إشارته بيديه ثلاث مرات أن الشهر يكون ثلاثين ومن

---

(١) انظر: جامع الفقه، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم، جمع وتوثيق وتخريج: يسري السيد محمد ٣/١٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٨٠.

(٥) قال محققو المفهم: هكذا في الأصول، ولعله: الخرس، جمع أخرس.

خَنْسِه[1] إبهامه في الثالثة: أن الشهر يكون تسعًا وعشرين"[2].

وقال محققوا المفهم: "هذا الحديث[3] لا يفيد إلزام المسلمين أن يبقوا أميين، بل يقرر واقعًا وجد آنذاك. والآيات والأحاديث على العلم تدل على طلب التغيير لذلك الواقع، كقوله تعالى: (اقرأ) وقوله ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ))[4].

لذلك قال د. محمد رواس قلعه جي: "في إثباته: يثبت دخول شهر رمضان وانتهاؤه بما يلي:

أ- إخبار شخص واحد عدل، رجلاً كان أو امرأة برؤية هلاله، لأنه إخبار عن أمر ديني، فيكفي فيه خبر الواحد العدل، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((تراءى النَّاسُ الهِلاَلَ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ))[5].

ب- إتمام الثلاثين: إذا غُم هلال رمضان فيتم شهر شعبان ثلاثين يومًا، وإذا غم هلال شوال فيتم شهر رمضان ثلاثين يومًا، لقوله ﷺ: ((لاَ تُقَدِّمُوا الشَّهْرَ حتى تَرَوْا الهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثُمَّ صُومُوا حتى تَرَوْا الهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ))[6].

ج- الحساب من أهل الاختصاص: لقد كان علم الفلك والحسابات الفلكية متخلفًا في الزمن الغابر، ولذلك لم يجز الشارع الاعتماد عليه أما اليوم وقد بلغ تقدم الحسابات الفلكية إلى درجة الاعتداد بالجزء من الثانية في حركة الأجرام السماوية فإنه يجب الأخذ بالأسباب في تحديد مواقيت الأشهر القمرية، وإلى هذا يشير حديث رسول الله ﷺ: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا)، يعني: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين، فَعِلّةُ عدم أخذ الرسول ﷺ بالعدد في عصره، هي: أنهم لا يجيدون الحساب، فإذا أتى يوم وأجاد فيه المسلمون الحساب وجب عليهم الأخذ

---

(١) خنسه: أي قبضه.

(٢) المفهم ٣/١٣٨ - ١٣٩.

(٣) يقصد به حديث: (إنا أمة أمية..).

(٤) هامش المفهم ٣/١٣٩.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٣٤٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٥٢).

(٦) أخرجه أبو داود ٢٣٢٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٠).

به. وإن الخطأ اليوم بإثبات الهلال بالحساب أقل من الخطأ بإثباته برؤية العين بألف مرة"[١].

ثالثًا - من مهام الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث وضح رسول الله ﷺ كيفية بداية الصيام برؤية الهلال أو إتمام الشهر إذا خفي الهلال، وكذلك الإفطار، والصوم ركن من أركان الإسلام يهم كل المسلمين، فتوضيح ما يختص به من أحكام من المهام الضرورية، وكان هذا عمله ﷺ الذي أمره الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢].

ومن الأشياء التي وردت عن رسول الله ﷺ في توضيح الحقائق التي تتعلق بالصوم ما ورد عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[٣]، عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل ليستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: ((إِنَّمَا ذَٰلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ))[٤].

فبين رسول الله ﷺ حقيقة قوله تعالى المراد من الآية وبيّن أن الإمساك عن الطعام أن يكون بظهور بياض الفجر أو النهار.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: النهي عن الصيام قبل رمضان:

يظهر ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال رسول الله ﷺ: (لا تصوموا قبل رمضان...)، والصوم قبل رمضان ورد فيه الكثير من الأحاديث التي تنهى عنه منها: قوله ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٩٧٩ - ٩٨٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٩١٦، ومسلم ١٠٩٠.

يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ))[١].

قال ابن حجر: "قال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان"[٢].

وقال الترمذي: "والعمل على هذا عند أهل العلم: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان"[٣].

قال ابن رجب: "وكراهية التقدم لثلاث معانٍ، أحدها: أنه على وجه الاحتياط لرمضان، فينهى عن التقدم قبله لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه لما نهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى.

والمعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل؛ فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي ﷺ أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام.

والمعنى الثالث: "أنه أمر بذلك؛ للتَقَوِّي على صيام رمضان، فإن مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض، فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين كان أقرب إلى التقوي على صيام رمضان، وفي هذا التعليل نظر"[٤].

فالنهي عن الصوم قبل دخول رمضان من الأشياء التي ينبغي أن ينبه إليها الداعية لنهي رسول الله ﷺ عنه، وفيه قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ((مَنْ صَامَ اليوم الذي شُكَّ فيهِ فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٣/٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٨/١.

(٤) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٥) أخرجه الترمذي رقم ٦٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٥٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الإخلاص:

هذا مستمد من قول رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به..." وفي رواية له "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" وفي رواية مسلم: "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي" فالملاحظ في هذا الحديث - كما هو ظاهر - أن الله أخبر أن الصوم له، أما بقية الأعمال فهي لعاملها. مع أن الأعمال كلها لله. فما السر في ذلك؟ ذكر ابن حجر في ذلك عشرة أقوال ذكر أولها البعد عن الرياء، فقال: (وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: "الصيام لي وأنا أجزي به" مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال:

أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ... لفظ أبي عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله تعالى وهو الذي يجزي بها، فنرى - والله أعلم - إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ... وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث "يدع شهوته من أجلي" وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب بخلاف الصوم. وارتضى هذا الجواب المازري وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم بخلاف الصوم، فإن حال الممسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا يعني في الصورة الظاهرة قلت. [القائل ابن حجر]: معنى النفي في قوله "لا رياء في الصوم" أنه لا يدخله الرياء بفعله، وإن كان يدخل الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها)[1].

---

(١) فتح الباري ١٠٥٣/١ .

أي أن الصوم شرفه الله بالإضافة إلى نفسه لكونه أبعد عن الرياء وأكثر إخلاصًا، بناء على هذا القول، ومن ثمّ يمكن أن نخلص من ذلك إلى أنه كلما كان العمل أكثر إخلاصًا كان أكثر قبولاً عند الله، ومن هذا المنطلق حاول بعض العلماء أن يلحق بالصوم ما يشابهه من هذه الناحية، قال ابن حجر: (وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم، فقال: إن الذكر بـ "لا إله إلا الله" يمكن أن لا يدخله الرياء، لأنه بحركة اللسان خاصة دون غيره من أعضاء الفم، فيمكن للذاكر أن يقولها بحضرة الناس ولا يشعرون منه بذلك)[1].

وعلى ذلك فإن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على شدة إخلاص أعمالهم لله تعالى، فبدون ذلك لا تقبل ولا يتحصلون على ثوابها المرجو، وبدون الإخلاص ينزلون إلى الدرك الأسفل، فإنهم يبتغون من هو مثلهم ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا، وتركوا المثل الأعلى والرتبة الفضلى في أن يبتغوا بأعمالهم الله وحده الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم ويميتهم، وإننا نرى أن تربية الناشئة على إخلاص العمل فيه من الفوائد التربوية ما فيه، من ذلك:

أ - أداء العمل كما يريد الله لا كما يريد الناس، فتؤدى الأعمال على خير ما ينبغي من الإتقان والجودة والتجرد لله رب العالمين.

ب - شعور من أخلص العمل بثمرته وحلاوته التي رتبها الله تعالى على الإخلاص، إن هناك فرقًا هائلاً بين من صلّى ليراه الناس وبين من صلّى مخلصًا لله رب العالمين: لقد فاز الأول بكلام الناس، على حين فاز الآخر بأن كلّم رب العالمين، وناجاه، وأحس بلذة المناجاة والقرب منه سبحانه، لقد فاز الأول برضا الناس عنه، وظلت نفسه خاوية يملأها القلق والاضطراب، على حين فاز الثاني برضا الله تعالى وامتلأت نفسه سكينة وطمأنينة، وهكذا فما أبعد النتيجتين مع أن الفعل واحدٌ في الظاهر وفي الهيئة!

ج - ثبات الناشئة وغيرهم على مبادئهم وقيمهم السامية التي تربوا عليها لأنهم بذلك يكونون مخلصين لله رب العالمين فلا يقبلون التزحزح عنها قيد أنملة.

(١) المرجع السابق، الموضع ذاته.

وهكذا فإن لإخلاص العمل لله رب العالمين فوائد تربوية، لذا كان على المربين أن يغرسوا الإخلاص في نفوس من يقومون بتربيتهم[١].

ثانيًا: التربية على التزام آداب الصوم:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل إني صائم" "فالصيام ليس مجرد الإمساك عن المفطرات فحسب، وإنما هو أيضًا هجر جميع المعاصي والسيئات، فلا يحلّ للصائم أن يتكلم إلا حسنًا ولا يفعل إلا جميلاً، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ في قوله: "الصيام جنة" أي وقاية من المنكرات والشرور.

وبهذا يكون الصيام درسًا عمليًا في أخذ النفس بالفضائل، وحملها على الاتصاف بكل ما هو حسن في جميع الحالات.

وبذلك تزكو وتطهر ويصبح الإنسان مأمول الخير مأمون الشر، فإذا لم يبلغ الصيام بالإنسان هذه الغاية من التهذيب، فإن صيامه لا وزن له عند الله، وأنه لا حظ له من صيامه إلا الجوع والعطش"[٢].

ولذا فإن الصائم (يجب عليه اجتنابُ كذبٍ وغيبةٍ ونميمةٍ وشتمٍ وفحشٍ ونحوه كل وقت، وفي رمضان وفي مكان فاضل آكد، وأن لا يعمل عملاً يجرح به صومه، فيكفّ لسانه عما يحرم ويكره، وإن شُتِم سن له جهرًا في رمضان أن يقول: إني صائم وفي غير رمضان يقولها سرًا يزجر نفسه بذلك خوف الرياء، ويستحب الإكثار من قراءة القرآن والذكر والصدقة لتضاعف الحسنات به)[٣].

ثالثًا: تقديم مصلحة الدين على مصلحة النفس:

وهذا مستمد من قوله ﷺ "فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم" فإن الصائم

---

(١) وانظر: مقومات الداعية الناجح، ص ٤٩-٥٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق، ص ١٢٤.

(٣) الإقناع وشرحه كشاف القناع ٢/٣/٩٨٩-٩٩٠، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٥٥.

إذا أُعتدي عليه بالسبّ أو الشتم، فإنه بين مصلحتين: مصلحة الاقتصاص لنفسه وردّ كرامته ورد العدوان عن نفسه، ومصلحة الحفاظ على صومه الذي هو من دينه، والحفاظ على بهائه وأن يخدش، فلا يحقق الثمرة المطلوبة من الصوم وهي التقوى، فأرشده النبي ﷺ إلى أن يقدم مصلحة الدين على مصلحة النفس، وفي هذا توجيه للمربين إلى أن يربوا الناشئة على ذلك، لأن في ذلك صلاحهم وفلاحهم، فعليهم أن يربوا الناشئة وغيرهم على أنه ما دام قد سلم دينهم فكل شيء بعد ذلك هيّن وسهل، لذا عليهم أن يقدموا مصلحة الحفاظ على دينهم على أي مصالح أخرى، إن الجهاد في سبيل الله شرع للحفاظ على الدين، لذا فالمسلم يضحي بنفسه وماله راضيًا من أجل نصرة دينه.

رابعًا: التربية ببيان آثار العبادة:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لخُلُوف فمّ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" إن الصائم عندما يمتنع عن الطعام يخلو جوفه منه فتتغير رائحة فمه لذلك، وتصبح غير طيبة، وهذا طبيعة جبلية، لكن رسول الله ﷺ وصفه بأنه أطيب عند الله من ريح المسك. قال ابن حجر: (يؤخذ من قوله "أطيب من ريح المسك" أن الخلوف أعظم من دم الشهادة، لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخُلُوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فإن أصل الخلوف طاهر وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهرًا أطيب ريحًا)[1]، ففي هذا الحديث أن ما يكون ناتجًا عن العبادة فإن على النفس أن تفرح به وتسعد وتسرّ ولو كان صعبًا لا تألفه النفس ولا ترتاح إليه في أحوالها العادية، ولكنه لما كان ناتجًا عن عبادة الله عز وجل، فإنه يصير إلى النفس محببًا، ولا يعني هذا تركه وعدم العمل على تطييب رائحة الفم بالسواك وبغيره، لا نعني هذا، وإنما نعني أن النفس لا يصيبها الضجر ولا

---

(١) فتح الباري ١٠٥٣/١ .

السآمة من آثار العبادة التي يتوجه بها إلى الله، إن المجاهد في سبيل الله إذا أصابه غبار أو عرق ونحو ذلك فإن عليه ألا يتضايق منه، بل يسعد بذلك ويفرح أشد الفرح، إن رسول الله ﷺ يقول: ((ما اغبرَّتا قدَما عبدٍ في سبيلِ اللهِ فتمسَّهُ النار))[١] قال ابن حجر: (قال ابن بطال: المراد في سبيل الله جميع طاعاته أ.هـ وهو كما قال إلا أن المتبادر عند الإطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد، وقد أورده المصنف [أي البخاري] في فضل المشي إلى الجمعة[٢] استعمالاً للفظ في عمومه، ولفظه هناك "حرمه الله على النار" قال ابن المنير: دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لا. انتهى. ومن تمام المناسبة أن الوطء يتضمن المشي المؤثر لتغبير القدم ولا سيما في ذلك الزمان... والمعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟)[٣].

نخلص من ذلك كله إلى أنه ينبغي أن تربى الناشئة وغيرهم على أداء العبادة من خلال بيان الآثار المحمودة لها عند الله تعالى، مما يعد دافعًا قويًا على أدائها والصبر عليها، واللذة بها نظرًا للجزاء الطيب والجزيل الذي أعده الله تعالى لعباده الصائمين.

وبناء على هذا فإن على المربين أن يغرسوا في نفوس من يربونهم حب العبادة والفرح بها والسرور من خلال بيان الآثار المحمودة لتلك العبادة عند الله تعالى.

خامسًا: من أساليب التربية: التبشير:

لقد أخبر النبي ﷺ أن للصائم فرحتين يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه، وفي رواية: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه".

والصائم يفرح عند إفطاره لكونه أتم يومًا في عبادة الله، أما فرحه عند لقاء ربه فلأنه يجد ثواب صيامه فيفرح فرحًا شديدًا، قال ابن حجر: (قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١١ من حديث عبدالرحمن بن جبر رضي الله عنه.

(٢) الحديث ٩٠٧.

(٣) فتح الباري ١٣٩٥/١ .

وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه، قلت [القائل ابن حجر]: ولا مانع من الحمل على ما هو أعمّ مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحًا وهو الطبيعي ومنهم من يكون مستحبًا وهو من يكون سببه شيئًا مما ذكره. قوله: "وإذا لقي ربه فرح بصومه" أي بجزائه وثوابه، وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين. قلت [القائل ابن حجر]: والثاني أظهر إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه)[1]. أي إن النبي ﷺ أخبر عن فرحتين للصائم، وهذا الإخبار يلزم عنه التبشير، وفي هذا إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أن يستبشروا بإتمام العبادة ويفرحوا لذلك أشد الفرح. إن من الأخطاء التربوية التي يربى عليها الناشئة أن يغرس في أفهامهم أن هذه التكاليف عناء وتعب ومشقة، وأن عليك أن تبادر إلى فعلها حتى ترتاح منها، وهناك فرق كبير بين هذا وبين التبشير النبوي، فالأول قد جعلها عبئًا ثقيلاً على النفس فلا تنشط لأدائه إلا مكرهة، بخلاف التبشير النبوي الذي يجعل أداء التكاليف ممتعًا للنفس يسبب لها الفرح والسرور مما يدفعها إلى الحرص على أدائها على خير وجه.

يقول ابن القيم عن عواقب امتثال الأمر -وهذا من التبشير- (إنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضرّ عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصيّة العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل، فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقل الكيس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء

---

(١) فتح الباري ١٠٥٨/١ .

ستور مبادئها. فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خلط فيه سم قاتل: فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول، ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة)[1].

سادسًا- التربية بالترغيب:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ "إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم..." الحديث، وقوله ﷺ: "ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" إن الصائم قد ترك الطعام والماء، وإذا كان الإنسان يستطيع أن يستغني عن الطعام ساعات طوالاً، فإنه لا يقدر أن يصبر عن الماء ساعات قليلة، ومن ثم كان أشق ما يكون على الصائم تركه شرب الماء، وقد ترك الصائم ذلك كله ابتغاء وجه الله وامتثالاً لأمره، فكان ماذا؟ كان أن كافأه الله يوم القيامة بأنه يدخل من باب الريان باب الشبع والري، قال ابن حجر: (قال القرطبي: اكتفى بذكر الري عن الشبع، لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه، قلت: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع)[2].

إن في هذا الحديث ما يرشد المربين إلى أهمية استصحاب الترغيب في عملية التربية من خلال إثارة الرغبة في نيل الثواب العظيم الذي أعده الله لعباده الصائمين، لأن الله تعالى تفضل عليهم بإكرامهم وتخصيص باب من أبواب الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون، وهذا مما يبعث على التنافس المحمود والتدافع الإيجابي لتحصيل الثواب.

إن المربي عليه أن يغرس في نفوس الناشئة أن يتركوا كثيرًا من أوقات راحتهم

---

(١) الفوائد ٢٠١.

(٢) فتح الباري ١/١٠٥٥ .

حتى يحصلوا الراحة والنعيم في الآخرة، وهكذا يكون حالهم وعادتهم، ومسلكهم في هذه الحياة.

سابعًا- التربية على تمني الخير:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة، يا عبدالله هذا خير ... قال أبوبكر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: نعم وأرجو أن تكون منهم.

قال ابن حجر: (وقوله "هذا خيرٌ" ليس اسم التفضيل، بل المعنى هذا خير من الخيرات، والتنوين فيه للتعظيم، وبه تظهر الفائدة"[1] وقال ابن حجر كذلك: "وفي الحديث من الفوائد أن من أكثر من شيء عرف به، وأن أعمال البر قلّ أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء وأن الملائكة يُحَيُّون صالحي بني آدم ويفرحون بهم، فإن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل، وإن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب)[2].

إن أبا بكر ﷺ يسأل عن إمكان أن يدعى أحد من الناس من جميع هذه الأبواب؟ إن هذا السؤال يدل على أن أبا بكر الصديق ﷺ كانت عنده رغبة في تمني الخير والحصول عليه في الدنيا والآخرة، وهذا من سمات عباد الله الصالحين المخلصين، إنهم يسألون عن كل طريق يوصل إلى الخير وكل سبيل يؤدي بهم إلى فعله، وعن كل وسيلة تأخذ بأيديهم إلى التلبس بالخير وبأهله، إنهم مشغولون ليل نهار آناء الليل وأطراف النهار بالسؤال عن الخير والسبل إليه وفعله والتلبس به، إنهم يتمنون أن يصيبهم الخير العميم في الدنيا والآخرة.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يغرسوا في نفوس الناشئة تمني الخير والعمل على تحصيله بكل طريق ممكن وبكل سبيل مستطاع.

---

(١) فتح الباري ١/١٠٥٥ .

(٢) السابق ٢/١٦٦١.

ثامنًا: التربية على استثمار مواسم الخيرات في فعل الخيرات:

لقد أخبر النبي ﷺ أن شهر رمضان يقع فيه ما يلي:

أ - تفتح أبواب الجنة.

ب - تغلق أبواب النار.

ج - تغل وتصفد الشياطين.

إن السؤال هناك: ما فائدة إخبار النبي ﷺ عما يقع في رمضان؟ أهو الإخبار لمجرد الإخبار أم هناك غرض وهدف لهذا الإخبار؟ إن النبي ﷺ بإخباره هذا يحث المكلفين على استغلال موسم رمضان الذي تكثر فيه الخيرات وتيسر السبل إلى فعلها ويجد الإنسان الكثير مما يعينه على ملازمة الطاعة، إن النبي ﷺ يرغب في انتهاز هذه الفرصة الثمينة - إن صح هذا التعبير - في تحسين الأداء التعبدي وزيادته وتجويده، فماذا ينتظر المكلف بعد ذلك وقد هيئت له الأحوال ويسرت له السبل ليستثمر هذا الشهر الفضيل في رفع الدرجات ومحو السيئات ودخول الجنات؟

والمقصود أن على المربي أن يستفيد من هذا الحديث وغيره في تربية أبنائه على استثمار مواسم الخيرات الاستثمار الأمثل، ولعل في ذلك من الفوائد التربوية ما يلي:

أ - تعويد الشباب وغيرهم على الاستفادة من الأوقات الفاضلة وملئها بما يستحق من الأعمال والأفعال.

ب - بذل الجهد والطاقة فيما يعود بأكبر نفع وأفضل فائدة، فإذا كان الإنسان قد يصيبه الفتور بعض الأحيان، فلا أقل من أن ينشط في الأوقات الفاضلة حتى لا يفوته ثوابها وفضلها.



٢١٨ - باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلِكَ في العشر الأواخر منه

الحديث رقم (١٢٢٤)

١٢٢٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسهُ القُرآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ، حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

فيدارسه القرآن: يستعرضه ما أَقْرَأَه إياه[٢].

الريح المرسلة: ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام[٣].

الشرح الأدبي

قول ابن عباس (كان رسول الله ﷺ) يشير إلى عادته في البذل، والانفاق في رمضان كل عام، وقد تدرج " ابن عباس " في الحديث عن كرم وجود رسول الله ﷺ فيقول: " كان رسول الله أجود الناس " فيأتي بلفظ يفيد العموم هو " الناس " وبأفعل التفضيل (أجود) التي تقرر أنه سبق الجميع، وهو كذلك، ثم ينتقل إلى الحديث عن جوده في شهر الخير، والكرم فيقول " وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل " وبناء الحديث على الأسلوب الخبري يشير إلى أن الجود متأصل في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٨/٥٠).

(٢) فتح الباري ٦٦٠/٨، والمعجم الوسيط في (د ر س).

(٣) فتح الباري ١٣٩/٤.

الرسول الكريم وأن الراوي يخبر عن هذه الخصال المركزة في النبي ﷺ بشتى وسائل التعبير لدرجة أنه وصفة بالسرعة الفائقة إلى الكرم فقال في ختام الحديث: " فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة " ووصف الريح بالمرسلة تتميم بلاغي يفيد المبالغة في سرعتها، والتي تشير إلى عظم كرم النبي ﷺ الذي فاقها سرعة عطاء، ونلمح من الفعل المضارع " فيدارسه القرآن " إن مدارسة القرآن، وتأمله، وفهمه وتفسيره يزيد من كرم المؤمن، وجوده وإيثاره؛ لأنه يحث على الكرم والعطاء: " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى" (الليل ٧).

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قال الشافعي والأصحاب: الجود والإفضال يستحبّ في كل وقت، وهو في رمضان آكد، ويسنّ زيادةً الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان، ودليل المسألتين حديثا الباب.

قال العلماء: قوله كالريح المرسلة أي في الإسراع والعموم.

قال أصحابنا: والجود والإفضال مستحب في شهر رمضان، وفي العشر الأواخر أفضل، اقتداءً برسول الله ﷺ وبالسلف، ولأنه شهر شريف فالحسنة فيه أفضل من غيره، ولأن الناس يشتغلون فيه بصيامهم وزيادة طاعاتهم عن المكاسب، فيحتاجون إلى المواساة وإعانتهم.

وقال الماوردي: ويستحب للرجل أن يوسع على عياله في شهر رمضان وأن يحسن إلى أرحامه وجيرانه ولا سيما في العشر الأواخر منه)[١].

٢ - قال النووي: (قال أصحابنا: السُنّةُ كثرة تلاوة القرآن في رمضان ومدارسته وهو أن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما)[٢].

---

(١) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٢) المجموع ٢٧٤/٦ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي ﷺ وزيادة جوده في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام.

ثانيًا: من صفات الداعية: الجود.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مدارسة القرآن في رمضان.

رابعًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جُوْد وكرم النبي ﷺ وزيادة جُودِه في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس؛ وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل... إلخ).

قال ابن حجر: "قوله: (أجود الناس) بنصب أجود لأنها خبر كان، وقدم ابن عباس هذه الجملة على ما بعدها - وإن كانت لا تتعلق بالقرآن على سبيل الاحتراس من مفهوم ما بعدها، ومعنى أجود الناس: أكثر الناس جودًا، والجود: الكرم وهو من الصفات المحمودة.

وقوله: (فكان أجودُ ما يكون) هو برفع أجود هكذا في أكثر الروايات وأجود اسم كان وخبره محذوف، وهو نحو أخطب ما يكون الأمير في يوم الجمعة. أو هو مرفوع على أنه مبتدأ مضاف إلى المصدر وهو (ما يكون) وما مصدرية وخبره في رمضان والتقدير أجود أكوان رسول الله ﷺ في رمضان، وإلى هذا جنح البخاري في تبويبه في كتاب: الصيام إذ قال: (باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان....)"[1].

قال ابن حجر: "قال الزين بن المنير: وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح: ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعم خيره وبره من هو

---

(١) فتح الباري ٤١/١.

بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ"[١].

قال النووي: "وفي الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان، ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين، وعقب فراغهم للتأثر بلقائهم"[٢].

فقد كان يتضاعف جوده وأفضاله ﷺ في رمضان، لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام، وكثرة مدارسته له كتاب الله، الذي يحث على المكارم والجود، ولا شك أن المخالطة تورث أخلاقًا من المخالِط.

وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة، منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، قال رسول اله ﷺ: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٣].

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء"[٤].

كما قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[٥]، وغيرها الكثير من فوائد الجود في رمضان.

ثانيًا - من صفات الداعية: الجود:

يظهر هذا من قول ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أجود الناس).

---

(١) المرجع السابق ١٣٩/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٤٢٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة ١٧٤٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٤١٧).

(٤) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٠٩ - ٣١١.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣.

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان - عليه الصلاة والسلام - لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يُبَارى، وَصَفَهُ بهذا كلُ من عرفه[(١)].

عن جابر رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ))[(٢)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ عَلَىٰ الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً من لاَ يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ))[(٣)].

وكان جوده ﷺ كله لله عز وجل وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال: إما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى بإسلامه"[(٤)].

فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الجود والسخاء تأسيًا برسول الله ﷺ، قال الشافعي رحمه الله: "أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم"[(٥)].

وصاحب الكرم لا بد أن يكون شديد التوكل، عظيم الزهد، قوي اليقين. ولذلك فإن الكرم مرتبط بالإيمان، ظاهره كرم اليد، ودافعه كرم النفس، وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بقوله: ((المؤمن غِرٌّ كَرِيمٌ، والفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ))[(٦)].

وفي حديث آخر: ((... وَلاَ يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدا))[(٧)].

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص ١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٠٨.

(٥) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣١٥.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٦٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٩).

(٧) أخرجه النسائي ٣١١٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٩١٤).

فالداعية ينبغي أن يكون جوادًا كريمًا، لأن الناس بفطرتهم لا يحبون الشحيح البخيل، وإذا لم تتحقق المحبة لم تتفتح القلوب للاستجابة والاستقبال" [١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مدارسة القرآن في رمضان:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (... وكان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن).

"فدلّ الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة[٢] رضي الله عنها عن أبيها ﷺ أنه أخبرها: ((أن جبريل عليه السلام كَانَ يَعْرِضُ عليه الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذى قُبِضَ)).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣]، أن المدارسة بينه وبين جبريل عليه السلام كانت ليلاً، فدلّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[٤]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٥]، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٧].

---

(١) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٥٠٣ - ٥٠٦.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦، ومسلم رقم ٢٣٠٨.

(٤) سورة المزمل، آية: ٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) سورة القدر، آية: ١.

(٧) سورة الدخان، آية: ٣.

والمؤمن يجتمع له في رمضان جهادان لنفسه؛ جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام. فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما، وُفي أجره بغير حساب"[1].

كما قال النبي ﷺ: ((الصِّيامُ وَالْقُرآنُ يَشْفعانِ لِلْعَبْدِ يقولُ الصّيامُ: رَبِّ إِنّي مَنَعْتُهُ الطّعامَ وَالشّهواتِ بالنّهارِ فَشَفِّعْني فيهِ وَيَقولُ الْقُرآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ باللَّيْلِ فَيَشْفَعانِ))[2].

رابعًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (وكان يلقاه جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن).

إن القرآن الكريم هو كتاب الله والمصدر الأول للدعوة الإسلامية، وفيه وحدة الغناء في جهاد الأرواح والعقول، وفيه ما يأخذ على النفوس أقطارها، وعلى المشاعر طرقها، وفيه ما يزلزل القلوب القاسية ويهزها هزًا لا تبقى معه على قرار... لذلك ينبغي أن يكون هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة الذي يعتمد عليه الدعاة إلى الله قبل الاتجاه إلى مصدر آخر سواه. والذي ينبغي لهم بعد ذلك أن يتعلموا منه كيف يدعون الناس، وكيف يوقظون القلوب الغافلة، وكيف يحيون الأرواح الخامدة؟ إن الذي أوحى بهذا القرآن هو الله. خالق هذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه، الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها[3].

فيجب على الدعاة أن يتبعوا منهج الله في كتابه العزيز ويجعلونه أساس دعوتهم.

وفيه خصائص ومزايا ليست في كتاب غيره على وجه الدنيا. كتاب عظيم ما زال سابقًا للزمان والعصر وسيظل متقدمًا على البيئات والمجتمعات، وسيبقى يتحدى كل العقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣١٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٣، رقم ٢٠٨٠، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) انظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع وإعداد: أحمد فائز، ط/٦، ١٩٧٨م، ١/١٢٤.

قال تعالى في وصف كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

هو الكتاب المجيد، وكلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر. لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. فلا جرم، لزم من رام الاطلاع على كليات الشريعة الغراء، وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها النجباء، أن يتخذه سميره وأنيسه، ويجعله على المدى، نظرًا وعملاً، جليسه. فيوشك أن يفوز بالبغية، ويظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين وفي الرعيل الأول المهتدين، ويشرق في قلبه نور الإيمان، وتطلع في بصيرته شمس العرفان، ويتبوأ في الدنيا والآخرة مكانا عليًا"[3].

كتاب الله المبين الفارق بين الشك واليقين، الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. جعل أمثاله عبرًا لمن تدبرها، وأوامره هدى لمن استبصرها، شرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، كرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، ضرب فيه الأمثال، وقصّ فيه غيب الأخبار، فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ...﴾[4]، خاطب فيه أولياءه ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا، فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه. قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مَنَ النَّاسِ)) قَالُوا: يَا

(١) سورة فصلت الآيتان: ٤١ – ٤٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٢.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ١/٤ – ٥ (المقدمة).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: ((هُمْ أَهْلُ الْقُرآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ))[1]، فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويتذكر ما شُرح له فيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستجيبه. فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيدًا في القيامة على من خالف أهل الملل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾[2].

والقرآن الكريم ينبوع كل خير... ومصدر كل علم... وأصل كل نعمة اختار الله له شهر رمضان ميقاتًا... وكان نزوله فيه فيض رحمة.. وبدء رسالة، وشاهد اصطفاء رسول خاتم الأنبياء والرسل، وبداية أمة هي خير أمة أخرجت للناس، فأنار الله به للذين التزموه الطريق، وتداركهم بلطفه من فناء كاد أن يأخذهم من شتى نواحيهم، ومنحهم به أينما اتجهوا كل صواب وتوفيق، فلا تكاد كل قضية من قضايا الحياة إلا وضح القرآن غياهبها، وكشف أسرارها، وأبرز غامضها، وأجلى جوانبها، وبين أهدافها، وهو صالح لكل زمان ومكان بقدر ما يعطيه المسلمون من عناية واعتبار، بعد أن أسعد الذين ناجوا ربهم بكلامه، وجعلوا قلوبهم أوعية له، ورطبوا ألسنتهم ما استطاعوا تلاوته وأرهفوا أسماعهم لهدايته فلا ينصرفون عنه لسواه ولا يرتضون به بديلاً، ولا يبغون عن أوامره ونواهيه حولا[3].

وقد عالج القرآن المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة، النفسية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجًا حكيمًا، لأنه تنزيل الحكيم الحميد، يضع لكل مشكلة بلمسها الشافي في أسس عامة، تترسم الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود، نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن، وحكومة وأمة، وهو خُلق وقوة ورحمة وعدالة، وهو ثقافة ونظام، وعلم وقضاء، وهو مادة وثروة،

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٢١٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٧٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) القرآن الكريم معجزة وتشريع، عبدالكريم عبدالله نيازي ص ٢٣.

وكسب وغنى، وهو جهاد ودعوة. كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة[١].

والإنسانية المعذبة اليوم في كثير من أصقاع الدنيا المضطربة في أنظمتها المتداعية في أخلاقها، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[٢].

إن المسلمين هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمبادئ الأخرى، فحري بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم، حتى يأخذوا بأيديها إلى شاطئ السلام، وَكَمَا كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي، فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر[٣].

وإنهم ليعلمون أنه حين نزل به الوحي على رسول الله ﷺ اهتدت به القلوب المريضة، واستقام حال الدنيا المعوج، واطمأنت - حين صلحت - تلك النفوس الضالة المنحرفة عن طريق الحق، ومنار الهدى، هدى في كل معضلة، وحل كل مشكلة، ووجه في كل أمر.

وليعلم الجميع أن القرآن الكريم هو أساس الوحدة، وقوام الملة، ولن يستعيد المسلمون مكانتهم إلا بتمسكهم بهذا الكتاب العظيم والسير على هدي محمد ﷺ ولن تأتي القوة ولن يتحقق التمكين الموعود إلا بالعمل على خدمة كتاب الله العزيز وحفظه ونشره وحسن تدبره وصدق العمل به وحينئذ تُظِل العالَمِين رايةُ الإسلام، ويكون الدين كُله لله[٤].

---

(١) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح عبدالله بن حميد، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م، ص ٥ - ٨.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ١٧ - ١٩.

(٤) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح عبدالله بن حميد ص ٨ - ٩.

الحديث رقم (١٢٢٥)

١٢٢٥- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ[١]، وَشَدَّ المِئْزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الشرح الأدبي

تصور أم المؤمنين عائشة " شيئاً من حياة، وتحركات الرسول الكريم ﷺ بهذه الأفعال الماضية الثلاثة " أحيا. . وأيقظ. . وشد " ونبينا الكريم في غنى عن إحياء الليل لأن الله عز وجل – غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر – و لا ذنب له أصلا – ولكنه يفعل ذلك للمزيد من التقرب، والشكر، والعلو، والسمو، والأنس بالله تعالى. وترتيب العبارات في الحديث يدل على دراية بكلام العرب، وخبرة بحياة النبي ﷺ ، ولا عجب في ذلك لأن زوجه " عائشة " هي التي روت الحديث، وأعنى الترتيب في هذه الجمل: " أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر " فبدأ المصطفى بنفسه أولا (أحيا الليل) والفعل " أحيا " استعارة لقيامه لله تعالى، والتعبير بالحياة يشير إلى أن القلوب لن تحيا الحياة الحقيقية الموصولة بالله إلا من خلال طاعتها في جوف الليل بصفة خاصة، وتأتى الجملة الثانية :" وأيقظ أهله " لينالوا من هذا الخير الذي ذاقه واغترف منه، أما قولها: " وشد المئزر " فيعد كناية عن تركه المعاشرة الزوجية في هذه الأيام العشر من رمضان. . وكلمة " المئزر " تطلق على ما يغطى به المرء عورته، وتعد كنايه عن التعفف عن الحلال، والانشغال بطاعة الله تعالى.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) عند مسلم زيادة: (وجدَّ).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧)، وتقدم برقم (٩٩).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الجود والسخاء:

هذا مستمد من قول ابن عباس رضي الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل".

قال النووي: (في هذا الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان)[1] وقال ابن حجر: (وقال النووي في الحديث فوائد: منها الحث على الجود في كل وقت، ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح)[2].

إن التربية على السخاء والجود له فوائد تربوية مهمة "فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إتقانه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فهو بذل ما ينبغي في الأوجه المشروعة. فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قواما.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة وقلة الحرص على جمع المال كان متصلاً بفضائل أخرى، فالسخي في أغلب الأحوال يأخذ بالعفو ويتحلى بالحلم ويجري في معاملاته على الإنصاف فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه، وإذا قضى كان عادلاً فلا تطمع نفسه إلى رشوة، ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي.

ولتجدن السخي بحق متواضعًا لا يطيش به كبر ولا تستخفه الخيلاء، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والقوة، بشدة حرصه على متاع الدنيا، فإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه ولانت عريكته وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم وأن يتطهر من المساوئ والمعايب، فالسخي قريب من كل خير وبر.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٢٦. .

(٢) فتح الباري ٢٦٦/١. .

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة، فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين، حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة في نفوسهم كان جزاؤه من جنس عمله.

وللسخاء أثر في سيادة الأمة، فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها وسعة معارفها وسمو أخلاقها، وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها ومتانة اتحادها وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس[1].

ثانيًا: التربية على الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا:

هذا مستمد من قول ابن عباس رضي الله عنهما "وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن" وفي هذا إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة على مدارسة القرآن الكريم والاعتناء به تلاوة وحفظًا وتدبرًا (فالقرآن الكريم له أثره العظيم في إصلاح النفوس وتزكيتها، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، لذا فقد رأينا أثر الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتدارسه لدى شباب الصحوة اليوم، وهذا مصداق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُم المَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[2].

ونحمد الله تبارك وتعالى أن وفق جيل الصحوة اليوم للاعتناء بالقرآن والتربية عليه، حتى صار حفظه وإتقانه هدفًا يتطلع إليه الشاب ويصرف زهرة وقته في تحصيله، وهذا أمارة تأسي بالسلف الذين كانت لهم عناية بالغة بتعلم القرآن وحفظه.

---

(١) الهمة العالية، ص ١٦٦-١٦٧ ومراجعه.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[١]: فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا[٢].

وقال ابن عبدالبر: (طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدّى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدّى سبيلهم عامدًا ضلّ، ومن تعداه مجتهدًا زلّ، فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وفقهه...)[٣].

وقال محمد بن الفضل بن محمد سمعت جدي - يعني ابن خزيمة - يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلّي بالختمة، ففعلت فلما عيدنا أذن لي.

وقال الإمام النووي: (كان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن)[٤].

ويحكي ذلك عن ابن خلدون فيقول: (اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات)[٥].

ومما ينبغي أن يضاف للاعتناء بحفظ القرآن ما يلي:

١ - الاعتناء بتلاوته والتلذذ بسماعه، وما أجمل أن يطلب الشباب من أحدهم حين يجتمعون في مجلس من مجالسهم أن يتلو آيات من كتاب الله عز وجل، وكذا كان يصنع عمر رضي الله عنه فعن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى أبا موسى رضي الله عنه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده[٦].

---

(١) حزاورة: هو جمع حزور وحزوّر: وهو الذي قارب البلوغ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٦١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٦٦.

(٤) المجموع ١/٣٨.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٥٣٧-٥٣٨.

(٦) أخرجه الدارمي ٣٤٩٣.

٢ - الاعتناء بالتدبر وتعويد الشباب عليه، وتدارس معاني القرآن الكريم.

٣ - الاعتناء بدراسة كتب التفسير وعلوم القرآن وأسباب النزول وغير ذلك مما له صلة بكلام الله عز وجل[1].



(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، ٤٠-٤٢ ومراجعه ومصادره.

٢١٩- باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلاً لمن وصله بما قبله أوْ وافق عادة لَهُ بأن كَانَ عادته صوم الاثنين والخميس فوافقه

الحديث رقم (١٢٢٦)

١٢٢٦- عن أَبي هريرة ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُم رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إلاَّ أنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَومَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث الشريف بنهى المؤمن أن يصوم قبل رمضان بيوم، أو يومين، وقد شدد فى هذا النهى من خلال نون التوكيد الثقيلة في قوله: " لا يتقدمن. .. " ثم يستثنى حاله واحدة وهى إذا وافق صيامه ذلك عادة له، أو نذراً، أو ما إلى ذلك، ولذا جاء بلام الأمر فقال: " فليصم ذلك اليوم " والنهى، والأمر في حديث واحد يدلان على مرونة هذا الدين، ومراعاته لأحوال الإنسان ففي حاله النهى عن الصيام قبيل " رمضان " يريد الرسول ﷺ به أن الفصل بين فرض الله، وبين التطوع حتى لا يختلط على الناس كما أنه بذلك يرفع الحرج عن المسلم حتى يقبل على رمضان بقوة وانشراح صدر، وعزيمة، وفرحة، وفى حاله الأمر بالصيام لمن كانت له عادة أو قضاء يرخص له صيامه حتى يفرح بتمام تطوعه، أو قضاء ما عليه وهو ما أكده الجناس في قوله أو(يصوم صومه) وإضافة الصيام إلى ضمير المرخص له يشير إلى أنها خصوصية لحالته توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤) واللفظ له، ومسلم (١٠٨٢/٢١).

فقه الحديث

قال البسام: (يؤخذ من الحديث النهي عن تقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين، وظاهر النهي التحريم، وحمله كثير من العلماء على الكراهة، فمن حرّمه نظر إلى النهي، ومن كرهه نظر إلى الاستثناء.

قال الترمذي: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان وإن كان رجل يصوم صومًا فوافق صيامه فلا بأس به عندهم[1] أ هـ. كما يؤخذ من الحديث الرخصة في الصيام لمن صادف قبل رمضان له عادة صيام، كصيام يوم الخميس أو الاثنين، وهذه الرخصة بإجماع العلماء)[2].

وممن حمل النهي في حديث الباب على الحرمة الشافعية. قال النووي: (فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام، هذاهو الصحيح في مذهبنا)[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الالتزام بما بينه النبي ﷺ في عبادة الصوم.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر في قول رسول الله ﷺ: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين)، حيث نهى عن تقدم رمضان بالصوم قبله.

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته حيث ينهى

---

(١) بعد الحديث ٦٨٤.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، مج٤/٧/١٦٩-١٧٠ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٢٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٢٧.

المدعوين عما يخالف أحكام الدين وآدابه، وهو يجعل المدعو يستجيب بالبعد عما نُهي عنه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين:

ويظهر ذلك من عموم الحديث حيث قال ﷺ: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم يومه فليصم ذلك اليوم).

قال النووي: "فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له، أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام، هذا هو الصحيح في مذهبنا، فإن وصله بما قبله أو صادف عادة له فإن كانت عادته صوم يوم الاثنين ونحوه فصادفه فصامه تطوعًا بنية ذلك جاز"[1].

قال العيني: " قوله: (لا يتقدمن أحدكم رمضان)، قوله: (إلاَّ أن يكون رجل)، يكون، هنا تامة معناه: إلاَّ أن يوجد رجل يصوم صومًا. (صومه) أي: صومه المعتاد كصوم الورد أو النذر أو الكفارة.

وقال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاختلاط لرمضان، تحذيرا مما صنعت النصارى في الزيادة على ما افترض عليهم برأيهم الفاسد، فكان ﷺ يأمر بمخالفة أهل الكتاب وكان أولاً يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم أمر بعد ذلك بمخالفتهم. فإن قلت: هذا النهي للتحريم أو للتنزيه؟ قلت: حكى الترمذي عن أهل العلم الكراهة، وكثيرا ما يطلق المتقدمون الكراهة على التحريم، ولا شك أن فيه تفصيلاً واختلافا للعلماء، فذهب داود إلى أنه لا يصح صومه أصلاً، ولو وافق عادة له، وذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز أن يصام آخر يوم من شعبان تطوعا إلاَّ أن يوافق صوما كان يصومه، وأخذوا بظاهر هذا الحديث، رُوِيَ ذلك عن عمر بن الخطاب وعلي وعمار وحذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم، ومن التابعين: سعيد بن

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٦٨٣.

المسيب والشعبي والنخعي والحسن وابن سيرين، وهو قول الشافعي، وكان ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما يأمران بفصل يوم أو يومين كما استحبوا أن يفصلوا بين صلاة الفريضة والنافلة بكلام أو قيام أو تقدم أو تأخر، وقال عكرمة: من صام يوم الشك فقد عصى الله ورسوله، وأجازت طائفة صومه تطوعا، روي عن عائشة وأسماء أختها رضي الله عنهما أنهما كانتا تصومان يوم الشك، وقالت عائشة رضي الله عنها: لأن أصوم يوما من شعبان أحب إلي من أن أفطر يوما من رمضان، وهو قول الليث والأوزاعي وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق، وذكر ابن المنذر عن عطاء وعمر بن عبد العزيز والحسن أنه: إذا نوى صومه من الليل على أنه من رمضان ثم علم بالهلال أو النهار أو آخره أنه يجزيه، وهو قول الثوري والأوزاعي وأبي حنيفة وأصحابه.

وقيل الحكمة في هذا النهي التَقَوِّي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو بيومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم، وإنما اقتصر على يوم أو يومين لأنه الغالب ممن يقصد ذلك"[1].

وقال ابن حجر: "والحكمة فيه التقوي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وهذا فيه نظر لأن مقتضى الحديث أنه لو تقدمه بصيام ثلاثة أيام أو أربعة جاز.

قيل: الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض، وفيه نظر لأنه يجوز لمن له عادة كما في الحديث، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم وهذا المعتمد، ومعنى الاستثناء أن من كان له ورد فقد أذن له لأنه اعتاده وألفه وتَرْك المألوفِ شديدٌ، وليس ذلك من استقبال رمضان، ويلتحق بذلك القضاء والنذر"[2].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الالتزام بما بينه النبي ﷺ في عبادة الصوم:

لقد نهى رسول الله ﷺ عن التقدم بصيام يوم أو يومين على رمضان إلا إذا كان له صوم يصومه.

---

(١) عمدة القاري ٢٨٨/١٠.

(٢) فتح الباري ١٥٣/٤.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((صُوموا لِرُؤْيته وأفطِروا لرُؤيته))[١]، فينبغي على المسلم الالتزام بما أمر به الرسول ﷺ في عدم التقدم بصوم يوم أو يومين قبل صيام رمضان إلا من كان يصوم صومه الذي اعتاده. وذلك لنهي رسول الله ﷺ عنه وأمره بالصوم لرؤية هلال رمضان.

فإن الإيمان بالله تعالى يقتضي طاعة رسول الله ﷺ في جميع ما أمر به، وحضّ عليه والانتهاء عن كل ما نهانا عنه وحذرنا منه، وهذا الأثر من أعظم آثار الإيمان به ﷺ فالسعادة والشقاء تترتب على وجود هذا الأثر أو عدمه.

وهذان الأصلان العظيمان هما المحك الحقيقي للإيمان برسول الله ﷺ ولقد ذكرهما مقترنين حتى تتضح الرؤية وتكمل الفائدة متأدبًا بقول الله جل وعلا الذي اشتمل على هذين الأصلين معًا وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

فطاعة رسول الله ﷺ طاعة لله جل وعلا، ومعصيته ﷺ معصية لله جل وعلا ومحبته هي الطريق الموصل لمحبة الله جل وعلا، بل لا يقبل الله تعالى من أحد صرفًا ولا عدلاً إلا باتباعه ﷺ فببعثته تبين الرشد من الغي، والشرك من التوحيد، والصدق من الكذب، والإخلاص من النفاق، واليقين من الشك، وطريق النجاة من طريق النار.

بل ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دلّ الأمة عليه، ولم يبق شر عاجل ولا آجل إلا حذر الأمة منه ونهاهم عنه، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والمؤمنون الصادقون في إيمانهم برسول الله ﷺ يطيعون أمره ويجتنبون نهيه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٠٩، ومسلم ١٠٨٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

الحديث رقم (١٢٢٧)

١٢٢٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَصُومُوا قَبْلَ رَمضَانَ، صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَافْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَابَةٌ فَأكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

غيابة: سحابة[2].

الشرح الأدبي

يبدأ هذا الحديث بالنهى العام أيضاً – عن الصيام قبيل شهر (رمضان) فيقول: " لا تصوموا قبل رمضان " وإسناد الفعل: " لا تصوموا. .. " إلى واو الجماعة يوحى بأن الجميع ملتزم أو يجب أن يلتزم بذلك لتوحيد صفوف الأمة على ما يشعر بوحدتها وعزتها، وقوتها، وتماسكها لاسيما مع توافر الإمكانات العلمية، ووسائل الاتصال التي تجعل الأمة كلها على اتساعها كقرية واحدة، وكذلك الوضع في " صوموا – وافطروا – فأكملوا " فواو الجماعة لا يمكنُ إهمال دورها في هذه الأفعال، وغيرها، وقوله: " فإن حالت دونه غيابة فأكملوا ثلاثين يوماً " فيه إيجاز بالحذف تقديره: (فإن حالت دون رؤية الهلال غيابة في شعبان فأكملوه ثلاثين يوماً ثم صوموا رمضان فإن حالت سحابة دون رؤية هلال شوال فأكملوا رمضان ثلاثين يوماً ثم أفطروا في أول شوال، و لا شك أن هذه الضوابط تدل على أهمية التزام الأوامر، كما تشير إلى وضع الرسول ﷺ لحلول مبكرة لمشاكل مستقبلية ستصادف الأمة يوما حتى يجدوا في كتاب الله، وسنة رسول كل ما يحتاجون إليه في معاشهم، ومعادهم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٦٨٨). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٥٩٤).

(٢) رياض الصالحين ٤٤١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٢٨)

١٢٢٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلاَ تَصُومُوا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في جمله شرطية واحده، وقد بدأها الرسول الكريم " بإذا " والفعل الماضي: " إذا بقى نصف من شعبان. .. " للتدليل على أن الشهور تدور دورتها ولا بد أن يأتي (شهر شعبان) ضمن سير الشهور لأن " إذا " تدل على تحقق وقوع ما يأتي بعدها، والنهى في قوله: " فلا تصوموا " يوحى بالرفق، والشفقة، والنصح للأمه كلها لأنه اسند الفعل إلى واو الجماعة حتى يقبلوا على صيام الفرض في شهر " رمضان " بقوة، وانشراح، وعزيمة، وحب، وهذا أكبر دليل على أن الفرض أهم من النافلة، فلا يجب أن يستهلك المسلم جهده قبيل رمضان في التطوع، فإذا أقبل الفرض المأمور به ضعف عنه، أو استقبله بفتور، وعلى المسلم أن يقدم الأهم على المهم، والأفضل على الفاضل، والله أعلم.

فقه الحديث

الصيام بعد النصف من شعبان:

قال الصنعاني: (الحديث دليل على النهي عن الصوم في شعبان بعد انتصافه ولكنه مقيد بحديث "إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه" كما في الحديث ١٢٢٨)[2].

وذكر النووي أن النهي لا يتعلق كذلك بمن يصله بما قبله صومًا[3]، وقد اختلف

(١) برقم (٧٣٨).

(٢) سبل السلام ٤٣٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠/٧/٤ .

الشافعية في هذا النهي، فقد ذكر النووي أن الصحيح من المذهب الحرمة[1]. وقال الصنعاني: (وذهب كثير من الشافعية إلى التحريم)[2] لكن نقل ابن حجر عن الروياني من الشافعية قوله: (يحرم التقدم بيوم أو يومين لحديث أبي هريرة [١٢٢٦]، ويكره التقدم من نصف شعبان لحديث الباب)[3].

لكن جمهور العلماء ضَعّف حديث الباب وأجازوا الصوم تطوعًا بعد انتصاف شعبان، قال ابن حجر: (قال جمهور العلماء: يجوز الصوم تطوعًا بعد النصف من شعبان، وضعفوا الحديث الوارد فيه، وقال أحمد وابن معين: إنه منكر)[4].

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين الحديثين [١٢٢٦، ١٢٢٨] منهم الطحاوي، فحمل حديث العلاء [١٢٢٨] على من يضعفه الصوم، وحديث الباب [١٢٢٦] مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان، قال ابن حجر: (وهو جمع حسن)[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن صيام النصف الثاني من شعبان.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: التيسير على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن صيام النصف الثاني من شعبان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا). حيث نهى عن صيام النصف الثاني من شعبان.

قال المباركفوري: "قال القاري في (المرقاة): "والنهي للتنزيه رحمة على الأمة أن يضعفوا عن حق القيام بصيام رمضان على وجه النشاط، وأما من صام شعبان كله

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) سبل السلام ٤٣٠، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٠٧/٣.

(٣) فتح الباري ١٢٩/٤ ، وقال الشيخ البسام: "وذهب بعض الشافعية إلى أن النهي للتنزيه [أي الكراهة]" توضح الأحكام ٢٠٧/٣.

(٤) فتح الباري ١٢٩/٤ ، وانظر: المغني ٤٢٧/٤ ، وسبل السلام ص ٤٣٠.

(٥) فتح الباري ١٢٩/٤، وانظر المغني ٤٢٧/٤، وسبل السلام ٤٣٠، ونيل الأوطار ٨٣٩-٨٤٠ .

فيتعود به صيام رمضان، ويزول عنه الكلفة، ولذا قيده بالانتصاف، أو نهى عنه لأنه نوع من التقدم.

وقال القاضي: المقصود استجمام من لا يقوى على تتابع الصيام، فاستحب الإفطار كما استحب إفطار عرفة ليتقوى على الدعاء، فأما من قدر فلا نهي له، ولذلك جمع النبي ﷺ بين الشهرين في الصوم"[(١)].

وقال د. محمد رواس قلعه جي: "ويكون الصيام مكروهًا... في أواخر شعبان لقوله ﷺ: ((إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلاَ تَصُومُوا))"[(٢)].

ويتفي هذه الكراهية أن يصادف ذلك صومًا كان يصومه، أو صومًا واجبًا كصيام نذرٍ أو قضاءٍ ذَكَرَه أو اعتكافٍ في مسجد ونحو ذلك، قال ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَيْنِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْه))[(٣)]. وما ذلك إلا ليتقوى على صيام رمضان[(٤)].

ثانيًا – من أهداف الدعوة: التيسير على المدعوين:

إن الإسلام دين اليسر والتخفيف على المدعوين، ويظهر ذلك في نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن الصوم في النصف الأخير من شعبان.

فهو ينهى عن تعدي الحدود التي ضربها لصيام شهر رمضان، ويحذر من تجاوزها ويصف من تطاول عليها بالخروج على تعاليم الإسلام، وبالعصيان لرسول الإسلام، وما ذلك إلا من أجل الخوف من أن يندرج بعض المسلمين – عن حسن نية – في الزيادة على الواجب في شهر رمضان، طلبًا لمرضاة الله واستزادة لثوابه، فيقعوا في الحرج والمشقة كما قد يوقعون غيرهم – ممن يأتي بعدهم – في ذلك، فتعود المسألة كراهية للواجب بعد أن كان يحمل من عناصر اليسر ما يضمن له الحب، وعجزًا في القيام به بعد ما

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٩٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٣٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٩).

(٣) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة ٢/ ١٢٥٧.

كان يحمل من عناصر التخفيف ما يكفل له دوام العمل به، وضلالاً في الطريق بعد ما كان يحمل من اتساقه مع الفطرة وتناسبه مع القدرة ما يضيء له الدرب ويكشف له عن الهدف المرسوم والغاية المقصودة[1].

ومن ذلك قوله ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ))[2].

وقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: ((مَنْ صَامَ اليوم الذي يُشَكُّ فيهِ فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ))[3].

وهذا يدل على التيسير على المدعوين فإن اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة، وأجمعت الأمة عليه:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[4]. قال ابن عباس: إنما ذلك سمة الإسلام وما جعل الله فيه من التوبة والكفارات.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[5].

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[6].

ومن السنة قوله ﷺ: ((إنِّي أُرْسِلْتُ بحَنِيفيَّةٍ سَمْحَةٍ))[7]. أي السهلة اللينة،

---

(١) انظر: صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٣٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٦).

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٦) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ١١٦/٦، رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي ٣٤٩/٤١.

وقوله ﷺ: ((إِنَّ هذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ))[١].

ويستأنس لذلك بما روي عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في هذا الباب، قول ابن مسعود رضي الله عنه: (إياكم والتنطع، وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق).

أي: الأمر القديم، أي الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وقول إبراهيم النخعي: (إذا تَخَالَجَك أمران فظن أن أحبهما إلى الله أيسرهما)[٢].

(١) أخرجه البخاري ٣٩.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤ - ٢١٤.

الحديث رقم (١٢٢٩)

١٢٢٩- وعن أَبي اليقظان عمارِ بن يَاسِرٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٠٠).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في لافتة قصيرة مدوية تبرق بالتهديد، والوعيد، وقد جاءت في جمله شرطية توضح أن الأولى بالمؤمن أن يبتعد عما فيه شك إلى اليقين الذي لا مرية فيه وهناك ربط بين فعل الشرط، وجوابه، ويتمثل فعل الشرط في قوله: " من صام اليوم الذي يشك فيه " لأنه بصومه هذا يكون قد خالف الأحاديث السابقة التي قد نهت عن هذا الصوم في الأيام المشكوك فيها، ولذا جاء جواب الشرط ليحمّل المخالف نتيجة مخالفته فقال: " فقد عصى أبا القاسم " وأكد المضمون بقد، والفعل الماضي ومن ذا الذي يجرؤ أن يعصى أبا القاسم – صلى الله علية وسلم ؟ إن المؤمن السوي يقول: سمعت وأطعت، ففي هذا الخير، والرضا، والهدى، والتوفيق.. والله اعلم

فقه الحديث

الصوم يوم الشك:

ذهب الحنابلة إلى أن يوم الشك من شهر رمضان هو يوم الثلاثين من شعبان، إذا لم يكن على مَطْلَع الهلال غيمٌ أو قَتَر أو دُخَان ونحوها مما يمنع الرؤية، فهذا هو الشك

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦) واللفظ له. وصحّحه ابن خُزيمة (١٩١٤)، وابن حبان (الإحسان ٣٥٨٥)، وقال الحاكم (٤٢٤/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الذي نهى عن صيامه[١]، فيكره صيامه وأما إذا حال دون الهلال تلك الليلة غيم أو غبار أو دخان أو نحو ذلك، فيجب صيامه حكمًا ظنيًا احتياطيًا)[٢].

قال المرداوي في الإنصاف: (وهو المذهب عند الأصحاب ونصروه وصنفُوا فيه التصانيف، وردوا حجج المخالف وقالوا: نصوص أحمد تدل عليه وهو من مفردات المذهب)[٣].

وذهب الأئمة وجمهور العلماء إلى أن اليوم الذي ليس في منظر هلاله ما يمنع الرؤية، لا يسمى يوم شك، وإنما يوم الشك هو ليلة الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال ما يمنع الرؤية من سحابٍ أو ضباب أو قتام أو دخان أو نحوها. فهذا هو يوم الشك المنهي عن صيامه في حديث عمّار وغيره[٤].

قال الترمذي: (والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس، وعبدالله بن المبارك والشافعي[٥] وأحمد وإسحاق: كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي لا يشك فيه)[٦].

وقال الصنعاني: (والحديث وما في معناه يدل على تحريم صوم يوم الشك، وإليه ذهب الشافعي واختلف الصحابة في ذلك: منهم من قال بجواز صومه ومنهم من منع منه، وعدّه عِصْيانًا، والأدلة مع المحرِّمين)[٧]. وقال الشوكاني: (والحاصل أن الصحابة مختلفون في ذلك وليس قول بعضهم بحجة على أحدٍ، والحجة ما جاءنا عن الشارع)[٨].

---

(١) انظر: المغني ٣٣٢/٤ .

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٨/٣.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٥١٧/١ .

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٩/٣، وانظر: حاشية ابن عابدين ٣٨١/٢، والمنتقى ٧٢/٢، والمجموع ٢٩٣/٦، والمغني ٣٣٠/٤.

(٥) انظر: المجموع ٢٩٢/٦-٢٩٤.

(٦) انظر: المغني ٣٣٠/٤، والمجموع ٢٩٤/٦.

(٧) سبل السلام ٤٠٨ .

(٨) نيل الأوطار ٧٩٨، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٩/٣-١٣٠.

هذا فيما يتعلق بصوم يوم الشكّ بنية رمضان أما لو صامه تطوعًا فقال النووي: (لو صامه تطوعًا بلا عادة ولا وصَلَه [بما قبله] فمذهبنا أنه لا يجوز، وبه قال الجمهور. وحكاه العبدري عن عثمان وعليٍّ وعبدالله بن مسعود وحذيفة وعمّار وابن عباس وأبي هريرة وأنس والأوزاعي ومحمد بن سلمة المالكي وداود. وقال أبو حنيفة: لا يكره صومه تطوعًا ويحرم صومه من رمضان)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من صيام يوم الشك.

ثانيًا: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التحذير من صيام يوم الشك:

يظهر ذلك في قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ.

قال ابن حجر: "استدل به على تحريم صوم يوم الشك لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع. قال ابن عبدالبر: هو مسند عندهم لا يختلفون في ذلك"[2].

قال الطيبي: "إنما أتى بالموصول ولم يقل: (يوم الشك)، مبالغة وإن صوم يوم يشك فيه أدنى شك، سبب لعصيان من كنيته أبو القاسم الذي يقسم بين عباد الله حكم الله بحسب قدرهم واقتدارهم، فكيف بمن صام يومًا الشك فيه قائم ثابت؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3]، أي: إلى الذين أُونِس منهم

---

(١) المجموع ٢٩٤/٣ ، وانظر حاشية ابن عابدين ٣٨١/٢، وحاشية الدسوقي والشرح الكبير ٥١٣/١، وحاشية الصاوي ٦٨٧/١، ومغني المحتاج ١٦٣/٢، والمغني ٣٣٠/٤-٣٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٤٤/٤.

(٣) سورة هود، آية: ١١٣.

أدنى الظلم، فكيف بالظالم المستمر عليه؟[1]. فيتضح من ذلك التحذير من صيام يوم الشك.

فيحرم صيام يوم الشك، وهو اليوم الثلاثون من شعبان، إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو نحوه، وفي هذه الحالة يحتسب هذا اليوم من شعبان، وليس من رمضان، لأن اليقين لا يزول بالشك، ولقوله ﷺ: ((صُومُوا لِرُؤيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابَةٌ أو ظُلمة؛ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالاً، وَلاَ تَصِلُوا رَمَضَانَ بِيَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ))[2].

وإذا كان هذا اليوم من شعبان لم يجز صومه على أنه من رمضان، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صيام هذا اليوم، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (من صام هذا اليوم فقد عصا أبا القاسم)[3].

ثانيًا - من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ:

يظهر ذلك من فعل عمار بن ياسر رضي الله عنهما وقوله، فقد روى أبو إسحاق عن صلة قال: ((كُنَّا عندَ عمارِ بنِ ياسرٍ فأتَى بشاةٍ مصليةٍ فقالَ: كُلُوا، فتنحَّى بعضُ القومِ فقالَ: إني صائمٌ، فقالَ عمارُ بنُ ياسرٍ: منْ صامَ اليومَ الذي يُشَكُّ فيهِ فقد عصَى أبا القاسم ﷺ))[4].

وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الانتهاء عن نهي رسول الله ﷺ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسول الله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[5].

وهذا عقبة بن الحارث رضي الله عنه ورد: أنَّه تَزوَّجَ ابنةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ فأتَتْهُ امرأةٌ

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤٨/٤.

(٢) أخرجه النسائي ٢١٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٠٦٩).

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي ١٢٥٨/٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٦٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٥٣).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

فقالَتْ: إِنّي قد أرضَعتُ عُقبةَ والتي تَزوَّجَ. فقال لها عُقبةُ: ما أعلمُ أَنكِ أرْضعتِني، ولا أخْبَرْتِني. فَركبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بالمَدينةِ، فسألَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((كيف وقد قيلَ؟)) ففارَقَها عُقبةُ، ونَكَحتْ زَوجًا غيرَه"[1]. فينبغي على المسلم أن يحرص على البعد عما نهى رسول الله ﷺ عنه، وعليه أن يحرص على اتباعه والتأسي به فيما جاء به من ربه من الأمور المستقرة، والتي لا يسع أحد الجهل بها؛ لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة؛ نظرًا لتواتر النصوص الدالة على ذلك واستفاضتها، ومن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

قال ابن كثير في تفسيره: "أي مهما أمركم به فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر"[3].

وقال الشوكاني بعد إيراده لبعض الأقوال التي قد يفهم منها أن الآية خاصة بالفيء: "والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو فعل، وإن كان السبب خاصًا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها"[4].

٢- قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[5].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم رسول الله ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٨٨.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) فتح القدير ٢٨٢/٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٥.

يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حَكَمْت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلموا لذلك تسليمًا كليًا، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[1].

ويقول السعدي: "ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله (فيما شجر بينهم) أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف"[2].

٣- عن العرياض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وعظ الناس فقالوا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ. لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا. لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ))[3].

٤- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[4]، قال ابن حجر في شرحه له: "المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني"[5][6].

ثالثًا – من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (... فقد عصى أبا القاسم ﷺ).

حيث رهّب من صوم يوم الشك بأن ذلك يوم سبب لمعصية الرسول ﷺ، ومعصية الرسول ﷺ معصية لله وسبب لعقابه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٩/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٤٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٤١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٥) فتح الباري ٧/٩.

(٦) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل علي البعداني، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ١١٢ – ١١٤.

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

قال ابن كثير: "وقوله: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي: عن أمر رسول الله ﷺ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا ما كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢]، أي: فليحذر من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا أو ظاهرًا، (أن تصيبهم فتنة)، أي: في قلبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، (أو يصيبهم عذاب أليم)، أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك"[٣].

فأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخيف المدعو من عدم الامتثال للدعوة وتجعله يمتثل لما دعي إليه.

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الاستعداد لأفضل العبادتين:

إن رغبة المسلم في الصوم قد تدفعه إلى أن يصوم من شعبان قبل أن يصوم رمضان، رغبة في تحصيل الأجر والفضل، لكن هذه الرغبة قد تؤدي إلى التكاسل في أداء صوم الفرض إذ هو ينشط في بداية صومه، ولكنه قد يصيبه الفتور بعد ذلك، وفي هذا خلل وتفريط فيما هو أهم، فإذا كان قد أدى صوم النفل في شعبان بهمة ونشاط، فإن أدى صوم رمضان - وهو صوم الفريضة - بغير هذه الهمة وذلك النشاط فقد قدم ما هو مهم على ما هو أهم، واعتنى بالنفل على حساب الفرض، وانشغل بما هو أقل رتبة عما هو أعلى رتبة. لذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بصيام نفل إلا أن يكون عادة لصاحبه.

أ - فقد نهى عن الصيام بعد النصف من شعبان.

ب - كما نهى عن تقدم صيام رمضان بصوم يوم أو يومين.

لكي يحفظ على المسلم قوته ونشاطه حتى يؤدي فريضة الصوم كما هو مطلوب، يقول الشيخ البسام: (ولعل من الحكمة أيضًا حصول الاستجمام لصوم رمضان فلا يأتي صومه والمسلم في حال ملل وكسل عن الصيام، وإنما يقبل عليه برغبة وشوق إليه، وهذا التعليل لا ينافي حديثي عائشة وأم سلمة في صيام شعبان كله أو أكثره[1]، فالنفوس على الامتثال على العبادة ليست واحدة، والحكم يكون للغالب)[2].

أي إننا أمام موازنة بين صوم النافلة وصوم الفرض، فإذا حدث تعارض بينهما في درجة الأداء وجودته، وجب توفير النشاط والحيوية لأداء الفرض لأنه المطلوب والواجب، وعلى ذلك نستطيع أن نرصد بعض مظاهر الخلل من هذه الناحية:

أ - الحرص على قيام الليل إلى وقت متأخر من الليل مع أن ذلك قد يؤدي إلى تضييع صلاة الفجر، أو إذا قامَ قامَ كسلان لا يكاد يعي ما يقول ويسمع في صلاته،

---

(١) أما حديث عائشة رضي الله عنها فمتفق عليه: أخرجه البخاري ١٩٦٩، ومسلم١١٥٦، وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها أخرجه الترمذي ٧٣٦، وقال: حديث حسن، وانظر: فتح الباري ١٠٩٧/١ .

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٠٦/٣.

مع أنه يمكن أن يجمع بين الاثنين بأن يقتصد في قيام الليل ليقوم نشيطًا وافر النشاط لأداء صلاة الصبح فإن حدث تعارض قدّم الاستعداد للواجب ووفّر النشاط لأداء الفرض.

ب - انشغال الآباء بالعمل ليلَ نهارَ، لتوفير حياة كريمة لأبنائهم، وإعطاء وقت قصير يقضيه معهم يوجههم ويربيهم ويؤدبهم فيه، وهو في هذا الوقت على قصره يغالبه النوم والنعاس ويرغب أشد الرغبة في الراحة، إنه أنفق معظم جهده خارج البيت حتى إذا جاء ليؤدي مهمته الأولى وهي تربيةُ الأولاد وتأديبُهم قصر فيها أو أداها على عجل أو أجلها حتى ينساها مع مرور الأيام والليالي.

نخلص من هذا كله إلى أنه على المربين أن يربوا من يقومون على تأديبهم وتربيتهم على أن يهتموا بالأهم، ويوفروا نشاطهم وطاقتهم لأدائه، ولا يضيعوا جهدهم وحيوتهم فيما هو أقل درجة ورتبة منه، لأن ذلك طريق تحصيل الخير والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: المداومة على فعل الخير:

لقد نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين واستثنى من ذلك من كان له عادة صيام، مثل من كان يصومُ الخميس أو يصوم الاثنين[1]. والنَّاظر في هذا الاستثناء قد يستنبط منه -والله أعلم- أن فيه حضًّا وترغيبًا في المداومة على فعل الخير والعمل الصالح، فإذا كان هناك نهي عن فعل هذا العمل، فلا ينسحب هذا على من كان عادته، بل يشجع ويرغب في هذا، وذلك وفق ضوابط الشرع وأسسه، وبناء على ذلك فإن على المربين أن يغرسوا المداومة على عمل الخير، "فلقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: ((وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمَهَا وَإِنْ قَلَّ))"[2] وهذا المبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة.

لقد أصبحت الحياة أكثر تعقيدًا مما مضى، فترى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات

---

(١) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٣.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٢.

التي لا تستطيع إنجازها جميعًا خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر، إن المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل"[١].

إن المداومة والاستمرار لها فوائد تربوية مهمة، منها:

١ - المداومة هي السبيل إلى تحقيق المقاصد وجني الثمار، لأن العمل المنقطع لا يكمل أثره، ولا ينضج ثمره، إنه - في بعض الأحوال - كمن يحرث في الماء لا يكاد يجني شيئًا، وهذا يقتضي ضياع كثير من الجهود، واستهلاك للطاقات بما لا يكون مكافئًا من النتائج والثمار.

٢ - المداومة والاستمرار منبع الخيرات وكنز التجارب فهو يؤدي إلى الإتقان الذي يتضاعف به النجاح وتعظم به النتائج.

٣ - المداومة والاستمرار باعث على الحيوية ومثير للحماس ومقوّ للعزيمة وشاحذ للهمة، إذ إن استمرار العمل يحصل به التفاعل والقبول فيكون لذلك أثره في نفس العامل والمداوم.

٤ - الاستمرار والمداومة هما الطريق إلى الابتكار والإبداع[٢].

ثالثًا: التربية على الوقوف عند حدود الشرع:

وهذا يتضح من أحاديث الباب كلها، وذلك على النحو التالي:

أ - النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، أو النهي عن الصوم بعد انتصاف شعبان.

قال البسام: (الحكمة في ذلك -والله أعلم- تمييز فرائض العبادات عن نوافلها والاستعداد لصوم رمضان بنشاط ورغبة، ورجّح ابن حجر أن الحكمة هي أن حكم الصيام معلق برؤية الهلال، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ص ٤١٢.

(٢) انظر: مقومات الداعية الناجح ١٩٣-١٩٥، وانظر كذلك مقال: أدومه وإن قل، عبدالله المسلم، مجلة البيان، العدد ١٢٤، ص ١٢٤-١٢٥.

الحكم، ولعل من الحكمة كراهة التنطع في الدين وتجاوز الحدود التي فرضها الله تعالى)[١].

ب - علّق النبي ﷺ الصوم والإفطار على رؤية الهلال، فإن كان يوم التاسع والعشرين من شعبان في السماء غيمٌ حال دون رؤية الهلال فعلى المسلمين ألا يصوموا ويكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا، ولهذا قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: "من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ".

قال ابن القيم: (كان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد كما صام بشهادة ابن عمر[٢] ... وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام ولا أمر به بل أمر بأن تكمّل عدة شعبان ثلاثين إذا غمّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره)[٣].

أي إن على المسلم أن يكون وقافًا عند حدود الله، يعمل بمقتضاها وبموجباتها ولا يتعداها ولا يتجاوزها، فما حدّه الشرع التزم به وعمل، ولم يتخطه ولو أراد بذلك الخير، وبناء على ذلك فإنه في التربية على هذا عدة فوائد تربوية منها:

أ - التربية على التوسط والاعتدال، دون الغلو والمغالاة والشطط وتكليف النفس من أمرها عسرًا، فإن الشرع جاء بالحنيفية السمحة وجاء برفع الحرج ودفع المشقة، فمن التزم به لم ينزلق إلى هوة التزمت والغلو والتكلف، وهو يظن أنه يحسن صنعًا.

ب - الجمع بين العمل للآخرة والعمل للدنيا، فإذا كان العمل للآخرة لأنها دار المعاد والقرار، فإن العمل للدنيا لأنها دار المعاش والاختبار، أما تجاوز حدود الشرع وعدم الوقوف عندها فإنه يزين للنفس أنها تعمل للآخرة وتجتهد في ذلك على حين أنها في الحقيقة وقعت في هاوية مخالفة أوامر رب العالمين، ولا يعني العمل للدنيا مخالفة

---

(١) توضح الأحكام ١٢٦/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٤٢، وقال محققو زاد المعاد: سنده قوي.

(٣) زاد المعاد ٣٩/٢.

ضوابط الشرع وحدوده، فإن هذا لا يكون، بل يكون في حدود الشرع وضوابطه والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه.

ج - الالتزام بما شرع الله ورسوله وترك ما شرعه الغلاة المتشددون الذين حكموا أهواءهم وجعلوها شرعًا من دون الله، وفي ذلك تحرير للناشئة وغيرهم من أن يتعبدهم غير الله، وتحرير لهم أن يقدسوا ما ليس بمقدس ويعظموا ما ليس بمعظم، وفي ذلك إطلاق لأفكارهم وعقولهم نحو الإبداع والابتكار وفيما ينفع الدين والدنيا ولا يضر بأحدهما أو كليهما.

وبناء على ذلك يجب على المربين أن يغرسوا في نفوس من يقومون على تربيتهم الوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها وعدم تخطيها.



٢٢٠- باب مَا يقال عند رؤية الهلال

الحديث رقم (١٢٣٠)

١٢٣٠- عن طلحة بن عبيد اللهِ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رأى الهِلاَلَ، قَالَ: ((**اللّهُمَّ أهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأمْنِ[1] وَالإيمانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ[2]**)) رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

طلحة بن عبيدالله التيمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢٠٩).

غريب الألفاظ:

أَهِلَّهُ: أظهره وبيِّنه[4].

هِلالُ رشد: هلال هدى[5].

الشرح الأدبي

إن كل حركات النبي ﷺ وسكناته مرصودة، ومرتبطة بذكر من نوع خاص وهذا الذكر يتمثل في الدعاء عند رؤية الهلال في أى شهر من الأشهر العربية واستهلال

---

(١) لفظ الترمذي: (باليمن) بدل: (بالأمن).

(٢) قوله: (هلال رشد وخير) لا يوجد عند الترمذي.

تنبيه: قوله: (هلال رشد وخير) لا يوجد عند الترمذي، وكذا عزاه إليه في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو (ص:٢٧٣) وإلى الدارمي (١٧٣٠) ولفظهما سواء. وأما هذه الزيادة، فقد وردت في رواية أبي سعيد الخدري، أخرجها ابن السني (٦٤٣)، وعن قتادة رفعه أخرجها أبو داود (٥٠٩٢) ولفظهما: (هلال خير ورشد ثلاث مرات، آمنت بالذي خلقك، ثلاث مرات، ثمَّ يقول: الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا).

(٣) برقم (٣٤٥١) وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٨٨). وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات (٣٢٩/٤): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٤) اللسان في (هـ ل ل).

(٥) انظر: المعجم الوسيط ٣٤٦، ودليل الفالحين ١٣٥٩.

الدعاء بقوله: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان..." يشير إلى خير الدنيا، والآخرة لأن طلب الأمان ضمان لسعادة الدنيا لشموله لكل ما يحتاج الإنسان إليه في الدنيا، وسؤال الإيمان ضمان لسعادة الآخرة يدل على التوحيد الخالص؛ لأنه نادى رب العزة — جل في علاه — ولما كان قريباً منه حذف أداة النداء، وعوض عنها بالميم المشددة في "اللهم" وطلب من الله تعالى "الأمن، والإيمان" لأهميتها في حياة الفرد والجماعة وهما يؤديان إلى ما بعدها حيث "السلامة، والإسلام" فالأمن يجعل الإنسان سالماً من الذعر، والشرور والمخاطر، و"الإيمان" يؤدى إلى الإسلام لأنة لا يستقر إلا في القلب، وقوله: "ربى وربك الله" يفيض بالعبودية لله وحده لا شريك له التي اصطبغت بها ربوع الكون، فهو الذي خلق الهلال والشمس والكواكب وكل الكائنات وقوله "هلال رشد وخير" يوحى بأن الهلال يرشدنا إلى أوائل الشهور الخاصة بالصوم والحج، وهذا خير كثير للناس جميعاً كما أنه يرشدنا إلى مضى من العمر، وينبه إلى اغتنام ما بقي قبل إن ينقضي، ثم يأتي شاهدا على الإنسان يوم القيامة.

فقه الحديث

قال النووي في المجموع: (يستحبّ أن يدعو عند رؤية الهلال بما رواه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال ... فذكر حديث الباب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رؤية الهلال.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء بما ورد عنه من أدعية عند رؤية الهلال.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمن، والسلامة، والإيمان.

---

(١) المجموع ٢٧٢/٦-٢٧٤ ، وانظر الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١٨ ط مكتبة الصفا، وانظر كذلك: المغني ٣٢٨/٤ .

خامسًا: من أهداف الدعوة: إخلاص العبودية لله وحده.

أولاً من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن ... إلخ الحديث" حيث أخبر عن قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة في تبليغ الدعوة، حيث إن الداعية يخبر به المدعوين عن دعوته وكذلك المدعو بعد وصول الدعوة إليه واهتداؤه إلى الحق يخبر بالدعوة غيره من المدعوين حتى يعم النفع والخير للجميع وتعلم أمور الدين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: رؤية الهلال:

يظهر ذلك في قول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا... إلخ الحديث".

قال الطيبي: (قوله: "أهله" روي بالفك والإدغام، قال القاضي البيضاوي: الإهلال في الأصل رفع الصوت، نقل منه رؤية الهلال، لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، ولذلك سمي الهلال هلالاً، ثم نقل منه إلى طلوعه، لأنه سبب لرؤيته، ومنه إلى اطلاعه، وفي الحديث بهذا المعنى، أي: اطلعه علينا، وأرنا إياه مقترنًا بالأمن والإيمان[1].

ورؤية الهلال من الأشياء التي شغلت الناس وأثارت تساؤلهم وقد حكى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة:١٨٩] قال ابن كثير: (قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة، فنزلت هذه الآية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ يعلمون بها حلَّ دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حَجّهم.

وقال أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لم خُلِقت الأهلة فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ يقول جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارِهم، وعِدّةَ نسائهم، ومحلَّ دينهم.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥/١٦٨-١٦٩.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله جَعَل الأَهِلَّةَ مواقيتَ، فإذا رَأَيْتُمُوْهُ فَصُوْمُوا وإذا رَأَيْتُمُوْهُ فأفطِرُوا، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدِرُوا لَهُ، أَتِمُّوهُ ثلاثينَ))[1].

وعن قيس بن طلق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله عزّ وجلَّ جعلَ الأهِلَّةَ مَواقيت للنَّاسِ، صُومُوا لرُؤْيَتِهِ وأَفْطِرُوا لرُؤيَتِه، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ أتِمُّوا العِدَّةَ))[2].[3]

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ بالدعاء بما ورد عنه من أدعية عند رؤية الهلال:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال دعا بهذا الدعاء.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: وفيه تنبيه أن الدعاء مستحب، لا سيما عند ظهور الآيات، وتقلب أحوال النيرات)[4].

وقال سليم الهلال: (فيه استحباب قول هذا الدعاء عند رؤية الهلال من كل شهر)[5].

وقد بوّب ابن حبان بابًا بعنوان: ذكر ما يقول المرء إذا رأى الهلال أول ما يراه، جاء فيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إذَا رَأَى الْهِلالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأَمْنِ والإيمَان، والسَّلامَةِ والإسْلام، والتَّوْفِيقُ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ))[6].

وقد بوب أبو داود بابًا بعنوان: باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال، ورد فيه عن قتادة رضي الله عنه أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: ((هِلَالٌ خَيْرٍ وَرُشْدٍ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٢٣/١ رقم ١٥٧٩ وقال: حديث صحيح الإسناد على شرطهما.

(٢) أخرجه أحمد في مسند ٢٣/٤ رقم ١٦٢٩٤ وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ١٨٢/٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٢/١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/٥.

(٥) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣٦٨/٢.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم ٨٨٨ وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: الْحَمْدُ لله الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا))[(١)].

فيستحب للمدعو الاقتداء برسول الله ﷺ بالدعاء عند رؤية الهلال بما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية عند رؤيته ﷺ للهلال.

وذلك لأن المسلم ينبغي عليه أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٢)] قال ابن كثير: أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر[(٣)].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[(٤)].

إن رسول الله ﷺ هو القدوة للأمة ومعلمها جميع شؤون دينها من عبادة وأذكار ودعاء وغيره، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[(٥)].

فينبغي الاقتداء به ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وشمائله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الأمن والسلامة والإيمان:

ويظهر ذلك في دعاء النبي ﷺ عند رؤيته الهلال: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام...".

قال الطيبي: لما قدم في الدعاء قوله: "الأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام" طلب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٩٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٠٨٩).

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥١، ١٥٢.

في كل من الفقرتين دفع ما يؤذيه من المضار، وجلب ما يرفقه من المنافع، وعبر بـ"الإيمان والإسلام" عنها دلالة على أن نعمة الإيمان شاملة للنعم كلها، ومحتوية للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها؛ فدل هذا على عظم شأن الهلال حيث جعله وسيلة لهذا المطلوب [١]. فإن الأمن والسلامة من نعم الله التي يجب شكرها ودعاء الله بأن تبقى وتجدد وهذه النعم تتحقق وتستقر بالإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ.

قال د. يوسف القرضاوي: الإيمان مصدر الأمان: فالناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، لم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرّط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

دعا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتم التي دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقد عقب الله على ذلك حاكمًا بين الفريقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣].

وفسر النبي ﷺ الظلم في هذه الآية بالشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤] فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالي يكون الجحود بالله أو الشك فيه، أو الشرك بالله أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب. وصدق

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

الله إذ قال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[١][٢].

فبنظرة عامة إلى الأمن والسلامة نجد أنهما مرتبطان بالإيمان بالله وأداء حقوقه، وتنفيذ شرعه ونظامه، بما فيه من حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم.

وإذا تحقق الأمن والسلامة بوجود الإيمان كان ذلك من أكبر النعم التي ينبغي أن يشعر بها المسلم وأن يتوجه إلى الله بالدعاء إلى حفظها.

خامسًا - من أهداف الدعوة: إخلاص العبودية لله وحده:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ربي وربك الله".

قال ابن علان: (أي: كلانا مربوبان له، نافذ فينا أمره، لدفع توهم أن الهلال بذاته له إحداث نفع أو ضر، بل هو تحت الأقدار كغيره من المكونات)[٣].

إن إخلاص العبودية لله وحده حق له تعالى على عباده، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: ((بَينا أنا رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العباد على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العباد على اللّه أن لا يُعذِّبهم))[٤].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥١.

(٢) الإيمان والحياة، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) دليل الفالحين ١٣٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٦٧، ومسلم ٣٠.

وقد بيّن له الرسول ﷺ أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا: كلمة جامعة لم تترك من الدِّين صغيرة ولا كبيرة. فعبادته الخضوع له والتذلل. وذلك بطاعته فيما أمر ونهى فنؤمن برسوله ونصدق بكتابه، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، ونهذب نفوسنا ونصح أجسامنا بالصيام، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ونحسن عشرة الناس، ونصدق في معاملتهم، ونخالقهم بخلق حسن، ونقف عند ما شرع الله، لا نتعدّى حدوده. ولا نتجاوز رسومه، ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مماهو اعتداء على النفس، أو المال أو العرض أو إضرار بالخلق. وأساس ذلك علم بكتاب الله، وبما احتواه، وهذا بتلاوته وتدبره ودراسته وتفهمه. أما توحيده وعدم الإشراك به فأن نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر. وأن من دونه لا يملك ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله سواء أكان ملكًا مقربًا؛ أو نبيًا مرسلاً، أو وليًا عابدًا؛ ومن توحيده أن تكون الأعمال خالصة لوجهه؛ لا يشوبها خداع ولا رياء ولا تدليس ونفاق، وألا ندعوا معه غيره، أو نقدم إلى غيره القرابين أو نسوق النذور، أو نتخذه وسيلة إليه؛ فإن كل ذلك شرك ينافي مقام التوحيد، ثم سأل رسول الله ﷺ معاذًا عن حق العباد على الله، وما وعدهم به؛ وكتبه لهم على نفسه؛ إذا هم عبدوه حق عبادته وأخلصوا له الدين، وأسلموا الوجوه، وعمروا القلوب بتوحيده، وطهروها من دنس الإشراك. فقال له مثل مقالته الأولى: الله ورسوله أعلم، فقال له الرسول ﷺ: حق العباد على الله ألا يعذبهم. وكيف يعذب من توفر على طاعته، وكان عبده السميع، تقرع أذنه آيُ الوحي فإذا به قد مثلها في عمله، وأظهرها في خلقه، ويسمع هدي الرسول ﷺ فإذا به قد اتخذه إمامًا وقدوة: وهاديًا وأسوة؛ كيف يعذب ذا النفس العالية، الطاهرة النقية، التي لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره، ليس بها نكتة من دنس أو شرك، بل كيف لا يسبغ نعمته، ويدخل جنته عباده المقربين، وجنده المخلصين، وهو البر الرحيم؛ وأكرم الأكرمين ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1][2].

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٨٤-١٨٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالأحداث:

رأى الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه النبي ﷺ يدعو عند رؤيته هلال شهر جديد، أو أخبر طلحة من رأى النبي ﷺ يفعل ذلك، والهلال حدث يحدث في الشهر مرة واحدة، وفي السنة اثنتي عشرة مرة، فكان هذا -فيما نرى- من قبيل التربية بالحدث، وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يفيدوا من الأحداث ويستثمروها في التربية، لأن لها ثمارًا طيبة تفوق ثمار التربية بالأقوال في كثير من الأحيان (فمن السهل أن نحدث الناس كثيرًا عن معانٍ عدة، وأن ننظّر لجوانب متعددة، لكن ذلك وإن أثّر فإن أثره يبقى باهتًا محدودًا.

أما النبي ﷺ فمع توجيهه لأصحابه في كل موطن إلا أن تربيته كانت تتم من خلال الأحداث، فكان يضع الناس في الموقع والميدان ويأتي التوجيه حينها فمن ذلك:

أ - يشكو إليه الحال أبوبكر رضي الله عنه وهما في الغار، فيقول ﷺ: ((ما ظنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثهما))[1].

ب - ويسأله رجل في الميدان والمعركة: أرأيت إن قُتِلْتُ؟ فيجيبه إجابة تصل إلى شغاف قلبه فيتقدم حتى يستشهد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: ((قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحد: «أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأينَ أنا؟ قال: في الجنة. فألقى تمراتٍ في يدِهِ، ثمَّ قاتلَ حتى قُتِل))[2].

ج - ويوصي عليًا رضي الله عنه بالدعوة ويذكره بفضلها وذلك حين بعثه داعيًا إلى الله مجاهدًا في سبيله، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: ((لأُعطِينَّ الرايةَ غدًا رجلاً يَفتحُ اللهُ على يديهِ يُحِبُّ اللهَ ورسولَه ويُحبُّه اللهُ ورسولُهُ. فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٤٠٤٦، ومسلم ١٨٩٩.

في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَراَ كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ، فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا، فقال: انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهديَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[1].

أترى أن تلك التوجيهات لو تلقاها أصحابه وهم جالسون قاعدون في بيوتهم ستترك أثرها؟

إن مثل هذه التربية هي التي خرجت الجيل الجاد العملي الذي لم يتربَّ على مجرد التوجيه الجاف البارد، وإنما كان يعيش العلم والعمل معًا)[2].

ثانيًا: سؤال الله خير ما عند المخلوقات والاستعاذة من شرها:

لما رأى النبي ﷺ الهلال دعا الله فقال: "اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام".

لقد سأل النبي ﷺ الله أن يكون الشهر الذي أوله الهلال شهرًا يشعرون فيه بالأمن لا يعانون من الخوف والقلق والاضطراب، وأن يأتوا فيه من الأعمال الصالحة ما يُزيد الإيمان ويُغليه، وأن يسلموا من الآفات والأضرار فتسلم لهم أبدانهم وصحتهم وأموالهم وأولادهم وأهلوهم. والمقصود أن النبي ﷺ سأل معظم الخير أو كله كل شهر، وهذا يلزم عنه أنه سأله طوال العام، وهذا بدوره يدل على أنه سأله طول العمر.

إن الهلال علامة للشهر، والشهر وقت للأحداث والأفعال، فإذا سأل النبي ﷺ أن يُهل الهلال بالخير، فمعنى ذلك أنه سأل أن تكون الأعمال والأوقات والأفعال والأزمان طيبة يملؤها الخير والصلاح.

ولنذكر حديثًا وجّه النبي ﷺ إلى مثل هذا التوجه، فقال: ((إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ))[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

(٢) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٣-٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢١٦٠، وابن ماجه ٢٢٥٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣١٧ الحديث ٧٢١.

وبناء على ذلك فإن على المربين أن ينشئوا الناشئة وغيرهم على هذا الدعاء وذلك السؤال لله رب العالمين، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - تعويدهم على الالتجاء إلى الله والوقوف ببابه خاضعين خاشعين سائلين الخير والنفع، فهو على كل شيء قدير بيده الخير، والشر ليس إليه.

ب - إرشادهم إلى أنهم ما داموا يسألون خير ما في المخلوقات والموجودات، إرشادهم أنفسهم إلى أن يكونوا هم مصدر خير ومنبع نفع للناس والخلق والمخلوقات؛ فإن من سأل الخير عليه أن يكون أول الفاعلين له المتلبسين به.

ج - تربيتهم تربية جمالية تجعلهم يرون الجمال الحقيقي في صنع الله الذي أحسن كل شيء صنعًا، ومن ثم يدفعهم هذا إلى أن يحافظوا على هذا الجمال ويعملوا على زيادته ما دام الأمر في حدود الشرع وضوابطه.

وهكذا فإن الإنسان لا يعيش بمفرده في هذا الكون الفسيح، وإنما يعيش معه ما لا يحصى من الكائنات والمخلوقات، وهو يتأثر ببعضها ويؤثر فيها، فعليه إن أراد سكينة وهدوءًا وأمنًا وطمأنينة أن يتوجه إلى الله ويسأله خير ما عند هذه المخلوقات وأن يجنبه شر ما فيها، وهذا يكون للمربي وأتباعه ممن يقوم على تربيتهم على حد سواء.

ثالثًا: التربية على أن كل ما في الكون خاضع لله رب العالمين:

لقد خاطب النبي ﷺ الهلال لما رآه في السماء قائلاً: "ربي وربك الله" فأعلن ﷺ في هذا المقام عبوديته لله رب العالمين، وقدّم ذلك ثم ثنى بأن أثبت عبودية الهلال لله رب العالمين، فهو خلق من خلقه، يسير بأمر الله، والسؤال هنا: لماذا وجّه النبي ﷺ الخطاب للهلال مع إثبات العبودية؟ لعل في الجواب عن ذلك يتضمن بعض الفوائد التربوية:

أ - إعلان الخضوع لله رب العالمين، وأنه النافع الضار، فلا ينفع ولا يضر الهلال إلا بأمر من الله، وفي هذا تجريد للتوحيد وتربية للناشئة على إخلاص التوحيد لله رب العالمين، فلا يتوجهون إلا إليه فلا يتوجهون إلى شجر أو حجر أو نجم أو شمس أو قمر، لأن كل ذلك مخلوقات لله خاضعة لله عابدة له.

ب - الاعتزاز بالعبودية لله رب العالمين والعمل على تحقيقها بكل طريق ممكن في كل وقت وفي كل مكان وفي كل نفس يخرج من الإنسان، فإذا كان الهلال عابدًا

لله جبلة واضطرارًا، فإن الإنسان عليه أن يحقق العبودية اختيارًا، حتى يكون متسقًا مع الكون الذي أعلن العبودية لله فلا يخرج عن هذا بل ينتظم في هذا الشرف وهذا العز عز العبودية لله رب العالمين.

وعلى ذلك يجب تربية الناشئة وغيرهم على أن كل ما في الكون خاضع لله رب العالمين، حتى يخضعوا هم أنفسهم ويحققوا العبودية الخالصة.

رابعًا: التربية على التفاؤل:

لقد ختم النبي ﷺ حديثه بقوله: "هلال رشد وخير" فقد ختم النبي ﷺ الحديث بهذه الجملة التي تحمل روح التفاؤل: أن يكون هلال هذا الشهر فيه الرشد والخير، فبعد أن دعا عز وجل وأعلن عبوديته وعبودية الهلال لله تعالى، تفاءل بأن يكون في هذا الشهر الخير والرشد، وفي هذا إرشاد للمربين أن يكونوا متفائلين وأن يغرسوا في نفوس من يربونهم روح التفاؤل، لما لذلك من آثار إيجابية جدًا في حياتهم، (فإن مما يبعث الهمة ويدعو إلى إطراح الكسل وإلى الإقبال على الجدّ والعمل التفاؤل.

فإذا عمل المرء ما في وسعه، واستنفذ جهده وطاقته، فليثق بأن ربه لن يخذله، ولن يضيع عمله، وليحذر من اليأس والقنوط والتشاؤم، فإنها من أشد المثبطات وأكبر المعوقات وهذا المذهب المهين، وهو اليأس والقنوط والتشاؤم، لا يعرفه الإسلام، ولا يرتضيه لأهله، بل يحذر منه أشد التحذير، ويبيّن أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرًا، ثم إن المتفائل واسع النظرة فسيح الصدر عالي الهمة، موفور النشاط، بخلاف المتشائم فهو فاتر الهمة، ثقيل الظل متبلد كسول لا تحدوه غاية ولا يدفعه هدف، بل يعيش في عالم الأحلام والأوهام والخيال، ويشعر دائمًا بالخيبة والخذلان، ويسيء ظنه بالآخرين، ولا ينظر إليهم إلا بعين الشك والريبة، فهو مغلق النفس ضيق الصدر يتقد حسدًا ويحترق غيرة وكمدًا، لعجزه عن الرقي في المكارم، ولقلة بحثه عن العوامل التي سببت له هذا المزاج الأسود، ولقلة سعيه في علاج ذلك المرض العضال، الذي قعد به وحط من قدره، فعاش على هامش الحياة صغير الشأن خامل الذكر)[1].



(١) الهمة العالية ٢١١ ومصدره.

٢٢١- باب فضل السحور وتأخيره مَا لَمْ يخش طلوع الفجر

الحديث رقم (١٢٣١)

١٢٣١ - عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((تَسَحَّرُوا؛ فَإنَّ في السُّحُورِ بَرَكَةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يتكون الحديث من أربع كلمات في غاية البلاغة، وقد بدأه الرسول الكريم بالفعل الطلبى: " تسحروا " وأسنده إلى واو الجماعة لأهميته بالنسبة للجميع، وتشديد الحاء في الفعل نفسه يوحى بأهمية تكرار السحور في كل الليالي التي ينوى فيها المؤمن صيام نهارها. وقوله (فإن في السحور بركة) تعليل للأمر السابق، وترغيب فيه، وقد أكد النبي ﷺ مضمون الجملة بإن واسمية الجملة، وكلمة: " بركة " كلمة موحية، وفيها حث ضمني على التسحر، والإقبال علية؛ لأنه لا يوجد مؤمن إلا، ويجب أن يكون طعامه مباركاً، وصيامه، وعمله كذلك، والبركة شيء خفي لا يرى ولكنه الذي يرى منها آثارها، ولن يذوق المؤمن طعمها إلا إذا عمل بما دله عليه رسول الله ﷺ، وأيقن به.

فقه الحديث

قال النووي: (أجمع العلماء على استحباب السحور وأنه ليس بواجب)[2] وقال ابن

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥/٤٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٧٤).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٩/٧/٤ .

قدامة: (واستحباب السحور لا نعلم فيه بين العلماء خلافًا)[١].

وقال النووي: (قال ابن المنذر في "الإشراف": أجمعت الأمة على أن السحور مندوب إليه، مستحبّ لا إثم على من تركه)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السحور.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تأخير السحور.

ثالثًا: من آداب الداعية: استغراق العبادة للأوقات.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مخالفة المسلمين لأهل الكتاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل السحور:

هذا واضح من الأحاديث وقد جاء في الموسوعة الفقهية: "السحور سنة للصائم وقد نقل ابن المنذر الإجماع على كونه مندوبًا، لما روى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً))[٤]. وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ))[٥]، ولأنه يستعان به على صيام النهار وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم في الندب إلى السحور فقال: ((اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ. وَبِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ))[٦].

وكل ما حصل من أكل أو شرب حصل به فضيلة السحور؛ لحديث عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ

(١) المغني ٤/٤٣٢ .

(٢) المجموع ٦/٢٦٢ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٢٣١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٢٣، ومسلم ١٠٩٥.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٩٦.

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٦٩٣، وضعّفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٧٣).

السَّحَرِ))[١]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ فَلا تَدَعُوهُ ولَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنّ الله - عَزَّ وجلَّ - وملائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على المُتَسَحِّرِينَ))[٢] وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((نِعْمَ سَحُورُ المُؤْمِنِ التَّمْرُ))[٣][٤] وبيّن ابن حجر أوجه البركة في السحور فقال: (إن البركة تحصل بجهات متعددة، وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوي به على العبادة والزيادة في النشاط ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام. قال ابن دقيق العيد[٥]: هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية فإن إقامة السنة يوجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم. قال: ومما يعلل به استحباب السحور، المخالفة لأهل الكتاب لأنه ممتنع عندهم، وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجور الأخروية)[٦].

وقال ابن عثيمين: (السحور حث عليه النبي ﷺ بقوله وأيده بفعله... وبيّن أن في السحور بركة، فمن بركة السحور: امتثال أمر النبي ﷺ، وامتثال أمر النبي ﷺ كله خير، كله أجر وثواب. ومن بركته أنه معونة على العبادة فإنه يعين الإنسان على الصيام، فإذا تسحر كفاه هذا السحور إلى غروب الشمس، مع أنه في أيام الإفطار يأكل في أول النهار وفي وسط النهار وفي آخر النهار. ويشرب كثيرًا، فينزل الله البركة في السحور، يكفيه من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن بركته أنه

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٩٦.

(٢) أخرجه أحمد ١١٠٨٦/١٧ وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٥٥).

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧٠/٢٤.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٣.

(٦) فتح الباري ١٤٠/٤، وانظر شرح صحيح مسلم ٢١٩/٧/٤، .

يحصل به التفريق بين صيام المسلمين وصيام غير المسلمين؛ لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر، أما المسلمون -ولله الحمد- فيأكلون في السحر في آخر الليل. والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع)[١].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (البركة الحاصلة من السحور ما فيه من امتثال الأمر الشرعي، فطاعة الله تعالى هي امتثال أمره واجتناب نهيه. ومن بركته أن الأكل للتقوّي على الصيام، وطاعة الله تعالى وعبادته، ومن بركته أن السحور يعطي الصائم قوة لا يمل معها الصيام، بخلاف من لا يتسحر، فإنه يجد مشقة تثقل عليه الصيام والعبادة، ومن بركة السحور أنه يكون سببًا للانتباه من النوم في وقت السحر الذي هو وقت الاستغفار والدعاء، وفيه ينزل الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا، ينادي عباده ليسألوه مطالبهم ورغباتهم.

ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة وفي وقتها الفاضل، ولذا تجد المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم في غيره من الشهور، لأنهم قاموا من أجل السحور)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تأخير السحور:

هذا واضح من حديث زيد بن ثابت: ((تسحَّرنا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قالَ: ثُمَّ قامَ إلى الصلاةِ، قلتُ: كَمْ كانَ بينَ الأذانِ وبينَ السحورِ؟ قالَ: قدرُ قراءةِ خمسينَ آيةً)).

قال النووي: (فيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر)[٣]. وقال ابن دقيق العيد: (وفيه دليل استحباب تأخير السحور وتقريبه من الفجر، والظاهر أن المراد بالأذان هنا: الأذان الثاني، وإنما يستحب تأخيره، لأنه أقرب إلى حصول المقصود من حفظ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٠١/٢.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٧/٣، وانظر: المفهم للقرطبي ١٥٥/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٠/٧/٤ وانظر فتح الباري ١٣٨/٤، .

القُوَى، ولأرباب الباطن في هذا كلام تشوفوا فيه إلى اعتبار معنى الصوم وحكمته، وهو كسر شهوة البدن والفرج، وقالوا: إن من لم تتغير عليه عادته في مقدار أكله لا يحصل له المقصود من الصوم. وهو كسر الشهوتين، والصواب - إن شاء الله - أن ما زاد في المقدار حتى تعدم هذه الحكمة بالكلية لا يستحب، كعادة المترفين في التأنق في المآكل والمشارب وكثرة الاستعداد فيها، وما لا ينتهي إلى ذلك فهو مستحب على وجه الإطلاق)[١].

وقال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: كان ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضًا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم، فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر. وقال: فيه أيضًا تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام، ولو ترك لشق على بعضهم ولا سيما من كان صفراويًا، فقد يغشى عليه فيفضي إلى الإفطار في رمضان)[٢].

وقال ابن عثيمين: (وينبغي أن يؤخر السحور إلى قبيل طلوع الفجر، ولا يتقدم، لأن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَزالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وَأَخَّرُوا السَّحُورَ))[٣]. وقد بين زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة، ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية، خمسون آية من عشر دقائق إلى ربع ساعة، إذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة - أو دون ذلك - وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر)[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب جمهور الفقهاء إلى أن وقت السحور ما بين نصف الليل الأخير إلى طلوع الفجر. ويسن تأخير السحور عند جمهور الفقهاء ما لم يخش طلوع

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢١٣.

(٢) فتح الباري ١٣٨/٤، .

(٣) أخرجه أحمد ١٧٢/٥، رقم ٢١٥٠٧/٣٥ من حديث أبي ذر رضي الله عنه وضعفه محققو المسند ٣٩٩/٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤٠٢/٢.

الفجر الثاني لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[1] والمراد بالفجر في الآية: الفجر الثاني. لقول النبي ﷺ ((لا يَمْنَعْكُمْ من سُحورِكم أَذانُ بلالٍ ولا الفَجْرُ المُستَطِيلُ، ولكِن الفَجْرُ المُستَطِيرُ في الأفق))[2]، ولقوله ﷺ: ((لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ، وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ))[3] ولأن المقصود بالسحور التقوي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم)[4].

ثالثًا - من آداب الداعية: استغراق العبادة للأوقات:

هذا يفهم من قول زيد بن ثابت رضي الله عنه جوابًا على سؤال: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية، قال ابن حجر: (قال المهلب وغيره: فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور، فعدل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة، إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة. ولو كانوا يقدرون بغير العمل لقال مثلاً: قدر درجة أو ثلث أو خُمُس ساعة. وقال ابن أبي جمرة: فيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة)[5].

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ((أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللّٰهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ))[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٩٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٢/٥، رقم ٢١٥٠٧، وضعفه محققو المسند ٣٩٩/٣٥.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧٠/٢٤-٢٧١.

(٥) فتح الباري ١٣٨/٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٨٦.

وقد قال الله تعالى عن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

قال الطاهر بن عاشور: ("ويذكرون الله" إما من الذكر اللساني وإما من الذكر القلبي، وهو التفكير، وأراد بقوله "قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم" عموم الأحوال أي الشغل والراحة وقصد النوم، وقيل أراد أحوال المصلين: من قادر وعاجز وشديد العجز، وسياق الآية بعيد عن هذا المعنى. وقوله "يتفكرون في خلق السموات والأرض" عطف مرادف إن كان المراد بالذكر فيما سبق التفكير، وإعادته لأجل اختلاف المتفكر فيه، أو هو عطف مغاير إذا كان المراد من قوله "يذكرون" ذكر اللسان. والتفكير عبادة عظيمة. وروى ابن القاسم عن مالك في "جامع العتيبة" قيل لأم الدرداء: ما كان شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكير، قيل له: أترى التفكير عملاً من الأعمال؟ قال: نعم هو اليقين... ويجوز عندي أن يكون قوله "ربنا ما خلقت هذا باطلاً" حكاية لتفكرهم في نفوسهم، فهو كلام النفس يشترك فيه جميع المتفكرين لاستوائهم في صحة التفكر، لأنه تنقل من معنى إلى متفرع عنه. وقد استوى أولو الألباب المتحدث عنهم هنا في إدراك هذه المعاني، فأول التفكير انتهج لهم أن المخلوقات لم تخلق باطلاً، ثم تفرع عنه تنزيه الله وسؤاله أن يقيهم عذاب النار، لأنهم رأوا في المخلوقات طائعًا وعاصيًا، فعلموا أن وراء هذا العالم ثوابًا وعقابًا، فاستعاذوا أن يكونوا ممن حقت عليه كلمة العذاب وتوسلوا إلى ذلك بأنهم بذلوا غاية مقدروهم في طلب النجاة إذ استجابوا إلى منادي الإيمان، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، وسألوا غفران الذنوب وتكفير السيئات والموت على البر إلى آخره ... فلا يكاد أحد من أولي الألباب يخلو من هذه التفكرات وربما زاد عليها، ولما نزلت هذه الآية وشاعت بينهم، اهتدى لهذا التفكير من لم يكن انتبه له من قبل، فصار شائعًا بين المسلمين بمعانيه وألفاظه)[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤/١٩٦-١٩٧.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مخالفة المسلمين لأهل الكتاب:

هذا واضحٌ في حديث عمرو بن العاص ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" قال ابن عثيمين: (يعني السحور، لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر، أما المسلمون -والله الحمد- فيأكلون في السحر في آخر الليل، والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع)[١].

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس ﵄ قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[٢].

قال النووي: (قال بعض العلماء: ولعلّ السبب في صوم التاسع مع العاشر ألا يتشبه باليهود في إفراد العاشر وفي الحديث إشارة إلى هذا)[٣].

وقد رُوي عن النبي قوله ﷺ: ((صُومُوا يومَ عَاشوراءَ، وخَالِفُوا فيهِ اليهودَ، صُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أو يَوْمًا بَعْدَهُ))[٤].

وقال ابن حجر: (وهذا كان في آخر الأمر، وقد كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان، فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحبَّ مخالفة أهل الكتاب أيضًا كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك)[٥].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (يريد الشارع أن لا يكون لنا مشابهة بالكفار لا في العبادات ولا في العادات، لكن إن تشبه المسلم بالكفار بعباداتهم، فهذا قد يؤدي إلى

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٠١/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١١٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/٨/٤.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤١/٤، رقم ٢١٥٤، وضعف إسناده محققو المسند ٥٢/٤.

(٥) فتح الباري ٢٤٥/٤-٢٤٦، .

الشرك والكفر. وإن كان في العادات باستحسان أفعالهم وعاداتهم، فهذا قد يؤول إلى التشبه بهم في الأمور الباطنة ويكون منه الهلاك)[١].

وقال ابن تيمية: (قد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتمَّ حياة، وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا، أو باطنًا بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا، بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم؛ كان شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه موافقة في نوع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له)[٢].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٨/٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٩٢/١-٩٣.

الحديث رقم (١٢٣٢)

١٢٣٢- وعن زيد بن ثابتٍ ﵁، قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاَةِ. قِيلَ: كَمْ كَانَ بينهما؟ قَالَ: قَدْرُ[١] خَمْسِينَ آيةً. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

زيد بن ثابت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٣٠).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة قررت السحور بالفعل، والقول النبوي، و بينت فضل السحور، ورغبت فيه وهذا الحديث يبين الوقت الفاضل للسحور، وقول الراوي: " تسحرنا مع رسول الله.. ثم قمنا إلى الصلاة.. " بدأ كلامه بالفعل الماضي الذي دل على سرعة استجابتهم للفعل الطلبى في الحديث السابق " تسحروا " ولفظ " "مع رسول الله " يدل على تواضع خاتم الرسل، وقربة من المحيطين به. وجاء العطف " ثم " للتدليل على أن المدة الزمنية الكائنة بين السحور، والصلاة كانت كبيرة، وتتسع لتناول السحور في ذلك الوقت المبارك الذي يتنزل الله فيه إلى السماء الدنيا، ويلح على خلقه في أن يستغفروه، ويدعوه، ويتوبوا إليه وحده لا شريك لله، فيقول: " هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه ؟ و"نا " الفاعلين في الفعلين: " تسحرنا وقمنا " تدل على العبادة الجماعية التي قام بها أصحاب الرسول الكريم ﷺ كما تدل ألفاظ الحديث على حرصهم على الصلاة، والصيام.

فقه الحديث

قال النووي: (اتفق أصحابنا وغيرهم من العلماء على أن السحور سنة وأن تأخيره أفضل)[٣].

---

(١) لفظ مسلم: (كم كان قدر ما بينهما، قال: خمسين آية).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥)، ومسلم (١٠٩٧/٤٧) واللفظ له.

(٣) المجموع ٢٦١/٦ .

وقال ابن قدامة: (قال أحمد: يعجبني تأخير السحور لحديث زيد بن ثابت ... ولأن المقصود بالسحور التقوّي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) المغني ٤/٤٣٣ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٣٣)

١٢٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ لرسولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلاَلٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**إنْ بِلالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**)) قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إلاَّ أنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات يبدأ بفعل الكينونة الدال على الاعتياد في الفعل في الغالب وقوله (مؤذنان) أسلوب توشيع يحقق التوكيد، والتشويق، وهو ذكر لفظ مثنى ثم تفصيله، وقوله (بِلاَلٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) تفصيل له، والحديث يشير إلى صورة من صور تنظيم العادة مع العبادة للمحافظة على كليهما، وذلك حيث حدد الرسول الكريم مؤذنين، وأسند لكل واحد منهما مهمة تخصه، فالمؤذن الأول هو " بلال " والثاني هو " ابن أم مكتوم " ثم قال النبي ﷺ: " إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم كلثوم " ويفهم من هذا الأمر أن الآذان الأول بصوت " بلال " للتنبيه وأن الأذان الثاني بصوت " ابن أم كلثوم " للإمساك عن كل المفطرات وهذا ما يسمى عند الفقهاء بالفجر الصادق، وهذا التصرف من خاتم الرسل عليه الصلاة، والسلام – يجمع بين متطلبات الجسد، والروح، وإقامة التوازن بين الدنيا والآخرة بلا رهبنة، ولا مادية فلا يطغى شيء على شيء، و لا حرج، ولا مشقة على مؤمن أو مؤمنة في ذلك.

فقه الحديث

قال النووي: (١ – فيه جواز الأذان للطلوع قبل الفجر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢/٣٨) واللفظ له.

٢ - وفيه جواز الأكل والشرب والجماع وسائر الأشياء إلى طلوع الفجر.

٣ - وفيه جواز أذان الأعمى. قال أصحابنا: هو جائز فإن كان معه بصير كابن أم مكتوم مع بلال فلا كراهة فيه، وإن لم يكن معه بصير كره، للخوف من غلطه)[١].

٤ - وفيه استحباب أذانين للصبح: أحدهما قبل الفجر، والآخر بعد طلوعه أول الطلوع.

٥ - وفيه اعتماد صوت المؤذن. واستدلّ به مالك والمزني وسائر من يقبل شهادة الأعمى، وأجاب الجمهور عن هذا بأن الشهادة يشترط فيها العلم، ولا يحصل علم بالصوت لأن الأصوات تشتبه[٢] وأما الأذان ووقت الصلاة فيكفي فيها الظن.

٦ - وفيه دليل لجواز الأكل بعد النية ولا تفسد نية الصوم بالأكل بعدها، لأن النبي ﷺ أباح الأكل إلى طلوع الفجر، ومعلوم أن النية لا تجوز بعد طلوع الفجر، فدلّ على أنها سابقة وأن الأكل بعدها لا يضرّ. وهذا هو الصواب المشهور من مذهبنا ومذهب غيرنا. وقال بعض العلماء: متى أكل بعد النية أو جامع فسدت ووجب تجديدها وإلا فلا يصح صومه. وهذا غلط صريح.

٧ - وفيه استحباب السحور وتأخيره[٣].

٨ - وفيه اتخاذ مؤذنين للمسجد الكبير. قال أصحابنا: وإن دعت الحاجة جاز اتخاذ أكثر منهما كما اتخذ عثمان رضي الله عنه أربعة، وإن احتاج إلى زيادة على أربعة فالأصحّ اتخاذهم بحسب الحاجة والمصلحة)[٤].

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) وانظر: حاشية ابن عابدين ١/٢٦١، ومواهب الجليل مع التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١/٤٥١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/١٢٩، وكشاف القناع ١/٢٣٥ (عن الموسوعة الفقهية ٣٠/٢٩٧).

(٢) وانظر: حاشية الدسوقي ٤/١٦٧، وجواهر الإكليل ٢/٢٣٣، والمغني ١٤/١٧٨-١٨١ (عن الموسوعة الفقهية ٣٠/٢٩٧).

(٣) قال ابن دقيق العيد: (فيه دليل على استحباب تأخير السحور وتقريبه من الفجر، والظاهر أن المراد بالأذان ههنا: الأذان الثاني. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢/ ٢١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٧/١٧٦-١٧٧، وانظر: فتح الباري ٢/٩٩-١٠١.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٣١).

الحديث رقم (١٢٣٤)

١٢٣٤ - وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أهْلِ الكِتَاب، أكْلَةُ السَّحَرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٥).

غريب الألفاظ:

فَصْل: فارِقٌ ومُمَيِّزٌ[2].

أكلة السحر: السحور وهي بفتح الهمزة، وهي عبارة عن المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة وإن كثر المأكول فيها[3].

الشرح الأدبي

يوضح الرسول الكريم شيئاً من معالم هذه الأمة عن طريق " السحور " في رمضان بصفة خاصة فيقول عن طريق الأسلوب الخبري: " فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر " ورسول الله قد ركز على ما يفصل بين صيام المسلمين، وصيام غيرهم، ولم يذكر شيئاً عن الأشخاص، ولم يسب أحدا، ولم يعب على أحد؛ لأنه ليس لعاناً، ولا فحاشاً، ومن هنا نفهم أن النبي الكريم ﷺ كان موضوعياً في كلامه، ولم يجبر أحداً على دينه، وترك ذلك لله الذي خلق الجميع: "غير أنه حافظ على استقلالية الشخصية للأمة الإسلامية، في العادات، والمعاملات، والعبادات، ولفظ "أكلة" اسم مرة، ويوحى بأنها أكلة واحده، ولكنها مباركة، حيث حدثت في وقت مبارك هو "السحر" ثم إن التعبير باسم المرة ينبه أولئك المسرفين إلى عدم التمادي في

---

(١) برقم (١٠٩٦/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٧٥).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٦٨٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ٦٨٨.

الأكل بين الإفطار، والسحور عدة مرات مما يسبب التثاقل عن العبادة، ويضيع على الإنسان خيرا لا حدود له في علمه، وغرض هذا السحور القوة التي تحقق التقوِّي على الصيام، ولا تثقل عن القيام، أو عن صلاة الفجر.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٣١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: تعليل الأحكام:

لقد رغب النبي ﷺ في السحور، وعلل ذلك بأنّ السُّحور بركة، ولذا يحرصُ المسلم على تحصيل البركة والتلبس بها ويسعى إلى أن تناله البركة التي أخبر النبي ﷺ عنها، إننا سنمتثل أمر النبي ﷺ وسنطيعه سواء عُلّل أم لم يُعَلّل، وسواء بين الحكمة أم لم يبينها، لأننا نعرف حق المعرفة ونتيقن حق اليقين أنه لا يأمرنا إلا بما فيه مصلحتنا، ولا ينهانا إلا عما فيه ضررُنا ومفسدتُنا، لكنه ﷺ علل الحكم وبين وجه المصلحة فيه، لكي يبين لمن يقوم بالدعوة والتربية والتوجيه، أنه كلما كان الحكم معللاً كان أنسب وأوقع عند المخاطبين، وأشد إقبالاً عليه وامتثالاً له، لأن أهل التوجيه لا يخاطبون عقولاً جامدة ولا نفوسًا خامدة، إنما يخاطبون من أكرمهم الله بالعقول المفكرة والأفهام المستنبطة، فإن أرد أهل التوجيه والتربية لإرشاداتهم وتوجيهاتهم قبولاً عندهم، فعليهم أن يبينوا المصالح والحكم من وراء هذه الإرشادات وتلك التوجيهات كلما اقتضى الموقف ذلك، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - ترغيب الناشئة في زيادة الامتثال والاستجابة، فإنه لاشك أن هناك فرقًا بين امتثال أمر بدون معرفة المصلحة من ورائه، وبين امتثال أتى بعد معرفتها والعلم بها.

ب - تعميق الإيمان بجدوى هذه التربية وفائدتها، فإن الإنسان عندما يرى المصالح التي تترتب على الامتثال والاستجابة يزداد إيمانًا ويقينًا واقتناعًا ومن ثم يزداد في درجات الامتثال والتطبيق والتفعيل لأنه يفعل ذلك عن اقتناع عقلي واقتناع واقعي.

ج - تعويد الناشئة على الاستنباط والفهم فما دام الأمر يحقق مصلحة ما، فإذا كان هناك أمر آخر يحقق المصلحة نفسها فيلحق به في الحكم، وهذا لاشك أمر يحتاج إلى استنباط وفهم وتدقيق وفقه، وتعليل الأحكام من الطرق التي تُكَوِّن هذه الملكات المهمة للناشئة وغيرهم.

ثانيًا- المشاركة الحياتية:

لقد أخبر الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ أنه قد تسحر هو وجماعة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، مع النبي ﷺ، أي أن النبي ﷺ كان يشارك أصحابه الطعام والشراب، وهذا من الصور العليا للمشاركة الحياتية، فقد تكون المشاركة بالكلام والجلوس واللقاء، لكن لا تبلغ الذروة والقمة إلا بتناول الطعام والشراب معًا، وهذا يدل على صدق المشاركة الحياتية بين النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وما يلزم عن ذلك من شيوع روح الحب والمودة والألفة بين القائد ومن يقودهم وبين الرئيس ومرؤوسيه، وبين المرشد ومن يرشدهم، ونحو ذلك.

إننا نلاحظ في عالم اليوم أن العلاقة بين كثير من المديرين - على اختلاف درجاتهم ومراتبهم وأماكنهم - العلاقة بينهم وبين مرؤوسيهم أصبحت علاقة إصدار أوامر من جهة وتنفيذ هذه الأوامر من جهة أخرى، دون أن يصاحب ذلك كثير من الألفة والحميمية التي تنزع عن هذه العلاقة كثيرًا من الرسمية والتكلف والجمود دون أن تنزع عنها الاحترام والتقدير بين الطرفين. وشيوع هذه الظاهرة سببه - فيما نرى - قلة المشاركة الحياتية بين الطرفين بل في بعض الأحيان تكون منعدمة.

أما في هذا الحديث فقد اتضح جليًا كيف كان هناك معايشة حياتية بين النبي ﷺ -وهو أكرم الخلق- وبين أصحابه الكرام، لذا فلا عجب أن سارعوا إلى تنفيذ ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه.

إن المعايشة الحياتية بين المربي ومن يربيهم لها من الفوائد التربوية ما لها، من ذلك:

أ - إنها تربوية بالقدوة فعين الأتباع معلقة بالمربي تراقب ما يفعل لتفعل مثله، فالنفس تحب أن تحذو حذو مثل أعلى لها، وليس أمامها أفضل من المربي نفسه.

ب - الاطلاع على صدق المربي في تربيته، فإن المعايشة الحياتية تكشف عن مدى التزام المربي بما يدعو إليه ويعيش من أجله، فإن كان صادقًا لزمه الأتباع وأخذوا عنه، وإن كاذبًا انفضوا عنه وتركوه.

ج - تنفض المعايشة الحياتية ما يعلق بأذهان الأتباع من غلو في المربي في غير

مكانه، إنهم يرونه يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ويضحك كما يضحكون، ومن ثم تنصرف هممهم إلى الاقتداء به في الأفعال والصفات بدلاً من الاتجاه نحو الغلو فيه وإنزاله منزلةً لا تتناسب مع الطبيعة البشرية، ومن ثم يرون أن الطريق معبدٌ للاقتداء به، وليس وعرًا ولا صعبًا ولا شاقًا إذا صحت النوايا وصدقت العزائم.

ثالثًا- التربية على شغل الوقت بالعمل الصالح:

لقد سئل الصحابي الجليل عن مقدار الوقت بين التسحر مع النبي ﷺ والقيام إلى صلاة الصبح، فَبِمَ أجاب؟ أجاب بقوله: "قدر خمسين آية" فقدّر الوقت بطاعة من الطاعات بل من أفضل الطاعات، وكان المعتاد أن يقدر الوقت بمقاديره المعتادة من برهة وساعة وثلث الليل أو النهار ونحو ذلك، لكنه قدر بفعل طاعة من الطاعات، ويلاحظ على هذه الإجابة ما يلي:

أ- أنها إجابة معتادة لدى القائل والسامع مما يوحي بأنها معتادة لدى المجتمع في هذا الوقت، من الثقافة الشائعة فيه، بدليل أن السائل لم يسأله عن مقدار وقت قراءة الخمسين آية، وهذا يدل -إن دل- على أن هذا المجتمع منشغل بتلاوة القرآن وقراءته وسماعه، إنه يعيش به في يومه وليله ونهاره.

ب- أن الوقت شهر رمضان الواجب فيه الصيام والنازل فيه القرآن المسنون فيه قراءة القرآن والإكثار منه، فكان الصائمون من الصحابة يقومون بالصيام على خير ما ينبغي من أداء الواجبات وعدم الغفلة عن المسنونات والمرغوبات، فخرج الجواب ليعبر عن الحالة الإيمانية التي يعيشها المجتمع في هذا الوقت الفضيل، إنه مجتمع الصوم وقراءة القرآن وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

فكان هذا الجواب إرشادًا للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على شغل وقتهم بالعمل الصالح النافع، ولا يضيعوه في أمور تافهة وأشياء غير ذات بال، وهم إن أفلحوا في ذلك حققوا نتائج تربوية مهمة منها:

أ- إنجاز الناشئة ومن شاكلهم أهدافهم وآمالهم المتوقعة منهم.

ب- زيادة التنافس فيما بينهم على المسابقة إلى الخيرات والمبادرة إليها.

ج- شغلهم بالعمل الصالح النافع وتجنيبهم الاشتغال بدونه وما سواه، فإن النفس إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

رابعًا- من وسائل التربية: الأذان:

لقد أخبر ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم مؤذنان: بلالٌ وابن أم مكتوم رضي الله عنهما، الأول كان يؤذن قبل دخول وقت الصبح، والآخر كان يؤذن عند دخوله؛ الأذان الأول كان تنبيهًا للصائمين للاستعداد لصوم يوم جديد: النائم يستيقظ ليتسحر، وقائم الليل يفرغ من صلاته ليأتي بسنة السحور، ويضع جنبه على الأرض إن كان الوقت يسمح بذلك ليستعد لصلاة الفجر ويؤديها في نشاط وهمة، فإذا حدث ذلك ونحوه أُعلن الأذان الثاني ليبدأ وقت الصيام والانقطاع عن الشهوات التي تبطله، وبدأ يوم جديد في حياة الصائمين، فكان هذان الأذانان -في رأينا- من وسائل التربية، وذلك على النحو التالي:

أ- التعويد على النظام والانضباط، فلكل وقت عمله الذي يؤدى بنظام وترتيب، ولا يكون الأمر هكذا بدون ضبط ولا تنظيم، ولاشك أن غرس النظام في النفوس له من الفوائد ما لا يخفى، فيكفي أنه لا يمكن لإنجاز أن يتحقق بدون نظام.

ب- الإعداد الجيد للعبادة التي تلي الأذان وتأديتها بخشوع وخضوع ونشاط، وبذل الوسع في ذلك، ومن المعروف أن عبادة بلا خشوع لا يتوقع أن تأتي بأهدافها الطيبة.

وعلى ذلك فإنه يمكن الاستدلال بهذا الحديث وغيره أن من وسائل التربية الأذان، ولكن السؤال هنا: كيف نستفيد بهذا الأذان في الجانب التربوي في حياتنا المعاصرة؟.

إن الإجابة يمكن أن تتلخص فيما يلي:

أ- جعل الأذان حدًا فاصلاً بين ما قبله وبعده، فإذا كان ما قبله انغماسًا في أمور الدنيا والسعي على المعاش، فإنه بالأذان يترك هذا كله، ويقبل العبد على الاستعداد

لأداء الصلاة المؤذن لها أداء طيبًا ، فيقضي حاجته إن كان هناك سبب لذلك، ثم يسبغ الوضوء ويذهب إلى المسجد ويأتي بالسنة القبلية فإذا أقيمت الصلاة كان من الخاشعين الخاضعين، فإذا سلم أتى بالأذكار المشروعة والسنن المطلوبة، إنه بهذا يجني الثمار الطيبة التي تحققها الصلاة، وهكذا كان الأذان بداية الاستعداد لتلك الصلاة.

٢- الأذان من الأذكار المشروعة التي ترتاح لها الأذن ويطمئن بها القلب وتسكن بها الجوارح، وهذا له تأثيره الذي لا يخفى على المسلم من إقبال على العمل وتجاوز للمعوقات والموانع التي تكون في طريقه.

خامسًا- من أساليب التربية: ذكر أفعال المخالفين:

لقد ذكر النبي ﷺ أن أَكْلَة السحور فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب، فإذا كان أهل الضلال من أهل الكتاب لا يتسحرون فإن على المسلمين ألا يكونوا مثلهم ويفعلوا فعلهم، بل عليهم أن يكونوا أشد الناس في مخالفتهم، حتى لا يتشبهوا بمن غضب الله عليهم أو ضلوا الطريق المستقيم، إن النبي ﷺ رغّب في السحور هنا بذكر أفعال المخالفين من أهل الكتاب، الذين لا يجوز التشبه بهم ولا السير على طريقهم، فإذا سمع المسلم ذلك حرص أشد الحرص على أن يتسحر حتى يكون من الفاعلين لأفعال المسلمين التاركين لأفعال المخالفين.

وفي ذلك أسلوب تربوي مفيد جدًا في تربية الناشئة وتوجيههم وتأديبهم، ومن ثم كان من الواجب على المربين أن يفعّلوا هذا الأسلوب في تربيتهم، وذلك للأسباب الآتية:

أ- استخدام السنة النبوية له كما هو واضح في الحديث كما أن القرآن قد استخدمه بكثرة، ولعل من هذا من القبيل كثرة ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم، وذلك لتحذير المسلمين منهم، ومن ثم اجتناب أفعالهم وخصالهم، نظرًا لما عرفوا به من كثرة المخالفة لأوامر الله ورسله.

ب- تحصين الناشئة وغيرهم من الأفعال التي قد ينبهرون بها ويرغبون في تقليدها

مع أنها صادرة عمن يخالف الإسلام عقيدة وسلوكًا ومنهاجًا.

ج- تمنية اعتزاز الناشئة بقيمهم ومبادئهم التي تربوا عليهم والثبات على ذلك، وعدم الميل مع كل ريح تهبّ ولا مع كل اتجاه يظهر.



٢٢٢- باب فضل تعجل الفطر

وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره

الحديث رقم (١٢٣٥)

١٢٣٥ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

يبشر رسول الله ﷺ الناس بالخير، واستمراريته فيهم ماداموا ملتزمين بتوجيهات نبيهم الكريم فيقول: " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر " و " ما " مصدرية تؤول مع ما بعدها بالمصدر أى: " لتعجيلهم الفطر " والفعل الماضي: " عجلوا " تدل على تحقق، وقوع التعجيل، وتكراره، وغلبته على سلوك الصائمين، ونلمح من ألفاظ الحديث أن المصطفى حريص على إعطاء الجسد حقه من الطعام، والشراب ليتقوى على العبادة التي تغذى الروح بالقيام في سرور، ونشاط، ومن هنا نرى أن الدين الحنيف يقيم التوازن الحقيقي بين احتياجات الروح، والجسم. والله اعلم.

فقه الحديث

قال ابن دقيق العيد: (تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب مستحب باتفاق، ودليله حديث سهل بن سعد رضي الله عنه[2] وكذلك أحاديث الباب. قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر: أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة، وعند عبدالرزاق وغيره بإسناد صحيح

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨/٤٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٨٧).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢٢٣، وانظر: المجموع ٢٦١/٦-٢٦٢، والمغني ٤٣٤/٤.

عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا)[1].

المضامين الدعوية [2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل تعجيل الفطر.

ثانيًا: من آداب المدعو: توقير الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحجة فيما فعله النبي ﷺ لا فيما فعله غيره.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل تعجيل الفطر:

إن هذه الأحاديث تدل على فضل تعجيل الفطر، قال ابن عبدالبر: (أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة)[3]. وأخرج عبدالرزاق عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا[4].

وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا ما عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ))[5].

قال ابن حجر: (وتأخير أهل الكتاب له أمدٌ وهو ظهور النجم)[6].

وعن سهل بن سعد قال: ((لا تزالُ أُمَّتي على سُنَّتي ما لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِها النُّجُومَ». قالَ: وكانَ النبيُّ إذا كان صائمًا أَمَرَ رجلا فأَوْفَى على شَيءٍ، فإذا قَالَ: غَابَتِ الشَّمسُ، أَفْطَرَ))[7]، قال ابن حجر: (وفيه بيان العلة في ذلك)[8].

---

(١) فتح الباري ٤/١٩٩ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٢٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٦، ١٢٣٧.

(٣) كما في فتح الباري ٤/١٩٩.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ رقم ٧٥٩١، وقال ابن حجر في الفتح ٤/١٩٩: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٣٥٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٣).

(٦) فتح الباري ٤/١٩٩.

(٧) أخرجه ابن خزيمة ٢٠٦١ وابن حبان ٣٥١٠، والحاكم ١/٤٣٤، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٨) فتح الباري ٤/١٩٩.

وقال النووي عن قوله ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" قال: (فيه الحث على تعجيله بعد تحقق غروب الشمس، ومعناه: لا يزال أمر الأمة منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فسادٍ يقعون فيه)[١].

وقال ابن دقيق العيد: (تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب مستحب باتفاق، ودليله هذا الحديث، ولعل هذا هو السبب في كون الناس لا يزالون بخير ما عجلوا الفطر، لأنهم إذا أخروه كانوا داخلين في فعل خلاف السنة، ولا يزالون بخير ما فعلوا السنة)[٢].

وقال ابن حجر: (قال المهلب: والحكمة في ذلك أن لا يزداد في النهار من الليل، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة، واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين، وكذا عَدْل واحد في الأرجح)[٣].

وقال الطيبي عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (قال الله عز وجل: "أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا" قال المظهر: يعني من هو أكثر تعجيلاً في الإفطار، فهو أحب إلى الله تعالى، ولعل سبب محبة الله تعالى إياه لمتابعة سنة رسوله ﷺ، ولأنه إذا أفطر قبل الصلاة تمكن من أداء الصلاة بحضور القلب، قال التوربشتي: أي أحب عبادي من يخالف أهل البدعة فيما يعتقدون من وجوب التأخير، ويحتمل أنه أراد به جمهور هذه الأمة الذين يتدينون بشريعة محمد ﷺ، أي هم أحب إليّ ممن كان قبلهم من الأمم، والأول أشبه.

وأقول [القائل الطيبي]: (لعل الثاني أوجه، وذلك أنه ﷺ لما أراد أن يحث الناس على تعجيل الفطر وبين مكانته عند الله وصف المخلصين من عباده بذلك، ليكون ذريعة إلى المقصود، ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾[٤] وحملة العرش ليسوا ممن لا يؤمنون، لكن ذكر الإيمان لشرفه،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٠-٢٢١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٣.

(٣) فتح الباري ١٩٩/٤، .

(٤) سورة غافر، الآية: ٧.

والترغيب فيه، ومن ثم خص المحبة بالذكر، لأن متابعة الحبيب توجب محبة الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١] وإلى هذا ينظر القول الأول للمظهر، هذا إذا أريد الاتصاف بالخير، وإن أريد التفضلة بين هذه الأمة وبين اليهود والنصارى، كان الوصف للتمييز، ويؤيده حديث أبي هريرة ((لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ))[٢])[٣].

ثانيًا- من آداب المدعو: توقير الصحابة رضوان الله عليهم:

وهذا واضح من قول أبي عطية: دخلت أنا ومسروق على عائشة رضي الله عنها فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لا يألو عن الخير. أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار؟ فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟

والشاهد في قول مسروق: "كلاهما لا يألو عن خير"، فمعناه كما قال النووي: (لا يقصرٌ في الخير)[٤]. فمسروق في حديثه عن الصحابيين وصفهما بأنهما من أصحاب رسول الله ﷺ، وبأن كلاهما لا يقصر في الخير، رغم خلاف فعلهما إذ أن أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فتأدب في كلامه عنهما، مما يدل على توقيره لصحابة رسول الله ﷺ، وهذا ما ينبغي على كل مسلم وخاصة لما ثبت لهم من عظيم المنزلة عند الله وثنائه عليهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٥٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٢٠٦٣).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٤/١٥٣-١٥٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢١ ورياض الصالحين ص ٤٤٣.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١].

قال ابن أبي العز: (وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم)[٢].

وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: ((إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ نظَرَ في قلوبِ العِبَادِ فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالاتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ بعد قَلْبَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم يُقاتِلونَ عَنْ دِينِهِ، فما رآه المسلمونَ حَسَنًا فهو عِنْدَ الله حَسَنٌ، وما رآهُ المسْلِمَونَ سَيِّئًا فهوَ عِنْدَ اللهِ سيِّئٌ))[٣].

وقال الطحاوي: (ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحجة فيما فعله النبي صلى الله عليه وسلم لا فيما فعله غيره:

وهذا واضح من سؤال مسروق عائشة رضي الله عنها عن فعل الصحابيين رضي الله عنهما، وذلك ليعرف أيهما يوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ذلك. وهذا يدل على أن المدعو يتبع ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم لا ما فعله غيره، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الحجة لا غيره، وأن الحكم فيما اختلف فيه المسلمون هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥].

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ٨-١٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٦٩١/٢.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٠٠/٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) العقيدة الطحاوية ٦٨٩/٢ مع شرحها.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

وقال الشافعي: (أخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل، بقضية، برأي ربيعة بن أبي عبدالرحمن، فأخبرته عن النبي ﷺ بخلاف ما قضى به فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب، وهو عندي ثقة، يخبرني عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت به فقال له ربيعة: قد اجتهدتُ ومضى حكمك. فقال سعد واعجبًا. أُنْفِذُ قضاءَ سعد بن أم سعد وأَردُّ قضاء رسول الله ﷺ؟ بل أَرَدُّ قضاء سعد بن أم سعدَ وأُنفِذُ قضاء رسول الله ﷺ، فدعا سعد بكتاب القضية فشقه وقضى للمقضي عليه)[1].

وقال ابن القيم: (ترى كثيرًا من الناس إذا جاء الحديث يوافق قول من قلده، وقد خالفه راويه يقول: الحجة فيما روى لا في قوله، فإذا جاء قول الراوي موافقًا لقول من قلده والحديث يخالفه قال: لم يكن الراوي يخالف ما رواه إلا وقد صح عنده نسخه، وإلا كان قدحًا في عدالته فيجمعون في كلامهم بين هذا وهذا. بل قد رأينا ذلك في الباب الواحد، وهذا من أقبح التناقض، والذي ندين الله به، ولا يسعنا غيره أن الحديث إذا صحّ عن رسول الله ﷺ ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه، أن الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك كل ما خالفه، ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنًا من كان، لا راويه ولا غيره، إذ من الممكن أن ينسى الراوي الحديث ولا يحضره وقت الفتيا أو لا يتفطن لدلالته على تلك المسألة، أو يتأول فيه تأويلاً مرجوحًا، أو يقوم في ظنه ما يعارضه ولا يكون معارضًا في نفس الأمر أو يقلد غيره في فتواه بخلافه لاعتقاده أنه أعلم منه وأنه إنما خالفه لما هو أقوى منه، ولو قدّر انتفاء ذلك كله ولا سبيل إلى العلم بانتفائه ولا ظنه لم يكن الراوي معصومًا ولم توجب مخالفته لما رواه سقوط عدالته حتى تغلب سيئاته حسناته وبخلاف هذا الحديث الواحد لا يحصل له ذلك)[2].

وقال الذهبي: (فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه الشافعي في الرسالة ١٢٣٣، تحقيق خالد السبع العلمي وزهير شفيق الكبّي.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٥٥٥ - ٥٥٦.

ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك)[1].

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" وقوله ﷺ "قال الله عز وجل: أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرًا" ولاشك أن هذا ترغيب في التعجيل بالفطر لتحصيل الخيرية، وحبّ الله تعالى.

والترغيب من أساليب الدعوة التي تدعو إلى قبول المدعو للدعوة، والحرص على القيام بها لأن الترغيب دائمًا يرتبط بحصول خير في الدنيا أو الآخرة أو كلاهما، ولا شك أن النفس دعوة الخير تدفعها، وحسن الجزاء يشرحها إلى العمل الصالح.

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال، مختصر منهاج السنة لابن تيمية، اختصره: ابو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ، حققه محب الدين الخطيب، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ، ص ٣٣٥.

الحديث رقم (١٢٣٦)

١٢٣٦- وعن أَبي عطيَّة، قَالَ: دَخَلْتُ أنا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عائشة رضي الله عنها، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوق: رَجُلاَنِ مِنْ أصْحَابِ محمَّدٍ ﷺ، كِلاَهُمَا لا يَألُو عَنِ الخَيْرِ؛ أحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ - (يعني: ابن مسعود)[1] - فَقَالَتْ: هكَذَا كَانَ رسولُ اللهِ يَصْنَعُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لا يألو: لا يُقَصِّرُ[3].

الشرح الأدبي

هذان رجلان يدخلان على أم المؤمنين (عائشة) أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والثاني يؤخر ذلك، ويطلبان من أم المؤمنين تحديد الأصوب منهما، وإضافة الأصحاب للاسم الظاهر في قوله (أصحاب محمد ﷺ) تشريف لهم يقتضي مزيد إكرامهم بصحبتهم لرسول ﷺ وقول أم المؤمنين " من يعجل المغرب والإفطار؟ فقيل لها: (عبد الله) فقالت: " هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع ". والاستفهام في قولها: " من يعجل المغرب.. ؟ " للتقرير وقولها: " هكذا كان رسول الله.. يصنع " يشير بحسن الأدب، والبيان، والروعة في التخاطب لأنها أقرت أحدهما، ولم تسخر من الآخر، أو توبخه أو تتهكم من فعله ثم إنها شبهت فعل رسول الله ﷺ بفعل " عبد الله بن مسعود " الذي

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٠٩٩/٥٠).

(٣) رياض الصالحين ٤٤٣.

كان يعجل المغرب والإفطار فقالت: " هكذا. ... " والهاء للتنبيه، والكاف للتشبيه بمعنى " مثل " و" إذا " اسم إشارة، والفعل المضارع " يصنع " يوحى بأن هذه التوجيهات يجب أن تستمر إلى ما شاء الله.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم تعجيل الفطر: اتفق الفقهاء على استحباب تعجيل الفطر، وأنه لا يجب إمساك جزء من الليل مطلقًا، بل متى تحقق غروب الشمس حل الفطر[1].

٢- تذكير العالم ما يخاف أن يكون نسيه، وترك المراجعة له بعد ثلاث[2].

٣- إيماء إلى الزجر عن متابعة أهل الكتاب، فإنهم يؤخرون الفطر عن الغروب[3].

٤- حكم الفطر على التمر: الفطر على التمر مستحب وليس بواجب فلو تركه جاز، وأن الأفضل بعده الفطر على الماء[4] وأن الترتيب الوارد في الحديث إنما هو لكمال السنة لا لأصلها كما هو واضح، فمن أفطر على ماء مع وجود التمر حصل له أصل سنة الإفطار[5].

٥- حكم صيام المسافر: اتفق الفقهاء على أن من لحقه بالسفر مشقة ظاهرة جاز له الفطر، كما أنهم اتفقوا على أن من لم تلحقه بالسفر مشقة ظاهرة جاز له الصوم

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢/١٠٥، حاشية رد المحتار ٢/٤١٩، حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/٦٩٠، مغني المحتاج ٢/١٦٥، شرح منتهى الإرادات ١/٤٨٨-٤٨٩، شرح صحيح مسلم ٧/٢٠٨، فتح الباري ٤/٢٤١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧/٢١١، فتح الباري ٤/٢٤١.

(٣) فتح الباري ٤/٢٤١.

(٤) حاشية الصاوي ١/٦٩١، مغني المحتاج ١/١٦٥، شرح منتهى الإرادات ١/٤٨٩، شرح صحيح مسلم ٧/٢١١.

(٥) دليل الفالحين ٤/٣٩.

والفطر[١] ولكنهم اختلفوا في أيهما أفضل الصوم أم الفطر؟ فذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية) إلى أن الصوم في حقه أفضل من الفطر[٢] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٣] ولما في الصوم من تبرئة الذمة وعدم إخلاء الوقت عن العبادة، ولأن الصوم هو الأكثر من فعله ﷺ[٤].

وذهب الحنابلة إلى أنه يكره الصوم ويسن له الفطر وأنه أفضل من الصوم[٥] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ "ليس من البر الصيام في السفر" وقوله ﷺ "عليكم برخص الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها".

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) بدائع الصنائع ٩٦/٢، كنز الدقائق وشرحه تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٣/١، حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ٥٢٩/١، مطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٦/٢، كنز الدقائق وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٣/١، حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ٥٢٩/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٤.

(٤) مغني المحتاج ٥٢٩/١.

(٥) مطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٦) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٣٧)

١٢٣٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((قَالَ اللهُ عز وجل: أحَبُّ عِبَادِي إلَيَّ أعْجَلُهُمْ فِطْرًا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (قال) رسول الله ﷺ ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله – عز وجل –) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني؛ لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، و قول الله تعالى " أحب عبادي إلى. .. " أفعل التفضيل: " أحب " يوضح أنه عز وجل – يحب الكثيرين، ولكن الأشد حباً هو الأعجل فطراً، لأن أفعل التفضيل تشير إلى اشتراك في الأصل، وزيادة لأحدهما، وهم الذين يعجلون الفطر، وهذه العبارات تدل على الحنو الشديد من قبل الخالق – سبحانه وتعالى والإضافة في " عبادي " و " إلى " للتشريف، والتكريم، والإلزام؛ لأنهم ماداموا عباده فلا بد أن يكونوا أهلا لذلك بالتكليف، والالتزام بما يحبه المشرع عز وجل. وكلمة: " إلَيَّ " تشير إلى أهمية تحديد الغاية، والهدف من العبادة لأن " إلى " تفيد انتهاء الغاية، وهكذا يجب على المسلم أن يكون " رب العزة " منتهى غايته من العبادات، والمعاملات، والتصرفات كلها: " وأن إلى ربك المنتهى " أية ٢٢ النجم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٧٠٠). وصحّحه ابن خزيمة (٢٠٦٢)، وابن حبان (الإحسان ٣٥٠٨).

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٣٥.

الحديث رقم (١٢٣٨)

١٢٣٨ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هاهُنَا، وَأَدْبَرَ النهارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

يضع الرسول الكريم ﷺ - في هذا الحديث - علامات للصائم كي يفطر عند تحققها، ويربط ذلك بغروب الشمس، وطلوعها، وبين الفعلين الماضيين: " أقبل، وأدبر " طباق يوضح المعنى، وكذلك بين الليل، والنهار، وهو ما يجلي أبعاد المعنى، ويبرزه، وفي الوقت نفسه يرسمان صورة للشمس، والليل والنهار، وتشعر من خلال ذلك بمضمون الآية الكريمة في سورة " يس " حيث يقول الحق - سبحانه وتعالى " والشمس تجرى لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم " - وقوله: " فقد أفطر الصائم " يشير إلى حلول وقت فطره، ولكن ينبغي عليه أن يتيقن من إقبال الليل، وإدبار النهار حتى لا يقع في براثن العجلة تحت مظلة " تعجيل الفطر " فمن تأنى نال ما تمنى من الثواب، والأجر، والقبول، والهداية، ولفظ (هاهنا) الذي تكرر مع كل جهة يؤكد المعنى المراد من تحديد موعد الفطر بدقة لا تترك مجالا لخلاف.

فقه الحديث

قال ابن دقيق العيد: (وقوله عليه السلام "فقد أفطر الصائم" يجوز أن يكون المراد به: فقد حلّ له الفطر، ويجوز أن يكون المراد به: فقد دخل في الفطر. وتكون الفائدة فيه: "أن الليل غير قابل للصوم، وأنّه بنفس دخوله خرج الصائم من الصوم. وتكون الفائدة

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٤) واللفظ له، ومسلم (٥١/ ١١٠٠).

على الوجه الأول، وذكْر العلامة التي بها يحصل جوازُ الإفطار، وعلى الثاني: بيان امتناع الوصال، بمعنى الصوم الشرعي لا بمعنى الإمساك الحسي، فإن من أمسك حسًّا فقد أفطر شرعًا" وفي ضمن ذلك إبطال فائدة الوصال شرعًا، إذ لا يحصل به ثواب الصوم)[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان وقت فطر الصائم.

ثانيًا: من مهام الداعية: إيضاح الأمر بكل علاماته الممكنة.

ثالثًا: من آداب المدعو: تذكير العالم بما يخشى أن يكون قد نسيه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان وقت فطر الصائم:

هذا واضح من قول رسول الله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم".

وقوله ﷺ في الحديث الآخر: "إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم" وأشار بيده قبل المشرق. قال ابن حجر: (وفي حديثي الباب من الفوائد بيان وقت الصوم وأن الغروب متى تحقق كفى)[٣].

قال ابن عبدالبر: (من السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور، والتعجيل إنما يكون بعد الاستيقان بمغيب الشمس، ولا يجوز لأحد أن يفطر وهو شاك هل غابت الشمس أم لا؟ لأن الفرض إذا لزم بيقين لم يخرج منه إلا بيقين، والله عز وجل يقول: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[٤] وأول الليل مغيب الشمس كلها في الأفق عن أعين الناظرين، ومن شك لزمه التمادي حتى لا يشك في مغيبها)[٥].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٢٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٣٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٩.

(٣) فتح الباري ٤/١٩٨، .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٩٠/٧٨.

وقال ابن هبيرة عن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (في هذا الحديث من الفقه أن الصوم هو حكم مؤقت بأول وآخر، فإذا انتهى إلى وقته زال حكمه، فإن أخَّر أحد إفطاره فقد أعلمه هذا الحديث أن الله غير معتدٍ له بصيام بعد غروب الشمس، لأن وقت حكم الصيام قد زال، وهذا مما يكون داعيًا إلى تعجيل الفطر)[1].

وقال النووي عن معنى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (معناه انقضى صومه وتم، ولا يوصف الآن بأنه صائم فإن بغروب الشمس خرج النهار ودخل الليل، والليل ليس محلاً للصوم)[2].

وقال ابن دقيق العيد: (قوله عليه السلام "فقد أفطر الصائم" يجوز أن يكون المراد به: فقد حل له الفطر، ويجوز أن يكون المراد به: فقد دخل في الفطر، وتكون الفائدة فيه: أن الليل غير قابل للصوم وأنه بنفس دخوله خرج الصائم من الصوم، وتكون الفائدة على الوجه الأول، ذكر العلامة التي بها يحصل جواز الإفطار، وعلى الثاني: بيان امتناع الوصال بمعنى الصوم الشرعي، لا بمعنى الإمساك الحسي فإن من أمسك حسًا فهو مفطر شرعًا. وفي ضمن ذلك: إبطال فائدة الوصال شرعًا، إذ لا يحصل به ثواب الصوم)[3].

وقال ابن حجر: (قوله "فقد أفطر الصائم" أي دخل في وقت الفطر، كما يقال: أَنْجَد إذا أقام بنجد - ويحتمل أن يكون معناه فقد صار مفطرًا في الحكم، لكون الليل ليس ظرفًا للصيام الشرعي، وقد ردّ ابن خزيمة[4] هذا الاحتمال. وأومأ إلى ترجيح الأول، فقال: قوله "فقد أفطر الصائم" لفظ خبر، ومعناه الأمر، أي فليفطر الصائم، ولو كان المراد: فقد صار مفطرًا كان فِطْرُ جميع الصوّام واحدًا ولم يكن للترغيب في تعجيل الإفطار معنى اهـ)[5].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/١٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٢، .

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٤.

(٤) صحيح ابن خزيمة ٣/٢٧٤.

(٥) فتح الباري ٤/١٩٧، .

وقال ابن حجر: (من البدع المنكرة: ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام، زعما ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس، وقد جرّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة، لتمكين الوقت زعموا. فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة، فلذلك قلّ عنهم الخير وكثر فيهم الشر)[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إيضاح الأمر بكل علاماته الممكنة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم".

فقد بيّن ﷺ وقت إفطار الصائم بثلاث علامات: إقبال الظلام (الليل) وإدبار الضياء (النهار) وغروب الشمس. قال ابن حجر عن الحديث: (فيه البيان بذكر اللازم والملزوم جميعًا لزيادة الإيضاح)[٢]. وقال النووي: (قال العلماء: كل واحد من هذه الأمور الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما وإنما جمع بينها لأنه قد يكون في وادٍ ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء)[٣]. وقال أبو العباس القرطبي: (هذه الثلاثة الأمور متلازمة، إذا حصل الواحد منها حصل سائرها. وإنما جمعها في الذكر -والله أعلم- لأن الناظر قد لا يرى عين غروب الشمس لحائل، ويرى ظلمة الليل من المشرق، فيحلّ له إذ ذاك الفطر، وإقبال الليل: إقبال ظلمته. وإدبار النهار: إدبار ضوئه، ومجموعهما إنما يحصل بغروب الشمس)[٤].

وقال ابن دقيق العيد: (الإقبال والإدبار متلازمان، أعني: إقبال الليل وإدبار النهار، وقد يكون أحدهما أظهر للعين في بعض المواضع، فيستدل بالظاهر على الخفي، كما

---

(١) فتح الباري ١٩٩/٤.

(٢) فتح الباري ١٩٨/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٢/٧/٤.

(٤) المفهم ١٥٨/٣.

لو كان في جهة المغرب ما يستر البصر عن إدراك الغروب، وكان المشرق بارزًا ظاهرًا فيستدل بطلوع الليل على غروب الشمس)[١].

وقال ابن حجر: (وذكر في هذا الحديث ثلاثة أمور، لأنها وإن كانت متلازمة في الأصل، لكنها قد تكون في الظاهر غير متلازمة، فقد يظن إقبال الليل من جهة المشرق ولا يكون إقباله حقيقة، بل لوجود أمر يغطي ضوء الشمس. وكذلك إدبار النهار فمن ثم قيد بقوله "وغربت الشمس" إشارة إلى اشتراط تحقق الإقبال والإدبار، وأنهما بواسطة غروب الشمس لا بسبب آخر. ولم يذكر ذلك في الحديث الثاني فيحتمل أن ينزل على حالين: أما حيث ذكرها ففي حال الغيم مثلاً، وأما حيث لم يذكرها ففي حال الصحو، ويحتمل أن يكونا في حالة واحدة، وحفظ أحد الراويين ما لم يحفظ الآخر، وإنما ذكر الإقبال والإدبار معًا لإمكان وجود أحدهما مع عدم تحقق الغروب قاله القاضي عياض[٢]. وقال شيخنا [أي الحافظ العراقي] في شرح الترمذي: الظاهر الاكتفاء بأحد الثلاثة، لأنه يعرف انقضاء النهار بأحدهما[٣] ويؤيده الاقتصار في رواية ابن أبي أوفى على إقبال الليل)[٤].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾[٥] وقد قال النبي ﷺ ((لا يَمْنَعَكُمْ من سُحورِكم أذانُ بلالٍ ولا الفَجْرُ المُسْتَطيلُ، ولكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ في الأفق))[٦].

قال ابن الأثير: (الفجر المستطير: هو الذي انتشر ضوؤه واعترض في الأفق، بخلاف

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٥/٤.

(٣) هكذا في المطبوع والظاهر أن الصواب: بأحدها. والله أعلم.

(٤) فتح الباري ١٩٦/٤-١٩٧، .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٩٤، والترمذي ٧٠٥ واللفظ له من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

المستطيل)[١].

(والفجر فجران: (١) الفجر الكاذب وهو الذي يبدو أولاً ساطعًا مستطيلاً من أعلى إلى أسفل.

(٢) الفجر الصادق: وهو الذي يبدو منتشرًا في الأفق بعد الأول بزمن يسع السحور... والمعنى: لا يمنعكم من السحور أذان بلال فإنه يؤذن بليل ولا يمنعكم البياض الذي يظهر في السماء شرقًا مستطيلاً كذنب الذئب فإنه هو الفجر الكاذب، وكلوا واشربوا حتى يظهر الفجر الصادق وهو المنتشر ضوؤه في الأفق معترضًا من جانب السماء من جهة المشرق)[٢].

ثالثًا - من آداب المدعو: تذكير العالم بما يخشى أن يكون قد نسيه:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما وفي رواية عند البخاري: ((كنّا معَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ وهوَ صائمٌ، فلمّا غَرَبَتِ الشمسُ قال لِبعضِ القومِ: يافلانُ قم فاجدَحْ لنا، فقال: يارسولَ الله لو أمْسَيْتَ؟، قال: انزلْ فاجدَحْ لنا، قال: يارسولَ الله فلو أمْسَيْتَ؟ قال: انزِلْ فاجدَحْ لنا، قال: إنَّ عليكَ نهارًا، قال: انزِلْ فاجدَحْ لنا. فنزَلَ فجَدَحَ لهم، فشَرِبَ النبيُّ ﷺ ثُمَّ قال: إذا رأيتمُ الليلَ قد أقْبَلَ مِن هاهنا فقد أفطَرَ الصائمُ)).

قال النووي: (معنى الحديث أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا صيامًا، وكان ذلك في شهر رمضان كما صرح به في رواية يحيى بن يحيى[٣] فلما غربت الشمس أمره النبي ﷺ بالجدح ليفطروا فرأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي بعد غروب الشمس فظن أن الفطر لا يحل إلا بعد ذهاب ذلك، واحتمل عنده أن النبي ﷺ لم يرها، فأراد تذكيره وإعلامه بذلك، ويؤيد هذا قوله "إن عليك نهارًا"، لتوهمه أن ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه، وهو معنى "لو أمسيت" أي تأخرت حتى يدخل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٥٧٤.

(٢) الدين الخالص: محمود محمد خطاب السبكي (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ٤٤٩/٨.

(٣) صحيح مسلم ٥٢-١١٠١.

المساء، وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على أن ذلك نهار يحرم فيه الأكل مع تجويزه أن النبي ﷺ لم ينظر إلى ذلك الضوء نظرًا تامًا، فقصد زيادة الإعلام ببقاء الضوء. وفي هذا الحديث: بيان انقضاء الصوم بمجرد غروب الشمس واستحباب تعجيل الفطر، وتذكير العالم ما يخاف أن يكون قد نسيه)[1].

وقال ابن حجر: (وأما قول الراوي "وغربت الشمس" فإخبار منه بما في نفس الأمر وإلا فلو تحقق الصحابي أن الشمس غربت ما توقف لأنه حينئذٍ يكون معاندًا وإنما توقف احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة، قال الزين بن المنير: يؤخذ من هذا جواز الاستفسار عن الظواهر لاحتمال ألا يكون المراد إمرارها على ظاهرها، وكأنه أخذ ذلك من تقريره ﷺ الصحابي على ترك المبادرة إلى الامتثال، وفي الحديث أيضًا استحباب تعجيل الفطر، وأنه لا يجب إمساك جزء من الليل مطلقًا. بل متى تحقق غروب الشمس حلّ الفطر، وفيه تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث، وقد اختلفت الروايات عن الشيباني [أي أبي إسحاق سليمان بن أبي سليمان الكوفي راوي الحديث عن عبدالله بن أبي أوفى] في ذلك فأكثر ما وقع فيها أن المراجعة وقعت ثلاثًا وفي بعضها مرتين، وفي بعضها مرة واحدة. وهو محمول على أن بعض الرواة اختصر القصة، ورواية خالد [هو ابن عبدالله الواسطي] المذكورة في هذا الباب أتمهم سياقًا، وهو حافظ فزيادته مقبولة. وقد جاء أنه ﷺ كان لا يراجع بعد ثلاث، وهو عند أحمد[2] من حديث عبدالله بن أبي حدرد في حديث أوله "كان ليهودي عليه دين")[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٣/٧/٤-٢٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤٢٣/٣، رقم ١٥٤٨٩ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه ٢٣٧/٢٤ - ٢٣٨.

(٣) فتح الباري ١٩٧/٤-١٩٨، .

الحديث رقم (١٢٣٩)

١٢٣٩ - وعن أَبي إبراهيم عبدِ الله بنِ أَبي أوفى رضي الله عنهما، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: ((يَا فُلاَنُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا))، فَقَالَ: يَا رسول الله، لَوْ أمْسَيْتَ؟ قَالَ: ((انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا)) قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: ((انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا)) قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ (لَهُمْ فَشَرِبَ رسولُ الله ﷺ)[١]، ثُمَّ قَالَ: ((إذَا رَأيْتُمُ اللَّيْلَ أقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ)) وَأشَارَ بِيَدِهِ[٢] قِبَلَ المَشْرِقِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن ابي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

غريب الألفاظ:

فاجدح لنا: أي اخلط السَّويق بالماء[٤].

والسَّويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير[٥].

الشرح الأدبي

يعد هذا الحديث تطبيقاً عملياً لإطلاع الصحابة على كيفية غروب الشمس وما يجب فعله بعد ذلك من تعجيل للفطر فإنه لما غربت الشمس قال لبعض القوم " انزل فاجدح لنا " أي " (اخلط السويق بالماء) ولما دهش الرجل أمره ثلاثاً فامتثل، وأعد لهم ذلك الشراب فشرب الرسول ﷺ ثم أصدر هذا البيان قائلاً في ثوب الشرط الذي يربط الإفطار برؤية الليل: "إذا رأيتم الليل قد اقبل من هاهنا فقد افطر الصائم" وقوله

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم (١٩٥٥).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: ((بأصبعه))، وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٦) واللفظ له، ومسلم (١١٠١/٥٣).

(٤) رياض الصالحين ٤٤٤.

(٥) اللسان في (س و ق).

(هاهنا) توكيد للمعنى، وقوله (وأشار بيده قبل المشرق) وهذه الإشارة توضح المعنى بحاسة السمع، والبصر، وهو ما يعطي المعنى ثباتا، ووضوحا وحرف " إذا " يدل على تحقق ما يأتي بعده، ويؤكد المضمون بالأفعال الماضية – " رأيتم – قد أقبل – فقد أفطر " أي وجب عليه الفطر، إذا تيقن من غروب الشمس، وإقبال الليل، وهذا التحري كله يرفع الحرج عن الأمة، ويجلب اليسر، ويحافظ على جسد المسلم، وروحة معاً.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث:

١ - جواز الصوم في السفر وتفضيله على الفطر لمن لا تلحقه بالصوم مشقة ظاهرة[١].

٢ - وفيه بيان انقضاء الصوم بمجرد غروب الشمس.

٣ - واستحباب تعجيل الفطر.

٤ - وتذكير العالم ما يخاف أن يكون نسيه.

٥ - وأن الفطر على التمر ليس بواجب وإنما هو مستحب لو تركه جاز وأن الأفضل الفطر على الماء. وقد جاء في الحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره[٢] الأمر بالفطر على تمر فإن لم يجد فعلى ماء فإنه طهور)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) وفي المسألة خلاف بين الفقهاء، انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٦/٢، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومغني المحتاج ٥٢٩/١، ومطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٢) انظر: الحديثين التاليين في رياض الصالحين وهي ١٢٤٠، ١٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٨٣/٧/٤ ، وانظر: فتح الباري ١٩٦/٤-١٩٨ .

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٤٠)

١٢٤٠- وعن سلمان بن عامر الضَّبِّيِّ الصحابي رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أفْطَرَ أحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فإنَّهُ طَهُورٌ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سلمان بن عامر الضبي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٢).

غريب الألفاظ:

طهور: بالغٌ في الطهارة[2].

الشرح الأدبي

لقد بنى الحديث على أسلوب الشرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وهو يناسب مقام التوجيه، والنصح، والإرشاد، ويبدأ الرسول ﷺ كلامه بإذا الشرطية، والفعل الماضي: " إذا أفطر، وهى تدل على تحقق وقوع ما بعدها فلا بد لكل صائم من أن يفطر، ولذا أسند الإفطار إلى كل أحد في قوله ": أحدكم وهو ما يعطي الحكم عموما لجميع المخاطبين، ثم جاءت لام الأمر لتوضح ما يرغبهم في الإفطار عليه " فليفطر على تمر.. " وتنكير كلمه: " تمر " يشير إلى أهمية الرضا بما هو موجود من التمر سواء كان قليلاً أم كثيراً، وفى حاله عدم وجود التمر: " فيفطر على ماء فإنه طهور " وقوله فإنه طهور جملة تعليلية لترغيب السامعين في التزام هذه الفضيلة، والتعليق على الماء من قبيل النبي الكريم، ووصفة بأنه " طهور " مبالغة في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، واللفظ لابن ماجه (١٦٩٩)، وتقدم برقم (٣٣٢). وصحّحه ابن خزيمة (٢٠٦٧)، وابن حبان (الإحسان ٣٥١٥)، وقال الحاكم (٤٣٢/١): هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٣).

(٢) اللسان والوسيط في (ط هـ ر).

الطهر كأنه طاهر في نفسه مطهر لغيره، ويدل على أهميته من الناحية الجسدية، والنفسية فهو يخلص الجسم من الأشياء الضارة وعليه قوام كل حي.

فقه الحديث

قال ابن قدامة: (يستحب أن يفطر على رطبات فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن فعلى الماء لحديث أنس في الباب)[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يستحب أن يفطر عليه الصائم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من الإفطار على التمر.

ثالثًا: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ما يستحب أن يفطر عليه الصائم:

قال النووي: (في هذا الحديث أن الفطر على التمر ليس بواجب، وإنما هو مستحب لو تركه جاز، وأن الأفضل بعده الفطر على الماء، وقد جاء هذا الترتيب في الحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره في الأمر بالفطر على تمر فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور)[٣].

وقد بوّب البخاري على حديث عبدالله بن أوفى: باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره[٤]. قال ابن حجر: (قوله "باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره" أي سواء كان وحده أو مخلوطًا... وذكر فيه حديث ابن أبي أوفى وهو ظاهر فيما ترجم له، ولعله أشار إلى أن الأمر في قوله "من وجد تمرًا فليفطر عليه ومن لا يجد فليفطر على الماء" ليس على

---

(١) المغني ٤/٤٣٥، وانظر المهذب وشرحه المجموع ٦/٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٤٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٤، .

(٤) الحديث ١٩٥٦.

الوجوب، وهو حديث أخرجه الحاكم[1] من طريق عبدالعزيز بن صهيب عن أنس مرفوعًا. وصححه الترمذي وابن حبان من حديث سلمان بن عامر[2]. وقد شذّ ابن حزم[3] فأوجب الفطر على التمر وإلا فعلى الماء)[4].

وقد بوب ابن حبان على حديث سلمان بن عامر: ذكر الإخبار عما يستحب للصائم الإفطار عليه، وذكر الاستحباب للمرء أن يكون إفطاره على التمر أو على الماء عند عدمه[5].

وقال المباركفوري: (قوله "من وجد تمرًا فليفطر عليه" الأمر للندب... "فإن الماء طهور" أي بالغ في الطهارة فيبتدأ به تفاؤلاً بطهارة الظاهر والباطن. قال الطيبي[6]: لأنه مزيل المانع من أداء العبادة، [أي يرتفع به الحدث المانع من أداء العبادة] ولذا منّ الله تعالى على عباده بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[7] كذا في المرقاة)[8].

وقال الشوكاني: (حديثا أنس وسلمان يدلان على مشروعية الإفطار بالتمر، فإن عدم فبالماء ولكن حديث أنس فيه دليل على أن الرَطْبَ من التمر أولى من اليابس، فيقدم عليه إن وجد، وإنما شرع الإفطار بالتمر لأنه حلو، وكل حلو يقوي البصر الذي

---

(١) أخرجه الترمذي ٦٩٤، والحاكم ٤٣١/١، والبيهقي في السنن ٢٣٩/٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي ٦٩٥، وابن حبان ٣٥١٤، وأحمد ١٩/٤، رقم ١٦٢٤٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١١٠). وينظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ١٧٦/٢٦، وصحيح ابن حبان.

(٣) المحلى ٦٩٧، المسألة ٨٠٦.

(٤) فتح الباري ١٩٨/٤، .

(٥) صحيح ابن حبان.. الحديثان ٣٥١٤، ٣٥١٥.

(٦) شرح الطيبي على المشكاة ١٥٤/٤.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩١٦/١. وقال الشيخ عبدالله البسام: (الطهور هنا المراد به -والله أعلم- أن الماء مطهر للمعدة والأمعاء، وهذا الآن حقيقة علمية طبية، فإن الأطباء ينصحون ويوصون بشرب الماء على الفراغ. ويقولون: إنه يغسل المعدة والأمعاء، ويعدل طبيعة الإنسان). توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٥٠/٣.

يضعف بالصوم، وهذا أحسن ما قيل في المناسبة، وبيان وجه الحكمة. وقيل: لأن الحلو يوافق الإيمان ويرق القلب، وإذا كانت العلة كونه حلوًا، والحلو له ذلك التأثير فيلحق به الحلويات كلها)[1]. وقال ابن عثيمين: (والرُطَب الآن - والحمد لله - موجود حتى في غير أيام الصيف، فالناس يدخرون الرُطَب الآن في الثلاجات، ويبقى مدة، فالأفضل أن تفطر على الرطب، فإن لم يكن عندك شيء فالتمر، فإن لم يكن عندك تمر فالماء، وإنما قدم الرطب والتمر لأنهما أنفع للبدن من الماء لأنه حلوى وغذاء وقوة)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحكمة من الإفطار على التمر:

قال د. صالح بن أحمد رضا: (سنة رسول الله ﷺ الفعلية والقولية ترشد المؤمن إلى أن يكون أول ما يتناوله بعد يوم كامل يقضيه في الصيام عن الطعام هو التمر والرطب فإذا لم يجد واحدًا منهما فليفطر على الماء.

والتمر والرطب من المواد المفيدة لجسم الإنسان وكون رسول الله ﷺ يختارهما للصائم فذلك لحِكَم ومنافع في هذه المادة لعلّ منها:

أن التمر يحتوي على نسبة عالية من سكر الفواكه "الفركتوز أو الليفيولوز" وسكر الفواكه هذا له تأثير منشط للحركة الدودية للأمعاء، وبذلك فإنه يكافح الإمساك، فالتمر يساعد على تليين الأمعاء.

إضافة إلى هذا فإن التمور تحتوي على مواد سكرية سهلة الامتصاص بنسبة عالية حوالي سبعين إلى ثمانين بالمائة، والكليوغرام من التمور يعطي طاقة حرارية عالية حوالي ثلاثة آلاف من السعرات، وهو القدر الذي يحتاجه الإنسان العادي من الطاقة الحرارية.

والسكريات الموجودة في الرطب والتمور تمتص بسرعة فائقة وفي أقل من ساعة وهو عبارة عن "سكر العنب وسكر الفواكه" وكلاهما أحادي، يمتصان مباشرة من جدار الأمعاء الدقيقة وبسهولة.

---

(١) نيل الأوطار، ص ٨١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٤.

كما تحتوي التمور على سكر القصب وهو ثنائي سهل الهضم أيضًا فيتحول بواسطة خميرة "السكراز" الموجودة في العصارة المعوية إلى "سكر العنب وسكر الفواكه" فيمتص من جدار الأمعاء الدقيقة إلى الدم ثم إلى الأنسجة ليولد الطاقة الحرارية المطلوبة للجسم بعد تمثيله وتحويله إلى ماء وثاني أكسيد الكربون، فلهذا كان التمر أنسب الأغذية للصائم، أول ما يبدأ به لإمداده بالطاقة الحرارية ولسهولة هضمه على المعدة والأمعاء.

وإننا نلاحظ أن رسول الله ﷺ كان من سنته الابتداء بالتمر يوم الفطر، بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان، وقبل الذهاب إلى صلاة العيد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رسولُ اللهِ ﷺ لا يَغدُو يومَ الفطرِ حتى يأكلَ تَمَراتٍ))[1]. ولعل ذلك لكي تتهيأ المعدة لاستقبال الطعام في يوم الفطر حيث إنها اعتادت الصيام لمدة شهر كامل فيبدأ بالتمر الملين للمعدة، لتأكل بعد ذلك ما شاءت من أنواع الطعام. وجاء في كتاب صحتك في الغذاء "لكي تتهيأ المعدة لاستقبال وجبة الطعام بعد صيام ساعات طويلة يبدأ بتناول مادة سكرية مثل: عصير الفاكهة أو كوب من الشاي واللبن، أو بعض تمرات من البلح كما كان يفعل رسول الله ﷺ".

بعد كسر الصيام ينتظر الصائم لمدة عشر دقائق قبل تناول أي طعام حتى تعود المعدة لحالتها الطبيعية بعد أن كانت في حالة استرخاء خلال فترة الصيام[2].

والخلاصة: (أن التمر غني بعدد من أنواع السكر فهو يتحلل رأسًا إلى الدم فالعضلات ليهبها القوة، فالصائم يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه، وهبوط نسبة السكر في الدم عن حدها المعتاد هو الذي يسبب ما يشعر به الصائم من ضعف وكسل وزوغان البصر، لذا كان من الضروري أن نمدّ أجسامنا بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار لتعود إلى قواها سريعًا)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥٣.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، الدكتور صالح بن أحمد رضا، ٢٩١/١-٢٩٣. وانظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية الدكتور زغلول النجار ٥٢/١-٥٧.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٩/٣-١٥٠.

ثالثًا: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله

هذا واضحٌ من حديث سلمان فقد أخبر عن قول النبي ﷺ أما حديث أنس فقد أخبر عن فعله ﷺ، وفعله كان موافقًا لقوله ﷺ، وهكذا يكون الداعية فعله يطابق قوله، وهذا واضحٌ من وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لخلقه ﷺ: ((فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ))[1].

قال الدكتور القرضاوي: (تعني أن سيرته كانت تجسيدًا حيًا للقرآن فكما بين القرآن للناس بقوله، بيّنه لهم بسيرته)[2].

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من يخالف فِعلُه قَوْلَه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم تطابق أفعالهم أقوالهم، من ذلك ما رواه علقمة بن قيس النخعي عن عبدالله بن مسعود قال: ((لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ. قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ. يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ. وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ. قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4]. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَىٰ شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ. قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي. قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا. فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦ مطولاً.

(٢) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، ص ٢٥٨.

(٣) سورة الصف، آية: ٢-٣.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكِ، لَمْ نُجَامِعْهَا))[١].

ولعلّ من أروع الأمثلة على موافقة أفعال الصحابة أقوالهم ما حدث من عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة، قال الدكتور مصطفى السباعي: (كان ذلك في سنة ١٨هـ، إذ أصاب الناس في الحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، حتى كانت الوحوش تأوي إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرذان، ليأكلوا ما فيها من حشرات، واستغاث عمر بولاة الأمصار أن يمدوه بالميرة والطعام، ففعلوا، وكانت سَنَة أصاب عمر من همها وبلائها وحزنها ما نحل معه جسمه، واسودّ لونه، حتى قالوا: لو لم يرفع الله المحل وعام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين. ولقد كان يؤتى إليه من الأمصار بقوافل الطحين والسمن واللحوم، فيفرقها على المسلمين، ما يأكل منها شيئًا، وإنما كان يأكل الزيت والخبز والأسود، وكان يقول: لقد آليت على نفسي ألا آكل السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعًا)[٢].

ملحوظة: بوب النووي هذا الباب فقال: باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره.

والملاحظ أنه ذكر ما يدل على فضل تعجيل الفطر، وما يفطر عليه، ولكنه لم يذكر الأحاديث التي تتضمن ما يقوله الصائم بعد إفطاره، فلعلّ سبب ذلك النسيان أو سبب آخر.

وقد ذكر النووي نفسه في كتاب الأذكار باب ما يقول عند الإفطار[٣]، ذكر تحته ما يلي:

١ - روينا في سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: ((ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّه))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٨٦، ومسلم ٥١٢٥ واللفظ له.

(٢) عظماؤنا في التاريخ ١٣٨-١٣٩، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٨/١٠ وما بعدها.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٣٥٧ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٦).

٢ - روينا في سنن أبي داود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: ((اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أفْطَرْتُ))[١]. هكذا رواه مرسلاً.

٣ - وروينا في كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال: ((كانَ رسول الله ﷺ إذَا أَفْطَرَ قالَ الحَمْدُ لله الّذي أَعَانَنِي فَصُمْتُ وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ))[٢].

٤ - وروينا في كتاب ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ إذا أفطر قال: اللَّهُمَّ لكَ صُمْنا، وعَلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ))[٣].

٥ - وروينا في كتابي ابن ماجه وابن السني عن عبدالله بن أبي مليكة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((قَالَ سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: إنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ إذَا أَفْطَرَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ، الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تَغْفِرَ لِي))[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٣٥٨ وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٥١٠).

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٨٠ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٣٥٣.

(٣) أخرجه ابن السني ٤٨١ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٣٥٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٧٥٣، وابن السني ٤٨٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٨٧).

الحديث رقم (١٢٤١)

١٢٤١- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أنْ يُصلِّي عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فتُمَيْرَاتٌ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

حسا: شرب[٢].

حسوات: جمع حَسوة: المرة من الشراب[٣].

الشرح الأدبي

يدل هذا الحديث على رفق الرسول ﷺ بالأمة؛ لأنه كان يفطر قبل أن يصلى، وهذا أكبر رد على الذين يتعجلون في صلاتهم حتى يذهبوا إلى بيوتهم فيدركون الطعام ولكن المصطفى ﷺ يتأنى في العبادة، ويعطى الجسد حقه، أو شيئاً من حقه لكي يصلى هادئاً مطمئناً، وجمع القلة في " رطبات " يدل على قلة ما يتناوله النبي أثناء إفطاره قبل صلاة المغرب، وكلمة " تميرات " المصغرة تؤكد هذا المعنى ولذلك كررت في قوله: " فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء " ومن" في قوله: " من ماء " للتبعيض وألفاظ الحديث كلها تشع بمدى بساطة النبي صلى الله علية وسلم، وتوازنه، وهدوئه، وجمعه بين متطلبات الجسد، والروح.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦) واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم (٤٣٢/١): صحيحٌ على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٤).

(٢) اللسان والوسيط في (ح س و).

(٣) اللسان والوسيط في (ح س و).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من مهام المربي: بيان الحكم الصحيح فيما قد يظن الناس خلافه:

لقد أخبر النبي ﷺ عن تعجيل الفطر بما يلي:

(أ) أنه لا يزال الناس إذا فعلوه بخير.

(ب) أن من يعجل الفطر يكون من أحبّ العباد إلى الله، فكلما كان أعجل أحبّه الله أكثر.

(ج) كما أخبرت عائشة رضي الله عنها أن هدي رسول الله ﷺ كان تعجيل الفطر وتعجيل الصلاة.

فاجتمعت في هذه الأحاديث السنة القولية والعملية على استحباب تعجيل الفطر، لقد تعاهد النبي ﷺ أصحابه في ذلك بالقول وبالفعل معًا، وذلك ليبين لهم أهمية هذا الأمر وشدة الترغيب فيه، والسؤال هنا: لماذا فعل النبي ﷺ ذلك؟

لعل الجواب يكمن فيما يلي: إن الصائم يميل إلى أن يحتاط لصيامه فلا يقدم على الإفطار إلا بعد أن يتأكد من دخول المغرب، ويزداد في الاحتياط فيزيد من عنده بعض الوقت ينتظر فيه ثم يتناول طعامه، ويظن أن هذا الفعل مرغوب فيه، إنه يظن ما الضرر من انتظاره عدة دقائق بعد دخول المغرب حتى يتناول إفطاره؟ بل قد يظن أن هذا من الدين ويقع في هذا عدد غير قليل من عوام المسلمين، فإذا ترك النبي ﷺ هذا الأمر دون بيان فقد يظل هؤلاء على اعتقادهم وعلى ظنهم بل قد يزداد الأمر إلى أنه ربما يؤخرون الإفطار إلى وقت العشاء ونحو ذلك زيادة في الاحتياط في زعمهم وفي ظنهم. لذا بيّن النبي ﷺ أن تعجيل الفطر هو السنّة وأن من فعل ذلك فقد خالف هذه السنة بل وأهملها وتركها وراء ظهره.

والمقصود أن النبي ﷺ يبيّن لهم الأمر الصحيح الذي ربما قد يظن بعضهم أن الصحيح خلافه، وفي هذا إرشاد للمربين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ، فيحرصوا أشد الحرص على بيان الصحيح من الأمور وخاصة الأمور التي قد يظن أن الصواب

فيها خلافها.

ثانيًا- التربية على الالتزام بالسنة النبوية:

لقد سأل التابعي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ يختلف فعل أحدهما عن الآخر، لقد سأل يريد أن تخبره عن الصواب في ذلك، إنه يريد أن تخبره عن فعل النبي ﷺ وهديه في ذلك، وهذا ما فعلته عائشة رضي الله عنها فأخبرته عن هديه أنه ﷺ كان يعجل الإفطار والمغرب.

إن سؤال التابعي وإخبار عائشة رضي الله عنها يدلان دلالة قاطعة على أن الحجة هو سنة الرسول ﷺ ولا أحد غيره، فما صدر عنه فهو الذي يلتزم ويفعل وما عدا ذلك لا يلتفت إليه ولا يعتني به، وعلى ذلك ينبغي أن يربي الناشئة ويغرس في سويداء قلوبهم إنهم يجب أن يربوا على تعظيم ما جاء عن النبي ﷺ والعمل به، فهو الحق والصواب الذي لا حق ولا صواب بعده.

إن الناشئة حين يربون على ذلك يحصلون الفوائد الجمّة ، فمن ذلك:

(أ) عدم تلبسهم بالبدع والأوهام والخرافات والتحريف في الدين والتأويل الباطل، لأن ذلك يحفظ عليهم دينهم ويحميه من دخول البدع والمخالفات الشرعية عليه.

(ب) رغبتهم الشديدة في تعلم العلم الشرعي حتى يكونوا ملتزمين بالسنة عن علم لا عن تقليد.

(ج) عصمتهم من الفتن وتجنيبهم مواطن الزلل وحمايتهم من الأفكار الهدامة والدعاوى الباطلة.

ثالثًا- من الوسائل التعليمية: الحركات المعبرة:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الإشارة في بيان وقت الإفطار وعلاماته، فقال: (إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم)، وفي الحديث الآخر: (وأشار بيده قبل المشرق)، فكانت الإشارة لزيادة توضيح المعنى وشدة بيانه، والإشارة من الحركات المعبرة التي يقصد بها: (تغير ملامح الوجه أو هيئة الجلسة أو الإشارة باليد أو بالإصبع أو غيرهما بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس

وبلورتها بحيث تعرض سماتها الواضحة المعبرة على المشاهد، وهي تختلف عن أفعال الإنسان الأصلية التي يقوم بها في أكله وشربه.

وللحركات المعبرة معانٍ قد يعبر عنها بالكلام، وقد لا يوفيها الكلام حقها في التعبير، ذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها أناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم، ومع الناطقين أيضًا وهي إذا كانت في محلها معينة على الفهم ملفتة للنظر طاردة الشرود مشركة في المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة ويذكر كل منهما الأخرى، وكان لحركته ﷺ وإشاراته موضع كبير في إجادة الأداء فحركته معبرة تلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر، وعلى ذلك فاستخدام الرسول ﷺ للحركات المعبرة وسيلة تعليمية لأنها أوقع في نفس السامع)[1].

(وقد أثبتت الدراسات والبحوث التربوية والنفسية إمكان استثمار الوسائل التعليمية في القيام بوظائف مختلفة في العملية التعليمية منها -على سبيل المثال لا الحصر- معالجة عيوب اللغة اللفظية في التدريس وإثارة اهتمام الدارسين، وتوسيع مجالات خبرتهم، وجعل أثر التعليم باقيًا، وإبراز تسلسل الأفكار، ومراعاة الفروق الفردية بصورة أفضل، وإيصال الأفكار بجهد أقل ووقت قصير، والتغلب على حدود الزمان والمكان)[2].

رابعًا- التربية على إبداء الرأي:

لقد راجع الصحابي النبي ﷺ ثلاث مرات عندما أمره بخلط السويق بالماء للإفطار عليه، والنبي ﷺ لم يزد على أن أمره الأمر نفسه ولم يعنفه أو يلومه، قال ابن حجر: (وفيه -أي في الحديث- تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث)[3].

---

(١) الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة، د. عبدالرحمن بن محمد بلعوض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ١٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥، ص ٤٦٣، وانظر مراجعه ومصادره.

(٢) المرجع السابق ص ٤١٨ ومراجعه ومصادره..

(٣) فتح الباري ١/١٠٩٠ ط/ بيت الأفكار.

إن النبي ﷺ ربّى أصحابه رضي الله عنهم على الشجاعة والأدب في إبداء رأيهم، وفي مراجعة الصحابي للنبي ﷺ دليل واضح على حرية الرأي التي مارسها الصحابة رضي الله عنهم عمليًا، فلم يصادر النبي ﷺ رأي الصحابي، بل كرر عليه الأمر، ثم بين له الصواب في هذا الأمر بأدب عالٍ قائلاً: (إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم) إنها تربية نبوية متألقة في أدب الحوار وكيفية الإبانة عن حقيقة الأمر بدون تعنيف أو تسفيه للرأي الآخر، أو استعلاء في نبرة الحوار أو صلف أو غرور.

إن في التربية على حرية إبداء الرأي يحقق فوائد تربوية على درجة كبيرة من الخطورة منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على التعبير عن آرائهم واجتهاداتهم بقوة وشجاعة وأدب، مما يجعلهم أصحاب شخصيات مستقلّة، لا يسيرون وراء كل سائر، أو وراء كل ناعق، أو وراء كل زاعق، لأنهم أبعد ما يكون كما يسمى - في الفكر التربوي والاجتماعي - بثقافة القطيع التي تعني - فيما تعني - أن كثيرًا من الناس تذوب شخصياتهم ويهملون عقولهم ويتركون قدراتهم التفكيرية وراء ظهورهم ويستجيبون لمن يحرِّك عواطفهم ويدغدغ أحاسيسهم ويمنيهم الأماني الكاذبة ويعدهم العدات الباطلة.

ب- تعويدهم على الإيجابية والمشاركة والتفاعل مع ما يدور حولهم واتخاذ المواقف المناسبة تجاهها، وإبداء الآراء المعتدلة فيها، ومحاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه.

إن مما تعاني منه كثير من الدول والأمم سلبية شعوبها وبالأخص شبابها الذي هو أملها المدافع عن مصالحها الحامل لأمانيها وآمالها والمستلم دفة القيادة، إن سلبية هذا الشباب تجعل مستقبل هذه الدول في خطر شديد.

ج- طرح كثير من البدائل المشروعة والحلول غير التقليدية التي توصل إلى المقصود بأدنى جهد وأقل وقت، مما يوفر معه كثيرًا من الجهود والأوقات التي توجه إلى معالجة كثير من القضايا والإشكاليات، وما أكثرها وأعقدها في عالمنا المعاصر.

وغير ذلك من الفوائد التي لا تخفى، ولكي يكون إبداء الرأي فعالاً ومساهمًا

مساهمات تربوية بارزة، لابد أن يتوافر فيه صفات رئيسة، منها:

أ- الإخلاص في إبداء الرأي، فلا يكون الباعث عليه محاباة أو عداوة أو حسد أو حقد أو تشهير أو مجرد الاختلاف ونحو ذلك، مما يجعل معه إبداء الرأي معوقًا من أكبر المعوقات دون أن يكون من أنجح الحلول وأقواها.

ب- أن يكون إبداء الرأي عن علم واسع وإدراك فاهم، لا أن يكون صادرًا عن مجرد إلمام بالموضوع أو عن انطباعات عابرة أو تأثر ببعض المواقف وببعض الاتجاهات.

ج- عدم الربط بين إبداء الرأي وبين قائله، وهذا يحل كثيرًا من الاشتباكات بين أصحاب الآراء المختلفة، لأنه كثيرًا ما يربط بين الرأي وبين قائله، فإذا لم يؤخذ به فمعنى ذلك أن صاحبه قد رفض وأن شخصيته قد اهتزت، مما يجعل كثيرًا من تلك الاشتباكات شخصية في المقام الأول.

فإذا توافر في الرأي هذه الصفات الرئيسة على الأقل كان عاقبته محمودة، لذا كان على أهل التربية أن يجمعوا في تربيتهم بين إبداء الرأي، وتوافر الصفات التي تكفل لهذا الرأي أن يكون رأيًا إيجابيًا نافعًا مفيدًا.

خامسًا- التربية على إيجاد البدائل المشروعة:

لقد كان النبي ﷺ يفطر على شيء من أشياء ثلاثة:

(أ) رطبات.

(ب) فإن لم يجد انتقل إلى التمر.

(ج) فإن لم يجد انتقل إلى الماء.

أليس في هذا الحديث تعليم وإرشاد لأهل التربية أن يربوا الناشئة وغيرهم على إيجاد البدائل المشروعة، إذا فقدوا الأصل أو كان بعيدًا عنهم لأي سبب من الأسباب؟

"إن منهج الرسول ﷺ العملي يأتي مطابقًا لما سار عليه الشرع في كتابه العزيز، فقد كانت بعثته ﷺ في أصلها خطوة عملية لإيجاد البدائل الصالحة لما كان منتشرًا قبل البعثة من مفاسد، والتي كانت سببًا في تغيير كثير من المفاهيم المنتشرة آنذاك، فأوجد ﷺ مجتمعًا بديلاً عن مجتمع الجاهلية الأولى، الذي كان منهج حياته يقوم

على عبادة الأحجار والأشجار والتفاخر بالأحساب والأنساب واعتداء القوي على الضعيف، فأوجد مجتمعًا أساسه عبادة الله وحده، قائمًا على الأخوة والعدل والمساواة، جاعلاً معيار التفاضل والتفاخر منه على أساس التقوى.

فإنه بهذا الأسلوب الحكيم الذي زرعه في قلوب أصحابه ﵃ هيأهم إلى قبول التشريعات الربانية وسماع التعاليم الإسلامية وغير منهج حياتهم تغييرًا كاملاً، وبعد أن قام بمهمته ﷺ في مكة المكرمة فأوجد البديل الصالح فيها انتقل إلى إيجاد الدولة المسلمة البديلة في المدينة المنورة التي امتازت بقيامها على العدل والمساواة حتى صارت مثالاً نموذجيًا يضاهي الدول الكبرى القائمة في ذلك العصر بل يمتاز عليها.

ومن خلال تلك الدولة وتلك التنظيمات والتشريعات ظهرت حضارة جديدة تتفوق عما سبقها من حضارات وتشع بنورها عبر الأزمان، وتتضح معالمها ويمتد خيرها يومًا بعد يوم.

واستمر الصحابة الكرام ﵃ من بعده على هذا الأسلوب القويم الذي رباهم عليه المربي الأول ﷺ فقاموا بأمر الدعوة حق القيام مراعين في ذلك واقعهم وأوضاعهم والظروف المحيطة بهم، فنشروا الإسلام في أنحاء المعمورة[1].



(١) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية، د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط/١ الإبداع الفكري، الكويت: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٩ - ١٠.

٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

الحديث رقم (١٢٤٢)

١٢٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي[1] صَائِمٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فلا يَرْفُثْ: من الرَّفَث، وهو الكلام الفاحش، وأيضًا ذِكْر الجماع ومقدماته مع النساء[3].

ولا يَصْخَب: من الصَّخَب: وهو الخصام والصِّياح[4].

سابَّه: شاتمه[5].

الشرح الأدبي

بني الحديث الشريف على أسلوب الشرط، وجوابه: " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب " وإذا " تفيد تحقق ما بعدها، أي أن الصوم قائم، وقادم لا محالة مادام الإنسان قد دخل تحت مظله الإسلام، ولفظ " أحدكم " يشع بأن كل أحد

---

(١) عندهما زيادة: (امرؤ).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١/١٦٣)، وتقدم برقم (١٢٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٠٢)

(٣) فتح الباري ٤/ ١٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص خ ب).

(٥) المرجع السابق في (س ب ب).

مسئول عن عمله، ويجب عليه أن يحفظ صيامه، ولذا أسند الفعلين المنهي عنهما إلى الفاعل المستتر فيهما ليؤكد ما سبق من ناحية المسئولية الفردية للمؤمن، وذلك – تحديداً – في الفعلين " فلا يرفث، و لا يصخب " ثم جاء المصطفى – علية الصلاة والسلام بجمله شرطية أخرى تلفت الصائمين إلى شيء مهم إذا هو لم يرفث، ولم يصخب ولكنه لو أعتدي عليه أحد ماذا يفعل ،وضع له خاتم الرسل حلا يخرج به دون خدش صيامه: " فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم " وتشديد الباء في " سابه " يدل على إكثار السب له، والاعتداء عليه فعليه أن يقول: " إني صائم " ليذكر نفسه أولا، ويذكر الخصم لعله يرتدع، ويقلع عن تلك المخالفات ثم إن لهذه التوجيهات لها بعد نفسي لأنها تربي المسلم على السيطرة على نفسه، وغضبه معان على ذلك بالصيام حتى إذا انقضى رمضان يكون قد وطن نفسه على ترويضها لمرضاة الله تعالى.

فقه الحديث

١ – قال ابن قدامة: (ويجب على الصائم أن ينزه صومه عن الكذب والغيبة والشتم. قال أحمد: ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يماري، ويصون صومه كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدًا ولا يعمل عملًا يجرح به صومه، وذلك لحديثي الباب)[١].

وقال النووي: (فلو اغتاب في صومه عصى ولم يبطل صومه عندنا، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا الأوزاعي، فقال يبطل الصوم بالغيبة ويجب قضاؤه، واحتج بحديث "من لم يدع قول الزور ..." وأحاديث أخر[٢].

وقال النووي: (وأجاب أصحابنا عن الأحاديث بأن المراد أن كمال الصوم وفضيلته المطلوبة أن يهتم بصيانته عن اللغو والكلام الردئ، لا أن الصوم يبطل به)[٣].

---

(١) المغني ٤/٤٤٧ .

(٢) المجموع ٦/٢٥٨ ، وانظر: فتح الباري ١٠/٤٧٤ .

(٣) المجموع ٦/٢٢٨.

وناقش ابن حجر من استدلّ بالحديث على أن الغيبة تفطر، قال: (وفي كلامه مناقشة، لأن حديث الباب لا ذكر للغيبة فيه، وإنما فيه قول الزور والعمل والجهل، ولكن الحكم والتأويل في كل ذلك ما أشار إليه)[1].

المضامين الدعوية [2]

أولًا: من موضوعات الدعوة: حفظ الصائم لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة قول الزور.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حفظ الصائم لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها:

هذا واضحٌ من الحديثين، قال النووي عن الحديث الأول: (فيه نهي الصائم عن الرفث وهو السخف وفاحش الكلام... والجهل قريب من الرفث، وهو خلاف الحكمة وخلاف الصواب من القول والفعل.

قوله ﷺ: "فإن امرؤ شاتمه أو قاتله" معناه: شتمه متعرضًا لمشاتمته ومعنى قاتله: نازعه ودافعه، وقوله ﷺ: "فليقل إني صائم" اختلفوا في معناه: فقيل: بلسانه جهرًا يسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا. وقيل: لا يقول بلسانه، بل يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ومقابلته ويحرس صومه عن المكدِّرات، ولو جمع بين الأمرين كان حسنًا.

واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصًا به، بل كلُّ أحد مثله في أصل النهي عن ذلك، لكن الصائم آكد)[3].

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٧٤، وانظر: فتح الباري ٤/١١٦-١١٨ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٤٢ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٣١، .

وقال ابن القيم: (قوله ﷺ: ((وآمَرَكُمْ بالصِّيَام، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يُعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ))[1] إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك، لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم، صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذا هو الصوم المشروع لا مجرد إمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح - الحديث الثاني - : ((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرابَه))، وفي الحديث: ((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ))[2]، فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم)[3].

وقال ابن عثيمين: (إنه يجب على الصائم أن يتجنب كل قول محرم وكل فعل محرم، لأن الله تعالى إنما فرض الصيام من أجل التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4] أي من أجل أن تتقوا الله عز وجل وتجتنبوا محارمه، ولا يريد الله من عباده أن يضيق عليهم بترك الأكل والشرب والجماع، ولكن يريد أن يمتثلوا أمره، ويجتنبوا نواهيه حتى

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٨).

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٣/٢، رقم ٨٨٥٦، وقال محققو المسند: إسناده جيد ٤٤٥/١٤.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢٨١/٢-٢٨٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

يكون الصيام مدرسة يتعودون فيها على ترك المحرمات وعلى القيام بالواجبات، وإذا كان شهر كامل يمر بالإنسان وهو محافظ على دينه، تارك للمحرم قائم بالواجب، فإن ذلك سوف يغيّر مجرى حياته. وبهذا بين الله الحكمة من ذلك بأنها التقوى، وقال النبي ﷺ "إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق" يعني: لا يفعل فعلاً محرمًا ولا يقول قولاً محرمًا، "فإن سابه أحد" يعني صار يعيبه ويشتمه "أو قاتله" فليقل "إني صائم" حتى يدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبيّن لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزًا لا ذليلاً، لكنه ذلّ لعبودية الله تعالى وطاعة الله وكذلك قال ﷺ "من لم يدع قول الزور" يعني: قول المحرم "والعمل به" أي بالمحرم "والجهل" كما في لفظ آخر، يعني: العدوان على الناس، "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، لأن الله تعالى إنما أوجب الصيام لأهم شيء وهو ترك المحرمات والقيام بالواجبات)[1].

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء))[2].

وقال أبو المتوكل: (إن أبا هريرة وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف))[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطورة قول الزور:

هذا واضح من قَوْل النبي ﷺ: "من لم يَدَعْ قول الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الصائم مأمور بتنزيه صومه عن أن يجرحه بشيء من فلتات لسانه، حتى إن شهادة تبلغ في إفساد

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٥-١٤٠٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/٣ -٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/٤.

الصوم إلى أن يقول رسول الله ﷺ "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فمعنى قوله ﷺ "ليس لله حاجة"، فإنه كلام يشير إلى مغاضبة عليه، مع العلم بأن الله عز وجل لا حاجة له إلى صيام صائم، وإنما ذكر رسول الله ﷺ هذا إعلامًا لمن فعله أن الله سبحانه قد بلغ غضبه على شاهد الزور إلى ألا يراه معدودًا في الصائمين)[1].

وقال ابن حجر: (قوله "قول الزور والعمل به" زاد المصنف في الأدب[2] عن أحمد بن يونس عن ابن أبي ذئب "والجهل". ولابن ماجه[3] من طريق ابن المبارك "من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به" جعل الضمير في "به" يعود على الجهل، والأول جعله يعود على قول الزور، والمعنى متقارب، ولما روى الترمذي حديث أبي هريرة[4] هذا قال: وفي الباب عن أنس. قلت: وحديث أنس أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ "من لم يدع الخَنَا والكذب" ورجاله ثقات. والمراد بقول الزور الكذب، والجهل السفه والعمل به أي بمقتضاه، قوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه. وهو مثل قوله ((مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصِ الْخَنَازِيرَ))[5] أي يذبحها، ولم يأمره بذبحها ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم بائع الخمر، وأما قوله "فليس لله حاجة" فلا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه فوضع الحاجة موضع الإرادة، قال ابن المنير في الحاشية: بل هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئًا طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي بكذا فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول الصوم السالم منه)[6].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢١/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٥٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٦٨٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٠٧.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٤٨٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٧٥٢).

(٦) فتح الباري ١١٧/٤-١١٨، .

وقال الشيخ عبدالله البسام: (قول الزور هو القول المائل عن الحق إلى الباطل، فيدخل فيه كل كلام محرم من الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسب والشتم وغير ذلك. فكل قول زور فهو محرم في كل زمان ومكان، ولكن يعظم ويشتد إثمه إذا كان في زمان فاضل كرمضان، ومكان فاضل كالحرمين، وحالة فاضلة كالصيام.

أما الجهل فهو ضد الحلم من السفه بالكلام الفاحش، فهو أيضًا محرم على كل حال، وحرمته من الصائم أعظم وأشد.

إن الصيام مع قول الزور والجهل والسفه ناقص المعنى، قليل الأجر، لأنه ليس صومًا تامًا كاملاً، ولو كان كذلك لصان صاحبه عن الأقوال المحرمة وفضول الكلام.

وقوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" يراد به بيان عظم ارتكاب قول الزور والجهل في حال الصيام، وإلا فالله تعالى غني عن العالمين وأعمالهم. والصيام مع الكلام المحرم ظاهره الصحة، وأداء الواجب عن صاحبه، إذ أنه ليس من المفطرات الحسية.

قال في الإقناع: "ولا يفطر بغيبة ونحوها". قال الوزير: اتفقوا على أن الكذب والغيبة يكرهان للصائم، ولا يفطرانه، فصومه صحيح في الحكم، وهذا مبني على قاعدة هي: أن التحريم إذا كان عامًا لا يختص بالعبادة، فإنه لا يبطلها، بخلاف التحريم الخاص.

من آداب الصائم ما قاله في الإقناع[1]: ويجب اجتناب كذب وغيبة ونميمة وشتم وفحش ونحوه كل وقت، وفي رمضان ومكان فاضل آكد، وأن لا يعمل عملاً يجرح به صومه، فكفّ لسانه عما يحرم ويكره، وإن شتم سن له جهرًا في رمضان أن يقول: إني صائم، وفي غير رمضان يقولها سرًا يزجر نفسه بذلك خوف الرياء. ويستحب

---

(١) الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي: موسى بن أحمد بن موسى ٩٦٨هـ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١/٥٠٥-٥٠٦.

الإكثار من قراءة القرآن والذكر والصدقة لتضاعف الحسنات به.

وقوله: "فليس لله حاجة..." فيه إثبات الحكمة من الشرائع، وأن منها تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق واستقامة الطباع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[١].

والمقصود من شرعية الصيام ليس نفس الامتناع عن المفطرات والجوع والعطش، بل ما يتبع ذلك من كسر الشهوات وإطفاء ثائرة الغضب، وتطويع النفس الأمارة حتى تصير مطمئنة، فإن لم يحصل له شيء من ذلك لم يبال الله بصومه ولا ينظر إليه نظر قبول)[٢].

وقد جعل النبي ﷺ شهادة الزور من الكبائر، فقال لأصحابه: ((ألا أُنبِّئُكم بأكبَر الكبائِر "ثلاثًا"؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين - وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال - : ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ))[٣].

قال ابن حجر: (قوله "وجلس وكان متكئًا" يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا... وفي الحديث تحريم شهادة الزور، وفي معناها كل ما كان زورًا من تعاطي المرء ما ليس له أهلاً)[٤].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٥٤/٣-١٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٥٤، ومسلم ٨٧.

(٤) فتح الباري ٢٦٣/٥، .

وقال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: (في حياة الناس نوع خطير من الكذب شديد القبح سيء الأثر ألا وهو شهادة الزور، إن الأصل في الشهادة أن تكون سندًا لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل والحكم على الجناة الذين تنحرف لهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سندًا للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق، استنادًا إلى ما تضمنته من إثبات فإنها تحمل حينئذ إثم جريمتين كبيرتين في آن واحد: الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى، الجريمة الثانية: قيامها بجريمة إيجابية، تهضم فيها الحقوق ويظلم فيها البرآء ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان... ولذلك قرن الله تبارك وتعالى التحذير من قول الزور بالتحذير من الشرك بالله، فقال تعالى في سورة الحج: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1][2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من الحديثين، فالحديث الأول فيه "إذا، و"إن" والحديث الثاني فيه "من". وكلاهما أداتا شرط. وجاء الشرط مناسبًا ليرتب طلبًا على فعل، أو جزاء على فعل. ففي الحديث الأول، حضٌ على الالتزام بآداب الصوم إذا كان هناك صوم، وفي الحديث الثاني، ترهيب لمن أقدم على قول الزور والعمل به وهو صائم بأن الله لن يقبل صومه.

وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو للدعوة، حيث إنه يتطلع إلى معرفة فعل وجواب وجزاء الشرط، ومدى أهميته أو خطورته، فيلتزم بالدعوة، أو ينتهي عما فيه خطورة عليه أو على غيره.

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٢٤٧-٢٤٨.

الحديث رقم (١٢٤٣)

١٢٤٣- وعنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الزور: الكذب والباطل والتهمة[٢].

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث خطأ من الأخطاء التي يمكن أن يتردى فيها بعض الناس، ولا يدركون خطرها، وهو مضيع للصيام موبق للصائم مناقض لسلوكه، وقد استخدم لبيان هذا الخطأ، وخطره عدة أساليب بلاغية: منها: البداية بالأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات في قوله ﷺ (من لم يدع قول الزور) لأن المقام لخالي الذهن مع ما يوحى به من ثقة المتكلم في قبول المخاطب وعدم إنكاره، وهو أسلوب شرط جملة الشرط قوله (من لم يدع قول الزور والعمل به..) ومن اسم موصول فيه معنى الشرط ويستخدم للعاقل، وجملة الشرط تؤكد على ضرورة ترك الصائم لقول الزور، أو العمل به حتى لا يضيع ثوابه أو يفرغ صيامه من مضمونه.ومنها: وقدم القول على العمل لخطورة اللسان وكثرة حركته فيما يفيد، وما لا يفيد وقدم القول أيضا لان معظم الأخطاء البشرية تحدث بسببه ومعظم العداوات والخصومات والمشاحنات تنتج عن الإفساد بالقول والنميمة والغيبة والبهتان وأضاف "القول" إلى "الزور" لأنة سببه، فمعنى "الزور" هو الميل عن الحق إلى الباطل وهذا ما يدفعه إلى القول والخوض مع الخائضين ثم يأتي العمل كمرحلة تالية للقول لان الإنسان قد يخطىء

---

(١) برقم (١٩٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز و ر).

باللسان ولكنه يتراجع ويندم وهناك من يتمادى في الآثام ويضيف إلى أخطاء اللسان أخطاء الجوارح كلها فيعمل سوءاً، أو يظلم نفسه وعندئذ فلا عبرة بتركة للطعام والشراب لأن صومه لم يؤثر فيه ومنها :الكناية في قوله:(فليس لله حاجة) كناية عن عدم الرضا، والقبول، وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وما ذكر معه".

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم صيام من اغتاب غيره: ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه يجب على الصائم أن يكف لسانه عن الغيبة، فلو اغتاب في صومه فقد عصى ولم يبطل صومه[1]. وذهب الأوزاعي، وابن التين وجماعة من السلف إلى بطلان صوم من اغتاب غيره في نهار رمضان ويجب عليه القضاء مستدلين بحديث الباب[2].

ويناقش هذا: بأن المراد أن كمال الصوم وفضيلته المطلوبة إنما يكون بصيانته عن اللغو والكلام الردئ لا أن الصوم يبطل به[3].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن الحديث لا يدل على ذلك وغاية ما يدل عليه هو عدم قبول الصوم يقول الإمام البهوتي (إن الحسنات والسيئات تتضاعف بالزمان والمكان الفاضل. قال أحمد: ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يُماري، ويصون صومه، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا نحفظ صومنا، ولا نغتاب أحدًا، ولا يعمل عملاً يخرج به صومه)[4].

المضامين الدعوية[5]

---

(١) حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ١٦٦/٢، المجموع شرح المهذب ٣٩٨/٦، شرح منتهى الإرادات ٤٨٨/١، فتح الباري ٥٧٢/١٠.

(٢) المجموع شرح المهذب ٣٩٨/٦، فتح الباري ٥٧٢/١٠.

(٣) المجموع شرح المهذب ٣٩٩/٦.

(٤) شرح منتهى الإرادات ٣٧٥/٢.

(٥) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الالتزام بآداب الصيام:

لقد أمر النبي ﷺ الصائم أن ينزه لسانه عن قول الفحش واللغط وأمره كذلك بالكفّ عن أن يردّ السبّ بالسب والفحش بالفحش والاعتداء بالاعتداء بل يمسك عن ذلك كله ويعلن أنه صائم، فلا ينبغي أن ينزلق إلى هذا المنزلق وينزل إلى هذا المنزل الذي لا يليق بالمسلم فضلاً عن المسلم الصائم، والسؤال هنا: لماذا خص ﷺ الصائم بذلك مع أن المسلم مطالب بذلك في جميع أحواله: في صيامه وإفطاره في رمضان وغير رمضان؟

الجواب قد يكمن فيما يلي:

أ- أن الصائم قد ترك مألوفه من الطعام والشراب، لذا كان من الأولى في هذا المقام أن يترك ما هو من غير مألوفه وإنما يأتيه عرضًا أو وقتًا قليلاً، أي أن الصائم ترك المباح فلأن يترك غير المباح كان من باب أولى.

ب- أو أن شهر رمضان شهر كثير الفضل، فكان من المناسب أن من يصومه يكون متفضلاً باذلاً، فإن كان يمتنع عن اللغو واللغط والفحش، وهذا واجب عليه، فإنه لا يزال الباب مفتوحًا أمامه للبذل والتفضل، إنه يتفضل فيقابل السيئة بالحسنة والعدوان بالعفو، وذلك حتى يكون منتظمًا ومتوافقًا مع خصائص شهر رمضان شهر الفضل والجود.

ج- أو أنّ على الصائم أن يكون عاملاً مساعدًا لإخوانه الصائمين على القيام بآداب الصيام وسننه وفضائله، فلا يكون لهم معوقًا عن إدراك هذه الغاية السامية، فلا يفحش في القول أو يكثر اللغط حتى لا يسبب عداوة تجعل المعتدي عليه يرد الإساءة بالإساءة فينشغل بذلك عن صومه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعفو ويصفح عمن اعتدى عليه بالسب أو الشتم أو نحو ذلك ولا يقابله بمثل فعله أو اعتدائه، فإن هو فعل ذلك حافظ على صيامه كما أتاح الفرصة للمعتدي أن يراجع

نفسه أو على الأقل أن لا يتمادى في اعتدائه وعدوانه، ويقف عند درجة معينة، وبهذا حافظ على صومه ولو بصورة ناقصة، وهذا أفضل من أن يذهب بصومه عندما يزداد في الاعتداء ويلجّ في الخصومة.

والخلاصة أن على الصائم أن يلتزم الآداب التي تجعل صومه غير مخدوش باعتداء أو ظلم من القول أو الفعل. قال الأستاذ محمد شديد: (في الصوم أمر بالضبط، وتفوق الإرادة، وتهيئة النفس لمواجهة شهواتها أقوى ما تكون، فلا يصح الصوم حتى يحفظ الصائم جوارحه كلها، ويقيم من نفسه رقيبًا يقظًا عليها، فلا لغو ولا غيبة ولا نظر ولا رفث ولا غضب، حتى إذا اعتدى عليه أحد حال صومه بينه وبين ردّ الاعتداء، وأمر الشباب الذين لا يستطيعون الزواج بالصوم ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ))[1] تربية على قوة الإرادة وتدريب على مغالبة الشهوة والانتصار، وليس قضاء عليها بإضعاف الجسد بالصوم، والصوم تربية للضمير، فليس على الصائم رقيب إلا الله، فيعتاد الأمانة بعد ذلك في كل أمور الحياة، ويحس فيها برقابة الله، ومن ثم اعتبره القرآن سبيلاً للتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2])[3].

ثانيًا- التنفير من قول الزور والعمل به:

قول الزور عمل خطير وفعل شنيع لا ينتج إلا ظلمًا وعدوانًا وتشويه سمعة الناس وإشاعة للفاحشة والفحشاء، لذا حُرِّم قول الزور والعمل به في جميع الأزمان والأوقات والأحوال، وحُرمته في الصوم أشد، نظرًا لأنه إذا كان الصائم قد امتنع عن المباح من الطعام والشراب فامتناعه عن الذنوب الكبيرة من باب أولى، لذا نفّر النبي ﷺ من قول الزور أشد التنفير، فقال: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) منهج القرآن في التربية ٢٣١-٢٣٢.

قال ابن العربي: (قوله "فليس لله حاجة" إذا عصى في ترك الطعام والجماع، وليس لله حاجة في شيء، فإنه يتقدس عن الحاجات وإنما ضربه مثلاً في أن أحدهما إذا ترك فليترك الآخر، أو فعل فليفعل الآخر، إشعارًا بارتباطهما، لأن قول الزور والعمل به أقوى في التحريم من الطعام والجماع، لأن الطعام والجماع كانا محلَّلين قبل الصيام، وكان قول الزور وإخوانه حرامًا، ثم تأكد تحريم ذلك كله بالصيام فكان بأن يؤثر في الإبطال أولى وأحرى)[١].

وقال ابن عبدالبر: (معناه [أي الحديث] الكراهية والتغليظ ... فكذلك من اغتاب أو شهد زورًا أو منكرًا لم يؤمر بأن يدع صيامه ولكنه يؤمر باجتناب ذلك، ليتم له أجر صومه، فاتقى عبد ربه وأمسك عن الخنا والغيبة والباطل بلسانه صائمًا كان أو غير صائم، فإنما يكب الناس في النار على وجوههم حصائد ألسنتهم)[٢].

والسؤال هنا: لماذا خصّ النبي ﷺ قول الزور والعمل به في الصيام مع أن غيره [أي غير قول الزور] ربما قد يكون أشد في الإثم والمفسدة؟

لعل الجواب أن يكون ما يلي:

أ - أن قول الزور قد يقع من الإنسان في غير الصيام، ولذا حذر النبي ﷺ منه حال الصيام وإن كان الواجب اجتنابه في سائر الأحوال إلا أن النبي ﷺ أراد أن يؤكد على خطورة هذا القول المتبوع بالسلوك المشين حتى يعمل المسلم على تهذيب نفسه وتقويم سلوكه وضبط لسانه حتى يترفع عن هذه الأمور التي من شأنها إحباط الصوم، فمتى استطاع المسلم توطين نفسه على الاستقامة على هذا المسلك انسحب ذلك السمت على حياته في رمضان وسائر الأيام والشهور.

ب - إن قول الزور يكون شديدًا على نفس المقول فيه هذا الزور، فإن النفس قد تتحمل أذى البدن واليد، ولا تتحمل أذى اللسان، لأنه يشيع بين الناس كما أن قائله يلتمس ألف سبب يبرر قوله هذا، فيكون فيه من الأذى ما فيه، فنبه النبي ﷺ على

---

(١) القبس شرح الموطأ ٨/٩ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٤٩/٩.

ذلك عن طريق تبيين أثره في الصيام وأنه يجعله غير صالح.

ج - أن قول الزور يؤدي إلى القطيعة والاختلاف والتنازع والتفكك بين أواصر المسلمين، وفي هذا خطر عظيم وأذى كبير، فنفر منه النبي ﷺ.

وعلى ذلك فإن على المربين أن ينفرُّوا الناشئة من قول الزور والعمل به.



٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

الحديث رقم (١٢٤٤)

١٢٤٤- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا نَسِيَ (أَحَدُكُمْ)[1] فَأكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإنَّمَا أطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم بمثابة طبيب لهذه الأمة حيث يتوقع بعض الآفات ويضع لها العلاج المناسب فيقول " إذا نسى أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه. .. " وجاء " بإذا " ليؤكد أن بعض الصائمين – قطعاً – سينسى وهذه طبيعة الإنسان ولكن أرحم الراحمين – سبحانه وتعالى – لن يؤاخذه بذلك، ثم رتب عليه بالفاء الفعلين الماضيين الدالين على أن الناسي " أكل " " وشرب " ثم بث فيه الأمل بلام الأمر، والفعل المضارع: " فليتم صومه " ثم جاء بجمله خبرية تفيد أن الذي أطعمه، وسقاه هو ربه الذي أراد له ذلك لحكمة لا يعلمها غيره – جل في علاه – فيقول: " فإنما أطعمه الله وسقاه " وفى هذه الجملة قصر بلاغي حيث قصر صفتي (الأكل والشرب) على موصوف بالعفو والمرحمة وهو " الله " الذي يرفع الحرج عنا – نحن المسلمين – إذا نسينا أو أخطأنا.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه دلالة لمذهب الأكثرين أن الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسيًا لا يفطر، وممن قال بهذا الشافعي وأبو حنيفة وداود وآخرون. وقال ربيعة ومالك: يفسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة. وقال عطاء والأوزاعي والليث: يجب القضاء

---

(١) (احدكم) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٣) واللفظ له، ومسلم (١١٥٥/١٧١).

في الجماع دون الأكل. وقال أحمد: يجب في الجماع القضاء والكفارة ولا شيء في الأكل)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أكل الصائم وشربه ناسيًا.

ثانيًا: من خصائص الشريعة الإسلامية: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أكل الصائم وشربه ناسيًا:

لقد أخبر النبي ﷺ أنه "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه".

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، حديث أبي هريرة بلفظ ((مَنْ أَفْطَرَ في شَهْرِ رَمَضَانَ ناسيًا، فلا قَضَاءَ عَلْيهِ ولا كَفَّارَة))[٢].

قال ابن هبيرة: (قوله "إن الله أطعمه" المعنى: أنه لم يأكل وهو ذاكر، إنما أطعمه الله وسقاه، ولا يعقب إطعام الله لعبده حرج ولا نقص في عبادة، ولا حرمان من خير، فكان ما أطعمه الله صدقة عليه، واحتسب له بصيامه. وهذا الحديث يحتج به أحمد، فهو حجة الفقهاء كلهم في صحة صوم الآكل والشارب ناسيًا، وأنه لا يقضي سوى [عند] مالك وحده، فإنه يوجب عليه القضاء)[٣].

وقال ابن عثيمين: (إذا أكلت أو شربت ولو شبعت ورويت وأنت ناسي في الصيام، فإن صومك كامل، ليس فيه نقص، ولهذا قال ﷺ: "فليتم صومه".

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٩/٨/٤ ، و انظر: المجموع ٢٢٨/٦، والمغني ٣٦٧/٤-٣٦٨، وانظر كذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٠/٢، والفواكه الدواني ٣١٢/١، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٤-٢١٥ ، وفتح الباري ١٥٥/٤-١٥٧ .

(٢) أخرجه ابن خزيمة ١٩٩٠، وابن حبان ٣٥٢١، والحاكم ٤٣٠/١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٤/٧.

وفي قوله ﷺ "فإنما أطعمه الله وسقاه" دليل على أن فعل الناسي لا ينسب إليه، وإنما ينسب إلى الله، وكذلك النائم لا ينسب فعله إلى نفسه، وإنما ينسب إلى الله، كما قال الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[1]، والذي يتقلب هو النائم، ولكن لما لم يكن له قصد نسب الله الفعل إليه، كذلك الناسي لم يتعمد فساد الصوم، نسي وأكل وشرب، نقول: صومك صحيح، وكذلك لو كان جاهلاً ... ولكن متى ذكر الإنسان وجب عليه الترك والإمساك، حتى لو كانت اللقمة في فمه وجب عليه لفظها، وكذلك لو كان الماء في فمه وجب عليه أن يرده ثانية، وكذلك لو كان جاهلاً ثم أخبر فإنه يجب عليه أن يمسك.

فإذا قال قائل: لو رأيت صائمًا يأكل وأعرف أنه ناسٍ، فهل علي أن أذكّره؟ قلنا: نعم يجب أن تذكره، لأن أخاكم إذا عذر بالنسيان وأنت علمت به، وجب عليك أن تذكره، ولهذا قال النبي ﷺ في الصلاة: "إذا نسيت فذكروني"[2]، فأمر أن يُذكر إذا نسي، كذلك أيضًا إذا رأيت صائمًا يأكل ويشرب ناسيًا فذكّره، كما لو رأيت إنسانًا يصلي منحرفًا عن القبلة، وجب عليك أن تخبره. فالمهم أنه إذا وقع أخوك في شيء لا يحل له، فعليك أن تذكره، لأن النسيان كثير والخطأ كثير)[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وشرط كون الصائم قاصدًا ذاكرًا لصومه، أما لو كان ناسيًا أنه صائم، فلا يفسد صومه عند الجمهور، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه" ويستوي في ذلك الفرض والنفل لعموم الأدلة)[4].

ثانيًا- من خصائص الشريعة الإسلامية: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين:

لقد راعت الشريعة الإسلامية طبيعة البشر، فلم تكلفهم من الأعمال إلا ما

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠١، ومسلم ٥٧٢

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٧-١٤٠٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٨/٣١.

يطيقون، ورفعت عنهم الحرج والمشقة، وتميزت بالتيسير على المدعوين، فكان من خصائصها: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين، ويتجلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه".

قال ابن حجر: (وفي الحديث لطف الله بعباده والتيسير عليهم ورفع المشقة والحرج عنهم)[1].

وأخرج أبو داود وابن حبان حديث أبي هريرة بلفظ: ((أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللَّهِ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ صائمًا، فَأَكَلْتُ وشَرِبْتُ ناسيًا، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَطْعَمَكَ اللَّهُ وَسَقَاكَ أَتِمَّ صَوْمَكَ))[2].

قال د. القرضاوي: (التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنتًا ولا رهقًا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد. كما أن هذا الدين لم يجيء لطبقة خاصة أو لإقليم محدود أو لعصر معين، بل جاء عامًا لكل الناس في كل الأرض، وفي كل الأزمان والأجيال، وإن نظامًا يتسم بهذا التعميم وهذه السعة لابد أن يتجه إلى التيسير والتخفيف ليتسع لكل الناس، وإن اختلف بهم المكان والزمان والحال. وهذا ما يحسه ويلمسه كل من عرف هذا الدين. فالقرآن مُيَسَّر للذكر والعقيدة مُيَسَّرة للفهم، كما أن الشريعة مُيَسَّرة للتنفيذ والتطبيق، ليس فيها تكليف واحد يتجاوز طاقة المكلفين، كيف وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[5] قد نفى القرآن كل حرج عن هذه

---

(١) فتح الباري ٤/١٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٩٨، وابن حبان ٣٥٢٢ واللفظ له، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٩٨) وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٧.

الشريعة كما نفى عنها العنت والعسر وأثبت لها التخفيف واليسر قال تعالى وهو يحدثنا عن رخص الصيام، من الفطر للمريض والمسافر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[١].

وجاءت الأحاديث النبوية تؤكد هذا الاتجاه القرآني إلى التيسير نقرأ فيها ((بعثت بالحنفية السمحة))[٢]، ((إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين))[٣]، ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا)) قاله لأبي موسى ومعاذ حين أرسلهما إلى اليمن[٤]. وقد كانت سمة الرسول المميزة له في كتب أهل الكتاب، هي سمة الميسر ورافع الآصار والأغلال التي أرهقت أهل الأديان السابقة، كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[٥].

ولا غرو أن شرع الإسلام الرخص عند وجود أسبابها .... ومن هنا أصبح من القواعد الفقهية الأساسية المقررة لدى المذاهب الإسلامية كافة، هذه القاعدة الجليلة، المشقة تجلب التيسير، وهي أصل له فروع كثيرة وفيرة في شتى أبواب الفقه، وهناك أشياء عديدة اعتبرتها الشريعة من أسباب التيسير والتخفيف، منها المرض والسفر والإكراه والخطأ والنسيان وعموم البلوى، ولكل منها أحكام فصلتها كتب الشريعة)[٦].

وقال د. علي أحمد الندوي عن قاعدة المشقة تجلب التيسير: (هذه إحدى القواعد الجليلة الناطقة بمرونة التشريع الإسلامي الحكيم ولها أثر عميق جدًا في كثير من الأحكام الشرعية، وهي مستوحاة من النصوص التشريعية الكريمة التي ترشد إلى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٨٥٥/٤١ ، وقال محققو المسند: حديث قوي.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٤٢، ومسلم ١٧٣٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٦) الخصائص العامة للإسلام، ص ١٧٧-١٨٠.

رفع الحرج عن العباد، وترفيههم عن المشقة البالغة، ومن المعلوم "أن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع" وهناك آيات متوافرة من كتاب الله تعالى تعتبر من الأدلة الواضحة البينة على هذا الأصل وبالاستناد إليها اكتسبت القاعدة خصائص الدليل الشرعي ...، ووجه الدلالة في تلك النصوص المسوقة وما سواها من الآيات والأحاديث المتناظرة أن الله عز وجل شاء لعباده اليسر في الأحكام، ورفع عنهم العنت والعناء، ولولا ذلك لعظمت المشقة وضاقت الأمور على الناس، ومن ثم قال العلماء يتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته)[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل:

والشرط واضحٌ في قوله ﷺ: "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه" والتعليل بقوله "فإنما أطعمه الله وسقاه" قال الطيبي: (إنما للحصر، أي ما أطعمه ولا سقاه أحد إلا الله، فدل على أن هذا النسيان من الله، ومن لطفه في حق عباده تيسيرًا عليهم ورفعًا للحرج)[2].

وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تعمل على لفت انتباه المدعو، إذ أن نفسه تتطلع إلى معرفة فعل الشرط وجوابه وجزائه، فهو أسلوب جيد إذا وظف من الداعية البليغ توظيفًا يخدم الدعوة.

وأسلوب التعليل من أساليب الدعوة التي تكسب الدعوة قبولاً وارتياحًا من المدعوين، حيث إن الداعية الناجح هو: الذي يعلل دعوته وأحكامه، وله في ذلك القدوة في رسول الله ﷺ الذي لم يكن يحتاج إلى تعليل حتى يُبَلّغ دعوته، لأنه رسول رب العالمين، ولكنه كان ﷺ يذكر علة الحكم، فالداعية من باب أولى، حتى يسهل على المدعو ويعلم أن الدعوة صادرة عن دليل شرعي، ولعلة شرعية لا عن هوى أو رأي شخصي.

---

(١) جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي، ١/٢١١-٢١٢ ومصادره ومراجعه.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٤/١٥٩-١٦٠.

الحديث رقم (١٢٤٥)

١٢٤٥- وعن لَقِيط بن صَبِرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أخْبِرْني عَنِ الوُضُوءِ؟ قَالَ: ((**أسْبِغِ الوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابعِ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ، إلاَّ أنْ تَكُونَ صَائِمًا**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

لَقِيط بن صَبِرَة: هو لقيط بن صَبِرة بن عبدالله بن المنتفق بن عامر العامري، من أهل الطائف، وكان وافد قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عن نفسه: كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة فأمرت لنا بخزيرة[2] فصُنِعَت وأتتنا بقناع -والقناع: الطبق فيه التمر- فأكلنا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل أصبتم شيئًا؟ أو آمر لكم بشيء؟ قلنا: نعم يا رسول الله ... الحديث[3].

وقد ذهب جماعة من المحدثين -منهم البخاري- إلى أنه يقال له أيضًا: لقيط بن عامر أبو رَزين العقيلي راوي الحديث المذكور في الرياض رقم (١٢٨٢). وقال ابن معين: إنهما واحد وإنّ من قال: لقيط بن عامر - نَسَبَه لجده. وإنما هو لقيط بن صبرة.

لكن الحافظ ابن حجر رجح في الإصابة أنهما اثنان[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٥٤)، وقال الحاكم (١٤٨/١): هذا حديث صحيحٌ ولم يخرجاه.

(٢) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق. فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٢ "خزر".

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٢) وصححه ابن حبان (١٠٥٤)، وهو الجزء الأول من حديث الباب.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٩٠/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٣، ١١٤٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٢/٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٧٩/٣).

غريب الألفاظ:

أسبغ الوضوءَ: وفِّ كلَّ عضوٍ حقَّ في الغسل[١].

خلِّل بين الأصابع: فرِّق ما بينهنَّ لإدخال الماء والنظافة في الوضوء[٢].

الاستنشاق: إبلاغ الماء الخياشيم في الوضوء[٣].

الشرح الأدبي

قول الراوي للنبي: " يا رسول الله أخبرني عن الوضوء " ينبىء عن رغبة صادقة في التعلم لأن الفعل الطلبى: " أخبرني " خرج عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي هو الاسترشاد، والتوجيه لأنه من الأدنى إلى الأعلى وذكر " الوضوء " بصفة خاصة لأنه شطر الإيمان ويجعل الجسم وضاء، والنفس مشرقة ويجدد الدورة الدموية في الإنسان، ويطفىء نيران المعاصي، ونزعات الشيطان المخلوق من النار، وقد رد عليه الرسول صلى الله علية وسلم، وركز على ثلاثة أشياء فقال: " أسبغ الوضوء وخلل الأصابع، وبالغ في الاستنشاق " ولفظ " أسبغ " يشير إلى الإحاطة، والتغطية، وهذا يتطلب إخلاصاً، وتؤدة منه، ومن إسباغ الوضوء " تخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق " وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به لأن إسباغ الوضوء يستلزمها تخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنثار، ولما كان كثير من المتوضئين يغفلون عنهما نص عليهما لما فيهما من تتبع لمواضع القاذورات التي تخفى الجراثيم الكائنة في الأنف لأن الشعر الموجود به قد حجزها، حتى لا يصاب الإنسان بأذى فلله الحمد، والشكر.

فقه الحديث

جاء في الموسوعة الفقهية: يكره للصائم بوجه عام - مع الخلاف - ما يلي: فذكروا أشياء، منها: وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق في الصوم. ففي

---

(١) الوسيط في (س ب غ).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ل).

(٣) المرجع السابق في (ن ش ق).

المضمضة بإيصال الماء إلى رأس الحلق. وفي الاستنشاق: بإيصاله إلى فوق المارن[(١)]؛ وذلك لحديث لقيط بن صَبِرَة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" وذلك خشية فساد صومه[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أمور دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إسباغ الوضوء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستنشاق للصائم.

رابعًا: من آداب المدعو: ترك المبالغة في الاستنشاق أثناء الصيام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أمور دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم:

هذا واضحٌ من قول الصحابي لقيط بن صبرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني عن الوضوء؛ فقد سأل عن الوضوء لكي يفعله على أتم وجه، فـ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))[(٣)].

وذكر ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين في آخره فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة في أمور دينهم وقال في أوله (ولنختم الكتاب بذكر فصول يسير قدرها، عظيم أمرها، من فتاوى إمام المفتين، ورسول رب العالمين، تكون رُوحًا لهذا الكتاب، ورَقْمًا على جلة هذا التأليف)[(٤)]. فلقد حرص الصحابة رضي الله عنهم رجالهم ونساؤهم على معرفة أمور دينهم من النبي صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ

---

(١) المارن: ما لان من طَرَف الأنف: معجم لغة الفقهاء ٣٦٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ٧١/٢٨، وانظر المجموع ٣٠/٦ ، والمغني ٣٥٦/٤ .

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣ من حديث أبي مالك الأشعري.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٩٣٣، ط دار طيبة.

عَنِ الدِّينِ وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ))[١].

وإذا استحيا الصحابي من السؤال فإنه يجعل غيره يسأل النبي ﷺ ليعلم الحكم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ، لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ. فَسَأَلَهُ فَقَالَ: يَغْسِلُ ذَكَرَهُ. وَيَتَوَضَّأُ))[٢].

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون وهم قدوتنا، كان علينا أن نقتدي بهم فنسأل عن أمور ديننا ونحرص على ذلك أشدّ الحرص، فنسأل العلماء الثقات الورعين الجامعين بين العلم و العمل، وذلك حتى نكون على بينة من ديننا ونعمل على بصيرة، وإن مما يندى له الجبين أن تجد بعض ثوابت هذا الدين المعلومة المشهورة قد أصبحت غير معلومة، وغير معروفة لدى بعض المسلمين، وما ذلك إلا بسبب التفريط في السؤال والتهاون في أمر الدين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إسباغ الوضوء:

فهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا".

وقد وردت في فضل الوضوء أحاديثُ كثيرة منها، حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه فقال: ((يَا نَبِيَّ اللّهِ فَالْوُضُوءُ؟ حَدِّثْنِي عَنْهُ. قَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ. ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللّه إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّىٰ، فَحَمِدَ اللّه وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ،

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٢، وأبو داود ٣١٦ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢، ومسلم ٣٠٣.

وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله، إِلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الإسباغ لغة: الإكمال والتوفية، وإسباغ الوضوء إبلاغه مواضعه، واصطلاحًا: أن يعم جميع الأعضاء بالماء بحيث يجري عليها، وعرفه الشافعية بأنه كمال إتمام الوضوء وتوفيته ... والإسباغ: إن أريد به تعميم الأعضاء الواجب غسلها بالماء فهو واجب، وإن أريد به الزيادة والتوفية فهومندوب باتفاق الفقهاء، لحديث "إسباغ الوضوء على المكاره")[2].

والحديث هو: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ))[3].

قال النووي: (قال القاضي عياض[4]: محو الخطايا كناية عن غفرانها، قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلاً على غفرانها، ورفع الدرجات: إعلاء المنازل في الجنة، وإسباغ الوضوء تمامه. والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك وكثرة الخطى تكون ببعد الدار وكثرة التكرار وقوله "فذلكم الرباط" أي الرباط المرغب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة، قيل: ويحتمل أنه أفضل الرباط، كما قيل: الجهاد جهاد النفس، ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن، أي أنه نوع من أنواع الرباط هذا آخر كلام القاضي وكله حسن[5]. وقال ابن عثيمين: (أسبغ الوضوء: يعني توضأ وضوءًا سابغًا كاملاً، والإسباغ الإتمام قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾[6] أي أكملها. والثاني: "وخلل بين الأصابع" ولا سيما أصابع الرجلين. خلل بينهما بالماء، لأن أصابع الرجلين متلاصقة وربما لا يدخل

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

(٢) الموسوعة الفقهية ٣/١٤٢-١٤٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٢٦٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٥٥.

(٦) سورة لقمان، آية: ٢٠.

الماء من بينها[١]، "وبالغ في الاستنشاق" يعني: استنشاق الماء عند الوضوء)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستنشاق للصائم:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" قال المباركفوري: (فلا تبالغ لئلا يصل إلى باطنه فيبطل الصوم)[٣].

وقال ابن تيمية: (أما المضمضة والاستنشاق فمشروعان للصائم باتفاق العلماء، وكان النبي ﷺ والصحابة يتمضمضون ويستنشقون مع الصوم، لكن قال للقيط بن صبرة: وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا)[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق في الصوم، ففي المضمضة بإيصال الماء إلى رأس الحلق، وفي الاستنشاق بإيصاله إلى فوق المارن، وذلك لحديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له "بالغ في الاستنشاق؛ إلا أن تكون صائمًا"، وذلك خشية فساد صومه)[٥]. وقال ابن عثيمين: (وبالغ في الاستنشاق يعني استنشاق الماء عند الوضوء، إلا أن تكون صائمًا فلا تبالغ في الاستنشاق لأنك إذا بالغت في الاستنشاق دخل الماء إلى جوفك من طريق الأنف، فدل ذلك على أن وصول الأكل أو الشرب عن طريق الأنف كوصوله عن طريق الفم، يفطر الصائم)[٦].

رابعًا- من آداب المدعو: ترك المبالغة في الاستنشاق أثناء الصيام:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ الصحابي بقوله: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" فقد أمره ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق إلا عندما يكون صائمًا، فلا يبالغ في

---

(١) قال الشيخ عبدالله البسام: يستحب تخليل أصابع اليدين والرجلين عند غسلهما، وتخليلهما جعل الماء يتخلل بينهما، والصارف عن الوجوب دقة الماء ووصوله إلى ما بينها بدون تخليل وبهذا يحصل القدر الواجب، فيبقى الاستحباب على الاحتياط في ذلك. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٧٦/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١٤٠٨/٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٦٥/١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٢/١٣.

(٥) الموسوعة الفقهية ٧١/٢٨.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٤٠٨/٢.

ذلك خشية أن يصل الماء إلى الجوف فيفسد صومه، مع أن إيصال الماء في هذه الحالة ليس بحتم وإنما هو احتمال، لأن الصائم قد يبالغ في المضمضة مع حرصه الشديد فلا يتسرب من الماء شيء إلى الجوف، فلا يفسد صومه، لكن لما كان الاحتمال قائمًا نهاه النبي ﷺ عن المبالغة وقت صيامه. قال الشيخ عبد الله البسام: (تستحب المبالغة في الاستنشاق عند الوضوء إلا مع الصيام، فيكره خشية وصول الماء إلى الجوف، والصارف له عن الوجوب أنه لو كان واجبًا لما منعه الصيام، ولوجب التحرز عن نزول الماء في الجوف مع المبالغة، وهو أمر ممكن)[1].

وهذا وأمثاله من ترك الفعل لأجل أن يؤدي إلى الفساد يطلق عليه في الشريعة الإسلامية سد الذرائع. قال الدكتور محمد رواس قلعه جي في تعريفها وبيان أنواعها وأدلتها الشرعية:

(١ - تعريف: الذريعة هي الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء ممنوع شرعًا.

٢ - أنواع الذرائع وحكمها: الذرائع المؤدية إلى المفاسد ثلاثة أنواع:

أ - ذرائع لا تؤدي إلى المفاسد إلا نادرًا، وهي جائزة، ولا يجوز منعها، فلا يجوز منع زراعة العنب بحجة أنه قد يصنع منه الخمر، ولا يجوز منع صناعة الأسلحة بحجة أنها قد يستعملها بعض الظلمة في قتل الشعوب الآمنة، وهكذا.

ب - ذرائع تؤدي غالبًا إلى مفسدة، وهذه الذرائع يجب منعها، كبيع العنب لصانعي الخمر، وتأجير العقار لمن يفتش عن مكان ليتخذه ملهىً أو ماخورًا، وحفر آبار في طرقات المسلمين، وإلقاء السم في الطعام، وسب الأصنام أمام من يقدِّسها، ونحو ذلك.

ج - ذرائع مشروعة، ولكن أسيء استخدامها، حيث استخدمت فيما هو محرَّم، كقضاء القاضي بعلمه، فإنه يكون وسيلة إلى أن يتسلط بعض القضاة على أعدائهم ظلمًا وعدوانًا، ونحو ذلك.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/١٧٦.

د - الذريعة إلى ما هو مشروع: كما يشرع سد باب الذرائع إلى الفساد، يشرع فتح باب الذرائع إلى الخير، وكما أن كل وسيلة إلى المحرم تكون محرمة، كذلك فإن الوسيلة إلى الواجب واجبة، والوسيلة إلى المندوب مندوبة.

٣ - شروط منع الذريعة: يشترط لمنع الذريعة ثلاثة شروط:

أ - أن تكون الذريعة مؤدية إلى مفسدة محققة، لا موهومة.

ب - أن تكون المفسدة مما يوجب الشارع منعه.

ج - أن لا يؤدي سد الذريعة إلى تعطيل مصلحة راجحة، فإن ما وجب منعًا للذريعة إلى الفساد يباح للمصلحة الراجحة، وبناء على ذلك فإنه يباح النظر إلى المخطوبة، مع أن النظر إلى الأجنبية منع سدًا للذريعة؛ ويباح السفر بالأجنبية إذا خيف ضياعُها أو هلاكها، مع أن السفر بالأجنبية مُنِعَ سدًا للذريعة؛ ويباح دفع المال إلى العدو للوصول إلى فداء أسرى المسلمين الذين هم في يده.

٤ - دليل مشروعية منع الذرائع المؤدية إلى المفاسد:

أ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ﴾[1] فقد نهى الله تعالى أن يسب المسلمون الأصنام أمام عابديها، لأن هذا يؤدي إلى أن يسبوا الله تعالى الذي يجهلون عظمته وحرمته.

ب - وقال تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2]، فقد منع الله تعالى النساء اللاتي يلبسن الخلاخل بأرجلهن من أن يضربن بأرجلهن على الأرض بحضرة الرجال، لأن هذا وسيلة ليعلم الرجال ما خفي من زينة النساء، فتميل قلوبهم إليهن.

ج - قوله ﷺ: ((قال رسول الله ﷺ: إن من أكبرِ الكبائر أن يَلعنَ الرجلُ والِدَيه. قيل يا رسول الله، وكيف يَلعَنُ الرجل والِدَيه؟ قال: يسُبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسُبُّ أمَّه))[3][4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٧٣، ومسلم ٩٠.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٨٩٩-٩٠١.

الحديث رقم (١٢٤٦)

١٢٤٦- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

جُنُب: الجنب الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني وغيره[2].

الشرح الأدبي

إن أم المؤمنين " عائشة " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي أخبر للناس برسول الله ﷺ لأنها أحب أزواجه إليه، وقد عبرت عن تلك الخصوصيات بألفاظ مهذبه لتتعلم الأمة كلها من مثل هذه الأمور الدقيقة أدب التعبير الراقي عن أخص الخصوصيات التي يضطر الإنسان إلى الإخبار به فيرفع الحرج عن الجميع، ويحل اليسر محله، وتسير الأمور في هدوء، وتوازن، والفعل: " يدركه " يصور لنا حركة الزمن السريعة في طي الأحداث وكأنه يسوقنا أمامه إلى مراد الله تعالى، فيجب على كل مسلم أن يفطن إلى هذا السير، ويملأ وقته بما يرضى الله تعالى، وجمله: " وهو جنب من أهله " جمله حالية، وتعد كناية عن صفة الجماع، وتوحي للمتلقي بتأثير الأدب القرآني في أهل بيت المصطفى – علية الصلاة والسلام، وكلمه " جنب " توحي بأن الإنسان ينبغي عليه أن يتجنب أشياء محددة، وهو على هذه الحالة " ومن " في قولها: " من أهله " والإضافة في " أهله " تشير إلى أهمية عنايته بأهل بيته، وحرف العطف " ثم " يدل على التراخي بين ما يحدث بينه، وبين أهله، وطلوع الفجر. .، والفعلان " يغتسل ويصوم " يدلان على تعبد الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٥، ١٩٢٦) واللفظ له، ومسلم (١١٠٩/٧٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن ب).

لله تعالى، وتقلبه بين العادة، والعبادة مصرفا كلا منهما بالنية في مرضاة الله -تعالى- فكل حركاته، وسكناته وفق رضاه.

فقه الحديث

١- قال النووي: (وقد أجمع أهل هذه الأمصار على صحة صوم الجنب، سواء كان من احتلامٍ أو جماع. وبه قال جماهير الصحابة والتابعين وحكى عن الحسن بن صالح إبطاله وكان عليه أبو هريرة، والصحيح أنه رجع عنه وقيل: لم يرجع عنه وليس بشيء. وحكى عن طاوس وعروة والنخعي: إن علم بجنابته لم يصحّ وإلا فيصحّ. وحكى مثله عن أبي هريرة، وحكى أيضًا عن الحسن البصري والنخعي أنه يجزيه في صوم التطوع دون الفرض. وحكى عن سالم بن عبدالله والحسن البصري والحسن بن صال: يصومه ويقضيه، ثم ارتفع هذا الخلاف وأجمع العلماء بعد هؤلاء على صحته)[١].

٢- قال النووي: (يستحب تقديم غسل الجنابة من جماع أو احتلام على طلوع الفجر والأحاديث الصحيحة في تأخيره محمولة على بيان الجواز، وإلا فالكثير من رسول الله ﷺ تقديمه على الفجر)[٢].

٣- قال النووي: (وإذا انقطع دم الحائض والنفساء في الليل ثم طلع الفجر قبل اغتسالهما، صحّ صومهما ووجب عليهما إتمامه، سواء تركت الغسل عمدًا أو سهوًا بعذر أم بغيره كالجنب. هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكى عن بعض السلف، مما لا نعلم عنه أم لا)[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٩٣/٧/٤ ، وانظر فتح الباري ١٤٣/٤-١٤٩ ، والمغني ٣٩١/٤-٣٩٣ .

(٢) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٣) شرح صحيح مسلم ١٩٣/٧/٤ دار الكتب العلمية، وانظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٢/٢، والفواكه الدواني ٣١١/١، ومغني المحتاج ١٦٧/٢، والمغني ٣٩٣/٤ .

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة وأم سلمة عن أحوال النبي ﷺ في صيامه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من خصائص الشريعة التيسير على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما عن أحوال النبي ﷺ في صيامه:

هذا واضح من الحديثين، وهذا الإخبار يفيد حكمًا يستدل به على جواز هذا الأمر، وفي الحديث قصة فقد قال عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال: ((سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُصُّ، يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلاَ يَصُمْ. فَذَكَرْتُ ذَٰلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَٰنِ بْنِ الْحَارِثِ [لأبيهِ] فَأَنْكَرَ ذَٰلِكَ. فَانْطَلَقَ عَبْدُالرَّحْمَٰنِ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما. فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ عَنْ ذَٰلِكَ. قَالَ فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ مَرْوَانَ، فَذَكَرَ ذَٰلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ. فَقَالَ مَرْوَانُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلاَّ مَا ذَهَبْتَ إِلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ. قَالَ: فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبُوبَكْرٍ حَاضِرُ ذَٰلِكَ كُلِّهِ. قَالَ: فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ. فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: أَهُمَا قَالَتَاهُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هُمَا أَعْلَمُ. ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذَٰلِكَ إِلَىٰ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ ذَٰلِكَ مِنَ الْفَضْلِ. وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ. قَالَ: فَرَجَعَ أَبُوهُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَٰلِكَ))[2].

وقال ابن حجر: (قال بعضهم: إن حديث عائشة أرجح لموافقة أم سلمة لها على ذلك، ورواية اثنين تقدم على رواية واحد، ولا سيما وهما زوجتان وهما أعلم بذلك من الرجال)[3].

ثم قال: (وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، دخول العلماء على الأمراء

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٤٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٢٥، ١٢٩٦، ومسلم ١١٠٩ واللفظ له.

(٣) فتح الباري ٤/١٤٨، .

ومذاكرتهم إياهم بالعلم، وفيه فضيلة لمروان بن الحكم لما يدل عليه الحديث من اهتمامه بالعلم ومسائل الدين، وفيه الاستثبات في النقل والرجوع في المعاني إلى الأعلم، فإن الشيء إذا نوزع فيه رد إلى من عنده علمه، وترجيح مرويّ النساء فيما لهن عليه الاطلاع دون الرجال على مرويّ الرجال كعكسه. وأن المباشر للأمر أعلم به من المخبر عنه. والتأسي بالنبي ﷺ في أفعاله ما لم يقم دليل الخصوصية، وأن للمفضول إذا سمع من الأفضل خلاف ما عنده من العلم أن يبحث عنه حتى يقف على وجهه، وأن الحجة عند الاختلاف في المصير إلى الكتاب والسنة، وفيه الحجة بخبر الواحد وأن المرأة فيه كالرجل، وفيه فضيلة لأبي هريرة لاعترافه بالحق ورجوعه إليه...)[1].

قال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١ - كان النبي ﷺ يجامع من الليل وربّما أدركه الفجر وهو جنب لم يغتسل، فيصوم ثم يغتسل بعد طلوع الفجر، ويتم صومه ولا يقضيه.

٢ - وهذا عام في رمضان وفي غيره، قال ابن كثير[2]: وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا اهـ. وحكاه الوزير إجماعًا، فإن الآثار في ذلك متواترة.

٣ - صحة صوم من أصبح جنبًا من جماع أو غيره من الليل.

٤ - إذا جاز في الجنابة من الجماع فمن غير الجماع أولى.

٥ - لا فرق بين الصوم الواجب والنفل، ولا بين رمضان وغيره.

٦ - جواز الجماع في ليالي رمضان ولو كان قبيل طلوع الصبح.

٧ - لو طلع عليه الفجر وهو يجامع فنزع فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أن عليه القضاء والكفارة لأن النزع جماع.

وجمهور العلماء ومنهم الأئمة الثلاثة أن النزع ليس بجماع، وأنه يجب عليه النزع ولا قضاء عليه ولا كفارة.

٨ - يؤخذ من جواز طلوع الفجر على الصائم وهو جنب جواز طلوع الفجر على

---

(١) فتح الباري ١٤٨/٤. وهو موجود بنحوه في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٠١/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٦/١.

الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال.

٩ - فضل نساء النبي ﷺ فقد نقلن للأمة من العلم الشيء الكثير، لاسيما الأحكام التي لا يطلع عليها إلا هنّ من أعمال النبي ﷺ فرضي الله عنهن)[١].

وهذا واضح من قول عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من غير حُلُم ثم يصوم". فإنهما أخبرتا أن النبي ﷺ يصبح جنبًا دون أن يكون سبب ذلك الاحتلام. قال النووي: (وفيه دليل لمن يقول بجواز الاحتلام على الأنبياء وفيه خلاف، الأشهر امتناعه. قالوا: لأنه من تلاعب الشيطان، وهم منزهون عنه، ويتأولون هذا الحديث على أن المراد يصبح جنبًا من جماع، ولا يجنب من احتلام، لامتناعه عنه، ويكون قريبًا من معنى قول الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٢]، ومعلوم أن قتلهم لا يكون بحق)[٣].

قال ابن حجر: (قال القرطبي[٤]: في هذا فائدتان: إحداهما أنه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر بيانًا للجواز، والثاني أن ذلك كان من جماع لا من احتلام، لأنه كان لا يحتلم، إذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه. وقال غيره: في قولها "من غير احتلام" إشارة إلى جواز الاحتلام عليه، وإلا لما كان للاستثناء معنى، ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه)[٥].

فإخبار عائشة رضي الله عنها في الحديث الأول: "أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم"، وإخبار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما "أن النبي ﷺ كان يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم"، فهذا من باب التأدب في الإخبار عن حال رسول الله ﷺ، وهو حفظ للسانهما عن التصريح بألفاظ الجماع والوقاع، فينبغي

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٨٥/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٣٦/٧/٤.

(٤) المفهم ١٦٧/٣.

(٥) فتح الباري ١٤٤/٤.

على المسلم أن يستعمل في ذلك الكنايات ويعبر عنها بعبارة جميلة يفهم بها الغرض، وبهذا جاء القرآن العزيز والسنة الصحيحة المكرمة، فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾(٣)، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

قال العلماء: (فينبغي أن يستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يستحيا من ذكرها بصريح اسمها الكنايات المفهمة، فيكنى عن جماع المرأة بالإفضاء والدخول في المعاشرة والوقاع ونحوها) (٤).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من خصائص الشريعة: التيسير على المدعوين:

هذا واضح من فعله ﷺ أنه كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم.

قال ابن دقيق العيد: (وقولها "من أهله" فيه إزالة لاحتمال يمكن أن يكون سببًا لصحة الصوم، فإن الاحتلام في المنام آتٍ على غير اختيار من الجنب، فيمكن أن يكون سببًا للرخصة، فبين في هذا الحديث: أن هذا كان من جماع ليزول هذا الاحتمال)(٥).

وقال كذلك: (يدل كتاب الله أيضًا على صحة صوم من أصبح جنبًا فإن قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(٦) يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصوم

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٤) انظر: الأذكار، النووي ص ٤١٩.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢١٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

مطلقًا ومن جملته الوقت المقارب لطلوع الفجر، بحيث لا يسع الغسل، فتقتضي الآية الإباحة في ذلك الوقت، ومن ضرورته الإصباح جنبًا، والإباحة لسبب الشيء إباحة للشيء)[١].

وقد حَمَل بعض العلماء القائلين بفساد صيام الجنب حديث عائشة وأم سلمة على أنه من الخصائص النبوية، قال ابن حجر: (وأجاب الجمهور بأن الخصائص لا تثبت إلا بدليل، وبأنه قد ورد صريحًا ما يدل على عدمها، وترجم بذلك ابن حبان في صحيحه[٢] حيث قال: ذكر البيان بأن هذا الفعل لم يكن المصطفى مخصوصًا به، ثم أورد ما أخرجه هو ومسلم والنسائي وابن خزيمة وغيره من طريق أبي يونس مولى عائشة، عن عائشة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال: ((يَا رَسُولَ اللّهِ تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ. أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ. فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا. يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ: وَاللّهِ إِنّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي))[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه.

ويسر الشريعة على ثلاثة أنواع:

١ - تيسير معرفة الشريعة والعلم بها وسهولة إدراك أحكامها ومراميها.

٢ - تيسير التكاليف الشرعية من حيث سهولة تنفيذها والعمل بها.

٣ - أمر الشريعة للمكلفين بالتيسير على أنفسهم وعلى غيرهم)[٤].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢١٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٦٥/٨، ولفظه: ذكر الخبر الدال على أن إباحة هذا الفعل المزجور عنه لم يكن المصطفى ﷺ مخصوصًا به دون أمته، وإنما هي إباحة له ولهم.

(٣) أخرجه مسلم ١١١٠، والنسائي في الكبرى ٣٠١٢/٣، وابن خزيمة ٢٠١٤، وابن حبان ٣٤٩٢، ٣٤٩٢، ٣٥٠١.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤-٢١٤.

الحديث رقم (١٢٤٧)

١٢٤٧- وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، قالتا: كَانَ رسول الله ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

جنبًا من غير حُلُمٍ: يصبح جنبًا من جماع، لا من احتلام وهو: إنزال النائم المني في منامه[2].

الشرح الأدبي

تنضم (أم سلمه رضي الله عنها)– في هذا الحديث – إلى (عائشة رضي الله عنها) في الكلام عن أمر دقيق يحدث بين الرجل، وزوجه، والعبارات كلها تشع بالأدب الذي كان مبثوثاً في بيت النبوة فقد جاء على لسانهما أن الرسول الكريم ﷺ كان : " يصبح جنباً من غير حلم " ومعروف أن الجنابة " تأتى للإنسان المسلم من طريقين اثنين. الأول: الاستحلام أثناء النوم، والثاني: الجماع، ولما ذكرت أن ذلك تحقق عند الرسول ﷺ " من غير حلم " كان ولا بد أن تتحقق الجنابة عند النبي بسبب الطريق الثاني، وهو " الجماع " ولكنهما تعبران عن ذلك بطريق التعريض لا التصريح، وتبينان أن الجنابة لا تؤثر في صحة الصوم؛ لأن سببها كان قبل أذان الفجر، ولذلك قالتا " ثم يصوم " ويتطهر من الجنابة عند الغسل.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩/٨٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ٦٩٤، ومعجم لغة الفقهاء ٢٥.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من خصائص التربية الإسلامية: الإنسانية:

إن الإنسان من طبعه النسيان، فيفعل ناسيًا في بعض الأحيان ما يخالف التكاليف الشرعية المأمور بها، وهذا أمر واقع ومشاهد ومحسوس لا يحتاج إلى أدنى تدليل أو برهان، إن الصائم في بعض الأحيان يقبل على الطعام أو الشراب وهو ناسٍ أنه صائم، فكان المتبادر إلى الأذهان أن صومه قد بطل وأصبح مُفطرًا، لكن الشرع الحنيف اعترف بواقع هذا الإنسان وطبيعته فأخبره أنه يتم صومه لأن الذي أطعمه وسقاه هو الله رب العالمين الذي خلقه فسوّاه.

أليس في هذا الحديث ما يدل على أن الشرع اعترف بواقع الإنسان وإنسانيته؟ إنه اعترف بأنه ينسى ويسهو ويخطأ، لذا لم يعاقبه على ذلك على وجه الإجمال ولم يرتب على ذلك من القيود والتراتيب ما تبعد الإنسان عن إنسانيته وتخرجه عنها، وفي الوقت نفسه لم يغفل عن الجانب الآخر من الإنسانية الذي يكون فيه الإنسان محبًا لمعالي الأمور ومتشوقًا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة ومحصلاً لأنبل السجايا وأشرف الخصال.

إن التربية الإسلامية خاطبت الإنسان من ناحيتيه ناحية القصور والنسيان، وناحية التطلع إلى المثل العليا والأخلاق الفضلى، وقد نجحت أيما نجاح في تناول الناحيتين فعملت على معالجة أوجه القصور قدر الإمكان، وما كان من الجبلات الملازمة للإنسان اعترفت به وأقرته وعالجته في ضوء ذلك، أما الجانب المشرق في طبيعة الإنسان فعالجته معالجة تهدف إلى الترقي به والارتفاع إلى المستويات العليا منه.

لذا كان على المربين أن يراعوا الإنسانية في تربيتهم الناشئة وغيرهم، حتى لا يربوهم على أنهم ملائكة لا تخطئ، ولا على أنهم أبناء الخطيئة المتلبسين بها دومًا وأبدًا.

إنهم يربونهم على أنهم بشرٌ يخطئون ويصيبون، يتطلعون إلى المثل العليا وينحدرون، وينشطون ويتكاسلون، يحبون ويكرهون، ينامون ويستيقظون، يأكلون ويشربون وعلى الصيام يقدرون.

وهذا هو مظهر من مظاهر الوسطية التي جاء بها الإسلام.

ثانيًا - التربية على الاحتراز مما يفسد العبادة:

لقد أوصى النبي ﷺ الصحابي لقيط بن صبرة رضي الله عنه عندما سأله عن الوضوء بما يلي:

أ - إسباغ الوضوء وإتمامه.

ب - التخليل بين الأصابع.

ج - المبالغة في الاستنشاق هذا هو الأصل.

د - عدم المبالغة في الاستنشاق في الصيام.

إن المبالغة في الاستنشاق مرغب فيه ومأمور به في الوضوء هذا في الحالة المعتادة، أما في الصوم فلا يكون هناك أمر بذلك بل نهي عنه.

والسؤال هنا: لماذا نهى النبي ﷺ عن المبالغة في الاستنشاق وقت الصيام؟

إن المبالغة في الاستنشاق لاشك يحقق مصلحة تحصيل سنة من سنن الوضوء، لكن الصائم في سبيل تحقيقه لهذه المصلحة قد يفسد صيامه بأن ينفذ جزء من الماء إلى الجوف، فكانت المبالغة في الاستنشاق طريقًا من الطرق المحتملة لإفساد الصوم، فسدّ النبي ﷺ هذا الطريق بأن نهى عن هذه المبالغة.

نخلص من ذلك إلى أن الفعل في نفسه قد يكون مطلوبًا مؤديًا إلى مصلحة مقصودة، لكنه في بعض الأحيان والأحوال والأوقات يؤدي إلى فساد شيء أكبر، لذا يُنْهى عنه ولا يَأمر به.

ولنذكر مثالاً آخر على ذلك حتى يزداد الأمر وضوحًا، لقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُقَبِّلُنِي وَهُوَ صَائِمٌ. وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ يَمْلِكُ إِرْبَهُ؟))[1]، قال النووي: (قال العلماء: معنى كلام عائشة رضي الله عنها أنه ينبغي لكم الاحتراز عن القبلة ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبي ﷺ في استباحتها،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٩٢٧، ومسلم ١١٠٦.

لأنه يملك نفسه ويأمن الوقوع في قبلة يتولد منها إنزال أو شهوة أو هيجان نفس ونحو ذلك، وأنتم لا تأمنون ذلك فطريقكم الانكفاف عنها)[1].

ثالثًا - من أساليب التربية: بيان هدي النبي ﷺ في عبادة الصوم:

لقد أخبرت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه وقت بداية الصوم [وهو الفجر] وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم، ولهذا الحديث قصة يحسن ذكرها لبيان المضمون التربوي المذكور، قال عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال: سمعت أبا هريرة يقصّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث [لأبيه] فأنكر ذلك، فانطلق عبدالرحمن وانطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألهما عبدالرحمن عن ذلك، قال فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان [بن الحكم] فذكر ذلك له عبدالرحمن، فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة، قال: فذكر له عبدالرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم قال: هما أعلم.

ثم ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك[2].

فالملاحظ على هذا الحديث بهذا اللفظ ما يلي:

أ - توجه التابعي إلى أميْ المؤمنين عائشة وأم سلمة للسؤال عن ذلك، لأنهما أعرف بذلك من غيرهما فهما زوجتا النبي ﷺ، وهذا الأمر من اختصاصهما، فلا يسأل عن ذلك إلا هما.

ب - كان الغرض من السؤال معرفة هدي النبي ﷺ في هذا الأمر، ولذا أخبرتا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٢٥، ١٩٢٦، ومسلم ١١٠٩، ٧٥ وهذا لفظه.

عن حاله ﷺ فورًا، دون بيان صواب رأي أبي هريرة أو خطئه، لأنه يكفي في ذلك ذكر هديه ﷺ فما وافقه فهو الصواب وإلا كان غير صواب.

ج - ذهاب التابعي إلى والي المدينة مروان بن الحكم ليخبره عن هدي النبي ﷺ في المسألة، ولعل السر في ذلك أن للوالي والحاكم سلطة إعلامية ونفوذًا دعويًا، يمكنه من نشر الحكم الصحيح بين الناس.

د - أمر والي المدينة بالذهاب إلى أبي هريرة رضي الله عنه لإخباره بهدي النبي ﷺ المخالف لقوله، ومن الملاحظ أن أبا هريرة رضي الله عنه سلّم وأذعن وتراجع عما كان يقوله، والسر في ذلك أن الفيصل هو هدي النبي ﷺ فهو المبين للصحيح من غير الصحيح.

أي أن الحديث مثال تربوي حي يوضح كيف تكون التربية ناجحة عندما يذكر أفعال أهل القدوة والتأسي، فهذا أسهل طريق للإقناع والامتثال، وطريق محبب إلى النفس وهي ترى نفسها تقتدي بمن يستحق أن يكون قدوة، فهي لا تقتدي بأي أحد وإنما تقتدي بالمثال الأعلى والنموذج الأوفى.

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يستخدموا الإخبار عن الأعلام والقادة والعناية بسرد أخبارهم وأفعالهم في تربيتهم للناشئة وغيرهم، حتى يغرسوا في نفوسهم حب الاقتداء بهم والسير على طريقهم.



٢٢٥- باب فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

الحديث رقم (١٢٤٨)

١٢٤٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : **((أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ الله المُحَرَّمُ، وَأفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

يقوم الحديث كله علي الأسلوب الخبري، الذي يعتمد أسلوب التفضيل لينـدب الطامحين من المؤمنين للتسابق إليها ثم إن لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الِاشْتِرَاكِ فِي الْأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ مما يشير إلى اشتراك جميع العبادات المذكورة في الفضل مع تفاضل فيما بينهم على ما هو مبين في الحديث، وتشعر من خلاله أن الله فوض رسوله في أن يخبر عن التفاضل بين الأعمال، لإيضاح الأولي بالعناية، والاهتمام. وقد بين هنا أن الأفضلية المطلقة لصيام الفريضة في شهر (رمضان) ، ويليها في المنزلة والمكانة، صيام شيئ من شهر الله (المحرم) وإضافة الشهر لله تشريف وتخصيص يقتضي مزيد عناية، واهتمام بإكثار العمل الصالح فيه. ثم انتقل إلي ركن آخر من أركان الإسلام، وهو الصلاة، فالأفضلية المطلقة فيه (لصلاة الفريضة المتمثلة في الصلوات الخمس)، ويليها في الفضل والمنزلة (صلاة الليل) ونسبة الصلاة إلى الليل من نسبة الفعل إلى زمنه وقد استحقت تلك الرتبة لما يكون فيها من مشقة السهر، وترك الراحة كما أن فيها وقت النزول الإلهي بالإضافة إلى السكون الذي يعين على الخشوع، لأنها تكون خفية بين العبد، وربه، وتكمل النقص الذي قد يتواجد في الصلوات المفروضة. وتكرار أفعل التفضيل (أفضل) مرتين تشعر بأنه يتحتم علي المسلم أن يعتني بما يفضله الله ورسوله. والله أعلم.

---

(١) برقم (١١٦٣/٢٠٢)، وتقدم برقم (١١٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٨٩٥).

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان عظم شهر الله المحرم، وأنه أفضل الشهور للصوم بعد رمضان[١].

٢- أيهما أفضل تطوع الليل أم النهار: اتفق الفقهاء على أن تطوع الليل أفضل من النهار، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٢] وقوله ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل".

٣- أيهما أفضل الرواتب أم صلاة الليل: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، وجمهور الشافعية إلى أن الرواتب أفضل من صلاة الليل[٣] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ "من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة بنى الله له بيتًا في الجنة"، ولأن النبي ﷺ واظب عليها دون غيرها ولم يتركها إلا لعذر[٤]. وذهب الحنابلة، وبعض الشافعية إلى أن صلاة الليل أفضل من الرواتب[٥] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٦] وقوله ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" قال الإمام أحمد "ليس بعد المكتوبة عندي أفضل من صلاة الليل"[٧].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٥/٨، نيل الأوطار ٢٤٢/٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٣) بدائع ٢٨٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢، المجموع شرح المهذب ٤٩٩/٣، شرح صحيح مسلم ٥٥/٨.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، المجموع شرح المهذب ٤٩٩/٣.

(٥) المغني ٤٣٩/١، شرح صحيح مسلم ٥٥/٨.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٧) المغني ٤٣٩/١.

(٨) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٦٩.

الحديث رقم (١٢٤٩)

١٢٤٩- عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: لَمْ يكن النبي ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ[1].

وفي رواية[2]: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إلاَّ قَلِيلاً. متفقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) عن وضع النبي الكريم بالنسبة للاستعداد لشهر رمضان فتقول: ((لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان. ..)، و"من" في قولها: " من شعبان " للتبعيض، أي: كان يصوم أياما كثيرة من شهر " شعبان " استعدادا لصيام الفريضة في رمضان. والرواية الثانية: " كان يصوم شعبان إلا قليلا " تؤكد هذا المضمون لأن المتواتر عليه، أنه لم يصمم شهرا كاملا إلا رمضان ولعلها تريد بقولها: ((... كان يصوم شعبان كله " أي غالبيته أو معظمه. وبين الفعلين: ((لم يكن يصوم))، ((كان يصوم...)) طباق السلب، حيث يوضح مرونة الرسول الكريم ﷺ، وذلك للتيسير علي الأمة. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (من المسنون صوم شعبان لحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قال العلماء: اللفظ الثاني مفسر للأول وبيان، لأن مرادها بكله غالبه، وقيل: كان يصومه كله في وقتٍ ويصوم بعضه في سَنَة أخرى، وقيل كان يصوم تارة من أوله وتارة من وسطه وتارة من

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٠) واللفظ له، ومسلم (١١٥٦/١٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥١٥).

(٢) في آخر الحديث عند مسلم بالرقم الذي تقدم.

آخره، ولا يخلي منه شيئًا إلا صام، لكن في سنين. وقيل في تخصيصه شعبان بكثرة الصيام لأنه ترفع منه أعمال العباد في سنتهم. وقيل غير ذلك.

فإنه قيل: فقد سبق في حديث أبي هريرة "أن أفضل الصيام بعد رمضان المحرم" فكيف أكثر منه في شعبان دون المحرم؟

فالجواب: لعله ﷺ لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه. أو لعله كانت تعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما. وقال العلماء: إنما لم يستكمل شهرًا غير رمضان، لئلا يظن وجوبه)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في شهر شعبان.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في شهر شعبان:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها، قال ابن حجر: (في الحديث دليل على فضل الصوم في شعبان)[2].

وقد قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((إن النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إلاَّ شَعْبَانَ، يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ))[3]، ولفظ ابن ماجه كان: ((يصوم شعبان ورمضان))[4].

قال الشوكاني: (وقد جمع بين هذه الروايات بأن المراد بالكل والتمام الأكثر، وقد نقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقال صام الشهر كله. ويقال: قام فلان ليلته أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره، قال الترمذي: كأن ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك[5] وحاصله أن رواية

---

(١) المجموع ٢٨٣/٦-٢٨٤ ، وانظر: شرح صحيح مسلم ٣٠/٨/٤، ٤٤-٤٥ .

(٢) فتح الباري ٢١٥/٤، .

(٣) أخرجه أحمد ٢٩٤/٦، رقم ٢٦٥١٧، ٢٦٦٥٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٥٨/٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ٢٩٤/٦، رقم ٢٦٥١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٣٥/٤٤.

(٥) سنن الترمذي ص ١٨٣ بعد الحديث ٧٣٧.

الكل والتمام مفسرة برواية الأكثر ومخصصة بها وأن المراد بالكل الأكثر وهو مجاز قليل الاستعمال)[(١)].

قال ابن حجر: (واختلف في الحكمة في إكثاره ﷺ من صوم شعبان، فقيل: كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره، فتجتمع فيقضيها في شعبان. أشار إلى ذلك ابن بطال. وفيه حديث ضعيف أخرجه الطبراني في الأوسط[(٢)] من طريق ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان. وابن أبي ليلى ضعيف، وحديث الباب والذي بعده دال على ضعف ما رواه.

وقيل: كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان، وورد من حديث آخر أخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن أنس قال: ((سُئِلَ النبيُّ: أيُّ الصَّوْمِ أفْضَلُ بَعْدَ رمَضَانَ؟ قال: «شَعْبَانُ لِتَعْظيمِ رمَضَانَ»))[(٣)]، قال الترمذي: حديث غريب. وصدقة عندهم ليس بذاك القوي.

قلت [أي ابن حجر]: ويعارضه ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: ((أَفْضَلُ الصَّوْمِ بَعْدَ رَمَضَانَ صومُ الْمُحَرَّمِ))[(٤)].

وقيل الحكمة في إكثاره من الصيام في شعبان دون غيره أن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان. وهذا عكس ما تقدم في الحكمة في كونهن كن يؤخرن قضاء رمضان إلى شعبان، لأنه ورد فيه أن ذلك لكونهن كن يشتغلن معه ﷺ عن الصوم[(٥)].

وقيل: الحكمة في ذلك أنه يعقبه رمضان، وصومه مفترض، وكان يكثر من

---

(١) نيل الأوطار ٨٣٠ وقد استفاده من فتح الباري ٢١٤/٤، .

(٢) وكما في مجمع الزاوئد للهيثمي ١٩٢/٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٦٦٣، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٠٤).

(٤) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٥٠، ومسلم ١١٤٦ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان؛ الشغل من رسول الله ﷺ أو برسول الله ﷺ.

الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين غيره، لما يفوته من التطوع بذلك في أيام رمضان.

والأولى في ذلك ما جاء في حديث أصح مما مضى أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة، عن أسامة بن زيد قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))[1] ونحوه من حديث عائشة عند أبي يعلى لكن قال فيه: ((إِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مَيْتَةٍ تِلْكَ السَّنَةِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي أَجَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))[2].

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الإخبار:

ذلك واضح من قول عائشة رضي الله عنها: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان ...".

فدل هذا الإخبار على هديه صلى الله عليه وسلم في صوم شعبان، ليقتدي به المقتدون ويتبعه المدعوون، فهو القدوة والأسوة.

أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة في نقل أحكام الدين وسنة هدي خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم إلى جميع المدعوين.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي ٢٠١/٤ وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٢٢١).

(٢) فتح الباري ٢١٥/٤.

الحديث رقم (١٢٥٠)

١٢٥٠- وعن مُجِيبَةَ البَاهِلِيَّةِ، عن أبيها أَوْ عمها: أنه أتى رسولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ - وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهيئَتُهُ - فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: ((وَمَنْ انْتَ؟)) قَالَ: أَنَا الباهِلِيُّ الَّذي جِئْتُك عام الأَوَّلِ. قَالَ: ((فَمَا غَيَّرَك، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الهَيْئَةِ!)) قَالَ: مَا أكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارقتُكَ إلاَّ بلَيْلٍ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((عَذَّبْتَ نَفْسَكَ!)) ثُمَّ قَالَ: ((صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، ويَومًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)) قَالَ: زِدْنِي، فَإنَّ بي قُوَّةً، قَالَ: ((صُمْ يَوْمَيْنِ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((صُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((صُمْ مِنَ الحُرُم وَاترك، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاترك، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ)) وقال بأصابعه الثَّلاثِ فَضَمَّها، ثُمَّ أرْسَلَهَا. رواه أَبُو داود[1].

مجيبة الباهلية: مجيبة الباهلية مختلف فيها، فقيل: هي امرأة، ففي سنن أبي داود: عن مجيبة الباهلية، وفي مسند أحمد زيادة: عجوز من باهلة.

وقيل: هو رجل، ففي سنن النسائي الكبرى: عن مجيبة الباهلي، ووقع في سنن ابن ماجه: عن أبي مجيبة الباهلي، فجعله كنية.

وأما ابن حجر فذكره في تقريب التهذيب في أسماء الرجال، فقال: مجيبة الباهلي وقيل: هي امرأة من الصحابة. وأعاده في أسماء النساء فقال: مجيبة الباهلية ويقال: إنها رجل.

أما الصحابي راوي الحديث، فمن جعل مجيبة امرأة قال: عن أبيها أو عمها كما في سنن أبي داود، ومن جعله رجلاً قال: عن أبيه أو عن عمه كما في سنن ابن ماجه. أو قال: عن عمه كما عند النسائي.

أما ابن حبان فذكره في الثقات بالكنية: أبا مجيبة في قسم الصحابة.

وذكر أبو القاسم البغوي أن اسم والد مجيبة: عبدالله بن الحارث.

---

(١) برقم (٢٤٢٨). قال ابن حجر في ((تبيين العجب)) (ص: ٢٣): ففي هذا الخبر وإن كان في إسناده من لا يعرف، ما يدلُّ على استحباب صيام بعض رجب؛ لأنه أحد الأشهر الحُرُم.

والحديث عند أحمد فيه بعض التفصيل، ففيه قول النبي ﷺ له: ((إنك أتيتني وجسمك ولونك وهيئتك حسنة فما بلغ بك ما أرى))... الحديث[١].

غريب الألفاظ:

شهر الصبر: رمضان[٢].

الحرم: الأشهر الحرم وهي شهر رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم[٣].

قال بأصابعه الثلاث: أشار بها[٤].

فضمها ثم أرسلها: أي قبض أصابعه الثلاثة ثم بسطها[٥].

الشرح الأدبي

الإسلام دين الرحمة، والوسطية، وهذا الرجل الذي ظل عاما كاملا، يواصل في صيامه، فلا يأكل إلا ليلا قال له الرسول الكريم ﷺ: " عذبت نفسك " وتشديد الذال في الفعل الماضي: " عذبت " يدل علي تكرار ذلك التعذيب مع تكرار الليالي والأيام، ولم يطلب منه ذلك، ولعل إتيانه للنبي الكريم ﷺ كان خيرا عندما أرشده إلي صيام الفريضة قبل كل شيء، حيث قال له: " صم شهر الصبر، ويوما من كل شهر ". والأمر في قوله: " صم " للإرشاد والنصح، ويجب تنفيذه ، لأنه من الأعلى إلي الأدنى. والإضافة في قوله: " شهر الصبر " تشير إلى أن الصبر من ثمار الصيام، ووسيلة –أيضا– من الوسائل التي تعين علي تحقق الصيام بمعناه الصحيح، ولذلك فإن الصبر

---

(١) الطبقات (٨٣/٧)، وثقات ابن حبان (٤٥٦/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٩٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٨/٤) وتقريب التهذيب (٢٣٠/٢، ٦١٤).

(٢) رياض الصالحين ٤٤٦.

(٣) اللسان والوسيط في (ح ر م).

(٤) اللسان في (ق ب ض) و(ر س ل).

(٥) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٣٧٣، والمعجم الوسيط ٥٤٤.

نصف الإيمان، ونصفه الآخر يتمثل في الشكر. وقول النبي ﷺ لذلك الرجل: " صم واترك " طباق يقرر ضرورة التوازن بين متطلبات الجسم بالفطر أو متطلبات الروح بالصيام في الفريضة، ولذلك كان أفضل الصيام صيام داود عليه السلام كان يصوم يوما فيتقوى قلبه، ويفطر يوما فيتقوى جسده، وذلك في النوافل، ولذلك شدد الرسول ﷺ وكرر الأمر ومقابله (صم واترك) ثلاث مرات يقرر حق البدن، وحق الروح معا وهو منهج قويم متكامل.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: ومن الصوم المستحب صوم الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأفضلها المحرم)[1].

وقال النووي كذلك: (ولم يثبت في صوم رجب نهي ولا ندب لعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه، وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم، ورجب أحدها، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانيًا: من فقه المدعو: التعريف بنفسه للداعية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في الأشهر الحرم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا واضح من قول الباهلي: (يا رسول الله أما تعرفني؟ فقال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. قال فما غيّرك وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت

---

(١) المجموع ٦/٢٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٣٢ .

طعامًا منذ فارقتك إلا بليل. فقال رسول الله ﷺ: عذبت نفسك. ثم قال: صم شهر الصبر ويومًا من كل شهر.. إلخ الحديث).

فأفاد هذا الحوار اطلاع النبي ﷺ على حال الباهلي، من تشديده على نفسه بصوم سنة كاملة، مما أثر على هيئته. فأرشده النبي ﷺ إلى الصوم الذي يحفظ عليه هيئته ولا يشق عليه.

ولا شك أن الحوار أسلوب فعّال من أساليب الدعوة لإقناع المدعو وإرشاده إلى ما فيه نفعه وخيره.

ثانيًا – من فقه المدعو: التعريف بنفسه للداعية:

هذا واضح من قول الباهلي: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول.

وتعريف الباهلي بنفسه للنبي ﷺ جعل النبي ﷺ يتذكره ومن ثم يأخذ الحوار منحىً آخر ربما كان يختلف لو لم يعرف الباهلي بنفسه.

ومن هذا القبيل ما رواه عمرو بن عبسة في قصة إسلامه ولما أمره بالرجوع إلى قومه أول إسلامه ثم يأتيه عندما يظهر شأنه ﷺ قال: ((ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ. فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أَهْلِي. وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ. وَكُنْتُ فِي أَهْلِي. فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ. حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ. وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذٰلِكَ. فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ. فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ. أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ؟ قَالَ فَقُلْتُ: بَلَىٰ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّه وَأَجْهَلُهُ ...)) الحديث[1].

ولاشك أن تعريف المدعو بنفسه إلى الداعية يوفر على الداعية الوقت والجهد، لأن الداعية بهذا التعريف يضع يده على ما يناسب المدعو فيرشده إلى ما يُصلحه وينفعه

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

ويلائمه، فمن المقرر أن الدعوة وأساليبها تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فما يناسب مدعوًا قد لا يكون مناسبًا للآخر، وهكذا، ولذا كان من فقه المدعو وفطنته أن يعرّف بنفسه إلى الداعية إذا كان الحال يقتضي ذلك.

ومما يمكن أن يستأنس به في هذا المقام، ما روى أن سفانة بنت حاتم الطائي لما أسرها المسلمون، قامت فخاطبت النبي ﷺ فعرفت بنفسها فأطلق النبي ﷺ سراحها، فقد قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم طيء. فقال النبي ﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق[1].

ومما يذكره أهل السير والمغازي أن النبي ﷺ لما أطلق سراحها ذهبت إلى أخيها عدي بن حاتم وقد فرّ إلى الشام ورغبته في القدوم على النبي ﷺ، فقدم عليه فأسلم[2].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ: "صم شهر الصبر، ويومًا من كل شهر" قال: زدني فإن بي قوة. قال: صم يومين. قال: زدني. قال: صم من الحرم واترك. صم من الحرم واترك. صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها.

قال ابن عثيمين: (وفي حديث الباهلي الذي صام سنة كاملة حتى تغيرت هيئته وضعفت حاله وجاء إلى النبي ﷺ ... فقال له النبي ﷺ: عذبت نفسك. وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٤١/٥ وقال ابن حجر في الإصابة ص ١٧٠٦: وفي سنده من لا يعرف أهـ. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠٠/٧، هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جدًا، عزيز المخرج.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢٢١/٤-٢٢٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٩٠/٧-٣٠٠.

على أنه ليس من الشرع أن يكلف الإنسان نفسه ما لا تطيقه وأن يعذب نفسه، لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[1])[2].

ومن ذلك حديث أبي قتادة الأنصاري ﵁: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ... الحديث[3].

قال النووي: (قال العلماء: سبب غضبه أنه كره مسألته لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقلّه أو اقتصر عليه، وكان يقتضي حاله أكثر منه، وإنما اقتصر عليه النبي ﷺ؛ لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم وحقوق أزواجه وأضيافه والوافدين إليه، لئلا يقتدي به كل أحد فيؤدي إلى الضرر في حق بعضهم وكان حق السائل أن يقول: كم أصوم أو كيف أصوم؟ فيخصُّ السؤال بنفسه ليجيبه بما تقتضيه حاله، كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم)[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في الأشهر الحرم:

وهذ واضح في قوله ﷺ: "صم من الحرم"، قال الشوكاني: ("وصم أشهر الحرم"[5] هي: شهر القعدة والحجة ومحرم ورجب، وفيه دليل على مشروعية صومها، ولكنه ينبغي ألا يستكمل صوم شهر منها ولا صوم جميعها، ويدل على ذلك ما عند أبي داود من الحديث بلفظ "صم من الحرم و اترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك")[6].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٤٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٦-١١٦٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٣-٥٤، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٣٣، والمفهم للقرطبي ٣/١٨٥.

(٥) هذا لفظ ابن ماجه ١٧٤١.

(٦) نيل الأوطار ص ٨٣٢.

وقال الغزالي: (اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها في كل أسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان: فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة، فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واحد فرد وثلاثة سرد، وأفضلها ذو الحجة، لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهومن أشهر الحج)[1].

فلما كانت الأشهر الحرم مُشَرَّفة عند الله كان الصوم فيها له فضل ومكانة، لما يدل على تعظيم ما عظمه الله، وذلك بالطاعة والعبادة، جاء في الموسوعة الفقهية: (الأشهر الحرم فضلها الله على سائر شهور العام، وشرفهن على سائر الشهور. فخص الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[2] قال ابن عباس: خص الله من شهور العام أربعة أشهر فجعلهن حرمًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن والعمل الصالح والأجر أعظم، وعن قتادة: الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم في كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء، فإن الله تعالى اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر. قال قتادة: فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل)[3].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٤٣٣/١-٤٣٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) الموسوعة الفقهية ٥١/٥ ومصادرها ومراجعها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على العناية بالفروض والنوافل:

إن التربية على العناية بالفروض والنوافل تتضح في هذا الباب فيما يلي:

(أ) ذكره ﷺ أن أفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل، وأن أفضل صوم النفل بعد صوم الفريضة في رمضان: شهر الله المحرم، فههنا جمع بين فروض الصلاة وبعض نوافلها وتطوعها، وبين صيام الفرض وبعض صيام النفل.

(ب) صيامه ﷺ أكثر شعبان، وهذا من النوافل.

(ج) أمره ﷺ الصحابي الذي جاءه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته - أمره بأن يصوم شهر رمضان، ويومًا من كل شهر، وما زال الصحابي بالنبي يستزيده من صوم النوافل، حتى قال له: صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاث فضمَّها ثم أرسلها.

أي أنه يمكن أن يستدل بهذه الأحاديث على التربية بالفروض والنوافل، أو الواجبات والمندوبات، فإذا كان الفروض لها وظائف تربوية أساسية فإن للنوافل أيضًا وظائف تربوية مكملة ومساندة، وهذا يفسر لِمَ لم يكتفِ الشارع بالفروض فقط بل رغب أيضًا في فعل النوافل حتى إن بعضها قد أصبح مؤكدًا فعله، لكون النبي ﷺ قد واظب عليه وداوم.

"إن الفرائض هي الأساس والأصل وأعظم ما يتقرب به إلى الله تبارك وتعالى كما أخبرنا بذلك عنه أعلم الخلق ﷺ فقال فيما يرويه عن ربه: ((وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه))[1]، ومن الأمور التي ينبغي أن يعنى بها المربي: الحرص على غرس تعظيم الفرائض والاعتناء بها ورعايتها لدى من يربيهم، وضرورة تقديمها على النوافل والتطوعات واهتمام المربي بالفرائض والاعتناء بها لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها، بل الاعتناء بالنوافل، إذ هي سبب لتحقيق محبة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله تعالى ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبْته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه))[1].

كما أن بها يكمل ما انتقص من فريضة العبد ((فإن انتقَصَ مِنْ فريضته شيءٌ، قال الربُّ تبارَكَ وتعالى: انظُروا هلْ لعَبدي مِنْ تطوُّع؟ فيُكمَّلُ بها ما انتقَصَ مِنَ الفريضةِ...))[2].

واعتناء الشاب بالنوافل والعبادة لله مما يزيده إيمانًا وتقوى لله عز وجل، ومما يصلح كثيرًا من أحواله.

ومن الوسائل التي تعين المربي على تحقيق هذا الجانب:

(أ) اعتناء المربي نفسه بأداء النوافل والمحافظة عليها حتى حين يضيق به الوقت، وتطبيق المربي للسنة في أداء النوافل في المنزل مما يربي أولاده على الاعتناء بها.

(ب) توجيه الناشئة وغيرهم وبيان منزلة النوافل وفضلها، وقد كان ﷺ يوجه أصحابه إلى الاعتناء بالنوافل.

(ج) أن يراعى في أوقات البرامج العامة التي تقدم للطلاب ترك وقت لأداء النوافل، وبيان ذلك للطلاب وحثهم عليها.

(د) أن يراعي المربي ذلك حين تكليفه لمن يربيه بأمر أو مهمة، فحين يطلب الأب من ابنه أداء مهمة عاجلة فليس من المستحسن أن يأمره بترك الراتبة، وحين يكون الأمر عاجلاً يوجهه إلى أن يؤديها في المنزل، أو بعد فراغه من المهمة إن كانت لا تطول[3].

ثانيًا- من واجبات الناشئة: إطلاع المربي على أحوالهم في العبادة للاستفادة من توجيهاته:

لقد غاب الصحابي سنة كاملة عن النبي ﷺ وقد تغيرت حاله وهيئته؛ فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ لقد عرّف النبي ﷺ بأنه جاءه قبل سنة فتذكر ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وابن ماجه ١٤٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تربية الشباب: الأهداف والوسائل ص ٦٠ - ٦٤.

هيئته تغيرت وحاله قد تبدلت من صحة وعافية إلى نحول وشحوب وجه ونحو ذلك، فسأله عن سبب ذلك فأخبر النبي ﷺ أنه قد صام عامًا كاملاً، فلما أخبره بذلك بيّن له النبي ﷺ أنه قد شق على نفسه وأتعبها وأتعب جسده مما أثر عليه تأثيرًا ظاهرًا بينًا. وأرشده إلى ما يقوم به من الصوم ويجنبه هذا التعب وهذا الإرهاق وذلك التأثير البدني.

وفي ذلك إرشادٌ للناشئة وغيرهم أن يطلعوا المربين على أحوالهم وأفعالهم حتى يكونوا على علم بها ويبينوا لهم الصواب من غيره.

وفي ذلك عدة فوائد تربوية، منها:

(أ) تقويم أفعال الناشئة وغيرهم فما كان صوابًا استمروا عليه وإلا عدلوا عنه وأتوا بالصواب والصحيح.

(ب) عدم ضياع كثير من الوقت وكثير من الجهد في الاستمرار على الفعل الخطأ، الذي قد يصبح عادةً تحتاج إلى وقت وجهد للإقلاع عنها.

(ج) التوجيه العام من المربي لمن يقوم على تربيتهم، إذ أنه إذا اطلع على خلل ما ووجده قد يشكل اتجاهًا عامًا، فإنه يسارع إلى علاج هذا الخلل بكل الطرق الممكنة ومن أسرع تلك الطرق وأعمها التوجيه لجميع الأتباع.

ثالثًا- من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

لقد نهى النبي ﷺ الصحابي الذي صام عامًا كاملاً حتى أثر ذلك في جسده وبدنه وهيئته، لقد نهاه عن الاستمرار في هذا الصيام وأرشده إلى صيام يحفظ عليه قوته وطاقته وجهده، أي أن النبي ﷺ أرشده إلى أن يوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فإذا كانت المطالب الروحية تدفعه إلى أن يصوم عامًا كاملاً، فإن هذا يحيف على مطالب الجسد وحقه في الراحة وحفظ قوته ونشاطه، والأمر نفسه إذا استجاب لمطالب الجسد، فإنه يحيف ويجور على مطالب الروح.

نخلص من هذا إلى أن ذلك الحديث دليل على أن التربية الإسلامية تربية متوازنة تجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تميل لجانب على حساب جانب آخر ولا

تعلي من شأن جانب وتحط من شأن آخر، ولا تهتم بإحداهما وتهمل الأخرى.

إنها تربية وسط بين هذا وذاك، "إن من أبرز خصائص التربية الإسلامية الوسطية ويعبر عنها بالتوازن وتعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه، مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير وما شابهها، ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله وبعض حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير ولا طغيان ولا إخسار، كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾[1]"[2].

رابعًا- التربية على الاستزادة من الخير:

لقد أمر النبي ﷺ الصحابي بأن يصوم شهر رمضان ويومًا من كل شهر، فقال له الصحابي: زدني فإن بي قوة، فأقره النبي ﷺ على ذلك، وزاده فقال: صُم يومين، فرغب الصحابي في الزيادة فقال: زدني، فأقره النبي ﷺ على ذلك وقال: صم ثلاثة أيام، فأحب الزيادة على ذلك فأقره النبي ﷺ وحقق رغبته.

إننا نستفيد من إقرار النبي ﷺ للصحابي في الزيادة في عدد الأيام التي يصومها، أنه ينبغي أن يربي الناشئة على الاستزادة من الخير والاستكثار منه، ما دام لم يؤد ذلك إلى ارتكاب مخالفة شرعية، لأن في ذلك فوائد تربوية مهمة جدًا، من ذلك:

(أ) زيادة مساحة الخير في المجتمع ويلزم عن ذلك نقص مساحة الشر والضرر بين الناس، فإن كان معظم الناس يستزيدون من الخير، فإنه لن يكون للشر هذه المساحة العريضة الواقعة في حياة الناس.

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩.

(٢) الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٧ بتصرف.

(ب) تسخير الجهد والطاقة إلى فعل الخير والإتقان في ذلك وعدم الوقوف عند حدّ القبول والمعتاد، ولكن محاولة الوصول إلى المراتب العليا والدرجات الفضلى، فالخير لا حدّ له، وكلما استكثر الإنسان منه زاد رغبةً في المزيد، فالخير لا يأتي إلا بالخير، والجزاء من جنس العمل.

(ج) غرس روح المبادرة إلى الخيرات والمسابقة إلى الفضائل في نفوس الناشئة ونحوهم، وإذا رسخت هذه الروح تحقق في أرض الواقع ما كان يعده الناس أحلامًا وأماني تداعب الخيال ولا مكان لها لأن تلامس الواقع لحظة واحدة.

(د) إيجاد نماذج مشرفة أمام الناشئة وغيرهم صالحة للاقتداء بها والسير على منهاجها وتحقيق ما حققت وإنجاز ما أنجزت.

لهذا ينبغي أن يربى الشباب وغيرهم على الاستزادة من الخير.



٢٢٦- باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

الحديث رقم (١٢٥١)

١٢٥١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَا مِنْ أيَّامٍ، العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أحَبُّ إلَى اللهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّام**)) يعني أيام العشر. قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَلاَ الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ؟ قَالَ: ((**وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أيام العشر: العشر الأول من شهر ذي الحجة[2].

الشرح الأدبي

يخبر النبي الكريم ﷺ عن فضل العمل الصالح في العشر الأول من " ذي الحجة". ولذلك بني مطلع الحديث علي الأسلوب الخبري. والنفي إذا سلط علي النكرة أفاد العموم كما جاء في قوله: " ما من أيام ". ووصف العمل بكونه صالحا " يشع بأن هذا العمل الموصوف بالصلاح، هو المعتد به عند الله تعالي، لقوله عز وجل: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه..."[سورة فاطر، آية: ٩]. والتعبير بأفعل التفضيل أحب يوحي بالرضا والقبول، والتقريب، وتعلقه بالله يجعله أعظم أثرا لارتباط الأثر بالمؤثر، والاستفهام في قولهم: "ولا الجهاد في سبيل الله؟" حقيقي يراد منه التعلم

---

(١) برقم (٩٦٩) بنحوه. وبهذا اللفظ أخرجه أبو داود (٢٤٣٨). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه (١٧٢٥) حيث عزاه إلى البخاري، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، واقتصر المؤلف على البخاري، ولكنه لم يلتزم بإيراد لفظ البخاري.

(٢) فتح الباري ٢/٥٣٢.

والاسترشاد لما قرَّ في نفوسهم من أن الجهاد أعظم الأعمال. والاستثناء في قوله: "إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشئ" يوحي بأن ذلك الرجل ضحي بالنفس التي هي أغلي من كل شئ، والمال الذي تأتي به النفس مما يدل على عظمة العمل في هذه الأيام التي بلغت هذا المبلغ. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (ومن الصوم المسنون صوم الأيام التسعة من أول ذي الحجة، لحديث الباب)[1].

وقال ابن قدامة: (وأيام عشر ذي الحجة كلها شريفة مفضلة يضاعف العمل فيها، ويستحب الاجتهاد في العبادة فيها، لحديث الباب)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على استحباب صوم الأيام الثمانية التي من أول ذي الحجة قبل يوم عرفة، لحديث الباب)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة.

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة:

هذا واضح من الحديث كله، ووقع في صحيح ابن حبان من حديث جابر بن

---

(١) المجموع ٢٨٣/٦ ، وانظر فتح الباري ٤٦٠/٢ .

(٢) المغني ٤٤٣/٤ .

(٣) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٢٠١/١ ط الأميرية ١٣١٠هـ، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومغني المحتاج ٤٤٦/١، والقيلوبي وعميرة ٧٣/٢، وكشاف القناع ٣٣٨/٢ (عن الموسوعة الفقهية ٩٢/٢٨-٩٣).

عبدالله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أيام عَشْرِ ذي الحِجَّةِ، قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ هُنَّ أفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ؟ قالَ: هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ ومَا مِنْ يَوْمٍ أفضلُ عِندَ اللَّهِ مَنْ يومِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إلى السَّمَاءِ الدنيا فَيُبَاهِي بأهلِ الأرض أهلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبادي شُعثًا غُبْرًا ضاحين جاؤوا مِنْ كُلِّ فجٍ عَمِيقٍ يرجونَ رحمتي، ولم يَرَوْا عذابي، فَلَمْ يُرَ يومٌ أكثرُ عتقًا من النارِ مِنْ يومِ عرفةَ))[1].

وقد بيّن العلماء فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة في شرحهم لحديث الباب، قال ابن حجر: (ثبتت الفضيلة لأيام العشر بهذا الحديث... واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد، وأجيب بأنه محمول على الغالب ولا يرد على ذلك ما رواه أبو داود وغيره عن عائشة قالت: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ صَائِمًا الْعَشْرَ قَطُّ))[2] لاحتمال أن يكون ذلك، لكونه كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يفرض على أمته، والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره. وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج أو يعم المقيم؟ فيه احتمال)[3].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: فضيلة العشر الأول من ذي الحجة، وأنه كذلك من حيث إنه أول شهر حرام بين شهرين حرامين فيه أيام الإحرام من الحاج وأيام رفع الأصوات بالتلبية وقصد الناس بيت الله الحرام للحج الذي جعل الله فيه لمن شهده منافع، وذكر المنافع بلفظ الجمع للمنكّر. وهذا يشتمل على منافع غير محصورة؛ فإن القرآن العظيم إذا شهد بمنفعة فهي التي لا تتعقبها مضرة[4]، وهذا لا

---

(١) أخرجه ابن حبان ٣٨٥٣، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ١١٧٦، وأبو داود ٢٤٣٩، والترمذي ٧٥٦.

(٣) فتح الباري ٢/ ٤٦٠، .

(٤) قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة الحج، آية: ٢٨].

يكمل إلا بدخول الجنة إن شاء الله تعالى. وأعمال الحاج لهم، وأما غير الحاج، فإن أعمالهم في سبل البر التي يمكنهم سلوكها راجين أن يلحقهم الله بثواب الحاج و المعتمرين. وهذا يتضح بأن صيام يوم عرفة يعدل عامين إلا أنه لا يستحب صيامه للحاج، فيدل على أن عمل الحاج غير عمل من ليس بحاج)[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: (وقد دل هذا الحديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها، وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده، وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه، وإن كان مفضولاً، أفضل من العمل من غيره وإن كان فاضلاً ولهذا قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد" ثم استثنى جهادًا واحدًا هو أفضل الجهاد، وأما بقية أنواع الجهاد فإن العمل في عشر ذي الحجة أفضل وأحب إلى الله عز وجل منها، وكذلك سائر الأعمال، وهذا يدل على أن العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره، ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره)[٢].

وقال ابن عثيمين: (العمل الصالح يشمل الصلاة والصدقة والصيام والذكر والتكبير وقراءة القرآن وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق، وحسن الجوار وغير ذلك - كل الأعمال الصالحة... ففي هذا دليل على فضيلة العمل الصالح في أيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة من صيام وغيره)[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من سؤال الصحابة رضوان الله عليهم: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ابن حجر: (ودل سؤالهم هذا على تقرر أفضلية الجهاد عندهم، وكأنهم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣/١٤٩-١٥٠.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١١.

استفادوه من قوله ﷺ في جواب من سأله عن عمل يعدل الجهاد، فقال: لا أجده، وسيأتي في أوائل كتاب الجهاد من حديث أبي هريرة"[١][٢].

ومن هذا القبيل ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: ((أحيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد))[٣].

قال ابن حجر: (فيه أن بر الوالد قد يكون أفضل من الجهاد، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة، وأن المكلف يستفصل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه، فدل على ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال ما حصل له العمل بذلك)[٤].

وقال ابن أبي جمرة: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية حتى تعلم على تحقيق ويقين والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حدٍ سواء بالأدب، لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بْدعي زائغ عن العلم وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنّه)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

هذا واضح من سؤال الصحابة النبي ﷺ: ولا الجهاد يا رسول الله؟ فقال رسول الله: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللّهِ ورسولِهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيلِ اللّهِ. ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مَبْرُورٌ))[٦].

قال ابن رجب الحنبلي: (ويمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس بوجهين:

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٨٥ واللفظ له، ومسلم ١٨٧٨.

(٢) فتح الباري ٢/٤٦٠، وانظر: فتح الباري ٦/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

(٤) فتح الباري ٦/١٤٠، .

(٥) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ٤/٢٣٦.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

أحدهما: أن حديث ابن عباس قد صرّح فيه بأن جهاد من لا يرجعُ من نفسه وماله بشيء يفضل على العمل في العشر فيمكن أن يقال: الحج أفضل من الجهاد إلا جهاد من لم يرجع من نفسه وماله بشيء، ويكون هو المراد من حديث أبي هريرة ويجتمع حينئذ الحديثان.

والثاني: وهو الأظهر أن العمل المفضول قد يقترن به ما يصير أفضل من الفاضل في نفسه، وحينئذٍ فقد يقترن بالحج ما يصير به أفضل من الجهاد وقد يتجرد عن ذلك، فيكون الجهاد حينئذٍ أفضل منه، فإن كان الحج مفروضًا فهو أفضل من التطوع بالجهاد، فإن فروض الأعيان أفضل من فروض الكفايات عند جمهور العلماء، وإن كان الحاج ليس من أهل الجهاد، فحجه أفضل من جهاده كالمرأة ... وكذلك إذا استغرق العشر كله عمل الحج وأتى به على أكمل وجوه البر من أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وانضم إلى ذلك الإحسان إلى الناس ببذل السلام وإطعام الطعام، وضم إليه كثرة ذكر الله عز وجل والعج والثج وهو رفع الصوت بالتلبية، وسوق الهدي، فإن هذا الحج على هذا الوجه قد يفضل على الجهاد، وإن وقع عمل الحج في جزء يسير من العشر ولم يؤت به على الوجه المبرور، فالجهاد أفضل منه)[1].

وقال ابن تيمية: (والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة والصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة ... وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر. والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائمًا إما النصر والظفر،

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٤٦٣-٤٦٤.

وإما الشهادة والجنة، فإن الخلق لابد لهم من محيا وممات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة. وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما، فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتهما، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد. وقد يرغب في ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك)[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤٦٠-٤٦١، .

(٢) فتح الباري ٦/٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتوجيه لاغتنام الأوقات الفاضلة في العمل النافع:

لقد أخبر النبي ﷺ عن فضل أيام العشر الأول من ذي الحجة، فقال: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام" فأخبر ﷺ عما يكون في هذا الوقت من عمل، وليس أي عمل بل العمل الذي تتوافر فيه صفة الصلاح، أي إننا يمكن أن نستشف من هذا الحديث أنه لفت الأنظار وجذب الانتباه إلى أنه ليس المهم معرفة الوقت الفاضل فقط، وإنما القيام أيضًا فيه بالعمل الصالح، فلا يكفي أن نذكر ونكثر من الذكر لفضائل الأوقات، وإنما المطلوب مع ذلك أن نذكر ما يكون فيه من العمل الصالح بأنواعه المختلفة، إن المهم ليس المعرفة لكن المهم هو العمل ولا يكون أي عمل، بل هو العمل الصالح النافع المفيد في الآخرة، وإذا كان مفيدًا في الآخرة، فإنه في الأغلب الأعم مفيد في الدنيا.

إن في هذا الحديث إرشادًا إلى أهل التربية إلى أن يكون همهم الأول العمل والفعل لا الاكتفاء بالتنظير والتأطير ونحو ذلك، فليس هناك فائدة ترجى من تربية تقوم على النظريات المجردة والأفكار البحتة دون أن تلامس أرض الواقع وأن تجد لها مكانًا تعيش فيه، بدلاً من أن تظل حبيسة العيش في العقل والرأس.

إننا نسمع كثيرًا أن أهل التربية ينادون بأن الإنسان له فترة ذهبية يجب فيها العناية به عناية فائقة، كما يجب وضع البرامج والخطط التي تؤدي إلى الوصول إلى الهدف المبتغى من هذا الإنسان وتفعيلها حتى تؤتي بالثمار المطلوبة، إن هذه الفترة هي فترة الطفولة إلى مطالع سن الشباب، ورغم هذا الاهتمام النظري فإنه تمر هذه السنوات من عمر كثير من الشباب دون عناية تذكر واهتمام يلفت الأنظار فتضيع هذه السنوات الثمينة الغالية هباء دون جدوى أو نفع مقبول.

والخلاصة أن هذا الحديث يمكن أن يستدل به على أنه يجب تربية الناشئة وغيرهم أن المهم ليس المعرفة فقط وإنما العمل أيضًا، أي الجمع بين العلم والعمل، فلا فائدة من علم لم يتبعه عمل ولا خير في عمل لا يقوم على علم، ولعل في هذا عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - دفع الناشئة وغيرهم إلى أن يتعودوا على تطبيق ما يعرفونه والاستفادة منه في حياتهم العملية، بحيث يظهر لهذه المعرفة أثر في أرض الواقع.

ب - تشجيعهم على أن يضربوا أمثلة عملية مضيئة لغيرهم في الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وفي ذلك دعوة لأن يقتدي بهم الآخرون فيفعلوا مثلما يفعلون؛ وهكذا يظهر ما يسمى بالعدوى الحميدة في فعل الخير والقيام به.

ج - تعويدهم على أن يكون عملهم من الصالح، فبقدر ما يكون صلاح أعمالهم يكون صلاحهم وقيامهم بما ينبغي عليهم، وكلما كان العمل صالحًا كان أكثر دلالة على صلاح الفرد ظاهرًا وباطنًا سرًا وعلانية.

ثانيًا - التربية على فقه الأمور وتحصيل الثواب:

إن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن معادلة الجهاد في سبيل الله للعمل الصالح في أيام العشر الأول من ذي الحجة، سؤالهم هذا دليل على أن هناك اختلافًا في درجات العمل وما يترتب على ذلك من أجر وجزاء، ويدل على ذلك أيضًا جواب النبي صلى الله عليه وسلم على سؤالهم، فلم يساوِ صلى الله عليه وسلم بين العمل الصالح في هذه الأيام وبين الجهاد في سبيل الله على قدر فضله وعظيم شرفه، ونفى هذه المساواة والمعادلة وأثبتها في حالة واحدة وهي الحالة العليا من الجهاد، إنه جهاد بالمال والنفس ثم ينفد المال وتزهق النفس كل ذلك في سبيل الله عز وجل.

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه - على وجه الإجمال - درجات الجهاد ومراتبه، وما يتبع ذلك من اختلاف مقادير الأجر والثواب، وفي هذا إرشاد لأهل التربية والتوجيه والتقويم أن ينشئوا أتباعهم ومن يقومون على شؤونهم على هذا المبدأ وهذه القاعدة، اختلاف الأجر باختلاف درجات العمل نفسه، فلا يتساوى عندهم الأهم مع المهم والأفضل مع الفاضل، إن الصحابة رضي الله عنهم تربوا على الحرص على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ولذا كانوا يحرصون على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم على مراتب الأعمال، وكانوا يعتمدون الفهم والفقه أساسًا للعمل، وهذه ظاهرة صحية تدل على إعمالهم لعقولهم وموازنتهم بين الأمور، ورغبتهم في تحصيل العلم النافع من مصادره الأصيلة وذلك من خلال سؤالهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يفقهوا الأمور ويكونوا على بينة.

إن مما نعانيه في الواقع المعاصر أن بعض الشعوب وبعض البلاد يتساوى عندها الفعل الواحد على اختلاف درجاته وأنواعه وهيئاته في الأجر والجزاء، وفي هذا من الضرر ما فيه، بل يزداد الأمر سوءًا أن يتساوى الفعلان المتناقضان فيتساوى المحسن مع المسيء والطيب مع الخبيث، والمتقن مع المهمل، والمجيد مع المفرط، وهكذا حتى أصبح لا يتوقع لهذه الدول وهذه المجتمعات وتلك الشعوب الدرجة الدنيا من التقدم والتحضر، بل تظل حبيسة تخلفها وتراجعها بل انحطاطها.

إن في تعليم الناشئة فقه الأمور لتحصيل الأجر الجزيل من الله تعالى لأن الأجر يختلف باختلاف درجات العمل فوائد تربوية عظيمة من أهمها:

أ - تعويد الناشئة على إتيان الأفضل والأحسن والأجود من الأعمال والأقوال والأفعال، حتى يحصلوا أعظم الأجر وأفضل الثواب وأجزل الجزاء.

ب - إعطاء أهل الفضل حقهم وقدرهم من التقدير والاحترام، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها، بعلمهم وجهدهم وتعبهم ومثابرتهم، وفي ذلك إبرازهم قدوة أمام المجتمع وأسوة وإقراره، فيعملون أعمالهم، وينسجون نسجهم ويسيرون على سيرهم، وفي ذلك إشاعة لروح العلم والعمل والابتكار والإبداع بين أفراد المجتمع حتى تصير ثقافة شائعة بينهم، ومن المعروف أن الثقافة هي التي تشكل توجهات الأفراد وميولهم وأحكامهم وأفعالهم، وكلما كانت الثقافة تنحو نحو الأفضل كانت أفعال الأفراد تنحو هذا المنحى.

ج - تعويد الناشئة أن يعرفوا موقعهم ومكانهم في ضوء هذه الأعمال واختلاف درجاتها، فلاشك أن من يحرص على أن يكون فعله في المرتبة الأعلى يختلف ثوابه وجزاؤه عمن يكون عمله في المرتبة الأدنى، وفي هذا تقويم ذاتي مستمر ينبع من الفرد نفسه، فيعرف أين يكون موقعه وأين يكون ترتيبه، فإن كان محسنًا ازداد إحسانًا، وإن كان في رتبة أقل سعى أن يصل إلى الدرجة الأعلى منها، وهكذا يظل الفرد الصالح في ترقٍ دائم، وفي ذلك صلاح للمجتمع فما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد، فإذا صلحوا صلح وإلا كان نصيبه الفساد والخلل والانحراف.

۞ ۞ ۞

٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

الحديث رقم (١٢٥٢)

١٢٥٢- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صَومِ يَوْمِ عَرَفَةَ، قَالَ: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يومُ عرفة: اليوع التاسع من ذي الحجة، يوم وقوف الحجيج بعرفةً[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث الشريف علي الأسلوب الخبري، حيث أخبر فيه الرسول الكريم ﷺ عن منزلة صيام يوم " عرفة " فقال: " يكفر السنة الماضية والباقية " والفعل المضارع: " يكفر " يدل علي استمرار فضل الله علي صائم ذلك اليوم، وتشديد الفاء في الفعل نفسه يوحي بتكرار المغفرة والستر من جهة رب العزة – جل في علاه - ، وقدم السنة " الماضية " علي " الباقية "، لأن الذنوب التي صدرت عن العبد في السنة " الماضية " متيقنة، أما ذنوب السنة المتبقية فمظنونة، لأنه ربما لا يعيش حتى تأتيه تلك السنة، وعلي كل فإن كلمات الحديث تشع بالأمل الكبير في فضل الله تعالي، الذي يعطي الثواب الجزيل علي العمل القليل، ولكن بشرط أن تكون النية صادقة، وخالصة لوجه الله تعالي، والطباق بين الماضية، والباقية يؤكد استيعاب الكفارة لذنوب العبد ما بين يديه من خلفه.

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٩١).

(٢) اللسان والقاموس في (ع ر ف).

فقه الحديث

اتفق الفقهاء على استحباب صوم يوم عرفة لغير الحاج، وهو يوم التاسع من ذي الحجة، لحديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على سؤال النبي ﷺ عن أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عرفة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على سؤال النبي ﷺ عن أمور الدين:

هذا واضح من قول أبي قتادة الأنصاري ﵁: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ فهذا يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألونه ﷺ عن أمور دينهم حتى يعلموها ويعملوا بها، لأنه ﷺ يبلغ عن ربه عز وجل. وهذا الحديث حديث طويل يغلب على الظن أن ذكرَه يوضح ما سبق من حرص الصحابة ﵃ على السؤال عن أمور دينهم. قال أبو قتادة الأنصاري ﵁: ((رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللّهِ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ ﵁ غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ غَضَبِ اللّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ. فَجَعَلَ عُمَرُ ﵁ يُرَدِّدُ هـٰذَا الْكَلاَمَ حَتَّىٰ سَكَنَ غَضَبُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: لاَ صَامَ وَلاَ أَفْطَرَ "أَوْ قَالَ" : لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: وَيُطِيقُ ذٰلِكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ ﵇ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذٰلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ:

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢/٨٣، وحاشية الدسوقي ١/٥١٥، ومواهب الجليل ٢/٤٠٣، والمهذب وشرح المجموع ٦/٢٧٦-٢٧٧، والمغني ٤/٤٤٠ ، والموسوعة الفقهية ٢٨/٩٠.

ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ. فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ. صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ. وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ. وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ))[1].

بل بلغ من حرص الصحابة على تعلم أمور الدين أن طلبت الصحابيات من رسول الله ﷺ أن يخصص لهن يومًا يعظهن فيه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((قالتِ النساءُ للنبيِّ ﷺ: غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: «ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النار» فقالت امرأةٌ: واثنين؟ فقال: «واثنين»))[2].

قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين)[3]. وقال أبو العباس القرطبي: (وفي هذا الحديث ما يدلّ على فضل نساء ذلك الوقت. وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله ﷺ)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عرفة:

هذا واضح من قوله ﷺ عن صيام يوم عرفة: يكفر السنة الماضية والباقية.

قال النووي: (معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين. قالوا: والمراد بها الصغائر، فإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات)[5].

وقال الشوكاني: (قوله "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ... إلخ" في بعض ألفاظ الحديث "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده" وقد استشكل تكفيره السنة الآتية لأن التكفير: التغطية، ولا تكون إلا شيء قد وقع. وأجيب بأن المراد يكفره بعد وقوعه، أو المراد أنه يلطف به فلا يأتي بذنب فيها بسبب صيامه ذلك

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٠١، ١٠٢، ومسلم ٢٦٣٢.

(٣) فتح الباري ١/٢٣٧ ط الريان.

(٤) المفهم ٦/٦٤٠-٦٤١.

(٥) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٤، طر دار عالم الكتب.

اليوم[١]... والحديث يدل على استحباب صوم يوم عرفة)[٢].

ويوم عرفة له فضائل كثيرة قال ابن رجب الحنبلي: (منها أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. ومنها: أنه عيد لأهل الإسلام كما قال عمر بن الخطاب وابن عباس، فإن ابن عباس قال: نزلت[٣] في يوم عيدين: يوم جمعة ويوم عرفة[٤]. وروى عمر أنه قال: وكلاهما بحمدالله لنا عيد أخرجه ابن جرير في تفسيره[٥]... لكنه عيد لأهل الموقف خاصة، ويشرع صيامه لأهل الأمصار عند جمهور العلماء)[٦].

وقال الحافظ ابن حجر: (وقد روى مسلم حديث أبي قتادة مرفوعًا: إن صوم عاشوراء يكفر سنة، وإن صيام يوم عرفة يكفر سنتين، وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء، وقد قيل في الحكمة ذلك: إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام، ويوم عرفة منسوب إلى النبي ﷺ فلذلك كان أفضل)[٧].

وقال ابن رجب كذلك: (فليحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة:

فمنها: صيام ذلك اليوم، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة ... فذكر حديث الباب، ومنها: حفظ جوارحه عن المحرمات في ذلك اليوم، ففي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((يوم عرفة هذا يوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له))[٨].

ومنها: الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق، فإنها أصل دين الإسلام الذي

---

(١) وقال الشيخ عبدالله البسام: (أو يوفقه لأعمال صالحة تكفر ما يقع فيها من الذنوب) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٠/٣.

(٢) نيل الأوطار ص ٨٢٦-٨٢٧.

(٣) يقصد ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقد قال عمر بن الخطاب "نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم جمعة" أخرجه البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٠٤٤ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٣٨).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨٧/٨-٨٨.

(٦) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٨٧.

(٧) فتح الباري ٢٤٩/٤، .

(٨) أخرجه أحمد ٣٢٩/١، رقم ٣٠٤١، وقال محققوه: إسناده ضعيف ٦٥/٥.

أكمله الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه، وفي المسند عن عبدالله بن عمرو قال: ((كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير))[1] وأخرجه الترمذي ولفظه: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[2].

ومنها: كثرة الدعاء بالمغفرة والعتق، فإنه يرجى إجابة الدعاء فيه)[3]. وقال الشيخ عبدالله البسام: (صوم يوم عرفة هو أفضل صيام التطوع بإجماع العلماء)[4].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ذكر النبي ﷺ ثواب صيام يوم عرفة، ولاشك أن هذا يدفع المدعو إلى امتثال الأمر نظرًا لما يترتب على ذلك من خير يناله في الدنيا والآخرة، والنفس البشرية خلقها الله متشوقة إلى الجزاء الذي يترتب على العمل، فتنشط أشد ما يكون النشاط عندما ترغّب في الأعمال والأفعال بذكر الثواب المترتب عليها.

---

(١) أخرجه أحمد ٢١٠/٢، رقم ٦٩٦١، وقال محققوه: حسن لغيره ٥٤٨/١١.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٨٥ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٧).

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٩٢-٤٩٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٠/٣.

الحديث رقم (١٢٥٣)

١٢٥٣ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ صَامَ يَومَ عاشوراءَ وأَمَرَ بصِيامِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

يوم عاشوراء: بالمد وحكي فيه بالقصر وهو اليوم العاشر من شهر المحرم[2].

الشرح الأدبي

إن كلمات الحديث تدل علي أن المصطفي ﷺ كان أول المطبقين للشرع، وأول الطائعين العابدين يدل علي هذا: الفعل الماضي في أول الحديث: " صام يوم عاشوراء، ولما قام بهذه العبادة أمر غيره أن يقوموا بها، ليتحقق الخير، والرشد، والهدي لهم فقال: " وأمر بصيامه ". وسبب صيام عاشوراء هو شكر الله تعالي علي نجاة " موسي " عليه السلام ومن معه من المؤمنين، لأنه لما ذهب إلي المدينة المنورة، ووجدوا اليهود يصومونه، صامه، وأمر بصيامه، لأننا أولي بموسي منهم. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى الحكم التالي:

حكم صوم يوم عاشوراء: اتفق الفقهاء على أن يوم عاشوراء سنة وليس بواجب[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٩٧)، ومسلم (١١٣٠/١٢٨)، ولفظهما: (فصامه رسول الله ﷺ، وامر بصيامه). والسياق للمنذري في ترغيبه (١٥٠٥)، وعند مسلم برقم (١١٣٤/١٣٣) بلفظ: (سمعتُ عبد الله بن عباس يقولُ: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وامر بصيامه).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ش ر).

(٣) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، حاشية الصاوي ٦٩١/١، مغني المحتاج ١٨٣/٢، المغني ٥/٣، شرح صحيح مسلم ٤/٨، سبل السلام ٢٨٧/٢.

واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم ١٢٥٢، وأما أمره ﷺ في حديث الباب رقم ١٢٥٣ فمحمول على الاستحباب، لأن أمر النبي ﷺ بصيامه كان حين قدم المدينة ولا شك أن قدومه كان في ربيع الأول فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة، ثم فوض الأمر في صومه إلى المتطوع[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عاشوراء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مراتب صيام يوم عاشوراء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عاشوراء:

هذا واضح من الأحاديث، وقد بوّب البخاري في صحيحه من كتاب الصوم: باب صيام يوم عاشوراء، ذكر تحته أحاديث في صيامه وفي الترغيب فيه، من ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها: ((كان يوم عاشوراءَ تصومُه قُريشٌ في الجاهلية. وكان رسولُ اللّهِ ﷺ يَصومُه في الجاهليةِ، فلما قَدِمَ المدينةَ صامَهُ وأمَرَ بصِيامهِ، فلما فُرِضَ رمضانُ تَرَكَ يومَ عاشُوراءَ، فَمنْ شاءَ صامَهُ ومَن شاءَ تركه))[3].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه[4].

ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا قال

---

(١) نيل الأوطار ٢٤٣/٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٥٣ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٥٤، ١٢٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٠٢، ومسلم ١١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٠٤، ومسلم ١١٣٠.

النبي ﷺ: ((فصوموه أنتم))[1]. وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يَتحرَّى صيامَ يومٍ فَضَّلَهُ على غيرِهِ إلاَّ هذا اليومَ يَومَ عاشُوراءَ، وهذا الشهرَ يعني شهرَ رمضانَ))[2].

قال ابن حجر: (وإنما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان - وإن كان أحدهما واجبًا والآخر مندوبًا - لاشتراكهما في حصول الثواب، لأن معنى "يتحرى" أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[3].

ومنه حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: ((أمرَ النبيُّ ﷺ رجلاً مِن أسْلَمَ أنْ أذِّنْ في الناسِ أنَّ مَن كان أكلَ فلْيَصُمْ بَقيَّةَ يَومِهِ، ومَن لم يَكُنْ أكلَ فلْيَصُمْ، فإنَّ اليومَ يومُ عاشُوراءَ))[4].

قال ابن حجر: (ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنه كان واجبًا لثبوت الأمر بصومه، ثم تأكد الأمر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بأمْر من أكَل بالإمساك، ثم زيادته بأمر الأمهات ألا يرضعن فيه الأطفال[5]، وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم[6]: "لما فرض رمضان ترك عاشوراء" مع العلم بأنه ما تُرِك استحبابُه بل هو باقٍ، فدل على أن المتروك وجوبُه. وأما قول بعضهم: المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه، بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته ﷺ حيث يقول: "لئن عشتُ لأصومن التاسع والعاشر" ولترغيبه في صومه وأنه يكفر سنةً، وأي تأكيد أبلغ من هذا؟)[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٠٥، ومسلم ١١٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢.

(٣) فتح الباري ٤/٢٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٠٧، ومسلم ١١٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٦٠، ومسلم ١١٣٦ من حديث الرُبَيِّع بنت معوذ رضي الله عنها بنحوه.

(٦) صحيح مسلم ١١٢٧.

(٧) فتح الباري ٤/٢٤٧، ط السلفية.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مراتب صيام يوم عاشوراء:

وهذا يوضحه حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" وفي رواية قال ابن عباس رضي الله عنه: ((حِينَ صَامَ رَسُولُ اللّهِ : يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ: إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، إِنْ شَاءَ اللّهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ. قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ))[1].

قال ابن القيم: (والصحيح أن المراد صوم التاسع مع العاشر لا نقل اليوم، لماروى أحمد في مسنده من حديث ابن عباس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خالفوا اليهود، صوموًا يومًا قبله، أو يومًا بعده"[2] وقال عطاء عن ابن عباس: صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود وذكره البيهقي[3]. وهو يبين أن قول ابن عباس: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، فإذا كان يوم التاسع فأصبح صائمًا[4]، أنه ليس المراد به: أن عاشوراء هو التاسع. بل أمره أن يصوم اليوم التاسع قبل عاشوراء.

فإن قيل: ففي آخر الحديث: قيل: كذلك كان يصومه محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم[5]. فدل على أن المراد به نقل الصوم لا صوم يوم قبله.

قيل: قد صرح ابن عباس بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" فدل على أن الذي كان يصومه هو العاشر، وابن عباس راوي الحديثين معًا، فقوله: "هكذا كان يصومه محمد"، أراد به - والله أعلم - قوله "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" عزم عليه، وأخبر أنه يصومه إن بقي، قال ابن عباس: "هكذا كان يصومه" وصدق رضي الله عنه، هكذا كان يصومه لو بقي، فتوافقت الروايات عن ابن عباس، وعلم أن المخالفة المشار إليها بترك إفراده، بل يصام يوم قبله أو يوم بعده، ويدل عليه أن

(١) أخرجه مسلم ١٣٣٠-١١٣٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤١/١، رقم ٢١٥٤ وضعف إسناده محققو المسند ٥٢/٤.

(٣) السنن الكبرى ٢٨٧/٤.

(٤) أخرجه مسلم ١١٣٣.

(٥) هو آخر الحديث الذي أخرجه مسلم ١١٣٣.

في رواية الإمام أحمد: قال رسول الله ﷺ: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع - يعني لصوم عاشوراء - وخالِفُوا اليهود فصوموا قبله يومًا وبعده يومًا"، فذكْر هذا عقب قوله "لأصومن التاسع" يبين مراده)[١].

وقال ابن القيم أيضًا: (فمراتب صومه ثلاثة: أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم.

وأما إفراد التاسع، فمن نقص فهم الآثار وعدم تتبع ألفاظها وطرقها، وهو بعيد من اللغة والشرع، والله الموفق للصواب.

وقد سلك بعض أهل العلم مسلكًا آخر فقال: قد ظهر أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة مع الإتيان بها، وذلك يحصل بأحد أمرين إما بنقل العاشر إلى التاسع أو بصيامهما معًا، وقوله: "إن كان العام المقبل صمنا التاسع" يحتمل الأمرين، فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يتبيّن لنا مراده، فكان الاحتياط صيام اليومين معًا، والطريقة التي ذكرناها أصوب إن شاء الله ومجموع أحاديث ابن عباس تدل عليها، لأن قوله في حديث أحمد ((خالفوا اليهود صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده))[٢] وقوله في حديث الترمذي ((أمرنا بصيام يوم العاشر))[٣] يبيّن صحة الطريقة التي سلكناها والله أعلم)[٤].

وقال ابن القيم كذلك (إن قيل لم كان عاشوراء يكفر سنة ويوم عرفة يكفر سنتين؟ قيل: فيه وجهان: أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام وقبله شهر حرام، وبعده شهر حرام بخلاف عاشوراء. الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا بخلاف عاشوراء فضوعف ببركات المصطفى ﷺ والله أعلم)[٥].

---

(١) تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/٣٢٣-٣٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢٤١، رقم ٢١٥٤ وضعّف إسناده محققو المسند ٤/٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٥٥ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٦٠٣).

(٤) زاد المعاد ٢/٧٦-٧٧.

(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم ٧٥١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، وهي نسخة مصورة، ٤/٢١١.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

وهذا واضح في بيان النبي ﷺ لجزاء صيام عاشوراء بأنه يكفر السنة الماضية، وهذا ترغيب ودفع للمدعوين أن يصوموا هذا اليوم حتى ينالوا هذا الجزاء العميم، وخاصة أن المدعوين -وهم بشر- لا يخلون من الوقوع في الذنوب والآثام، فجاء هذا الصوم ليمحوها بفضل الله ومنّه.

الحديث رقم (١٢٥٤)

١٢٥٤- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عَاشُوراءَ، فَقَالَ: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يوم عاشوراء: اليوم العاشر من المحرم[٢].

يُكفِّر: يستر ويمحو[٣].

الشرح الأدبي

في الحديث السابق عرفنا أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه " وفي هذا الحديث يبين المصطفي صلى الله عليه وسلم منزلة ومكانة ذلك اليوم، ببيان أجر صيامه، وأوضح لنا أنه " يكفر السنة الماضية " وهنا مضاف محذوف تقديره: " ذنوب السنة الماضية " لأن تكفير الذنوب لا يتأتي للأيام أو الليالي، أو السنوات إنما يتطرق لما حدث في تلك الأزمنة من ذنوب ومعاص فالزمن ما هو إلا وعاء لما يحدث فيه من خير أو شر، ويأتي يوم القيامة شاهدا بما وقع فيه، والفعل المضارع: " يكفر " يدل علي الاستمرار والتجدد، ويدل علي سعة رحمة الله وستره، ومغفرته.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٠٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ش ر).

(٣) المرجع السابق في (ك ف ر).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٥٥)

١٢٥٥- وعن ابن عباس ﵄، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

قابل: العام المقبل[٢].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي أسلوب الشرط، وجوابه. الذي يعلق الجواب على الفعل وجاء " بإن " في فعل الشرط، لأنها تدل علي الشك في وقوع ما بعدها، فالنبي ﷺ لا يعرف إن كان سيبقي أم لا، لأنه لا يعلم الغيب وهذا هو سبب مجيئه بإن في قوله: " لئن بقيت " وجاء بلام التوكيد في جواب الشرط في قوله " لأصومن التاسع " للتدليل علي أن أنه عزم علي ذلك، واستحضر النية، وزاد التوكيد بالنون المشددة في الفعل المضارع " لأصومن " وعلل سبب ذلك في بعض الأحاديث بأن هذا سيحدث لمخالفة اليهود في صيامهم وهذا يوحي باستقلالية أمة محمد صلي الله عليه وسلم التي حرص الرسول عليها حتى لا تكون تابعة لغيرها ولا ذيلا للأمم لاسيما في قبائح الأفعال، و كثافة المؤكدات في عبارة الرسول ﷺ تشير إلى عزمه الجازم صيام التاسع مع العاشر مما يشير إلى عظيم فضل هذا اليوم ثم إنه ترغيب لجموع المقتدين به المهتدين بهديه من أمته.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (١١٣٤/١٣٤).

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٠٦.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على السؤال عن الأعمال الصالحة وثوابها:

إن النبي ﷺ قد سُئل سؤالين كما في أحاديث الباب:

(أ) لقد سئل عن صوم يوم عرفة.

(ب) كما سئل عن صيام يوم عاشوراء.

ومما يلاحظ على هذين السؤالين ما يلي:

(أ) أن السؤال عن أعمال صالحة وأفعال طيبة.

(ب) أن السؤال كان عن نوافل ولم يكن عن فروض، مما يدل على تشوف السائلين إلى عمل هذه النوافل بعد أن أدوا الفروض ليزدادوا ثوابًا على ثواب، وجزاءً فوق جزاء.

(ج) أن السؤال جاء عامًّا فلم يظهر فيه أكان السؤال عن العمل نفسه أم عن ثوابه، أم كليهما معًا. وعن أي كان السؤال، فإنه يدلّ على أن ثقافة السؤال عن الأعمال الصالحة كانت مستقرّة وشائعة فيما بينهم، فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أشد الحرص على سؤال النبي ﷺ عن أفضل الأعمال وعن الأعمال التي يترتب على عملها الثواب العظيم، والمتأمل في حياة الصحابة رضي الله عنهم يدرك مدى الحرص الذي كانوا عليه، حتى إنهم تربوا على أهمية السؤال والبحث والفهم والمراجعة لاستيعاب الأمور، وقد شجعهم على ذلك حلم وسعة صدر النبي ﷺ، حيث قام بتنمية هذا الحسّ التربوي الذي جعلهم يتسابقون في هذا الأمر، ولا شك أن ذلك أثمر ثمارًا طيبة تمثلت في هذا العلم وهذه الكنوز من السنة النبوية التي نقلوها إلينا من النبع الصافي، وقد قام سلف الأمة - رحمهم الله - بالذّب عن تلك السنة، فقدموا خدمة عظيمة لهذا المصدر الثاني من خلال العناية بالسند والمتن ووضع الضوابط الدقيقة صيانة للسنة.

إن تلك الملكة التربوية التي كانت لدى الصحابة رضي الله عنهم في حرصهم على السؤال والمعرفة وتشجيع النبي ﷺ لهم، يعد ذخيرة عظيمة في مجال التربية للقائمين على التربية والتوجيه ليحرصوا أشد الحرص على حث الناشئة والكبار على السؤال عما

يخفى عليهم، ولا بد من أن يتسع صدر المربين والمعلمين والدعاة للإجابة على الأسئلة حتى يكون السائل على بينة من أمره ويفهم أمور دينه، ويعبد الله على علم.

إن مجتمعًا يسأل أفراده عن الخير وثوابه لمجتمع جدير بالترقي والصعود والتقدم والازدهار، إنهم يريدون ليحققوا الخيرية التي حضّ الشرع عليها وعلى تحقيقها وتفعيلها ووعد من اتصف بها بالتمكين في الأرض.

وغني عن القول أن ذلك يغرس في الناشئة وغيرهم حب المسابقة إلى الخير والمبادرة إليه، وبذل الوسع والجهد لتحصيله وتحصيل ثوابه وجزائه، وفي ذلك الخير لهم وللمجتمع.

كما أن السؤال والبحثَ عن المعرفة طريقُ الابتكار والإبداع لأن النفس إذا ألفت الخير واعتادته وأحبت فعله وأحبت السؤال عنه، فإن ذلك يدفعها إلى أن تبتكر طرقًا جديدة وأساليب مخترعة للوصول إليه وفعله والاستمرار على ذلك.

ثانيًا- التربية بالاقتداء:

لقد صام النبي ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، أي أن النبي ﷺ جمع بين فعله ﷺ وأمره أصحابه رضي الله عنهم، فإذا أمر رسول الله ﷺ بشيء كان أول الفاعلين، وإذا نهى عن شيء كان أول المنتهين والمجتنبين، فكان ﷺ قدوة لأصحابه في الامتثال والاجتناب، والسنة والسيرة النبوية مليئة بمثل ذلك، أليس في ذلك أبلغ إرشاد للمربين والواعظين والقائمين على شؤون التوجيه والإرشاد إلى أن يكونوا قدوة لمن هم مسؤولون عنهم، فلا يقيمون جدارًا فاصلاً بين القول والفعل، فيكون قولهم جميلاً حسنًا طيبًا، على حين يكون فعلهم شاهدًا على عدم امتثالهم لما نادوا به وأعلنوه ودفعوا غيرهم لفعله وإتيانه؟

"إن المربي لا ينفصل عن تربيته والاقتران بين المربي والتربية قائم في أذهان الناس، والمربي نفسه شهادة للتربية، وهذه الشهادة قد تحمل الناس على قبول ما يدعو إليه في تربيته، وقد تحملهم على ردها ورفضها، والذين يتعاملون مع المبادئ مباشرة قلة قليلة في كل عصر ومكان، وأما أكثر الناس فيتعاملون مع حملة المبادئ والناطقين باسمها وكلما كان المبدأ عظيمًا وقويًا كان التزامه أشدّ وكان الوصول فيه إلى المطلوب

أشق، والإسلام فيه من الواجبات والتكاليف ما يجعل المجاهدة في سبيل بلوغ مقاماته دائمة لا تفتر، متصلة لا تنقطع.

وعندما يكون المربي بعيدًا عن الالتزامات بواجبات الإسلام وتكاليفه فإنه يكون فتنة للناس يصرفهم بسلوكه عن دين الله ويقطع الطريق على الناس، فمثله كمثل قاطع الطريق، بل هو أسوأ.. إن الناس عندما يرون سلوك المربي مخالفًا للإسلام يصرفهم هذا السلوك عما يربيهم عليه، قائلين لو كان هذا هو الحق لظهرت أحقيّته على أتباعه وتصرفاتهم.

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة على امتثالهم لما يدعون غيرهم إليه وعندما رأى سكان البلاد المفتوحة صدق هؤلاء الأصحاب وثباتهم على عقيدتهم وتمثلهم لمنهج دينهم أقبلوا على الإسلام، قال ابن القيم: (ولهذا لما رأى النصارى الصحابة وما هم عليه آمن أكثرهم اختيارا وطوعا. وقالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء). ثم يقول ابن القيم: (ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيرا من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبرونا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام)، وكلام ابن القيم هذا في القرن الثامن الهجري، فكيف لو كان يعيش في عصرنا هذا حيث يعطى المسلم صورة عكسية عن الإسلام وتعاليمه.

والداعية قد يكون معروفًا عند الناس وقد يكون مجهولاً، فإذا شرع في الدعوة وكان معروفًا بالاستقامة والورع فإن كلامه يصل إلى مجامع القلوب، وكانت استقامته وورعه تقدمة القبول والحافز عليه وإذا كان الداعية فقيرًا في التزامه واتباعه فإن كلامه يمر من فوق الرؤوس كالسهم الطائش الذي لا يصيب الهدف.

وحياة المربي الخاصة والعامة موضع الملاحظة وعين الناس عليه كالمجهر المكبر، وقبل أن يطالب الناس بترك الغيبة فعليه أن يدفع الغيبة والتهمة عن نفسه وأن يصون حياته الخاصة والعامة عن كل ما يشينها[1].



(١) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد، ط/٢ دار العدوي، الأردن: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٧٧ - ٨٣ بتصرف.

٢٢٨- باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

الحديث رقم (١٢٥٦)

١٢٥٦- عن أَبي أيوب رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو ايوب الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

غريب الألفاظ:

الدهر: السنة[٢].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي جملة شرطية واحدة، تدل علي الحث، والترغيب؛ لأن أسلوب الشرط يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وهو يناسب مقام التوجيه، والنصح، والإرشاد وهنا توجيه غير مباشر لاغتنام صيام ستة أيام من " شوال ". وحرف العطف " ثم " يدل علي الترتيب مع التراخي، فليس من المحتم أن يصوم المسلم هذه الأيام عقب يوم الفطر، وليس من الضرورة أن تكون هذه الأيام متتابعة في الصيام – كما يري الفقهاء – ولعل هذا هو سر التنكير في كلمة، " ستا " فلم يقل من اليوم الثاني إلي اليوم السابع مثلا، ولكنها " ستة أيام اختيارية " لمن كان قادرا علي صيامها، لكي تجبر ما قد عساه حدث من نقص في صيام الفريضة في شهر رمضان و " من " في قوله، " من شوال " للتبعيض أي من بعض الأيام في شوال. واجتهد العلماء في توضيح قوله "

---

(١) برقم (١١٦٤/٢٠٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٧٢٣.

كان كصيام الدهر " فقالوا إن رمضان يعادل ثلاثمائة يوم، وهذه الأيام الستة تعادل ستين يوما، وهما مجموع السنة القمرية.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم صيام ستٍ من شوال عقب رمضان: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والشافعية، والحنابلة) إلى استحباب صيام ست من شوال عقب رمضان[1] واستدلوا بحديث الباب، ولما في ذلك من المبادرة إلى العبادة، ولما في التأخير من الآفات[2].

وذهب المالكية إلى كراهة ذلك واستدلوا على ذلك[3] بأن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته، وأن يلحق برمضان ما ليس منه[4].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء لدلالة الحديث الظاهرة على ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام ستة أيام من شوال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من الصيام في شوال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام ستة أيام من شوال:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن صيام رمضان وست من شوال كصيام الدهر.

قال النووي: (فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي وأحمد وموافقيهم في استحباب

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٨/٢، حاشية رد المحتار ٤٣٥/٢، مغني المحتاج ١٨٤/٢، المغني ٥٦/٣، شرح صحيح مسلم ٥٦/٨، سبل السلام ٢٨٨/٢.

(٢) مغني المحتاج ١٨٤/٢.

(٣) حاشية الصاوي ٦٩٣/١، سبل السلام ٢٨٨/٢.

(٤) المغني ٥٦/٣.

صوم هذه الستة ...، ودليل الشافعي وموافقيه هذا الحديث الصحيح الصريح، وإذا ثبتت السُنّة لا تترك، لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها. قال العلماء: وإنما كان ذلك كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، رمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين، وقد جاء هذا في الحديث مرفوعًا في كتاب النسائي)[١].

وقال ابن القيم: (قيل معناه: إن الحسنة لما كانت بعشر أمثالها كان مبلغ ما حصل له من الحسنات في صوم الشهر والأيام الستة: ثلاثمائة وستين حسنة عدد أيام السنة، فكأنه صام سنة كاملة، وهذا قد جاء مفسرًا في حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ))[٢]. وفي لفظ "جعل الله –عز وجل - الحسنة بعشر..." فذكره أخرجه النسائي[٣] وإسناده حسن وأخذ به جماعة من العلماء)[٤] وقال كذلك (وقد اختلف أهل العلم في القول بموجب هذه الأحاديث، فذهب أكثرهم إلى القول باستحباب صومها منهم، الشافعي وأحمد وابن المبارك وغيرهم، وكرهها آخرون منهم: مالك. وقال مطرف: كان مالك يصوم في خاصة نفسه، قال: وإنما كره صومها لئلا يُلْحِقُ أهل الجاهلية ذلك برمضان، فأما من رغب في ذلك لما جاء فيه فلم ينهه[٥]...

قال الحافظ أبو محمد المنذري: والذي خشي منه مالك وقع بالعجم، فصاروا يتركون المسحرين على عادتهم والنواقيس وشعائر رمضان إلى آخر الستة الأيام، فحينئذٍ يظهرون شعائر العيد.

وهل لشوال بخصوصه مزية على غيره في ذلك أم لا؟ فيه طريقان:

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٩/٨/٤ - ٦٠، .

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٠/٥، رقم ٢٢٤١٢ والنسائي في الكبرى ٢٨٧٣/٢، وابن ماجه ١٧١٥ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٩٢).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ٢٨٧٤/٢.

(٤) نقلاً عن جامع الفقه موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم ٢١٢/٢.

(٥) قال ابن عبدالبر: وقد يمكن أن يكون مالكٌ جهل الحديث، ولو علمه لقال به. الاستذكار ٣٦٩/٩، موسوعة شرح الموطأ.

أحدهما: أن المراد به الرفق بالمكلف، لأنه حديث عهد بالصوم فيكون أسهل عليه، ففي ذكر شوال تنبيه على أن صومها في غيره أفضل، هذا الذي حكاه القرافي من المالكية وهو غريب عجيب.

الطريق الثاني: أن المقصود به المبادرة بالعمل، وانتهاز الفرصة، خشية الفوات، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[1] وقال ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2] وهذا تعليل طائفة من الشافعية وغيرهم. قالوا: ولا يلزم أن يعطى هذا الفضل لمن صامها في غيره، لفوات مصلحة المبادرة والمسارعة المحبوبة لله.

قالوا: وظاهر الحديث مع هذا القول. ومن ساعده الظاهر فقوله أولى، ولا ريب أنه لا يمكن إلغاء خصوصية شوال، وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وقال آخرون: لما كان صوم رمضان لابد أن يقع فيه نوع تقصير وتفريط وهضم من حقه وواجبه، ندب إلى صوم ستة أيام من شوال، جابرة له، ومسددة لخلل ما عساه أن يقع فيه، فجرت هذه الأيام مجرى سنن الصلوات التي يتنفل بها بعدها جابرة ومكملة وعلى هذا تظهر فائدة اختصاصها بشوال)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة من الصيام في شوال:

قال ابن رجب الحنبلي: (وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أن صيام ستة أيام بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/٣١٠ - ٣١٦.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفّقه لعمل صالح بعده. كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنةً ثم أتبعها بحسنة بعدها، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، كما سبق ذكره، وأن الصائمين لرمضان يوفّون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟[1]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنوع شكره فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه، أن يصوم له شكرًا عقيب ذلك، كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارها صائمًا، ويجعل صيامه شكرًا للتوفيق للقيام.

ومنها: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيًا... وذلك لأن كثيرًا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام ومللـه وطوله عليه، ومن كان كذلك فلا يكاد يعود إلى الصيام سريعًا، فالعائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل على عوده على رغبته في الصيام وأنه لم يملّه ولم يستثقله ولا تكرّه به)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، ص ٢٩٣ – ٢٩٦.

قال الشيخ عبدالله البسام: (استحبّ العلماء أن يكون صيام الست بعد يوم العيد مباشرة؛ لمراعاة أمور عامة منها: المسارعة إلى فعل الخير، ومنها أن المسارعة إليها دليل على الرغبة في الصيام والطاعة وعدم السأم منها. ومنها أن لا يعرض له من الأمور ما يمنعه من صيامها إذا أخرها. ومنها أن صيام ستة أيام بعد رمضان كالراتبة بعد فريضة الصلاة فتكون بعدها، وغير ذلك من الاعتبار، والله الموفق. وأما فضلها فيحصل في أي ستة أيامٍ صيمت من شوال مجتمعة أو متفرقة)[١].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله "ثم أتبعه ستًا من شوال" ليس فيه دليل على أنها تكون متصلة بيوم الفطر، بل لو أوقعها في وسط شوال أو آخره، لصلح تناول هذا اللفظ، لأن "ثم" للتراخي، وكل صوم يقع في شوال فهو متبع لرمضان، وإن كان هنالك مهلة، وقد دلّ على صحة هذا قوله في حديث النسائي "وستة بعد الفطر"[٢] ولذلك نقول: إن الأجر المذكور حاصل لصائمها، مجموعة أوقعها أو مفترقة، لأن كل يوم بعشرة مطلقًا)[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في صوم رمضان وإتباعه بصوم ست من شوال بأن أخبر أن ثواب ذلك كمن صام السنة كلها.

والترغيب من أساليب الدعوة التي ترغّب المدعو في جنس الطاعات والحرص على القيام بها لما فيها من الأجر والثواب؛ إذ أن الترغيب يكون بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الأجر، وتبشيرهم بحسن المثوبة، فيسوق المدعوين الطائعين إلى الجد في الطاعة، والازدياد من صالح العمل مع الإخلاص فيه [٤].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٢/٣.

(٢) قد تقدم قريبًا.

(٣) المفهم ٢٣٨/٣.

(٤) انظر: هداية المرشدين، على محفوظ ص ١٩٢ - ١٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الاستمرار على فعل العمل الصالح:

إن الحديث يرغب في صيام ستٍ من شوال بعد صوم الفريضة في رمضان، فإذا كان الفرض قد أُدّي وفُعِل فلا يعني ذلك الوقوف عند هذا الحد، وعند هذا النوع من العبادة، بل المرغب فيه الاستمرار في فعل العمل الصالح، مع اختلاف النوع أو الدرجة، فإذا كان شهر رمضان قد انتهى، فإن شهر شوال يليه، وهذا يفعل فيه ما يفعل في رمضان، مع التحلي بالآداب نفسها التي كانت تمتثل في شهر رمضان، وهذا يعني أن هناك استمرارًا في فعل العمل الصالح، ومداومة عليه ومواظبة، فإذا انتهى عمل بُدئ في عمل آخر، وإذا انتهى وقت فاضل انتظر وقت فاضل آخر. وهكذا ينتقل المرء من خير إلى خير، ومن فضل إلى فضل حتى يصير ذلك عادة له، ولاشك أن الاستمرار يحقق كثيرًا من الفوائد التربوية، من ذلك:

أ - الاستمرار هو السبيل إلى تحقيق المقاصد وجني الثمار لأن العمل المنقطع لا يكمل أثره ولا ينضج ثمره.

ب - الاستمرار منبع الخيرات وكنز التجارب يكتسب منه المربي البصيرة الواعية ويتقن ما يقوم به إتقانًا يتضاعف به النجاح وتعظم به النتائج، أما العمل المنقطع ففي كثير من أحواله يخرج منه صاحبه صفر اليدين، وينسى اليوم ما عمله بالأمس ويخفق غدًا فيما عرفه وخبره اليوم.

ج - الاستمرار باعث على الحيوية ومثير للحماس ومقوّ للعزيمة، وشاحذ للهمة.

د - الاستمرار هو الطريق إلى الابتكار، فإن استمرار التربية على نمط واحد يورث ملل المربي، وإذا كان ذلك النمط محدود الأثر فإن ذلك سيدفع إلى البحث عن أسلوب جديد وطريقة مبتكرة تحقق من الأثر ما لم يتحقق في السابق وتجدد في نفس المربي النشاط وتطرد الملل[1].

---

(١) مقومات الداعية الناجح، ص ٢٠٣-٢٠٤ بتصرف.

ثانيًا - ترك المجال واسعًا لفعل النوافل:

لقد رغّب النبي ﷺ في صوم ست من شوال ولكن لم يحدد هذه الأيام الست: أَمِنْ أوله أو وسطه أو آخره أو متتابعة أو متفرقة؟ بل جاء الحديث بصيغة الإطلاق فأي الأيام صامها من الشهر حققت المطلوب، أليس في هذا مراعاة لأحوال المخاطبين وترك المجال مفتوحًا أمامهم لأن يمتثلوا الأمر والمطلوب بحسب حالة كل واحد منهم وطاقته وجهده وعدم إلزام لهم بأن يكونوا جميعًا في وقت واحد وظرف واحد ممتثلين لهذا الأمر فاعلين له؟

أليس في هذا الحديث فوائد تربوية يستفيد منها المربون والمعلمون ونحوهم؟

إن عليهم في بعض الأحيان أن يتركوا المجال مفتوحًا أمام من يقومون بتربيتهم لفعل ما يرشدونهم إليه ويوجهونهم نحوه، لأن ذلك قد يحقق عادات تربوية مفيدة، منها:

أ- ترك الناشئة وغيرهم أن يحددوا هم بأنفسهم أفضل الأوقات وأحسن الهيئات لامتثال إرشادات المربي وتوجيهاته، وفي ذلك تعويد لهم على الاستقلالية والاعتماد على النفس وتكوين الشخصية المستقلة. "إن على القائمين على المحاضن التربوية أن يأخذوا بأيدي تلامذتهم وأن يسعوا إلى أن يتجاوزوا -في برامجهم التي يقدمونها- القوالب الجاهزة وأن يدركوا أن من حسن تربية الناشئة أن يمارسوا المسؤولية، وألا يبقوا أكلاء على غيرهم في كل شيء فينبغي أن يكون لهم دور ورأي في البرامج التي يتلقونها"(١).

ب - تعويد الناشئة على التفريق بين ما هو واجب الفعل وما هو غير ذلك لكنه مندوب ومرغبٌ فيه، وما يترتب على ذلك من ناحية الامتثال والإذعان، فيعرف أنه لا يفرط في واجب ولا يهمله ولا يضيعه بحال من الأحوال. أما ما عدا ذلك فإن الأمر يختلف إنه يبذل طاقته ووسعه -حسب الإمكان- لإتيانه وفعله، لكن إذا شغله شاغل عنه، فإنه قد لا يفعله، بسبب ضيق الوقت أو كثرة المشاغل ونحوه.

وفي ذلك تعويد لهم أن يفعلوا الواجبات دائمًا وأن يتنافسوا في فعل غيرها من

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٤٠.

المندوبات والمرغوبات.

ج - ويترتب على ذلك أنه إذا حدث هناك تعارض بين أمر واجب وأمر غير واجب، ولم يكن هناك مجال للجمع بينهما، فإن الناشئة عليهم أن يقدموا فعل الواجب وأن يلتزموا ذلك، وفي ذلك تعويد لهم على فعل الأولويات.



٢٢٩- باب استحباب صوم الاثنين والخميس

الحديث رقم (١٢٥٧)

١٢٥٧- عن أَبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَومِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: ((ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَومٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبرنا المصطفي ﷺ بمنزلة ذلك اليوم "يوم الاثنين" وكأنه يذكر سباب تلك المنزلة فيتبين أنه "ولد فيه" وبعث فيه، أو أنزل عليه الوحي فيه "وبناء الأفعال الثلاثة للمجهول في: "ولدت – بعثت – أنزل" يشع بأن ولادته وخلقه، وبعثه، وإنزال الوحي عليه، لم يكن من عند نفسه، ولم يفتعل أو يدع ذلك، ولكن أمره كله يرجع إلي الله تعالي فهو " الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله.. "، والفعل " أنزل " يوحي بأن القران الكريم نزل من أعلي وهذا المضمون أكده حرف الجر: " علي " فهو يفيد الاستعلاء وغذاء الروح لا يتحقق إلا من جهة العلو، فالذي خلقها هو " الأعلى ".

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم صيام يوم الاثنين والخميس: اتفق الفقهاء على استحباب صيام يوم الاثنين والخميس، لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال[٢].

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧).

(٢) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، فتح القدير ٣٠/٢، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٥١٧/١، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٢/١، مغني المحتاج ١٨٢/٢، المغني ٥٩/٣، العدة شرح العمدة ١٥٧، سبل السلام ٢٨٧/٢، نيل الأوطار ٢٤٩/٤.

٢- أنه ينبغي تعظيم اليوم الذي أحدث الله فيه على عبده نعمة بصومه والتقرب فيه[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على سؤال النبي ﷺ عن صيام النوافل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام الاثنين والخميس.

ثالثًا: من آداب المدعو: تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على سؤال النبي ﷺ عن صيام النوافل:

وهذا واضح من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: "أن رسول الله سئل عن صوم يوم الاثنين".

وقد وقع ذلك من الصحابة كثيرًا، من ذلك ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ الأَيَّامَ، يَسْرُدُ، حَتَّى يُقَالَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ الأَيَّامَ حَتَّى لاَ يَكَادَ أَنْ يَصُومَ، إلاَّ يَوْمَيْنِ مِنْ الْجُمُعَةِ، إِنْ كَانَ فِي صِيَامِهِ، وَإِلاَّ صَامَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَصُومُ لاَ تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ، وَتُفْطِرَ حَتَّى لاَ تَكَادَ أَنْ تَصُومَ، إلاَّ يَوْمَيْنِ، إِنْ دَخَلاَ فِي صِيَامِكَ، وَإِلاَّ صُمْتَهُمَا. قَالَ: أَيُّ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَوْمُ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمُ الْخَمِيسِ، قَالَ: ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ، قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ، مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ. قَالَ: ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ، وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ"))[٣].

قال ابن رجب: (قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام رسول الله ﷺ من جميع

---

(١) سبل السلام ٢/٢٨٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٥٧ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٢٥٨، ١٢٥٩).

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٠١، رقم ٢١٧٥٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٣٦/٨٥ - ٨٦.

السنة. وصيامه من أيام الأسبوع، وصيامه من شهور السنة)[١].

وعن أبي هريرة قال: ((أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَصُومُ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَصُومُ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ. إِلاَّ مُتَهَاجِرَيْنِ. يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا))[٢].

وهو عندأحمد بلفظ ((كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس قال: فقيل له. قال: فقال: إِنَّ اَلأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيَغْفِرُ الله لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ لِكُلِّ مؤمنٍ إلا الْمُتَهَاجِرَيْنِ فَيَقُولُ أَخِّرْهُما))[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صيام الاثنين والخميس:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة، حيث أخبر النبي ﷺ في حديث أبي قتادة عندما سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت فيه، وأنزل عليه فيه".

وقال ابن عثيمين: (أما صوم يوم الاثنين فإن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: ذاك يوم ولدت فيه، وبعثت أو أنزل عليّ فيه، وكذلك مات فيه - عليه الصلاة والسلام - فيوم الاثنين ولد فيه النبي ﷺ، لكن في أي شهر؟ لم يتبين هل في شهر ربيع الأول، أو في غيره؟ وهل هو في اليوم الثاني عشر منه أو في غيره؟ إنما المؤكد أنه ولد في يوم الاثنين. كذلك أيضًا أنزل على الرسول ﷺ فيه يعني: أول ما نزل عليه القرآن في يوم الاثنين. والراوي شك هل قال: أنزل أو بعثت. وبينهما فرق، لأنه أنزل عليه القرآن قبل أن يبعث. أنزلت عليه سورة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[٤] وبهذا صار نبيًا وأنزل عليه، وأما البعث وهو الإرسال فإنما كان بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾[٥] وهذا بعد الأول.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٧٤٠ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤١٥).

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٩/٣، رقم ٨٣٦١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩٨/١٤.

(٤) سورة العلق، آية: ١.

(٥) سورة المدثر، آية: ١.

وعلى كلٍ صار هذا اليوم فيه مناسبات شريفة عظيمة: ولادة الرسول ﷺ وإنزال الوحي عليه، أو إرساله إلى الناس)[١].

أما صوم الاثنين والخميس فقال: اشار ﷺ إلى فضل صيامهما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

كما أنه ﷺ لفضل صيام الاثنين والخميس، كان يتحرى صومهما، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحديث الثالث، قال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل صيامهما، فضلا عن تحسين الأعمال فيهما) [٢].

وقد ورد في فضل صيام الاثنين والخميس الكثير من الأحاديث منها ما رواه مولى قدامة بن مظعون عن مولى أسامة بن زيد: ((أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ أُسَامَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فِي طَلَبِ مالٍ لَهُ، فَكَانَ يَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَقالَ لَهُ مَوْلاَهُ لِمَ تَصُومُ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فقال إنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَسُئِلَ عنْ ذٰلِكَ، فقال: إنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ))[٣].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ. فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا. إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا))[٤] وفي رواية عنده: ((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ))[٥].

ورواه أحمد وابن حبان بلفظ ((تُفْتَح أبوابُ الجنة في كل اثنين وخَميس وتُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس))[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤١٤/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٤٣٦ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم ٣٥ - ٢٥٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٥٦٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢٦٨/٢، رقم ٧٦٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٧٧/١٣، وابن حبان ٣٦٤٥، وصححه محققه.

وقال الشوكاني: (وأحاديث الباب تدل على استحباب صوم يوم الاثنين والخميس لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال)[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة:

وذلك اقتداء بالنبي ﷺ فقد قالت عنه عائشة رضي الله عنها: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَرَّى يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ" الحديث الثالث.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْم فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إلاَّ هذَا الْيَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ وَهذَا الشَّهْرَ، يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ))[٢].

قال ابن حجر: (وإنما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان -وإن كان أحدهما واجبًا والآخر مندوبًا لاشتراكهما في حصول الثواب، لأن معنى يتحرى: أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[٣].

وقد بيّن ﷺ سبب حرصه على صوم الاثنين والخميس -في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الحديث الثاني- فقال (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم) قال المباركفوري: (أي طلب الزيادة ورفعة الدرجة)[٤] وقال السيوطي عن عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس: (قال الشيخ ولي الدين: إن قلت ما معنى هذا مع أنه ثبت في الصحيحين، أن الله تعالى يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، قلت: يحتمل أمرين: أحدهما أن أعمال العباد تعرض على الله تعالى كل يوم ثم تعرض عليه أعمال الجمعة في كل اثنين وخميس ثم تعرض عليه أعمال السنة في شعبان، فتعرض عرضًا بعد عرض، ولكل عرض حكمة يطلع عليها من يشاء من خلقه أو يستأثر بها عنده مع أنه تعالى لا يخفى عليه من أعمالهم خافية. ثانيهما: أن المراد أنها تعرض في اليوم تفصيلاً ثم في الجمعة جملة أو بالعكس)[٥].

---

(١) نيل الأوطار، ص ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢.

(٣) فتح الباري ٢٤٩/٤، .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤٦/١.

(٥) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٥١٧/٤.

وقال الشيخ عبدالله البسام: (ويدل الحديث - أي حديث أبي قتادة الحديث الأول - على استحباب صوم الاثنين من كل أسبوع، ذلك أن هذا اليوم المبارك امتن الله فيه على المسلمين بثلاث منن عظام هي: ولادة النبي ﷺ، وبعثته ﷺ رسولاً بشيرًا ونذيرًا إلى هذه الأمة، والنعمة الثالثة إنزال القرآن الكريم في هذا اليوم، ولاشك أن هذه نعم عظام وآلاء جسام خص الله تعالى بهن يوم الاثنين، فصار كأنه يوم فرح وسرور يستحق الله تعالى الشكر عليها، وشكر الله هو القيام بعبادته.

كما جاء الفضل بصوم يوم الخميس من كل أسبوع، فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: "تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم".

ولا دليل في الحديث على مشروعية إقامة الموالد، فإن العبادات توقيفية ولا تكون إلا من الشارع، والشارع عيّن العبادة التي تؤتى في يوم الاثنين، وهي فضيلة صيامه، فنقتصر على الوارد ولا نتعداه.

ومعنى عرض الأعمال - والله أعلم - إظهارها والإخبار عنها وجزاؤها عند الله تعالى، فالأفضل أن يعرض عمله في يوم هو صائم فيه، ليظهر تجمّله في هذا اليوم، فكل مناسبة لها زينتها ومظهرها اللائق بها)[1].

وقال ابن رجب الحنبلي عن اغتنام الأوقات الفاضلة: (جعل الله سبحانه لبعض الشهور فضلاً على بعض، كما قال تعالى: ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[4] كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٩١ - ١٩٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر. وأقسم بالعشر وهو عشر ذي الحجة على الصحيح. وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته، يُتَقَرّب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات. وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بها من النار وما فيها من اللفحات، وقد أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم[1]، وفي رواية الطبراني[2] من حديث محمد بن مسلمة مرفوعًا: إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا)[3].

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لابن أبي الدنيا في الفرج. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في الشعب وأبي نعيم في الحلية. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ١٠٠١، ولكن حسنه في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني في الكبير وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ١٩١٥، لكنه حسنه في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٤٠- ٤١.

الحديث رقم (١٢٥٨)

١٢٥٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأنَا صَائِمٌ**)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن)، ورواه مسلم[٢] بغير ذكر الصوم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ألفاظ الحديث تنبيء ببعض الأمور التي تنفع المؤمنين، فقد بين الرسول الكريم ﷺ، أن الأعمال تعرض يوم (الاثنين والخميس). وهذا الإخبار -في حد ذاته- رحمة كبري، ليتذكر المسلم أن "الرقيب والعتيد" جالسان، وحاضران يرقبانه، ويعدان عليه ما يقول، ويفعل، ويمهلانه مدة من الزمن لعله يتوب، فإن لم يتب كتب تلك السيئات، ورفعت هذه التقارير إلي رب العزة -جل في علاه- كل يوم اثنين وخميس، لتكون تلك الصحف حجة علي العبد يوم القيامة حيث يقال له: " اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا " لعل هذا سبب حبه للصيام في هذين اليومين لكي يتوافق رفع عمله الصالح مع صيامه فيرفعان في خير يحدوه خير كما أنهما سيكونان سنة لأمته من بعده تساعدهم في محو خطاياهم قبل رفعها؛ لأن الحسنات كما هو معلوم تذهب السيئات.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٧٤٧) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٢٧).

(٢) برقم (٣٦/٢٥٦٥).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٥٩)

١٢٥٩- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَحَرَّى صَومَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيس. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يَتَحَرّى: التحرِّي: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول[2].

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة عن عادة جرى عليها فعل الرسول ﷺ وهي صيام الاثنين، والخميس، والفعل المضارع: " يتحرى " يصور بدقة حالة الترقب الشديد من قبل النبي الكريم ليومي الاثنين والخميس. وهو فعل يدل علي الاستمرار والتجدد. وتشديد الراء في: " يتحرى " يدل علي تكرار ذلك التحري منه، وذلك ليعلم أفراد الأمة ترقب الأوقات الشريفة المباركة فيستقبلونها بالأعمال الصالحة القائمة علي الإخلاص، والإتقان، وحسن النية، والخلق، وحفظ حدود الله، لأن كل نفس ستري ما قدمت من خلال تلك الصحف التي ترفع بما فيها من عمل كل اثنين، وخميس: "﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾[آل عمران٣٠].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٤٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٦٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤٥/١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٥٧).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالممارسة:

لقد كان النبي ﷺ أفضل من ربّى أتباعه وأصحابه بالفعل والممارسة فكانوا يشاهدونه ويرونه وهو يفعل ما يدعوهم إليه ويأمرهم به، أما إذا نهاهم عن شيء فكان أول المنتهين وأسرع المجتنبين وأصدق المبتعدين وأخلص القائمين بذلك، وكذلك الشأن فيما يأمرهم به، إنّه ﷺ أصدق من جمع بين القول والعمل فكانت حياته ﷺ تطبيقًا لقوله، ولهذا وصفته زوجه عائشة رضي الله عنها - وهي أعلم الناس به - أن خلقه القرآن[1]، فكان ﷺ ينتهي عند حدوده فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه. فكان ذلك له تأثير ما بعده تأثير على أتباعه وأصحابه، فكانوا يقتدون به ويعملون عمله ويفعلون فعله، فإذا رأوه يصلي صلوا وإذا رأوه يصوم صاموا، وإذا رأوه يؤدي مناسك الحج أدوا مثله ﷺ، إنهم يريدون أن يكونوا تابعين له مقتدين به، فكان هذا نجاحًا من المربي الأول ﷺ أيما نجاح لم يحققه مرب آخر عرفته البشرية، إنه ﷺ في كلمة واحدة ربّى أتباعه بممارسته وفعله ﷺ حتى إنه ﷺ كان يفعل الفعل ولا يأمر أصحابه به فكانوا رضي الله عنهم يسارعون إلى الاقتداء به، لأنهم رضي الله عنهم يعرفون أنه ﷺ ما يريد بهم إلا الخير والفلاح والصلاح، وأحاديث الباب تشهد على ذلك؛ ففي الحديث الأول سئل ﷺ عن صيام يوم الاثنين، فكان مبعث السؤال أنهم رأوه ﷺ يصومه ويكثر من ذلك، ولذا سألوه حتى يجمعوا بين الفعل ومعرفة الحكمة والسبب من ورائه إن أمكن ذلك، إنهم يفعلون فعله ﷺ لكنهم يرغبون أن يجمعوا مع ذلك المعرفة والعلم، إن تيسر ذلك، وفي الحديث الثاني أخبر النبي ﷺ أن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس وبعد أن أخبر بذلك قال عن نفسه: فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. إنه أخبر عن نفسه وعن سبب حرصه على صيام هذين اليومين، ومن الملاحظ أنه لم يأمر أصحابه بذلك في هذا الحديث، واكتفى بالإخبار عن نفسه، وهذا خير وسيلة لأن

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

يمتثل الأتباع والأصحاب إذا وقر في قلبهم الحبُّ للمربي وتعظيمه وتبجيله، إنه بمجرد أن يخبر أنه يعمل هذا العمل أو يرونه يعمل هذا العمل، فإن أتباعه يسارعون إلى الاقتداء به، لأنه المثل الأعلى لهم والقدوة الحسنى لهم.

وهكذا الشأن في الحديث الثالث: أن زوجه عائشة رضي الله عنها أخبرت أنه ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس. وهذا أوضح الأدلة على أنه ﷺ كان يربي أتباعه بالفعل والممارسة، ولا يكتفي بالقول وحده.

ومما لاشك فيه أن التربية بالفعل أشد وقعًا من التربية بالقول وحده، لأنها المثال العملي للتربية والتطبيق الفعلي لها وإيجاد لها في أرض الواقع، إنها تُوجد مثالاً حيًا للتربية يعيش ويتحرك وينام ويقوم ويفعل سائر ما يفعله البشر، فيسهل الاقتداء والتأسي به، ويتيسر الامتثال. وفي ذلك دعوة للمربين والواعظين وأهل التوجيه والمرشدين أن يربوا الناشئة وغيرهم عن طريق الممارسة والفعل والعمل، لأن لها من التأثير ما لا يخفى ومن النتائج ما يبهر ومن الثمرات ما يجذب.

ثانيًا - التربية على أداء شكر النعم:

لقد أخبر ﷺ أنه يصوم يوم الاثنين لأنه يوم ولد فيه، ويوم بعث فيه أو أنزل عليه القرآن فيه، فكان هذا - كما هو في الظاهر - قيامًا منه ﷺ بواجب الشكر لربه عز وجل الذي أنعم عليه بالإيجاد من العدم، وخلقه بعد أن لم يكن، وكرّمه، وزاد في تكريمه بأن بعثه رسولاً للعالمين وجعله أفضل الرسل وأكرمهم عليه، كما أوحى إليه القرآن الكريم الذي نسخ الكتب السابقة وهيمن عليها، وهو معجزته الباهرة الدالة على صدق رسالته ﷺ والتي عجز البشر -وسيعجزون- عن الإتيان بمثلها أو بسورة منه.

فكان صيامه ﷺ من الوسائل التي قام بها ﷺ شكرًا لله على هذه النعم العظيمة والفضائل الجليلة، وقد أصاب أمته من هذا الخير الكثير ومن هذا الفضل الشيء العميم، فكل خير أصابها كان هو ﷺ السبب فيه، لذا كانت أمته تصوم يوم الاثنين كما صام اقتداءً به ﷺ في شكره وحمده لربه، وفي ذلك تربية للأمة

على القيام بواجب الشكر للنعم التي تفضل الله بها عليهم، وهذا أدعى إلى ديمومة النعم وزيادتها، لأن النعم تزيد بالشكر، إنها تربية هادفة راقية تعمل على تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أخبر ﷺ أنه يصوم يومي الاثنين والخميس، لأن الأعمال في الأسبوع تعرض في هذين اليومين، فتزامنًا مع هذا يصومهما ويقدّم فيهما هذا العمل الطيب، وإذا صامهما ﷺ فإن أمته ستقتدي به في ذلك فتصومهما وتحرص على ذلك، لعلّ الله أن يتقبل أعمالهم الصالحة ويتجاوز عمّا سواها أو يقلبها إلى صالحات وحسنات وطيبات، ففضله سبحانه عميم وخيره كثير، فهو أهل الجود والإحسان والفضل والمن.

والسؤال هنا لماذا كان الصيام بالتحديد هو الذي فعله النبي ﷺ في هذين اليومين مع أن مجال الأعمال الصالحة مجال واسع من صلاة وزكاة وصدقة وإحسان وبر ونحو ذلك؟

لعل الجواب يكون بما للصوم من خصائص قد لا تتوافر في غيره من الأعمال الصالحة، وذلك على النحو التالي:

أ - إنه عمل يستغرق وقتًا طويلاً نسبيًا في اليوم الذي يشمل الليل والنهار، إن الصائم يصوم ما يقارب اثنتي عشرة ساعة أو يزيد عن ذلك في بعض الأوقات، ومن ثم كانت الطاعة في الصيام أطول من غيرها.

ب - إن الصائم يحرص أشد الحرص على أن يكون في يوم صيامه أشد طاعة لله وامتثالاً لأوامره واجتنابًا لنواهيه، بحيث يكون يوم صيامه مختلفًا عن يوم فطره، وما ذلك إلا لأن الصيام يهذب أخلاق الصائم ويدفعه إلى الاجتهاد في الطاعة والإذعان، فكان ذلك أنسب لأداء الشكر وأنسب لوقت عرض العمل، فإذا كان صاحب العمل قد أظهر إذعانه لله وخضوعه لله، فإن الله برحمته وفضله قد يتكرم عليه - وقت عرض العمل - فيمحو السيئة ويزيد الحسنة.

ج - إن الصائم قد امتنع عن المباحات طول صومه ابتغاء رضا الله تعالى. إنه امتنع

عما أباح الله رجاء -والله أعلم- في أن يمنع الله عنه عقابه وعذابه الذي يستحقه بفعله السيئات والذنوب.

والخلاصة أن النبي ﷺ بصيامه هذين اليومين ربّى أتباعه على القيام بواجب الشكر، وعلى أن يفعلوا الطيب من العمل وقت عرض الأعمال لعل الله أن يتوب عليهم ويتقبلهم ويبدل سيئاتهم حسنات، والله أعلم.

فما أجمل أن يربي المربون أتباعهم على هذا، فلا يكون عملهم إلا طيبًا ولا يكون فعلهم إلا طيبًا، ولا قولهم إلا طيبًا، ولا تكون حياتهم إلا طيبة، فإن من عاش طيب الأفعال والأقوال والخصال كان طيب الجزاء في الآخرة.



٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضل صومُها في الأيام البيض وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقيل: الثاني عشر، والثالِثَ عشر، والرابعَ عشر، والصحيح المشهور هُوَ الأول.

الحديث رقم (١٢٦٠)

١٢٦٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أوْصاني خَليلي ﷺ بِثلاثٍ: صِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أنَامَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أوتِر: أصلي مثنى مثنى، ثم أُصلي في آخرها ركعةً مفردةً[2].

الشرح الأدبي

قام المعنى في الحديث على أسلوب التشويق بالإجمال بالعدد (ثلاث) ثم التفصيل، وهو ما يحدث ترقبا لدى المخاطب، وتوكيد للمعنى الذي ذكر مرتين إجمالا ثم تفصيلاً وبدأ بالأهم ثم المهم وفي الحديث حسن تقسيم، وجمال في انتقاء الكلمات. وللفعل المضارع: " أوتر " دلالات مؤثرة في الحث علي التوحيد، وأهمية ذلك قبل النوم. ، وقول أبي هريرة رضي الله عنه (أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ) التعبير بالوصية يشير إلى خصوصية في العطاء تستلزم مزيد العناية، والمحبة؛ لأن الموصي غالبا يوصي من يحب بما يحب، وقد قال بعده (خليلي) والخلة من أشد أنواع المحبة، ثم إنه أضافه لنفسه لبيان الخصوصية، وهذه العبارة توحي بعلو قيمة الموصى به، وهو (بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) لأن الصيام على هذه الطريقة ليس فيه مشقة كبيرة، والحسنة بعشر أمثالها، فثلاثة أيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨١) واللفظ له، ومسلم (٨٥/٧٢١). أورده المنذري (١٥٢٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر).

تساوي بفضل الله ثلاثين يوما، فهو كصيام الدهر مع قدرة غالب الناس عليه (وَرَكْعَتَي الضُّحَى) ولفظ المثنى يحدد العدد، ولفظ الضحى يحدد وقت النافلة وقوله: (وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أرْقُدَ) أي أصلي الوتر، لكي يضمن عدم فوت الأجر، ووصية الخليل بهذه الأمور تشير إلى أهميتها مع يسرها الذي يوحي بشفقة الخليل على خليله بعدم تكليفه بما يشق عليه كما تجعلها في استطاعة الجميع.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم صيام ثلاثة أيام من كل شهر: اتفق الفقهاء على استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويستحب أن تكون الأيام البيض[١].

٢- حكم صلاة الضحى: اتفق الفقهاء على استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان[٢].

٣- استحباب تقديم صلاة الوتر على النوم وذلك في حق من لم يثق بالاستيقاظ[٣].

٤- تأكيد هذه الأمور - يعني صوم ثلاثة أيام، وركعتي الضحى، والوتر، بالقصد إلى الوصية بها، واقتصر في الوصية على الثلاثة، لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية.

٥- جواز الافتخار بصحبة الأكابر إذا كان ذلك على معنى التحديث بالنعمة والشكر لله، لا على وجه المباهاة[٤].

---

(١) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، فتح القدير ٣٠١/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٢/١، مغني المحتاج ٨٤/٢، المغني ٥٩/٣، شرح صحيح مسلم ٢٣٤/٥، سبل السلام ٢٩١/٢، نيل الأوطار ٢٥٣/٤، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢.

(٢) حاشية رد المحتار ٢٢/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٤٠٣/١، مغني المحتاج ٤٥٥/١، كشاف القناع ٤٤٢/١، شرح صحيح مسلم ٢٣٤/٥، فتح الباري ٧١/٣، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢، فتح الباري ٧١/٣.

(٤) فتح الباري ٢٧٧/٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه رضي الله عنهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى والوتر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: المداومة على العمل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه رضي الله عنهم:

وهذا واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي ﷺ". وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: "أوصاني حبيبي".

قال ابن حجر: "الخليل: الصديق الخالص الذي تخللت محبته فصارت في خلاله أي في باطنه، واختلف: هل الخلة أرفع من المحبة أو بالعكس. وقول أبي هريرة هذا: "أوصاني خليلي" لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر"[2]، لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلاً لا العكس، ولا يقال: إن المخاللة لا تتم حتى تكون من الجانبين لأنا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين فأطلق ذلك، أو لعله أراد مجرد الصحبة أو المحبة ... وهذه الوصية لأبي هريرة ورد مثلها لأبي الدرداء فيما رواه مسلم، ولأبي ذر فيما رواه النسائي[3] والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح، ولينجبر ما لعله يقع فيه من نقص ... (وقد) اقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية، ولم يكن المذكورون من أصحاب الأموال، وخصت الصلاة بشيئين لأنها تقع ليلا ونهارا

(١) تم دمج المضامين الدعوية لأحاديث الباب في شرح هذا الحديث - ١٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٦، ومسلم ٢٣٨٢.

(٣) أخرجه النسائي ٢٤٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٦).

بخلاف الصيام)[١].

ونقل ابن حجر في موضع آخر قول ابن أبي جمرة في قول أبي هريرة: "أوصاني خليلي": (في إفراده بهذه الوصية إشارة إلى أن القدر الموصى به هو اللائق بحاله، وفي قوله "خليلي" إشارة إلى موافقته له في إيثار الاشتغال بالعبادة على الاشتغال بالدنيا لأن أبا هريرة صبر على الجوع في ملازمته للنبي ﷺ كما سيأتي في أوائل البيوع من حديثه حيث قال "أما إخواني فكان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ)[٢] فشابه حال النبي ﷺ في إيثاره الفقر على الغنى والعبودية على الملك، قال: ويؤخذ منه الافتخار بصحبة الأكابر إذا كان ذلك على معنى التحدث بالنعمة والشكر لله، لا على وجه المباهاة والله أعلم)[٣]، وقال ابن عثيمين: "قال العلماء: وإنما أوصى هؤلاء بأن يوتروا قبل أن يناموا، لأن مقتضى حالهم يقتضي ذلك، فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه: "في أول الليل يتحفظ أحاديث رسول الله ﷺ: وينام في آخر الليل"[٤]. وقال ابن القيم: "وإنما أوصى أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة)[٥].

ومن أوضح الأمثلة على مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه، ما أجاب به ﷺ عندما سئل: عن أى الأعمال أفضل؟ فاختلفت إجابته ﷺ على النحو التالي:

١- في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال ﷺ: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور"[٦].

٢- وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: قال ﷺ: الإيمان بالله والجهاد في سبيله"[٧].

---

(١) فتح الباري ٣/٥٧ - ٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٤٧، ومسلم ٢٤٩٢.

(٣) فتح الباري ٤/٢٢٧ .

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١٥.

(٥) زاد المعاد ١/٣٥٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٧) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

٣- وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ أى العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين؟ قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد في سبيل الله[1].

٤- وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما سئل ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: تطعُم الطعام وتقرأُ السلام على من عرفت ومن لم تعرف[2].

٥- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ سئل: أى المسلمين خيرٌ؟ فقال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[3].

٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[4].

قال ابن حجر: (قال النووي[5]: ذكر في هذا الحديث [أى حديث أبي هريرة] الجهاد بعد الإيمان. وفي حديث أبي ذر لم يذكر الحج وذكر العتق. وفي حديث ابن مسعود بدأ بالصلاة ثم البر ثم الجهاد، وفي الحديث المتقدم ذكر السلامة من اليد واللسان. قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال، واحتياج المخاطبين. وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه. ويمكن أن يقال: إن لفظة "من" مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس والمراد من أعقلهم. ومنه حديث: "خيركم خيركم لأهله"[6]، ومن المعلوم أنه لايصير بذلك خير الناس، فإن قيل: لم قدم الجهاد وليس بركن على الحج وهو ركن؟ فالجواب: أن نفع الحج قاصرٌ، غالبًا، ونفع الجهاد متعدٍ غالبًا، أو كان ذلك حيث كان الجهاد فرض عين، ووقوعه فرض عين إذ ذاك متكرر. فكان

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ١١، ومسلم ٤٢، واللفظ له وعند البخاري قالوا: يارسول الله أى الإسلام أفضل؟.

(٥) شرح صحيح مسلم ٧٨/٢/١، وقد نقل النووي كلامه هذا عن بعض العلماء، كما تصرف ابن حجر عندما نقله عن النووي.

(٦) أخرجه الترمذي، ٣٨٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٣٠٥٧).

أهم منه فقدم، والله أعلم"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

وهذا واضح من مجموع أحاديث الباب.

قال ابن رجب الحنبلي: "الصيام لا يعلم منتهى مضاعفته إلا الله. وكلما قوى الإخلاص فيه وإخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات كثرت مضاعفته، فلا يستنكر أن يصوم الرجل يومًا من الشهر، فيضاعف له بثواب ثلاثين يومًا. فيكتب له صيام الشهر كله. وكذلك إذا صام يومين من الشهر.

وأما إذا صام منه ثلاثة أيام فهو ظاهر. لأن الحسنة بعشرة أمثالها.

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من صام من كل شهر ثلاثة أيام كان كمن صام الدهر. فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾[٢]، اليوم بعشرة أيام[٣].

وفي الصحيحين: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: صم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر[٤].

وفي رواية فيهما أيضًا. "إن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذن ذلك صيام الدهر كله"[٥].

وفي المسند عن قرة المزني عن النبي ﷺ: قال: صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره"[٦]، يعني صيامه في مضاعفة الله، وإفطاره في رخصة الله، كما

---

(١) فتح الباري، ٩٩/١، ط الريان.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٦٢، والنسائي ٢٤٠٩، وابن ماجه ١٧٠٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٩).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١٨١ - ١١٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١٨٢ - ١١٥٩.

(٦) أخرجه أحمد ٤٣٥/٣، رقم ١٥٥٨٤، وابن حبان ٣٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وقال السندي: قوله: "صوم الدهر" حيث إن كل صوم يوم بعشرة، قوله "وإفطاره" أى إفطار الدهر"، أى غالبه حقيقة، فصاحبه من حيث الأجر صائم، ومن حيث الراحة مفطر، فهذا ترغيب فيه. حاشية السندي على مسند أحمد ٣٥٠/٢٤ - ٣٥١.

كان أبو هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما يقولان ذلك، وكانا يصومان ثلاثة أيام من كل شهر. ويقولان في سائر أيام السنة: نحن صيام[1]. ويتأولان أنهما صيام في مضاعفة الله - اليوم بعشر - وهما مفطران في رخصة الله الذي حرم صيام الدهر.

وقد وصى النبي ﷺ جماعة من أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، منهم أبو هريرة، وأبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم[2].

وفي المسند أن النبي ﷺ قال في صيام ثلاثة أيام من كل شهر: "هو صوم حسن"[3]، وفيه أيضًا عن أبي ذر، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر. ويذهب مغلّة الصدر. قلت: وما مغلة الصدر؟ قال: رجس الشيطان[4].

وفيه أيضًا: عن رجل عن النبي ﷺ قال: صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيرًا من وحر الصدر[5]. وفي غير هذه الرواية: "وغر الصدر"، وهما بمعنى واحد. يقال: وحر صدره ووغره، إذا كان فيه غل وغش. وقيل: الوحر: الغل، والوغر: الغيظ.

وقد كان النبي يتحرى صيام ثلاثة أيام من كل شهر. وكذلك كان إبراهيم عليه السلام، كما خرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا. قال: صيام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر[6].

---

(١) أخرجه ابن حبان، ٣٦٥٩ عن أبي هريرة، وينظر تخريجه بتوسع هناك.

(٢) أما وصية أبي هريرة وأبي الدرداء فمذكورتان في الباب وأما توصية أبي ذر فأخرجها النسائي ٢٤٠٤، وقد تقدم ذلك في المضمون الدعوي الأول.

(٣) أخرجه أحمد ٢٢/٤، رقم ١٦٢٧٩، والنسائي ٢٤١١، وابن خزيمة (٢١٢٥)، وابن حبان (٣٦٤٩) من حديث عثمان بن أبي العاص مرفوعًا: "صيام حسن ثلاثة أيام من الشهر". وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٠).

(٤) أخرجه أحمد، ١٥٤/٥، رقم ٢١٣٦٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٩٢/٣٥ - ٢٩٣.

(٥) أخرجه أحمد ٣٦٣/٥، رقم ٢٣٠٧٠، وإسناده صحيح قاله محققو المسند ١٦٨/٣٨.

(٦) لم أجده في سنن ابن ماجه ولا في غيرها، فلينظر.

وفي السنن: عن حفصة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يصوم العشر وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر[١]. وفي إسناده اختلاف.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر. قيل لها: من أية كان يصوم، قالت: كان لا يبالي من أية صام[٢].

ففي هذا الحديث أنه ﷺ لم يكن يبالي من أى الشهر صام الأيام الثلاثة.

وقد روى في صفة صيام النبي ﷺ للأيام الثلاثة من الشهر أنواع أخر:

أحدها: ما أخرجه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس[٣].

وقال: حديث حسن. وذكر أن بعضهم رواه موقوفًا يعني من فعل عائشة رضي الله عنها غير مرفوع.

الثاني: ما أخرجه أبو داود وغيره من حديث حفصة أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر الاثنين والخميس، والاثنين من الجمعة الأخرى[٤].

فعلى هذه الرواية كان النبي ﷺ يجعلها من أول الشهر ولا يوالي بينها، بل كان يتحرى بها يوم الاثنين مرتين والخميس مرة.

الثالث: عكس الثاني: أخرجه النسائي من حديث حفصة أيضًا: أن النبي ﷺ كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، أول اثنين من الشهر، ثم الخميس، ثم الخميس الذي يليه[٥].

وفي رواية له أيضًا: أول اثنين من الشهر وخَميسَيْن[٦].

---

(١) أخرجه النسائي ٢٤١٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن النسائي، ١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٤٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٢١).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٤٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٠).

(٥) أخرجه النسائي ٢٤١٥، وعنده: أم المؤمنين، وصححه الألباني(صحيح سنن النسائي ٢٢٧٣).

(٦) أخرجه النسائي ٢٤١٧، وعنده: عن بعض أزواج النبي ﷺ وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٤).

وخرج أبو داود من حديث أم سلمة عن النبي ﷺ معنى ذلك[١].

وفي رواية في المسند "الاثنين والجمعة والخميس"[٢]، وكأنها غير محفوظة فهي نوع رابع.

والنوع الخامس: ما خرجه أبو داود والنسائي والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام. وحسنه الترمذي[٣]، وذكر أن بعضهم لم يرفعه. يعني أنه وقفه على ابن مسعود.

وظاهر هذا أنه كان يوالي بين الأيام الثلاثة من أول كل شهر.

والنوع السادس: أنه كان يصوم أيام البيض، فخرج النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان لا يدع صيام أيام البيض في حضر ولا سفر[٤].

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة[٥].

وفي السنن الأربعةِ خَلاَ الترمذي عن قتادة بن ملحان عن النبي ﷺ نحوه[٦].

وأخرج النسائي من حديث جرير البجلي عن النبي ﷺ نحوه أيضًا[٧].

وقد روى عن الحسن أنه كان يصوم خمسة أيام من أول الشهر، ويقول: ما يدريني لعلي لا أدرك البيض. وفي كتاب "مناقب الحسن" لأبي حيان التوحيدي أن رجلاً سأل الحسن: لأي شيء استحب صيام أيام البيض ؟ فلم يدر ما يقول، فقال أعرابي عنده: لأن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٤٣٧، وعنده عن بعض أزواج النبي ﷺ. وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٩/٦، رقم ٢٦٤٨٠، وضعفه محققو المسند ٨٢/٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٤٥٠، والترمذي ٧٤٢، والنسائي ٢٣٦٨. وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٠).

(٤) أخرجه النسائي ٢٣٤٥، وضعفه الألباني (ضعيف سنن النسائي، ١٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي ٧٦١، والنسائي، ٢٤٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٧).

(٦) أخرجه أبو داود ٢٤٤٩، والنسائي ٢٤٣١، ٢٤٣٢، وابن ماجه ١٧٠٧، وابن حبان ٣٦٥١، وصححه محققه وينظر تخريجه موسعًا هناك.

(٧) أخرجه النسائي ٢٤٢٠، بلفظ "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وأيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة" وحسنه الألباني. (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٦).

القمر ينكسف في لياليهن، فيكون الناس عند حدوث الآيات على عبادة[١]. فقال الحسن: خذوها من غير فقيه[٢].

وقال ابن القيم: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر تعدل صيام الشهر، فقد ذكر في هذا الحديث سببه، وهو أن الحسنة بعشر أمثالها، فهو يعدل صيام الشهر غير مضاعف؛ لثواب الحسنة بعشر أمثالها. فإذا صام ثلاثة أيام من كل شهر، وحافظ على ذلك، فكأنه صام الدهر كله. ونظير هذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر" [٣]، فإن الحسنة بعشر أمثالها. وفي كونها من شوال" سر لطيف، وهو أنها تجري مجرى الجبران لرمضان، وتقضي ما وقع فيه من التقصير في الصوم، فتجري مجرى سنة الصلاة بعدها، ومجرى سُجْدَتَي السهو ولهذا قال: وأتبعه "أي ألحقها به"[٤].

وقد بوب البخاري على حديث أبي هريرة: "أوصاني خليلي ﷺ بثلاث؛ صيام ثلاثة أيام من كل شهر ..." بوب عليه : باب صيام البيض: ثلاثة عشرة وأربع عشرة، وخمس عشرة[٥].

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق بعض الأحاديث السابقة: قال: "فقد جمع بينهما وما قبلهما البيهقي بما أخرجه مسلم من حديث عائشة قالت: "كان رسول الله ﷺ

---

(١) وقال الشيخ عبدالله البسام: (تخصيص فضيلة الصيام بأيام البيض الثلاثة، كما جاء في السنة المطهرة، فيه إعجاز علمي، فقد ذكر الأطباء أن رطوبة الأجسام تزيد فيها مع زيادة نور القمر واكتماله، والصوم يساعد على التخفيف من هذه الفضلات وإفراغها من البدن، كما أن الصوم حينما يلاقي البدن ممتلئًا من هذه الرطوبة تخفّ مشقته ويسهل تحمله على الصائم ولله في شرعه حكم وأسرار. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٨/٣.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٥٠ - ٤٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٤.

(٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف. ابن القيم ٨٥١هـ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٣٨ - ٣٩.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري، ٢٢٦/٤، الحديث ١٩٨١.

يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ما يبالي من أي الشهر صام"[١]. قال: فكل من رآه عليه السلام فعل نوعًا ذَكَره، وعائشة رأت جميع ذلك وغيره فأطلقت. والذي يظهر أن الذي أمر به وحث عليه وأوصى به أولى من غيره. وأما هو فلعله كان يعرض له ما يشغله عن مراعاة ذلك أو كان يفعل ذلك لبيان الجواز. وكل ذلك في حقه أفضل. وتترجح البيض بكونها وسط الشهر، وَوَسَطُ الشيء أعدَلُه. ولأن الكسوف غالبًا يقع فيها. وقد ورد الأمر بمزيد العبادة إذا وقع فإذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائمًا، فيتهيأ له أن يجمع بين أنواع العبادات من الصيام والصلاة والصدقة، بخلاف من لم يصمها فإنه لا يتأتى له استدراك صيامها. ولا عند من يجوز صيام التطوع بغير نية من الليل. إلا أذا صادف الكسوف من أول النهار، ورجح بعضهم صيام الثلاثة في أول الشهر لأن المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع. وقال بعضهم: يصوم من أول كل عشرة أيام يومًا، وله وجه في النظر. ونقل ذلك عن أبي الدرداء، وهو يوافق ما تقدم في رواية النسائي من حديث عبدالله بن عمرو : "صم من كل عشرة أيام يومًا"[٢] .

وروى الترمذي من طريق خيثمة عن عائشة رضي الله عنها : "أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس"[٣]، وروى موقوفًا وهو أشبه، وكأن الغرض به أن يستوعب غالب أيام الأسبوع بالصيام، واختار إبراهيم النخعي أن يصومها آخر الشهر ليكون كفارة لما مضى. وسيأتي ما يؤيده في الكلام على حديث عمران بن حصين في الأمر بصيام سرار الشهر[٤]، وقال الروياني: صيام ثلاثة أيام من كل شهر مستحب. فإن اتفقت أيام البيض كان أحب. وفي كلام غير واحد من العلماء أيضًا أن استحباب صيام البيض غير استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٠.

(٢) أخرجه النسائي ٢٣٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي ٧٤٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٢١).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٨٣، ومسلم ١١٦١.

(٥) فتح الباري ٤/٢٢٦ - ٢٢٧ .

وقال النووي: ويستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرة الشهر. وهي وسطه، وهذا متفق علي استحبابه وهو استحباب كون الثلاثة هي أيام البيض، وهى الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، وقد جاء فيها حديث في كتاب الترمذي وغيره، وقيل: "هي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر، قال العلماء: ولعل النبي ﷺ لم يواظب على ثلاثة معينة، لئلا يظن تعينها، ونبه بسرة الشهر وبحديث الترمذي في أيام البيض على فضيلتها"[١].

وقال الشوكاني: "وقد حكى الحافظ في الفتح في تعيين الثلاثة الأيام المطلقة عشرة أقوال[٢]، وقد ذكرنا أكثرها. والحق أنها تبقى على إطلاقها فيكون الصائم مخيرًا. وفي أى وقت صامها فقد فعل المشروع لكن لا يفعلها في أيام البيض. فالحاصل من أحاديث الباب استحباب صيام تسعة أيام من كل شهر: ثلاثة مطلقة وأيام البيض، والسبت والأحد والاثنين في شهر والثلاثاء والأربعاء والخميس في شهر"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى والوتر:

وهذا واضح من قول أبي هريرة: "أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام"، ونحو هذا قاله أبو الدرداء، قال ابن حجر: "ومن فوائد ركعتي الضحى أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الإنسان في كل يوم، وهى ثلاثمائة وستون مفصلاً، كما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر وفيه: "ويجزئ عن ذلك ركعتا الضحى"[٤])[٥].

قال النووي: "وفيه دليل عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين"[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٢/٨/٤ - ٥٣.

(٢) فتح الباري ٢٢٦/٤ - ٢٢٧، .

(٣) نيل الأوطار ٨٣٥ - ٨٣٦.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٥) فتح الباري ٥٧/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم ٢٣٩/٥/٢.

قال عنها النبي ﷺ: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال"(١)، قال النووي: "أى حين يحترق أخفاف الفصال - وهى الصغار من أولاد الإبل، جمع فصيل - من شدة حر الرمل، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت، قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى. وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال"(٢).

وقال الطيبي: "مدحهم بصلاتهم في الوقت الموصوف، لأنه وقت تركن النفوس فيه إلى الاستراحة، ويتهيأ فيه أسباب الخلوة، فيرد على قلوب الأوابين، من الإنس بذكر الله، وصفاء الوقت ولذاذة المناجاة ما يقطعهم عن كل مطلوب سواه، وهذا الوقت متشابه للساعات المختارة في جوف الليل فيغتنم العبادة حينئذ"(٣).

وقال الشيخ عبدالله البسام: (سميت تلك الصلاة صلاة الأوابين، لأنهم آبُوا ورحلوا إلى طاعة الله وعبادته حينما اشتغل الناس بتجارتهم ومتاعهم وزراعاتهم، ومال بعضهم إلى الراحة، فيأتي الأوابون بذكر الله تعالى وينقطعون عن كل مطلوب سواه)(٤).

وقال النووي: "وفي هذا الحديث أى حديث أبي هريرة" ، وحديث أبي الدرداء الحث على الضحى وصحتها ركعتان، والحث على صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وعلى الوتر وتقديمه على النوم لمن خاف ألا يستيقظ آخر الليل"(٥).

وقد قال النبي ﷺ: "إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم، الوتر جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر"(٦).

قال الطيبي: قوله: "إن الله أمدكم" وارد على سبيل الامتنان على أمته مرادًا به مزيد فضل على فضل، كأنه قيل: إن الله تعالى فرض عليكم الصلوات الخمس

---

(١) اخرجه مسلم ٧٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١/٦/٣.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٧٢/٣.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، ٢٢٦/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٥،٢٣٩/٣.

(٦) اخرجه الترمذي ٤٥٢ ، وقال الألباني: صحيح دون قوله: هى خير لكم من حمر النعم (صحيح سنن الترمذي ٣٧٣).

ليؤجركم بها ويثيبكم عليها ولم يكتف بذلك، فشرع صلاة التهجد والوتر ليزيدكم إحسانًا على إحسان، وثوابًا على ثواب"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من قوله ﷺ: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله".

وكما جاء في حديث قرة المزني عن النبي ﷺ : "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره"[٢].

قال السندي: قوله: "صوم الدهر"، حيث إن كل صوم يوم بعشرة، وقوله: "إفطاره". أي إفطار الدهر، أي غالبه حقيقة، فصاحبه من حيث الأجر صائم، ومن حيث الراحة مفطر، فهذا ترغيب فيه[٣].

ولعل الذي يوضح أثر هذا الترغيب ما رواه أبو عثمان أن أبا هريرة كان في سفر فلما نزلوا ووضعت السفرة بعثوا إليه وهو يصلّي، فقال: إني صائم. فلما كادوا أن يفرغوا جاء فجعل يأكل، فنظر القوم إلى رسولهم فقال: ما تنظرون إليّ، قد - والله - أخبرني أنه صائم؟ فقال أبو هريرة: صدق، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الشهر كله"، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر، وإني الشهر كله صائم، ووجدت تصديق ذلك في كتاب الله جل وعلا: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٤])[٥].

وكذلك ما رواه عبدالله بن شقيق العقيلي: قال: "أتيت المدينة فإذا رجل طويل أسود فقلت: من هذا قال: أبو ذر. فقلت: لأنظرن على أي حال هو اليوم، قال: قلت: صائم أنت؟ قال: نعم. وهم ينتظرون الإذن على عمر ﷺ، فدخلوا فأتينا بقصاع فأكل فحركته

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة، ٣/١٥١.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤٣٥، رقم ١٥٥٨٤، وابن حبان، ٣٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٤/٣٥٠.

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد ٢٤/٣٥٠ - ٣٥١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٥) أخرجه ابن حبان ٣٩٥٩، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أذكّره بيدي، فقال: إني لم أنس ما قلت لك، أخبرتك أني صائم، إني أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فأنا أبدًا صائم"(١).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ:

وهذا واضح من سؤال معاذة العدوية عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟

ومعاذة العدوية هي معاذة بنت عبدالله العدوية أم الصهباء وهي ثقة من التابعيات اللاتي روين عن الصحابيات أحاديثَ رسول الله ﷺ(٢).

قال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: النوع الرابع عشر من علوم الحديث: معرفة التابعين: وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فإنهم على طبقات في الترتيب ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفرق أيضًا بين بعض الصحابة والتابعين، ثم لم يفرق أيضًا بين التابعين وأتباع التابعين. قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣)، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ. ثم ذكر الحاكم بإسناده الحديث الذي يدل على ذلك وشاهد بإسناده حديث: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٤).

ثم قال الحاكم: "فخير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله ﷺ، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل رضي الله عنهم أجمعين"(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي ٤/٢٩٣.

(٢) انظر ترجمتها في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٥٧٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٥٢، ومسلم ٢٥٣٣.

(٥) معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ٤٠٥ هـ، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

والأمثلة على سؤال التابعين الصحابة عن أحوال النبي ﷺ كثيرة جدًا لا تكاد تحصى. من ذلك ما أخرجه مسلم بإسناده إلى سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: "أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللّهِ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا. فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ . قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرآنَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عن شيء حَتَّىٰ أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[(١)]؟ قُلْتُ: بَلَىٰ .... الحديث"[(٢)].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: المداومة على العمل:

وهذا واضح من حديث ابن عباس: "كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حَضَر ولا سَفَر".

والنبي ﷺ -وهو القدوة والأسوة- كان عمله دِيَمة كما وصفت عائشة رضي الله عنها[(٣)]: "والديمة -كما قال أهل اللغة-: مطر يدوم أيامًا ثم أطلقت على كل شيء يستمر"[(٤)].

وقال النووي: "أي يدوم عليه ولا يقطعه"[(٥)]، وقد بوب البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه: باب القصد والمداومة على العمل[(٦)].

قال الحافظ ابن حجر: ذكر فيه ثمانية أحاديث أكثرها مكرر وفي بعضها زيادة على بعض، ومحصل ما اشتملت عليه الحث على مداومة العمل الصالح وإن قل. وأن الجنة لا يدخلها أحد بعمله بل برحمة الله. وقصة رؤية الجنة والنار في صلاته. والأول هو المقصود بالترجمة والثاني ذكر استطرادًا وله تعلق بالترجمة أيضًا، والثالث يتعلق بها

---

(١) سورة المزمل، آية: ١.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٨٧، ومسلم ٧٨٣.

(٤) فتح الباري ٢٣٦/٤ ، بتصرف.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٦/ ٤٧ .

(٦) كتاب الرقاق، برقم ٨١، وهذا الباب، برقم ١٨.

أيضًا من طريق خفي"[١].

ومن هذه الأحاديث التي ساقها البخاري:

١- قالت عائشة رضي الله عنها: كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبُه[٢].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدْخِل أحدكم عمُله الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل"[٣]. وزاد مسلم: وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه[٤]. قال النووي: "أي لازموه وداوموا عليه، والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه ﷺ، من أزواجه وقرابته ونحوهم"[٥].

٣- وعنها: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال: أدومها، وإن قل، وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون[٦].

٤- وأخرج مسلم بإسناده عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[٧]. وقال النووي: "فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة"[٨]. "والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة، فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت، ليجازى

(١) فتح الباري، ٢٩٥/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٦٢، ومسلم ٧٤١ - ٧٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٢، ٢٨١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٧٨٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٦، ٧٤، .

(٦) أخرجه البخاري ٦٤٦٥، ومسلم ٧٨٢.

(٧) أخرجه مسلم، ٢١٨ - ٧٨٣.

(٨) شرح صحيح مسلم ٧٤/٦/٣، ط عالم الكتب.

بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم مثلاً ثم انقطع، وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل، فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات"[1].

---

(١) فتح الباري ٢٩٩/١١ .

الحديث رقم (١٢٦١)

١٢٦١- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه ، قَالَ: أوصاني حَبِيبي صلى الله عليه وسلم بِثَلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وبِأنْ لاَ أنَامَ حَتَّى أُوتِرَ. رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢) حتى الترقيم المتبع.

غريب الألفاظ:

أوتر: أصلي مثنى مثنى ثم أصلي في آخرها ركعةً مفردةً [(٢)].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث كسابقه بأسلوب التشويق بالإجمال بالعدد (ثلاث) ثم التفصيل، وهو ما يحدث ترقبا لدى المخاطب، وتوكيد للمعنى الذي ذكر مرتين إجمالا ثم تفصيلاً، وقد بدأت جملة التشويق بالفعل الماضي " أوصاني " وهو يدل علي تحقق وقوع تلك الوصية من خاتم الرسل، ثم قال: " حبيبي " وهو لفظ يفيد العموم، ويدل علي الميل القلبي، والألفة، والمحبة، ولكن لفظ " خليلي " أخص منه، فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلا. ولكن الراوي هنا تعهد أن يقوم بتنفيذ الوصية فقال: ". .. بثلاث لن أدعهن ما عشت و " ما " في قوله: " ما عشت " مصدرية أي: مدة بقائي حيا. ثم بدأ بالصيام أيضا. .. ومن بعدها " صلاة الضحى " وختمها بقوله: " وبأن لا أنام حتى أوتر ". والفعل المضارع: " أوتر " يفرض علي المسلم أن يوحد الله تعالي، ويذكره قبل نومه، حتى يختم له بشهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لعله بذلك يدخل الجنة بمشيئة الله.

المضامين الدعوية[(٣)]

---

(١) برقم (٧٢٢/٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٢٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٦٢)

١٢٦٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((صَوْمُ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ (كُلِّ شَهْرٍ)[1] صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

غريب الألفاظ:

الدهر: السنة[3].

الشرح الأدبي

الوصية في الحديثين السابقين كانت مكونة من ثلاثة أثلاث. الثلث الأول خاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والثلث الثاني خاص بصلاة ركعتي الضحى، والثلث الأخير خاص بصلاة الوتر. وفي هذا الحديث يركز الرسول ﷺ علي الثلث الأول الخاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، لأنه يشتمل علي الثلثين الباقين، فالصيام يحتاج إلي " الصبر "، ومن خلاله يصلي الفرائض، وينطق بشهادة التوحيد الذي شرع " الوتر " من أجله، ولأن الصيام فيه تهذيب، وتأديب للجوارح عن اقتراف السيئات. وقد شرعت صلاة الضحى لشكر الله علي تلك الجوارح. فالصيام أن تطيع الجوارح (الوتر) الأحد الفرد الذي لا إله إلا هو، وقوله (كصوم الدهر كله) تشبيه لبيان مقدار الثواب ؛لأن الذي يصوم ثلاثة أيام تحسب له الحسنة بعشر أمثالها، فإذا هي ثلاثون عدد أيام الشهر، فإذا ما اطرد هذا الصيام كل شهر كان بذلك كمن صام كل الدهر ولفظ التوكيد كل المضاف للضمير العائد على الشهر(كله) يؤكد على هذا الثواب العظيم، وينفي وهم المبالغة، والله أكرم، وأبر.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) قوله: (كل شهر) عند البخاري برقم (٣٤١٩)، ولفظه في هذه الرواية: (الشهر) فقط.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٩) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩/١٨٧). أورده المنذري (١٥٢٤).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم ٧٢٣.

(٤) تقدم ذكر مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٣)

١٢٦٣- وعن مُعاذة العدوية: أنها سألت عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أكَانَ رسول الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَة أيَّامٍ؟ قالت: نَعَمْ. فقلتُ: مِنْ أيِّ[١] الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قالت: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يُبالي: يهتم[٣].

الشرح الأدبي

وهذا الحديث أيضا - يعني بموضوع صيام ثلاث أيام من كل شهر. ولكن الموضوع يقوم على محورين الأول تقرير فعل الرسول ﷺ له، والمحور الثاني: تحديد الأيام التي كان يحص على صيامها، وقد قام المعنى في الحديث على الحوار المبني على السؤال، والجواب، والسؤال الأول (أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟) استفهام مباشر عن المقصود بغرض التحقيق، والتثبيت، وقد جاءت إجابة أم المؤمنين بالإثبات لها بحرف الجواب (نعم) والاستفهام الثاني (من أي الشهر كان يصوم قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم ؟) استفهام عن تحديد الأيام التي كان يختارها في الصيام، وقد جاءت إجابة أم المؤمنين تحمل التوسعة على المؤمنين ليصوم كل منهم ما يختار بناءً على أن الرسول ﷺ لم يعنى بتحديد ثلاثة بعينها من أول شهر، أم منتصفة؟ أم أخره؟، والاستفهام هنا يراد منه التعلم والاسترشاد، للتأسي، والإقتداء به - عليه الصلاة والسلام -.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) عند مسلم زيادة: (أيّام) في الموضعين.

(٢) برقم (١١٦٠/١٩٤).

(٣) الوسيط في (ب ل ي).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٤)

١٢٦٤- وعن أَبي ذر رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثًا[1]، فَصُمْ ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

في الأحاديث السابقة حث النبي ﷺ علي صيام ثلاثة أيام من كل شهر هجري. وفي الحديث السابق لم يحدد أياما بعينها على سبيل التوسعة على الصائمين إذا لو حددت، وفات مؤمنا وقتها لما استطاع أن يتداركها، وفي هذا الحديث يحدد هذه الأيام الثلاثة على اعتبار الأفضلية لمن تتأتى له أن يصوم أياما بعينها، وذلك عن طريق الجملة الشرطية: " إذا صمت من الشهر ثلاثا، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة. .. الخ " ومعناه: إذا أردت أن تتطوع، وتقوم بهذا العمل الصالح فافعل كذا. .. وكذا. .. وكذا، و(من) في قوله: " من الشهر " للتبعيض. وأسند الفعل " صمت إلي تاء المخاطب مع أسلوب الشرط ليشمل الحكم كل من أراد أن يصوم هذا التطوع، وفيه ترغيب في صيام هذه الأيام لمن تيسرت له، ومن لم يستطعها خاصة صام ما تيسر من أي ثلاثة من الشهر كما دل الحديث السابق.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ الترمذي: (ثلاثة أيّام) والمثبت لفظ أحمد في المسند (٢١٤٣٧). هكذا أورده المنذري في ترغيبه. وعزاه إلى الترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) برقم (٧٦١)، وصحّحه ابن خزيمة (٢١٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٢٣).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٥)

١٢٦٥- وعن قتادة بن مِلْحَان رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأمُرُنا بصِيَامِ أيَّامِ البِيضِ[١]: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

قتادة بن مِلْحان: هو قتادة بن مِلْحان القيسي الجُريري مسح النبي ﷺ على وجهه فكان يملؤه الصفاء والبشر والاستنارة والبهاء كأنما علاه الدُّهن.

قال أبو العلاء بن عُمير الجُريري: كنت عند قتادة بن مِلْحان حين حُضِر [جاءه الموت] فمرّ رجل في أقصى الدار فأبصرتُه في وجه قتادة وكنت إذا رأيته كأن على وجهه الدِّهان. وكان رسول الله ﷺ مسح وجهه[٣]. وفي رواية: أنه لما كبر بلى منه كل شيء غير وجهه[٤] نزل العراق وسكن البصرة وليس له إلا هذا الحديث المذكور[٥].

غريب الألفاظ:

أيام البيض: هذا على حذف المضاف، يريد أيام الليالي البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها[٦].

---

(١) لفظ أبي داود: (أن نصوم البيض) والمثبت لفظ أحمد في المسند (٢٠٣٢١)، وكذا عند المنذري.

(٢) برقم (٢٤٤٩). قال الحافظ في الإمتاع (ص: ٢٢٧): هذا حديثٌ صحيحٌ، وهذا المتن من أصحّ ما ورد في تعيين أيام البيض. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٣٤).

(٣) أخره أحمد ٢٨/٥، رقم ٢٠٢١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٢٨/٣٣.

(٤) أخرجه ابن شاهين كما في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي.

(٥) الطبقات (٤٣/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٧٠/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٦٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٤/٦) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٣١/٣).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ض).

الشرح الأدبي

إن المخاطب يشعر بأهمية هذه الأيام، لأن الرسول الكريم ﷺ كان يأمر بصيامها ، ولذا قال الراوي: " يأمرنا " بصيغة المضارع الدال علي الاستمرار والتجدد. وجاء بالضمير " نا " ليؤكد حب النبي للجميع، وأن الأمر من الأهمية بحيث لا يختص به أحد دون أحد ، وفي هذا الحديث ملمح جديد عن الأحاديث السابقة، والتي حددت أيام الصيام بالثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وهو وصفها بكلمة: " البيض " كناية عن الأيام التي يكتمل فيها القمر فيملأ ضوؤه الكون عندما يصير بدرا في هذه الأيام الثلاثة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٦)

١٢٦٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ لاَ يُفْطِرُ أيَّامَ البِيضِ في حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ. رواه النسائيُّ[1] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أيام البيض: أيام الليالي البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبر " ابن عباس رضي الله عنه " عن طرف من عبادة رسول الله ﷺ خلال هذه الأيام " البيض ". فكان لا يفطر فيها، لا في حضر ولا في سفر. وقد طبق ما قرره في الحديث السابق – علي نفسه الطاهرة، فهو من الذين يفعلون ما يَأْمُرون به، وهو ما أن يكون عليه الدعاة المقتدون به أن يلتزموا بما يدعون إليه الناس لأن ذلك أدعى لامتثاله، ولأن تركهم الالتزام بما يقولون يصبح دعاية سيئة مضادة لما يقولون، فيدعون لله بالقول، ويصدون الناس بالفعل، وهو أمر جد خطير، وبين كلمتي: " حضر وسفر " طباق وحصر يستوعب الزمان، أي في زمن السفر، وفي زمن الحضر مما يعنى تأكيد عدم تركها، لأن اللفظين يوضحان المعني ويبرزانه، فالمسلم لابد أن يتواجد في واحد منهما. وقدم " الحضر " علي " السفر "، لأنه الأصل، والنفس البشرية تأنس الاستقرار، والصلات الاجتماعية التي تتحقق من خلال الإقامة في مكان معين. والحديث يعد ترغيبا بنقل فعل الرسول ﷺ الذي يقررها سنة فعلية يتهافت عليها بعده المحبون المقتدون في كل زمان، ومكان.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) في المجتبى (٢٣٤٥)، وفي الكبرى (٢٦٦٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ض).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالوصية:

لقد وصّى النبي ﷺ - كما في أحاديث الباب - صحابيين جليلين بثلاثة أشياء: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وصلاة الوتر قبل النوم، وفي هذه الوصية لهما حكمة تناسب أحوالهما وتلاءم استعداداتهما وقدراتهما، ومما ييسر لهما العمل الصالح والمداومة على الطاعة والمواظبة على فعل الطيبات فيحصلان ما حصّل غيرهما من الثواب والفضل، قال ابن القيم: (وإنما وصى أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمر بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة)[1].

إذ أن الوصية من الأساليب التربوية ذات الخصوصية التي تكون لبعض الأتباع والناشئة نظرًا لأسباب وأحوال معينة، والتي تعتمد على التفاوت والاختلاف فيما بين الأتباع ونحوهم، فهي لبعضهم قد تكون من أنجح الوسائل التربوية وأفيد طرق التوجيه والإرشاد، فعلى المربين أن يستخدموها في مواضعها وأحوالها الصحيحة حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها، وقد مضى الكلام عن التربية بالوصية باستفاضة فليرجع إليها[2].

ثانيًا- من أسباب نجاح التربية: الحميمية بين المربي ومن يربيهم:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني حبيبي بثلاث" مما يدل على أن العلاقة بين الرسول ﷺ وبينهما علاقة مودة ومحبة وقرب بل علاقة أكثر من ذلك، إنها تخطت علاقة المعلم بطلابه والمرشد بمن يرشدهم والموجه بمن يوجههم إلى علاقة المحب بأحبابه والخليل بأخلائه، وفي ذلك نجاح من قبل المربي أن جذبهم إليه وحببهم بأخلاقه وشمائله فيه، فاستقرّ حبه في قلوبهم وتمكن منها وتخللت محبته أفئدتهم فملأتها فلم يعرفوا حبيبًا غيره ولا خليلاً سواه، ولذا كانوا

---

(١) زاد المعاد ٣٥٧/١.

(٢) وذلك في الباب رقم ٢٠٦.

يفعلون ما يأمرهم به بحب وإقبال وإذعان، بل يسارعون إلى ذلك ما استطاعوا من مسارعة ويقبلون على ذلك أيما إقبال، ويبادرون إلى الامتثال ما وسعتهم المبادرة وأمكنهم الفعل، وما ذلك إلا لأن القلوب امتلأت حبًّا ومودة وإجلالاً لهذا المربي العظيم وهذا المعلم الفريد، لذا لم يتركوا ما أوصاهم بها طيلة حياتهم ومدة عمرهم، عبر عن ذلك أبو ذر رضي الله عنه بقوله: "أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت" وهكذا يكون الحب وهكذا تكون العلاقة وهكذا تكون التربية، إن التربية لا تكون بالأوامر والنواهي الجافة التي لا يكتب لها الحياة إلا قليلاً، لأنها خرجت من قلوب لا تحمل الحب إلى المقول إليهم، وهم بدورهم لم يحسُّوا بهذا الحب من ناحية القائل، فلم ينتقلوا إلى مرحلة الاعتزاز والحب لما يقوله، بل اكتفوا بهزّ أكتافهم إشعارًا بأن فهموا أو سمعوا وظلُّوا على هذا الحال وهذه الهيئة. إن علاقة بهذا الشكل بين المربي وأتباعه علاقة لن تثمر تربية صالحة تفاعلية، بل إنها ستثمر تربية جافة شكلية ثمرها شكله طيب، لكن طعمه مرّ لا يطاق.

إن المربي إذا أراد النجاح لتربيته فعليه أن يجعل العلاقة بينه وبين أتباعه علاقة محبة ومودة تقوم على التحام القلوب قبل التحام الأجساد والأبدان، وتعتمد على تفاعل الأفئدة وتراحمها قبل تفاعل الهيئات والأشكال، إن المربي وإن فعل ذلك تمكن من أن يفعل أكثر ما يفعله السيف والمدفع والتهديد والوعيد. وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[1].

ثالثًا - التربية على تحصيل الثواب طوال العام:

لقد رغب النبي ﷺ في صيام ثلاثة أيام من كل شهر بأن أخبر أن ذلك يكون كصوم السنة كلها: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كلّه"، فالمسلم مما لاشك فيه يودّ لو أنه حصّل الثواب طوال العام ومدة السنة، لكنه قد يعجز عن فعل الصالحات والأعمال الطيبة التي تحقق له هذه الغاية العليا والهدف الأسمى، نظرًا

(١) آل عمران، آية: ١٥٩.

لطبيعته وتقصيره وإهماله ونسيانه وغفلته، فدله الشارع الحكيم على ما يحقق هذا بأقل العمل وما هو في قدرته واستطاعته، ومثال هذا قوله ﷺ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّال، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))[1].

وفي رأينا أن التربية على ذلك فيها من الفوائد التربوية الكثير والتي منها:

أ- التربية على الانشغال بالعمل الصالح والإعداد لفعله والتلبس به، وهذا له تأثيره الذي لا يخفى على تهذيب الأخلاق وإصلاح السلوك وإقامة المعاملات على الوجه الصحيح.

ب - مراعاة الطبيعة البشرية للناشئة فهم بشر يعيشون في هذه الدنيا التي تشغلهم بما فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر على دينهم، من سعي على المعاش والأولاد ونحو ذلك، مما يجعلهم غير متفرغين كثيرًا من الوقت لأداء النوافل والتطوعات، لذا كان إرشادهم إلى ما يناسب طبيعتهم ومشاغلهم تلك، والذي يمكنهم من تحصيل الثواب مع عدم إضاعة المصالح الدنيوية.

ج - تربية الناشئة وغيرهم على المداومة على العمل وإن قلّ وفي هذا تعويد لهم على الوسطية والاعتدال في جميع شؤونهم ومختلف أحوالهم، فهم لا يهملون النوافل مطلقًا، ولا هم كذلك ينهمكون فيها حتى تشغلهم عن أمور دنياهم، إنهم وسط بين ذلك.

والخلاصة أن على المربين أن يرشدوا أتباعهم إلى الأعمال التي تجعلهم يحصلون الفضل والثواب طوال العام، وأكثر الأوقات، إننا مثلاً في مجال التعليم لو ربّى المعلم طلابه على أن يستذكروا المواد المدرسية ساعات محدودة من اليوم، ويداوموا على ذلك، لأمكنهم أن يحصلوا أعلى الدرجات وأفضل المستويات طوال العام الدراسي، فضلاً عن آخره الذي يبين ترتيب الطلاب الأوائل، والأغلب أنهم سيكونون منهم.

وهكذا الحال والشأن في مختلف مجالات التربية والتعليم والإرشاد.

رابعًا - من أساليب التربية: الجمع بين التوجيه الخاص والتوجيه العام:

وجّه النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه فقال له: "إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٤ من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

وأربع عشرة وخمس عشرة" فكان هذا توجيهًا خاصًا من النبي ﷺ إلى أبي ذر رضي الله عنه، أما التوجيه العام للصحابة رضي الله عنهم فهو ظاهر في حديث قتادة بن ملحان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة".

إذًا فقد (كان النبي ﷺ يجمع بين التربية والتوجيه الفردي ومن خلال الخطاب الشخصي المباشر، وبين التربية والتوجيه الجماعي، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ التَّشَهُّدَ. كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ))[1] ومن ذلك ما ورد عن غير واحد من أصحابه: أوصاني رسول الله ﷺ.

ومن ذلك حديث معاذ رضي الله عنه: ((يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى اللَّهِ؟))[2].

وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما زوّجه أبوه امرأة فكان يتعاهدها فتقول له: نعم الرجل لم يكشف لنا كنفًا ولم يطأ لنا فراشًا - تشير إلى اعتزاله - فاشتكاه إلى النبي ﷺ، فدعاه فكان معه الحوار الطويل حول الصيام وختم القرآن وقيام الليل[3].

وقد كان هذا الحوار والتوجيه له شخصيًا، بينما نجد أنه ﷺ في مواقف أخر يوجه توجيهًا عامًا، كما في خطبه ولقاءاته وتوجيهات لعامة أصحابه، وهي أشهر من أن تورد وتحصر.

وهنا مأخذ مهم في قصة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، إذ أن رسول الله ﷺ دعاه وناقشه منفردًا به، بينما نجده في موقف آخر شبيه بهذا الموقف يعالج الأمر أمام الناس، فحين سألت طائفةٌ عن عبادته وتقالُّوها وقالوا ما قالوا صعد المنبر وخطب في الأمر.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠، ٤٩.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١١٥٩.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

ومثل ذلك في قصة الذي قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: ((استعملَ النبيُّ ﷺ رجلاً من بني أَسد يقال له ابنُ اللتبية على صدَقةٍ، فلما قَدِمَ قال: هذا لكم وهذا أُهديَ لي. فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنبر - قال سفيانُ أيضًا: فصعِدَ المنبر - فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: ما بالُ العامِلِ نبعثُهُ فيأْتي فيقول: هذا لكَم وهذا لي، فهلاّ جلسَ في بيت أبيهِ وأمِّه فينظُرُ أيُهدَى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاءَ به يومَ القيامةِ يحمله على رقبتِهِ، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار أو شاةً تَيْعَر - ثم رفعَ يديهِ حتى رأينا عفْرتي إبطَيه - ألا هل بَلَّغتُ؟ ثلاثًا))[2].

إذن فهناك جوانب يمكن أن تطرح وتناقش بصورة فردية ولا يسوغ أن تطرح بصفة عامة، ولو مع عدم الإشارة إلى صاحبها، لأنها ربما كانت مشكلات فردية لا تعني غير صاحبها، بل قد يكون ضرر إشاعتها أكثر من نفعه.

وهناك جوانب يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة وتعالج وتناقش أمام الجميع.

والمربي الناجح هو الذي يضع كل شيء موضعه)[3].

خامسًا- التربية على المداومة على العمل وإن قلّ:

لقد أوصى النبي ﷺ بعض أصحابه على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وهذا فيه مداومة على ذلك، كما أخبر النبي ﷺ أن "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٧١٧٤، ومسلم ١٨٣٢.

(٣) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٨-٣٩.

الدهر كله" وهذا حث للمداومة على صيام ثلاثة أيام كل شهر، وهذه المداومة فعلها النبي ﷺ كما أخبرت زوجه عائشة رضي الله عنها أنه لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم الثلاثة أيام، كما أمر النبي ﷺ بصيام أيام البيض من كل شهر وفي هذا حث على المواظبة على ذلك، وأخبر ابن عباس رضي الله عنهما عن مداومة الرسول على ذلك فقال: كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر" فكانت أحاديث الباب كلها تحث نصًا أو إشارة على مداومة صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وفي ذلك تربية للمداومة على العمل والمواظبة عليه، ولذا على المربين أن يحرصوا على أن يربوا أتباعهم على المداومة على العمل وإن قلّ، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - حصول التأسي بالنبي ﷺ، وهذا عبادة بحد ذاته يؤجر عليه المسلم، ويحصل به بركة متابعة النبي ﷺ.

ب - أن العمل قد أعد له إعدادًا جيدًا، وأخذ نصيبه من الدراسة والمراجعة، ولم يكن نتاج فكرة طائشة أو خاطرة لم تأخذ حقها من التفكير.

ج - المداومة تعني التخصص الذي ينشأ عنه سدّ الثغرات التي قد لا تجد لها مكانًا بين الأفكار الطارئة، وينشأ عنه التوزيع المعتدل للطاقات دون أن تسهم التفاعلات الفكرية والثقافية في تفتيتها أو تركزها في ميدان آخر.

د - المداومة تعني عمق القناعة بالعمل، وأنه لم يكن ناشئًا نتيجة ظرف معين أو خاطر سريع، وهو يعني أن تكون ردة الفعل تجاه الأحداث متزنة، إذ طالما أسهم الانسياق وراء حدث أو ظاهرة مفاجئة في ردة فعل تولد تطرفًا وغلوًا في الاتجاه المقابل.

هـ - المداومة على العمل تقضي على ظاهرة استعجال قطف الثمرة والإجهاض الفكري للمشروعات والبرامج التربوية، وتلك إنما تنشأ عن أولئك الذين لم يستقر لهم قرار في ميدان تربوي أو لم يحققوا مبدأ المداومة في التربية.

و - المداومة تعني انضباط أهداف العمل إذ هي نتاج تفكير هادئ وممارسة وتجارب طويلة وعمل متخصص وليست مجرد حماسة أو ردة فعل تجاه انحراف أو موقف معيّن.

ز - المداومة تعني التدرج في العمل، والسير فيه بخطوات هادئة ثابتة متزنة، تنظر إلى المستقبل بعين واسعة، وأفق أرحب[1].



(١) أدومه وإن قلّ أيضًا، عبدالله المسلم، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٥٦-٥٧ بتصرف يسير.

٢٣١ - باب فضل من فطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

الحديث رقم (١٢٦٧)

١٢٦٧ - عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أنَّهُ لاَ يُنْقَصُ مِنْ أجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث علي أسلوب الشرط الذي يحقق عموم الحكم، ويعطيه صلاحية عبر الزمان، والمكان، ويربط الجزاء بالفعل، ويجعل المخاطب حر الاختيار في الصيام أو الفطر بينما يرغبه ببيان العاقبة من خلال الجزاء حيث يحض علي تفطير الصائمين، وتقديم الخير لهم، فما أكثر الأيتام، والمساكين، والفقراء الصائمين، وربما ينقطع السبيل بالصائم في مكان ما، وليس معه زاد أو ماء، وقد يكون تفطير الصائمين لتقوية صلة الرحم، ونزع الأحقاد بين الأقارب، والجيران، وقد كلف المجتمع المسلم أن يرعى مثل هذه الحالات، وغيرها، والتنكير في كلمة: " صائما " يفيد التعميم، فأي صائم يفطره المسلم، سواء يعرفه أم لا يستحق به الجزاء. كما أن التنكير يدل علي القلة فعلي المسلم أن يسعى لإفطار أي عدد من الصائمين، حتى وإن كان " صائما " واحدا. ولما أخبر الرسول أن الأجر محكوم عليه بالمثلية، طمأن ذلك الشخص الذي يفطر عند هذا، أو ذلك، طمأنه علي أجر صيامه فقال :"غير أنه لا ينقص من أجر

---

(١) برقم (٨٠٧). وصحّحه ابن خُزيمة (٢٠٦٤)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٦).

الصائم شيء) وهو احتراس يحفظ لكل واحد منهما ثواب عمله غير منقوص، والله أكرم، وأبر.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

أنه يستحب للصائم أن يفطر الصائمين وأن له مثل أجره[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل من فطر صائمًا.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على التعاون بين المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل من فطر صائمًا:

هذا واضح من الحديث، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه: ذكر تفضل الله جل وعلا بإعطاء المفطِّر مسلمًا مثل أجره[٢].

وقد روى عن النبي ﷺ: وذلك من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي قال: خطبنا رسول الله ﷺ، في آخر يوم من شعبان، قال: "يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر"، الحديث وفيه: "وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائمًا كان مغفرَةً لذنوبه وعتقًا لرقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن"[٣].

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٢٣/١، كشاف القناع ٣٣٣/٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٢١٦/٨، رقم ٣٤٢٩.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٨٨٧، ثم قال: إن صح الخبر، ا. هـ. وفي إسناده على بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف كما في تقريب التقريب، ٣٧/٢، وينظر الترغيب والترهيب للمنذري، ص ٢٣٢-٢٣٣.

وقد أخرج عبدالرزاق بإسناده عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة: دعته امرأة ليفطر عندها ففعل، وقال: إني أخبرك أنه ليس من رجل يفطر عند أهل بيت إلا كان لهم مثل أجره، فقالت: وددت أنك تتحيّن - أو نحو ذلك - لتفطر عندي. قال: إني أريد أن أجعله لأهل بيتي[1].

وإفطار الصائم داخل في إطعام الطعام الذي هو من صفات خير المسلمين، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: "أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف"[2].

ففي هذا الحديث الحث على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين[3].

(وإطعام الطعام يشمل بذله للمحتاج وتقديمه للضيف، وإقامة الولائم، بل يشمل بإشارته معونة المسلم بماله، أيًا كان نوع المعونة، وأيًا كان المال طعامًا أو شرابًا، أو مسكنًا أو لباسًا أو نقدًا)[4].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على التعاون بين المدعوين:

وهذا واضح من الحث على تفطير الصائم، لأنه ربما لا يجد بعض الصائمين ما يفطرون عليه، فكان هذا الحديث دافعًا إلى التعاون والتكافل فيما بين المدعوين، وهذا الحديث أخرجه النسائي في الكبرى، وابن حبان بلفظ: "من جهز غازيًا أو حاجًا أو خلفه في أهله أو أفطر صائمًا، كان له مثل أجره من غير أن يُنْقَص من أجورهم شيء"[5].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المجهز إنما يأخذ كحسنات الغازي من أجر غزاته تلك حتى يكون له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازي

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣١١/٤، رقم ٧٩٠٨

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/٢/١ .

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٧٢.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى، ٣٣١٦، وابن حبان، ٤٦٣٣.

شيء، وكذلك الخالف في أهله بخير[١]. وقال الطيبي: (نظم الصائم في سلك الغازي، لانخراطهما في معنى المجاهدة مع أعداء الله، وقدّم الجهاد الأكبر)[٢]، وقال ابن تيمية: "إن الغزو يحتاج إلى جهاد بالنفس وجهاد بالمال، فإذا بذل هذا بَدَنَه، وهذا مَالَه مع وجود الإرادة الجازمة في كل منهما، كان كل منهما مجاهداً بإرادته الجازمة ومبلغ قدرته، وكذلك لابد للغازي من خليفة في الأهل، فإذا خلفه في الأهل بخير فهو أيضًا غاز، وكذلك الصيام لابد فيه من إمساك، ولابد فيه من العشاء الذي به يتم الصوم، وإلا فالصائم الذي لا يستطيع العشاء لا يتمكن من الصوم"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وذلك أن من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده بأن شرع لهم التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك: تفطير الصائم، لأن الصائم مأمور بأن يفطر، وأن يعجل الفطر، فإذا أُعين على هذا فهو نعمة الله عز وجل، ولهذا قال النبي ﷺ: «من فطر صائمًا، كان له مثل أجره، غير أنه لا يُنْقَص من أجر الصائم شيء».

واختلف العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني به عن السحور.

ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان لو فطّر صائمًا ولو بتمرة واحدة، فإنه له مثل أجره؛ لهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين بقدر المستطاع لا سيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو حاجتهم، لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم وما أشبه ذلك" [٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده:

وهذا واضح من الحديث، فقد جعل الله لمن فطر صائمًا مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيئاً. وهذا فضل من الله عظيم ومنة منه كبيرة. قال ابن تيمية: "جمع الناس

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٩١/١٠.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة، ١٥٥/٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٥٧٦/٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤١٦/٢ - ١٤١٧.

للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة، وهو من شعائر الإسلام التي سنها رسول الله ﷺ للمسلمين، وإعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام، فقد قال النبي ﷺ: "من فطر صائمًا فله مثل أجره". وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر"[١].

وسئل ابن تيمية عن رجل توفى وأوصى أن يصلى عنه بدراهم، فأجاب بأن هذا لا يجوز ثم قال: "لكن هذه الدراهم التي أوصى بها يتصدق بها عنه، ويخص بالصدقة أهل الصلاة، فيكون للميت أجر، وكل صلاة يصلونها ويستعينون عليها بصدقته، يكون له منها نصيب من غير أن ينقص من أجر المصلى شيء، كما قال النبي ﷺ: "من فطر صائمًا فله مثل أجره"، وقال: "من جهز غازيا فقد غزا"[٢]"[٣].

وقد قال النبي ﷺ: "لن ينجي أحدًا منكم عمله. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة ...." الحديث[٤].

وذكر ابن حجر أقوالاً للعلماء في الجمع بين هذا الحديث، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ثم قال: "قال ابن الجوزي: يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة.

الثاني: أن منافع العبد لسيده، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٤٣، ومسلم ١٨٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ٤١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٦٣، ومسلم ٢٨١٦.

الثالث: جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال.

الرابع: أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لا ينفد، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل، لا بمقابلة الأعمال[1].

(١) فتح الباري، ٢٩٦/١١ .

الحديث رقم (١٢٦٨)

١٢٦٨- وعن أُمِّ عُمَارَةَ الأنصارِيَّةِ ﵂: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: ((كُلِي)) فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرغُوا)) وَرُبَّمَا قَالَ: ((حَتَّى يَشْبَعُوا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم عمارة الأنصارية: هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية النجارية، الفاضلة المجاهدة، أخواها وزوجها وابناها من الصحابة الذين أبلوا بلاء حسنًا في الإسلام.

أسلمت قديمًا فشهدت بيعة العقبة الثانية وبايعت النبي ﷺ وشاركت في الغزوات، فقد شهدت أحدًا والحديبية وفتح مكة وحُنينًا وموقعة اليمامة.

وكان لها موقفان عظيمان يوم أحد واليمامة، فأما يوم أحد فقد شهدته هي وزوجها وابناها: حبيب وعبدالله وكانت تسقي المسلمين، فلما انهزموا وانكشفوا عن رسول الله ﷺ ثبتت تقاتل وتدافع عنه حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا. قالت: فانحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليّ الجراح. وقد جرحت جرحًا غائرًا بسبب تصديها لابن قُميئة الذي أقبل يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا. فاعترضه مصعب بن عمير وناس معه وهي فضربها على عاتقها فردت عليه بضربات، كما أنها قتلت فارسًا من المشركين قبل أن تتمكن منها الجراح فتتوقف عن القتال.

وروى أن النبي ﷺ قد أثنى على فعلها وحمد لها موقفها يومئذ، فَرُويَ عنه أنه قال: ما التفتُ يوم أحد يمينًا ولا شمالاً. إلا وأراها تقاتل دوني[2].

---

(١) برقم (٧٨٥). وصحّحه ابن خُزيمة (٢١٣٨)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤١٥/٨) بإسناد فيه الواقدي وهومتروك.

وَرُوِيَ عنه كذلك أنه قال: ((لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان))[١]، لذا بعث إليها عمر بن الخطاب -وهو خليفة- بثوب ثمين، تقديرًا منه لموقفها هذا.

أما يوم اليمامة فكان يومها ويوم ولديها، فأما ابنها حبيب بن زيد بن عاصم فقتله مسيلمة الكذاب، وأما ابنها عبدالله بن زيد فهو الذي قتل مسيلمة بسيفه.

أما هي فقد قاتلت حتى جرحت أحد عشر جرحًا وقطعت يدها، فلما عادت إلى المدينة جاءها أبو بكر الصديق -وهو خليفة- يسأل عنها ويطمئن عليها[٢].

غريب الألفاظ:

تصلي عليه الملائكة: تستغفر له[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحوار بين (أم عمارة) ورسول الله ﷺ يدل علي الجانب الإنساني، والاجتماعي في شخصية المصطفي، ولما رآها لم تتناول الطعام، وعلم أنها صائمة قدم إليها بعض الأخبار السارة فقال: "إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفزعوا". وأكد المضمون بإن، واسمية الجملة،والفعل المضارع" تصلي"والصلاة من الملائكة: (دعاء واستغفار). وهذا الدعاء، وهذا الاستغفار من الملائكة مجابي الدعوة، مستمر إلي أن ينتهي الآكلون من طعامهم. ولعل هذا التكريم، وهذا الدعاء

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤١٥/٨) بإسناد فيه الواقدي.

(٢) الطبقات (٤١٢/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦٩/٧، ٣٦٠) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٢٤، والسير (٢٧٨/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٩٨/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٩٩/٤)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٩/٨) وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ (١٩١٧/٣، ٢١٥٧).

(٣) دليل الفالحين ١٣٨٠.

قد صدر في مثل هذه المواقف لتعويض الصائمين عن تحملهم مشقة شهوة الجوع أمام الآكلين بجوارهم. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله حتى يبين له ما يليق به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصائم الذي يؤكل عنده.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ "كلي" وهذا أمر ليس على سبيل الوجوب ولا الندب، وإنما هو لبيان الإباحة، فلما قال لها النبي ﷺ ذلك، أخبرته أنها صائمة. فأخبرها ﷺ بفضل الصائم الذي يؤكل عنده. وكان هذا الإخبار مترتبًا على هذا الأمر وإخبارها رسول الله ﷺ أنها صائمة.

ثانيًا - من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله حتى يبين له ما يليق به:

هذا واضح من قول أم عمارة الأنصارية: إني صائمة، فأخبرها النبي ﷺ، بفضل من يكون صائمًا ويؤكل عنده. ولو أنها لم تخبره بحالها وفعلت ما طلبه منها من الأكل على سبيل الإباحة - لربما لم يخبرها ﷺ، بذلك الفضل.

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ، أن أناوله الخُمْرة[1] من المسجد، فقلت: إني حائض. فقال: تناوليها فإن الحيضة ليست في يدك[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض[3]: معناه أن النبي ﷺ. قال لها ذلك من المسجد أى وهو في المسجد، لتناوله إياها من خارج المسجد، لا أن النبي ﷺ. أمرها أن تخرجها له من المسجد، لأنه ﷺ. كان في المسجد معتكفًا. وكانت عائشة في حجرتها وهى حائض، لقوله ﷺ: "إن حيضتك ليست في يدك" فإنما خافت من إدخال

---

(١) قال الخطابي: هى السجادة يسجد عليها المصلى. شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٣/٢١٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٩٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٣١.

يدها المسجد، ولو كان أمرها بدخول المسجد، لم يكن لتخصيص اليد معنى"[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب. فانخنَسْتُ منه[٢]، فذهب فاغتسل ثم جاء فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال: كنت جنبًا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال: سبحان الله إن المسلم لا ينجس))[٣].

قال النووي: "هذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم حيًا وميتًا"[٤]. وقال ابن حجر: في هذا الحديث استحباب استئذان التابع للمتبوع إذا أراد أن يفارقه لقوله: "أين كنت؟ فأشار إلى أنه لا يفارقه حتى يعلمه، وفيه استحباب تنبيه المتبوع لتابعه على الصواب وإن لم يسأله)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصائم الذي يؤكل عنده:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: إن الصائم تصلى عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا، وربما قال: "حتى يشبعوا". قال المباركفوري: "أى دعت له الملائكة بما صبر مع وجود المرغب"[٦].

وقال: قوله "تصلي عليه الملائكة"، أى: تستغفر له "إن الصائم إذا أكل عنده" أي ومالت نفسه إلى المأكول واشتد صومه عليه)[٧].

وبوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر استغفار الملائكة للصائم إذا أكل عنده حتى يفرغوا[٨].

وقد أخرج عبدالرزاق بإسناده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: الصائم

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٣/٢١٣.

(٢) أي مضيت عنه مستخفيًا. فتح الباري، ١/٤٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣، ومسلم ٣٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢/٤/٦٨.

(٥) فتح الباري ١/٤٢٥.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٩٦٥.

(٧) السابق ١/٩٦٥.

(٨) صحيح ابن حبان ٨/٢١٦، الحديث ٣٤٣٠.

إذا أكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة[1].

ولعل سبب هذا الفضل أن الصائم جمع بين فضيلتين: إطعام الطعام، وفضيلة: الصبر على الصوم مع أن إطعامه الطعام يجعل نفسه تحدثه بالفطر، وخاصة أنه يرى غيره يتناول الطعام، فلما صبر على هذا مع إطعامه الطعام استحق أن تستغفر الملائكة له. فوقع له الخير من عدة جهات: صومه وصبره وإطعامه الطعام. والله أعلم.

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣١٢/٤، وانظر مصنف ابن أبي شيبة، ٨٦/٣.

الحديث رقم (١٢٦٩)

١٢٦٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سعد بن عبادة رضي الله عنه فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ: **((أفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ؛ وَأكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلاَئِكَةُ))** رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأبرار: جمع بَرٍّ وهو الصالح[2].

الشرح الأدبي

هذا المشهد يدل علي التواصل،والتزاور الذي كان موجودا بين خاتم الرسل، وأصحابه الأخيار، فبعد أن ذهب إلي " سعد بن عبادة "، و أكل عنده من خبزه وزيته :ونوعية الطعام تشير إلى تواضع النبي ﷺ، ورضاه بفضل الله ثم دعا له بقوله: " أفطر عندكم الصائمون. الخ " وهذه العبارات خبرية لفظا إنشائية معني، لأنها تقوم علي الدعاء بأن يوجه الله له الصائمين ليفطروا عنده، وأن يرزقه الله بالأبرار الذين يأكلون طعامه، وأن تصلي عليه الملائكة. ومن الجدير بالذكر أن صيغة الجمع في قوله: " الصائمون –الأبرار– الملائكة ". تشير إلى تكثير الخير من وجهين أولهما أن كثرة الآكلين تدل على كثرة الطعام، فهو دعاء ضمنا بكثرة الخير كما أن فيه دعاء ضمنا برفقة الصالحين التي يكتنفها الخير من كل ناحية، وثانيا أن كثرة الصائمين، والأبرار معناها تضاعف الأجر بتفطيره إياهم، كما مر في الحديث أن من فطر صائما كان له مثل أجره ، وهذا الدعاء يؤكد حب النبي ﷺ" لسعد رضي الله عنه "، ومن ملامح

---

(١) برقم (٣٨٥٤). قال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٩٩/٣): إسناده صحيحٌ.

(٢) الوسيط في (ب ر ر).

حبه هذا أنه يدعو أن يتوجه إليه صائمون، وأبرار كثيرون، يفطرون عنده، ويأكلون من طعامه فيدعون له، وتصلي عليه الملائكة، ويؤجر من ربه. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن عبادة رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب الزيارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء المدعو والضيف لأهل الطعام إذا فرغ من أكله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن عبادة رضي الله عنه:

ذلك واضح من مجيء النبي ﷺ إليه وأكله عنده. قال الذهبي عنه: "السيد الكبير الشريف أبو قيس الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج. له أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر. مات قبل أوان الرواية..... قال أبو الأسود عن عروة: إنه شهد بدرًا، وقال جماعة: ما شهدها.

قال ابن سعد: كان يتهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش، فأقام، فقال النبي ﷺ: ((لئن كان سعد ما شهد بدرًا، لقد كان حريصًا عليها))[1].

قال: "أي ابن سعد": وكان عَقَبِيًا نقيبًا سيدًا جوادًا ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان يبعث إليه كل يوم جفنة[2] من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره. فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه.

وقال البخاري في تاريخه: إنه شهد بدرًا وتبعه ابن منده ... قال موسى بن عقبة والجماعة: إنه أحد النقباء ليلة العقبة.

قال أنس: لما بلغ رسول الله ﷺ إقبالُ أبي سفيان - أي في غزوة بدر - قال: أشيروا عليّ فقام أبو بكر فقال: اجلس، فقام سعد بن عبادة، فقال: لو أمرتَنا يا رسولَ

---

(١) قال محققو السير: الخبر عند ابن سعد في الطبقات ١٤٣/٦، والمستدرك للحاكم ٢٥٢/٣، كلاهما من طريق الواقدي، وهو متروك.

(٢) الجَفْنة: القصعة جمعها جفان وجَفَنات. القاموس المحيط في (ج ف ن).

الله ﷺ أن نُخيضَها البحرَ، لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرِبَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغِمادِ لفعلنا"[١] [٢].

وقال ابن سيرين: كان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة يعشيهم قلت: "القائل الذهبي": كان ملكًا شريفًا مطاعًا وقد التفت عليه الأنصار يوم وفاة رسول الله ﷺ ليبايعوه، وكان موعوكًا. حتى أقبل أبو بكر والجماعة، فردوهم عن رأيهم فما طاب لسعد.

قال أبو عبيد: مات سنة أربع عشرة بحوران)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب الزيارة:

وهذا واضح من قول أنس بن مالك رضي الله عنه "إن النبي ﷺ. جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل". ففي هذا الحديث زيارة النبي ﷺ. لأصحابه ومن ذلك أيضًا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج، أمر بمكان من البيت فنضح له على بساط، فصلى عليه ودعا لهم[٤]. وبوب البخاري على هذا الحديث: باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم، قال ابن حجر: "قوله (باب الزيارة) أى مشروعيتها، (ومن زار قومًا فطعم عندهم)، أى من تمام الزيارة أن يقدم للزائر ما حضر، قاله ابن بطال، وهو مما يثبت المودة، ويزيد في المحبة ... وفي الحديث استحباب الزيارة ودعاء الزائر لمن زاره وطعم عنده"[٥].

وقد كان الصحابة يتزاورون من ذلك ما رواه أبو جحيفة رضي الله عنه قال: «آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداءِ، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلَةً

---

(١) برك الغماد: موضع وراء مكة المكرمة بخمس ليالٍ، بناحية الساحل. وقيل: بلد باليمن. وقيل: موضع بأقصى هجر. أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ص٦٥٧، ومراجعه ومصادره.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١/٢٧٠-٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٠.

(٥) فتح الباري ١٠/٥٠٠.

فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداء فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تَأْكُلَ. قال: فَأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ»[1].

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة في الله، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم"[2].

وقد ورد في فضل الزيارة أحاديثُ منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً»[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (تسن زيارة الصالحين والإخوان، والأصدقاء، والجيران، والأقارب وصلتهم، وينبغي أن تكون زيارتهم على وجه يرتضونه، وفي وقت لا يكرهونه. كما يستحب أن يطلب من أخيه الصالح أن يزوره ويكثر زيارته إذا لم يشق ذلك)[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: دعاء المدعو والضيف لأهل الطعام إذا فرغ من أكله:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ. "لما فرغ من الطعام قال: ((أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة)). قال ابن علان: "ثم قال النبي ﷺ". أى بعد تمام الأكل: (أفطر عندكم الصائمون) أى أثابكم الله إثابة من فطر صائمًا، فهى خبرية لفظًا، دعائية معنى، كجملة (وأكل طعامكم الأبرار) جمع

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٨.

(٢) فتح الباري ٢١١/٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣)، وانظر فتح الباري ٥٠٠/١٠.

(٤) الموسوعة الفقهية ٨١/٢٤ ومصدرها.

بَرّ وهو التقى. (وصلت عليكم الملائكة) أي استغفرت لكم"[١].

وروى عبدالله بن بسر رضي الله عنهما قال: نزل رسول الله ﷺ. على أبي قال: فقربنا إليه طعامًا ووَطْبَة[٢]، فأكل منها. ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى. ثم أتى بشراب فشربه. ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي: وأخذ بلجام دابته، ادع الله لنا. فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم[٣].

قال النووي: (فيه استحباب طلب الدعاء من الفاضل، ودعاء الضيف بتوسعه الرزق والمغفرة والرحمة، وقد جمع ﷺ في هذا الدعاء خيرات الدنيا والآخرة)[٤].

---

(١) دليل الفالحين، ١٣٨١، وانظر عون المعبود، ١٦٤٥.

(٢) الوطبة: بفتح الواو وإسكان الطاء: الحيس، أي قربه يجمع فيه بين التمر والأقط والسمن، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ط ب).

(٣) أخرجه مسلم، ٢٠٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٣٨/١٢/٧ ط دار عالم الكتب.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على السخاء:

لقد رغب النبي ﷺ في تفطير الصائم فأخبر بأن من فعل ذلك كان له مثل أجر الصائم، كما أن النبي ﷺ لما دخل بيت أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها قدمت له طعامًا، فكان ذلك من دلائل السخاء والكرم، كما صنع سعد بن عبادة طعامًا للنبي ﷺ فأكل منه، وهذا من أفعال الأسخياء الكرماء، فكانت في هذه الأحاديث دلالة على التربية على السخاء والجود والكرم، وهذا له تأثير تربوي مهم جدًا على الناشئة وغيرهم، "فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إنفاقه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فهو بذل ما ينبغي في الوجه الذي ينبغي الإنفاق فيه.

فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها عن الإنفاق في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قوامًا.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة، وقلة الحرص على جمع المال - كان متصلاً بفضائل أخرى تعد من مقومات الهمة العالية، ومن مظاهرها الجلية، فالسخي في أغلب أحواله يأخذ بالعفو ويتحلى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه وإذا قضى كان عادلاً فلا تطمع نفسه إلى رشوة ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي.

ولتجدن السخي متواضعًا لا يطيش به كبر، ولا تستخفه الخيلاءُ، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والعزة بشدة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

وإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه ولانت عريكته وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم، وأن يتطهر من المساوئ والمعايب فالسخي قريب من كل خيّر وبرٍّ.

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة، فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين،

حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة في نفوسهم، كان جزاؤه من جنس عمله.

وللسخاء أثر في سيادة الأمة، فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها وسعة معارفها وسمو أخلاقها وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها ومتانة اتحادها وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن - إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس"(١).

ثانيًا- من صفات المربي الناجح : مخالطة من يقوم بتربيتهم:

لقد دخل النبي ﷺ بيت الصحابية أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها وقدمت له طعامًا، كما ذهب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه وأكل من الطعام الذي قدّمه له، ثم دعا له، وفي هذا دلالة على أن المربي يدخل بيوت أتباعه ويخالطهم ويؤاكلهم ويشاربهم ويلاطفهم ويمازحهم بما هو حق وليس بباطل، ولا شك أن هذه المخالفة تؤتي بفوائد تربوية مهمة جدًّا، منها:

(أ) نشر الألفة والمودة والمحبة بين المربي ومن يقوم بتربيتهم والعناية بشؤونهم، وهذا هو السبيل لتمكين المربي من غرس القيم التربوية في نفوس أتباعه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأتباع يكونون مقبلين على هذه القيم وتلك المبادئ والالتزام بها وتطبيقها في حياتهم ومختلف شؤونهم.

(ب) الاقتداء بالمربي والتأسي به، فهم يرونه ويشاهدونه بينهم ويشاهدون أفعاله وأعماله ويسمعون أقواله ويتابعون حركاته، وهم في كلّ ذلك معلقة أبصارهم به، ليحاولوا أن يكونوا مثله، فالمعايشة سهلت أمر الاقتداء وأعانت عليه.

(ج) علاج الخلل والانحرافات التي تقع من الناشئة وغيرهم بصورة فورية وعاجلة، بحيث لا يسمح لهذه الانحرافات وذلك الخلل أن تستقر في نفوسهم وأذهانهم بل تصل إليهم الصورة الصحيحة واضحة جلية ماثلة أمام أعينهم.

---

(١) الهمة العالية: معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٦٦ - ١٦٧ بتصرف.

ثالثًا- المشاركة الوجدانية:

لقد أعدت الصحابية أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها طعامًا وهي صائمة، ليأكل منه غير الصائمين، فلم تكتف بأن انشغلت بحال صومها فقط، بل أعدّت طعامًا لغير الصائمين ففي ذلك - في رأينا - مشاركة وجدانية، فعلى المربين أن يغرسوا في نفوس أتباعهم المشاركة الوجدانية والتفاعل مع الأحداث والمجتمع الذي يعيشون فيه، وأن ينفضوا عن كاهلهم عباءة السلبية ودثار اللامبالاة وشعار الأنانية، لأن في تربيتهم على المشاركة الوجدانية عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) إحساسهم بدورهم المهم في المجتمع الذي يعيشون فيه،ومن ثم يحرصون على زيادة مساحة هذا الدور وتعميقه وتأصيله، وهذا يعود على المجتمع كما يعود عليهم بالنفع.

(ب) سد الحاجات الدائمة والطارئة التي تطرأ والعمل على كفايتها والقيام بتبعاتها ولوازمها، وفي هذا نشر لروح التكافل الاجتماعي الذي هو صمام أمن المجتمع.

(ج) نشر روح المودة بين المجتمع وتقليل مساحات الاختلاف والتنازع بين فئاته ما أمكن، والعمل على الاجتماع على المتفق عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، وفي هذا جمع لوحدة الكلمة واتحاد الصف وقوة البنيان الاجتماعي.

رابعًا- من أساليب التربية: الدعاء للغير:

لما أكل النبي ﷺ من طعام سعد بن عبادة رضي الله عنه دعا له فقال: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة)، فكان دعاءً بالخير وبالزيادة منه، فقد دعا النبي ﷺ بأن يأكل عنده الصائمون وفي هذا تحصيل لمثل أجور الصائمين، وهذا أجر عظيم وثواب كثير، وزاد النبي ﷺ بأن يأكل طعامهم الأبرار الذين هم لا يأكلون إلا الحلال الخالص ولا يدخلون إلا بيوت الصالحين الأتقياء، كما أن في حضورهم إلى البيت جلبًا للخير والنفع، فهم أينما حلّوا حلّ معهم الخير والنفع والبركة، كما أنهم يدعون لأصحاب الطعام، وفي هذا توجه إلى الله بأن يجازيهم الخير في الدنيا والآخرة، ولم يكتف النبي ﷺ بذلك فحسب بل زاد أيضًا

بأن تصلي عليهم الملائكة، وفي ذلك زيادة للدرجات ورفعة في المراتب والمقامات، لأن صلاة الملائكة دعاء ورجاء إلى الله رب العالمين.

والمقصود أن في هذا الحديث كان الدعاء من أساليب التربية والتهذيب، فأدى دورًا تربويًا مهمًا جدًا، يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) أن هذا الدعاء من أفضل صور الشكر، ففيه توجه إلى الله الكريم العظيم الواسع الرازق بأن يكافئهم ويجازيهم على فعلهم هذا، وفي ذلك إحالة لأن يثيبهم الله خير الثواب، فالبشر مهما أَعْطَوْا لن تعدل مكافآتهم مثقال ذرة من ثواب الله وفضله.

(ب) إن في هذا الدعاء تعليمًا للناشئة وغيرهم أن يلتزموا واجب الشكر لمن قام لهم وقدم إليهم معروفًا ولو كان صغيرًا، والقيام بشكر الناس شكر لله تعالى، وخلق الشكر خلق أساس.

(ج) في هذا حث لمن صنع المعروف أن يستزيد ويداوم على ذلك ويستمر، كما أنه من ناحية أخرى تشجيع لغيره أن يفعل مثله أو أفضل منه.

(د) في الدعاء ربط للأتباع وغيرهم بالله عز وجل والخضوع والإذعان له، والتوجه إليه وطلب العون والمدد منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك تقوية لهم وتدعيم لقلوبهم وشد لأفئدتهم.

